تاريخ إيران بعد الإسلام

من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية

(٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م — ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م)

نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه

د. / محمد علاء الدين منصور
كلية الآداب - جامعة القاهرة

راجعه

الأستاذ الدكتور / السباعي محمد السباعي
كلية الآداب - جامعة القاهرة

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ شارع سيف الدين المهراني - الفجالة
القاهرة ت / ٩٠٤٦٩٦٠

١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

بقلم دكتور الصباعى محمد الصباعى

الكتاب الذى أقدم ترجمته اليوم الى اللغة العربية ، ألفه المرحوم عباس اقبال اشتيانى باللغة الفارسية ممثلا اتجاها جـديدا ومحمـودا لتقديم تاريخ ايران قبل الاسلام وبعده حتى الآن ـ باسلوب واضـح ومختصر معتمدا على أمهات المصادر والمراجع التى ألفت فى كل مرحـلة من مراحـل تاريخ ايـران .

وسأحاول معك أيها القارىء الكريم أن أسـتعرض أهم المصـادر التاريخية التى ألفت فى كل مرحلة من مراحل تاريخ ايران الاسـلامى ، موضحا ما تم نقله لابناء العربية على يد أساتذتنا الرواد أو الزملاء الذين ينهضون بأداء هذه الأعمال ابرازا لدور أقسام اللغات الشرقية وآدابها بالجامعات المصرية ، وذاكرا فى الوقت ذاته الموضوعات التاريخيـة التى سجلت أو نوقشت كرسائل للماجستير والدكتوراه ، ليتضح الدور الذى قام به تلميذى وصديقى الدكتور محمد علاء الدين منصور فى ترجمتـه لهذا الكتاب الكبير الذى أسماه مؤلفه « تاريخ مفصل ايران از أغـاز تا انقراض قاجاريه » بعد أن أضاف اليه عباس اقبال أثناء الطبع كتـابا مختصرا عن تاريخ ايران القديم ألفه حسن بيرنيا « مشير الدولة » عـن سفره الكبير فى هذا الشأن . قام كاتب هذه السطور وزميله الدكتـور محمد نور الدين عبد المنعم بنقله الى اللغة العربية وراجعـه أسـتاذنا الأستاذ الدكتور يحيى الخشـاب . ومن هنا كانت ترجمـة كتـاب

عباس اقبال تكملة لما بدأناه حتى يكون الكتاب فى صورته الفارسية قد تم نقله الى العربية كاملا ويكون تاريخ ايران منذ النشأة حتى العصر القاجارى فى أيدى أبناء العربية •

منذ الفتح العربى لايران أصبحت اللغة العربية لغة رسمية لايران أو لهذا المصر من أمصار الدولة الاسلامية الكبيرة وظل الحال على هذا النحو حتى عين طاهر بن الحسين حاكما لخراسان من قبل الخليفة المأمون مكافأة له على ما أداه له من جليل الخدمات وكان ذلك عام ٢٠٦هـ ، ٨٢١م وقامت الدولة الطاهرية ليكون ذلك أول انقسام للدولة الاسلامية فى المشرق واستمرت تلك الدولة من ٢٠٦هـ حتى ٢٦٠هـ ، ٨٢١ — ٨٧٣م لم يؤثر عن أحد حكامها تمرده على الخلافة العباسية سوى ما ذكر عن طاهر بن الحسين الذى وافته المنية ليخلفه ابنه عبد الله بن طاهر • ثم قامت الدولة الصفارية فى سيستان أو سجستان من ٢٤٧هـ / ٢٨٧هـ ٨٦١ / ٩٠٠م وكانت أشد عداء للعباسيين واللغة العربية وأكثر جهدا فى السعى لاعادة احياء اللغة الفارسية •

انتهى الأمر بقيام الدولة السامانية ٢٨٨/٣٩٠هـ // ٩٠٠/٩٩٩م ويعتبر عهدها عهد الاحياء الحقيقى للغة الفارسية رغم صلاتها الطيبة بالخلافة العباسية •

ففى تلك المرحلة بدأ نقل المؤلفات العربية فى التاريخ وعلوم التفسير الى الفارسية فترجم تاريخ الطبرى الى الفارسية تحت اشراف البلعمى كما ترجم تفسيره المعروف « جامع البيان فى تفسير القرآن » الى الفارسية أيضا ثم بدأ التأليف بالفارسية وكان التأليف فى الجغرافيا أسبق من التاريخ • ويعتبر كتاب زين الأخبار الذى ألفه عبد الحى الكرديزى أول مؤلف تاريخى أصيل كتب باللغة الفارسية ، شرح فيه مؤلفه الأحداث التاريخية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى — ويعد هذا الكتاب المصدر فى التأريخ لأحداث خراسان

فى تلك الفترة ، كما ضمنه مؤلفه فصلا عن تاريخ الهند وفصولا عن نشأة الشعوب الاوروبية الغربية وفصولا عن قبائل الترك فى آسيا •

ونظرا لأهمية هذا الكتاب قامت الزميلة الأستاذة الدكتورة عفاف زيدان بنقله الى اللغة العربية وأضافت اليه العديد من الحواشى والتعليقات ونشر فى القاهرة ويعتبر تاريخ بيهقى أو تاريخ آل سبكتكين الذى ألفه أبو الفضل محمد بن حسين البيهقى مصدرا ذا أهمية خاصة للتأريخ للعصر الغزنوى ، ومعلما بارزا من معالم كتب التاريخ الاسلامية لما كان ينعم به مؤلفه من مقام فى بلاط السلطان مسعود بن السلطان محمود الغزنوى ولرؤيته التى اهتدى بها الى منهج فى التأليف والكتابة التاريخية كان سباقا اليه من حيث معرفة أسباب الواقعة بمناحيها المختلفة ونتائجها واعتماده على الوثائق فى رصد الحدث التاريخى •

ويذكر أن هذا الكتاب قد كتب فى ثلاثين جزءا ، ضاعت كلها ولم يبق منها سوى الجزء الخاص بالسلطان مسعود ١٠٣٠ / ١٠٤١م وقد انتهى البيهقى من كتابة هذا الجزء عام ٤٥١هـ / ١٠٥٩م ولذا يعرف هذا الكتاب أحيانا بـ « تاريخ مسعودى » وحقق هذا المجلد ونشر فى تهران عدة مرات أكثرها تحقيقا الطبعة التى حققها الدكتور قاسم غنى ولقيمة هذا الكتاب الكبيرة قام أستاذنا الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب وأستاذنا المرحوم الأستاذ صادق نشأت بنقله الى اللغة العربية عن تلك النسخة المحققة وطبع أكثر من مرة •

وقامت الدولة السلجوقية ويخلف التاريخ العديد من المصادر التاريخية بعضها بالعربية وأكثرها بالفارسية — ويعتبر كتاب راحة الصدور وآية السرور الذى ألفه نجم الدين محمد الراوندى وانتهى بأحداثه حتى عام ٥٩٦هـ / ١١٩٩ واحدا من مصادر التأريخ لتلك الفترة خاصة وان مؤلفه عمل فى بلاط السلطان السلجوقى طغرل الثالث أحد سلاطين سلاجقة العراق — ونشر المتن الكامل لهذا الكتاب فى سلسلة جب التذكارية تحت اشراف الأستاذ محمد اقبال وذلك فى عام ١٩٢١م •

ولأهمية هذا الكتاب وتكملة لما قام به أستاذنا الدكتور عبد النعيم حسنين من الكتابة عن تاريخ السلاجقة ، قام بترجمة هذا الكتاب الى العربية ونشر بالقاهرة .

كما ترجمت عن هذه الفترة مؤلفات ليست تاريخية فى المقام الأول ، مثل كتاب سياستنامه الذى ألفه الوزير السلجوقى نظام الملك والذى وزر للسلطان السلجوقى ملكشاه فقد درس هذا الكتاب ونقله الى اللغة العربية المرحوم القزاوى ثم ترجم كتاب جهار مقالة أى المقالات الأربع وقام بترجمة رائد الدراسات الشرقية فى مصر والعالم العربى أستاذنا المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام وأستاذنا الدكتور يحيى الخشاب .

وقامت الدولة الخوارزمية وبسطت نفوذها على القسم الأكبر من المشرق الاسلامى وكان سلطانها قائما على القوة وظهر عنها بالعربية دراسات أبرزها ما قام به حافظ حمدى فى كتابين الأول المشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى والثانى الدولة الخوارزمية والمغول كما كتب عنها من قبل ابن خلدون فى كتابه العبر أو تاريخ ابن خلدون ومع هذا فيمكن القول بأن هذه الدولة لم تحظ بالدراسة بالقدر الكافى الذى حظى به دراساتها عن صلاتها بالمغول .

ومع هذا فلدينا كتاب وثائقى مهم يعتبر مصدرا للتأريخ لتلك الفترة ، كتبه مؤلفه باللغة العربية هذا الكتاب هو « سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى » وهو آخر سلاطين الدولة الخوارزمية قبل قضاء المغول عليها . ألف هذا الكتاب محمد بن أحمد النسوى كاتب السلطان جلال الدين خوارزمشاه (أو جلال الدين منكبرتى) تناول فيه مؤلفه الأحداث منذ عام ٦١٥هـ/٦٢٩هـ // ١٢١٨/١٢٣١م وهى فترة هجوم المغول على الدولة الخوارزمية .

وظهر بعد ذلك كتاب آخر لهذا الكاتب ولكنه كتبه باللغة الفارسية ويعرف باسم « نفثة الصدور » وهو كما يتضح من اسمه العربى عبارة

عن خاطرات المؤلف عما شاهده وتعرض له وكابده وتعرضت له ايـران من مصائب وأحداث وانتهى من كتابته عـام ١٢٣٤ أو ١٢٣٥م وسـيطر المغول على المشرق الاسلامى كله وازدهر التأليف التاريخى فى تلك الفترة وقامت دولة المغول فى ايران وهو ما يعرف باسـم الايلخانيين وحـاول المغول تخليد تاريخهم فظهرت المؤلفات التاريخية العديدة كتبها مؤرخون شاركوا فى صنع بعض الأحداث لما كانوا ينعمون به من مقام فى السلطة آنذاك : من هؤلاء : عطا ملك الجوينى الذى ألف كتابا فى ثلاثة مجلدات هو تاريخ جهان كشاى ٦٥٩هـ/١٢٦٠م وكان هذا الكتاب موضوع رسالة كاتب هذه السطور للحصول على درجة الدكتوراه حيث قـام بدراسـته وترجم المجلد الأول منه الى اللغة العربية (ولم تنشر هذه الرسالة حتى الآن) وقام زميلى الأستاذ الدكتور محمد السعيد جمال الدين بدراسة عن الاسماعيلية كما ورد فى جهان كشاى كرسالة للحصول على الماجستير فترجم الجزء الخاص بالاسماعيلية فى هذا الكتاب الذى يعتبر المصـدر الرئيسى الوحيـد الموجـود حـتى الآن لكتابهـم المفقـود المعـروف بـ « سركزشت سيدنا » ومن أشهر مصادر التأريخ لهذا العصر كتـاب جامع التواريخ الذي ألفه رشيد الدين فضـل الله الطبيب الذى تـولى منصب الوزارة فى البلاط المغولى وكتب كتابه هذا بأمر من غازان خـان السلطان المغولى ولأهمية هذا المؤلف وكتابه اتخـذه الأسـتاذ الدكتور فؤاد الصياد موضوعا لرسالة لنيل درجة الدكتوراه وترجم ومعه المرحوم الدكتور محمد موسى هنداوى والأستاذ صادق نشأت أجـزاء من هـذا الكتاب الكبير والتى تتعلق بتاريخ هولاكو • ويذكر عباس العـزاوى أن غازان خان أمره فى سنة ٧٠٠هـ فكتب جزءا من كتابه باسم التاريخ المبارك الغازانى بالعربية والفارسية وان التاريخ العربى كان مجهـولا الى أن عـثر عليـه ونشـره •

ومن مؤلفى هذه الفترة أيضا شهاب الدين عبد الله بن فضـل الله الشيرازى الذى اشتهر باسم وصاف الحضرة ، فقد كتب كتابا بالفارسية اتخذ له اسما عربيا هو « تجزية الامصار وتزجية الأعصار » ويقـع فى

خمسة مجلدات ، ويعتبر ذيلا لكتـاب تاريخ جهان كشاى يشرح فيـه الأحداث منذ عام ٦٥٥هـ/٧٢٤هـ // ١٢٢٣/١٢٥٧م ويقال انـه أنهـاه بأحداث سنة ٧٢٨هـ وختمه بمناقب السلطان أبى سعيد •

نال هذا الكتاب اهتمام العديد من الباحثين فى رسائل الماجسـتير والدكتوراه شأنه فى ذلك شأن كتاب تاريخ كزيده الذى ألفه حمد اللـه المستوفى فى عام ٧٣١هـ/١٣٣٠م اعتمد فى كتابته على جامع التواريخ وكتب تاريخية أخرى ، ومن بين ما يتميز به هذا الكتـاب ما أورده فى ثبت عن العلماء والأئمة والفضلاء ، وما ذكره فى كتابه عن قزويـن من الناحيـة الجغرافية • وترجم هذا الكتاب الى اللغة التركية كسابقه وقام بترجمته يعقوب باشا بأمر من السـلطان بايزيد وانتـهى المترجـم من ترجمـته سـنة ٩٥٥هـ •

أما كتابه الآخر فهو المعروف باسم ظفرنامه وهو كتاب منظـوم ، يقع فى خمسة وسبعين ألف بيت ، يبدأ بالتأريخ للعرب ثم تحـدث عن سلاطين ايران وحكم المغول وقد بـارى فى هذا الكتـاب الفردوسى فى نظمه للشاهنامة • وقد بدأ فى تأليفه قبل تاريخ كزيده وأتم منه خمسين ألف بيت ثم عاد الى نظمه بعـد ذلك وانتهى من تأليفـه عـام ٧٣٥هـ أو سـنة ٧٣٣هـ / ١٢٣٢م •

وكتابه الثالث هو كتاب فى الجغرافيا يعرف باسم ــ نزهت القلوب والذى انتهى من تأليفه سـنة ٧٤٠هـ ورغم قيمـة الكتاب من الناحـية الجغرافية ، الا انه يحوى كثيرا من المعلومـات المتعلـقة بالتشـكيلات الاداريـة للمغـول والتركمـان •

وفى العصر التيمورى الذى تلا ذلك العصر يعتبر حافظ ابرو أكـبر مؤرخى تلك الفترة فقد التحق بخدمة تيمور ثم ابنه السلطان شـاهرخ فقد شاهد أحداث تيمور منذ عام ٧٨٨هـ وابنه الى أن توفى سنة ٨٣٤هـ ١٤٣٠م اكتسب شهرة كبيرة من مؤلفاته التاريخية أفاد فيها من موقعـه كنديم للسلطان ، من بين مؤلفاته كتاب ذيل جامع التواريخ الذى ظـل

لفترة مجهول المؤلف ، أتم فيه ذكر أحوال المغول فذكر أحوال السلطان محمد خدابنده ، وابنه السلطان أبى سعيد الى أواخـر أيـام المغـول وقد ألف حافظ ابرو (شهاب الدين عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد الخوافى) هـذا الكتاب عـام ٨٢٠هـ •

وأكبر مؤلفاته مجمل التواريخ أو «زبدة التواريخ» ويقع فى أربعة مجـلدات كتبه بعـد كتـاب ذيـل جـامع التواريخ •

ويأتى من بعـده عبـد الرازق الســمرقندى (٨١٦ — ٨٨٧هـ // ١٤١٣/١٤٨٢م) صاحب كتاب (مطلع السعدين ومجمع البحرين) ويقع فى مجلدين ، اعتمد مؤلفه على ما ورد فى زبدة التواريخ لحافظ ابرو من وقائع وأحداث حتى سنة ٨٣٠هـ//١٤٢٦م والجزء الأصيل فى هذا الكتاب يبدأ من وقائع سنة ٨٣٠هـ/٨٣١هـ حتى أحداث سنة ٨٧٥هـ//١٤٧٠م ثم ألف فصيح خوافى كتابه المعروف باسم « مجمل فصيحى » سنة ٨٤٦هـ / ١٤٤٢م ويحتل هذا الكتاب منزلة خاصة بين كتب مؤرخى هذا العصر •

وفى مقابل ما سبق من مؤلفات تاريخية عن هذا العصر نجد مؤلفـا ومؤرخا نحا منحى آخر هو ابن عربشاه (أحمد بن محمد بن عبد الله) المتوفى سنة ٤٦٠ — ٨٤٥هـ // ١٤٤٢م والمولود سنة ٧٩١هـ // ١٣٨٩م ألف كتابا أسماه « عجائب المقدور فى أخبار تيمور » اهتم مؤلفه اهتماما كبيرا بأخبار تيمور وأوضح تفاصيل دقائق عن حياته وأحواله كما لو كان من مرافقيه ومدونى وقائعه ، والكتاب صادق فى التأريخ لتيمور بمقارنته بمؤرخى تيمور المؤيدين له والذى عاشوا فى معيته ، الا فى بعض المواطن التى تحامل فيها على تيمور ومع هذا فقيمة الكتـاب التاريخية كبـيرة وخاصة وانه لم يكتف بذكر تيمور فحسب بل ذكر ما كان معاصرا له من حكومات حاربها وانتصر عليها وقيمة الكتاب الاساسية الأخرى انه كتب باللغة العربية فغطى جانبا من أحداث التأريخ لتلك الفترة • وقد أتمـه مؤلفه سنة ٨٤٠هـ // ١٨٣٧م ويعتبر ميرخوند (ميرخواند) أكثر مؤرخى تلك الفترة شهرة وانتشارا من سنة ٨٣٧هـ حتى ٩٠٤هـ//١٤٢٣ — ١٤٩٨م

ولد فى مدينة بلخ ثم استقر به المقـام فى بـلاط الشـاعر والـوزير ميرعليشيرنوائى وزير السلطان حسين بايقرا حيث التقى فى هذا البلاط بكبار العلماء والفضلاء فى شتى المجالات فأفاد من علمهـم ثم انصرف للتأريخ فى احدى تكايا مدينة هرات وأخذ يكتب كتابه التاريخى — وهو فى التاريخ العام — أسماه روضة الصفا ويقع فى سـبعة مجلدات ولكن الأجل وافاه فجأة قبل أن يتم المجلد السابع الذى أتمه حفيده خوندمير ، ويمتاز هذا الكتاب بانه سجل متضح لما سـبقه من مؤلفـات تاريخيـة خصص المجـلد الخامس منه للحديث عن جنـكيز وأحـواله وأولاده ، وتحدث فى السادس عن ظهور تيمور ووقائعه وأحداثـه وأولاده أمـا السابع فخصص لأحوال السلطان حسين بايقرا والأقسام الأخيرة بهذا الكتاب بها تفصيلات مهمة عن الترك والمغول والتتـار حتى انـه يمكن القول بأن الجزء السادس والسابع يتميزان بالأصالة والدقة التى لـم يسبق اليها ونال هذا الكتاب عناية كبيرة عند الأوروبيين وعنـد أبـناء العربية من حيث الدراسة أو الترجمة فقد ترجم تلميـذى وصـديقى الدكتور أحمد الشاذلى الجزء الخاص بالدولة الصفارية والسامانية من هذا الكتاب وراجعته وقدمت له ونشر بالقـاهرة .

يأتى من بعده خواندمير المولود عام ٨٨٠هـ — ١٤٧٦م الذى عاصر التغيـير الذى أصـاب الحـياة الثقـافية والفكرية منذ تـوفى الوزير على شيرنوائى سنة ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م فلم تبق هراة مركزا ثقافيا يشـار اليه ثم توفى السلطان حسين بايقرا فتفرغ خوندمير للتأليف وألف كتابه القيم المعروف باسم « حبيب السير فى أخبار أفراد البـشر » ويقـع فى ثلاثة مجلدات ضم فيه ما ذكرته المصادر التاريخية السابقة ويعتبر المجلد الثالث هو المجلد الأصيل فى هذا الكتاب وقد انتهى بأحداثه حتى عـام ٩٣١هـ/١٥٢٤م فالمؤلف شاهد عيان لأحداث نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر تناول فيه أحداث التيموريين وبداية الدولة الصفوية حتى وفاة الشاه اسماعيل الصفوى ويعتبر هذا الجزء من الكتاب من الوثائق التاريخية المهمة ومن مؤلفاته كذلك : دستور الوزراء ، وهو بالفارسـية

تحدث فيه عن الوزراء فى ايران منذ أقدم الأزمنة حتى عصر المؤلف حتى عام ٩١٤هـ على وجه التدقيق ومن أهم مباحثه ودراساته كـلامه عن ابن العلقمى والحسن الصباح والاسـماعيلية فى مصر وفى ايـران والدولـة الخوارزمشاهية وآل مظفر ووزراء جنكيز وآل جلاير وتيمور لنك .

ولمنزلة الكتاب ومؤلفه اهتم به زميلى الدكتور حربى أمين سليمان واتخذه موضوعا لرسالته للحصول على درجة الدكتوراه ، فدرس المؤرخ وترجم كتابه دستور الوزراء ونشرته الهيئة العامة للكتـاب بالقـاهرة سـنة ١٩٨٠م .

أما عن الدولة الصفوية التى تلت ذلك العصر والذى أشرت من قبل الى ما قام به صاحب حبيب السير من تاريخ لبداية ظهور هذه الدولـة ومؤسـسها .

ثانيا تجد كتابا باسم « تاريخ شاه اسماعيل صفوى » ومؤلفه غير معلوم ، ثم كتاب لب التواريخ الذى كتبه (يحيى القزوينى ٨٨٦/٩٦٣هـ // ١٤٨١/١٥٥٥م ورغم تعصبه للدولة الصفوية الا أن مدحه لهم كان مقبولا لحد كبير . ويأتى من بعده خورشاه بن قباد الحسينى الذى ألف كتابا باسم « تاريخ ايلجى نظامشاه » ويقع فى ست مقالات تذكر أحداث النصف الأول من القرن السادس عشر فى المقالة السادسة ومؤلفـه من مؤيدى الدولة الصفوية والمذهب الشيعى . ويذكر بطروشوفسكى ان هذا الكتاب يحتوى على معلومات مهمة لم تتوفر لغيره من المصادر عن الدولة الصفوية وهناك أحمد بن محمد الغفارى القزوينى الـذى ألف كتـابين فى التاريخ أولهما « نكارستان ٩٧٠هـ/١٥٦٢م » ويحوى معلومات قيمة والآخـر (نسـخ جهـان آراى) .

ثم كتاب أحسن التواريخ الذى ألفه حسن بك روملو بالفارسـية ويقع فى اثنى عشر مجلدا لم يصل الى أيدى الباحثين منها سوى المجلد الحادى عشر والثـانى عشر (٨٠٨هـ/٨٩٩هـ // ١٤٠٥/١٤٩٣م ، ٩٠٠ / ٩٨٣هـ // ١٤٩٤/١٥٧٥م) .

ثم هناك كتاب شرف نامه للبدليسى ويقع فى مجلدين وانتهى منه فى

١٠٠٥هـ/١٥٩٦م ورغم ما ألف عن الدولة الصفوية فلم يترجم كتب من مصادر تلك الفترة الى اللغـة العربيـة .

وظهرت فى القرن الثانى عشر الهجرى العديد من المؤلفات التاريخية تناولت نهاية الدولة الصفوية وظهور نادرشاه ، ومن بينها كتاب زبـدة التواريخ الذى ألفه محمد محسن مستوفى الذى عمل مستوفيا (مقـابل وزير المالية حاليا) لنادر شاه ٥٥-١١٥٤هـ / ٢-١٧٤١م) .

وكتاب تذكرة الأحـوال شيخ حزين للشيخ محمـد على حـزين للشيخ محمد على حزين ١١٠٤/١١٨٠هـ = ١٦٩٢/١٧٦٦م)

وألف عن فتوحات نادرشـاه وفترة حكمه أكـثر من عشرين كتابا من أهمها مؤلفات ميرزا محمد مهدى خان ومحمد كاظم .

ألف ميرزا مهدى خان « دره نادرى » ، ثم جهان كشـاى نادرى ويعيب مؤلفاته التعصب والمديح ومع هذا ظلها مصدرا أساسيا يعتمـد عليه فى التاريخ لتلك الفترة الى أن عثر على كتاب محمد كاظم فتفـوق على مؤلفات ميرزا مهدى خان ولم يكن اسم الكتاب معروفا فى بدايـة الأمر الى ان عثر على نسخة منه فى موسكو باسم « عالم آراى نادرى »

يتناول المجلد الأول منه احداث تاريخ ايران حتى جلوس نادر شاه على العرش اما المجلد الثانى فيذكر الأحداث التى وقعـت بـين سـنة ١١٤٩/١١٥٦هـ - ١٧٣٦/١٧٤٣م ويشرح المجلد الثالث فـترة حـكم نادر شاه ١١٥٦/١١٦٠هـ - ١٧٤٣/١٧٤٧م ظهر بعد ذلك كتاب « مجمل تاريخ بعد نادريه » الفه ابو الحسن بن محمد امين كلستانه فى مجلدين : يشرح الأول الأحداث من ١١٦٠ حتى ١١٦ - ١٧٤٧/١٧٥٠ ويتحـدث الناس عن احمد شاه درانى وتأسيس الدولة الافغانية .

ثم ألف ميرزا محمد صادق موسوى كتابا بعنوان « تـاريخ كيتى كشاى » او « تاريخ زندية » وهو تأليف لم يكتمل بفترة كريم خان زند (١١٦٣/١١٩٣ = ١٧٥٠ - ٧٧٩م) ثم أضيفت اليه اضافتان لكل من ميرزا عبد الكريم ومحمد رضا شيرازى لتفصل احداث الكتاب حتى سنة ١٢٠٩هـ - ١٧٩٤م .

وكتب على رضا بن عبد الكريم الشيرازى كتابا باسم (تــاريخ زندية) تناول فيه تاريخ الزنديين منذ مــوت كريم خان زند ١١٩٣هـ ـ ١٧٧٩م حتى وفاة لطفعلى خان (١٢٠٩هـ / ١٧٩٤م) .

وكتب ابو الحسن بن ابراهيم القزوينى كتابا عن تاريخ ايــران فى عصر الصفويين والافشاريين والزندية حتى استتب الامر لآل قاجــار اى ١٢ ـ ١٢١١هـ ـ ٧ ـ ١٧٩٦م) وجعل عنوان الكتــاب « فــوائض صفوية » ثم كتب عبد الرازق بك دنبلى (١١٧٦ ـ ١٢٤٣هـ / ١٧٦٢ ـ ١٨٢٧م كتابا عن تاريخ أول سلطانين لآل قاجار وهما آغا محمد خــان وفتحعلى شاه وأسماه « مآثر سلطانية » أنهاه بالتاريخ حتى عام ٢٩ ـ ١٢٢٨هـ / ١٨١٣ ـ ١٨١٤م ويعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما فى التاريخ السياسى لايران فى نهاية القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ومن العلاقات مع ايران وروسيا وهذا الكتاب وترجمة موضوع رسالة للحصول على الماجستير سجلها معى تلميذ نابه أرجو له التوفيق .

هذه مصادر اساسية تتعلق بتاريخ كل مرحلة من مراحل تاريــخ ايران منذ الفتح الاسلامى بعامة وبــداية التأليف التاريخــى باللغـــة الفارسية بخاصة حاولت قدر المستطاع بيان ما نقل منها الى اللغة العربية او ما الف منها بالعربية اصلا او ما درس فى رسائل للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه .

ثم ظهرت مؤلفات تاريخية باللغة الفارسية تشمل تــاريخ ايــران عبر عصورها المختلفة وظهر علماء على قدر كبير من الموضوعية حــاولوا كتابة تاريخ موسع او مختصر لايران نذكر منهم على سبيل المثال المرحوم حسن بيرنيا الذى اهتم اهتماما كبيرا بتاريخ ايران القديم ، فكتب سفرا ضخما عن تاريخ ايران القديم ، منذ اقدم العصور حتى الفتح العربى الاسلامى لايران ، ثم كتب مختصرا لهذا السفر الضخم آثرت وزميلى الاستاذ الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم نقله الى العربيــة وقــام بمراجعته لنــا استاذنا الاستاذ الدكتور يحى الخشاب .

وصدرت طبعته الاولى بالقاهرة عام ١٩٧٨ .

ومن هؤلاء العلماء ايضا المرحوم عباس اقبال اشتيانى الذى اهتم اهتماما كبيرا بتاريخ المغول فكتب كتابا قيما لاغنى غنه لمن يبحث فى تاريخ المغول من الرجوع اليه والاعتماد عليه ، ثم كتب كتابا شاملا ــ كما يتضح من عنوانه هو تاريخ مفصل ايران » قسمة قسمين : القسم الأول منــذ ظهور الاسلام حتى المغول ويقع فى تسعة فصول • اما القسم الثــانى فيتناول التأريخ للاحداث فى ايران منذ العصر المغولى حتى سقوط الدولة القاجارية ويقع فى تسعة عشر فصــلا ينتهى عند أحداث عــام ١٣٢٧هـ ١٩٦٩ م •

يقع هذا الكتاب فى ثمانمائة واربع وستين صحيفة ، اضافهــا الى المؤلف المختصر الذى ألفه حسن بيرنيا مشــير الدولــة عن تاريخ ايران لينشر كتابا واحدا فى تهران ، وأشرف على نشره واعداده الدكتور محمد ديــير ســياقى بمكتبــة الخيــام •

هذا العمل الضخم هو الذى يسعدنى ان اقدمه اليوم كعمل علمى ممــيز وجهد كبير مشكور واخلاص عميق للتخصص قام به تلميــذى وصديقى وزميلى الدكتور محمد علاء الدين فقد نقله الى العربية نقــلا أمينــا لم اجد مشقة فى مراجعته ، وعلق عليه واضاف اليه من الحواشى ما يزيد العمل قيمة وثراء وهو بهذا قد اكمل ما بدأه صديقى الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم وكاتب هذه السطور من ترجمة لتاريخ ايران القديم الذى يمثل الجزء الاول من هذا الكتاب الضخم حسب طبعة هذا الكتــاب •

ولا شك ان جهد الدكتور محمد علاء الدين منصور جهد مشكور ، وهو بهذا العمل قد قدم للمكتبة العربية مرجعا اساسيا يمــلأ فراغا ظل شاغرا وأمل ان يستمر الدكتور علاء فى السير على هذا الدرب •

ومن الله العون والتأييــد •

انه سميع مجيب •

السباعى محمد الســباعى

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب ترجمة للكتاب الفارسى (تاريخ مفصل ايران از صدر اسلام تا انقراض قاجاريه) أى تاريخ ايران المفصل من صدر الاسلام حتى انقراض الدولة القاجارية ، من تأليفات عباس اقبال الآشتيانى ممن حاول تحرى الاسلوب العلمى فى مؤلفاتهم من بين أصحاب التأليف والبحث الايرانيين • ولد اقبال فى عام (١٣١٤ هـ • ق) فى أسرة فقيرة بآشتيان ، مما حدا به الى اتخاذ طريق التعلم والعلم ، فلحق بكتاب بلده ، ثم بدار الفنون بطهران وأنهى دورتها المتوسطة • وحاز على دبلوم منها ، وعمل بالمكتبة العامة بوزارة المعارف الايرانية ، ثم بتدريس الفارسية فى دار الفنون • وبدأ الاقبال يقبل على اقبال منذ ذاك الحين ، فعمل بالتدريس فى مدارس العاصمة الكبرى ، اذ درس الفارسية فى دار المعلمين العليا ، والتاريخ والجغرافيا فى المدرسة السياسية والمدرسة العسكرية ، وعن طريق المدرسة الأخيرة أرسل ليعمل سكرتيرا للهيئة العسكرية الايرانية بفرنسا عام (١٣٤٦ هـ) ، فانكب على تعلم الفرنسية وتحصيل العلم وحاز درجة الليسانس فى الآداب من جامعة السربون •

وقد ساعد اقبالا عمله بمكتبة المعارف وهو بايران على التعرف الى مشاهير علماء وأدباء زمانه من قبيل ملك الشعراء بهار ورشيد ياسمى وسعيد نفيسى فنشر معهم مجلة (دانشكده) أو الكلية ، وصرف بعضا من وقته مع آخرين مثلهم ، مثل محمد على فروغى وأبى الحسن فروغى وغلام حسين رهنما وعبد العظيم قريب ، فأخرج بمشاركتهم مجلة (فروغ تربيت) أو أنوار التربية • وبدأت شهرة اقبال بهاتين المجلتين فعرف اسمه كل من له صلة بالأدب الفارسى • وقد توثقت علاقته وهو

بباريس بالعلامة المحقق محمـد بن عبد الوهـاب القـزوينى (متـوفى ١٣٧٠ هـ) فزادت معرفته ومصاحبته من مقامه الأدبى والعلمى ، فاختير أستاذا للجامعة ثم عضوا بالمجمع اللغوى الايرانى .

وفى عام (١٣٦٢ هـ) حرك اقبالا شوقه الى رفعة شأن الفارسـية وأدبها الى نشر مجلة فى تاريخ ايران وأدبها هى (يادكار) أو التـذكار استمرت خمس سنوات وكانت من ألمع المجلات الفارسية . ولما امتنعت عن الصدور عام (١٣٧٠ هـ) ركب اقبالا هم عظيم وبرم بأحوال ايران فقبل ليقضى ما بقى من عمره فى هدوء تمثيـل ايران ثقافيـا فى تركيـا وايطاليا ، وظل مستشارا ثقافيا حتى موته بايطاليا فى الحادى والعشرين من شهر بهمن (١٣٣٤ هـ . ش) (١٣٧٦ هـ . ق) .

وقد تعد مؤلفات اقبال فى الأدب والتاريخ والجغرافيا فضـلا عن مقالاته المتنوعة فى المجلات والصحف فبلغت نحو خمسـين كتابا تأليفـا وترجمة وتحقيقا وتصحيحا وبضع مئات من المقالات . فمن مؤلفاته فوق كتابه تاريخ ايران المفصل كتابه (سركذشت امير كبير) أى سيرة الأمير الكبير القاجارى ، و (خاندان نوبختى) أو الاسرة النوبختية وكتاب فى تاريخ المغول وآخر فى تاريخ وزراء السلاجقة ، ثم (قابوس وشـمكير زيارى) و (ابن مقفع) و (بحرين وجزاير خليج فارس) ، وكتـاب فى تاريخ ايران فى ثلاثة مجلدات ، وآخر فى التاريخ العام فى ثلاثة مجلدات وثالث فى جغرافيا العالم فى ثلاثة مجلدات كذلك ، وكتاب فى الجغرافيـا الاقتصادية وكلها للتدريس بالمدارس ، وأخيرا كتاباه (كليـات تاريـخ تمدن) أو كليات تاريخ الحضارة ، و (كليات علم جغرافيا) .

أما ما ترجمه وأكثره عن الفرنسية التى حذقها فمنه (سه سال در دربار ايران) أو ثلاث سنوات ببلاط ايران من تأليف الفرنسى فوريـه الطبيب الخاص لناصر الدين شاه القاجارى ، و (ياد داشتهاى زنرال ترازل) أو ذكريات الجيرال ترازل و (مأموريت زنرال كاردان در ايران) أى مأموريـة الجـنرال جـاردان فى ايـران . (وعـن الانجليزيـة

(طبقات سلاطين اسلام) تأليف لين بول .

وصحح اقبال كثيرا من المؤلفات منها روزنامه ميرزا محمد كلانتر فارسى ، وتاريخ نو (التاريخ الجديد) لجهانكير ميرزا قاجار و (جنكهاى ايران وانكليس) أى حروب ايران وانجلترا ، وحدائق السحر للوطواط وفضايل الأنام (مكاتبات غزالى) وأنيس العشاق لرامى ولغت فرس للأسدى ، وديوان أمير معزى وسياست نامه نظام الملك ، وذيل سير العباد للأوحدى و (بيان الأديان) و (تبصره العوام) و (تجارب السلف) ثم (تتمه اليتيمه) و (معالم العلما) لابن شهر أشوب ، و (طبقات الشعراء) لابن المعتز ، والكتب الثلاثة الأخيرة بالعربية .

وحقق اقبال عدة من المؤلفات وزادها حواشى مفيدة مثل تاريخ طبرستان لابن اسفنديار وسمط العلى فى تاريخ كرمان والمضاف الى بدائع الأزمان فى وقائع كرمان وترجمة محاسن أصفهان الفارسية ، و (عتبة الكتبة) وهو مجموعة من مكاتيب العهد السلجوقى و (مجمع التواريخ) فى تاريخ الصفويين وسلسلة من المقالات التاريخية عن وقائع كبار العهدين الصفوى والقاجارى .

ولاقبال كثرة كثيرة من المقالات الأدبية والتاريخية والاجتماعية نشرت بالصحف والجرائد الايرانية منها مجلات بهار ، دانشكده ، مهر ، ايرانشهر ، يادكار ، ارمغان ، ايران امروز ، يغما ، آموزش ، شرق ، فروغ تربيت ، نشرية وزرات أمور خارجة ، اطلاعات ماهانه ومجلة دانشكده أدبيات . ويمكن الاطلاع على فهرست مقالاته الهامة المتعلقة بايران فى (فهرست مقالات فارسى) تأليف ايرج افشار ، طبعة طهران (١٣٤٠ ه . ش) . وكتاب تاريخ ايران المفصل الذى يؤرخ لايران من صدر الاسلام حتى نهاية القاجاريين (١٩٢٥ م) ألحقه الدكتور محمد دبير سياقى بكتاب حسن بيرينا (مشير الدولة) (تاريخ ايران از آغاز

تا انقراض ساسانيان) أو تاريخ ايــران من البدايــة حتى انقــراض الساسانيين ، المقدم له من الدكتور باستانى باريزى ، فى مجلد واحــد عنوانه (دورة تاريخ ايران از آغاز تا انقراض قاجاريه) أى دورة تاريخ ايران من البداية حتى انقراض القاجاريين ، ونشره عام (١٣٤٦ هـ•ش) ليضع تحت تصرف القارىء تاريخ ايران من البداية حتى نهــاية الربع الأول من القرن العشرين • وقد قام أستاذانا الدكتور الســباعى محمد السباعى والدكتور نور الدين عبد المنعم بترجمة كتاب بيرنيا وتحشيته عام (١٩٧٩) ، فشجعنى هذا على اكمال ترجمة بقية المجلد بترجمة كتاب اقبال واضافة ما يلزم من حواش وتعليقات ، خاصــة وأن الكتب التى تعرضت للتاريخ الايرانى بعد الاسلام بالعربية جد قليلة ، وان وجــدت فليس من بينها كتاب جامع مثل كتاب اقبال الذى ضم بين دفتيه تاريــخ ايران بعد الاسلام حتى قيام الدولة البهلوية مســتغرقا من الزمان أحد عشر قرنا أو يزيد •

ويقع كتاب تاريخ ايران المفصــل فى قســمين كبيرين الأول من صدر الاسلام حتى الغزو المغولى والثانى من الغزو المغولى حتى انتهاء القاجاريين • ويضم القسم الأول بدوره قسمين أولهما يؤرخ أحــوال الجزيرة العربية والعرب قبل الاسلام فى فصل ، وظهور الاسلام والسيرة النبوية فى فصل ثان ، وتاريخ الخلفاء الراشدين مشــيرا الى معــارك المسلمين مع الفرس فى فصل ثالث ، ثم تاريخ الأمويين فى فصل رابع ، وتاريخ الخلفاء العباسيين فى فصل خامس ، تأريخا موجزا • فهذا القسم (مائة صفحة) يمهد به المؤلف لقرائه الايرانيين للدخــول الى تــاريخ ايران الذى يبدأ واقعا ببداية الدولة الطاهرية (٢٠٦ هـ) وهو اذن خارج عن التاريخ الايرانى داخل وحسب فى التاريخ الاسلامى العربى فلا يهم دارس التاريخ الايرانى من العرب فى شىء ، كما أن القارىء العربى فى غنية عنه لأن اقبالا مهما أجاد وفصل فلن يبلغ ما كتب المؤرخون العــرب كالطبرى والمسعودى وابن الأثير ومن اليهم العمدة فى دراسة التــاريخ

الاسلامى عامة والعربى خاصة وكتبهم فى متناول الجميع • لهذا رغبت عن ترجمة هذا التمهيد وبدأت الكتاب بترجمة تاريخ ايــران من بدايــة الدولة الطاهرية أى بترجمة القسم الثانى من القسم الاول ثم القســم الثانى الاكبر • ويشمل هذان القسمان أو الكتاب تــاريخ الطــاهريين وعلويى طبرستان وديالمة آل زيار وآل بويه والصفاريين والســامانيين والغزنويين وسلاطين الغور والسلاجقة وأتابكة آذربيجان والخوارزميين وتاريخ المغول والايلخانات وخلفائهم مــلوك الطــوائف والتيمــوريين والتراكمة القراقوينلو والآق قوينلو والصفويين والأفشاريين والزنديين والقاجاريين • ووقع ما ترجمته فى نحـ (٧٦٠ صفحة) وعنونت له بتاريخ ايران من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية القاجارية •

ويتميز اقبال فى كتابه هذا بايراد تفاصيل هامة عن تاريخ ايران عن دراسات متعمقة ومراجع أصلية غير عربية ، كما يتميز بحسن تبويبــه وتنظيمه وبسهولة أسلوبه ووضــوح مقصــده اللهــم الا اذا تحــرى التفصيلات فقد يفضى الى شىء من الملل وهذا لحسن الحظ فى قليل جدا من الأحايين • ولم يكن اقبال محللا أو مفلسفا فى تأريخه بقدر ما كان قاصــا مثبتــا للوقــائع كمــا هــى ، كمــا لــم يســتطع التخــلص تماما من التعصب الذى يتمتع بــه الفــرس قديمــا وحديثــا وان كان أقل حظا من غيره فى هذه النقيصة بحمد الله ، مما فرض علينا رده خاصة فى ظلمه لمحمود الغزنوى وللسامانيين أو تغافله عما بعثه التيموريين فى ايران من نهضة بسبب أن ذنبهم أنهم لم يكونوا فرسا ، أو انحيازه الى يعقوب الصفار والصفويين وغير ذلك • وقد أكثرت من الحواشى حــين يحتاج المقام وأقللت منهاجين يفصل اقبال خاصة فى الفصول الأخيرة من الكتاب حتى لا يزيد ضخامة فوق ضخامته ، وفصلت حواشى الدكتور دبير سياقى — وهى قليلة — عن حواشى بالاشارة الى حواشــيه باســمه (ســياقى) •

والترجمة بلا شك فن ، لكنه فن لابد أن يتصف فى رأيى بالدقــة ،



بمعنى أن المترجم عليه الابقاء على سمات المؤلــف الذى يترجــم لــه التعبيرية وأسلوبه فى التأليف ، لأن لكل كاتب شخصية فى التعبير تميزه عن غيره ، فمن الظلم اذن المحافظة على روح المعنى فى الترجمة دون روح التعبير و اللفظ كذلك .

والله أسأل ، أخيرا ، أن يكون الكتاب ذا فائدة واقعــة للمهتمسين بالتاريخ الاسلامى فى ايران وأن تعم فائدته الجميع وهو الهــادى الى الصــواب .

(المترجــم)

القسم الأول

ايران من بداية الدولة الطاهرية حتى الغزو المغولى

(مقدمة)

بعد أن أتم جند الاسلام فتح الجزء الاعظم من ايران درجت العادة فى خلافة الخلفاء الراشدين والأمويين أن يرد ايران وما وراء النهر حكام من طرف ولاة البصرة والكوفة ويعهد اليهم أيضا بقيادة الجيش ويتعدى عملهم كذلك ادارة أمور ولاياتهم الى تأديب الثوار وجهاد الكفار المجاورين وقل أن أنيب هذا العمل الهام الى غير المسلمين العرب ولهذا فان قادة الخلفاء الراشدين والأمويين وولاتهم — الذين كانوا عربا ويعتمدون على قومهم أساسا — كانوا غالبا يرحلون جمعا كبيرا من قبائل الجزيرة العربية معهم ويسكنونهم ايران حتى يستمدوهم حين يلزم الأمر ، وقد نشر هؤلاء الاسلام والتقاليد العربية فى الشرق ٠

لكن فى عهد بنى العباس اختلف الأمر فقد كان يؤمر الحكام من دار خلافتهم مباشرة ، وكان العنصر الايرانى غالبا فيهم كما ظهر حينما ولى أبو مسلم الخرسانى وقتا فى عهد السفاح والمنصور والفضل البرمكى فى عهد هارون الرشيد وطاهر ذو اليمينين والحسن بن سهل السرخسى فى عهد المأمون وقد حكم بعضهم جميع ايران والبعض الآخر أجزاء هامة منها ٠ ولما كان هؤلاء — خلافا لحكام ايران قبل بنى العباس — جميعا ايرانيين فقد كانوا يجمعون الايرانيين حولهم وينيبون اليهم الاعمال

الادارية ومصالح البلاد والحكم ويحيا كل منهم فى بلاط يقام فيه كثير من الآداب الايرانية القديمة مقلدين بذلك المرازبة وقـادة الجيوش فى العصر الساسانى • وقد ظهرت عندهم أيضا طبقة الكتاب الذين يمسكون بأزمة الأمور الهامة الحكومية فى العـصر الساسـانى ، وكان الخليفـة العباسى يسير فى بغداد هذه السيرة ، والحـق انـه باسـتثناء الدين الاسلامى واللغة العربية فى بلاط العباسيين وحكامهم فان كل شىء بعد ذلك كان تقاليد الايرانيين قبل الاسلام ومراسمهم وتشكلاتهم الحربية والحكومية والحضارية •

ومع أن اللغة العربية كانت عند الحكام والولاة لغة الكتابة واللغـة الرسمية وكان الكتاب يجبرون على تعلمها والتمرس بهـا للمكاتبـة مع دار الخلافة والأمراء المختلفين الا أن السكان الايرانيين الوطنيين لـم يكفوا قط برغم اعتناقهم الدين الاسلامى عن التحدث باللغة الفارسـية وكانوا فى سعى دائم للحفاظ عليها والعمل بالتقاليد الايرانية وتكرار ذكر سير سلاطين العجم خاصة أولئك الذين كانوا يحيون فيما وراء جبـال الألبرز والاماكن النائية فى سيتان وخراسان وما وراء النهر التى ظلت بمنجى من السيادة العربية أو بمنـأى من دار الخلافـة • فبقيت روح القومية الايرانية فيهم أكثر حياة وأعظم قوة وكان كلما سنحت فرصة لهؤلاء السكان الغيورين الذين لم يفرحوا بسيطرة العرب ولا بحكامهم الجائرين كانوا يثورون عليهم ويجلون بقاء الوجود والقومية الايرانيين ، وظل هذا حالهم حتى وفقوا فى عهـد المأمون فى تأسـيس أسرة لهـم والحصول على استقلالهم فتأسيس الاسرة الطاهرية سنة مائتين وست كان مقدمة لتأسيس أسرات أخرى ايرانية وزوال السيادة والسـلطة العباسية فى بغداد تدريجا • وهذه الاسرات خلاف الاسرات الايرانية فى طبرستان التى كانت تحكم باسم الاسبهبدات أو بأسماء أخـرى من وقت انقراض الساسانيين ، وذلك خلف الألبرز حكماً بلا انقطاع ولـم ينصاعوا لأوامر الخلفاء كما كان يقتضى الأمر •

والاسر التى أسست فى ايران من عهد المأمون فصاعدا طبقتان ، الاولى كالعلويين فى طبرستان والصفاريين وديالمة آل بويه والزياريين خاصمت خلافة بغداد بسبب اعتناقها مذهبا غير المذهب الرسمى للخلفاء أى مذهب السنة ، فلم يقبلوا سيادتهم الروحية ٠ والثانية كالسامانيين والغزنويين والسلاجقة فقد كانوا يعترفون بالخلافة لأنهم كانــوا على مذهبهم وكانوا يخطبون باسمه وكانوا يعتبرون أنفسهم أمراء منصبين من قبــله ٠

الفصل الأول

الطاهريون وعلويو طبرستان

أ ـ الطاهريون (١)
(٢٠٦ ـ ٢٥٩ هـ)

بعد أن استقر المأمون على كرسي الخلافة بيد طاهر (٢) وأتباعه ،

(١) يعد بعض الدارسين سنة (٢٠٥هـ / ٨٢٠م) التي ارسل المأمون فيها طاهرا واليا من لدنه على خراسان هي السنة الاولى لقيام الدولة الطاهرية ، وقد أخذنا برأيهم ،(ومنهم ريبكا في كتابه تاريخ الادب الايراني) ، أما اقبال فقد كان غير دقيق في تحديده اذ انه ذكر اولا أن المأمون ارسل طاهرا واليا لخراسان في شوال (٢٠٥هـ) ، ثم ذكر بعدها بقليل أن طاهرا قدم خراسان في ربيع الآخر (٢٠٦هـ) ـ كما سيلي ـ وليس من المعقول أن ينطلق طاهر من بغداد في التاريخ الاول ثم يقطع الرحلة الى خراسان فيصلها في التاريخ الثاني مستغرقا نحو خمسة أشهر وهو الحريص على الابتعاد عن المأمون ونقمته لقتله أخاه الامين . انظر :
Jan Rypka, History Of Iranian Literature. P. 135 (Holland, 1968) .

(٢) كان طاهر قبل ولايته خراسان من قبل المأمون رئيس شرطته ببغداد وجنده وله باع طويل في قتال الامين وحصاره بغداد بعد أن تفرق عن الاخير جنده وناصره العيارون والاوباش والسوقة وكان لهؤلاء صراع طويل مع طاهر والجنود الخراسانيين اذ اذاقوا طاهرا والايرانيين وبالا وخسرا . قال يصف بعض هذه الوقائع أحد العيارين :

لنا من طاهر يوم عظيم الشأن والخطب
أتاه كل طرار ولص كان ذا نقب

(للتفصيل رسالة المترجم للدكتوراه (جماعات الفتوة في الاناضول في العصرين السلجوقي والعثماني في مصادرها الفارسية) مكتبة جامعة القاهرة (لم تنشر) (ص ٢٢ حتى ص ٢٥) .

أرسل طاهرا فى شوال عام (٢٠٥ هـ) لامارة خراسان مكافأة له على خدماته ظاهرا وابعادا له عن بغداد وقصرا ليد سيطرته عن أمور الخلافة باطنا لا سيما وأن طاهر قتل الامين أخاه فأبعده المأمون عن ناظره بهذه الامارة ، وقبل طاهر هذه المهمة لأنه كان يخشى الخليفة على نفسه .

١ ــ طاهر الحسين

قدم طاهر خراسان فى ربيع الآخر من عام ٢٠٦ واليا للمأمون وأقام فى مرور عاصمة خراسان ولكنه لم يدع للمأمون فى خطبة العام التالى ودعا لأحد أبناء الامام موسى الكاظم وأعلن بذلك استقلاله ، وبهذا ظهرت الاسرة الطاهرية أول أسرة ايرانية بعد الاسلام .

والطاهريون أبناء رجل اسمه مصعب بن رزيق من سكان فوشنج بهراة وان ادعوا أنهم من نسل رستم بطل الشاهنامة المعروف . وكان جدهم هذا قد قدم فى ولاية أحد أشراف العرب من قبيلة خزاعة ولذا فقد سمى الطاهريون بالخزاعيين . وكان مصعب يحكم فوشنج حينما كان دعاة بنى عباس يبثون دعوتهم ، ثم دخل فى خدمة أحد مساعدى أبى مسلم وقت ثورته كأحد الكتاب ويشتهر طاهر بن الحسين مؤسس الاسرة الطاهرية بلقب (ذو اليمينين) وتختلف الاقوال فى سبب هذه النسبة من بينها ما يقال انه لما استقدم طاهر بعد فتح بغداد (وقتل الأمين) الامام الرضا بأمر من المأمون الى هذه المدينة وبايعه بولاية عهده ، بايع طاهر الرضا بيده اليسرى قائلا ان يده اليمنى مشغولة ببيعة المأمون فى خراسان فقد كان عادة بنى عباس أن يحضر الخليفة ومعه ولى عهده الى المسجد فى وقت أخذ البيعة ويبايعهما الناس فيبايع الرجل الخليفة بيده اليمنى وولى عهده بيسراه . ولما نقل الرضا هذه الواقعة للمأمون قال المأمون : أسمى يسرى طاهر اليمنى أيضا حتى لا تنقص بيعته للامام ومن ثم اشتهر طاهر بلقب ذى اليمينين كما اشتهر وزير المأمون الفضل بن سهل السرخسى بلقب ذى الرياستين لأنه جمع رئاسة

الجيش والديوان (١) • مات طاهر ذو اليمينين فى جمادى الآخرة من عام ٢٠٧ هـ فى مرو ومشهور أنه توفى فى ليلة نفس اليوم الذى أسقط فيه المأمون من الخطبة ، وذكر البعض أنه مات مسموما بأمر من المأمون ، وكانت مدة امارته عاما ونصف عام •

الخوارج :

فى زمان خلافة المهدى فى سنة ١٦٠ هـ ثار انسان مدعيا الامامة من فرق الخوارج التى كانت تكثر فى كرمان وسيستان وخراسان وشاطىء بحر عمان وكان من عرب قبيلة بنى ثقيف المهاجرين واسمه يوسف البرم وشملت دعوته القسم الشرقى لخراسان أى فى حدود مرو رود والطالقان والجوزجانان واستولى على حكم مدينة فوشبخ التى كانت لمصعب جد طاهر ذى اليمينين ثم سيطر على سائر شرق خراسان • وقد ألفت جماعة أخرى من الخوارج فى عهد هارون يترأسها حمزة الخارجى فى سيستان وخراسان وقهستان ومكران دولة قوية ولقب حمزة نفسه بلقب أمير المؤمنين ، فقصد هارون خراسان لصده ولكن حمزة بقى على قوته اذ وافت هارون منيته فى هذا السفر • وقد دخل حمزة مع الطاهريين الذين كانوا قد استدلوا على مقاليد الأمور فى بلادهم وضبطوا تحت حكمهم خراسان وسيستان فى صراع وكان حينا يغلب وحينا يغلب حتى انتهى الامر الى غلبه طلحة ابن وخليفة طاهر ذى اليمينين على أمره ومات فى ١٢ جمادى الاخرى سنة (٢١٣ هـ) • ولكن الخوارج لم ينتهوا بموته واستمروا فى نزاعهم مع آل طاهر حتى انتهت امامتهم الى عمار الخارجى سنة ٢٣٣ والذى قتله يعقوب بن الليث الصفار •

---

(١) وردت واقعة تسميته طاهر بذى اليمينين كما ذكر المؤلف فى كتاب (تاريخ بيهقى) لأبى الفضل البيهقى (٣٨٥ — ٤٧٠ هـ) من كبار كتاب العصر الغزنوى وكتاب رسائل السلاطين الغزنويين ، راجع تفاصيل هذه الواقعة فى كتاب تاريخ البيهقى الفارسى تعليق دكتور غياض طبعة عام (١٣٢٤ هـ . ش) (ص ١٤١ — ١٤٢) .

٢ ــ طلحة بن طاهر

(٢٠٧ ــ ٢١٣ هـ)

تولى طلحة بن طاهر ذى اليمينين حكم سيستان فى أيام أبيه وكان يعيش فيها حتى موت أبيه فلما وصله خبر وفاة أبيه قدم خراسان ثم أرسل من قبله الى سيستان « الياس بن أسد السامانى » والواقعة الهامة لحكم طلحة حربه مع خوارج سيستان وتغلبه التام على حمزة الخارجى • ومات طلحة بعد هذا الانتصار بقليل وأناب المأمون خلافته الى أخيه عبد الله الذى كان فى كرمانشاه يتهيأ لحرب بابك الخرمى ، فأنفذ عبد الله أخا له آخر هو على من جانبه الى خراسان •

٣ ــ عبد الله بن طاهر

(٢١٣ ــ ٢٣٠ هـ)

أسنح موت طلحة وغياب عبد الله عن خراسان فرصة طيبة للخوارج فكانوا قد استولوا على جميع خراسان وعبد الله لم يغادر نيشابور بعد اليهم سنة (٢١٥ هـ) • فبدأ عبد الله فى دفع فتنة الخوارج ثم جرد جيشه لصد المازيار بطبرستان مكلفا من قبل المعتصم خليفة المأمون وفى عام (٢٢٧ هـ) قبض على المازيار وأرسله الى بغداد •

كان عبد الله شاعرا وأديبا وفاضلا وعادلا ، آثر نيشابور عاصمة له وقام فيها بتعمير كبير فقد اهتم خاصة بالزراعة وحفر القنوات واصلاح الرى وتقسيم المياه وكان عبد الله قبل بلوغه ولاية خراسان واليا للشام من طرف الخليفة لفترة ثم تولى حكم مصر أيضا لفترة أخرى

٤ ـــ طاهر بن عبد الله

(٢٣٠ ـــ ٢٤٨ هـ)

بعد موت عبد الله أناب الخليفة الواثق ابنه طاهرا الثانى فى ولايته وكان فى هذا الوقت موجودا فى طبرستان وحكم طاهر ثمانية عشر عاما على خراسان وسيستان بعدالة وتقوى ، وليس فى فترة امارته من واقعة هامة سوى بعض حروبه الداخلية .

٥ ـــ محمد بن طاهر

(٢٤٨ ـــ ٢٥٩ هـ)

محمد بن طاهر الثانى هو آخر الامراء الطاهريين وكان رجلا غافلا ضعيف النفس ماجنا ، ولهذا فقد كان عماله يعاملون الناس فى ولايتهم باستبداد وظلم حتى أن عمه سليمان والى جزء من طبرستان اصطدم مع الاهالى صداما كثيرا وبسبب هذه الاعمال السيئة من سليمان وسائر عماله الآخرين ثار الشعب على الطاهريين واستقدموا العلويين وتخلصوا من حكم آل طاهر .

كان محمد بن طاهرا معاصرا لندين قويى الشكيمة هما الداعى الكبير حسن بن زيد العلوى ويعقوب ابن الليث الصفارى وكان ان صار نهبا لثورتيهما . فقد تمكن الداعى من طرد سليمان ابن عبد الله من طبرستان (٢٥٠ هـ) واستولى عليها ، وسيطر يعقوب على هراة وهاجم خراسان وفى (٢٥٩) سخر نيسابور وأدال بحبس محمد الاسرة الطاهرية بعد ثلاث وخمسين سنة من الحكم .

كان الطاهريون يتولون من عهد أبيهم ادارة شرطة بغداد أيضا وكان أحدهم اذا سيره الخليفة لامارة خراسان ينيب أخاه أو ابنه أو أحدا من بنى عمومته فى هذا المنصب . وقد كان من بين الطاهريين جملة

من أهل الفضل والأدب والشعر والحكمة وأشهرهم الامير أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (٢٢٣ — ٣٠٠ هـ) الذى كان يسمى بسبب أدبه وفضله حكيم آل طاهر ، وقد ترك عمرو بن الليث الصفارى منصب شرطة بغداد اليه (٢٦٦ هـ) فهو بهذا آخر رجل من الطاهريين كان بمنصب ورئاسة .

أسماء الأمراء الطاهريين وزمن امارة كل منهم (١)

١ — طاهر بن الحسين بن مصعب	(٢٠٦ — ٢٠٧ هـ)
٢ — طلحة بن طاهر	(٢٠٧ — ٢١٣ هـ)
٣ — عبد الله بن طاهر	(٢١٣ — ٢٣٠ هـ)
٤ — طاهر بن عبد الله	(٢٣٠ — ٢٤٨ هـ)
٥ — محمد بن طاهر	(٢٤٨ — ٢٥٩ هـ)

ب — علويو طبرستان
(٢٥٠ — ٣١٦ هـ)

بعد أن هزم عبد الله بن طاهر واستأسره أناب عمه الحسن بن الحسين من طرف المعتصم فى حكومة طبرستان وظل الحسن يحكم على هذا القسم بعدالة وحسين سيره حتى ذى الحجة من عام (٢٢٨ هـ) عام وفاته ولم يتظلم منه الشعب . ثم أنيب حكم طبرستان بعد الحسن الى طاهر ابن عبد الله بن طاهر (مدة حكمه سنة وثلاثة شهور) ثم الى

---

(١) انشد ابو نصر الفراهى مؤلف كتاب نصاب الصبيان فى هذا شعرا فارسيا هو :

در خراسان زآل مصعب شاه   طاهر وطلحة بود وعبد الله
باز طاهر دكر محمد دان   كو بيعقوب داد تخت وكلاه (سياقى)

ومعناه : كان طاهر فى خراسان من آل مصعب   طاهر وطلحة وعبد الله ملوكا
ثم طاهر الثانى ثم محمد   الذى أعطى التاج والعرش ليعقوب

أخيه محمد بن عبد الله (حكمه قارب سبعة أعوام) • ولما قدم محمد الى بغداد فى صفر (عام ٢٣٧ هـ) ترك من جانبه قسما من طبرستان الى أخيه سليمان وقسما آخر لأحد المسيحيين كان اسمه (جابر بن هارون) فاستولى جابر هذا على قدر من أراضى الرعية ظلما وزادها على أراضى مخدومه • وعامل (محمد بن أوس البلخى) مساعد سليمان الرعية بنفس هذه المعاملة الجائرة وكان يحصل من أهالى (رويان) (١) و (جالوس) اللتين كان يحكمهما الخراج ثلاث مرات كل سنة ، مرة له وثانية لأحمد ابنه وثالثة لمساعديه المجوس • فلم يجد أهالى طبرستان الذين ضجوا من مظالم هؤلاء العمال خاصة (محمد بن أوس) بدا من أن يمدوا يد التوسل الى الدعاة العلويين ويستمدوا منهم وهم الذين ثاروا قبل على بنى العباس وعمالهم ثورة العداء والخلاف • ولهذا المقصود طلبوا مبايعة أحد السادات المقيمين برويان وكان من ولد زيد بن الحسن واسمه محمد بن ابراهيم بن على بن عبد الرحمن بن قاسم بن الحسين بن زيد ابن الحسن بن على بن أبى طالب • ولكنه رفض طلبهم لأنه لم يأنس فى نفسه الكفاءة لهذا الامر الخطير ودلهم على زوج أخته وهو الحسن ابن زيد وكان يقيم فى الرى ويليق لهذا الامر وأرشدهم الى دعوته •

١ ــ الحسن بن زيد الداعى الكبير

(٢٥٠ ــ ٢٧٠ هـ)

أنفذ الثوار برئاسة (عبد الله بن وندا أميد) رسالة الى الحسن ابن زيد العلوى الذى كان يعرف (بحالب الحجارة) وكان من ولد الحسن بن على بن أبى طالب أيضا ويقيم بالرى ودعوة الى رويان • فأتى الحسن بن زيد فى ٢٥ رمضان من عام (٢٥٠هـ) الى قصبته (كلار) من البلاد التى تقع على الحدود بين جيلان وطبرستان وبايعه

---

(١) هى كلارستاق ونور وكجور الحالية (سياق)

الناس ولقب نفسه (داعى الخلق الى الحق) أو (الداعى الكبير) وصار بذا مؤسس أسرة العلويين بطبرستان .

وبعد أن سيطر الحسن بن زيد على رويان وجالوس والرى أرسل فى طلب جماعة من الدعاة العلويين يدعوهم للاقامة فى أطراف طبرستان والديلم وانضم اليه الناس زرافات ووحدانا ومن بينهم عدد من كبار الديلم التحقوا بخدمته وارتفع أمر الحسن وأرسل محمد بن أوس أحد قواد جيشه لدفع الحسن ، لكن الداعى هزمه بسهولة ودخل (آمل) فى ٢٣ شوال من عام (٢٥٠هـ) ثم أرسل من هناك حكاما من لدنه لـ(كلار) و (رويان) و (جالوس) .

وكان الغريم الكبير لحكن الحسن بن زيد أميرا فى مازندران من (آل قارن) من أسرة (السبهبدات) وكان اسمه (قارن بن شهريار) وقد اعتنق الاسلام حوالى عام (٢٤٠هـ) وكان يحكم فى الجزء الشرقى لمازندران الحالية من طرف الطاهريين ويؤدى لهم الخراج . أراد قارن فى البداية أن يقبض على الحسن بالحيلة ودعاه لمقابلته لكى يبايعه لكن الحسن وقف على خطته فلم يهتم بدعوته . فاجتمع قارن على سليمان ابن عبد الله الطاهرى وجمع من كبار خراسان وقدموا جميعا لحرب الداعى فى آمل . وكان النصر هذه المرة أيضا من نصيب الداعى خاصة وأن رجلا من أسرة السبهبدات اسمه (فادوسبان) انحاز الى الداعى فقتلا كثيرا من جند سليمان وقارن . وهرب قارن الى رويان وسليمان الى جرجان وأجبر أمير خراسان محمد بن طاهر أن يمد عمه بجيش آخر ، وكانت الغلبة أيضا للداعى فتقهقر الطاهريون الى خراسان منهزمين وأتى قارن الى الداعى ملتجئا .

والخلاصة أن الحسن بن زيد استخلص فى مدة ثلاثة أعوام (من رمضان ٢٥٠ حتى ذى الحجة ٢٥٣هـ) جميع طبرستان وقسما هاما

من الديلم والرى وطرد عمال بنى العباس وأتباعهم ، وأخذ العلويــون يتقاطرون عليه من الحجاز والشام والعراق بعد أن علا صيت شوكته وقدرته ، وأقاموا فى ولاياته .

وأظهر قارن العصيان مرة أخرى وقام الحسن ليدفعه وأصر فى (٢٥٤هـ) أن يستولى على جرجان وخراسان أيضا ، لكن المعتز الخليفة العباسى أرســل (موسى بن بغا الكبير) و(مفلح) بين كبار قــواده الاتراك بجيش الى طبرستان . فاستوليا على الرى وقزوين وســارى وآمل وانهزم الداعى الى جالوس لقلة عدد جيشه . ولما عاد جنــد الخليفة ، عاد الحسن فى ٢٣ رمضان من عام (٢٥٥هـ) أى بعــد ثــورته الاولى بخمسة أعوام الى آمل وجمع أتباعه مرة أخرى بعد أن انفــرط عقدهم ثم ســار بهم الى جرجان واستولى عليها وضمهــا الى ولاياته الأخــرى .

وفى عام (٢٥٩هـ) بعــد أن أزال يعقوب الصفارى الطــاهريين واستولى على خراسان تجــاورت ممتلكاته وولايات الحســن بن زيد العلوى . وكان معلوما أن هذين الرجلين القويين ، وكلاهما قام بثورته فى تاريخ واحــد تقريبا ومؤسس لأسرة على رغم الخلفاء العباســيين وولاتهم أو آل طاهر ، سوف يصطدمان ان عاجلا أو آجلا خاصــة وأن كلا منهما كان يرنو ببصره الى بلاد الآخر ، فكان يعقوب يدعى خــلافة الطاهريين ويريد جرجان وطبرستان ، وكان الداعى هو أيضــا يتوق الى السيطــرة على خراســان .

واتفق أن هرب فى نفس عام (٢٥٩هـ) أحد معارضى يعقوب الى جرجان طالبا حماية الحسن بن زيد فأمنه الحسن . فقدم يعقوب الى جرجــان فى ربيع (٢٦٠هـ) وفر أمامه الداعى اذ لم يستطع مقاومته وســار الى بلاد الديلم . أما يعقوب فقد يمم شطر خراسان بعد أن أناب عنه عمالا فى طبرستان ، لكن قبل عودته اليها ثار أهل جالوس على عامله ، فاضطر

يعقوب الى أن يتحول لتأديبهم • ولكن هذه المرة بفعل رطوبة الجو وأوحال الطرق وهجمات أشداء طبرستان أصيبت جيشه باصابات بالغة ، فلم يجدا بدا من العودة من (سارى) الى (الدامغان) وأمر بأن يطلق سراح جميع العلويين الذين اقتادهم معه أسرى • وتمكن الداعى بعون الديالمة أن يعود الى طبرستان ، ثم أخضع فى (٢٦٣هـ) جرجان مرة ثانية • واشتدت هيبته هذه المرة فى القلوب عن ذى قبل وازدت دولته استحكاما وقوة •

وفى عام (٢٦٦هـ) اجتمع ابن وخليفة الاسبهبد قارن ، وكان اسمه (رستم) وحاكم نيسابور (أحمد بن عبد الله الخجستانى) الذى استولى علهيا بعد موت يعقوب بن الليث على أن يطردا الداعى من جرجان وطبرستان • وتمكن الداعى بعون من أخيه الارشد (محمد بن زيد) من أن يهزم (رستم) ، ومنحه أمانه بعد أن فرض عليه الخراج • أما الخجستانى فقد انتهى الامر به بعد اغارته على بعض بلاد جرجان الى العودة الى نيسابور •

٢ ــ محمد بن زيد الداعى
(٢٧٠ ــ ٢٨٧هـ)

مرض الحسن بن زيد فى عام (٢٦٩ هـ) ومكث مريضا عاما بعده حتى وافته منيته فى الثالث من رجب عام (٢٧٠هـ) بعد أن حكم تسعة عشر عاما وثمانية شهور ، وخلفه أخوه محمد بن زيد •

كان أحمد بن عبد الله الخجستانى الذى سبق ذكره فى بداية أمره من قواد جيش على أخى يعقوب وعمر الصفاريين ــ كما سيأتى فى تاريخ الصفاريين ــ لكنه ، بعد موت يعقوب عام (٢٦٥هـ) ، تمرد على أخيه عمرو وسيطر على نيشابور وأخذ يدعى ملكيتها حتى ارتفع أمره بها وضرب عملتها باسمه • وفى السنة التالية تمكن من جرجان وتغلب على

عمرو فى نفس السنة وأخذ يستعد لضم هراة وسيستان لكن غلامين من غلمانه أقدما فى عام (٢٦٨هـ) على قتله لسوء سيرته وطمعه فى نيسابور • والتف أتباع الخجستانى بعد قتله حول (رافع ابن هرثمة) ، وكان رافع هذا يعيش فى خدمة محمد الطاهرى ، ثم اتجه الى يعقوب • لكن يعقوب طرده عنه لقبح هيئته وشكله ، فالتحق بالخجستانى وظل فى خدمته حتى مقتله • ادعى رافع حكم عمرو بن الليث فى خراسان عام (٢٧١هـ) ، لكنه هزم أمام عمرو فى نفس العام وظل يعيش متواريا حتى سمع فى العام التالى أن محمدا بن زيد لحقته هزيمة من حاكم (الرى) وكان تركيا من أتباع بنى العباس ، فانتهز هذه الفرصة وهاجم جرجان بتحريض من الاسبهبد رستم بن قارن الذى كان هاربا من الداعى • ولم يثبت الداعى طويلا فركن الى الفرار أمامهم بعد فترة من المقاومة (٢٧٤هـ) والتجأ الى الديالمة وظل فى بلادهم حتى (٢٧٧هـ) اذ استمد الديالمة وطرد بمددهم رافعا من طبرستان • لكنه لم يستطع أيضا مجابهته بسبب كثرة أعدائه الذين انضموا الى رافع •

واستمر حاله على هذا النحو الى أن أصابت رافعا هزائم متكررة من جند الخليفة المعتضد فى الرى وجيش عمرو بن الليث ، فلم يجد مندوحة من أن يلتجىء — على رغم الخليفة — بمحمد بن زيد ويخطب له • وقبل الداعى بيعته فى الظاهر ولكنه لم يكن سعيدا بقدرته فى الباطن ، وظل يحاذره حتى ألحق عمرو بن الليث به هزيمة فادحة (٢٨٣هـ) ، وهرب رافع الى خوارزم حيث قتله عامل عمرو • وهكذا تخلص الداعى من هذا الخصم القوى المثير للفتنة ، ومن ثم خضعت له ثانية ما بين جيلان وجرجان •

و فى عام (٢٨٧هـ) حينما هزم الأمير اسماعيل السامانى عمرو بن الليث واستأسره اسماعيل ، بدت المتاعب للداعى مرة أخرى • فقد استخلص السامانيون خراسان كلها ، وكان الداعى يعلم أن السامانيين ولاة مخلصون للخلفاء العباسيين ، ولابد أن يفكروا ان عاجلا أو آجلا

فى السيطرة — بأمر الخليفة — على جرجان وطبرستان فسبق الداعى وبادر بجمع جيشه فى جرجان للحيلولة دون مقاصد الامـير اسماعيل • فجرد اسماعيل جيشه بدوره بقيادة (محمـد بن هـارون السرخسى) وأرسلها لمواجهة الداعى • وأصيب الداعى من أول القتال بسهم فخـر صريعا • وأرسل هارون فى شوال (٢٨٧هـ) رأسـه وابنه الى بخـارا • ودخلت جرجان وطبرستان فى طاعة اسماعيل السامانى • ولكن محمدا ابن هارون بعد فترة سلك سبيل العصيان فقدم اسـماعيل بنفسـه فى (٢٨٨هـ) الى طبرستان وطرده منها •

٣ — الحسن بن على الناصر الكبير

(٣٠١ — ٣٠٤هـ)

بعد قتل محمد بن زيد واستيلاء الامير اسماعيل السامانى عـلى طبرستان ، ظلت هذه الولاية تحت الادارة المباشرة للعمال السامانيين ، ولجأ السادات العلويون الى الديالمة والى جيلان ومكثت طبرستان من عام (٢٨٧هـ) الى (٣٠١هـ) — ثلاثة عشر عاما تقريبا — تحت طاعـة السامانيين اذ كانوا يرسلون لادارتها من بخارا حاكما خاصا •

وفى رحيل الامير اسماعيل عن طبرستان أناب عمه (أبا العبـاس عبد الله بن محمد بن نوح) وقصد الرى ليجلى محمدا بن هارون عنها — وكان قد استولى عليها — بدعوة من الخليفة • وهرب محمد بن هارون أمام اسماعيل والتجأ الى الديالمة (٢٨٨هـ) ، لكنه بعد فترة قصد الرى باستدعاء أهلها هذه المرة ثم استخلصها من أيدى عمال الخليفة العباسى بعد أن قتل واليها التركى • فأرسل الخليفة الى اسماعيل أن الرى أيضا جزء من حوزة حكمه فعليه أن يستصفيها من ابن هارون • فعجل اليهـا اسماعيل ، ولكن قبل وصوله اليها تركها محمد بن هارون الى قزويـن ومنها الى زنجان وجيلان فاستولى اسماعيل عليها بلا منازع وترك عمـا

آخر له هو (أبو صالح منصور بن اسحاق) • وابن منصور هذا ، الذى حكم الرى من (٢٩٠هـ) حتى (٢٩٦هـ) هو من ألف باسمه الحكيم والطبيب المعروف (أبو بكر محمد بن زكريا الرازى) كتابه المعروف (المنصورى) •

توجه محمد بن هارون — بعد لجوئه الى جيلان — الى الدعاة العلويين فيها للانتقام من الامير السامانى • وكان كبير علويى جيلان فى هذه الآونة رجلا فصيحا دينا من أبناء الامام زين العابدين اسمه الحسن بن على ولقبه الناصر الكبير ، ولقب أيضا بالاطروش لثقل سمعه ، وقد مكث سنين يدعو الناس فى جيلان وبلاد الديلم للاسلام فاعتنقه أكثر أهلها • وكان يفكر فى الانتقام لدم محمد بن زيد بل أقدم مهاجمة (آمل) عام (٢٨٩هـ) لكنه لقى هزيمة من الجيش السامانى فالتجأ الى الديالمة • فلما قدم اليه محمد بن هارون بسط له يد المبايعة وحثه على استرداد طبرستان وطرد العمال السامانيين من هذه النواحى •

وهاجم الناصر الكبير ومحمد بن هارون وبضعة رجال من كبار جيلان — بايعوا الناصر — طبرستان • وفى شتاء (٢٩٠هـ) على كثب من (آمل) وبعد قتال ضروس دام أربعين ليلة أنزل جندهم بأبى العباس السامانى حاكم طبرستان وخلفائه وهم (اسبهبد شهريار) ابن (فادوسبان) و (اسبهبد شروين) ابن رستم بن قارن هزيمة قتل فيها ما يقرب من سبعة آلاف جندى سامانى ، ونجا أبو العباس بهروبه الى الرى • والسبب الاساسى لهزيمة أبى العباس هو أنه لما طلب المدد من الامير اسماعيل أرسل اسماعيل اليه ابنه أحمد ، لكن أحمد هذا بسبب خصومته لأبى العباس عطل نفسه فى الطريق ولم يصل الا بعد أن انهزم أبو العباس • وأرسل أبو العباس أحد قواده الى الرى فاحتال هذا حتى قبض على محمد بن هارون وأرسله الى بخارا وزالت فتنته ، وعاد الناصر الكبير الى الديالمة ودخلت طبرستان مرة أخرى تحت حكم أبى العباس السامانى •

ولما مات الامير اسماعيل وخلفه ابنه أحمد أخذ حكم طبرستان من أبى العباس بسبب الخصومة التى كانت بينهما وأناب فيه أحد غلمانه الاتراك ، لكن هذا الغلام سلك مسلك الظلم وسوء السيرة فلم يدم حكمه لثورة الناس عليه . وأجبر أحمد على أن يسير أبا العباس الى طبرستان عام (٢٩٧هـ) وظل أبو العباس يحكمها حتى يوم موته (فى صفر ٢٩٨هـ)

وبعد موت أبى العباس أناب الامير أحمد والى الرى (محمد ابن صعلوك) فى حكم طبرستان وأرسل وزيره المشهور (أبا الفضل محمدا ابن عبيد الله البلعمى) ممدوح الرودكى(١) من بخارا الى طبرستان حتى يمكن محمدا بن صعلوك من الاستقرار فى منصبه .

ولما عاد البلعمى الى نجارا قدم الناصر الكبير — الذى كان ينتظر الفرصة المناسبة للثورة — من جيلان الى كلارستاق وأنفد ابنه (أبا الحسن أحمد) للاستيلاء على (رويان) . فخف محمد بن صعلوك لمنعهما لكنه أصيب بالهزيمة فى (جالوس) فى جمادى الثانية (٣٠١هـ) واستصفى الناصر جميع طبرستان له .

وبعد أن وصل خبر غلبة الناصر الكبير الى بخارا أرسل الأمير أحمد وزيره (محمدا بن عبد الله بن عزيز) بجيش الى طبرستان لكنه هزم

---

(١) لآل البلعمى خاصة أبى الفضل الوزير وابنه أبى على فضل كبير على اللغة الفارسية والنقل اليها والتأليف بها فقد حبا أبو الفضل الرودكى وهو من أوائل من نظم الشعر بالفارسية ونقل ابنه أبو على محمد تاريخ الطبرى الى الفارسية وولى الاول وزارة اسماعيل السامانى وولى ابنه وزارة منصور بن نوح السامانى . لكنه يجب أن يقر الفرس بتسامح السامانيين وتشجيعهم رغم مشايعتهم للخلافة العباسية للغة الفارسية واثارة الوطنية فى نفوس القوم . اما الرودكى (المتوفى عام ٣٢٩هـ) فهو أبو عبد الله جعفر بن محمد اكبر شعراء القرن الرابع الهجرى ومدح آل سامان . ومكانته فى الشعر ينبىء عنها تلقيبه بأستاذ الشعراء وقبس من جاءوا بعده معانى من شعره ومدحهم له . بلغ شعره مائة الف بيت كما يظن لم يبق منهم الا قليل وهو أول من نظم كليلة ودمنة كتاب حكمة الهند شعرا لم يؤثر عنه غير أبيات متفرقة .

هو الآخر ، وقتل الامير أحمد نفسه فى نجارا قبل أن يتحرك للعصف بطبرستان •

وبعد مدة حرض الخليفة المقتدر نصرا بن أحمد السامانى للاستيلاء على طبرستان فأمر نصرا قواده للاتجاه اليها ، لكنه لم يفعل شيئا أمام شجاعة ابن الناصر (أبى القاسم جعفر) ، فتصالح السامانيون مع الناصر الكبير وبقيت طبرستان تحت ادارة الداعى تماما • واستقر الناصر مع ابنيه أبى الحسن أحمد و أبى القاسم جعفر فى طبرستان وترك جيلان لأحد السادات الحسنيين واسمه (الحسن بن قاسم) •

وأعلن الحسن بن قاسم العصيان للناصر الذى كان يحبه ويؤثره على أولاده والتف حوله بعض الناس فوفق الى القبض على الناصر وارساله الى قلعة (لاريجان) • لكن هذا الحال لم يدم لأن أهل (آمل) وجماعة من كبار الديلم أشهرهم (ليلى بن النعمان)(١) قبضوا على الحسن وأنزلوا الناصر من القلعة المذكورة وأعادوه معززا مكرما الى مقامه • وعفا الناصر عن الحسن بن قاسم وزوجه بحفيدته بنت أبى الحسين وولاه جرجان •

٤ ـ الحسن بن قاسم الداعى الصغير
(٣٠٤ ـ ٣١٦هـ)

اعتزل الناصر الكبير فى أواخر عمره وتفرغ للتدريس والعبادة ونصب الحسن بن قاسم زوج حفيدته فى خلافته ثم وافته منيته بعد فى شعبان (٣٠٤هـ) • ويشتهر الحسن بن قاسم بلقب الداعى الصغير ، وهو مثل الحسن بن زيد وأخيه محمد من السادات الحسنيين خلافا

---

(١) اختلف الدارسون حول اسم هذا القائد المعروف الديلمى . ويبدو أن اسم (ليلى) تحريف لأحد الأسماء الجيلية وقد أتى بصورته هذا بسبب جهل الناسخين أما صورته الاصلية فغير معلومة (سياقى) .

للناصر الكبير الذى كان من السادات الحسينيين .

ولم تمض فترة طويلة حتى ثار أبو القاسم جعفر ابن الناصر الكبير على الداعى الصغير — خلافا لأخيه ، وتحالف مع محمد بن صعلوك بالرى ضده . وفى (٣٠٦هـ) هاجم آمل لكن أهلها طردوه عنها لظلمه ولحسن سيرة الداعى الصغير فيها وكفاءته وسياسته الطيبة . ودخل الداعى آمل (٣٠٧هـ) وأرسل قائده (ليلى بن نعمان) فى السنة التالية الى خراسان ، فاستولى ليلى على نيسابور وهاجم طوس لكنه هزم من السامانيين بها (٣٠٩هـ) وقتله قائد جيش نصر السامانى .

كان نصر بن أحمد السامانى فى قلق دائم لسيطرة الداعى وأصحابه على جرجان وخراسان فجرد جيشا قوامه ثلاثون ألفا يترأسهم أحد قائديه الترك هو (قراتكين) فى (٣١٠هـ) وأنفذه الى جرجان . وقد تحالف فى هذه الحرب أبو القاسم جعفر مع أعداء الداعى مرة أخرى ثم ما لبث أن انضم اليه أبو الحسين أحمد أبو زوج الداعى . ومع أن الداعى هزم أبا الحسين ضمه اليه ، لكنه لم يستطع مقاومة جيش قراتكين وأبى القاسم جعفر فالتجأ الى الاسبهبد محمد بن شهريار بن فادوسبان . لكن الاسبهبد قبض عليه بنذالة وأرسل به الى والى الخليفة العباسى بالرى . وبعد فترة من الزمن تمكن الداعى بعون أحد الامراء الجيليين من الهرب من السجن وأتى جيلان وبعد لم شعث جنده المتفرقين ضبط آمل وسارى وهزم ابنى الناصر الكبير فى جرجان ، ثم تصالح مع أبى الحسين أحمد أبى زوجته .

وسير نصر بن أحمد السامانى لدفع الداعى هذه المرة (سيمجور) قائدم المعروف الى جرجان التى كانت محل النزاع الدائم بين السامانيين والسادات العلويين . وكان الامير سميجور لا يميل الى مقاتلة الشيعة العلويين بسبب ميله الى الشيعة الاسماعيليين ، لهذا دعى الداعى الى الصلح وطلب منه أن يترك له جرجان . لكن الداعى لم يقبل فاشتعلت

الحرب بينهما فى (٣١٠هـ) • وهزم الداعى وأبو الحسين نسيبه الجيش السامانى • لكن المنهزمين انقلبوا بغتة وهاجموا جيش الداعى والحقوا به هزيمة فر من اثرها الداعى الى آمل وأبو الحسين الى جرجان • وقد رافق الداعى فى فراره هذا قائدان من قواده كانا من رؤســاء الديــلم أولهما (ماكان بن كاكى) والثانى (على بن بويه) • وعلى هذا هو من تلقب بعد بعماد الدولة وأسس مع أخين آخرين له أسرة ديالمة آل بويه كما سيلى •

وسرعان ما جهز الداعى وأبو الحسين وماكان وعلى بن بويه جيشا أخرجوا سيمجور به من جرجان فى آخر ذى الحجة (٣١٠هـ) وعــادت هذه البلدة مرة أخرى الى سيطرته وأناب الداعى أبا الحسين فى حكم جرجــان •

وفى السنة التالية تآمر أبو الحسين مع أخيه أبى القاسم وماكان بن كاكى ورئيس آخر من رؤساء الديلم ومن أصحاب ماكان اسمه (أسفار ابن شيرويه) على أن يستأسروا الداعى ففر الــداعى خفيــة وأطبــق المتحالفون على طبرستان • ولم تمر فترة طويلة حتى مات أبو الحسين فى رجب (٣١١هـ) واستقل أبو القاسم بطبرستان لكن حكمه لم يــدم أيضا اذ رحل بعد أخيه بعام عن الدار الدنيا •

وبعد موت أبى القاسم بايع ابنه ماكان وابن عم له اسمه (حسن ابن فيروزان) أحد رؤساء الديلم ، لكن سرعان ما اشتعل النزاع بين ابنه هذا وماكان وانهزم ماكان وتوارى • ولكن فكرة اســتيلائه عــلى جرجان وطبرستان لم تبرح مخيلته فكتب رسائل عــدة الى الــداعى الصغير المختص بأحد الجبال ليخــرج ويســتوليا على طبرســتان من (السيد أبى جعفر) ابن آخر لأبى الحسين خلف أخاه • فــلم يقبــل الداعى هذه الدعوة • فقدم ماكان لحرب سيد أبى جعفر منفردا ، لكنه لقى منه ومن أسفار ابن شيرويه الذى تحول عنه وانضم الى أبى جعفر

الهزيمة • وبعد مدة جمع مرة أخرى جيشا وانضم اليه هذه المرة الداعى الصغير وهرب أمامهما سيد أبو جعفر وأسفار •

وفى (٣١٤هـ) قدم نصر بن أحمد السامانى بنفسه الى طبرستان ليزيل شر الداعى الصغير كلية ، لكن عمال الداعى قطعوا عليه الطرق وخربوا كل جادة وجسر فانحصر الامير نصر ولم يستطع الخلاص الا بعد أداء ثلاثين ألف دينار الى الداعى • وسلك بهذا طريقه الى الرى•

وفى (٣١٥هـ) هزم ماكان أسفارا مرة أخرى ، فاستوحش منه الداعى الصغير ولجأ الى جيلان فأعاد ماكان الداعى باصرار تام ، ثم حمل الاثنان على الرى واستوليا عليها من محمد بن صعلوك •

وفى أثناء غيبة الداعى وماكان قدم أسفار من خراسان الى جرجان مع جيش سامانى واستولى على جرجان باسم الامير نصر السامانى (٣١٥هـ) • وبعد ذلك استدعى قائدا من الديلم سمى (مرد آوبح بن زيار) وجعله قائد جيشه وتمكن القائدان من استخلاص طبرستان • وعجل الداعى مخالفا لرأى ماكان الى آمل من الرى لكى يهزم أسفارا ، لكنه هزم وقتله أتباع أسفار بالقرب من سارى (٣١٦هـ) •

وبعد قتل الداعى زحف أسفار بجيشه الى الرى وفى (٣١٧هـ) أو (٣١٦هـ) استصفاها من ماكان وفر هذا الى الديلم • وبدأ من هذا الوقت صراع بين أسفار ومرداويج وأخيه (وشمكير) وماكان وحسن فيروزان — كما سيلى فى تاريخ الديالمة — حتى قتل أسفار بيد مرداويج (٣١٦هـ) وماكان بيد (أبى على الجغانى) فى (٣٢٩هـ) وخلا الميدان لوشمكير وأولاد بويه الصياد وسلمت لهم جيلان وطبرستان •

ومن تاريخ (٣١٦هـ) سنة قتل الداعى الصغير حتى عهد تسلط الديالمة الكامل على طبرستان كان عدد من العلويين بطبرستان وجيلان مجرد آلات بيد الأعداء السابقين لكن لم يك لأحدهم السيادة الفعلية ،

ولهذا السبب تعتبر سنة (٣١٦هـ) – التى قتل فيها الداعى الصغير – نهاية امارة الدعاة العلويين بطبرستان ٠

أسماء السادات العلويين بطبرستان وزمن امارة كل منهم

١ – الحسن بن زيد الداعى الصغير (٢٥٠ – ٢٧٠ هـ)
٢ – محمد بن زيد أخوه ، الداعى (٢٧٠ – ٢٨٧ هـ)
(الحكـام السـامانيون) (٢٨٧ – ٣٠١ هـ)
٣ – الحسن بن على الحسينى ، الناصر الكبير أو الاطروش (٣٠١ – ٣٠٤ هـ)
٤ – الحسن بن قاسم الحسنى ، الداعى الصغير (٣٠٤ – ٣١٦ هـ)

مدعو الداعى الصغير ومخالفوه

أبو الحسين أحمد بن ناصر الكبير (٣٠٤ – ٣١١ هـ)
أبو القاسم جعفر بن ناصر الكبير (٣٠٤ – ٣١٢ هـ)
أبو على محمد بن أبى الحسين أحمد (٣١٢ – ٣١٥ هـ)
أبو جعفر حسن بن أبى الحسن أحمد (٣١٥ هـ)

الفصل الثانى

ديالمة آل زيار
(٣١٦ — ٤٣٣ هـ)

أرض الديلم : —

كانت ناحية الديلم تشمل — عند القدماء — جزءا من جيلان الحالية التى كانت تحد بولاية قزوين جنوبا ومنطقة (جالوس) (تنكابن الحالية) شرقا • ومع أن جميع جيلان والولايات الساحلية لبحر الخزر كانت تصير جزءا من بلاد الديلم حينما كان الديالمة يمدون سيطرتهم اليها ، لكن اسم (الديلم) فى الحقيقة هو اسم الجزء الجبلى من جيلان الحالية وحسب وكان يطلق عليه (ديلمان) و (ديلمستان) أيضا • وكان يقابل الجزء المنخفض والسهلى الذى كان يسمى باسم (جيلان) اذن فال (ديلمان) أو الديالمة وال (ديلمستان) أو أرض الديلم تعنى مساكن جماعة الديلم ، و (جيلان) تعنى مساكن جماعة الجيل • وأخذ هذا التحديد يزول تدريجا وصار اسم (جيلان) يطلق على الجزء المحصور بين طبرستان وطالش وطارم وقزوين •

وبسبب الطبيعة الجبلية لمساكن الديلم وصعوبة السيطرة عليها فقد عاش الديلم مستقلين دائما وكان لهم آداب وحياة خاصة بهم قبل أن وقعت تحت تأثير من الخارج • ولما كان الديلم رجال حرب وأصحاب شجاعة فقد كانوا يمدون سيطرتهم الى المناطق التى على حدودهم مثل قزوين وطارم وجالوس ، ولجأ سكان هذه المناطق الى بناء الاستحكامات والقلاع لمنع اعتداءاتهم خاصة فى قزوين وجالوس •

ولم تنفتح مساكن الديالمة أمام المسلمين مع شدة حروبهم لهم ولم تستسلم لهم هذه الجماعة فبقوا على مذهبهم القديم وآدابهم المتوارثة • ولم يتمكن من المسلمين أحد من النفوذ فى بلادهم غير السادات العلويين الذين التجأوا الى الديلم وجبال طبرستان فى خلافة المتوكل والمستعين بسبب ايذائهما لجميع العلويين • وكما رأينا فى الفصل المتعلق بالدعاة العلويين فى طبرستان ، فقد وفق السادات بعد مدة من اقامتهم فى هذه المنطقة فى جمع أتباع وأشياع كثيرين وانتشر الاسلام بذلك فى بلاد الديلم •

وقبل اعتناق الديالمة للاسلام كان لبلادهم عند المسلمين حكم دار الحرب أى أنها بلاد الكفار الذين يثاب على جهادهم وغزوهم ، فكان حكام الرى وقزوين وطبرستان يهاجمون الديلم أحيانا ويستأسرون منهم ويبيعونهم أو يهدون منهم للخلفاء • ولهذا فقد عرف الديلم بين المسلمين فترة من الزمن على أنهم غلمان أسرى وموال مثلهم كالزنوج والهنود وغيرهم •

ومن بين الاسر القديمة للديلم أسرة (آل جستان) التى حكمت على حدود نهر (منجيل) وقصبة الديلم الحاليين • قبلوا تبعية الحسن ابن زيد الداعى الكبير بمجرد أن أعلن ثورته ، ولم يبخلوا عليه طوال مدة امارة الدعاة على طبرستان بصادق عونهم ولذلك كان اذا طردوا من جرجان وطبرستان لا يلجأون الا الى أراضى آل جستان •

وفى الفترة التى تحكم فيها آل سامان فى طبرستان — وقد استمرت ثلاثة عشر عاما (من ٢٨٧ حتى ٣٠١ هـ) كان الناصر الكبير يعيش منزويا بين الديالمة ، فصرف كل همه الى أن يدعو بقية الديلم للاسلام وينشر الآداب والأحكام الاسلامية فيهم • ولما كان الناصر مثال الايمان التام والعلم الزهد الكاملين فقد اعتنق أكثرية الديلم الاسلام عن طواعية • وكان من أثر هذا أن استطاع الناصر فى (٣٠١ هـ) أن يخرج

طبرستان مرة أخرى عن قبضة العمال السامانيين .

وخلاف آل جستان دخل أكثر رؤساء الجيل والديلم ، الذين لـم يتحملوا أن يظلوا خاملى الذكر وكانوا يطلبون الشهرة وذيوع الصيت ، فى خدمة الدعاة ، وأهم هذه الجماعة هم من سبق ذكرهم ضمن تاريخ العلويين خاصة الناصر الكبير وأبنائه مثل (ليلى بن النعمان) و (حسن ابن فيروزان) وابن عمه (ماكان بن كاكى) و (أسفار بن شـيرويه) و (مردآويج بن زيار) و (على بن بويه ماهيكير) .

١ — مردوايج بن زيـار
(٣١٦ — ٣٢٣ هـ)

ثورة مردآويج فى ٣١٦ هـ :—

كان مردآويج أو مردآويز (١) كما مر فى الفصل الاول فى بدايـة أمره من أتباع أسفار بن شيرويه وأسفار بدأ أمره بحياته فى خدمة علويى طبرستان ، كما مر الشرح ، ثم تحول عنهم فى النهاية ولحق بالامير نصر السامانى وعماله فى خراسان ، وقتل بعون منهم الداعى الصـغير فى (٣١٦ هـ) وجعل ماكان بن كاكى يتوارى . ونتيجة لهذا استولى عـلى جرجان (١) وطبرستان وقزوين والرى وقم وكاشان ولرستان . وبعد أن حاز أسفار هذه القوة ثار على الخليفة والأمير نصر . وكان الأمـير نصر عازما على ضربه لكن الأمر انتهى بالصلح وقبول أسـفار أن يدفـع خراجا سنويا وأن يحكم المناطق التى استولى عليها . لكن الرجل ، ولم يكن قد أسلم واستمر على دين آبائه ، لم يحسن معاملة رعيته المسلمين المتعصبين خاصة أهالى قزوين حتى أنه أمر ذات مرة بأن يلقى بمؤذن

---

(١) اى المتعلق بالرجولة الحرى بها (سياقى) .

(٢) فى هذا الفصل والفصول بعده اذ تحدثنا عن جرجان فانما نعنى جرجان القديمة اى كنبد قابوس الحالية ، وليسـت جرجـان الجديـدة أو استراباد الحالية (سـياقى) .

كان يؤذن للصلاة من فوق المنارة وبخراب المساجد وأخذ يحصل من العامة المال متعديا كل حدود النصفة والعدل • وسبق القول ان أسفار استدعى لخدمته حينما كان يتأهب لغزو طبرستان أحد كبار قواد الديلم المعروف بـ (مرداويج بن زيار) • واستولى الاثنان بعد أن أمره على جيشه على طبرستان من الداعى الصغير وماكان بن كاكى (٣١٦هـ) •

وبعد فتح طبرستان أنفذ أسفار مرداويج الى طارم حيث كان (سلار) أحد أمراء أسرة (آل مسافر) يحكم فيها مستقلا ليدعوه الى بيعة أسفار • وكان مرداويج شديد البرم بمظالم أسفار فتعاهد سرا مع سلار المسافرى ، وحينما كان أسفار ينتظر عودته من قزوين أرسل مرداويج الى جماعة من قواد جيشه كانوا ينقمون على أسفار أيضا وأطلعهم على اتحاده مع سلار وعزمهما الثورة على أسفار • فهاج الجند على أسفار ، فلما رأى أسفار هذا ووصله قصد مرداويج وسلار فر هاربا من قزوين الى الرى ثم قصد قهستان وطبس • ولما عرف أن ماكان بن كاكى بخراسان وقد دعاه مرداويج الى قصده ، يمم فارا نحو (الموت) (٣) • فسد مرداويج عليه الطرق حتى تمكن من القبض عليه فى الطالقان ثم قتله فى (٣١٦هـ) • واستقر مرداويج فى الرى وقدم اليه ماكان من خراسان فأمره على جيلان وطبرستان •

ولم تمر فترة طويلة حتى تكدر الصفوبين الاثنين وأسرع مرداويج لدفع ماكان بطبرستان ثم أجلاه عنها وعاد بعد السيطرة على جرجان الى أصفهان غانما منتصرا ، أما ماكان فقد هاجم بعون الامير نصر السامانى جرجان والدامغان لكنه غلب ورجع الى خراسان منهزما •

وبعد قتل أسفار وطرد ماكان تملك مرداويج طبرستان وجرجان والدامغان والجزء الأعظم للعراق العجمى وتجاورت مناطق حكمه فى

---

(٣) الموت بلغة الديلم (تعليم العقاب) اذ ان احدهم استحسن الاسم ، وقد علا شأنها لما استولى عليها الحسن بن الصباح كبير الحشاشين الباطنية عام (٤٨٣هـ) كما سيلى .

(٣١٩هـ) مع ولايات السامانيين من ناحية والبلاد التى يحكمها الخليفة العباسى حكما مباشرا من ناحية أخرى • وأخذ يتقاطر عليه رؤساء الديلم طمعا فى المال الذى كان يهبه لجنده وحاشيته ، وطفق اعتباره وشوكته يزيدان يوما بعد يـــوم •

وفى نفس عام (٣١٩هـ) وجه مردآويج ابن أخته بجيش للسيطرة على همدان ، لكنه لم يحقق شيئا لتآزر شعب همدان مع نائب الخليفة ، بل اقتل فى معركته معه • مما جعل مردآويج يتحرك بنفسه من الرى الى همدان ، وبعد أن أتم سيطرته عليها أوقع بها مذبحة استمرت يومين • فبعث المقتدر الخليفة العباسى ابن خاله (هارون بن غريب) بجند كثيف لدفعه • ودارت بينهما معركة شديدة انتهت بهزيمة هارون ، وبذلـك امتدت سيطرة مردآويج حتى حدود العراق العربى • وبعـد فـترة قصيرة قصد فتح أصفهان ، فأنفذ الخليفة حاكما جديدا للدفاع عنها هـو (مظفر بن ياقوت) لكن مظفرا فشل فى الحفاظ عنها واستخلصها جنـد مردآويج بسهولة ثم دخلها مردآويج بعد قليل • وقد أطمعه انتصاره فى أصفهان فى أن يعجل بارسال جـزء من جيشـه للتمكن من الأهـواز وصار على حدود العراق العربى تماما • لكنه سير مبعوثا من لدنـه الى المقتدر يتعهد ألا يتعدى على بلاد الخلافة ويدفع سنويا مـائتى ألف دينار اليه من خراج همدان والدينور •

وفى عام (٣٢٠هـ) بعث مردآويج قاصدا منه الى أخيه (وشمكير) فى جيلان وكان يعمل بالزراعة يستدعيه اليه • فلم يطعه وشـمكير فى البداية بل لعن أخاه لانه داهن الخليفة العباسى وطوع نفسه اليـه • وفى النهاية رضى لاصرار الرسول بأن يلحق بأخيه • وفى العام التالى وصل مسامع مردآويج أن السامانيين عادوا وسيطروا على جرجان وأن الأمير نصر بن أحمد ووزيره محمد بن عبيد الله البلعمى وجيشا كثيفـا ينتظرون فى نيشابور • فترك الرى قاصدا جرجان لكنه أدرك أنه لـن يستطيع استردادها فاضطر الى أن يستمع الى نصح البلعمى فتصالح

مع الامير نصر وترك جرجان الى السامانيين وقفل عائدا الى الرى .

مردآويج وعلى بن بويه : —

فى هذه الآونة كان ماكان الذى نال هزائم متلاحقة من مردآويج وعماله يعيش فى خراسان فى حماية السامانيين على أمل الاستيلاء على جرجان وطبرستان . وبعد صلح مردآويج مع الامير نصر خابت آماله وحار فى أمره وتركه أتباعه وذهب كل منهم الى ناحية . وكان من بينهم أبناء (بويه الصياد) الذين عاشوا فترة فى خدمته ، فقالوا له (مادمنا وما دام أتباعنا محل اعتمادك فى هذه الأيام السوداء فان الأصلح أن تأذن لنا حتى نأتى لخدمتك اذا تحسنت الأمور) فرضى ماكان بهذا الامر ، وسلك أولاد بويه وأتباعهم طريقهم رأسا الى مردآويج . فاحتفل الأمير الزيارى بمقدمهم وأمر كلا منهم على جزء من العراق العجمى . ومن بينهم على الذى لقب بعد بعماد الدولة والذى عينه فى الكرج . ولكن مردآويج بعد قليل ندم لانه قسم الولايات الهامة بين أولاد بويه والقواد الديالمة الآخرين وأراد أن يحول بينهم وبين ما يشتهون . فأرسل رسالة الى أخيه وشمكير ووزيره الحسين بن محمد القمى أبى (ابن العميد) المعروف الذى كان مع وشمكير أيضا بالرى (١) ليمنعاهم من التحرك ، واذا رفض أحدهم يرسله اليه .

وكان على بن بويه قد شمل العميد الوزير بأفضاله(٢) مما جعله

---

(١) هو أبو الفضل محمد بن الحسين القمى من وزراء وأدباء البويهيين المعروفين ، وكان والده كاتب ماكان بن كاكى ، ثم صار صاحب ديوان رسائل نوح بن نصر السامانى . وبلغ ابن العميد وزارة ركن الدولة الديلمي وظل فى وزارتهم حتى وفاته . كان أستاذا فى النجوم والفلسفة والبلاغة ويجمع فى تأليفه بين المعانى الدقيقة والصناعة اللفظية ومن آثاره ديوان الرسائل ومذهب فى البلاغات ، توفى عام (٣٦٠هـ) .

(١) قيل فى ذلك أن عليا بعد أن وصل الرى لم يكن يملك غير سرير عرضه للبيع فاشتراه العميد بمائتى دينار وأرسلها اليه . فأخذ على عشرة دنانير ورد الباقى الى الوزير واكتسب بهذا قلب الوزير وكان يزمع فى خبيئة نفسه أن يحقق أحلام سيطرته (سياقى) .

يعرض عليه رسالة مردآويج قبل أن يسلمها لوشمكير ، ثم أشار عليه بقصد الكرج تحت جنح الظلام • وحينما حل الصباح أطلع الوزير وشمكير على رسالة أخيه فمنع الآخرين من قصد ولاياتهم ، وهم بارسال من يرد عليا ابن بويه عن مقصده ، فتدخل الوزير أيضا بحجة أنه لن يعود مختارا وربما يؤدى به هذا الأمر الى عصيان مردآويج ، وصرفه عن ارادته • ووصل على الى الكرج وأنشأ يحسن معاملة الرعية وعمال مردآويج ويبعث الى مردآويج برسائل الرضا والشكر ثم أخذ فى فتح القلاع على أطراف الكرج • وسرعان ما أصبح صاحب شوكة فى هذه النواحى وملك قلوب الرعية واحترامها الى حد أن جماعة من رؤساء جيش مردآويج قصدوه ساخطين على مردآويج لانه منعهم أعطياتهم فاختفى على مخالفا رغبة مردآويج بمقدمهم ، وكان هذه الواقعة بداية الخلاف بين ابن زيار وابن بويه وتصميم مردآويج على ازالتـــه •

وتحرك على عن طريق الكرج الى أصفهان ومعه ما يقرب من تسعمائة جندى وكان قصده فى الظاهر أن يظهر نفسه مطيعا للخليفة بمعاونة مظفر بن ياقوت حاكم أصفهان من قبله ويظل بمنجى من تعرض مردآويج • فرفض مظفر طلب على وقام ليرده ، ولكن عليا غلب بفئته القليلة جند المظفر الذين أربوا على العشرة آلاف • وساعده على ظفره انضمام جميع الجيل والديلم فى جيش المظفر اليه قبل المعركة ، وهكذا تمكن على من أصفهـان (٣٢١هـ) •

وقد أقلق فتح على لأصفهان الخليفة ومردآويج وخاصة الأخير الذى أخذ يتوعد عليا ويوعده محاولا استدعاءه اليه مرة ، ومرة سير أخاه وشمكير بجيش عظيم الى أصفهان أملا فى القضاء عليه • أما على فقد تمكن من السيطرة على أرجان (بهبهان الحالية) ورامهرمز بخراج أصفهان ثم دخل خوزستان منتصرا • واستغل وشمكير انهماكه فى هذه

البلاد فاستعاد أصفهان لكنه لم يهنأ بها اذ أن الخليفة القادر أرسل اليه أن يتركها لواليه فتركها بعد أن تلكأ فى خروجه منهـا •

وهاجم على عن طريق خوزستان فارس وضبط شـيراز أيضـا (٣٢٢هـ) فقدم مردآويج معجلا الى أصفهان من الرى وأعاد أخـاه اليها ليحفظها وتقدم بنفسه لقتال على بن بويه • كان عـلى ومـردآويج يفتحان البلاد فى هذه الآونة باسم الخليفة العباسى فى الظاهر ، ولكن فى باطن الأمر كان كلاهما يهدف الى تكوين دولة خاصة به والاستيلاء عـلى خراج المدن وتحميل الخليفة بأمره ، لانه لم يعد للخليفة قدرة عسكرية أو سياسية يؤبه بها وكان لا فوت له من أن يحكمه أمير أو قائد غالب •

وهاجم مردآويج الأهواز ليقطع الطريق على على الذى كان يريـد الخليفة وبغداد وليجعل دار الخلافة تحت تهديده الدائم • ولكن الخليفة الذى لم يكن راضيا على أى من هذين الندين أنفذ قائده ياقوت ليدفع مردآويج • ومع أن مردآويج كان تمكن من رامهرمز والأهواز فى شـوال (٣٢٢هـ) لكنه ظل عاجزا أمام جند الخليفة ولم يستطع التقدم الـى العراق • وفى هذه الأثناء أرسل على من فارس يتوسط له عند مردآويـج ويقترح الصلح والعون • فسر مردآويج بهذا الصلح على شريطة أن أن يعترف به أميرا وحاكما عليه ويقرأ الخطبة باسمه • فقبل على وأرسل أخاه الحسن الذى لقب بعد بركن الدولة كرهينة اليه محملا بالهدايـا النفيسـة •

قتل مردآويج فى ٣٢٣ هـ : ـ

لم يكن مردآويج مثله مثل أخيه وشمكير وسيده الأول أسـفار بن شيرويه ، فى الأصل مسلما ، أو قبل الاسلام فى الظاهر لكنه كان متعلقـا فى الباطن بالآداب الايرانية القديمة ومراسيم المذهب الزردشـتى • لهذا كان شديد الكره للخليفة العباسى وولاته العرب • وكان يهـدف

الى احياء دولة الساسانيين الخالية وتخريب بغداد وتعمير المدائن وعمائر الملوك الايرانيين وادالة الأسرة العباسية • ولهذا فقد توج نفسه بتاج مرصع كما كان يفعل أنوشيروان وكان يجلس على عرش ذهبى وينفق كثيرا فى اقامة الأعياد القومية الايرانية • وفى شتاء عام (٣٢٣ هـ) حينما كان فى أصفهان أمر فى ليلة عيد النور (١) أن يجمع وقود كثير وأسباب الاضاءة واشعال النيران على شاطىء نهر (زاينده) وأن يقام احتفال واحتفاء عظيمان يليق بهذا العيد القديم ويجدر بمثل ملكه • وقبل اقامة مراسم هذا الاحتفال بيوم انشغل مردآويج بتقصى الاعداد له ، فوجد أنه لم يعد له الاعداد الكافى فأخذته العزة بالاثم وأراد البطش بمن عهد اليه به • فخشى رؤساء الجيش على أنفسهم وخافوا سفكه دمهم واعتزموا الثورة عليه قبل أن يوقع بهم انتقامه ويتخلصون منه • لكن الحسين بن محمد أخمد هذه الفتنة • وبعد هذا بأيام أربعة حرض مردآويج جنده الديلم على ضرب غلمانه من الترك وتأديبهم لسخطه عليهم وهددهم بالقتل ، لانه لم يصف يوما للاتراك وكان يسميهم بالشياطين ويبدى كرهه لهم •

فتآمر الغلمان الترك على قتله لكى ينجوا منه ، وانتهزوا ذهابه للحمام يوما وأمر رئيس حراسه لغضبه منه أن يدع حراسته له

---

(١) يسميه الفرس (جشن سده) يحتفلون ليلته باشعال النيران باللوز والجوز ويشربون الخمر حولها ويطربون ويلهون ويقع فى شهر بهمن وهو الشهر الحادى عشر من السنة الشمسية الايرانية ، يقع اليوم العاشر فيه اما الاحتفال باشعال النور فيحدث ليلة اليوم الحادى عشر ، وسبب تسميه (سده) أى المئوى أنه يقع قبل النيروز بخمسين يوما وخمسين ليلة وسبب الاحتفال به فى عقيدتهم أن أفرويدون فى حربه للضحاك كما فى شاهنامة الفردوسى الشهيرة أمر الناس باشعال النيران على أسطح منازلهم ليلا لكى يتحقق من أن وزير الضحاك المسمى (ارمائيل) كان ينقذ نصف الشباب المعينين للقتل لكن يدهن الضحاك كتفيه بأمخاضهم فتهدأ الحيتان النابتتان على كتفيه ولا تؤذياه اذا أصابتا من هذا الدهن (راجع فى أعياد الفرس كتاب البيرونى العالم المشهور : التفهيم لاوائل صناعة التنجيم ص ٢٥٣ ــ ٢٦١ طبعة عام ١٣١٨ هـ.ش بايران تصحيح جلال همائى) •

فهاجموه فى الحمام وقبضوا عليه وقتلوه ثم نهبوا قصره وما به من أثاث وهربوا الى أصفهان خوفا من الجنود الديالمة •

٢ — وشمكير بن زيار
(٣٢٣ — ٣٥٧ ﻫ)

بعد قتل مردآويج تحول الجند الجيليون والديلم من أصفهان الى الرى وبايعوا أخاه وشمكير ، كما أن الديالمة بخوزستان أخلوها له وأسرعوا اليه ، وسنحت بهذا الفرصة للحسن بن بويه أخى على وكان مقيما بالأهواز فى ذلك الوقت كرهينة ، ففر من حبسه ولحق بأخيه فى فارس • ولما سمع الأمير نصر بن أحمد السامانى بخبر قتل مردآويج الذى كان يعتبر دائما ندا خطيرا له سر وعزم على استعادة جرجان وطبرستان والرى التى كان مع السامانيين فى عهد الأمير اسماعيل وخرجت عن أيديهم فى حكم الناصر الكبير وأسفار ومردآويج فأصدر أوامره الى حاكم خراسان الأمير محمد بن مظفر بن مجتاح الجغانى وماكان بن كاكى الذى كان يعيش فى كرمان متواريا أن يهاجما قومى الرى وجرجان (كان الأمير محمد الجغانى هذا قد استولى على كرمان كما سيأتى فى تاريخ السامانيين — فى عام (٣٢٢ﻫ) وكان ماكان عاملهم هناك) • وأسرع ماكان للسيطرة على الدامغان ولكن عامل وشمكير هزمه وهزم جيش الأمير الجغانى أيضا فآب ماكان الى نيشابور وبقى فيها حاكما من قبل الأمير نصر •

كان لوشمكير خلاف الأمير نصر عدو كبير هو على بن بويه الذى رأى فى آخر عهد مردآويج أن الصلاح يقتضى وقتذاك الصلح معه وأخذ ينتظر فرصته السانحة فى فارس • ولما قتل مردآويج ونجا الحسن بن بويه أمده أخوه على بجند وبعث به للسيطرة على أصفهان • ففتحها الحسن وتوجه لفتح همدان والرى وقزوين وقم وكاشان • فاضطر

وشمكير الى استدعاء ماكان اليه وكان يقضى سنيه فى نيشابور فى حسرة الاستيلاء على جرجان وضياعها فولاه هذه الولاية • وفى هـذه الأثنـاء تملك على بن بويه على خوزستان وأجبر وزير الخليفة على أن يترك له الجند المقيم بالبصرة ليحارب بهم وشمكير ويرسل منهم مددا لأخيـه الحسن بأصفهان • وفى عام (٣٢٧هـ) استخلص وشمكير أصفهان من يد الحسن بن بويه وهرب الحسـن الى اصطخر ثم اسـتطاع الأمـير الزيارى فتح قلعة (ألموت) وزادت قوته وشوكته •

قتل ماكان فى ٣٢٩ هـ : ــ

ساء الأمير نصرا السامانى نكران ماكان لجميله بتركه وذهـابه الى عدوه وشمكير فأنفذ أبا على أحمد بن الأمير محمد الجغانى فى (٣٢٨هـ) لتأديبه والسيطرة على جرجان ، وحاصر الأمير الجغانى ماكان فى هـذه المدينة فسير وشمكير (شيرج) أخا (ليلى بن النعمان) من الرى مددا لماكان ، ولكنه بدلا من مناصرة ماكان على أبى على الجغـانى توسـط بينهما ، فاشترط أبو على أخذ جرجان لكى يصرف نظره عن أسر ماكان والتجأ ماكان بطبرستان •

وبينما كان وشمكير حزينا على ذهاب جرجان تواطأ الحسن بن بويه وأخوه مع أبى على الجغانى فاستفادوا من أن وشمكير وجه أغلب جنده لمقابلة الجغانى فاستصفوا أصفهان واستأسروا جمعا من قـواد وشمكير • وبعد أن أخذ أبو على الجغانى جرجان عهد الى (ابراهيم بن سيمجور) حكمها وأتى الرى فى بدايـة ربيع الأول من عـام (٣٢٩هـ) وكان يغرض هو وأبناء بويه الى الاطباق على وشمكير واسـتخلاص الولايات التى فتحها مردآويج فى مدة عشرة أعوام منه • وهكذا وقع وشمكير بين فكى كماشة فلم يجد بدا من الهروب الى الرى ليعاونـه ماكان بينما كان أولاد بويه قد اقتربوا من حدود الـرى قـادمين من أصفهان بعون من أبى على الجغانى • واشتعلت الحرب بين الفريقين فى

الرى فى ٢١ من ربيع الأول من عام (٣٢٩هـ) ولم يفد ماكان استبساله شيئا اذ كانت الغلبة نصيب أبى على الجغانى والحسن بن بويه • وانتهى أمر ماكان الى القتل(١) وركن وشمكير الى الفرار الى طبرستان ودخل أبو على الرى وبعث برأس ماكان وأسرى كثيرين من الديلم الى بخارا حيث الأمير نصر السامانى ثم مد سيطرته الى زنجان وأبهر وقزوين وقم والكرج وهمدان ونهاوند والدينور وأوصل حدود الدولة السامانية حتى حلوان •

ولما وصل خبر قتل ماكان الى (سارى) ثار ابن عمه (حسن بن فيروزان) بحجة أن وشمكير تسبب فى قتل ماكان فى حرب الرى عمدا ، لكنه غلب على أمره مع حربه مع شيرج بن ليلى ، فالتجأ بأبى على الجغانى بالعراق وحثه على ضم طبرستان • فبدأ أبو على بحصار سارى لكنه لم ينل منها شيئا بسبب قسوة شتائها ومقاومة وشمكير ، وفى النهاية طلب وشمكير الأمان وقبل أن يخطب للأمير نصر السامانى من ذاك الوقت فصاعدا • وفى آخر (٣٣٠هـ) صالح أبو على وشمكير وتحرك الى بخارا مصطحبا معه سالار ولد وشمكير كرهينة ، ولم يكد يصل خراسان حتى وصله خبر موت الأمير نصر •

وشمكير وأولاد بويه : —

رافق حسن بن فيروزان أبا على الجغانى فى عودته الى بخارا ، وفى أثناء الطريق انقض على معسكر أبى على وهرب راجعا الى خراسان بقدر من الأسلاب وبابن وشمكير (سالار) • ثم أخذ جرجان والدمغان وسمنان ولم ير عامل السامانيين فى جرجان ابراهيم بن سيمجور غير مصالحته حلا • وانتهز وشمكير الفرصة أيضا فاستعاد الرى بينما أرسل حسن بن فيروزان ابنه سالار اليه وقبل طاعته •

---

(١) كتب فى نفس هذه الواقعة أبو القاسم الاسكافى كاتب ابى على الجغانى الى بخارا (أما ماكان فصار كاسمه) (سياقى) .

وحث الحسن بن بويه حليف أبى على الجغانى خطاه لاستخلاص الرى من قبضة وشمكير الذى انهزم أمامه الى طبرستان وفر منها الى خراسان فأطبق الحسن على طبرستان ودخل حسن بن فيروزان فى طاعته وزوجه بابنته التى ولدت له فخر الدولة الديلمى •

وكان وشمكير يهدف من فراره الى خراسان أن يستمد الأمير نوحا ابن نصر وقائده المعروف أبا على الجغانى • فأمده الأمير السامانى بأبى على هذا و (منصور بن قراتكين) لفتح الرى لكنهما لم يستطيعا أمام الحسن بن بويه اللهم الا تمكن وشمكير من اخراج جرجان عن يد حسن ابن فيروزان فى صفر من (٣٣٣هـ) وان لم يستطع الحفاظ عليها طويلا ، بل اضطر الى الهروب الى خراسان بحماية من منصور بن قراتكين •

ودعا هذا الأمير نوحا الى أن يتوجه بنفسه الى جرجان ويقاتل حسن بن فيروزان والحسن بن بويه ، لكن حاكم طوس (أبا منصور محمد بن عبد الرزاق الطوسى) — الذى جمعت باسمه أول شاهنامة نثرية ولهذا فانه يذكر بالخير فى تاريخ الأدب الفارسى(1) — ثار على نوح وتحالف مع آل بويه • فتحول نوح اليه أولا فهرب أمامه الى الرى محتميا بحلفائه • وأكرمه بن بويه ووجهه الى آذربايجان لحرب أحد آل مسافر •

وفى عام (٣٣٦هـ) استخلص منصور بن قراتكين طوس ونيسابور

---

(١) صار قائد جيش خراسان من قبل أبى على الجغانى نحو عام (٣٣٥هـ) اول أمره وحينما فكر فى محالفة ركن الدولة الديلمى لضرب وشمكير ابن زيار عرف الأخير بأمره فدس اليه السم فمات (٣٥٠هـ) . وشهرته الأدبية تفوق شهرته السياسية لأنه أمر أبا منصور المعمرى وزيره بتدوين اخبار الملوك الفرس السابقين بما يسمى الشاهنامه فاستقدم هذا علماء خراسان والعالمين بالتاريخ وانجزوا هذا العمل عام (٣٤٦هـ) . وقد صارت هذه الشاهنامه المصدر الرئيسى الذى استقى منه الفردوسى الشاعر الفارسى الشهير (توفى عام ٤١١ أو ٤١٦هـ) شاهنامته الشعرية وكذلك الشاعر الفارسى الدقيقى (متوفى نحو ٣٦٥هـ) من قبله .

من أيدى أتباع أبى منصور الطوسى واستأسر أمه وبعض أتباعه وأرسلهم الى بخارا • وفى نفس العام أخرج الحسن بن بويه وحموه حسن بن فيروزان وشمكير مرة ثانية عن طبرستان وجرجان فلجأ الأمير الزيارى هذه المرة بآل سامان فى خراسان ليستمدهم •

ومن هذا التاريخ حتى أن فتح الحسن بن بويه طبرستان للمرة الثانية فى (٣٤٢هـ) حدث صدام كثير بين آل بويه والقواد السامانيين الذين كانوا يقدمون لعون وشمكير وكان النصر للطرفين سجالا الى أن تصالح أبو على الجغانى مع ركن الدولة البويهى(١) فى الرى وانتهزها البويهى فرصة لكى يزيح وشمكير نهائيا عن طبرستان وجرجان • ففر وشمكير هاربا الى خراسان مرة أخرى واتهم أبا على الجغانى أمام الأمير نوح بتحالفه مع البويهيين ، فعزله نوح عن حكم خراسان ، فعصى أبو على وأعلن امارته على نيسابور فحول نوح اليه وشمكير ليزيله فاتجه مضطرا الى ركن الدولة • فصحبه ركن الدولة الى جرجان وطرد عنها وشمكير • ولكن هذا الحال لم يدم لأن بمجرد عودة ركن الدولة استولى وشمكير على جرجان بعون الخراسانيين حتى جعل ركن الدولة وشمكير فى النهاية يختفى فى جيلان (٣٥١هـ) فعادت الى طاعته طبرستان وجرجان من جديد •

موت وشمكير فى ٣٥٧ هـ : ـ

وبين هذا الصراع أخرج البويهيون ولاية كرمان أيضا عن يد أميرها (أبى على بن الياس) ، فقصد أبو على الأمير منصور بن نوح السامانى بخارا وشجعه على تملك ولايات آل بويه فوجه الى الرى جيشا كثيفا يقتاده وشمكير وأبو الحسن سيمجورى •

(٢) فى عام ٣٣٤هـ استولى احمد بن بويه على بغداد وخليفتها المستكفى ولقبه الخليفة معز الدولة ولقب اخاه الحسن بركن الدولة واخاه عليا بعماد الدولة ، وسوف يذكر هؤلاء بالقابهم بعد هذا (سياقى) .

واستمد ركن الدولة جميع أفراد الاسرة البويهية فقدم اليه ابنه (بناه خسرو) المعروف بعضد الدولة وابن أخيه بختيار الذى لقب بعـد بعز الدولة ، ولكن قبل أن يلتقى الجيشان ببضعة أيام خر وشمكير فى أول المحرم من (٣٥٧هـ) من على جواده بينما كان يصطاد فلقى حتفه • وانفرط عقد جيشه ونجا الحسن بن بويه من هذا الخطر الداهم •

٣ — بهستون بن وشمكير
(٣٥٧ — ٣٦٦ هـ)

بعد موت وشمكير خلفه ابنه الأكبر أبو منصور بهســتون الذى كان بطبرستان لكن كبار أتباعه الذين رافقوا جيش السامانيين بايعوا أخا وشمكير الأصغر وهو (قابوس) وانحاز أبو الحســن ســيمجورى الى قابوس أيضا • فركن بهستون الى حماية ركن الدولة الذى ملكه طبرستان وتزوج ركن الدولة بابنته التى ولدت له عضد الدولة • واستولى قابوس بعون السامانيين على جرجان ودام هذا الحال حتى عام (٣٦٦هـ) حين مات بهستون واستقل قابوس فى ملكه لكن لم يبق له من جميع البــلاد التى فتحها جده مردآويج غير جرجان وقسم من طبرستان وكان يحيا فيها فى واقع الأمر تحت حماية السامانيين • وقد لقب المطيع الخليفــة العباسى بهستون فى (٣٦٠هـ) بظهير الدولة بأمر من عضد الدولة وأصدر أمره بأن يحكم جرجان وطبرستان رســميا •

٤ — شمس المعالى قابوس بن وشمكير
(٣٦٦ — ٤٠٣ هـ)

مات ركن الدولة فى نفس عام تولى قابوس وقسمت بلاده بــين أبنائه الثلاثة عضد الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولــة على نحــو أن صارت فارس وكرمان لعضد الدولة ومؤيد الدولة وهمدان وجزء مــن عراق العجــم لفخــر الدولــة •

وفى عام (٣٦٩هـ) طمع عضد الدولة ومؤيد الدولة فى ملك فخر الدولة واستخلصا منه همدان • فقدم فخر الدولة الى حمـاية قابوس فى جرجان فاستقبله بحفاوة وكرم ووعده أن يقوم لنجدته ويسترد له ملكه من أخويه • وعند ذاك أرسل عضد الدولة ومؤيد الدولة الى قابوس أن يترك فخر الدولة الرى اليهما مقابل خراج عام فرفض قابوس هـذا المقترح واعتبر قبوله مخالفا للضيافة والمروءة وأغلظ لهما فى رده وأصبح هذا ذريعة لغزو أخوى فخر الدولة طبرستان وجرجان •

ولما لم يستطع قابوس المقاومة هرب بعد حرب قصيرة بالقرب من (استراباد) الى خراسان فى جمادى الآخرة من (٣٧١هـ) ولحـق به فخر الدولة وخرجت عنهما جرجان وطبرسـتان ••

وكانت حكومة خراسان وامارة جيشها فى هذا الوقت لحسام الدولة أبى العباس تاش من طرف السامانيين ، وقد صدر اليه أمر نوح بن منصور باعادة قابوس وفخر الدولة الى بلادهما آمنين • فوجـه أبو العباس تاش أحد أتباعه وهو (فايق الخاصة) الى قومس واتجه هو الى جرجان وحاصر فيها مؤيد الدولة واستمر حصاره شهرين لكنه لم يستطع دخول المدينة بالرغم من انضمام فائق اليه • وفى النهاية تواضع مؤيد الدولة مع فائق وجنده ، بعد أن دفع له رشـوة طائلة — على أن يهربوا جميعا فى أول بداية القتال • وخرج مؤيد الدولة من جرجان فى رمضان من (٣٧١هـ) وحمل على جند تاش وقابوس وفخر الدولة • ولما انسحب فائق وأصحابه بناء على الاتفاق ولم يستطع تاش وقابـوس وفخر الدولة الثبات ولوا وجوههم منهزمين الى نيسابور ، ولم يحقق الجيش السامانى شيئا • واستمر قابوس فى حالة من التشتت بسبب تردى الوضع الداخلى للبلاط السامانى والمنافسة الشديدة بين حسـام الدولة تاش وفائق الخاصة ورؤساء الأسرة السـيمجورية حـتى عـام (٣٨٨هـ) ، ونتيجة لهذا بات قابوس من بعد حـكم أربعـة أعـوام (٣٦٦ — ٣٧١هـ) محروما من الامارة مدة سبعة عشر عاما (٣٧١ —

٣٨٨هـ) بعيدا عن ملك أبيه يعيش فى حماية آل سامان فى خراسان •

أما فخر الدولة فلما مات أخوه عضد الدولة فى (٣٧٢هـ) وأخوه مؤيد الدولة فى (٣٧٣هـ) قدم الرى بدعوة الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة(١) وخلف أخاه وسلك غير سبيل المروءة خلافا لقابوس فبدلا أن يساعده فى وصوله الى حكمه الضائع ، أناب أبا العباس تاش الـذى تحول عن السامانيين واحتمى به فى حكم جرجان • وكان المانع فى عودة قابوس الى جرجان والذى صرف فخر الدولة عن هذا الأمر هو وزيـره الصاحب بن عباد الذى لم يكن على صفاء مع قابوس •

وبقيت ولاية جرجان هكذا فى يد عمال آل بويه حتى عام (٣٨٨هـ) وظل قابوس منتظرا بخراسان مؤملا فى عون السامانيين وقواد جيشهم •

بعد موت الصاحب بن عباد فى (٣٨٥هـ) ووفاة فخـر الدولة فى (٣٨٧هـ) ظهر فى أحوال ديالمة العراق الضعف التام وتولى أمرهم ابن فخر الدولة الأصغر (مجد الدولة) • فأفاد قابوس من هذا الوضع ، ولما كان يائسا من عون آل سامان الذين صاروا فريسة الهـرج والمـرج والضعف الشديد انتوى أن يستعين برفاقه الديلم والطبريين ويستعيد جرجان من عمـال آل بويـه بنفسـه •

كان أول من تصدى لعون قابوس هو الاسبهبد شهريار بن شروين من رؤساء طبرستان وتمكن بسهولة من أن يتغلب على أخى زوج فخر الدولة وهو (رستم بن مرزبان) خال مجد الدولة وأخى (سيدة خاتون) أمه • واستولى على (آمل) أيضا اثنان من أتباع قابوس ثم أطبقا على

---

(١) الصاحب بن عباد المتوفى عام (٣٨٥هـ) من رجـال وكتـاب البويهيين ومن أهل الطالقان . لحق فى شبابه بخدمة ابن العميد ووزر لمؤيد الدولة البويهى . ويشتهر أكثر من السياسة بعلمه وأدبه وحدبه بأهل العلم والأدب والفضل ، وكان لا يقل عنهم ان لم يزد تمكنا فى علوم الأدب . وكان له مكتبة ضخمة بلغ عدد ما فيها أن ملأ عشرة مجلدات ، من آثاره كتـاب المحيط فى علـوم اللغـة العربيـة .

استراباد . وسعى فيروزان بن حسن بن فيروزان المعروف مرارا أن يستعيد استراباد لآل بويه من أتباع قابوس ولكنه أصيب بالفشل فى كل مرة . ونتيجة لهذا فتحت جرجان أيضا ، وعاد قابوس فى شعبان من (٣٨٨هـ) بعد سبعة عشر عاما من الفراق الى عرشه بدعوة أتباعه .

وزحف مجد الدولة بجيشه يعزم استعادة طبرستان وجرجان من قابوس مرتين ، لكنه أدرك فى النهاية أنه ليس كفوا لـه فاضطـر الى مصالحته ، خاصة وأن أخا فيروزان وهو نصر بن حسن الذى كان يحكم قومس من جانب الديالمة قبل عودة قابوس ثم طرده عنها أتباع قابوس قد سلك طريق العصيان ونهب أموال الرعية والظلم والجور وأوجـد فتنة كبرى ، وكان مجد الدولة يود أن يدفع شروره بيد قابوس . وهرب الى قهستان خوفا من مجد الدولة وضم الى جانبه أبا القاسم سيمجورى وحثه على مهاجمة الرى وأتى به وبأتباعه الى حوالى هذه المدينة . لكنهما لقيا هزيمة فادحة من قابوس ففرا الى السلطان محمود الغزنوى .

وقد وسع شمس المعالى فى فترة حكمه الثانية (٣٨٨ — ٤٠٣ هـ) من دائرة ملكه فى ناحية الغرب فقد استولى على رويان وجالوس وجيلان وأناب ابنه (منوجهر) فى حكمها . ولما زادت قوة السلطان محمـود الغزنوى وشوكته فى هذا الوقت بسبب استيلائه على خراسان أرسل اليه قابوس بطريق الحيطة التحف والهدايا وأظهر له الحب والاخلاص . ولكن هذا الصـفو دام فقط حتى (٣٩٠هـ) . لأن فى هذا العام ، عـلى النحو الذى سوف يرد فى تاريخ السامانيين بعد ، تكدر الصفو بينهما بسبب ثورة الأمير المنتصر اسماعيل بن نوح السـامانى على السـلطان محمود والتجأ الأول الى قابوس الذى استقبله بالاكرام ، ولـم يعـد الوداد كما كان الا بعد أن خلص قابوس من انحيازه الى الأمـير المنتصر ولم يسمح له بالقدوم الى جرجان .

قتل قابوس فى ٤٠٣ ﻫ : —

كان قابوس رجلا فظا غليظا سريع الغضب يحكم بالقتل بسهولة ، بل ويقتل بيده لأدنى المظنة كل برىء ، ولهذا تجرع من يديه جمع كثير مرارة الموت ورجفت قلوب المقربين اليه واستقرت الضغينة فى صدور غالب قواد جيشه ورعيته له ، الى أن قتل حاجبه الخاص وكان رجلا مسالما وديعا يحبه الجيش ، فثار الجند وأحاطوا بمقامه فى قلعة (جناشك) — بين جرجان القديمة واستراباد — ولكنهم لم يتمكنوا من القبض عليه فذهبوا الى جرجان واستدعوا منوجهر ابنه من طبرستان وأفهموه أنه اذا لم يتحالف معهم فى عزل أبيه فسوف يجلسون غيره على الحكم . فاستسلم منوجهر طوعا أو كرها وصاحب الجيش للقبض على أبيه فى بسطام حيث التجأ . وتلاقى الأب والابن فى هذا المكان . واعتزل قابوس الحكم برغم اصرار ابنه على قبول أمره واستعداده لدفع شر الجند ، وقبل أن ينزوى فى قلعة جناشك وينشغل بالعبادة . وعاد منوجهر الى جرجان وذهب قابوس الى جناشك ولكن الجنود لخوفهم من عودة قابوس وانتقامه انتهزوا فرصة وقتلوه فى نفس تلك القلعة فى (٤٠٣ﻫ) .

شمس المعالى قابوس أشهر أفراد الأسرة الزيارية لانه كان رجلا فاضلا وكريما محبا للفضل ومشجعا للشعراء وأديبا حسن الخط ، وكان دائم الاختلاط والمراسلة مع الفضلاء والعلماء فى عهده حتى فى أثناء غيبته فى خراسان وفقدانه للحكم وكان كثير الانعام والاكرام لهم ، فوصل صيت فضائله الى الأطراف والأكناف . وكان يجارى أفضل بلغاء اللغة العربية فى الانشاء العربى ، ومهر فى الشعر الفارسى والعربى ، وكان بلاطه مجمع الفضلاء والشعراء وكان يغدق عليهم فى عيدى النيروز والمهرجان(١) . ومن شعرائه المعروفين الحكيم أبو بكر محمد بن على

---

(١) النوروز أو النيروز هو اليوم الجديد أى الاول من كل عام شمسى فارسى ويصادف أول الاعتدال الربيعى (٢١ مارس) ويحتفل به

الخسروى السرخسى وأبو القاسم زياد بن محمد القمرى الجرجـانى اللذان مدحاه بالفارسية . وقد كثر الشعراء العرب والحاشية العربية عنده . وقد ألف العالم الجليل أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى كتابه الشهير (الآثار الباقية) عام (٣٩٠هـ) باسم قابوس ، وقصـده من خوارزم حبا له الحكيم والطبيب العظيم أبو على الحسين بن سينا ، ولكن قبل وصوله جرجان سمع بخبر القبض عليه وقتله ، فعاد آيسـا الى قزوين وهمـدان فى حمـاية آل بويـه .

٥ — فلك المعالى منوجهر
(٤٠٣ — ٤٢٣ هـ)

بعد قتل قابوس خلفه ابنه منوجهر ولقبه القادر الخليفة العباسى بفلك المعالى وكان أول عمل له بعد توليه القبض على قتلة أبيه ومعاقبتهم .

كان لمنوجهر أخ اسمه (دارا) حكم طبرسـتان قبله ، لجـأ الى السلطان محمود الغزنوى فى غزنة قبل قتل أبيه بفترة لسوء ظن وقع بينهما ، وكان يعيش فى كنف الغزنويين أملا فى الوصول الى الحـكم . وقد لقى الحظوة عند السلطان فى أول الأمر ، ولكن محمـودا الغزنـوى تغير عليه لجفاء قوله فى مجلسه فهرب الى والـى الكـرج . فأجـبر السلطان واليها على أن يسلم اليه دارا ، فلما وصله ألقى به فى السجن ،

= الفرس الذين يعتقدون أنه اليوم الأول للزمان كذلك بدأ الزمان به دورته . أما عيد المهرجان فيقع فى اليوم السادس عشر من شهر مهر الشهر السابع من السنة الايرانية الشمسية ويستمر احتفال الفرس حتى اليوم الحادى والعشرين ذكرى انتصار أفرويدون على الضحاك الذى قتل كثيرا من شباب ايران حتى يهدى بدهن رؤوسهم ثائرة ثعابين ظهرا على كتفه انتقاما من الله لظلمه الناس ، كما هو شائع فى أساطيرهم . انظر فى هذين العيدين وغيرهما من أعياد الفرس كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم للعلامة أبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى من ص (٢٥٣ — ٢٦١) طبعة جلال همائى عـام (١٣١٨ هـ.ش) .

وان عفا عنه بعد مدة ، لأنه كان يريد أن يجعله آلـة لتنفيـذ هدفـه فى السيطرة على جرجان وطبرستان بأن يصل به الى حكمهما • ولاح قتل قابوس للسلطان فرصة مناسبة لاتمام نيته ، لكن منوجهر بادر بارسال التحف والهدايا واعترف بسيادة سلطان غزنة عليه وطلب ابنته ليتزوج بها • وأصبح هدف محمود واقعا عمليا بسبب أن منوجهر نصبه الخليفة العباسى رسميا وقبل اطاعة السلطان فزوجه بابنته وعقدت بين الطرفين معاهدة مقتضاها قبول منوجهر لتبعية السلطان محمود •

وفى عام (٤٢١هـ) حينما مرض السلطان محمود مرض الموت سير منوجهر لمسعود خلفه رسولا خشية أن يتحول بعد موت أبيه عن عهده معه ويجعل من دارا أخيه الذى كان يتوقع فرصة ليستولى فيها على جرجان وطبرستان ، ألعوبة لتحقيق مقاصده فتمكن من تجـديد العهـد السـابق مع الغزنويين ، وبناء عليه لم يتعرض الغزنويون الـى بلاده ما دام منوجهـر حيـا •

وقع بين فلك المعالى منوجهر ومجد الدولة الديلمى صاحب الرى خلاف مرتين ، وكان منوجهر ينحاز الى أعداء مجد الدولة عداء له ، لكن هذه الخلافات ، التى سوف يشار اليها فى تأريخ أحـداث البويهيـين والغزنويين ، لم تؤد الى حرب حاسمة وكان الأمر ينتهى بالصلح • ومع أن فلك المعالى لم يكن فى مثل فضل أبيه شمس المعالى ، لكنـه سـار نفس سيرته فى اجتلاب الفضلاء واكرام الشعراء ، وأحدى مآثـره ظهور الشاعر الفارسى لشهير (منوجهرى الدامغانى)(١) فى عهـده والذى اشـتق تخلصـه من اسـم هـذا الأمـير الزيـارى •

---

(١) هو أبو النجم أحمد بن قوص بن احمد المنوجهرى الدامغانى المتوفى (٤٣٢هـ) من كبار شعراء القرن الخامس وعصر مسعود الغزنوى ممدوحه . كان هذا الشاعر على وقوف تام بالأدبين العربى والفارسى وافاد كثيرا من الأدب العربى معانى وأساليب والفاظا نادرة . ويعد مبتكرا لفن المسمط فى الشعر الفارسى وبارعا فى التشبيه والاستعارات خاصة فى وصف الطبيعة والشراب . وفوق الأدب كان على دراية بالطب والنجوم وتقـرأ الاصطلاحات الفلكية كثيرا فى اشـعاره

٦ — نوشيروان بن فلك المعالى

(٤٢٣ — ٤٣٥ هـ)

مات فلك المعالى منوجهر بجرجان بعد جلوس السلطان مسعود الغزنوى على عرش أبيه بعامين واشتهر أن خـــال فلك المعـــالى وهو (باكاليجار) كوهى بن ويهان(١) قائده ورئيس حجابه قد دسا له السم حتى يؤول الحكم الى باكاليجار ، لأن منوجهر لم يكن له وارث غير ابن صبى اســـمه نوشيروان •

أنفذ باكاليجار بعد موت منوجهر رسلا الى السلطان مسعود وطلب منه أن يعهد اليه بادارة بلاد فلك المعالى ، فقبل مسعود عرضه وتزوج بابنته بعد أن عقد معه معاهدة وقبض باكاليجار على زمام الأمور باســـم نوشيروان الصبى •

وفى الآونة التى خرج فيها مسعود الى الهند مجاهدا (فى عـــام ٤٢٥ هـ) سلك باكاليجار سبيل العصيان وامتنع عن دفع الخراج السنوى وتحالف مع جماعة من أعدائه فى الرى وأصفهان • وتحـــرك مســـعود فى ربيع الأول من (٤٢٦هـ) صوب جرجان ولما سمع باكاليجار بذلك أخـــذ معه نوشيروان بن فلك المعالى وتحصن بسارى ، فأتاها مسعود بعـــد تسخيره جرجان واستراباد ، فغادرها باكاليجار مرغما ومعه نوشيروان الى كجور وجيلان ، وكان مسعود يجد للقبض عليه حتى انتهى الى آمل • وفى جمادى الأولى من هذا العام تغلب على جيش باكاليجار فى (ناتـــل) احدى قرى عزب آمل وأسر قائد عسكره • ثم أمر مسعود بتحصـــيل

---

(٢) يخطىء البعض فيكتبون هذه الكلمة (باكالنجار) مع انها كلمة ديلمية ويبدو انها مركبة من كلمة (أبو) العربية وكلمة (كاليجار) الديلميه ومعناها الحرب ، وهى ترجمة لكلمة (ابو الهيجاء) و (ابـــو الحـــرب) العربيتين . وكان هذا اللقب متداولا بين الديلم وتلقب به بعض آل بويـــه (ســـياتى) .

المال جزافا من أهل آمل فلما عجزوا عن تسديده آذوهم عماله وجنده وارتكبوا فى حقهم قبائح كثيرة • وفى هذا الوقت وصل مسعـودا من حدود خراسان أخبار هجمات التركمان السلاجقة فصمم مسعود على ترك طبرستان وجرجان وقصد خراسان • وكان لباكاليجار ابن رهينـة مع السلطان مسعود ، فأرسل بابن له آخر له يطلب عفوه فأعاده مسعود الى أبيه بخلع وأبقى باكاليجار فى امارة طبرستان وجرجان على أساس المعاهدة السابقة وعاود رحلته الى خراســان •

وظل باكاليجار يحكم باسم نوشيروان بن فلك المعالى من وقـت أوبة السلطان مسعود عن جرجان حتى عام (٤٣٣هـ) أى لمدة سـبعة أعوام وتسلط على كافة أمور الدولة بعلة صغر سن نوشيروان • ولمـا هزم مسعود فى (٣٢٩هـ) على يد طغرل بيك السلجوقى وسقط الجزء الغربى للبلاد الغزنوية فى يد السلاجقة ، خلص من تبعية الغزنويين ، واعتبر نفسه مستقلا • لكن نوشيروان كان قد بلغ الرشد فى هذا الوقت فقبض على باكاليجار واسترد حكم أجداده وتخلص من قبضته وهدأ باله من هذا الأمر • ولكن طغرل السلجوقى كان قد اسـتولى فى هـذه الأيـام على خراســان والعـراق وكان بصدد السيطرة على طبرسـتان وجرجان • وتحرك السلطان السلجوقى قبل أن يبلغـه القبض عـلى باكاليجار للاستيلاء على هاتين الولايتين فى (٤٣٣هـ) ، وهرب نوشيروان الى سارى • وفى النهاية لم يجد بدا من قبول تبعيته لطغرل وتعهـده بأداء ثلاثين ألف دينار سنويا • وبقى فى امارته الاسمية تحت أمر عامل السلطان السلجوقى • واستمر هذا الحال حتى (٤٣٥هـ) حينما مات نوشيروان وتولى ابنه (جستان) • وبعد عام (٤٣٣هـ) الذى استولى فيه طغرل على جرجان وطبرستان عام انقراض أسرة آل زيار ، لانه بالرغم من أن أمراء هذه الأسرة كانوا قد فقدوا استقلالهم الواقعى قبل ذلك بفترات وكانوا يعيشون تحت حماية الغزنويين ، لكنهم كانوا يؤدون الخراج الى الغزنويين وحسب حتى سنة استيلاء طغرل فى حين أن طغرل

ارسل من بين أتباعه الديالمة من يسمى (مردآويج) لحـكم جرجـان وطبرستان ، فتزوج مردآويج هذا بأم نوشيروان ، فوقع الأخـير تحت مراقبة الأول من كل جهة وانصاع لأمره • ولا يعرف نهاية جسـتان بن نوشيروان ولا سنة وفاته •

أمـراء آل زيـار الآخرون

ان من اشتهر من الأمراء الزياريين لسـبب خاص فى تاريخ ايران اشتهارا جديرا هو الأمـير عنصر المعـالى كيكـاوس الـذى كان ابن الاسكندر بن شمس المعالى قابوس وليس يعرف بالضبط هل وصـل الامارة حقا ، وهو مؤلف الكتاب الأشهر (قابوسنامة) وقد وضـعه فى (٤٧٥هـ) هذا الأمير ككتاب نصح لتربية ابنه (جيلان شاه) • وكتـاب قابوسنامه أحد الكتب السامقة للنثر الفارسى ويمثل كمال المهارة والمقام العالى للأمير عنصر المعالى فى الفضل والأدب والاطلاع •

أسماء الامراء الزياريين وزمن امارة كل منهم

١ ـ أبو الحجاج مردآويج بن زيار	(٣١٦ ـ ٣٢٣هـ)
٢ ـ أبو طاهر وشمكير بن زيـار	(٣٢٣ ـ ٣٥٧هـ)
٣ ـ ظهير الدولة بهستون بن وشمكير	(٣٥٧ ـ ٣٦٦هـ)
٤ ـ شمس المعالى أبو الحسن قابوس أخو بهستون	(٣٦٦ ـ ٤٠٣هـ)
٥ ـ فلك المعالى منوجهر بن قابوس	(٤٠٣ ـ ٤٢٣هـ)
٦ ـ نوشيروان بن منوجهـر	(٤٢٣ ـ ٤٣٥هـ)
٧ ـ جسـتان بن نوشـيروان	(٤٣٥ ـ ؟)

الفصل الثالث

ديالمة آل بويه

(٣٢٠ — ٤٤٧ هـ)

أولاد بويه الصياد :

تم تأسيس دولة آل بويه بيد ثلاثة من الاخوة أبناء رجل جيلانى كان يصيد السمك اسمه بويه وأن أوصل ادعاء بعض المؤرخين القدامى نسبهم الى (بهرام جوبين)(١) فى قول ، أو الى (يزدجرد الثالث)(٢) الساسانى فى قول آخر • وكان الأخ الأكبر هو على والأوسط الحسن والأصغر أحمد • وحين ثار الدعاة العلويون فى جيلان

---

(١) بهرام جوبين قائد هرمز الرابع الذى اعتلى عرش الساسانيين عام (٥٧٩م) ، وقد زادت شهرته حينما غلب خاقان التركستان واسر ابنه ، وبعد انتصارات له خافه ملك ايران فارسله ليحارب الروم فهزموه فأهانه هرمز اهانة بالغة جعلته يثور ومعه جنوده وتحرك بهم الى طيسفون العاصمة فاثار اهلها على مليكهم ففر وقتل . ولما خلف كسرى برويز اباه ارسل الى بهرام يعده الوعود لكنه لم يسمع له فقصده مهاجما فهزمه بهرام وهرب برويز لاجئا الى الروم وجلس بهرام على عرش ايران وهو ليس من نسل الاكاسرة . بيد أن مجرد وصول كسرى الى العاصمة اعاد الى اذهان الناس فكرة أن الملك لا يصلح الا للاكاسرة لا لغيرهم فانفض عنه جنوده والناس مما ادى به الهزيمة والفرار الى الترك . ويحوز بهرام هذا فى الادب الفارسى مكانه الطامح العالى الهمة الذى بلغ الملك بكده وجهده لا بحسبه ونسبه وصار كل من يطمح الى الملك يتخذه مثالا وينتسب اليه (تاريخ ايران لحسن بيرنيا . طبعة تهران ١٣٤٦ ش ص ٢١٩ — ٢٢٢)

(٢) يزدجرد الثالث هو اخر كسرى ساسانى الذى اعتلى عرش ايران عام (٦٣٢هـ) وقد بدأت غزوات المسلمين لبلاده فى عهده وانتهى امره على أيديهم (٦٥٢م / ٣١هـ) .

وطبرستان على عمال الأمراء السامانيين كان على والحسن قد بلغا سن الرشد وانحازوا الى العلويين كأغلب الرؤساء الديالمة والجيليين ، ثم دخلوا فى البداية فى عداد أعوان ماكان بن كاكى قائدهم الديلمى ، وكانوا بجانبه ، كما مضى الشرح ، الى أن غلب ماكان على يد مردآويج وفر الى خراسان • وفى هذا الوقت ، أى فى حدود ٣١٦ – ٣١٧هـ ، لحق على والحسن كما مر فى تاريخ آل زيار مع جماعة من قادة الديلم بخدمة مردآويج • وقد أشرنا الى حياة أبى الحسن على وأبى على الحسن مع آل زيار حتى أيام بهستون وقابوس فى الفصل السابق ، وانما نشير هنا الى أنه بعد قتل مردآويج فى (٣٢٣هـ) وفرار الحسن بن بويه الذى كان عند مردآويج كرهينة من طرف أخيه على وحبسه الأمير الزيارى فى الأهواز ، أرسل على الذى استولى فى هذا الوقت على شيراز وفارس أخاه بجيش الى عراق العجم حتى يسيطر على ولايات مردآويج فى فى هذه المنطقة • وأخذ الحسن أصفهان بسهولة ، واشتعل النزاع ، كما فصلنا قبل ، ما بينه وبين وشمكير أخى مردآويج فترات من أجل السيطرة على قم وكاشان وهمدان والرى والكرج حتى جمع الحسن كل هذه الولايات تحت تصرفه ، وعلى أثر هذا دخلت فارس والموانىء والسواحل تحت امرة أبى الحسن على بن بويه وعراق العجم فى طاعة أبى على الحسن بن بويه •

وتقاسم على والحسن هذه البلاد بينهما ، ولكى يمكنا أخاهما الأصغر أحمد الذى بلغ سن الرشد والكفاءة فى هذا الوقت من التملك والحكم مستقلا أعطياه جيشا مجهزا ووجهاه لفتح كرمان • وهاجم أبو الحسن أحمد فى (٣٢٤هـ) كرمان وكان قسم منها بيد محمد بن الياس وقسم آخر بيد رؤساء البلوج ، ومع أنه فى حربه مع البلوج فى (جيرفت) بكرمان أصيب فى يسراه بضربة فصلت يده من مرفقه كما انفصل من يمناه أصبع ، الا أنه خرج غالبا وبهذا أضاف كرمان الى بلاد آل بويه •

أوضاع الخلافة عند ظهور آل بويـــه : —

بعد موت الخليفة العباسى فى (٢٩٥هـ) أنيب ابن المعتضد وكان عمره ثلاثة عشر عاما ، فى الخلافة ولقب بالمقتدر بالله ، وكان وزيـــره الساعى فى ذلك • ولما استاء الناس لاختيار هذا الصبى وندم الوزير على ما فعل عزل المقتدر فى (٢٩٦هـ) وخلفه عبد الله ابن الخليفة المعتز بلقب المرتضى بالله ، وقد اشتهر عبد الله بابن المعتز وبشعره وانشائه حتى أنه وضع علم البديع وعد من الشعراء المشهورين فى العربية • أما من سعى سعيا بليغا فى خلع المقتدر والوصول بابن المعتز الى الخلافة فقد كان الحسين بن حمدان من قادة الجيش وأخا (أبى الهيجاء عبـــد الله بن حمدان) أسس أولاد أبى الهيجاء بن حمدان فى حدود (٣١٧هـ) فى الموصل وحلب ، أهم ما فى الجزيرة والشام ، أسرة آل حمدان ، وقد دخل أفـــراد هذه الأسرة ، كما سنرى ، مع آل بويه فى صراع متصـــل الحلقات للاستيلاء على الولايتين المذكورتين وللتمكن من بغداد •

ولم تدم خلافة ابن المعتز ، الذى اشتهر بأنه خليفة اليوم الواحد أكثر من يوم لأن الحسين بن حمدان لعلة غير معروفة رحل عن بغـــداد الى الموصل صباح اليوم التالى لفتحه ، فأعان الأعوان المقتدر ، خاصـــة مؤنس الخادم ، مع جماعة من الجند على ارتقاء مسند الخلافة مـــرة ثانية وأمسكوا بابن المعتز وقتلوه بعد حبس يومين • وعفا الخليفة عن الحسين بن حمدان بشفاعة أخيه وأبقاه فى جيشه بعد أن خلع عليه •

وثار الحسين فى (٣٠٣هـ) فى الجزيرة على المقتدر فأرسل اليـــه أحد غلمان أبيه المعتضد واسمه (رائق) لقتاله ، فانهـــزم رائـــق من الحسين لكنه غلب وأسر بيد مؤنس الخـــادم ثـــم حبس فى بغـــداد • واستولى مؤنس الذى لقب بالمظفر من هذا الوقت على الخليفة المقتدر وأمور الخلافة استيلاء تاما حتى أن الخليفة أرسله للجهاد على حدود الروم (٣١١هـ) خوفا منه ولابعاده عن بغداد ، لكن مؤنسا المظفر عاد الى دار الخلافة وقد زادت شوكته بعد انتصاراته على حدود الروم •

وفى عام (٣١٥هـ) أمر المقتدر مؤنسا ثانية أن يتجه الى الشام وحدود الروم فتذرع مؤنس بعدم وصول الأعطيات لجنده وامتنع عن وداع الخليفة وهاج جنده ، لكن المقتدر أرضاه بنحو من الأنحاء وسيره الى مأموريته واستراح مؤقتا من شره .

وفى (٣١٦هـ) دار نزاع وقتال شديد فى بغداد ما بين هارون بن غريب القائد المعروف وابن خال المقتدر ورئيس شرطة بغداد ، وقتل هارون جمعا غفيرا من الشرطة ، وعلا أمره حتى أن الناس تصوروا أن الخليفة أصدر له مرسوما بتولى امارة الأمراء . فلما وصلت هذه الأنباء الى مؤنس وكان بالشام تحرك الى بغداد وصمم على فتحها بعون رئيس شرطتها وأبى الهيجاء بن حمدان . فأخرج المقتدر فى البداية هارون بن غريب عن بغداد ، خوفا ، ووجهه الى الشام ثم حاول استرضاء مؤنس المظفر ، ولكنه وأبا الهيجاء لم يرضيا ، وفى ١٢ من المحرم عام ٣١٧هـ دخلا بغداد وعزل المقتدر مرة أخرى من الخلافة وأصبح الابن الثانى للمعتضد أو أخو المقتدر خليفة بلقب القاهر بالله .

ولم يدم عزل المقتدر هذه المرة أكثر من يومين لأن الجند ثاروا على الفاتحين وقتل أبو الهيجاء ورئيس شرطة بغداد أعوان مؤنس ، وأعيد المقتدر مرة أخرى . وأبدى مؤنس وجه الوفاق للثائرين ، ولهذا لم يصب بأذى . وبعد أن عاد المقتدر للخلافة عهد شرطة بغداد الى ابنى رائق سابق الذكر (أبى بكر محمد بن رائق) وأخيه (أبى اسحق ابراهيم) وبقيا فى منصبيهما حتى (٣١٨هـ) . أما حكم الموصل فقد عهد به المقتدر بعد قتل أبى الهيجاء الى ابنه الحسن الذى لقب بعد بناصر الدولة وصار مؤسس أسرة آل حمدان .

وفى (٣١٩هـ) اصطدم مؤنس والخليفة ثانية لأن الخليفة نزع شرطة بغداد من ولدى رائق وأعطاها لمحمد بن ياقوت الذى لم يكن على وفاق مع مؤنس . وعلى أثر تهديد مؤنس للخليفة ، عزله من الشرطة

وعزل أباه ياقوتا من رئاسة الحجاب وأعطى العملين لولدى رائق وأرسل ياقوتا الى فارس وكرمان وابنه المظفر الى أصفهان ومحمدا — ابنا ثالثا لياقوت — الى سيستان ، وقد سبق ذكر حروب ياقوت وابنه المظفر مع مرداويج وأبناء بويه ٠

كان بلاط الخلافة فى هذا العهد محل تآمر ودسائس عدد من الحاشية ورؤساء الجيش بعضهم ضد الآخر وزالت قوة الخليفة بل كان يعدم المال فلا يستطيع ادارة الأمور ولم يكن يجمع المال بغير الارتشاء من الوزراء اذا أرادوا الوزارة أو بتجريمهم أو مصادرتهم ومصادرة ولاة ولاياته بعون الأمراء وقواد الجيش الأقوياء الذين صار بأيديهم مجرد آلة ٠

وأعاد القاهر محمدا بن ياقوت كسابق عهده فأثار هذا خوف مؤنس وأبى على ابن مقلة الوزير والخطاط المعروف وكانا عدوين لابن ياقوت فجعلا الخليفة تحت ضغط منهما شديد لأنهما كانا يشكلان حزبا قويا ٠ وفى النهاية احتال القاهر بعون جماعة من الجند على مؤنس وأمسك به ثم قتله فى (٣٢١هـ) وقتل معه جماعة من أصحابه وأعوانه وارتاح خاطره منه ٠ لكن ابن مقله الذى كان قد تخفى وكان دائما يحرك الجند من مخبئه ضد القاهر نجح فى النهاية أن يعزل الخليفة بعون جنده بعد سنة وسبعة شهور من الحكم وعين ابن المقتدر فى الخلافة بلقب الراضى بالله وقبض هو على زمام الوزارة ٠

أما أبناء رائق فقد ولاهم المقتدر فى (٣١٩هـ) البصرة وما حولها وانشغلوا بتوسيع أملاكهم وجمع الأموال ، وامتدت حدود أملاكهم فى عهد القاهر حتى الأهواز ٠ وظلت ادارة أملاكهم بأيديهم حتى استولى أبو الحسن على بن بويه عليها فى عهد الراضى الخليفة فى (٣٢٢هـ) كما مر بنا ٠ ولكن عندما تصالح أبو الحسن على مع الخليفة وعاد الى فارس أعيد أبو بكر محمد بن رائق ثانية الى ولايته السابقة فتحالف أبو بكر هذا مع ابن مقلة الوزير عدو محمد بن ياقوت ٠ وبعد هذا تمكن ابن

الوزارة مرة أخرى أنابهم فى عملهم السـابق .

وفى نفس هذه الأيام التى امتنع فيها ابن رائق عن ارسال الخراج الى بغداد رفض أبو عبد الله البريدى أداء خراج الأهواز أيضـا الى الخليفة وظل هذا الحال باقيا حتى استولى ابن رائق على بغداد واحتاج الى المال لاعطاء الجند أعطياتهم ولادارة دفة الأمور فتحول الى خراج الأهواز وسير بجكم رئيس جنده الأتراك لضرب البريدى . فاستخلص بجكم فى (٣٢٥هـ) الأهواز من البريدى الذى هرب ملتجئا بأبى الحسن عـلى بن بويـه .

فتح آل بويـه للاهواز فى (٣٢٦هـ) : ـ

أطمع البريدى ـ بعد وصوله الى عـلى بن بويـه ـ عليـا فى الاستيلاء على العراق العربى ، فوجه على أخاه الأصغر أبا الحسن أحمد الذى استولى على كرمان قبل عامين برفقة أبى عبد الله البريدى الى فتح العراق . فتقدم بجكم من الأهواز الى الى أرجان (بهبهان الحالية) لمنعهم لكنه لقى منهم الهزيمة فأخلى خوزستان وهـرب الى واسـط ليستمد أبا بكر بن رائق . واستولى أبو الحسين أحمد بن بويه على خوزستان بأجمعها . أما البريدى الذى لم يكن له غرض غير السيطرة فسرعان ما فر من أمام أحمد بن بويه و تحالف مع بجـكم واسـترد الأهواز . فأنجد أبو الحسن على أخاه من فارس وأعاد أحمد بن بويـه سيطرته الى الأهواز وفر البريدى منهزما الى البصـرة .

وأنفذ أمير الأمراء أبو بكر بن رائق لطرد أحمد بن بويه رسـولا الى بجكم المقيم بواسط ودعاه الى حرب ابن بويه وطمعـه فى حـكم الأهواز . لكن بجكم رفض دعوته وأعلن ثورتـه فقـد كان يفكـر فى السيطرة على بغداد وأخذ منصب ابن رائق . وتعاهد ابن رائق مع أبى عبد الله البريدى ووعده واسطا اذا طرد بجكم منها فقبل البريدى لطمعه وطلبه السيادة . لكن بجكم هزم البريدى بالقرب من البصرة بسهولة ،

مقلة من حبس محمد بن ياقوت وظل حبيسا حتى موته فزادت شوكة أبى بكر بن رائق وأصبح محط الأنظـار •

وبعد أن قتل الغلمان الترك سيدهم مردآويج فى أصفهان فى (٣٢٣هـ) هربوا خوفا من الديلم فالتجأت جماعة منهم بأبى الحسن على ابن بويه بشيراز واتجهت جماعة أخرى برئاسة (بجكم) الى محمد بن رائق بالأهوا • وقد امتنع محمد بن رائق مستظهرا بهؤلاء الترك من أداء الخراج والمال الديوانى فى (٣٢٤هـ) الى الخليفة وأرسل اليه أن هذا المال يلزمه لنفقات جنده •

ولم يستطع الخليفة ووزيره أن يفعلا شيئا مع ابن رائق وفى النهاية أقدم الراضى على ابعاد ابن مقلة عن الوزارة حيث كان رجلا بلا كفاءة يتلاعب به الجند وكان يعيش فى أزمات مالية لأن ولاة الأطراف كان يرفضون ارسال الخراج الى بغداد • وغير الراضى وزارته أكثر من مرة ولم يجد حيلة الا أن يستدعى أبا بكر بن رائق لأعمال الوزارة وزمام الأمور الأخرى • ودخل أبو بكر بن رائق بغداد بجيشه فى ذى الحجة من عام (٣٢٤هـ) ولقبه الخليفة بلقب (أمير الأمراء) •

واحدى الأسر المشهورة التى تدخلت فى هذه الأيام فى أمور الخلافة ونالت أهمية عظمى بسبب كفاءتها ومهارتها أسرة البريدى التى كانت ضامنة قبل هذا بفترات جمع أموال البصرة والأهواز • وقد بلغت هذه الأسرة ذروة مجدها أثناء وزارة ابن مقلة للمقتدر والراضى • وقد استطاع أحد أفرادها وهو (أبو عبد الله أحمد البريدى) فى عام (٣١٦هـ) أن ينيط نفسه بجمع خراج الأهواز بعد أن رشا الوزير بعشرين ألف دينار وتمكن هو وأخوان له من جمع أموال عظيمة بوسيلة القوة والتهور والمكر • ولم يتعرض لهم الخليفة القاهر بأذى رغم عدائه لابن مقلة وأتباعه فلم يمد يده الى شىء من أموالهم وساعدهم فى ذلك اختفاؤهم عن القاهر حتى انتهاء أمره • ولما عاد ابن مقلة الى

ولكنه لما كان يفكر فى الاستيلاء على بغداد والتغلب علـى ابن رائـق اعتذر للبريدى وصالحه بشرط أن يترك له واسطا بعد أن يستولى على بغداد • وطبعى أن يقبل البريدى هذا المقترح فتحالف مع بجكم ضد ابن رائـق •

أوضاع بغداد حين فتحها أحمد بن بويه : ــ

كانت أوضاع دار الخلافة منقلبة كما مر ، واشـتدت المنافسـة والخصومة بين الخليفة الراضى وابن مقلة الوزير وابن رائـق أمـير الأمراء عن ذى قبل ، خاصة وأن الوير وابن رائق كان يسعى كل منهمـا للتخلص من الآخر ولم يكن يرعوى عن أى وسيلة لقصر يده عن الأمور • وانتهى الأمر بابن مقلة أن دعا سرا بجكم من واسط من ناحية وشـمكير الزيارى من الرى من ناحية أخرى ليحلا محل ابن رائـق ، وحـرض الخليفة على القبض عليه ، ولكن الخليفة لم يكن يجرؤ على فعل ذلـك لخوفه من ابن رائق • وتمكن ابن رائق من الامساك بابن مقلة ، فبتـر يـده اليمنى ثـم لسـانه •

وفى نفس عام (٣٢٦هـ) استولى بجكم فى نهاية محاولاته عـلى بغداد وأجبر الخليفة على أن يعهد اليه بامارة الأمراء • فخرج ابن رائق عن بغداد ــ لكنه عاد اليها بعد قليل وتخفى فى مكان ما وظل به حتى تحين خروج الخليفة فى بداية (٣٢٧هـ) ومعه بجكم الى الموصل لحرب ناصر الدولة الحمدانى ، فظهر من مخبئه واستولى بعون أتبـاعه الذين جمعهم فى استتاره على بغداد • ولكنه لما كان يعلم أنه لن يسـتطيع مجابهة الخليفة وبجكم اللذين غلبا فى الموصـل ، آثر السـلامة • وفى النهاية استقر الأمر على أن يتولى ابن رائق حكم الولايات التى عـلى حدود الروم فى القسم الأعلى للفـرات فقبل وأخمد غائلته •

ولما ابتعد ابن رائق ترك بجكم واسطا الى أبى عبد الله البريدى كما وعده وأوزره للخليفة وأصهر اليه • وكان غرض الاثنين من هـذه

القربى والاتحاد هو أن يطبقا على بلاد أولاد بويه من الناحيتين وينتزعا منهم خوزستان وعراق العجم . ولهذا فقد أغار بجكم في (٣٢٨هـ) على حلوان وكرمانشاه . وكان البريدى يريد الهجوم على الأهواز ، لكن سرعان ما اصطدم الاثنان ، كما غلب جند بجكم أيضا في كرمانشاه . فأسقط بجكم البريدى من الوزارة واستعاد منه واسطا . وفر البريدى الى البصرة لينتظر الفرصة التى ينتقم فيها من صهره . وفى السنة التالية حرك جيشه من البصرة الى واسط وتقدم بجكم لمواجهته ، لكن أمير الأمراء أثناء المناوشات قتله كردى بينما كان يصيد ولحق جزء من جنده بالبريدى الذى تمكن من الاستيلاء على واسط وبغداد بيسر والوزارة أيضا . ولما كان قد أطمع الجند في المال الوفير ولم يستطع أن يوفى بعهده لم يجد غير الهروب الى واسط ، فاختار أتباع بجكم والبريدى أحد رؤسائهم وهو (كورتكين) ونصبوه أميرا للامراء . واغتنم ابن رائق هذا الوضع فأتى من الشام الى بغداد واستخلص منصبه الذى فقده وألقى بكورتكين في الحبس ، ولما كان ابن رائق يخشى مكائد البريدى طلب اليه أن يأتى بغداد ليستوزره . ورفض البريدى وأرسل أخاه بجيش عظيم الى بغداد واستولى عليها في منتصف جمادى الآخرة من عام (٣٣٠هـ) واحتمى ابن رائق والخليفة المتقى بناصر الدولة الحمدانى .

وتحرك ناصر الدولة مع المتقى وابن رائق صوب بغداد ليطرد عنها اخوة البريدى ، ولكن في الطريق اتفق أن سقط ابن رائق عن جواده فأمر ناصر الدولة بقتله وأفهم الخليفة أنه ما أقدم على قتله لولا أنه كان يعلم أنه كان يتآمر عليه . فشكر المتقى الى الامير الحمدانى وأعطاه امارة الأمراء ولقبه – في هذا الوقت فقط – بالقب ناصر الدولة ، ولقب أخاه عليا بسيف الدولة .

ولم يترك اخوة البريدى أثناء توليهم لبغداد ظلما أو اجحافا الا وألحقوه بالناس فلما سمعوا باقتراب ناصر الدولة والخليفة الى

بغداد تركوها هاربين ، ثم طردهم سيف الدولة عن العراق حتى حدود البصرة • وأراد سيف الدولة أن يضم البصرة فثار عليه جنـده الأتراك وأجبروه على الفرار ثم استولوا على بغداد تماما وأصبح رئيسـهم تـوزون أمـير الأمـراء •

وفى عام (٣٣٢هـ) حينما اتجه توزون والمتقى صوب الموصـل ، دعا اخوة البريدى أحمد ابن بويه ليأخذ العراق • فهاجمه أحمد عن طريق الديلم ، ولم يف اخوة البريدى بوعودهم نصرته ، فغلبه توزون بعد أن عاد من الموصل • ولما مات أبو عبد الله البريدى فى نفس تلك السنة بعد قتل أخيه وخضدت شوكتهم زادت قوة توزون زيادة عظيمة حتى أن المتقى احتمى بناصر الدولة بالموصل خوفا منه • لكن توزون أعاده الى بغداد بعد أن أقسم اليه بالأمان والصلح • وبعد ذا بيـوم سـمل عينيـه وأجلـس المسـتكفى مكـانه •

فتح أحمد بن بويه لبغداد والعراق فى (٣٣٦ ـ ٥٧هـ)

مات توزون بعد سنتين وأربعة أشهر من امارته فى المحرم (٣٣٤هـ) وصارت أوضاع دار الخلافة فى زمن خليفته نهب الهرج والمرج • وفى هذا الوقت كان أبو الحسين أحمد بن بويه بالأهواز فدخل والى واسـط تحت طاعته وأطمعه فى ملك العراق • واستولى أحمد بن بويه وبرفقته كاتبه الشهير أبو محمد حسن بن محمد المهلبى فى الحـادى عشر من جمادى الاولى من عام (٣٣٤هـ) على بغداد بدون قتال وأبدى احترامه للخليفة • فخلع عليه المستكفى ولقبه بلقب (معز الدولة) ثم لقب أخاه أبا الحسن على عماد الدولة وأخاه أبا على حسن بركن الدولة •

ومن هذا الوقت أيضا صار الخلفاء العباسيون طوع أمر الحكام من آل بويه تماما ولم يكن الديالمة بسبب تشيعهم يبدون لهم احتراما بل كانوا يعاملونهم بالشدة والاهانة حتى أن اثنين من رؤسائهم جروا

المستكفى من قصره بعمامة فى عنقه حتى مقام معز الدولة بعد استيلائه على بغداد بشهر ونصف الشهر تقريبا ، وأزالوه عن الخلافة ثم ألقوا به فى الحبس ثم أعموا عينيه وأجلسوا المطيع لله أو المطيع لمعز الدولة فى الحقيقة اطاعة تامة حتى أنه لم يسمح له أن يختار له وزيرا ولـم يترك له من كافة أملاكه الا ما يعيشـه بالكفـاف .

كان معز الدولة يقصد أن يزيل الخلافة العباسية ويبايع أحـد العلويين ولكن بعض الناصحين أفهمه أن هذا الأمـر ليس بالصـالح وقالوا له أن بنى العباس لأنهـم غصبوا الخلافة كما يعتقـد الشـيعة فبامكان الديلم أن يفعلوا بهم كل ما يريدون من عزل وقتل ، وليـس هكذا الحال مع العلويين لأنهم أصحاب الحق الوحيـدون فى الخـلافة ، فلا يمكن أن يعاملوهم معاملة العباسيين(١) .

وفى أواخر (٣٣٤هـ) اشتعلت الحرب بين معز الدولة الديلمـى وناصر الدولة الحمدانى . ومع أن الغلبة كانت لناصر الدولة فى البداية حتى أن جنده استولوا على قسم من بغداد لكن معز الدولة غلبه بالخدعة ففر الى الموصل ، ثم تصالح فى المحرم من (٣٣٥هـ) مع الأمـير الديلمى وأرسل اليه الخراج الذى كان قد منعه وتعهد له بأن يدفع الخـراج أيضـا كـل عـام .

---

(١) لو صدق هذا الراى ، فمعناه سوء نية البويهيين من البدايـة للمسلمين ونقصد بهم الرعية دون الخلفاء عباسيين كانوا أو علويين لانهم يريدون اولا واخيرا التحكم والجبروت والطغيان . ولكن الواقع أن البويهيين ماكانوا يفكرون فى انحاء أنفسهم وتولية العلويين وجعل انفسهم المحكومين لا الحكام والا لبايعوا العلويين حقا ، لانهم كانوا اولا وقبل كل شىء مثلهم مثل سائر حكام ايران العلويين مغالين لجنسهم الايرانى واجدين على العرب والاسـلام حانقين على من يحكم من دونهم يتسترون لبلوغ الحكم بالتشيع وبوجوب ابلاغ الحق لأهلـه وهم يكرهون العرب جميعا سـنة او شيعة ، وليس ما فعله أبو الحسـين احمد بن الناصـر الكـبير واخـوه أبو القاسم وما كان بن كاكى واسفار بن شيرويه الديالمة بالداعى العلوى الحسنى الصغير من معاداة وقتل ببعيد ، راجع أحداث هذا العلوى القتيل .

وفى عام (٣٣٦هـ) انتزع معز الدولة البصرة من أبى القاسم بن أبى عبد الله البريدى ، ثم رحل من البصرة الى خوزستان لملاقاة أخيه عماد الدولة والتقى به فى (أرجان) وقبل الأرض بين يديـــه ، فأعـــاده عماد الدولة الى بغداد بحـسب كبـــير .

وفى عام (٣٣٧هـ) هاجم معز الدولة الموصل ، ولم يثبت ناصر الدولة وفر الى نصيبين وسقطت الموصل فى يد الديالمة ، ولكن معز الدولة لما سمع أن وشمكير ومنصور بن قراتكين وجيش خراسان يقصدون أخاه ركن الدولة صالح ناصر الدولة مرغما وعاد الى بغداد ليمد أخاه .

سيطر معز الدولة على بغداد والعراق سيطرة تامة مدة تقارب الاثنين والعشرين عاما من عام (٣٣٤هـ) الذى استولى فيه على بغـداد حتى عام (٣٥٦هـ) حين توفى . وغزا فى هذه المدة مرات كثيرة أطراف العراق العربى من حدود آذربايجان والجزيرة حتى سواحل الخـليج الفارسى وعمان ، وانتصر فى أغلب معاركه . ومن بين هذه ، فى نفس عام (٣٣٧هـ) حين وقع أخوه ركن الدولة فى خطر عظيم لاحداق أعدائـه الكثيرين به ، أرسل نجدة لأخيه كما أنجده أخوه عماد الدولة من فارس . وكان أعداء ركن الدولة ، كما مر ، هم وشمكير بن زيار ومنصـور بن قراتكين قائد السامانيين فى خراسان وأحد رؤساء الديالمة هو (مرزبان ابن محمد بن مسافر) . وآل مسافر أسرة أخرى من الديالمة استولت من أواخر القرن الثالث الهجرى على مناطق شمال غرب قزوين وطارم زنجان واتصلوا بالديالمة الجستانيين ومحمد بن مسافر أول من نـال شهرة منهم اذ أنه عاصر أسفارا ومردوآويج وتمكن مردآويج بعون منه القضاء على أمر أسفار فى ٣١٦هـ .

وساء ظن محمد بن مسافر بابنيه (مرزبان) و (وهسودان) وكان رجلا فظا حقودا فرغب أن يتخلص من ابنيه هذين ، لكنهما علما بمؤامرة أبيهما فحبساه فى قلعة فى عام ٣٣٠ واستطاع مرزبان أن يســتخلص آذربايجان فى نفس العام وغزا منها حتى أرمينية .

وفى عام (٣٣٧هـ) أحدقت الصعوبات بركن الدولة الديلمى فطمع مرزبان بن مسافر فى الرى ولما كان معز الدولة قد أوهن من شأن رسوله أيضا ، تحالف مع ناصر الدولة ووعده الأمير الحمدانى بعون ، لكن مرزبان لم يحقق تكليفه له بهجوم بغداد واتجه قاصدا الرى • ولما وقف ركن الدولة على أحوال آل زيار أنفذ أبا منصور محمدا بن عبد الرزاق الطوسى الذى كان محتميا به فى هذا الوقت الى دفع مرزبان فأنزل هو والحسن بن فيروزان ومحمد بن ماكان بمرزبان هزيمة فاحشة واستصفى أبو منصور آذربايجان من يده ويد أبيه محمد بن مسافر وأخيه وهسودان ومكث فيها عاما •

أما معز الدولة فقد دخل فى حرب مرتين من أجل الخراج الذى كان ناصر الدولة قرر أن يدفعه اليه سنويا وامتنع عن أدائه ، احداها سنة ٣٤٧ والأخرى ٣٥٣ ، ودخل معز الدولة الموصل فى المرتين واستسلم له الأمراء الحمدانيون •

ومن أهم فتوحات معز الدولة فتح عمان سنة (٣٥٥هـ) التى استولى عليها بمدد من ابن أخيه عضد الدولة وضمها الى ممتلكات آل بويه وسوف نشير بعد الى هذه الواقعة •

وأثناء امارة معز الدولة على العراق العربى انتشر المذهب الشيعى فى بغداد والعراق انتشارا تاما وخرج الشيعة فيها من شدائدهم السابقة لاسيما وأن معز الدولة وفرقته كانوا لا يألون جهدا فى ترويج شعائر هذا المذهب الى حد أن الأمير الديلمى أمر فى سنة (٣٥١هـ) أن يكتب على أبواب مساجد بغداد لعن معاوية وغاصبى حق آل على وحث الناس على أن يقوموا فى العاشر من المحرم بتعزية شهداء كربلاء • ولم يجرؤ الخليفة العباسى ولا حاشيته من السنة بسبب تغلب معز الدولة وكثرة الشيعة أن يعادى هذه الاجراءات • ووزير معز الدولة هو « أبو محمد المهلبى » من الفضلاء وذوى الفتوة ومحبة الأدب ،

و (أبو الفرج الأصفهانى) صاحب كتاب الأغـانى المشـهور ممن كان يعتنى بهم ويربيهم • وقد وافت معز الدولة المنية فى الثالث عشر من ربيع الآخر سنة (٣٥٦هـ) وورث ملكه ابنه « بختيار » الذى لقب بعـز الدولـة •

موت عماد الدولة وامارة عضد الدولة فى ٣٣٨ هـ : ـ

كان الموت أسبق الى أبى الحسن على عماد الدولة من بقية أولاد بويه ولما لم يعقب وكان يقيم فى شيراز فقد أوصى فى مرض موته أخاه ركن الدولة أن يسير ابنه (بناه خسرو) الى فارس حتى يرثه بعد موته • ولما مات عماد الدولة فى جمادى الآخرة سنة (٣٣٨هـ) تملك بناه خسرو ابن ركن الدولة ملك عمه فى فارس والسواحل والجزاير التابعة لهـا ملقبـا بعضـد الدولـة •

وبسبب أن عماد الدولة كان أرشد أبناء بويه فكان بالنسبة لأخويه الآخرين بصفة الرئيس وأمير الأمراء وكان يتطامن اليه ركن الدولة ومعز الدولة بكل التجلة والاحترام ، وكان حال وفاقهم هذا واتحادهم هـو سبب فتحهم تلك البلاد وتكوينهم ذاك الملك العظيم •

ولما مات عماد الدولة انتهت الرئاسة وامارة الأمراء البويهية الى ركن الدولة الذى أخلص النية وأخوه معز الدولة الذى كان نائبا عن أمير الأمراء للأسرة البويهية فى بغداد والعراق لكى يقرا عضـد الدولـة فى فارس ويسبقا مخالفى تنصيب عضد لدولة لصغر سنه وكان لا يتعدى الثالثة عشرة فبعث معز الدولة وزيره بجند الى شيراز وشخص ركن الدولة بنفسه اليها من الرى ومكث فى فارس ما يقرب من تسعة شهور ولم يعد الى الرى الا بعد أن اطمأن على سلطنة ابنه •

تقسـيم ممتلكات آل بويـه : ـ

مات عماد الدولة من بين أبناء بويه الثلاثة كما ذكرنا عام (٣٣٨هـ) وخلفه ابن أخيه عضد الدولة ابن ركن الدولة • ومات معز الدولة أيضا

سنة (٣٥٦هـ) ووخلفه ابنه عز الدولة بختيار ، وظل ركن الدولة الأخ الأوسط حيا حتى (٣٦٦هـ) وقد نشبت بينه وبين أبى الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور قائد جيش خراسان من طرف الأمير نوح السامانى خصومة شديدة حتى المحرم من سنة (٣٥٧هـ) حين توفى وشمكير الزيارى بغتة كما مر شرحه فى الفصل السابق • وقد جعل ذلك أبا الحسن السيمجورى يحترز حرب ركن الدولة وان بقيت الخصومة بين ركن الدولة والأمير نوح السامانى حتى عام (٣٦١هـ) • وفى هذا التاريخ حث أبو الحسن السيمجورى الأمير نوحا على مصالحة ركن الدولة ، فاستقر الأمر على أن يؤدى الأمير الديلمى وابنه عضد الدولة مائة وخمسين ألف دينار سنويا للسامانيين فلا يتعرضون الى الرى وكرمان من متصرفات آل بويه • وتزوج نوح ابنة عضد الدولة وقد ظل هذا الاتفاق يحترمه ويرعاه الجانبان حتى أن مات ركن الدولة وبهستون سنة (٣٦٦هـ) •

وآخر وقائع فترة امارة ركن الدولة الهامة ، وقد حكم أربعا وأربعين سنة ، هى مقاتلته لحسنويه الكردى (٣٥٩هـ) • وقد كان حسنوية بن حسين من رؤساء قبائل الأكراد ، وقد بلغ قوة فى بلاد الأكراد فى حدود (٣٤٨هـ) الى حد أنه كان يتملك حتى حدود الدينور وهمدان ونهاوند ، وقد أفاد من انشغال ركن الدولة فى صراعه مع وشمكير وقواد جيش خراسان ، ولما كان حسنويه يمد ركن الدولة بجند من قبله ، فكان الأمير الديلمى يغض الطرف عن محاربته الا أنه فى (٣٥٩هـ) كثرت شكاوى اعتداءات حسنويه اليه مما جعله يسير وزيره الشهير أبا الفضل محمدا بن الحسين أو ابن العميد المنشىء البليغ المعروف بجيش لدفع حسنويه ، وقد رافق ابن العميد فى هذا السفر ابنه أبو الفتح على • ومات ابن العميد بالنقرس فى وصوله لهمدان فخلفه ابنه أبو الفتح • وطلب حسنويه الصلح اشفاقا فاكتفى أبو الفتح بأخذ مال منه وآب الى الرى حيث ركن الدولة فأقره فى وزارته ولقبه

بذى الكفايتين فى حين أنه لم يتجاوز الاثنين والعشرين سنة .

ومرض ركن الدولة فى أواخر (٣٦٥هـ) وقد ناهز السبعين فتحرك من الرى لاصرار أبى الفتح ذى الكفايتين الى أصفهان ليلقى ابنه الأرشد عضد الدولة ويعلن خلافته له رسما ، لانه لم يك راضيا على ابنه من فترة سبقت ولم يحل الصفاء بينهما بسبب مهاجمة الابن لبغداد ونزاعه مع عز الدولة بختيار كما سيأتى . وقد توسل عضد الدولة بأبى الفتح الوزير لكى يسنح لقاء بينه وبين أبيه فيرضيه عليه حتى لا يحرمه غضبه من خلافته وهو ابنه الأكبر ، ففصل أبو الفتح هذا الأمــر كما يجــب ، اذ جمع ركن الدولة وأبناءه الثلاثة وقواد الجيش الديلمى فى ضيافة كبيرة فى أصفهان وأعلن ركن الدولة فى هذا المجلس رسما أن أبا شجاع بناه خسرو عضد الدولة ولى عهده ووارث ملكه وجعل همدان والرى وقزوين وما جاورها لابنه الثانى أبى الحسن على فخر الدولة ، وأصفهان لابنه الثالث أبى منصور بويه مؤيد الدولة وأوصاهما ألا يعصيا أمر أخيهما الأكبر وألا يتخلوا عن الاتفاق والاتحاد اللذين كانا مستتبين بين أبيهم واخوته وكانا سبب ارتقائهم وعلو أمرهم . وبعد ذلك عــاد ركن الدولة الى الرى وفاضت نفسه فى المحرم (٣٣٦هـ) بهــا .

ومع أن ركن الدولة أوصى أولاده بالوحدة بعد أن ترك جميــع ولايات البويهيين تحت امرة عضد الدولة الا عقد انتظام هذه الولايات انفرط من بعد موته بسبب الخلافات التى نشبت بين أولاده من جهــة وللصراع الذى قام بين عضد الدولة وابن عمه عز الدولة وكان قد بدأ قبل موت ركن الدولة وانتهى الأمر الى أن تتفسخ ممتلكات أولاد بويــه الى أقسام رئيسة كبيرة ، وصار هذا الانقسام نفسه مقدمة لظهــور سلسلة من الحروب الداخلية بين أبناء ركن الدولة ومعز الدولةوأولادهم أدت فى النهاية الى ضعف أسرتهم ووهنها وهيأت أسباب انقراضهــا السريــع .

ا ـ ديالمة فارس (٣٣٨ ـ ٤٤٧ هـ)

أول أمراء الديالمة فى فارس فى حقيقة الأمر هو عماد الدولة أبو الحسن على الذى ذكرنا فيما سبق بالتفصيل استيلاءه على هذا الاقليم فى حدود (٣٢٠هـ) وفترة امارته التى بلغت احدى عشرة سنة • ولما أن عماد الدولة الذى كان فى أيام حياته أمير أمراء الديالمة وصاحب الرئاسة والقيادة على أخويه الآخرين قد حرم من الأبناء الذكور فقد طلب الابن الأكبر لأخيه ركن الدولة وهو عضد الدولة الى فارس وولاه عهده ، وصار عضد الدولة من بعد وفاة عمه أميرا لفارس وسواحلها وموانئها (٣٣٨هـ) واستقر على عرشها تحت رئاسة أبيه ركن الدولة وطاعة عمه معز الدولة •

١ ـ عضد الدولة بن ركن الدولة

(٣٣٨ ـ ٣٧٢ هـ)

أول واقعة هامة لامارة عضد الدولة هى غزوة لعمان فى عام ٣٥٥هـ بعون عمه معز الدولة الذى كان أدخلها فى العام السابق له تحت بيعته بدون حرب ، بيد أن فريقا من أناسها ثار على عامل معز الدولة وطردوه منها فسير معز الدولة فى السنة التالية وزيره من البصرة الى عمان فجمع هذا الجند الذى أرسلهم عضد الدولة سابقا الى ميناء سيراف (الطاهرى حاليا) ودخل بهم عمان وأخمد ثورتها وأدخلها مرة أخرى فى طاعة آل بويه • واستمرت عمان تحت طاعة معز الدولة حتى (٣٥٦هـ) حين توفى ، وقد خشى وزيره أن يستوزر عز الدولة واحدا غيره فترك عمان تحت تصرف عمال عضد الدولة وكر راجعا الى بغداد وصارت عمان من يومئذ من أملاك عضد الدولة وديالمة فارس وكرمان • وقد عاود عضد الدولة غزو هذه الناحية فى (٣٦٣هـ) أثر ثورة نشبت بها وأبقى سيطرته عليها •

استولى أيضا عضد الدولة على كرمان التى كان عمه معز الدولة قد فتحها ولكن أبا على محمدا ابن الياس وأبنـاءه كانوا لا يزالـون يحكمونها مدعين تحول حكمها اليهم ، فأزال عضد الدولـة آل الياس تماما منها وأناب عنه فيها ديلميا اسمه (كوركير بن جستان) وسيطر له هذا الأخير على هرمز ومكران أيضا ومد نفوذ عضـد الدولة حـتى حدود السـند .

وسيطر عضد الدولة كذلك على عراق العرب وبغداد فى (٣٦٤هـ) كما سنرى عند تأريخ أحداث عز الدولة الذى اسـتأسره الأول . ولـما سمع أبوه ركن الدولة بهذا الخبر ألقى بنفسه من على عرشه لشدة حنقه وأسفه وظل أياما لا يأكل ولا يشرب وركبه شديد المرض وشيع لعنـه على عضد الدولة وصمم أن يزيله من العراق اذا دخله بعون عز الدولة فارتعب عضد الدولة خاصة أن أكثر الناس تحول عنه لتغير والده عنه وعصاه قسم من الولايات ، فتوسل عضد الدولة بوزير أبيه أبى الفتح ذى الكفايتين كما سبق القول وقدم بتوسط منه اقتراحات لدى أبيـه كان فيها جانب التهديد والطمع فى أبيـه ممـا زاد الأب غضـبا . وفى النهاية لم يجد عضد الدولة فوتا من أن يطلق سراح عز الدولة ويعيده الى فارس فعاد الى مقامه الأول مرة أخرى . وقد عفا ركن الدولة كمـا رأينا عن ابنه بتدبير أبى الفتح الوزير وجعله قبل موته ولى عهـده وخليفته وأصبح عضد الدولة من عام (٣٦٦هـ) أمير أمراء جميع الديالمة .

وبعد عام واحد من موت ركن الدولة هاجم عضد الدولة بغداد مرة أخرى وهرب عز الدولة من أمامه الى الشام فخطب لعضد الدولة فى بغـداد وتقدم يتعقب ابن عمه الذى التجأ الى آل حمدان وفى تكريت فى ١٨ شوال (٣٦٧هـ) هزم عز الدولة وابن ناصر الدولة الحمدانى . وفى البداية أسر عز الدولة وقتله ثم أدخل بلاد الحمدانيين فى ملكـه واستولى على دياربكر والمنطقة بأعلى الفرات ومد حدود دولته حتى حدود الشام وعمت شهرة قدرته واقتداره على جميع البلاد الاسلامية .

وفى عام (٣٦٩هـ) تحرك عضد الدولة قاصدا أخاه فخر الدولة الذى كان يحكم على همدان والرى من قبل والده متذرعا بأن فخر الدولة قد انحاز الى عز الدولة فى صراعه معه بهدف أن يعاونه اذا حارب أخاه • وخشى فخر الدولة أن يجرى له ما جرى لعز الدولة فترك همدان وهرب لاجئا الى قابوس بن وشمكير فضم عضد الدولة همدان والرى وجمعها لأخيه الآخر مؤيد الدولة نائبا عنه ، ثم ألحق بهما ولايات حسنويه الكردى الذى كان معين فخر الدولة وجعل أحد أبنائه ويسمى بدرا حاكما من لدنه عليها • وفى عام (٣٧١هـ) هاجم عضد الدولة جرجان لأن قابوس رفض تسليم فخر الدولة فاستولى عليها وفر قابوس ومعه فخر الدولة الى خراسان وقد مضى ذلك فى تاريخ قابوس •

وفاة عضد الدولة فى (٣٧٢هـ) :

ومات عضد الدولة فى شوال من عام (٣٧٢هـ) فى سن السابعة والأربعين بمرض الصرع ودفن فى النجف بجوار على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانت مدة امارته على بغداد من تاريخ قتل عز الدولة بختيار خمسة أعوام ونصف عام •

ومع أن عضد الدولة لم يكن فى حسن سيرته وصفاء أخلاقه مثل أبيه وأعمامه الا أنه بسبب فتوحاته وبذله وعطائه وصلاته للشعراء واحترامه لأهل الفضل والأبنية التى شيدها قد عد أشهر ملك فى الأسرة البويهية ، وقد لقبه الخليفة بلقب (ملك) الذى كان يقال بالفارسية فى ذلك الزمان (شهنشاه)(١) ومدحه بضعة نفر من كبار الشعراء العرب من بينهم أبو الطيب محمد بن الحسين المتنبى بقصائد غراء ، وتجمع علماء كبار من مثل أبى على الفارسى من مشاهير علماء النجوم وعبد الرحمن الصوفى الرازى من كبار علماء الهيئة وعلى بن

---

(١) أصل الكلمة (شاهان شاه) اى ملك الملوك فخففت الى صورتها هذه •

عباس المجوسى من أجلة الاطباء فى بلاطه وكان عضد الدولة يفخر بتلمذته اليهم • وخلف عضد الدولة فى العراق وفارس أبنية كثيرة ذكرى عنه من بينها كثير من عمائر بغداد كانت قد خربت فعمرها وبنى على مشاهد شهداء كربلاء وقبر على بن أبى طالب قبابا وأبنية ، وأقام فى بغداد وشيراز المستشفى العضدى وصهاريج الماء وشيد السد المعروف بـ (بندأمير) على نهر (كر) لرى سهوب (كربال) فيما وراء أصطخر فارس •

٢ — شرف الدولة
(٣٧٢ — ٣٧٩ هـ)

ولما مات عضد الدولة أجلس الأمراء وقواد الجيش ابنه أبا كاليجار مرزبان بلقب صمصام الدولة مكانه • ووجه صمصام الدولة أخويه أبا الحسين أحمد وأبا طاهر فيروزشاه الى فارس لكى يحفظا مملكة أبيهم الأصلية وعاصمته من سيطرة أخ لهم ثالث هو أبو الفوارس شيرذيل(١) الذى كان يحكم فى كرمان بلقب شرف الدولة ، ولكن قبل أن يصلا الى فارس كان شرف الدولة قد دخل شيراز وجلس مكان أبيه وأسقط اسم أخيه من الخطبة ثم تحكم فى البصرة وأناب أبا الحسين أحمد فى حكمها من طرفه • وحين دفع صمصام الدولة بجيشه لطرده من شيراز ألحق شرف الدولة الهزيمة بجند أخيه واستقر فى المنطقة الأصلية لعضد الدولة •

وبعد وفاة عضد الدولة بنحو عام مات أخوه مؤيد الدولة أيضا فى الرى ، فدعا وزيره الصاحب اسماعيل بن عباد كما سيلى فخر الدولة الذى كان يعيش فى خراسان هائما على وجهه الى الرى وأجلسه مكان أخيه ، فحرك صمصام الدولة الخليفة على أن يرسل الخلع الى فخر الدولة وفعل مثل ذلك مع عمه وضمه الى صفه بهذا الترتيب وكسبعونه•

وفى عهد امارة شرف الدولة زلزل أبناء عضد الدولة الخمسة أساس

---

(١) شيرذيل النطق الديلمى لكلمة (شيردل) اى صاحب القلب الجرىء او الأسدى القلب (سياقى) .

وحدة دولة آل بويه الأنانية وطلب العلو والنفــاق ، ولــم يكن لفخــر الدولة عمهم تلك القدرة ولا الكلمة النافذة التى تمنــع اختلافات الأسرة الناشبة أو تحفظ الوحدة اللازمة ، ولهذا السبب كان يحكم كل منهــم ناحية من ممتلكات عضد الدولة فى خصام للآخرين ولا يــروم غــير أن يقضى على أخيــه •

وفى (٣٧٤هـ) خطب أبو الحسين أحمد فى الأهــواز وأبو طــاهر فيروزشاه فى البصرة لفخر الدولة وضربا العملة باسمه ولم يلتفتا الــى واحد من أخويه الآخرين شرف الدولة وصمصام الدولة ، ودخلــت عمان التى كانت جزءا من فارس فى حقيقتها وبعضا من ممتلكات شرف الدولة فى طاعة صمصام الدولة •

وفى السنة التالية ثارت جماعة من الجند ورؤساء الديالمة فى بغداد على صمصام الدولة ، وأعلنوا بيعتهم لشرف الدولة وأرادوا أن يجلسوا الابن الخامس لعضد الدولة وهو أبو النصر بهاء الدولة الذى لــم يكن يتعدى الخامسة عشرة من عمره فى نيابة شرف الدولة فى بغداد مكان صمصام الدولة ، لكن الأخير كان أســبق فأفنى رؤساء الثوار وألقــى ببهــاء الدولة فى الحبــس •

وفى عام (٣٧٥هـ) زحف شرف الدولة بحجة تخليص بهاء الدولة من الحبس ناحية العراق واستخلص الأهواز من أبى الحسين أحمد وفر الى الرى لعمه فخر الدولة • وتلقاه فخر الدولة باكرام أولا ، لكنــه أودعه محبسه عندما رأى فيه عزمه على الاستيلاء على أصفهان والثورة عليه ثم أمر بقتله وقت احتضاره •

وبعد أن تملك شرف الدولة الأهــواز ألحق بهــا البصرة أيضــا وقبض على أخيه أبى طاهر فيروزشاه ، فلم ير صمصام الدولة مهربا من مصالحة أخيه ، واستقر الاخوان على أن يخلص صمصام الدولة أخاه بهاء الدولة وأن يقدم شرف الدولة عليه ويدخل تحت طاعته على

أن ينوب عنه فى بغداد ويخطب باسم شرف الدولة .

ولم يدم هذا الصلح أكثر من عام اذ أن — فى (٣٧٦هـ) — شرف الدولة الذى لم يكن يفكر الا فى الاستيلاء على بغداد تقدم بجيشه من الأهواز الى واسط متذرعا بتخليص بهاء الدولة من قبضة صمصام الدولة ولم يكن قد أطلق سراحه حتى ذاك الوقت . فسير صمصام الدولة اليه أخاه بهاء الدولة خوفا ولما رأى اختلاف قواده الديالمة والترك فى أمر الهجوم أو الدفاع اختلافا تاما رأى صلاحه فى أن يذهب بنفسه الى أخيه ويسلم له . ودخل شرف الدولة بغداد وطرح صمصام الدولة فى السجن بعد حكم ثلاثة أعوام وأحد عشر شهرا وجلس مكان أبيه وعز الدولة ومعز الدولة .

ومن وقائع حكم شرف الدولة الهامة قتال جنده لبدر بن حسنويه الكردى فى (٣٧٧هـ) فى كرمانشاه وهزيمتهم منه هزيمة انتهت الى سيطرة بدر على الجزء الأكبر للعراق العجمى الغربى .

ومات شرف الدولة فى غرة جمادى الأولى (٣٧٩هـ) بعد حكم العراق عامين وثمانية أشهر ، لكنه أمر قبل موته بسمل عينى صمصام الدولة وكان محبوسا فى أحد قلاع فارس ، وتأمر أخوه الأصغر بهاء الدولة على العراق بعد وفاته .

٣ — بهاء الدولة
(٣٧٩ — ٤٠٣ هـ)

أرسل شرف الدولة فى مرض موته ابنه الأمير أبا على الى فارس لكنه قبل أن يصل شيراز ذاع خبر وفاته فأطلق حراس القلعة التى حبس فيها صمصام الدولة وأخوه أبو طاهر فيروزشاه سراحهما والتف جمع كبير من الديالمة حول صمصام الدولة ولما وافى الأمير أبو على شيراز حدثت حرب بين أتباعه وأصحاب صمصام الدولة وبقى

هذا الحال مدة حتى استدعى بهاء الدولة أبا على لحمايته فلما رحل ليلاقيه ، أبدى بهاء الدولة احتراما له فى بداية الأمر لكنه قبض عليه بعد قليل وقتله وصمم على الاستيلاء على فارس .

وفى (٣٨٠هـ) فتح بهاء الدولة خوزستان وألحق بجند صمصام الدولة الذين بقوا مستقلين فى فارس وخوزستان بعد موت أخيه أبى طاهر هزيمة . وفى النهاية تصالح صمصام الدولة مع بهاء الدولة واستقر الأمر على أن تكون فارس وبهبهان لصمصام وخوزستان والعراق العربى لبهاء الدولة ، وعاد الأخير الى بغداد بهذا الشرط .

وفى أوائل أيام امارة بهاء الدولة خرجت الموصل وبلاد آل حمدان عن يد عمال آل بويه (٣٧٩هـ) من ناحية ، وأخرج الأمير خلف بن أحمد الصفارى كرمان من قبضتهم (٣٨١هـ) من ناحية أخرى ، ولكن بهاء الدولة استعاد الموصل (٣٨٢هـ) ثم أعاد سيطرته الى كرمان هى الأخرى (٣٩٠هـ) .

وفى (٣٨٢هـ) استصفى صمصام الدولة خوزستان من يد بهاء الدولة ولم يستطع هذا الأخير بسبب ضعف جنده وعجزه المالى أن يدفع أخاه عنها وظلت خوزستان فى يد عمال أخيه سنتين حتى استردها بهاء الدولة (٣٨٤هـ) ثم تلقفها منه أخوه صمصام الدولة فى السنة التالية وتقدم هذه المرة حتى البصرة وضمها له . وظلت هذه المناطق محل نزاع دائم بين الأخوين الى أن قتل صمصام الدولة فى (٣٨٨هـ) بيد أحد أبناء عز الدولة بختيار وكان هذا انتقاما لمقتل عز الدولة بيد عضد الدولة أبى صمصام . واغتنم بهاء الدولة هذه الفرصة فاستخلص فارس وخوزستان من أيدى أبناء بختيار وخصوم آخرين وهكذا عادت فارس وخوزستان والعراق تحت امارة أمير واحد .

ومات بهاء الدولة فى (٤٠٣هـ) بعد حكم أربع وعشرين سنة بنفس مرض أبيه وهو الصرع فى (أرجان) وحمل نعشه الى النجف ودفن بجوار أبيه .

٤ — سلطان الدولة

(٤٠٣ — ٤١٥ هـ)

بعد موت بهاء الدولة خلفه ابنه أبو شجاع سلطان الدولة فى بغداد وفارس وترك البصـرة الى ابن أخيـه أبى هلال جلال الدولة وكرمان لاخ له آخر هو أبو الفوارس الذى تلقب بعد بقوام الدولة . وقد ساد بين الأخوة صفاء ظاهرى بضع سنين الى حين أن ثار أبو الفـوارس فى (٤٠٧هـ) بايعاز جماعة من كبار الديلم على سلطان الدولة ، ولما رأى شيراز قد خلت من أخيه طفق يهاجمها واستولى عليها . ولـم يـدم استيلاؤه عليها طويلا فسرعان ما أخرجه عنها سلطان الدولة وأراد أن يستخلص كرمان منه أيضا ، فاضطر أبو الفـوارس الى اللجـوء الى السلطان محمود الغزنوى الذى كان يقيم فى تلك الآونة فى مدينة بست بسيستان . واستقبله محمود بحفاوة وأرسل أحد قواده برفقته الى كرمان . وتمكن أبو الفوارس بعون الجند الغزنويين من كرمان وفارس الا أن سلطان الدولة خف من بغداد الى شيراز وأنزل بأبى الفوارس هزيمة فادحة واستعاد منه فارس وكرمان وفر أبو الفوارس الى همدان هذه المرة وحاكمها شمس الدولة بن مجد الدولة بن فخـر الدولة . وفى النهاية عفا عنه سلطان الدولة فى (٤٠٩هـ) وأعاده ثانية الى كرمان .

وفى عام ٤١١هـ تمرد الجند فى بغداد على سلطان الدولة وعزلوه من الامارة ونصبوا مكانه أخاه الأصغر أبا على مشرف الدولة والتجـأ سلطان الدولة بالأهواز ، وغلب حين عزم استرداد بغـداد من أخيـه ، وأسقط مشرف الدولة رسما اسمه من الخطبة فى دار الخلافة فى المحـرم ٤١٢هـ وخطب له . وانتهى الأمر بين الأخـين الى الصـلح فى السـنة التالية على شريطة أن تكون فارس وكرمان لسلطان الدولة والعـراق لمشرف الدولة .

٥ ـ أبو كاليجار مرزبان
(٤١٥ ـ ٤٤٠هـ)

ظل سلطان الدولة يحكم على فارس وقسم من خوزستان وكرمان بعد خلعه من امارة بغداد والعراق مدة ثلاث سنوات أخرى ولما مات فى (٤١٥هـ) خلفه ابنه أبو كاليجار مرزبان ولكن جماعة من الجند قامت مشايعة لقوام الدولة أبى الفوارس عمه الذى ولى كرمان من طـرف أخيه ودعته الى شيراز • وهاجم أبو الفوارس فارس مرتين ، هزم فى أولاها وفى الثانية أخرج جميع فارس عن يد ابن أخيه فى البداية لكنه غلب وانهزم الى كرمان واستقر أبو كاليجار فى شيراز فى (٤١٧هـ) • وفى السنة التالية هاجم أبو كاليجار كرمان وفر أبو الفوارس أمامه الا أن جند أبى كاليجار قد تأذوا من الحرارة تأذيا شديدا مما حدا به الى أن ينهى صراعه بالصلح مع عمه على أساس أن تصـير كرمـان لأبى الفوارس وفارس لأبى كاليجار وأن يدفع الثانى عشرين ألف دينـار لعمه خراجا • ودام هذا الصلح عاما وحسب لأن قوام الدولة لم يتخـل عن فكرة الاستيلاء على فارس وقتا واستقر عزمه أخيرا على أن يجمع جندا للسيطرة على شيراز فى (٤١٩هـ) لكن الموت فاجأه قبل أن يتحرك بجيشه • واشتهر أن رجاله هم الذين سموه لسوء سيرته وجوره ولما انتهى أمره استدعى رجال بلاطه وقواد جيشه أبا كاليجار لضبط كرمان فاستولى أبو كاليجار عليها بيسر وهدأ باله من ناحيتها الى حد ما •

أما من ناحية خوزستان والعراق فقد ظل النزاع قائما بين هذا الأمير وابن أبى على مشرف الدولة وخلفه أبو طاهر جلال الدولـة اذ أن جلال الدولة هذا كان اعتلى امارة العراق وخوزستان بعد موت أبيـه مشرف الدولة وذلك فى (٤١٦هـ) وكان مثل أكثر الديالمة من قبله الذين نازعوا الأمراء البويهيين فى فارس حكم البصرة والأهواز ، فدخـل مع أبى كاليجار فى عداء بسبب هذا الامر أيضا خاصة وأن جلال الدولـة

بعد موت أبيه رفض دعوة أهل بغداد للمسير اليها وظـل فى البـصرة لايريم فخطب أهلها لأبى كاليجار لكنه لم يستطع التحرك اليها هو الآخر بسبب انشغاله بحرب أبى الفوارس وخلت بغداد من وجود أمير وبقيت على وضعها هذا عامين آخرين وانقسم أهلها ما بين مشايع لأبى كاليجار ومبايع لجلال الدولة • وفى النهاية توجه جلال الدولة الى بغـداد فى (٤١٨هـ) بسبب قربه منها وانشغال أبى كاليجار بأمر كرمان ونصب أميرا عليها رسما • لكن انتخابه هذا لم ينه الهرج والمرج فى أحـوال العراق فكانت تتجدد فى الغالب الخصومات القديمة بين الجند الديلم والترك الى أن عصى الترك فى البصرة الملك العزيز أبا منصور بن جـلال الدولة فى (٤١٩هـ) ودعوا أبا كاليجار وكان قد اطمأن فى هذا الوقت من ناحية كرمان لضبط البصرة • ولم يتمكن جلال الدولة لعام أن يستردها منه ولكن فى (٤٢٠هـ) حين غزا أبو كاليجار (واسط) أنزل به جلال الدولة هزيمة شديدة وتملكها والأهواز أيضا • وفى العام تاليـه هـزم أيضا فى معركة أخرى واستعاد البصرة بعد استيلائه عليها ، وهكـذا ظل الحال على هذا المنوال وصراع الأميرين للسـيطرة على البصـرة والأهواز وسيادة بغدد حتى (٤٢٨هـ) • وكان جـلال الدولـة يقضى غالب وقته فى بغداد فى مصارعة شيعة أبى كاليجار حتى تصـالح فى السنة المذكورة هذان الاميران الندان ، ولكى لا يسلك أحدهما سبيل الخلاف ثانية ، زوج جلال الدولة ابنته لأبى كاليجار فزال الـنزاع بـين الطرفين •

ومات جلال الدولة فى شعبان من (٤٣٥) فى بغداد بعد حكم دام ستة عشر عاما وأحد عشر شهرا • ومع أن فريقا من الناس بايع ابنه الملك العزيز أبا منصور الا أن أبا كاليجار ضم اليه أكثر الجند مـرة بالوعد وأخرى بالوعيد وهكذا شغل مقام الدولة وفر الملك العزيز وما لبث أن مات بعد مدة من هيامه على وجهه بدون أن يستطيع أن يسترد منصب أبيه ، وضم أبو كاليجار مرة أخرى اليـه بلا نـزاع العـراق

الى خوزســتان وفــارس •

دامت امارة أبى كاليجار حتى (٤٤٠هـ) ودخل فى آخر أيام امارته فى ضرب وطعان مع أفراد أسرة كاكويه والقواد السلاجقة ، حين سيطر السلاجقة على الجزء الأعظم لايران وتمكنوا من أكثر بلاد آل بويــه • وأجبر أبو كاليجار فى (٤٣٩هـ) كما سيأتى فى تاريخ السلاجقة عــلى مصالحة طغرل السلجوقى وزوج ابنته لطغرل وزوج ابنه أبا منصور من ابنة جغرى بك أخى طغرل • وقبل ديالمة العراق من هذا التــاريخ فصاعدا فى الحقيقة حماية السلاجقة لهم •

٦ ـ الملك الرحــيم
(٤٤٠ ـ ٤٤٧هـ)

مات أبو كاليجار فى (٤٤٠هـ) فى سفره لتأديب عامله الثــائر فى كرمان فبايع أهل بغداد ابنه أبا نصر خسرو فيروز الذى تلــقب بالمــلك الرحيم • وكان لأبى كاليجار أبناء ادعى كل منهم الحكم ومقام أبيه حتى أن أبا منصور فولادستون(١) استولى على شيراز لكن الملك الرحــيم استأسر بعون أخ له هو أبو سعد خسروشاه فولادســتون وتمــكن من شيراز وحبس أخاه فى قلعة اصطخر وترك أرجان لأخيه الرابــع أبى طالب كامروا(٢) وضبط هو وأبو سعد بلاد أبيهما الى أن فر فولادستون من محبسه فى (٤٤١هـ) والتف حوله فريق من الديالمة ووفق فولادستون فى السيطرة على فارس ، وفى (رامهرمز) تغــلب على جنــد اخوتــه الثلاثة وأخذ الأهواز منهم لكنه أجبر على اخلائها لهم على أثــر ثــورة جنــده عليــه •

وفى (٤٤٣هـ) تغلب الملك الرحيم على اصطخر وشيراز ولم يجــد

(١) معناها العمود الفولاذى
(٢) أى الموفق

فولادستون بدا من طلب مدد طغرل السلجوقى فبعث طغرل من أصفهان جيشا كثيفا لعونه مما جعله يهزم الملك الرحيم بقسوة فتملك شيراز من أخيه أبى سعد فى (٤٤٥هـ) وخطب طغرل السلجوقى وأخيه الملك الرحيم وباسمه بعدهما ، ثم استولى على فارس .

وفى (٤٤٧هـ) طرد أحد قواد الديلم واسمه فولاد وكان حاكما لقلعة أصطخر فولادستون من شيراز وأسقط اسم طغرل من الخطبة وخطب للملك الرحيم وأبى سعد خسروشاه ولكنهما سرعان ما أدركا أنه يخادعهما ولذا فقد هاجم فولادستون وأبو سعد شيراز وأخرجا فولاد منها بمشقة بالغة واستعادا شيراز باسم الملك الرحيم .

وقع الملك الرحيم كما سنرى فى تاريخ السلاجقة أسيرا فى يد طغرل السلجوقى عام دخوله بغداد (٤٤٧هـ) وأمر الخليفة بالخطبة لطغرل وبهذا فان الملك الرحيم هو آخر ديالمة العراق ومع أن أخاه فولادستون عاش سنة أخرى وحكم على فارس حتى (٤٤٨هـ) فانه يجب اعتبار تاريخ أسره واسقاط اسمه من خطبة بغداد وهو بمثابة نهاية عهد امارة آل بويه فى بغداد التاريخ الواقعى لانتهاء هذه الأسرة . وكانت مدة امارة الملك الرحيم ستة أعوام وعشرة أيام .

ب — ديالمة العراق وخوزستان وكرمان

سقطت أملاك ديالمة عراق العرب وخوزستان وكرمان أى البلاد التى فتحت فى بداية الأمر بيد أبى الحسين أحمد معز الدولة ثم انتهت من بعده الى ابنه عز الدولة بختيار فى (٣٥٦هـ) كما رأينا فى يد عضد الدولة بن ركن الدولة بعد قتل عز الدولة فى (٣٦٧هـ) وخرجت عن أسرة معز الدولة ، وصارت هذه الولايات حتى (٤٤٨هـ) سنة أن طرد أحد رؤساء شبانكاره فولادستون من امارة فارس وكرمان مادة النزاع الدائم بين أبناء عضد الدولة وأحفاده فكانت كلها تقع تحت امرة واحد

منهم حينا أو يدخل جزء منها أو جزءان تحت طاعة أحدهم حينا آخر ، وليست ثمة ضرورة لتكرار شرح هذه المنازعات وتحول هذه الولايات من أمير لآخر فقد مضى ذلك فى ما ذكرناه فى تاريخ ديالمة الفرس ، ويكفينا أن نذكر أسماء الأمراء الديالمة فى العراق والأهواز وكرمان كما يلى : —

فى العـراق والأهـواز وكرمـان

١ — عز الدولة بختيار بن معز الدولة (٣٥٦ — ٣٦٧هـ)

٢ — عضد الدولة بن ركن الدولة (٣٦٧ — ٣٧٢هـ) والـذى مـلك من (٣٣٨هـ) فارس أيضـا •

٣ — شرف الدولة أبو الفوارس شيرذيل بن عضـد الدولـة (٣٧٢ — ٣٧٩هـ) وأيضـا ملك فارس •

٤ — بهاء الدولة أبو نصر أخوه (٣٧٩ — ٤٠٣هـ) وملك فارس كذلك •

٥ — سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة (٤٠٣ — ٤١٢هـ)

فى العراق فقط أو فى العراق وفارس معا

١ — مشرف الدولة أبو على بن بهاء الدولة (٤١٢ — ٤١٦هـ)

٢ — أبو طاهر جلال الدولة بن مشرف الدولة (٤١٦ — ٤٣٥هـ) •

٣ — أبو كاليجار مرزبان بن سـلطان الدولـة (٤٣٥ — ٤٤٠هـ) وملك فارس أيضـا •

٤ — الملك الرحيم بن أبى كاليجار (٤٤٠ — ٤٤٧هـ) وقد تمـلك فارس أيضـا •

فى كرمان فقط أو فى كرمان وفارس معا

١ ــ قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة (٤٠٣ ــ ٤١٩هـ)

٢ ــ أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة (٤١٩ ــ ٤٤٠هـ) وقد ملك فارس والعراق أيضا

٣ ــ أبو منصور فولادستون بن أبى كاليجار (٤٤٠ ــ ٤٤٨هـ)

ج ــ ديالمة الرى وهمدان وأصفهان

وكانت الرى وهمدان وأصفهان كما رأينا سابقا نصيب أبى على حسن ركن الدولة من بين أولاد بويه فى البداية ، ثم ترك هذا الأمير فى (٣٦٦هـ) قبل موته أصفهان من هذه الولايات لابنه أبى منصور بويه الملقب بمؤيد الدولة ، والرى وهمدان وأعمالهما لابنه الآخر أبى الحسن على الملقب بفخر الدولة ، ثم تعهدا له أن يطيعا أمر أخيهما الأكبر أبى شجاع بناه خسرو عضد الدولة الذى تملك فارس وكرمان .

وعلى هذا فقد توزعت أملاك ركن الدولة فى (٣٦٦هـ) بين ولديه مؤيد الدولة وفخر الدولة ، ولم يدم هذا الحال أكثر من ثلاث سنوات ، فنحن نعلم بالتفصيل أن عضد الدولة تحرك من بغداد عازما تأديب أخيه فخر الدولة بحجة أنه انحاز الى ابن عمهما عز الدولة بختيار فى النزاع الذى شب بينهما مما جعل عز الدولة يقصده مهاجما بعون فخر الدولة فخلى فخر الدولة أملاكه اذ لم يكن يحتمل مقاومة أخيه وكان يخشى أن يعامله أخوه بنفس ما عامل به عز الدولة . ورحل الى جرجان يحتمى بقابوس بن وشمكير . فضم عضد الدولة الرى وهمدان وسائر ولايات فخر الدولة الى أصفهان وترك فى كل ما سبق أخاه مؤيد الدولة خليفة عنه .

١ ــ مؤيد الدولة
(٣٦٦ ــ ٣٧٣هـ)

طرد مؤيد الدولة على نحو ما سبق شرحه فى تاريخ قابوس فى جمادى الآخرة من عام (٣٧١هـ) قابوس وفخر الدولة من جرجان الى خراسان بأمر من عضد الدولة وألحق جرجان وجزءا من طبرستان الى حوزته هو • وفى رمضان من نفس العام تغلب على قابوس وأبى العباس تاش قائد الأمير نوح بن منصور السامانى الذى قدم يعاون أعداءه ، وأيس فخر الدولة وقابوس بعد أن أخذا بلادهما لما رأياه من قوة مؤيد الدولة وعضد الدولة •

كان مؤيد الدولة يحكم كل العراق العجمى وجرجان وطبرستان من جانب أخيه عضد الدولة حتى سنة وفاة أخيه (٣٧٢هـ) • فلما مات أخوه استقل بكل هذه الولايات تماما وكان يديرها بتدبير وكفاية وزيره المشهور الصاحب أبى القاسم اسماعيل بن عباد (٣٢٦ ــ ٣٨٥هـ) من مشهورى المنشئين والبلغاء فى اللغة العربية ، وكان الصاحب الذى رباه أبو الفضل بن العميد المنشىء المشهور ووزير ركن الدولة رجلا كريما محبا للفضل معطاء بذالا للشعراء مشجعا لهم ، وكان يعيش فى كنفه فى الرى وأصفهان كل حياته جمع كثير من أهل البحث والعلم والشعر والأدب وكان ينشد الشعر باسمه ويؤلف له الكتب ، وكان الصاحب يجارى فى هذه السيرة منافسه ومعاصره شمس المعالى قابوس ويساويه وكان له مكتبة عدت فى أيامها بلا مثيل فى كثرة عدد كتبها وتميز نسخها •

٢ ــ فخر الدولة
(٣٦٦ ــ ٣٨٧هـ)

مات مؤيد الدولة بعد وفاة عضد الدولة بعام واحد فى جرجان ، ولما لم يختر مؤيد الدولة من يخلفه فقد حث وزيره الصاحب بن عباد كبار المملكة على طلب فخر الدولة من نيسابور ورفعه وهو أكبر أسرة

بويه وكان المالك الأول لهذه البلاد الى امارة أخيه • وقبل الجميع رأى الصاحب وقدم فخر الدولة فى رمضان (٣٧٣هـ) من نيسابور الى جرجان وتأمر وأبقى الصاحب فى وزارته مع ميله الى أن يعتزلها •

وفى نفس العام عزل أبو العباس حسام الدولة تاش الذى كان قد قام يحارب مؤيد الدولة بعون فخر الدولة من قيادة جيش خراسان وخلفه الأمير أبو الحسن سيمجورى ، فاستمد أبو العباس فخر الدولة وأرسل اليه فى نيسابور جندا غلب به أبا الحسن • وبعد أن غلب أبو الحسن سيمجورى على أمره مد يد التوسل لذيل شرف الدولة أبى الفوارس الديلمى أمير فارس • وكان أن أمده شرف الدولة لما كان يحفظه على فخر الدولة لانحيازه الى صمصام الدولة أخيه ومنافسه ، وتمكن الأمير سيمجورى بمعاونته أن يلحق بأبى العباس هزيمة نكراء الذى ركن الى الفرار الى جرجان عند فخر الدولة • واستقبله فخر الدولة باكرام تام وترك له عوضا عن خراسان جرجان واستراباد ومضافاتهما وكانت ملك شمس المعالى قابوس • وسلك بهذا فخر الدولة سبيل نكران الجميل وعدم المروءة لصديقه الوفى القديم قابوس الذى فقد امارته فى سبيله ومن أجله واقترب فخر الدولة أيضا بعمله هذا أكثر الى وزيره الصاحب بن عباد الذى كان على منافسة وعداء خاصين لقابوس •

وفى عام (٣٧٩هـ) حين مات شرف الدولة فى بغداد وخلفه بهاء الدولة شجع الصاحب بن عباد الذى كان يميل ميلا غريبا الى الاستيلاء على دار الخلافة ومن ثم وزارة بغداد فخر الدولة على غزو العراق ، ومع أن الأخير لم يكن راضيا بهذا الأمر الا أنه استسلم للقضاء فى النهاية لاصرار الوزير واستقر الأمر على أن يتجه فخر الدولة الى بغداد عن طريق خوزستان والصاحب بن عباد وبدر بن حسنويه الكردى عن طريق كرمانشاه ، ولكن الأمير الديلمى لما أساء الظن بالصاحب بن عباد وخشى أن يتحد مع ابن عضد الدولة ضم الوزير اليه قبل الأهواز

واشتد فى الطريق على جند الصاحب واشتد سوء الظن بين الطرفين فاختلت أحوال الجيش خاصة عندما طغى نهر قارون فى الأهواز وتشققت السدود ، فذهب ظن فخر الدولة أن ذلك بفعل وخديعة جيش بهاء الدولة فاضطر الى أن يخلى الأهواز ويؤوب الى الرى • وزال سوء ظنه بالصاحب تدريجا فوهبه وأصحابه مالا كثيرا ، وبقى الصاحب فى وزارته حتى يوم موته فى الرى فى (٣٨٥هـ) • ومع الخدمات التى أداها هذا الوزير الفاضل المحنك لفخر الدولة الا أن هذا الاخير بعد موته ضبط كل أمواله وصادر جميع أصحابه وجرمهم وأبقى بصنيعه هذا ذكرا قبيحا له •

٣ ـ مجد الدولة

(٣٨٧ ـ ٤٢٠هـ)

وبعد موت الصاحب بن عباد بعامين مات فخر الدولة فى قلعة طبرك بمدينة الرى ولأن أولاده لم يبلغوا سن الرشد تصدت زوجته (سيده خاتون) ابنه القائد رستم بن مرزبان لأمور الملك فنصبت ابنها ذا الأربع سنوات أبا طالب رستم الملقب بمجد الدولة على امارة الرى وخلافة زوجها وتركت همدان وكرمانشاه لأخيه الآخر أبى طاهر شمس الدولة •

وكان عام جلوس مجد الدولة مكان أبيه فخر الدولة هو نفس العام الذى خلف فيه محمود الغزنوى أبا سبكتكين فى امارة غزنة ، أما العام التالى له (٣٨٨هـ) فقد شهد استيلاء محمود على خراسان بصفته قائدا لجيش السامانيين من ناحية ، وعودة حليفه قابوس بن وشمكير بعد سبعة عشر عاما من ممانعة مؤيد الدولة وفخر الدولة الى امارة جرجان وطرده لعمال مجد الدولة منها • وهكذا فقد انحصرت مملكة مجد الدولة فى أوان جلوسه على عرشها بين ممالك ندين قويين الشكيمة

مثل محمود الغزنوى وقابوس الزيارى وتهيأ له خطر كبير منهما للمنافسة القديمة بين ديالمة الرى وآل زيار وقواد جيش خراسان • ولكنه ما دامت السيدة خاتون متسلطة على الأمور وتجرى مجريات الدولة برأيها وتدبيرها فقد سارت الأمور سيرا عاديا فلم يصدر عن قابوس ولا ولده فلك المعالى خلاف لمجد الدولة ولم يطمع السلطان محمود فى الرى • لكن مجد الدولة عندما بلغ سن الرشد سلك مسلك العصيان لوالدته واختار وزيره خلاف هواها ، فبدأت السيدة خاتون برحيلها الى قلعة طبرك ثم هربت منها الى بدر بن حسنويه وعادت بعونه وعون ابنها الآخر شمس الدولة الى الرى فى (٣٩٧هـ) الذى قبض على مجد الدولة وشغل مكانه وتأمر بامارته •

وغضبت السيدة خاتون بعد عام على شمس الدولة أيضا فأعادته الى همدان وأطلقت سراح مجد الدولة وأمرته تحت تصرفها • ومع أن شمس الدولة رام أن يغلب أمه وأخاه بعون بدر بن حسنويه لكن أمرا من هذا لم يحدث •

وكانت السيدة خاتون قد أنابت بعد موت زوجها فخر الدولة فى حكم أصفهان ابن خالها أبا جعفر محمد بن دشمنزيار الذى تلقب بعلاء الدولة ، وكان أبوه دشمنزيار خال السيدة خاتون يقال له بالديلمية (كاكويه) وتعنى (الخال) بالعربية ولهذا اشتهر علاء الدولة بانه ابن كاكويه وأبناؤه بديالمة كاكويه •

وكان علاء الدولة فى أصفهان حتى تاريخ فرار السيدة خاتون من الرى ولما هربت من أمام ابنها مجد الدولة أخلى علاء الدولة أصفهان أيضا والتجأ الى بهاء الدولة وظل عنده الى أن آبت السيدة خاتون الى الرى فعاد الى أصفهان مرة ثانية واستقر على عرشها •

وفى (٤٠٥هـ) استولى شمس الدولة على أملاك بدر بن حسنويه الذى ثار عليه جنده وقتلوه وتغلب على ابنه هلال الذى قدم يقاتل

شمس الدولة بتحريض سلطان الدولة وجمع مالا كثيرا لهذا ، ولما زادت قدرته تحرك الى الرى لينتقم من أمه وأخيه • وترك مجد الدولة وأمه الرى واعتصما بدماوند فاستولى عليها شمس الدولة لكنـه عـزم أن يتعقب أمه وأخاه فعصاه جند مجد الدولة فعاد شـمس الدولـة الى همدان ورجعت أمـه وأخـوه الى الـرى •

وحكم مجد الدولة حتى (٤٢٠هـ) فى الرى ولما ماتت أمه فى نهاية هذه المدة اختلت أوضاع بلاطه وعصاه الجند ولم يهتم مجد الدولـة كبير اهتمام بأمور الملك بسبب انشغاله بمتع الحياة مـرة وبمطالعـة الكتب مرة أخرى • وفى النهاية استعان بالسلطان محمود الغزنـوى لدفع سطوة جنده واستمده • فأنفذ محمود من أصحابه على الحاجـب بجيش الى الرى • وفى الرى قبض على الحاجب على مجد الدولة وابنه أبى دلف وكتب الى محمود عما عليه الامر ، فشخص محمود فى ربيع الآخر فى (٤٢٠هـ) الى الرى وأرسل منها مجد الدولة الى غزنة وبهـذا انتهت شعبة الديالمة فى الرى فى (٤٢٠هـ) على يد الغزنويين •

٤ ـ شـمس الدولـة
(٣٨٧ ـ حدود ٤١٢هـ)

سبق القول ان أبا طاهر شمس الدولة قد نصبته أمـه السـيدة خاتون فى نفس سنة وفاة أبيه فخر الدولة فى امارة همدان وكرمانشاه ، وجلس مكان أخيه مجد الدولة فى حكم الرى ما يقـرب من العـام فى (٣٩٧هـ) كما مر فى تأريخ أحوال أخيه المذكور • وفى (٤٠٥هـ) ضم الى ملكه بلاد حسنويه الكردى ، لكنه هزم فى هذا الوقت حينمـا أراد أن يخرج الرى أيضا من قبضة أمه وأخيه وظل باقيا أميرا على ملكه الأصلى حتى حدود (٤١٢ هـ) •

وترجع شهرته فى الأغلب فى تاريخ ايـران الى أن وزارتـه كانت

لبعض الوقت للحكيم والطبيب الشهير الشيخ الرئيس أبى على الحسين ابن سينا ، فبعد أن تحرك الشيخ من خوارزم فى حدود (٤٠٣هـ) وسمع بقتل قابوس ومكث مدة فى الرى وغيرها التحق فى حوالى (٤٠٥هـ) بخدمة شمس الدولة فى همدان وأوكل اليه هذا الأمير وزارته حتى أواخر مدته .

٥ — سماء الدولة
(حدود ٤١٢ — ٤١٤هـ)

آخر ديالمة همدان هو أبو الحسن بن شمس الدولة الذى هاجم فى (٤١٤هـ) حاكم (بروجرد) واسمه فرهاد بن مردآويج الديلمى فتوسل فرهاد بعلاء الدولة كاكويه والى أصفهان . فجرد علاء الدولة جيشه الى همدان واستأسر شمس الدولة وعامله باحترام وان حبس جميع الأمراء الديالمة فيها . وبعد فتح همدان سيطر على دينور وشابور خواست (خرم آباد الحالية) وبهذا تنتهى شعبة الديالمة بهمدان أيضا فى (٤١٤هـ) على يد أسرة كاكويه . أما بقية أحوال الديالمة الكاكوية الذين بدأ أمرهم فى امارة مجد الدولة كما أشرنا فسوف ترد أثناء تأريخ أحوال الغزنويين والسلاجقة ان شاء الله تعالى .

أسماء أمراء آل بويه وزمان امارة كل منهم

(أ) ديالمة فارس

١ ــ عماد الدولة أبو الحسن على بن بويه (٣٢٠ ــ ٣٣٨هـ)

٢ ــ عضد الدولة وتاج الملة أبو شجاع بناه خسرو بن ركن الدولة (٣٣٨ ــ ٣٧٢ هـ) •

٣ ــ شرف الدولة أبو الفوارس شيرذيل بن عضد الدولة (٣٧٢ ــ ٣٧٩ هـ) •

٤ ــ صمصام الدولة أبو كاليجار مرزبان بن عضد الدولة (٣٧٩ ــ ٣٨٨ هـ) •

٥ ــ بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة (٣٨٨ ــ ٤٠٣ هـ) •

٦ ــ سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة (٤٠٣ ــ ٤١٥ هـ) •

٧ ــ عضد الدولة أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة (٤١٥ ــ ٤٤٠ هـ) •

٨ ــ الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز بن أبى كاليجار مرزبان (٤٤٠ ــ ٤٤٧ هـ) •

ب ــ ديالمة العراق وخوزستان وكرمان

١ ــ معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه (٣٢٠ ــ ٣٥٦ هـ) فى العراق وخوزستان وفارس وكرمان

٢ ــ عز الدولة بختيار بن معز الدولة (٣٥٦ ــ ٣٦٧ هـ) فى العراق وخوزستان وفارس وكرمان •

٣ ــ عضد الدولة أبو شجاع بن ركن الدولة (٣٦٧ ــ ٣٧٢ هـ) فى العراق وخوزستان وفارس وكرمان •

٤ — شرف الدولة أبو الفوارس شيرذيل بن عضد الدولـة (٣٧٢ — ٣٧٩ هـ) فى العراق وخوزستان وفارس وكرمان •

٥ — بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة (٣٧٩ — ٤٠٣ هـ) فى العراق وخوزستان وفارس وكرمان •

٦ — سلطان الدولة أبو شجاع بن بهـاء الدولـة (٤٠٣ — ٤١٢ هـ) فى العراق وخوزستان وفارس •

٧ — مشرف الدولة أبو عـلى بن بهـاء الدولـة (٤١٢ — ٤١٦ هـ) فى العراق فقط •

٨ — أبو طاهر جلال الدولة بن مـشرف الدولـة (٤١٦ — ٤٣٥ هـ) فى العراق فقط •

٩ — أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة (٤٣٥ — ٤٤٠هـ) فى فارس من (٤١٥) وفى كرمان من (٤١٩) وفى العراق من (٤٣٥هـ فصاعدا) •

١٠ — الملك الرحيم بن أبى كاليجار (٤٤٠ — ٤٤٧هـ) فى العراق فقط

١١ — قوام الدولة أبو الفوارس بن بهـاء الدولة (٤٠٣ — ٤١٩هـ) فى كرمـان فقط •

١٢ — أبو منصور فولادستون بن أبى كاليجـار (٤٤٠ — ٤٤٨هـ) فى كرمان فقط (ومن ٤١٩ حتى ٤٤٠ هـ ضمت كرمان الى فارس) •

ج — ديالمة الرى وأصفهان وهمدان

١ — ركن الدولة أبو على حسـن بن بويـه (٣٢٠ — ٣٦٦هـ) فى كـل العراق العجمى وكرمانشاه •

٢ — مؤيد الدولة أبو منصور بويه بن ركن الدولة (٣٦٦ — ٣٧٣هـ) فى أصفهان ومن (٣٦٩هـ) فى الرى وهمدان وجرجان وجزء من طبرستان •

٣ — فخر الدولة أبو الحسن على بن ركن الدولـــة (٣٦٦ — ٣٨٧هـ) فى الرى وهمدان ومن (٣٧٣هـ) ملك الولايات مؤيد الدولة .

٤ — مجد الدولة أبو طالب رستم بن فخر الدولة (٣٨٧ — ٤٢٠ هـ) فى الـــرى فقط .

٥ — شمس الدولة أبو طاهر بن فخر الدولـــة (٣٨٧ — حدود ٤١٢ هـ) فى همدان فقط .

٦ — سماء الدولة أبو الحسن بن شمس الدولة (حدود ٤١٢ — ٤١٤هـ) فى همدان فقط .

الفصل الرابع

الصفاريون

(٢٤٧ — ٣٩٣هـ)

سيستان قبل قيام يعقوب : —

فتح المسلمون سيستان فى خلافة عثمان رضى الله عنه بين عامى (٣٠ و ٣٣هـ) ، ومع أن شعب هذه الناحية الجرىء قد ثار مرات الا أن عمال العرب وقوادهم كانوا يؤدبونهم فى كل مرة ، وأخذ نفوذ الاسلام والآداب العربية يزيد يوما بعد يوم ويتأصل فى هذا الاقليم(١) .

وبعد قتل عثمان والأحداث التى حدثت بعد من مثل عصيان معاوية وحرب صفين وحكم الحكمين واعتزال الامام الحسن الخلافة وشهادة الامام الحسين وحركات يزيد القبيحة الأخرى كالقتل العام فى المدينة المنورة وضرب الكعبة بالحجارة وظلم الحجاج وقتل مصعب بن الزبير وأخيه عبد الله — عدت جماعة من المسلمين كانت رأت أو سمعت بسيرة الرسول الطاهرة صلوات الله عليه وسيرة الخلفاء الأوائل كل هذه الأفعال مخالفة للاسلام وخارجة عن حد الانصاف والانسانية فسلكوا سبيل مخالفة خلفاء زمانهم وعمالهم ولحقوا بالخوارج الذين جمعهم بهم عقيدة واحدة هى تقبيح هذه الأعمال ، ولما كانوا فى شدة من جراء

---

(١) يلوح هنا آثار من شعوبية الفرس المحدثين ومن أنهم يعتبرون انتشار الاسلام فى اقاليم ايران استعمارا عربيا ، والواقع ان الاسلام وهو دين الله لكل الناس عندهم هو المرادف للقومية العربية وشتان ما بينهما كما يدلل بذلك الواقع الاسلامى والتاريخى .

ايذاء عمال بنى امية فقد كانوا يعتصمون دائما بالولايات البعيدة مثـل سواحل الخليج الفارسى وبحر عمـان وافريقيـة • وكانت كرمـان وسيستان أيضا لهم ملجأ مصونا الى حد مـا •

وفى أيام خلافة عبد الملك (٦٥ — ٨٦هـ) وحكومة الحجاج بن يوسف على العراقيين أطلع انسان من كبار العرب هو قطرى ، وكان شـاعرا وفصيحا وورعا ، أهل سيستان على مظالم الحجـاج وفسـاد أجهـزة الخلافة ، فبايعه جمع كبير منهم وقام بهم ثائرا ، ومـع أن الحجـاج أرسل جيشا يدفعه فلم يتمكن من هزيمته وقتل عدد كبير من جنـده فى هـذه الحـرب •

ومن هذا الوقت فظهور يعقوب بن الليث أى من ٨٢هـ الى ٢٤٧هـ كان للخوارج فى سيستان قدرة وتجمع كبيران وكانوا ينهكـون غالبـا حكامها وحينا كانوا يسيطرون على أمورها الى حد أنهم كانوا يمنعون ارسال الخراج من سيستان الى بلاط الخليفة • وأعلن بضعة نفر منهم الثورة وطردوا عمال الخليفة من سيستان وكرمان وخراسان •

وأكبر رؤساء الخوارج على نحو ما مر بنا فى تاريخ الطاهريين هو الأمير حمزة بن عبد الله الخارجى الذى خـرج فى (١٨١هـ) فى العـام الحادى عشر من خلافة هارون الرشيد وسيطر على سيستان وكرمـان وخراسان وكان تحت أمره وهو من أصل ايرانى ويدعى انتسـابه الـى الملوك الكيانيين(٢) من (١٨١ حتى ٢١٣هـ) سنة وفاته ما بين كابل حتى

(٢) الملوك الكيانيون خلفوا البيشداديين اول البشر فى أساطير الفرس واول البيشداديين هو كيومرث او كيومر فى الابستاق كتاب المجـوس الذين يعدونه آدم ابا البشر . وقاتل كيومرث الجان حتى قتلوه فخلفه ابنه سيامك الذى قتلته الجن أيضا ثم خلفه ابنه هوشنك . وخلف الكيانيـون هـؤلاء البيشداديين واولهم كيقباد حفيد منوجهر وكان قد لجأ الى الجبال وقت تسلط افراسياب التركى على ايران فأجلسه بطلها الشهير رستم على عرشـها . وخلفه ابنه كيكاوس فحفيده كيخسرو ولد سياوش وقد ثـأر كيخسـرو من افراسياب التورانى (التركى) لقتله اباه سياوش . ولم يرد تاريـخ هـذه الأسرة او التى قبلها الا فى الشاهنامات الأسطورية .

فارس وخراسان من خراج هـذه الولايات ما دام حمزة حيا وكان هو نفسه لا يأخذ من الناس شيئا خراجا •

ولما اشتد استيلاء حمزة وامتناع أموال الجزء الشرقى للبـلاد الاسلامية عن بغداد على هرون الرشيد تحرك الخليفة فى (٩١٢ م) الى خراسان لدفع حمزة • لكنه حينما بلغ جرجان نال منه المرض واليأس من دفعه فأرسل اليه فى صفر (٩١٣م) رسالة يعده فيه بالأمان والعفـو عما سبق منه بشرط تسليمه وقدومه اليه طائعا ، لكن حمزة أرسل اليـه جوابا معقولا يبرر فيه علل ثورته وهى لدفع الظلم وحده وقصر يـد الظلمة واجراء الأوامر الالهية وليست لجمع المال والمنال وتسخير البلاد ورفض تكليف هرون وحينما بلغ جواب حمزة هرون فى طوس كان الأخير فى مرض المـوت •

وقد عاش حمزة حتى أيام امارة طلحة بن طاهر الطاهرى وتحارب مرات معه ومع عماله حتى وافته المنية فى ٢١٣هـ أو قتل بقـول آخـر وتصرف الطاهرين فى سيستان ولم يكن بمكنتهم الاستيلاء عليها قبـل ذلك بسبب تحكم حمزة عليها • لكن قدرة الخوارج لم تنته بموت حمزة فولوا اماما آخر خلفا له واستمروا فى عقيدتهم بالاغارة أو بالجهاد •

ابتـداء أمـر يعقـوب : ـ

وفى زمان خلافـة الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ) وامـارة طـاهر بن عبد الله (٢٣٠ ـ ٢٤٨هـ) على خراسان وسيستان ثار فى (بستت) ـ ما بين سيستان وهراة وغزنة ـ رجل اسمه غسان بن النضر من كهار سيستان على حاكمها وكان ابن والى سيستان • فقبض عليه حاكم بست وقطع رأسه وصلب جسده • فأثار هذا الفعل أكثر الناس الذين كانوا يذكرون غسان بالخير ، وبعد قليل التفوا حول أخى غسان صالح بـن النضر الذى تابع الثورة ، ولقيت ثورته وثورة أصحابه هناك اهتمـاما

انتهى بهم فى (٢٣٢هـ) الى الاستيلاء على بست وفر من أمامهم حاكمها .

كان غسان وأخوه صالح ومثلهما جمع آخر من المسلمين جزءا من فرقة (المطوعة)(١) . وهذا اللفظ اصطلاح كان يطلق على الجماعة التى كانت تنهض عن ميل قلبى أو بطوعها للجهاد وقتال الكفار أو الخوارج وكانوا يحتسبون هذا العمل لله تعالى ، ولكى يضموا اليها الأشـياع فى ثورتهم كانوا يدعون (العيارين) اليهم من كل بلد . والعيارون طائفة من الناس فى كل بلد انحصر عملهم فى سلب القوافل ونهبها والاغـارة من مكان على مكان غيره . وقد تم أغلب انتصار صالح فى الاستيلاء على بست على يد عيارى سيستان وكان من بينهم ابن لصفار أو نحـاس اسـمه يعقـوب بن الليـث(٢) .

ومع أن يعقوب بعد وصوله للامارة والسلطنة قد أوصله البعض

---

(١) المطوعة اسم من أسماء العيارين وهم الفتيان اهل الفتوة الذين كانوا جنودا متطوعة او غير نظاميين يقاتلون مع من يدفع لهم . وكانت المطوعة تقاتل بدافع الايمان وحسب جهادا فى سبيل الله ، غير أن غالبيتهم كانـت سوقة . واول ذكر لهم اورده المسعودى (متوفى عام ٣٤٦هـ) فى كتابه مروج الذهب الذى ينتهى تاريخه له فى العقود الأولى للقرن الرابع الهجرى حين ثاروا فى اضطراب بغداد عند مبايعة ابراهيم بن المهدى فى غيبة المأمون عام (٢٠٢هـ) . (للتفصيل رسالة الدكتوراه للمترجم بمكتبة جامعة القاهـرة (جماعات الفتوة فى الأناضول فى العصرين السلجوقى والعثمانى فى مصادرها الفارسـية ص ٧٠) .

(٢) سبق ذكر أن العيارين حاربوا مع الأمين طاهرا بن الحسين قائد المامون وهم خليط من السوقة وأرباب الحرف والشطار ، والشاطر فى اللغة من أعيا أهله خبثا والعيار هو الكثير المجىء والذهاب الكثير التطواف واطلقت على الأسد والشجاع ، وقد دفع هؤلاء العيارين الى الثورة الدائمة ومناصرة من يغدق عليهم فقرهم واتصافهم بالمروءة والشجاعة وأخلاق الفتوة ولهـم آداب فى حربهم وحياتهم ، انظر المرجع السابق من ص ٢١ حتى ص ٣٥) وقد انتشرت جماعاتهم على طول بلاد المسلمين وعرضها واليها ينسب يعقـوب الصفار كما هو مذكور .

الى (كسرى برويز)(٣) الساسانى لكنه يبدو أن هذه النسبة والأصل كاذبان — وكان يعقوب غير معروف قبل حصوله على الشهرة وكان نسبه أيضا يجهله الجميع •

والمسلم به هو أن يعقوب ابن لأحد الصفارين السيستانيين من قرية تسمى (قرنين) على منزل واحد شرق زرنج عاصمة اقليم سيستان — وكان يعقوب هو واخوته الثلاثة (عمرو) و (طاهر) و (على) يتعيشون جميعا على شغل أبيهم •

وبعد مدة من الزمان ترك يعقوب قرنين الى مركز اقليم سيستان أى زربخ وقبل أن يعمل أجيرا لدى صغار بخمسة عشر درهما فى اليوم ، لكنه كان ذا فتوة وبذل فكان ينفق كل ما يكتسبه فى شبابه على رفاقه وأبناء مدينته وكان يكتسب اليه عوضا عن ذلك قلوبهم • ولم يسمح له فكره الفياض وهمته العالية أن يظل صفارا ويقضى عمره فى هذه الحرفة الحقيرة فدخل فى زمرة العيارين وقطاع الطرق مع أصحابه الذين جمعهم فى شبابه ، لكنه لم يتجاوز فى هذا السبيل بشهادة جميع المؤرخين جادة الانصاف ولم يتخل عن رعاية جانب الفتوة وبعد النظر فى سرقه وقطعه الطرق (١) • وظل حاله هذا الى أن التحق برفاقه بخدمة صالح السابق

---

(١) اشهر اكاسرة الساسانيين بعد كسرى انوشيروان وشهرته ترجع الى حروبه الطويلة مع هرقل الروم التى ذكرها القرآن الكريم أول سورة الروم فضلا عن قصوره وحريمه وأمواله وبذخه واسرافه وبقى عن ذلك قصص وحكايات خاصة حبه لامرأته السريانية (شيرين) فى الأدب الفارسى . اما الموسيقى عند المسلمين فتدين بالفضل فى الحانها ومصطلحاتها الى مغنيى بلاط هذا الكسرى واشهرهم باربد . (تاريخ ايران قديم لبيرينا ص ٢٢٦، ٢٧٧

(٣) لا يفوتن المؤلف أن يثنى على يعقوب ثناء المتعصبين من الفرس وأن يسبغ عليه صفات الفتوة وعلو الهمة وفيض الفكر مع انه كان صفارا ابن صفار سلك طريق السرقة وقطع الطرق والعيارية كما ذكر بنفسه ولم يرعو عن أعمال القتل والنهب لتحقيق أطماعه . ومما يجعله ويجعل ضرباءه يعلون من شأن هذا الصفار أنه يحتل فى اعتقادهم مكانة المخلص المحرر الذى حرر ايران كما يقولون من الاستعمار الاسلامى أو العربى وانبعث بشد من

الذكر واستطاع جمعهم السيطرة على مدينة بست • وعهد صالح الى يعقوب فى هذا الوقت قيادة جيشه ، وكان هذا أول شرع لأهمية هذا الشجاع السيستانى واعتباره •

ومن عام (٢٣٢هـ) حتى بداية (٢٣٨هـ) تسلط صالح بن النضر بعون يعقوب وعصبته على بست تسلطا كاملا • وفى العام الأخير بايع أهالى بست صالحا أميرا وتركوا اليه خراجهم •

وكانت رئاسة خوارج سيستان فى هذا الوقت لأحدهم ويدعى (عمار) فأنفذ صالح يعقوب وقائدا آخر من أهل سيستان هو (درهم) لحربه فهزما عمارا وغلباه وكان يعقوب هو المقدم على درهم ، فاتفق عمار مع حاكم سيستان وهاجما فى (٢٣٩هـ) صالحا • ومع أن صالحا قد انهزم فى أول الحرب الا أن كفتها رجحت الى جانبه بعون يعقوب وأخيه عمرو والقواد غيرهما من الساسانيين ، فغلب عمار وحاكم سيستان ،

ازر القومية الفارسية الجريح ويدفع عنها غائلة العربية والاسلام اذ انه أصر على أن يسقط الخلافة العباسية وبغداد لانها مركز العربية والاسلام وقد تحرك بجيشه — وسوف يلى هذا تفصيلا — لكن سهمه ارتد الى نحره وباء بالهزيمة (٢٦٢هـ) .

مع أن المؤلف وغيره من المؤرخين يجمعون على أن يعقوب واخوته وصالحا ودرهما وغيرهم من العيارية ما اجتمعوا الا على قتال الخوارج عن الخلافة العباسية وأعدائها الآخرين ، ولم يظهروا فى بداية حياتهم من قبل أن يتمكن يعقوب من أغلب ايران الا من أجل هذا الغرض وهو دفع أعداء الخلافة ، فكيف يتناسى يعقوب هدفهم الاولى هذا ثم يتجه لقتال الخلافة العباسية لانها بنيت فى رايه على الخديعة الا لمكر وأمر فى نفسه هو كرهه العرب والاسلام جميعا . والواقع أن يعقوب الذى يجسمه الفكر الايرانى فى صورة البطل المغوار والمخلص المنقذ ما احتل مكانته هذه فى نفوسهم الا انهم يجتمعون معه فى نفس حقده على الاسلام والعرب .

وقد أردف المؤلف فى استعراض صفات يعقوب مادحا لفظ الفتوة بلفظ العيارية ، وذلك لان العيارية تعنى بعض معانى الفتوة وتعد احد أطوارها التاريخية . والفتى فى اللغة هو الشاب والحدث والكامل الجزل من الرجال وهو السخى الكريم (لسان العرب) وهو فى القاموس المحيط الشاب والسخى انظر رسالة الدكتوراه للمترجم فى هذا صفحات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) .

واعتلى صالح كرسيها • لكنه حين طلب من جنده الاغارة على قصر والى سيستان ، رفض يعقوب ورفاقه السيستانيون قائلين ان صالحا قد أغار على أكثر من ألف ألف درهم من مال أهل سيستان والتفكير فى اغارة أخرى أمر يخالف الفتوة ويخالفها كذلك أن يسمح له أن ينهب قصر حاكمها السابق • فلما اطلع صالح على هذه الواقعة ركن الى الفرار • فجعل يعقوب وأخواه وجماعته يتعقبونه ووقعت بين الطرفين حرب شديدة ، انهزم فيها صالح وقتل طاهر أخو يعقوب أيضا (٢٤٤هـ) •

وبعد فرار صالح بايع الجند درهما وبقى يعقوب قائدا لجيشه وأظهر فى خدمته فى حروبه مع الخوارج والمخالفين غيرهم شجاعة وكفاءة عظيمة حتى استلب ألباب الجند كله وأرواحهم • ونفس درهم على يعقوب جاهه ومقامه فأمر فريقا بقتله ، لكن هذا الرجل السيستانى علم بهذه المؤامرة وصرع أعداءه وألقى بدرهم فى السجن وهو فذ وحيد ونصبه فى المحرم من (٢٤٧هـ) جيش سيستان وتبعها أميرا عليهم •

يعقوب بن الليث

(٢٤٧ — ٢٦٥هـ)

محاربة يعقوب لأعدائه فى الداخل : —

وبعد أن أختير يعقوب أميرا لسيستان انبعث ليقضى على من كانوا يناصبونه العداء والخلاف فيها • وكان أهم أعدائه فى هذا الوقت عمارا الخارجى الذى ترأس خوارج سيستان ثم صالحا الذى كان لا يزال يظن أنه صاحب القوة فى بست ، ودرهما الذى كان قد فر من قبضة يعقوب بينما كان يحارب الخوارج •

فى البداية تغلب يعقوب على درهم وبايع أتباعه يعقوب ، ثم أجلس فى (٢٤٨هـ) أخاه عمرا فى سيستان مكانه وأغار على بست • لكن صالحا أخلى بست وهاجم زرنج من طريق آخر وأوقع عمرو بن

الليث فى أسره ، فتحرك يعقوب معجلا الى سيستان واستخلص أخاه وهزم صالحا . واتجه صالح بعد هذه الهزيمة الى حدود كابل ولجأ الى ملك القسم الشرقى من أفغانستان الحالية وكان مشركا ويطلق عليه وعلى غيره لقب (رتبيل) وحالفه على حرب يعقوب (١) .

وقد جرت الحرب بين يعقوب وصالح وحليفه فى (٢٤٩هـ) عنى مقربة من بست . وقد ساء الموقف فى البداية بالنسبة ليعقوب ، لكن الأمير السيستانى حمل حملة صادقة فأورد رتبيل مورد الغلبة والهلاك فولى أعداؤه فارين . وقد استأسر يعقوب فى هذه الواقعة نحو ثلاثين ألفا من الجنود وغنم كثيرا منها أربعة آلاف جواد وانضم اليه كثير من أصحاب صالح ورتبيل .

وأرسل يعقوب فور هذا النصر من يتعقب صالحا فأسره وصفده وظل بحبس يعقوب الى أن وافاه أجله فى (٢٥١هـ) .

أما عمار الخارجى فقد أصابه المقتل فى حربه مع يعقوب فى (٢٥١هـ) وأمر يعقوب فعلق رأسه على بوابة وجسده على بوابة أخرى فى مدينة سيستان ، وزالت بموته شركة الخوارج الأولى فدخلت أكثريتهم فى طاعة يعقوب بن الليث الصفار وخدمت فتنهم .

فتح هراة فى ٢٥٤ هـ :ـ

توجه يعقوب الى فتح هراة فى (٢٥٣هـ) بعد أن سلمت له سيستان وجزء من أفغانستان الحالية ، وكانت هراة تعد بوابة خراسان

---

(١) فى تاريخ ايران يقابل دراسة القاب ملوك البلاد التى اتصلت بها وملوكها على مدار تاريخها الطويل ، منهم (رتبيل) شرق أفغانستان الحالية ، و (راى) الهند و (فغفور) الصين هذا فى الشرق ، اما فى الغرب (قيصر) الروم و (ملك) العرب . أما لقب ملك ايران فهو (خسرو) تعريبه (كسرى) وكان يطلق على نفسه (شاهنشاه) أى ملك الملوك فهو رئيس الملوك او ولاة ولايات ايران ولقب كل منهم (شاه) أى ملك . وقد سمى محمود الغزنوى مؤسس الدولة الغزنوية والذى سيرد تفصيل تاريخه (السلطان) وكان أول من سمى نفسه بهذا اللقب

الشرقية . وكانت هذه المدينة مثل سائر ولايات خراسان فى هذا الوقت ضمن ملك آل طاهر وكان يحكمها منهم الحسين بن عبد الله بن طاهر من جانب الأمير محمد بن طاهر الثانى آخر أمراء هذه الأسرة .

ولما أغار يعقوب على هراة أغلق الحسين بن عبد الله المدينة أمام المهاجمين فاضطر يعقوب الى حصارها — وبعد فترة من القتال تملك يعقوب هراة وصاحبها . فأرسل الامير محمد الطاهرى قائد جيش خراسان ابراهيم بن الياس بن أسد السامانى بجيش الى بوشنج لدفع يعقوب ، فترك الأخير أخاه عليا على هراة وأسرع الى ابراهيم وهزمه واستخلص بوشنج منه أيضا .

وقدم ابراهيم منهزما الى نيسابور عند الأمير محمد وأفهمه أن صلاح أمره فى استمالة يعقوب وترك قتاله ، فسير محمد وكان ضعيفا لقفل طريق يعقوب الى خراسان مرسلا اليه بالتحف والهدايا وترك له رسما حكومة فارس وكرمان وسيستان وكابل . ورجع يعقوب الى سيستان بالسرور والانتصار وأقام شعبها الافراح عند وصوله ومدحه الشعراء بالعربية والفارسية (٢) وصار يخطب له من هذا الوقت .

استيلاء يعقوب على كرمان وفارس فى ٢٥٥ هـ : —

كان يعقوب يردد قوله علينا نحن آهل سيستان أن نحفظ سيستان من شر الأجانب ، وفوق ذلك نزيد على اتساعها ونضم اليها الولايات التى على أطرافها وأكنافها ولهذا فقد اتجه فكره الى الاستيلاء على البلاد بعد

---

(٢) قيل ان احد الشعراء انشده شعرا بالعربية فلم يفهم او استنكف ذلك فانشأ وزيره محمد بن وصيف السجزى ينشده شعرا بالفارسية عد أول ما قيل نظما بالفارسية فى راى بعض المؤلفين كصاحب تاريخ سيستان . وعامة فى أول من قال الشعر الفارسى بعد الاسلام انظر ما أورده محمد العوفى فى كتابه لباب الالباب المؤلف فى أوائل القرن السابع الهجرى ، باهتمام ادوارد بروان ، مطبعة بريل بليدن (١٩٠٦م) ص ٢١ ، وانظر فى حادثة وصيف السجزى ما تحت عنوان (رفتن يعقوب بهراة وكرفتن هرى) ص ٢٠٨ وما بعدها من كتاب تاريخ سيستان نشر ملك الشعراء بهار فى طهران عام ١٣١٤ هـ . ش .

أن دفع أعدائه بالداخل وتوجه الى كرمان وفارس قبل غيرها •

كانت كرمان اسما فى هذا التاريخ جزءا من بلاد آل طاهر ، ولكن بسبب ضعف الأمير محمد الطاهرى فلم يك لهذه الأسرة فيها أدنى نفوذ • وطمع والى فارس على بن الحسين بن قريش من طرف المعتز الخليفة فى كرمان ، ولما كان الخليفة يخشى من على هذا بسبب عصيانه استيلاءه على خوزستان والعراق فقد أمره بالسيطرة على كرمان ، وأرسل بنفس الأمر الى يعقوب الصفارى أيضا هادفا الى أن يتولد العداء والقتال بين على ويعقوب وكان كلاهما يتظاهر بطاعة الخليفة ويبطن العداء له فيستريح من شر الاثنين •

أرسل على من جانبه بقائد على خمسة آلاف فارس هو طوق بن المغلس الى كرمان فاستولى عليها قبل وصول يعقوب اليها • وعلم يعقوب بخبر هذا الاستيلاء عندما اقترب الى كرمان فاضطر أن ينزل قبلها بمنزل ومكث بمنزله ما يقارب الشهرين فلم يبادر بالهجوم عليها ولم يتحرك طوق لدفعه • وفى النهاية أظهر يعقوب أنه بصدد العودة الى سيستان وابتعد عن كرمان بمنزلين واعتقد طوق أن يعقوب انصرف عن مهاجمة كرمان فترك أمور الحرب وانشغل باللهو واللعب ، فطوى يعقوب المنزلين اللذين كان قد سارهما فى يوم واحد وبلغ كرمان واستبى طوقا واستخلص كرمان •

وسمع على بن الحسين بخبر هزيمة طوق وأسره فجمع جندا وكمن فى مضيق فى طريق يعقوب الى شيراز لكنه لم يستطع أن يغلب جلادة الامير السيستانى وتدبيره ، فقد هزم يعقوب جيشه بيسر وأسر عليا نفسه — ودخل شيراز فى ١٤ جمادى الأولى من (٢٥٥هـ) • وقد اغتنم فى فتحه هذا غنائم كثيرة حتى أن كل جندى من جيشه ناله ثلاثمائة درهم • وعاد يعقوب الى سيستان مظفرا بعد أن أرسل الهدايا من شيراز الى الخليفة المعتز •

فتح كابل فى ٢٥٦ هـ : —

وبعد عودة يعقوب من فارس أدخل الخليفة المعتز هذه الولاية فى طاعته مرة أخرى ، فغضب يعقوب بسبب أن خراجها يحمل الى بغـداد وليس الى سيستان وكان يفكر فى أن يعود اليها ثانية لولا أنه سمع أن ابن رتبيل سابق الذكر الذى ألقى به فى سجن بست قد نجح فى الفرار منه وجمع جيشا كثيفا يطلب به دم أبيه واستولى على الرخج (الرّخد) من البلاد القريبة الى كابل وأعلن استقلاله •

وبلغ يعقوب رخج فى ذى الحجة من (٢٥٥هـ) وهاجم كابل فى تعقب خصمه واستولى على هذه المدينة وكانت الى هذا الوقت فى يد البوديين خارجة عن طاعة المسلمين وخرب كثيرا من معـابد أصـنامها بصـفته مجاهدا غازيا وحمل منها غنائم ضخمة من بينهـا عـدد من الأصـنام الذهبية والفضية البوذية وأرسل خمسين منها هدية للخليفة المعتمـد ليظهر له خدمته للاسلام •

وعلى هذا فان يعقوب كما نرى هو أول مجاهد اسلامى عمل على نشر الاسلام فى الجزء الشرقى من أفغانستان الحالية ووادى نهـر كابل وحدود معبر خيبر ، ومد من اتساع انتشار هذا الدين حـتى حدود القسم الأعلى لوادى السند قبل الغزنويين والغوريين •

وبعد فتح كابل عاد يعقوب الى بست وكرمان عن طريق هـراة وتحرك قاصدا استعادة فارس ناحية شـيراز فى (٢٥٧هـ) فأرسـل الخليفة المعتمد أخاه وولى عهده طلحة الملقب بالموفق اليـه وأظهـر سخطه عليه لتحركه الى شيراز خلاف رغبته وأعطاه عوضا عنها امارة بلخ وطخارستان (القسم الشمالى من أفغانستان الحاليـة) فعـاد يعقوب الى سيستان وتغلب مرة أخرى فى (٢٥٨هـ) على ابن رتبيـل فى كابل وفتح بلخ أيضا ثم هاجم هراة وبوشنج وكان أهلها قـد أعلنـوا طاعتهم للطاهريين مرة أخرى واسترق الحسين بن طاهر بن الحسين عم أبى الأمير محمد الطاهرى • ولم يقبل يعقوب تخليته برغم الحاف الأمير

محمد لخلاصه ، لانه كان يفكر فى دفع الطاهريين تماما عن خراسان وكان يتصيد ذريعة لطردهم جميعا من هذا الاقليم .

فتح نيشابور وانتهاء الطاهريين فى ٢٥٩ هـ : ـــ

وحينما كان يعقوب منشغلا بفتح طخارستان وغزو كابل ثار رجــل من سيستان اسمه عبد الله بن محمد بن صالح مدعيا الامارة عليــه وقام وأخان له بمقاتلته ، لكن يعقوب هزمهم ففر عبد الله وأخواه من سيستان والتجأ بآل طاهر فى نيشابور . وطلب الأمــير الصــفارى من الأمــير الطاهرى تسليمهم اليه فاستنكف الأمير الطاهرى عن طاعة أمره وهيأ له حجة قوية ليهاجم نيشابور . وكان يعقوب يعلم جيدا أن آل طاهر هــم ولاة خليفة بغداد وكان الخليفة يحبهم ويكرمهم فلم يرد أن يعلن حربــه على آل طاهر حتى لا يظهر الخليفة حركته أمام الأعين بصورة العصــيان والتمرد ، فتحرك لهذا السبب الى نيسابور بحجة حرب علويى طبرستان الذين قاموا ضد الخلفاء العباسيين وأخذوا طبرستان من يد الطــاهريين والعمــال العباســيين .

وطلب عبد الله بن محمد بن صالح من الأمير محمد الطــاهرى أن يمنع يعقوب فيهيىء أسباب مجابهته وبالغ فى طلبه لكن محمدا رفــض طلبه لشدة ضعف نفسه قائلا لا طاقة لنا اليوم بيعقوب وجنوده فاضطر عبد الله وأخواه الى الهروب الى الدامغان وجرجان واعتصموا بالحسن ابن زيد الداعى الكبير الذى كان مستوليا على طبرستان وجرجان لأربعة عشر عاما خلــت .

وفى اقتراب يعقوب الى نيشابور مال جمع كبير من أتباع الأمــير محمد الطاهرى وحاشيته الى يعقوب وأطلعوه سرا على ســوء وضــع الطاهريين وسهولة استيلائه على نيشابور وطمأنوا محمدا من ناحيــة يعقوب وحسن سيرته حتى وصل يعقوب فى الرابع من شوال من (٢٥٩هـ) الى نيسابور وأحضر محمدا الطاهرى اليه عن طريق أخيه عمرو وبعد أن وبخه كثيرا على عدم كفايته وضعف رأيه وعمله صفده بالأغلال وأرســله

ومعه نحو مائة وستين من حاشيته الى سيستان وحبس الجميع بها ، وسقطت الأسرة الطاهرية بهذا النحو على يد يعقوب •

وبعد فتح نيشابور وانقراض امارة الطاهريين تحرك يعقوب قاصدا جرجان وطبرستان حتى يقبض على عبد الله بن محمد بن صالح الذى كان مشغولا فى تلك المناطق بجمع الجيش لمعاونة الداعى الكبير ورفض الداعى تسليمه الى يعقوب ، ولكى يستولى أيضا على جرجان وطبرستان اللتين كانتا فى السابق ضمن أملاك الطاهريين •

وقد ذكرنا بالتفصيل حرب يعقوب وصراعه مع الداعى الكبير فى (٢٦٠هـ) فى فصل علويى طبرستان ونذكر فقط هنا بأن يعقوب أمسك فى النهاية بعبد الله فى طبرستان وقتله وأسر أخويه أيضا والى الرى وأرسلهما الى يعقوب ، فأرسلهما يعقوب بدوره الى نيشابور فدق أطرافهما أحياء بمسامير من الحديد فى حائط وفرغ باله من هؤلاء الأخوة الثلاثة •

حرب يعقوب للخليفة فى (٢٦٢ هـ) : —

وفى عام ٢٦١هـ أرسل يعقوب رسالة الى الخليفة المعتمد قرر فيها علة قبضه على محمد الطاهرى واختلال أحوال خراسان نتيجة لعدم كفايته • وأرسل هذه الرسالة الى بغداد ومعها رأس أحد رؤساء الخوارج وكان قد عصى يعقوب وادعى الخلافة فقتله يعقوب • وتكدر المعتمد لاجل محمد الطاهرى لكنه لم يشأ أن يعلن عداءه ليعقوب فأمر أن يعلق رأس هذا الخارجى فى بغداد وأن يعود رسول يعقوب عودا حسنا وعمل على استمالة الامير السيستانى •

وتوجه يعقوب فى شعبان من (٢٦١هـ) الى فارس ولم تبرح فكرة الاستيلاء عليها عقله واصطحب معه من الأسرى عليا بن الحسين بن قريش حاكم فارس السابق والأمير محمدا الطاهرى فى سفره هذا • وما حرك يعقوب الى أن يتوجه الى فارس هذه المرة هو استيلاء محمد بن واصل عليها واخراجها عن أيدى عمال المعتمد • وكان يعقوب قد جعل

محمدا بن واصل حاكما من لدنه على كرمان فاستولى محمد قبل تحـرك يعقوب بقليل على فارس والأهواز واتجه الى واسط لمهاجمتها أيضـا . وما سمع يعقوب بهذا الخبر حتى سلك طريقه الى فـارس ، واستقبل فى أصطخر مبعوث محمد بن واصل الذى وضع قلعتها تحت تصرف يعقوب . وأخذ يعقوب طريقه صوب شيراز بعد اغتنام ما فى هذه القلعة .

وفى هذا الوقت أيضا أخذ حاكم قهستان بخراسـان من جانـب يعقوب وهو محمد بن زيدويه فى اثارة محمد بن واصل على يعقوب بعد أن عزله يعقوب وبعد انضمامه الى محمد بن واصل ، فلما اقترب يعقوب هرب ابن زيدويه بدون نزال وهزم ابن واصل أيضا وكان قد عجل مـن الأهواز لمنع يعقوب ، وهكذا أعاد يعقوب فارس مرة أخرى الى سيطرته .

وبعد أن تحقق ليعقوب فتح فارس عزم الأهواز ففتحها ثم توجـه منها الى واسط . وفزع الخليفة المعتمد وأهل بغداد لاقتراب يعقـوب وأرسل الموفق أخو الخليفة وولى عهده رسولا اليه يستفسر فيه عن سبب قدومه قائلا فى ضمن رسالته ان المعتمد عهد اليه امارة خراسان وبلـخ وطخارستان وجرجان وطبرستان والرى وفارس وشرطة بغداد وأمـره بجهاد الكفار فلا يحق له بهذا أن يأتى العراق ، فرد يعقوب (أحـب أن أؤدى بنفسى واجبات الطاعة للخليفة) . وكان يعقووب يزيد اصرارا فى تقدمه الى بغداد كلما زاد المعتمد والموفق فى طلبهما عودته بهذه الوعود ، الى أن أمر المعتمد بجمع الجيش وقصد دفعه .

وفى دير العاقول (فى مشرق دجلة بين بغداد والمدائن) فى رجب من (٢٦٢هـ) جرت الحرب بين الجيشين . وكان النصر فى بـداية الأمـر ليعقوب ، الا أن وجود الخليفة نفسه بين الجند واستدعاءه جمعا اليـه من جند يعقوب بأن نادى لهم مناد وأعلن عصيان يعقوب للخليفة أمـير المؤمنين ، ومن ناحية أخرى أجروا أنهارا من الماء بين جيشـه كل هـذا تسبب فى هزيمة يعقوب الذى أصيب نفسه بثلاثة جروح فى عنقه ويديه . فأرغم على العودة الى خوزستان دون أن يفتر عزمه ليجمع جيشـا آخر

للانتقام لهزيمته التى كانت أول هزيمة له فى مجالداته وفتوحاته (١) .

وأطلق سراح الأسرى الذين كانوا برفقة يعقوب ومن بينهم محمد ابن طاهر ، وقد عينه المعتمد فى شرطة بغداد وعهد الى محمد بن واصل حكومة فارس أيضا وأمر أخاه الموفق بتعقب يعقوب فى خوزستان . وتقدم الموفق حتى واسط لكنه مرض بها وعاد الى بغداد ، فأمن يعقوب جانبه وقام بالسيطرة على فارس وأسر محمد بن واصل مرة أخرى .

وقد وقع هذا الفتح الأخير لفارس وأسره لمحمد بن واصل فى عام (٢٦٣هـ) ووقعت فى يد يعقوب فى هذا الفتح خزائن محمد بن واصل التى كان محفوظة فى احدى قلاع اصطخر وحصل منها على أموال قدرت بأربعين ألف ألف درهم .

وعاود يعقوب هجوم الأهواز بعد أن استراح من أمر فارس ومحمد ابن واصل فاستخلصها من عمال المعتمد واقترب مرة أخرى الى حدود العراق . وكان المعتمد فى هذا الوقت واقعا فى ضيق كبير ، فمن ناحية أخذ يعقوب يهدد الخلافة ، ومن ناحية أخرى أدعى شخص اسمه على بن محمد أنه علوى ولقب بصاحب الزنج لانه جمع حوله فى (٢٥٥هـ) جماعة من العبيد الزنوج واصطدم مرة بعد مرة بقواد الخليفة فى البصرة وحدود رأس الخليج والوادى الأعلى لشط العرب وأقام فتنة كبيرة . وكان الخليفة وبلاطه فى قلق شديد . ولكن لحسن حظ الخليفة أن أرسل صاحب الزنج الى يعقوب رسائل مرارا ليتحد الاثنان فيقضيا على الخلافة بعون أحدهما للآخر فكان يعقوب يرفض دعوته مما مكن الخليفة لهذا السبب أن يقضى على كلا الخصمين واحدا بعد الآخر (٢) .

---

(١) ذكر ابن الأثير أن يعقوب كاد يهزم طلحة اخا المعتمد وقائد جيشه لولا أن تحايل طلحة فكشف رأسه وصاح (أنا الغلام الهاشمى) فحل احترام الخلافة فى القلوب فانهزم عنه أصحابه فانقلب النصر هزيمة . راجع الكامل ج ٧ ص ١١٥ .

(٢) ذكر المؤرخون أن يعقوب لما راسله العلوى يطلب تحالفه رد عليه =

مــوت يعقــوب فى ٢٦٥ ﻫ :

وفى عام (٢٦٤ﻫ) كان يعقوب منصرفا الى جمع جيش للهجوم على بغداد أثناء مكثه بجند يسابور فى خوزستان حين أصيب بمرض القولنج • وأرسل المعتمد فى هذا الوقت اليه رسولا يزجى اليه رسالة يتملقه فيهــا بقوله أنه علم أن يعقوب كان رجلا ساذجا ينخدع بقول كل قائل فقصد الخلافة بالسوء ولما أن الله قد نصره عليه فانه قد عفا عنه ولكى يجــدد عفوه له فقد أوكل اليــه امارة خراسان وفارس كما كان الحال فى الماضى فأمر يعقوب ببعض الخبز الجاف والسمك والفجل والبصل عــلى طبــق خشبى وقال لرسول الخليفة : قل لسيدك اننى ابن صفار تعلمت الصــفر من والدى وطعامى كان خبز الشعير والسمك والفجل ، وهــذه الدولــة والشوكة التى تراها حزت عليهما بشجاعتى وجرأتى لا عن مــيراث من أبى أو انعام منك ، فلن أستسلم الا حين أستأصل أسرتك • فان مــت فسوف تستريح من جانبى وان عشت فهذا السيف لك وان غلبت أرجــع الى سيستان وأقضى بقية عمرى بهذا الخبز الجــاف والبصــل • وآب رسول الخليفة الى بغداد ليزجى رسالة يعقوب ، لكن خبر موت الأمــير الشجاع السيستانى وصل قبل وصوله اليها واستراح خاطر الخليفة من ناحيــة هــذا النــد الداهيــة •

بقوله تعالى (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) الى نهاية السورة . أما صاحب الزنج فما أقامه على الخلافة الا لشــدة الظلم الواقع منها على الرعية وخاصة أولئك الزنوج المسخرين فى خدمة كبار الدولة ودليل هذا أن الخليفة لمــا فرق الأموال ـــ كما ذكر التاريخ ـــ على أولئك العجزة المساكين انصرفوا عن مخلصهم العلوى المدعى فهزم وانتهت حركته ولكن الظلم لم ينته . انظــر فى رد يعقوب للعــلوى الكامل لابن الأثير (مصر / ١٣٠١ﻫ) (ج ٧ ص ١١٥) وفى أخبــار صاحب الزنج تاريخ الطبرى (تحقيق محمــد أبى الفضــل) ٩/٤٠٦ ـــ ٦٦١ ، والكامل ٧/١٤١ ، ١٤٦ ، ٢٠٨ ومروج الذهب للمسعودى (تحقيق محمد الصباغ) ٢ / ٤٣٩ ، ٤٤٦ ـــ ٧) وتاريخ العراق الاقتصادى للدورى (بغداد ١٩٤٨ ص ٦٩ ـــ ٧٠) .

وقد وافت يعقوب منيته يوم الاثنين العشرين من شوال سنة ٢٦٥هـ فى جنديشابور بخوزستان ودفن فى نفس المدينة ، وقد بلغت مدة امارته من المحرم من (٢٤٧هـ) حتى العشرين من شوال (٢٦٥هـ) نحو سبعة عشر عاما وعشرة شهور •

كان يعقوب رجلا عالى الهمة بعيد النظر حسن الخلق ذا فتوة واحسان ورأفة روى عنه حكايات كثيرة فى شأن هذه الخصال والفضائل لا يتيسر لنا لسوء الحظ نقلها فى هذا المجال • قل من معاصريه أن يصل اليه فى تحمله للمصائب ومتاعب الأسفار وقوة الارادة • وكان يبدى فى قيادة جيشه وتدبيره الحربى الدرجة القصوى من الفهم والذكاء •

كان يعقوب رجلا عاقلا بعيد الفكر قلما رؤى وهو يضحك وكان جنده تابعين مخلصين لسياسته لم يجرؤ أحدهم على الاقدام على أمر بدون اجازة منه ولم يكن لأحدهم أدنى اجتراء على أن يهاجم بلا أمره أو يتصرف فى مغنم دون اشارته • وكان يدقق فى اصلاح أمر جيشه قبل أى شىء وكان يؤثر جيشه على كل شخص • وحين كان يأتيه أحدهم فكان أول سؤاله هل تعرف القتال والرمى والنزال وتتقن هذه الفنون ؟ فاذا سمع منه اجابة مقنعة سأله : لدى من خدمت قبل مجيئك الينا وفى أى ميدان حاربت وأية فنون أظهرت ؟ ثم يأمر له براتب سنوى ويقبله فى خدمته • واذا سأل جندى مالا أو راتبا قبل انقضاء العام كان يأمر بأن يؤخذ منه ما معه من مال(١) •

وكان يعقوب أثناء تحرك الجيش يجلس على عرش خشبى يشرف على كل جنده حتى ينظر جيدا فى أحوال الجند فاذا ما رأى نقصا فى أمر من أمورهم قام باصلاحه على الفور • وكان له غلمان يلازمون منزله أو خيمته وعرشه ليأمرهم يعقوب بتنفيذ أوامره •

---

(١) أفاد يعقوب كثيرا من تنظيمات العيارين وآدابهم العسكرية فضلا عن اتصافه بصفاتهم من الشجاعة والمروءة والتحمل ، أنظر فى هذا ما كتبه زرين كوب فى تاريخ ايران (بالفارسية) ص ٦٢١ .

وكانت عاصمة يعقوب مدينة (زرنج) من بلاد سيستان القديمة . وكانت حوزة ملكه خراسان وسيستان وطخارســتان وكرمــان وفارس وكابل وجزءا من وادى السند ثم خوزستان أيضا لفترة من الزمـــان . وخطب ليعقوب فى مكة والمدينة بأمر من الخليفة لسبع سنوات ، وبلغت شهرته فى أيامه فى البلاد المحيطة به الى حد أنه كان يطلق عليــه (مــلك الدنيــا) و (صاحب قران)(١) . وكنيته هى أبو يوسف .

٢ — عمــرو بن اللــيث
(٢٦٥ — ٢٨٧هـ)

حينما كان يعقوب بن الليث مريضا فى جنديسابور قدم اليه عمــرو معتذرا اذ كان مغاضبا لأخيه فى ذاك السفر ورحل الى سيستان مستاء ، وسر يعقوب لعودة أخيه لأنه كان كسيف البال محزونا لغضبه ، فأبدى له صنوف الاكرام . أما عمرو فقد بقى على اخلاصه التام فى خدمته ليعقوب الى أن وافاه أجله . وقد انتخبه يعقوب لخلافته وأوصى أتباعه باطاعــة أمــر عمــرو .

نــزاع عمــرو وعــلى : —

ومع أن يعقوب اختار عمرا خلفا له الا أن أخاه الأصغر عليا لم يرض بخلافته ، وقد أخذ أكثر الجند جانب على لأن عمرا كان حديث الوصــول

---

(١) صاحب قران لقب معناه صاحب الاقتران السعيد ، والقران معناه فلكيا اجتماع كوكبين وقران السعيدين هو اجتماع كوكبى السعد المشترى والزهرة ، وقران النحسين هو اجتماع كوكبى النحس زحل والمريخ . واتخذ هذا اللقب بادىء الأمر الأمير تيمور الكوركانى ويقال ان مولده وقع وقت اقتران كوكبين من كواكب السعود ، غير أن هذا اللقب أطلق عليه بطبيعة الحال بعد تفكير تم من بعد . وأطلق الشعراء وأصاحب الملق هذا اللقب بعد وفاة تيمور من حين لآخر على حاكم أقل شأنا منه بل على حكام لا شــأن لهم يذكر . فادعاء تلقيب يعقوب بهذا اللقب اذن كاذب . (أنظر دائرة المعارف الاسلامية العربية للتفصيل) .

من سيستان وفارق الجيش مرارا ، الا أن عمرا سرعان ما استخلص قلوب الجند له بتدبيره وكفايته فبايعوه جميعا •

وعلم عمرو وقد كان رجلا بصيرا موزون الفكر أن صلاحه ليس عداء الخليفة فى بداية حاله لاسيما وأن الخليفة قد هزم أخاه من قبل ، لهذا فقد أرسل الى الخليفة المعتمد رسالة أظهر فيه طاعته وانقياده ، فسر لذلك الخليفة وأصدر أمرا له بحكم فارس وكرمان وأصفهان وطبرستان وسيستان وعراق العجم وشرطة بغداد مكافأة له ، وتعهد عمرو بارسال عشرين ألف درهم الى دار الخلافة خراجا سنويا وأن يذكر اسم الخليفة فى الخطبة •

وقفل الأمير الصفارى من خوزستان الى فارس راجعا بعد أن ترك شرطة بغداد الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الطاهرى وأزجى هداياه الى بغداد • وسمع هناك أن أخاه عليا قد أطلق لسانه بتقبيح أخيه مخالفة له والتقليل من شأنه فى أنظار الناس فأمر بقيده ، لكنه خلى سبيله بوصوله الى سيستان فى رجب (٢٦٦هـ) ثم وهبه مالا عظيما كما اعتذر له عما فعل• ولم يكن على حريا بهذا الاكرام على وجه النصفة لأنه لم يتخل عن عداء عمرو مع كل احترامه له وعفوه عنه وكان دائم اثارة أعدائه عليه ويمدهم عليه •

وفى أيام مكث يعقوب بفارس وخوزستان وأثناء المدة بين موته وأوبة عمرو الى سيستان أبدى قوم كان طائعين قبل خوفا من يعقوب العصيان لعمرو وجاوزوا الى جادة الطغيان وطلب المجد ظانين أن عمرا عاجز عن تأديبهم وأن الغلبة عليه أمر يسير •

وأول من رفع راية العصيان كان أحمد بن عبد الله الخجستانى من أهل خجستان من أعمال بادغيس بهراة • وقد ارتفع شأن هذا الرجل بقوة عزمه وعلو ارادته من رتبته الوضيعة فى بداية الأمر وهى المكارية تدريجا اذ دخل فى خدمة الأمير محمد الطاهرى • ولما تمكن يعقوب من

نيشابور دخل أحمد الخجستانى كأغلب أصحاب الأمير الطاهرى فى خدمة الصفارين وصار من ملازمى على بن الليث أخى يعقوب وعمر .

وفى (٢٦١هـ) قبل أن يتحرك يعقوب الى فارس أمر أحمد الخجستانى أن يتفحص أعمال على بن الليث فى خراسان . ولكن أحمد هذا أعلن عصيانه ليعقوب بمجرد حركته الى فارس ، فقام أولا باخراج عماله من نيشابور وقومس وبسطام ثم دعا الناس فى نيشابور الى مبايعة آل طاهر فى (٢٦٢هـ) وأثار بمدد من بعض المتمردين الآخرين الخراسانيين فتنة عظيمة فى كل خراسان فى الفترة التى كان يعقوب رهن نزاعه مع الخليفة فيها وأمور فارس وخوزستان . وقد تصارع مرات أيضا والحسن بن زيد الداعى الكبير للسيطرة على جرجان . وظل على حاله هذا الى أن عاد عمرو الى سيستان وأخذ ما بين هراة الى بلخ واشتغل بالسلب والنهب والاغارة وتحالف فى حركاته هذه مع أحد أتباع الأمير محمد الطاهرى القدامى والذى لحق بيعقوب أولا ثم طرده يعقوب عنه وهو (رافع بن هرثمة) .

ولما قدم عمرو فى (٢٦٦هـ) من خوزستان الى سيستان وأطلق أخاه عليا من قيوده أرسل الى الخجستانى رسولا خفية وطلب عونه وقيامه على عمر . فتحرك الخجستانى من جرجان الى نيشابور وحاصرها وهى مركز خراسان ، فخف عمرو بن الليث ومعه أخوه على وابنه محمد بن عمر من سيستان الى نيسابور عن طريق هراة ودخل فى قتال مع الخجستانى يعاونه أخوه وابنه وقد قاد كل منهما طرفا من الجيش الصفارى . وخان على أخاه وأبدى الوهن فى قتاله مما ألحق بأخيه من الخجستانى فانهزم الى هراة وقيد عليا مرة أخرى . وتقدم الخجستانى متعقبا عمرا الى هراة وسيستان ولكنه لم يستطع أن يستولى على واحدة منها مما جعله يأخذ فى القتل والغارة ، فسخط الناس لظلمه وظلم جنده ومالوا الى عمر بن الليث وأخذوا يقتلون جند الخجستانى حيث وجدوهم . وفى النهاية عاد الخجستانى فى (٢٦٧هـ) من سيستان الى نيسابور . وفى هذه الأثناء قدم

الى عمرو فى هراة اثنان من مدعيى حكم الصفارين سابقا وكانا لفترات طويلة باعث تعبهم هما محمد بن زيدويه حاكم قهستان السابق الذى مر ذكره فى ثورات فارس فى عهد يعقوب ، والآخر هو أبو طلحة منصور من متمردى نيشابور وممن عصى فى أواخر عهد يعقوب وصارعوا الصفارية والخجستانى • وقد قبل هذان طاعة عمرو • وفرح لهذا الأمر وخلع عليهما وأعطى أبا طلحة منصب القيادة العامة لجيش خراسان ، ثم قدم عمرو من هراة الى سيستان •

وظل الخجستانى عاما آخر ينهب ويسلب فى طخارستان وخراسان وينازع مدعين آخرين ويقاتلهم وتغلب على أبى طلحة قائد عمر ، لكنه فى النهاية قتل فى شوال (٢٦٨هـ) وهو مخمور بيد غلامين من غلمانه فأراحا العالم من شروره • واجتمع أصحاب الخجستانى بعد مقتله حول رافع بن هرثمة وهكذا ارتهن عمرو بفتنة رافع وتمرده بعد أن استراح من الخجستانى ، وصرف أوقاته فترة فى تعقب هذا المدعى •

غزو عمر لفارس فى ٢٦٨ هـ : —

قصد عمرو بن الليث فى المحرم من (٢٦٨هـ) فارس قبل أن تنتهى فتنة الخجستانى ، وكان سبب ذلك أنه سمع أن محمدا بن الليث والى فارس لم يرسل خلافا لأمره الخراج الذى يتوجب ارساله سنويا الى بغداد وغضب الخليفة بسبب هذا على عمر وخاصة أن عمرا قد كان خائفا من اتحاد محمد بن الليث مع الخجستانى •

وسرعان ما أمن عمرو بن الليث فارس وتغلب على اثنين أو أكثر من أصحاب يعقوب القدامى الذين سلكوا سبيل العصيان وأرسل الخراج المتأخر الى دار الخلافة • ورضى الموفق أخو الخليفة لمسلك عمرو طريق أخيه يعقوب فيفكر فى فتح بغداد والقضاء على الخليفة أرسل اليه أنه لما كان أمر العراقين وفارس واليمن والشام مستقرا ولا يحتاج الى الرتق والفتق فانه من اللازم أن يعزم دار الكفر (أى شرق سيستان وحوالى

السند والتركستان التى لم يسيطر عليها المسلمون الى ذلك الوقت) وأن يحرض جنوده على الجهاد • وأطاع عمرو الأمر وترك فارس لأحد أتباعه وهو (نصر بن أحمــد) وعاد هو الى سيستان •

قصة عمرو مع رافع بن هرثمة وعمال الخليفة : ـــ

استفاد رافع بن هرثمة خليفة الخجستانى من فرصة غيــاب عمــر فهاجم أبا طلحة قائد خراسان ثم هاجم سيستان بعد أن تغلــب عليــه ، لكنه عاد الى هراة لما أدرك أنه لن يستطيع أن يتمكن فيها وظل بها الى أن عاد عمرو من فارس الى سيســتان •

حاصر عمرو هراة فى (٢٧٠هـ) وانهزم رافع الى مرو وطلب عفو عمر لكنه صادف فى الطريق أبا طلحة الذى كان فارا منه الى طخارستان فقــرر هذان الأميران أن يتعاونا فى قتال عمر • ولكن قبل أن يضعا تفكيرهما موضع التنفيذ داهم أبو طلحة رافعا فى جنح الظلام وأهلك أغلب جيشه واستقر فى مرو وخطب لمحمد بن طاهر الطاهرى •

وبحملة واحدة طرد عمرو أبا طلحة من مرو وبحملة أخرى فى (٢٧١هـ) أخذ نيشابور من رافع ، وعاد الى سيستان بعد تأمين خراسان وتهدئــة ثــائرتهــا •

وفى نفس عام (٢٧١هـ) قدم أحد عمال عمرو بن الليث عــلى فارس الى بغداد للموفق وشكى من عمر له وسعى بشر عنده • فعزل الموفق عمرا من امارته وتركها لمحمد بن طاهر وكان فى بغــداد وأنفــذ الرسائل الى خراسان فى عزل عمر ولعنه • وترك محمد بن طاهر ما وراء النهر الى نصر ابن أحمد من جانبه وخراسان الى رافع بن هرثمة وفارس الى أحمــد بن عبد العزيز من رفاق عمر القدماء وثار عليه بعد ، وظهر لعمر بهذا مدعون متعددون لكل منهم حكم خليفة بغداد •

وبلغ عمرو فى البداية كرمان ووصله رسول من نصر بن أحمد عامله

على فارس (وهو غير نصر بن أحمد السامانى الذى ولاه محمد بن طاهر ما وراء النهر) وأوقفه على مجريات أمورها • وكان عمرو بصدد مدد الى عامله حين جاءه الخبر بأن أحمد بن عبد العزيز طرد نصرا بن أحمد من فارس وأخرجها من سلطة الصفاريين •

وابتلى عمرو بن الليث فى هذا الوقت ببلاء عجيب فمن ناحية ، حنق عليه الموفق فقصره عن كل ناحية ومن ناحية أخرى انحسر عنه الحلفاء والمساعدون ، لكنه لم ييأس ولم يسمح للوهن أن يتسرب الى عزيمته فى تفكيره للخلاص مما فيه • وقد ساعده الحظ قضاء اذ أن أبا طلحة منصورا الذى كان فى نزاع مع عمر حتى ذاك الوقت أتاه طائعا بعد أن نصب محمد الطاهرى رافعا بن هرثمة فى حكومة خراسان فاحتفى به عمرو كثيرا ثم سيره الى خراسان وعجل هو وابنه محمد من كرمان الى فارس •

وتقدم جند عمال الخليفة الى عمر وكانوا نحو ألفى جندى يترأسهم (خلف بن الليث) حفيد عم عمرو بن الليث الذى سبق أن غضب من ابن عمه ولحق بالموفق(١) • ولم يكن خلف يود أن يلحق هزيمة فى هذه الحرب لبنى قرابته الساسانيين فلحق بجيشه بعمر بن الليث ، فحمد عمرو ربه تعالى وحمل على قائد جيش الخليفة حملة صادقة وأعاد نتيجة هزيمته لهم فارس الى طاعته مرة أخرى •

وعمد الموفق الى المواربة من جديد فكتب الى عمر انه اذا سير الخراج المتأخر الى بغداد وأرسل محمدا ابنه كرهينة الى دار الخلافة فليجددن منشور امارته • فسير عمرو ابنه محمدا ومعه أبو طلحة قائد جيش خراسان وجيش لجب متظاهرا باطاعة الخليفة ومبطنا هدفه الى

---

(١) نسب عمر واخيه يعقوب أنهما ولدا الليث بن معدل بن حاتم ابن ماهان . أما خلف بن الليث فجده فرقد بن سليمان بن ماهان . ويلتقى الطرفان بالجد الثالث ماهان ، والأمير أبو جعفر أحمد أبو خلف بن أحمد المعروف هو ابن محمد بن خلف بن الليث وليس من أولاد الليث ابى يعقوب وعمر (سياقى) .

القضاء عليه • ولما سمع محمد أثناء طريقه أن الموفق على أهبة لدفعه بجند كثيف آثر العودة وأقبل على أبيه بكرمان • ومات محمد فى هذا السفر على بعد من سيستان بستة منازل فى جمادى الأولى (٢٧٤هـ) وتألم عمرو تألما شديدا لموته المباغت •

وبعد وصول عمر الى سيستان وصل رسول الموفق اليه برسالة منه يطرق فيها باب الصلح ، فقد تشعث أمر حدود الشام ومصر بسبب خروج أحمد بن طولون وكانت فتنة صاحب الزنج ما تزال على حالها • فأمر عمرو بمال كثير لرسول الخليفة وجعل للخليفة من فارس وكرمان وخراسان عشرة ألف ألف درهم سنويا وأرسل أحد غلمان أخيه وهو (السبكرى) مبعوثا له الى بغداد • وأمر الموفق أن يكتب اسم عمر بن الليث فى دار الخلافة على المنابر والدكاكين والمنازل والألوية وأن يقترن اسمه باسم الخليفة فى الخطبة ، ولم ينل هذا الشرف أحدا قبل عمر •

وبقى الأمير السيستانى مدة عامين من (٢٧٤) حتى (٢٧٦هـ) فى سيستان وانشغل فى ترتيب أمورها حتى تركها فى ربيع الأول من العام الأخير الى فارس • ولما بلغها وصلت مسامعه أنباء هروب أخيه على من محبسه فى قلعة (بم) بكرمان حيث كان يعيش سجينا من بعد هزيمة عمر من الخجستانى نتيجة خيانته ، ولحق برافع بن هرثمة الذى كان على عصيانه لأخيه فى خراسان • ولم يهتم عمرو بهذا الأمر كبير اهتمام لانه سمع أن الموفق أسقط اسمه من المنابر والألوية والخطبة وقصد بنفسه أصفهان ليحرض أحمد بن عبد العزيز السابق الذكر على قتال عمر ، فجعله هذا أن يعود الى كرمان من فارس ثم عاد اليها بعد أن أخذ أهبته ، وعلى كثب من أصطخر أنزل بقائد الموفق هزيمة نكراء ودخل شيراز فى المحرم من (٢٧٧هـ) مظفرا منصورا وأمر باسقاط اسم الخليفة من الخطبة وأن يخطب باسمه وحده • ثم تغلب على أحمد بن عبد العزيز وأعلن ثورته على الخليفة وسلك طريق الاهواز وبغداد • الا أن وزير الخليفة أعاده بشتى

صفوف المداهنة والوعود من الأهواز • ولما أن المعتمد قد وافته المنيـة فى هذا الوقت وصار المعتضد خليفة خمد النزاع بين دار الخلافة وعمـر بن الليث مؤقتا خاصة أن المعتضد صالح عمرا رسما وعهد اليه بامارة فارس وكرمان وخراسان وسيستان وكابل وشحنكية بغداد(١) ، وأمر بأن يعـاد اسمه الى الخطب والألوية ويخطب له أيضا فى الحرمين • ورجع عمرو الى سيستان تحفه الغبطة والمنة وأصر هذه المرة أن يستأصل شأفة فتنة رافع تماما الذى تحالف مع أخيه على بن اللـيث •

كان رافع بن هرثمة مشتغلا بمهاجمة طبرستان وخراسـان والـرى وجرجان من سنة أن نصبه الموفق ومحمد الطاهرى على حكومة خراسان حتى (٢٧٩هـ) حين عاد عمرو من فارس الى سيستان • ومن بـين ذلـك هزيمته لمحمد بن زيد الداعى فى (٢٧٤هـ) كما مر بنا فى تـاريخ عـلويى طبرستان ، واستيلاؤه على جرجان وطبرستان وفى نفس الأيام لحق على ابن الليث وابناه الاثنان برافع • وأخرج محمد بن زيد عامـل رافـع من طبرستان فى وقت عودة عمرو بن الليث من كرمان ، لكن محمدا بن زيد لم يكن النـد القوى لرافـع •

ولما أدرك رافع فى النهاية أن أعداء أقوياء يقصدونه من هنا وهنـاك وأنه لا يحتمل قتال عمر بن الليث ومحمد بن زيد العلـوى وأحمـد بن عبد العزيز والى أصفهان والرى من قبل الخليفة وهو بمفـرده رأى أن الصلاح فى أن يصالح أحمد بن عبد العزيز ومحمدا بن زيد ثم يتجه مجتمع الجأش الى أقوى أنداده الى عمر بن الليث • ولهذا فقد صالح أحمد بن عبد العزيز فى (٢٨٠هـ) وانعطف أيضا الى محمد بن زيـد وتـرك لـه طبرستان وجرجان وخطب له فى هذه المناطق ، ووعده الداعى أن يمـده بأربعة آلاف من شجعان الديلم • فأرسل عمرو بن الليث الى الداعى لمـا علمه من هذا الصلح وحذره من خيانة رافع وغدره فتحاشى الـداعى من مـد رافـع •

(١) شحنكية معرب (شحنكى) الفارسية التى تعنى رئاسة الشرطة •

وأتى رافع بعد أن اطمأن خاطره من جانب محمد بن زيد وأحمد بن عبد العزيز نيشابور فى (٢٨٣هـ) لكى يطرد عنها عمرا بن الليث الذى وصلها بعد فتح هراة لكنه لقى هزيمة فادحة منه ووقع كثير من أتباعه أسرى للأمير السيستانى كان من بينهم ابنا على بن الليث اللذان كان يعيشان بعد موت أبيهما فى (٢٨٠هـ) عند رافع • فتلطف عمرو بهما وخف يتعقب رافعا الهارب الى (أبيورد) • وفر رافع منها الى (سرخس) ثم عاد الى نيشابور فى غياب عمر • الا أن عمرا هزمه مرة أخرى فأرسل رافع أخاه يستمد محمدا بن زيد ولم يلتفت الداعى الى دعوته • وفى آخر الأمر نالته هزيمة ثالثة من عمرو فى سبزوار وقتل نحو خمسة آلاف من جنده ولحق بقيتهم الى عمر أو ركنوا الى الفرار فاضطر الى أن ينهزم الى خوارزم • وكان أن قبض عليه واليها وقتله فى شوال (٢٨٣هـ) وأرسل برأسه الى عمر • وسير عمرو هذا الرأس بهدايا الى بغداد • وأمر المعتضد بأن يعلق من الصباح حتى الظهر فى جانب بغداد الشرقى ومن الظهر الى المساء فى جانبها الغربى ليعتبر الناظرون ، وبهذا زالت فتنة هذا الرجل العاصى وخلص الخليفة والداعى وعمرو بن الليث من شر هذا الند المنتهز •

قتال عمر لاسماعيل السامانى وأسره فى ٢٨٧هـ : ـ

بعد قتل رافع أرسل عمرو بن الليث بقاتله وقائد آخر الى خوارزم ليستوليا عليها له ، وقبل أن يبلغاها وصلتهما أنباء أن الأمير اسماعيل بن أحمد السامانى والى بخارا قد أنفذ عامله الى خوارزم فاستولى عليه له •

فأمر عمرو قائديه بمقاتلة اسماعيل السامانى واستخلاص بخارا من يده • وفى شوال (٢٨٥هـ) غلب اسماعيل عمال عمر وقتل بعضهم فى الحرب وأسر بعضا آخر وظهر لهذه الحادثة وهن كبير فى قوى عمر (١) •

---

(١) يذكر فامبرى فى كتابه تاريخ بخارى ترجمة الدكتور احمد محمود =

وأرسل عمرو رسالة للخليفة المعتضد وهو شديد الغضب وطلب منه أمرا بحكومة ما وراء النهر وهدده انه اذا لم يقبل هذا الأمر فلسوف يهاجم ما وراء النهر ويطرد اسماعيل منها • ومع أن الخليفة لم يكن يميل الى اصدار أمر له وكان كامل الرضاء عن اسماعيل الا أنه أجبر على أن يرسل اليه أمر امارة ما وراء النهر وهدايا أيضا بعد مدة لكنه كان يقوى اسماعيل خفية ويفهمه أنه لم يعزل من امارته وأنه مشمول بعواطف الخليفة •

وبعد أن بلغ عمرا بن الليث أمر الخليفة ورأى أن أمر اسماعيل قد بلغ قوة بسبب تعاطف الخليفة معه وأنه على أهبة تامة للحرب تردد قليلا فى اقدامه على مهاجمة ما وراء النهر ، لكنه فى النهاية أراد أم أبى تحرك اليها • وفى أثناء مسيره اليها وصلت مسامعه أنباء هزيمة مشركى شرق أفغانستان الحالية لجيشه فى غزنة واستيلائهم على أملاكه هناك • وقد فتت هذه الحادثة فى عضده كثيرا •

وكان اسماعيل قد سبق فأرسل جنده الى خراسان من بخارا لأنه كان يعرف عزم عمر من قبل ، ونادى فى أهل ما وراء النهر أن عمرا وجنده آتون لنهب البلاد وقتل نسائهم وأطفالهم فعليهم مواجهته ودفعه • ولبى أهالى ما وراء النهر نداء اسماعيل لما لمسوه فيه من دين وحسن خلق

= الساداتى (مصر / ١٩٦٥) (ص ١٠٠ ، ١٠١) أن عمرا فى علاقته مع اسماعيل كان هو الطرف الآدنى الساعى الى الصلح المتوسل بالملاينة . ثم يقول فامبرى فى حاشية (ص ١٠٠) ان بعض المصادر الأخرى تقول أن اسماعيل هو الذى سعى اول الأمر للصلح وكتب الى عمرو (انك قد وليت دنيا عريضة وأنا فى يدى ما وراء النهر وأنا فى ثغر فاقنع بما فى يدك واتركنى مقيما بهذا الثغر) فأبى اجابته الى ذلك . ونحن نميل الى اسماعيل كان هو الطرف الأقوى وليس عمرو كما يدعى اقبال لأنه كان يستند الى تأييد الخليفة العباسى وانه مجاهد يريد وجه الله فهو بهذا ساع فى رضى الله ورضى خليفته عكس الصفارى . وكان النصر حليفا لاسماعيل (٢٨٥هـ) وبذل اسماعيل شهامته فأطلق سراح الجيش الصفارى ليعودوا الى ديارهم قائلا : (ما نصنع بهؤلاء المساكين فلتدعهم يعودون الى بلادهم وهم من بعد ذلك لن يخرجوا لحربنا ابدا) •

استباهم وتجمع حوله جمع غفير وأقسموا أنهم ماضون فى ركابه مقاتلين ولو أدى بهم الأمر الى أن يقتلوا أو يؤسروا •

والتقى الفريقان على كثب من بلخ ولما تواجـه الجيشـان نـادى اسماعيل فى جيش عمر أنه وجنده مجاهدون لا يطلبون غير وجه الله وأن عمرا رجل لا يطلب غير الدنيا وزينتها ولم يتحرك بهم الا لهذا الغرض • وأثمر هذا الخطاب فيهم فانضم اليه فريق من أتباع عمر • ومع هذا كله فقد حارب عمر بشجاعة طوال يومه جند اسماعيل ، ولكن لسوء حظه ثارت فى وجوه جنده ريح عاصفة ، فضلا على كثرة جند اسماعيل ، وصار نور النهار ظلاما حالكا فانفرط عقد جيش عمر فلم ير فوتا من الهـروب الى دغل لكن أقدام جواده غاصت فى وحله وطينه ، فاسـتأسره بعض جنـد اسماعيل فى يوم الثلاثاء آخر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين (٢) ، وأرسله اسماعيل الى سمرقند • ولما بلغ المعتضد خـبر ذلك سر سرورا بالغا وخلع على اسماعيل وفوض اليه جميع الولايات التى كانت بيد عمر •

وبعث اسماعيل بعمر مغلولا للمعتضد ببغداد وأمر عددا من جنـده أن يبقوا وسيوفهم مسلولة حارسين له حتى يأتوا به الى بغـداد وهو فى هذه الحالة من الهوان • وسمح له فى دار الخلافة أن يلبس ثيابه الخاصة به وهو مطلق السراح • وأركب أتباع المعتضد عمرا جملا أعرج أحـدب مرتفع القامة وطافوا به مدة من الوقت فى شوارع بغداد وهو فى حالـة من الذلة الشديدة ثم ألقى به المعتضد فى الحبس •

---

(٢) يختلف فامبرى واقبال فى تاريخ أسر عمرو فيذكر الأول انه اتى به الى اسماعيل يوم الاربعاء التاسع من جمادى الآخرة عـام ٢٨٨ / ٩٠٠ وأن اسماعيل اكرمه وأنزله قصرا له وابدى له شهامته المعروف بها . ثم يزيد فامبرى فى حاشية نفس صفحة (١٠١) من كتاب زينة التواريخ قصة للاعتبار حدثت لعمر بعد هزيمته فى اول مساء لأسره قبل ان ينتهى الى اسماعيل انه جلس على الارض ينتظر احد حراسه حتى يفرغ من اعداد وجبة بسيطة فى صفحة ممـا يستخدم لسقى الخيل ولم يكن لديه غيرها وما ان وضعها على النار حتى قدم كلب فادخل رأسه فيها فانحشر فلم يستطع فكاكا فانطلق بها هاربا ، فضحك عمر فلما انكر ذلك الحارس قال له ان تابعه كان شكا له فى الصباح ان ثلاثمائة بعير لا تكفى لحمل ادوات مطبخه وها هو كلب واحد ينطلق بصفحته وبطعامه .

قتـــل عمـــر فى (٢٨٩هـ) : —

ظل عمرو بن الليث فى سجن المعتضد طوال حيـــاته ، وطلب هـــذا الخليفة الحاقد وهو فى حال الاحتضار أحد خدمه وأفهمه بالاشارة ، اذا لم يكن مستطيع الحديث فى حالته تلك ، بوضع يده على حلقـــه واحـــدى عينيه أن يقتل الأعور ، فقد كان عمرو محروما من احدى عينيـــه • ولـــم يرض الخادم أن يأثم بقتل عمر خاصة أن المعتضد كان فى حـــال الـــنزع فامتنع عن تنفيذ أمره • ولما خلف المكتفى المعتضد سأل وزيره عن حـــال عمر • فقال الوزير انه ما يزال حيا ، ففرح المكتفى لهذا كثيرا لأنـــه رأى أيام اقامته بالرى خيرا من عمر • لكن الوزير القاسى القلب أرسل خفية من يقتل عمرا فى السجن وأفهم المكتفى أن عمرا قتل قبل وصوله خليفـــة الى بغـــداد •

كان عمرو بن الليث مثل أخيه فى علو همته وبذلـــه ويقظـــة عـــقله وسياسته وعمق فهمه وتدبيره • لكنه كما يبدو ولم يكن فى مثـــل هيبتـــه وشجاعته وجرأته لذلك فقد كان الجند يهابون يعقوب كثيرا ويحبون عمرا أكثر • وكان فى تحمله المصائب وفى صبره كأخيه شديد الصـــبر صـــلب العود ، ويبذل كيعقوب السعى الكامل والاهتمام البليغ فى أمر جيشـــه ، وكان يأمر لجنده كل ثلاثة شهور بالمؤن والرواتب وكان ترتيبـــه فى هـــذا الشأن أن يجمع الجنود فى الميعاد بقرع الطبل ، ثم يتلو مأمـــور دفـــع الأجور أسماء الجند من دفتره بالترتيب • وكان عمرو بن الليث هو نفسه الجندى الأول الذى يظهر أولا فيعاين (عارض الجيش) أو وزير الحربية باصطلاح اليـــوم جـــواده وســـلاحه وعدتـــه ولوازمـــه •

وكان لعمر جواسيس يبلغونه جزئيات أمـــور القـــواد والمقدمـــين التابعين له لكى يطمئن على أعمالهم وأفعالهم • وكان ترتيبه فى هذا الأمر أيضا أن يشترى غلمان فى صباهم ويقوم بتربيتهم فاذا بلغوا سن الرشد كان يهبهم رؤساء الجيش وعماله الآخرين لكنه يعهد الى هؤلاء الغلمـــان بوظيفة خاصة سرية هى ابلاغه بأحوالهم فلا يغفل عن أمورهم •

٣ – أبو الحسن طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث

(٢٨٧ – ٢٩٦هـ)

وبعد أن أسر عمرو بن الليث وهزم جيشه رفع كبار جيشه والدولة حفيده أبا الحسن طاهر بن محمد للامارة ، الا أن فريقا من الجند انحاز الى الليث بن على بن الليث ابن أخ عمر ويعقوب ولم يكن الأمر قد ثبت بعد للأمير الجديد ، وظهر الاختلاف فى الجيش نتيجة لذلـك ، وأمسك السبكرى ، غلام يعقوب الذى مر ذكره قبل بأزمة الأمور بسـبب عـدم كفاءة طاهر وانكبابه على ملذات الشباب واستبد الأمر . وفى (٢٨٩هـ) تقدم طاهر بن محمد برفقة الليث بن على وعدد من القادة الآخـرين من سيستان الى فارس وترك أخاه يعقوب فى نيابته بسيستان وكان غرضه أن يستعيد فارس الى الأسرة الصفارية وكانت قد آلت الى الخليفة المعتضد بعـد هزيمـة عمـر .

وفى النهاية رضى الخليفة المكتفى فى (٢٩٠هـ) أن يفوض امارة فارس لطاهر نظير خراج سنوى . وبعد أن عين طاهر عمالا من قبله على نواحى اقليم فارس ترك جميع أمورها تحت تصرف السبكرى وانشغل بالصيـد واللهو واللعب . وآب الى سيستان فى (٢٩١هـ) وجعل من محمد بن خلف ابن الليث الذى كان من بنى أعمام أبى يعقوب وعمر رئيسـا لكل كبـار سيستان (١) وزوجه من أخته (بانو) . وكان هذا الفعل مقدمة لظهـور النزاع بين طاهر والسبكرى ، لأن الثانى كان ينفس على محمد بن خلف ولم يكن يحب أن يتدخل فى أعمال الملك أحد غيره .

وأتى طاهر بن محمد على رصيد الخزانة ، التى ظلت عامرة بعد عمر

---

(١) سبق أن نبهنا الى أن محمدا بن خلف بن الليث هذا هو ابو الأمير أبى جعفر أحمد وجد خلف بن أحمد المشهور وليس من أولاد الليث أبى يعقوب وعمـر (سياقى) .

ابن الليث ، بعد مدة قصيرة بسبب لهوه واسرافه وامتنع عماله من ارسال الخراج الى سيستان خاصة السبكرى الذى تحرك وضبط كرمان وفارس له ، فاختلت أمور سيستان كلية ، ولم يمنع من زوال الدولة التى أقامها يعقوب وعمرو فى هذا الظرف غير كفاءة محمد بن خلف وحنكته •

وفى النهاية قدم طاهر فى (٢٩٢هـ) للاستيلاء على خراج فارس وكرمان ، فأرسل السبكرى الذى كان غير راض عن قدومه من يعيده بمعسول الكلام فعاد طاهر الى سيستان وشغل نفسه مرة أخرى باللهو والصيد واللعب بالحمام ، فانفض عنه كثير من كبار عهد يعقوب وعمر وخلت منهم سيستان •

وفى (٢٩٦هـ) حينما اتجه طاهر الى بست تقدم الليث بن على بن الليث والى كرمان ومكران الى سيستان ، وفشل يعقوب أخو طاهر فى أن يجليه عنها برغم جهوده العديدة ، ولما علم طاهر بعد عودته من بست أن أغلب كبار سيستان قد أخذوا جانب الليث وأن التغلب عليه ليس يسيرا ، اصطحب أخاه وسلكا طريقهما الى فارس على أمل استمداد السبكرى لهما فجلس الليث بن على أميرا فى مكانه •

٤ ـ الليث بن على بن الليث

(٢٩٦ ـ ٢٩٨هـ)

سار طاهر ويعقوب الى فارس معتقدين أن السبكرى حافظ لحق نعمتهما ونعمة عمر ويعقوب قبلهما عليه ولكن السبكرى كافر النعمة الذى تحالف قبل مع الخليفة المقتدر واستقطع منه فارس لنفسه قبض على ابنى سيده وأرسلهما مقيدين الى بغداد واستقل بفارس تماما •

وفى (٢٩٧هـ) هاجم الليث بن عى السبكرى بفارس وأخرجها عنه لكن الخليفة المقتدر سير مؤنسا الخادم من ناحية والحسين بن حمدان

والى قم من ناحية أخرى (وقد ذكر الاثنان فى فصل آل بويه) لمساعدة السبكرى ، وبعد مدة من القتال والجدال تغلب الاثنان على الليث بن على فى غرة المحرم (٢٩٨هـ) واستأسره وأرسل به مؤنس الى الخليفة المقتدر ببغـداد .

٥ — أبو على محمد بن على بن الليث

(المحرم من ٢٩٨ حتى الحجة من نفس السنة)

بعد أسر الليث بن على بايع أهل سيستان أخاه أبا على محمـدا ، وتأمر هذا الأمير فى هذا الوقت وحسب على سيستان والجزء الشرقى للبلاد الصفارية أى بست وكابل وغزنين (غزنة) ، لأن خراسان كانت مع الأمير اسماعيل السامانى من حين أن هزم عمرا بن اللـيث ، وكـانت فارس وكرمان يديرهما السبكرى أيضا باسم الخليفة المقتدر .

ولما بلغ المقتدر خبر جلوس أبى على محمد ، كتب الى أحمـد بن اسماعيل السامانى يأمره بمهاجمة سيستان وفتحها وضمها الى ممتلكاته ، فسير أحمد الحسين بن على المروزى قائدا على جيش اليهـا وفتـح الحسين بن على بعد حرب شديدة مدينة زرنج وهرب أبو على محمد منها الى بست . وبعد فترة قدم الأمير السامانى مع (سيمجور) أحد غلمانه الى سيستان وقبض على (معدل بن على) أخى أبى على محمد الذى كان لا يزال يقاوم فى احدى قلاع سيستان وأسر أحد قواد الأمير أحمد أبا على أيضا فى (بست) وهكذا خرجت سيستان عن أيدى الصفاريين واستقر فى حكمها من طرف الأمير أحمد السامانى سيمجور الذى مر ذكره فى الثانى من ذى الحجة من (٢٩٨هـ) . ولما لم يستطع أو يرد السبكرى أن يبعث بالجزية المقرر ارسالها سنويا الى بغداد سير المقتدر جيشـا له فهـزم السبكرى وفر من شيراز الى كرمان فى (٢٩٩هـ) ولما لم يكن يسـتطيع الظهور بسيستان عرج الى هراة عن طريق صحراء لوط وسلم نفسه الى الأمير أحمد . فسير هذا الأمير ولم يكن له هدف فى حياته الا أن يكـون

خادما للخلفاء العباسيين(١) بالسبكرى وأبى على محمد بن الليث الى دار الخلافة للمقتدر وألقى الخليفة بهمـا فى حبسـه •

الأمـراء الصفاريون الآخـرون

بعد شهرين أسقط الأمير أحمد سيمجور عن ولاية سيستان وفوض ابن عمه أبا صالح منصورا بن اسحاق لها • فأوقع أبو صالح وجنده بأهل سيستان ايذاء كثيرا خاصة بالخوارج منهم وكـانوا أحـرارا محبـين للاستقلال فأعلنوا عصيانهم لهذا الاستخفاف وثاروا فى (٣٠٠هـ) على أبى صالح والسامانيين وقبضوا عليه وحبسوه فى قلعة (أرج) بسيسـتان وبايعوا ابن يعقوب بن محمد بن عمر بن الليث وكان عمره عشرة أعوام واسمه أبا حفص عمره • فأمر أحمد السامانى الحسين بن على المروردى مرة أخرى بفتح سيستان ، فسيطر عليها بعد حصار استمر تسعة شهور وقبض على أبى حفص عمرو فأمر أحمد السامانى الحسـين بن عـلى المروردى مرة أخرى بفتح سيستان فسيطر عليها بعد حصار اسـتمر تسعة شهور وقبض على أبى حفص عمر وأرسل به الى بخارا •ثم عين أحمد سيمجور ثانية أميرا على سيستان •وأمر أبا صالح على نيشابور •ومع أن سيستان من عام (٣٠٠هـ) قد سيطر عليها السامانيون مرةأخرىوكانينصب لحكمها من طرفهم أو الخليفة فى بغداد حاكم بين الفينة والأخرى الا أن أهل سيستان الذين لم ينسوا ذكرى عهد يعقوب وعمر أبـدا وكانـوا يتميزون من الغيظ لاستيلاء الأجانب على بلدهم كانوا يقومون بالثورات على الولاة الأجانب كلما سنحت لهم الفرصة ، كما حدث فى المحـرم من (٣١١هـ) حين طردوا الوالى السامانى لسيستان وأمروا الأمير أبا جعفر

(١) لا يعنى أن الأمير أحمد السامانى واسرته كانوا فى طاعة الخليفة باعتباره خليفة لكافة المسلمين وينتسب الى بيت النبوة وقد كان هذا اعتقاد المسلمين كافة فى الخليفة آنذاك وهو انه خليفة لله تعالى فى ارضه ، لا يعنى ذلك أن هذا الأمير كان خادما أو كان أمله أن يكون خادما للخلفاء العباسيين ، وما قول (اقبال) هذا الا نوعا من العصبيـة للصفـاريين عـلى الخلافـة والسامانيين ، وقد أشرنا الى هذه النقيصة عند الفرس عامة فى التأريخ ليعقوب الصفـارى .

أحمد بن محمد بن خلف بن الليث الذى سبق ذكره الذى كان أمه (بانو) ابنة محمد بن عمر بن الليث .

وقد كان الأمير أبو جعفر أحمد بن محمد هذا الذى حكم سيستان بين عامى ٣١١هـ ، ٣٥٢هـ وكانت علاقاته بالأمراء السامانيين خاصة نصر ابن أحمد ممدوح الرودكى حسنة رجلا ذا كفاءة محنكا حكيما فاضلا ، أمنت فى عهده سيستان وهدأت أمورها وتقاطر اليه الفضلاء والحكماء من الأطراف وألفوا باسمه الكتب .

وفى (٣٥٢هـ) قتل الأمير أبا جعفر فى مجلس شرابه جماعة من غلمانه فخلفه ابنه الأمير أبو أحمد خلف وأشرك هذا الأمير معه فى الحكم طاهرا بن على التميمى الذى ينتسب من ناحية أمه الى على بن الليث أخى عمر ويعقوب . وكان طاهر رجلا شجاعا كافيا عالما . قاتل أعداء خلف والأمراء السامانيين خاصة (ماكان بن كاكى) وانتصر فى غالب معاركه .

وعزم خلف فى (٣٥٣هـ) بيت الله حاجا وأناب طاهرا بن على فى حكمه لسيستان ولما عاد من الحج لم يدعه طاهر يدخل سيستان فلجأ خلف الى منصور بن نوح السامانى ودخلها بعونه . وأخلى طاهر المدينة فلم يكن يطيق المقاومة واتجه الى حدود هراة لكنه هاجم سيستان بعد أن علم بتفرق جند خلف ، فاستمد الأمير منصورا ثانية وعاد الى مدينته . وفى هذا الوقت مات طاهر وترأس ابنه الحسين أتباع والده . وفى عاقبة الأمر استأمن الحسين منصورا السامانى واتجه الى بخارا واستقر خلف على سيستان فى (٣٥٩هـ) .

وبعد مدة سلك خلف سبيل العصيان على منصور السامانى واستنكف أن يرسل المال والهدايا التى كان ملزما بارسالها ، فأرسل منصور جيشا بقيادة الحسين بن طاهر معارض خلف لتأديبه الى سيستان . وحاصر الحسين قلعة (أرج) بسيستان نحو سبعة أعوام ولم يتمكن من خلف . وفى النهاية توسل منصور بأبى الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور

القائد السابق لجيش خراسان وأمره بدفع خلف بسيستان ، فطلب أبو الحسن السيمجورى وكان حانقا على منصور لعزله عن قيادة جيش خراسان ولصداقته لخلف سلميا من خلف أن يترك قلعة أرج للحسين ويذهب لقلعة أخرى حتى يستطيع أن يبين للأمير السامانى أنه استولى على قلعة أرج هذا بعد تعب وشدة • ففعل كذلك وقام أبو الحسن السيمجورى بالصلح بينه وبين الحسين طاهرا وأخذ من كبار سيستان ومن الحسين بن طاهر رسائل فيها أنه سيطر على القلعة وتركها للحسين وأرسل بتلك الرسائل الى بخارا • لكن خلفا بعد مدة قليلة أى فى المحرم من (٣٧٣هـ) هاجم الحسين ، وبعد ستة شهور من الصراع تصالحا فى رجب (٣٧٣هـ) ولم يطل الوقت حتى توفى الحسين واستقل خلف بامارة سيستان •

ظل خلف بن أحمد أميرا على سيستان حتى شهر صفر من (٣٩٣هـ) وان كان سلم فى السنوات الثلاث الأخيرة امارته للسلطان محمود الغزنوى بعد حرب بينهما كما سيلى فى تاريخ الغزنويين • وأرسل محمود به الى جوزجانان لكنه فهم بعد أنه تواضع سرا مع ايلك خان الآفراسيابى فأمر بحبسه ومات خلف فى حبسه فى (٣٩٩هـ) وهو آخر أمير معروف من أمراء الصفاريين لأن بعده ظهر بضعة نفر فى سيستان بدعوى نسبتهم لهذه الأسرة ووصلوا الى حكم سيستان بمساعدة الملوك الآخرين ، لكن لم يظهر من بينهم واحد له فى التاريخ اسم وعنوان معتبران ويجدر بالذكر •

كان الأمير خلف بن أحمد رجلا دنيا محبا للأدب والشعر فاضلا ، وقد ألف جماعة من علماء عصره باللغة العربية تفسيرا كبيرا للقرآن الكريم باسمه ومدحه شعراء مشهورون من مثل أبى الفتح على بن البستى (١)

---

(١) هو نظام الدين العميد ابو الفتح على بن محمد من شعراء العهد الغزنوى واواخر القرن الرابع ، كان صاحب ديوان ناصر الدين سبكتكين ثم غضب عليه محمود الغزنوى فرحل عنه ، وتوفى بين عامى (٤٠١هـ) و (٤٠٣) وكان بليغا فى شعره العربى والفارسى ونثره فيهما ونسب اليه خطأ ديوانان فى اللغتين ، ونقل له صاحبا لباب الالباب ومجمع الفصحاء بعضا من شعره الفارسى •

وأبى منصور محمد بن عبد الملك الثعالبى (٢) وأبى الفضـل أحمـد من الحسن بديع الزمان الهمدانى (٣) خاصة بديع الزمان الذى خلد خلفـا بذكره خيره بمدائحـه .

أسماء الأمراء الصفاريين وزمن امارة كل منهم

١ — أبو يوسف يعقوب بن الليث (٢٤٧ — ٢٦٥هـ) ١٨ عاما

٢ — عمرو بن الليث أخوه (٢٦٥ — ٢٨٧هـ) ٢٢ عاما

٣ — أبو الحسن طاهر بن محمد بن عمر بن الليث (٢٨٧ — ٢٩٦ هـ) ٩ أعوام

٤ — الليث بن على بن الليث (٢٩٦ — المحرم من ٢٩٨هـ) ٣ أعوام

٥ — أبو على محمد بن على بن الليث (من المحرم حتى ذى الحجة من ٢٩٨هـ) عاما واحدا

(الحكام السامانيون من ذى الحجة ٢٩٨ حتى المحرم ٣١١هـ) ١٢ عاما

٦ — أبو جعفر أحمد بن محمد بن خلف (٣١١ — ٣٥٢هـ) ٤١ عاما

٧ — أبو أحمد خلف بن أحمد (٣٥٢ — ٣٩٣هـ) ٤١ عاما

١٤٦ عاما

---

(٢) صحة اسمه أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى النيشابورى من الكتاب والمؤرخين المعروفين الفرس فى القرن الرابع الهجرى وله آثار **هامة بالعربية من بينها يتيمة الدهر** وتتمة اليتيمة فى سير الشعراء الكبار **المعاصرين له ، وغرر** أخبار ملوك الفرس وسيرهم فى تاريخ ايران القديم **وكتاب الاعجاز** والايجاز وكتاب التمثيل والمحاضرة ، وتوفى عام (٤٢٩هـ) .

(٣) هو أبو الفضل احمد بن الحسن وليس الحسين من أدباء وكتاب **القرن الرابع ، توفى** (٣٩٨هـ) ويشتهر بنثره المسجع وتأليفه المقامات ، **لحق بخدمة** الصاحب بن عباد ، وتميز عن أبناء عصره بقوة الحافظة واحاطته **باللغة والشعر والأدب وبراعته وقوة براعته فى النظم والنثر العربيين . ومقاماته تشهد بهذا** وقد حوت واحدة وخمسين مقامة .

الفصل الخامس

السامانيون

(٢٧٩ — ٣٨٩هـ)

بداية أمر السامانيين : —

ينتسب السامانيون الى قرية (سامان) من القرى القريبة من سمرقند ، وكانوا يرثون امارتها وكانوا من أصل زردشتى ومن الأمراء المحليين الايرانيين ولذا فقد كان يدعى كل منهم (سامان خداه) أى كبير وصاحب قرية سامان •

ويقول أكثر المؤرخين ان السامانيين من أبناء (بهرام جوبين) القائد المعروف لهرمز الرابع وخسرو برويز ، لكن هذه النسبة كسائر النسب التى كانت تلصق فى القرنين الثالث والرابع الهجريين للأمراء وكبار الايرانيين محل نظر •

وقول مشهور هو أقرب الى الأسطورة من الحقيقة يقول ان (سامان خداه) جد الأمراء السامانيين بدأ حياته برعى الابل ، ثم أنف أن يستمر فى عمله هذا بسبب علو همته وطلبه المجد ، فعمل بالعيارة وقطع الطرق كما فعل يعقوب بن الليث ، وبعد أن جمع أتباعا كثيرين استولى بهم على مدينة شاش ، مكان طاشقند الحالية وتأمر عليها •

لكن الأمر المسلم به أن أحد كبار سامان اعتنق الاسلام أيام حكم أسد بن عبد الله القسرى لخراسان (فى عصر هشام بن عبد الملك) وسمى ابنه أسدا باسم حاكم خراسان •

وليس بأيدينا معلومات مبسوطة عن حياة أسد وما نعرفه أنه أتى الى المأمون حينما كان مقيما فى مرو (من ١٩٣ حتى ٢٠٢هـ) ومعه أبناؤه الأربعة نوح وأحمد والياس ويحيى فقبله المأمون وأبناءه فى خدمته .

وبعد وصول المأمون للخلافة كلف غسان بن عباد ابن عم الفضل ذى الرياستين (٢) ووالى خراسان بأمر من الخليفة كلا من أبناء أسد بعمل ففوض سمرقند الى نوح وفرغانة الى أحمد وشاش الى يحيى وهراة الى اليـاس .

وبعد أن عزل غسان بن عباد عن حكم خراسان ونصب طاهر ذو اليمينين عليها بقى أبناء أسد السامانى فى أعمالهم ، لأن الطاهريين أبقوهم فى مناصبهم الأولى بتوصية من الخليفة بل زادوهم أعمالا أخرى ، كما مر بنا فى تاريخ آل طاهر أن طلحة بن طاهر بعد أن تحرك الى سيستان الى خراسان لشغل منصب أبيه ، عهد الى الياس بن أسد السامانى بعمله الأول فضم اليه سيستان الى ولايته الأولى وهى هراة .

ومات نوح فى عهد امارة طلحة (٢٠٧ — ٢١٣هـ) فضم طلحة سمرقند ولاية حكمه الى أخويه أحمد أمير فرغانة ويحيى والى شاش .

وبعد موت الياس فى (٢٤٢هـ) بلغ ابنه ابراهيم قيادة جيش الطاهريين فى خراسان وانهزم من الأمير يعقوب الصفارى فى (٢٥٣هـ) كما مر بنا فى بوشنج بهرات ولاذ بالفرار الى نيشابور .

---

(١) هو الفضل بن سهل ذو الرياستين الذى عمل على تولية على ابن موسى الرضا امام الشيعة الاثنى عشرية الثامن عهد المأمون ، وكان لا يريد من جهوده فى هذه التولية غير ان يستأثر بالامر من دون المأمون ولعله كان يقصد الى ازالة الخلافة العربية هارعا فى ذلك على اثر البرامكة زمن الرشيد ، واقرأ فى ذلك ما كتبه شهاب الدين التواريخى فى كتابه (بعض فضائح الروافض) المؤلف عام (٥٥٥هـ) الذى نقل أجزاء كبيرة منه عبد الجليل القزوينى الرازى فى كتابه النقض (طبعة تهران عام ١٣٣١ ش من ص ٤١٧ — ٤١٨) — أنظرا ايضا النثر الفارسى : د. السباعى محمد السباعى (مصر ١٩٧٨) ٣٣١ — ٤) .

وكان لأحمد بن أسد بن سامان خداه سبعة أبناء هم نصر ويحيى ويعقوب واسماعيل واسحق وأسد وحميد .

وأودع أحمد فى أيام شيخوخته امارة فرغانة وسمرقند الى ابنه الأكبر نصر أما هو فقد وافته المنية فى (٢٥٠هـ) . ورأس نصر اخوته الستة الذين كانوا طوع أمره .

وفى (٢٦١هـ) بعث الخليفة المعتمد منشور امارة جميع بلاد ما وراء النهر رسما باسم نصر بن أحمد وآثر نصر الاقامة فى سمرقند وأرسل اسماعيل من بين أخوته نائبا عنه ببخارى وكلف كل واحد من اخوته الباقين بحكم ولاية .

النزاع بين نصر واسماعيل فى ٢٧٥هـ : —

كان اسماعيل يحكم لفترات فى بخارى من جانب أخيه نصر برفق وعدل ويجهد دائما فى رعاية احترامه الى أن خرج رافع بن هرثمة كما مر فى تاريخ الصفاريين وشيد فى الأيام التى حكم فيها نيسابور وخراسان الشمالية صرح الصداقة مع اسماعيل بحكم مجاورته له ، وقوى الصفاء بينهما الى حد أنه صار اتحادا وكانت رسائل المودة تتردد بين الجانبين دائما . وأظهرت جماعة من الوشاة هذا الصفاء الكامل لنصر اتحادا ضده وقالوا له ان اسماعيل يفكر أن يبعده عن سمرقند بعون رافع فيستقل بكل بلاد ما وراء النهر . ووقعت هذه السعاية من نصر موقع التأثير فسير جيشا ضخما الى بخارا وأرسل اسماعيل رسولا يستمد رافعا اذا لم يكن يستطيع مقابلة أخيه . وأدرك رسول اسماعيل بعد لقاء رافع أنه يعزم السيطرة على سمرقند له بدلا من معاونة الأمير اسماعيل ، وفى هذه الحالة يحتمل أن يصير مخدوم الأمير اسماعيل تابعا لرافع ، ولهذا صرف رافعا عن فكرة التحرك الى ما وراء النهر وأفهمه أن المصلحة فى تصالح الأخوين . وسعى رافع فى هذا الصلح أيضا سعيا بليغا ، وانتهى النزاع

بين نصر واسماعيل مؤقتا لكن الصفاء الذى كان بينهما لم يعد فظل الأخوان يسىء الظن أحدهما بالآخر ، حتى ان نار الخصام اشتعلت بينهما بعد قليل وانتهى الأمر هذه المرة بالقتال . وهاجم نصر بجيش متأهب من سمرقند بخارى ليطرد اسماعيل ، لكن نصرا غلب وأسر فى الحرب التى جرت فى خريف (٢٧٥هـ) بالقرب من بخارى ، وقدم اسماعيل ومعه أخوه الى بخارى .

وحينما وصل اسماعيل الى بخارا رفع أخاه على عرشها ووقف أمامه موقف التابع وبالغ فى احترامه وتعظيمه الى حد أن نصرا ظن أن اسماعيل يهزأ به . ثم أرسل معه الى سمرقند أتباعا له كثيرين وقال فى وداعه له أنه سيبقى فى بخارى نائبا عنه كما كان ولن يتجاوز طريق تبعيته وطاعته قيد أنملة .

وعاد نصر الى سمرقند وبقى الى أن مات (٢٧٩هـ) فى حب واخلاص مع أخيه ، ولما مات ضم اسماعيل سمرقند الى ملكه واستقل بكل ما وراء النهر .

١ — اسماعيل بن أحمد الأمير العادل

(٢٧٩ — ٢٩٥هـ)

يعد الأمير اسماعيل بن أحمد عادة مؤسس الدولة السامانية لأنه تأمر على ما وراء النهر بعد موت أخيه الأكبر وخضع له سائر الأمراء السامانيين المحليين ، خاصة أنه فى أيام امارته قد وسع من حدود الدولة السامانية وضم اليها خراسان وجرجان وطبرستان وسيستان والرى وقزوين وكان اسماعيل قبل وفاة أخيه وبعدها يصرف أغلب وقته فى جهاد الكفار بحدود البلاد السامانية الشمالية ، كما حدث فى (٢٨٠هـ) بعد موت نصر اذ تقاتل مع أحد خانات التركستان وبعد أن غلبه استاق أباه وزوجته أسيرين معه الى سمرقند وغنم فى هذه الواقعة جنده غنائم كثيرة

حتى أنه أصاب كل واحد منهم نحو ألف درهم .

أما وقائع عهد امارة الأمير اسماعيل فهى :

١ ــ حربه مع عمر بن الليث الصفارى واستئساره عمرا فى (٢٨٧هـ) .

٢ ــ قتاله محمدا بن زيد الداعى ، وغزوه جرجان وطبرستان بعون محمد ابن هارون السرخسى فى نفس عام (٢٨٧هـ) التى انتهى بقتل الداعى وفتح جرجان وطبرستان وضمهما الى بلاد السامانيين .

٣ ــ قتاله لدفع محمد بن هارون الذى عصى اسماعيل بعد عام ونصف من توليته من جانبه حكم طبرستان وقد دخلت نتيجة هذه الحرب الرى وقزوين فى طاعته . وتفصيل هذه الوقائع الثلاث مر فى طى تاريخ العلويين والصفاريين .

وأنفق اسماعيل بعد عودته من الرى وقزوين الى ما وراء النهر بقية أيامه فى الجهاد فى توران وهاجم هذه الناحية مرارا وعاد فى كل مرة بالأسرى والغنائم وظل حاله هذا الى أن ودع الدار الدنيا فى صفر من عام (٢٩٥هـ) .

كان اسماعيل فوق شجاعته وهمته وفتوته رجلا كثير الورع والخشية من الله تعالى دينا ، وكان جنده يشغلون أنفسهم بالدعاء والصلاة والعبادة ليلهم ونهارهم . أما هو فقد سعى الى أن تتسم حروبه كلها بسمة الجهاد والغزو فى سبيل الله تعالى ولهذا فقد سماه بعض المؤرخين (قائد الغزاة)

والحكايات فى ورع اسماعيل وعدالته وعفته وسلامة نفسه عديدة ، وكان سياسته قد وقرت فى نفوس جنده اذ كانوا بنفس سيرته فلم يجرؤ أحدهم على أن يتعدى على مال للرعية بدون اجازة من اسماعيل وخوفا من مؤاخذته لهم .

وكان لهذا الأمير فى بخارى (١) ديوان وقضاة مخصوصون لاحقاق

(١) يقول هامبرى ان بخارى لم تعد مجرد حاضرة لاسماعيل وانما

حقوق الرعية ودفع المظالم وكان يصحبه فى أسـفاره دائما جمـاعة من القضاة العدول فاذا وقعت له أثناء الطريق حاجة للقضاة لم يصر بهم فى القطع والفصل فى الأحداث رهن الاشكال والخلاف فينفذ الحـكم طبق الشرع ، كما فعله بمحمد بن زيد العلوى بعد أن غلبه اذ أعـاد للشـعب الأموال التى أخذها العلوى غصبا منهم .

ونتيجة هذه السيرة الطيبة لقبه معاصروه بالأمير العادل وكانـوا يذكرونه بعد أن مات باسم (الأمير الماضى) — أى الماضى العزم عـلى الظـلم — دائمـا .

ومع أن اسماعيل كان رجلا بلا شائبة وامرءا دينا يحترم علماء الدين ويجلهم اجلالا لكنه بسبب تعصبه الشديد للمذهب السنى كان فى الحقيقة تابعا صميما وخاضعا مطيعا للخلفاء العباسيين ، ولهذا فلم يكن له ولأخلافه احساس حب ايران والاستقلال قط كما كان عند الصفاريين والديالمة ، ولكنهم كانوا على خلاف هذا اذ كانوا فى حـرب دائمة بأمـر الخلفـاء العباسيين مع هؤلاء الايرانيين الذين كانوا يعصون الخليفة ويثـورون معتنقين مذاهب غير المذهب الرسمى لبلاط بغداد ، وكان اسماعيل وخلفاؤه

=

حاضرة فى الواقع لكل ولايات آسيا الوسطى بعد أن نجح فى توحيد ايرانى الشرق مع بنى جلدتهم فى الغرب ، كما صارت مركزا لكل النشاط والحركات الفكرية التى ظهرت من بعد ذلك فى القسم الشرقى من بلاد الدولة الاسلامية . وحين قضى العرب على كيان ايران القومى بقى بصيص غير خاب من ذرات الحضارة الفارسية تحت المعابد فى ايران الشرقية خاصة فى بلخ وما وراء النهر ليذكى من نارها السامانيون من بعدذ لك حتى أشرقت اسلامية خالصة فى اتجاهها ولا يصعب مع هـذا تتبع منشئها فى بيوت النار الزردشتية . واشتهرت بخارى قبل الاسلام بأنها (مثابة العلوم كلها) وقيل ان اسـمها اشتق من كلمـة بخار الزردشتية بمعنى مجمع العلم ، لكنها صارت عهـد السامانيين معروفة باسم (بخارى الشرقية التقية) انظر تاريخ بخـارى (ص ٥١) حاشية (٣) وص ١٠٤ حتى من ١١٠ . ومفهوم كلام فامبرى ان اسـماعيل والسامانيين باستقلالهم بالجـزء الشرقى وبعض ايران عن الخلافة قد استقل بالقومية الايرانية وان اصطبغت بالاسلام بدل الزردشتية ، وقوله هذا يرد بعد قليل على اقبال .

يجهدون لكى يستأصلوا شأفتهم كما فعلوا بعلويى طبرستان والصفاريين ، وكثيرا ما أعادوا هيبة الخلفاء العباسيين المضاعة الى وضعها الأول(١) •

٢ ــ أبو نصر أحمد بن اسماعيل

(٢٩٥ ــ ٣٠١هـ)

خلف أبو نصر أحمد أباه اسماعيل بعد موته وأرسل الخليفة المكتفى رسميا منشور امارته ما وراء النهر وخراسان • وقد هاجم أحمد فى أول أمره سمرقند واستخلصها من يد اسحاق بن أحمد عمه الذى أنابه فيها أبوه اسماعيل من قبل ، واستاق اسحاق أسيرا الى بخارى •

---

(١) قد يظن بنا فى ردنا للمؤلف ومن هم على نحلته من التعصب الاعمى اننا نقارعه نفس التعصب ، والتعصب ليس من الموضوعية العلمية فى شىء ، الا أن هذا الظن يرده نفس المؤلف فى قولته الاخيرة . اذ انه بعد أن يمتدح عدل الأمير اسماعيل ودينه وورعه وسلامة نفسه وتدين جنوده وسهرهم على راحة الرعية من فرس وغيرهم يقدح فيه انه كان متعصبا شدديد التعصب لأنه لم يجاهر الخليفة بالعصيان ولم يهجم على بغداد ويقتل أناسها ويذل أهلها من السنة كما فعل الصفاريون ولم يحى سنن الايرانيين المجوسية القديمة أو لم يقتل المؤذنين والمصلين ويخرب المساجد كما فعل الديالمة وكما ذكر المؤلف نفسه فى تاريخه لأسفار ووشكير وأخيه مرداويج . اسماعيل فى رأى المؤلف متعصب ومخطىء ركافر بالقومية الايرانية وخاضع لأنه لم يفعل مافعله الديالمة والصفاريون والعلويون بطبرستان من أعمال الظلم والتخريب والقتل . وليت شعرى من المتعصب اسماعيل أم المؤلف وأسلافه من الديلم والصفاريين ؟ ! لقد أسدى السامانيون الى أهل ايران خدمات جليلة ذكرها الايرانيون أنفسهم لم يقم بمثلها الصفاريون أو غيرهم ، فلم تتكون اللغة الفارسية لغة مستقلة ولم يستقل أغلب ايران دولة قوية ولم يكن لها طابع قومى مستقل ووجه مهاب ولم يتفقه ابناؤها فى دينهم ولم يحيوا حياة آمنة منظمة الا فى عهد اسماعيل وخلفائه .. وقد ذكر المؤلف أن اسماعيل رد أموال الرعيــة التى غصــبها العلويون من ابناء على الذين ما خرجوا على الخلافة الا للدنيا واللظم وما ردهم عن ظلمهم الا من تمسك بأهداب الدين (السنى) وساير الخلفاء . ويدعى المؤلف أن المذهب الرسمى للصفاريين أو لغيرهم كان المذهب الشيعى ومـــا يقوله التاريخ أن هذا المذهب لم يصبح رسميا الا مع قيام الدولة الصفوية التى فرضته على الشعب فرضا ، وكان التشيع قبلها هو مجرد حب وايثار لاهل البيت وكفى وليس ستارا يتخذه الطامحون الى العرش من الساسة والخارجين الذين لا يدينون بغير مصلحتهم وأطماعهم •

والواقعة الهامة فى امارة أحمد غزوه طبرستان عن طريق أبى العباس محمد بن صعلوك حاكم الرى وأبى الفضل محمد بن عبيد الله البلعمى وزير أبيه المشهور ، وثورة الناصر الكبير العلوى على عمال السامانيين (٣٠١هـ) وطردهم من طبرستان وقد ذكر ذلك بالتفصيل فى فصل علويى طبرستان • ثم فتح سيستان بيد القائدين الشهيرين السامانيين الحسين ابن على المروردى وسيمجور الدواتى فى آخر عام (٢٩٨هـ) واخماد ثورة هذه الولاية فى (٣٠٠هـ) وفتحها مجددا وقد مضى ذلك كله فى فصل الصفاريين •

كان أحمد على خلاف أبيه رجلا ضعيف النفس لم يكن يبذل لأمور الملك اهتماما كبيرا وكان يميل أكثر من ذلك الى الصيد ، ولهذا فقد كان يقوم بتدبير مصالح الرعية والملك فى أغلبها أبو الفضل البلعمى وقواد الجيش مثل الحسين بن على المروردى وسيمجور • ومشهور أنه عندما وصلته رسالة أبى العباس محمد بن صعلوك والى طبرستان التى يبلغ فيها ثورة الناصر الكبير مادت به الأرض حتى أنه تمنى الموت من الله ، ويشاء الله تعالى أن يقتله بعض غلمانه فى نفس هذا الوقت فى المطاد فى جمادى الآخرة (٣٠١هـ) وقد لقب بالأمير الشهيد بعد قتله لهذا •

٣ — نصر بن أحمد
(٣٠١ — ٣٣١هـ)

ولما قتل أحمد بن اسماعيل كان ابنه نصر ابن ثمانية أعوام فأجمع كبار الدولة وأمراؤها على امارته ونصب أبو عبد الله الجيهانى فى وزارته فأمسك بأزمة أمور الدولة •

وقد قام بسبب صغر سن الأمير نصر مدعون عدة بمخالفة السامانيين كان أحدهم اسحاق بن أحمد أخا اسماعيل الذى استخلص الأمير أحمد الشهيد ، كما سبق ، سمرقند منه وأودعه الحبس فى بخارا • وخلص اسحاق بعد قتل أحمد من سجنه وجمع جيشا يعاونه ابنه الياس وهاجم

بخارا لكن قائد نصر (حموية بن على كوسة) قابله فغلبه على أمره ••فطلب اسحاق الأمان فعفا عنه نصر وقدم به مكرما الى بخارى وظل حيا فى قصر الأمير معززا حتى مــات •

وممن نهض مخالفا عقب موت الأمير أحمد وجلوس نصر أبو صالح منصور بن اسحاق السامانى حاكم الرى السابق وسيستان الذى وجهه الأمير أحمد حاكما لنيسابور بعد دفع عصيان أهل سيســتان وفتحهــا الثانى بيد الحسين بن على المروردى وأجلس الحســين مكانــه عــلى سيســتان •

وعاص ثالث هو الحسين المروردى نفسه الذى كان يود أن يحفظ سيستان لنفسه بعد فتحها الثانى فلم يقبل الأمير أحمد هذا • أما أبــو صالح فقد مات فى بداية عصيانه فى نيشابور ، لكن الحسين الــذى كان حليف أبى صالح ضم اليه حلفاء آخرين وأعلن عصيانه على امارة نصر وسيطر على سيستان وهراة ونيشابور •

وتتفاوت ثورة الحسين بن على المــروردى على الســامانيين عن سائر ثورات المدعين تفاوتا كبيرا ذلك لأنه اعتنق المذهب الاسماعيلى اثر دعوات الدعاة الاسماعيليين الذين كانوا يدعون فى هذا الوقت الناس فى الرى وخراسان وما وراء النهر بنشاط تام الى هذا المذهب وتبعية الخلفاء الفاطميين فى مصر ، وأصبح الحسين من جملة الدعاة ودخل عداد الشيعة الفاطميين ولما أن عددا لا بأس به من ايرانيى خراسان وما وراء النهــر قد أقبل على المذهب الاسماعيلى فقد اتسمت ثورة الحسين بن على بأهمية خاصة وكانت ضد أساس حكم السامانيين وخلفاء بغــداد العباســيين مخدومى الأمراء السامانيين صراحة •

وقد عهد لأحد أبناء دهاقين مرو الايرانيين دفع ثــورة الحســين المروردى وكان اسمه أحمد بن سهل بن هاشم بن كامكار وكان يدعى وصول نسبه الى يزدجرد الثالث الساسانى • استرد أحمــد بن ســهل نيشابور من الحسين بن على فى (٣٠٦هـ) واقتاده الى بخارى أســيرا

وانتهت فتنة المروردى بهذا والذى مات فى حبس الأمير نصر . لكن لم تمر فترة طويلة حتى عصى أحمد بن سهل الأمير نصرا اذ أنس أحمد فى نفسه ادعاء الامارة والاستقلال وكان فاضلا أريبا أصيلا فى نسبه وابنا للعظام . خاصة وأنه كان يضمر حقدا خاصا للعرب لقتل عمالهم اخوته الثلاثة وكانوا جميعا منجمين وكتابا ، وكان دائما يسعى لتجديد أساس الدولة الايرانية وكلما سنحت له الفرصة كان يثور على العمال والأمراء الطائعين لأمر خليفة بغداد كما فعل حين عصى عمرا بن الليث ولحق بالأمير اسماعيل السامانى على رغم أنف الأول . وظل فى بلاط السامانيين الى أن أسقط فى نيشابور اسم الأمير نصر من الخطبة عام (٣٠٧هـ) بعد أن تغلب على الحسين بن على المروردى وأعلن الاستقلال . فأمر قائد الجيش السامانى حمويه كوسه والى جرجان قراتكين أن يحمل على نيشابور ويدفع أحمد بن سهل . فأخلى أحمد نيشابور وذهب الى مرو وتحكم فيها . وترك حمويه بخارى الى مرو وقبض على أحمد بالحيلة واقتاده أسيرا الى بخارى ، ومات أحمد فى ذى الحجة (٣٠٧هـ) فى حبس الأمير نصر .

ومدع آخر للأمير نصر هو الياس بن اسحاق بن أحمد السامانى ابن عم أبى الأمير نصر الذى غلب أباه حمويه القائد فى بداية امارة نصر وأسره . ثار الياس فى (٣١٠هـ) فى فرغانة ، وانهزم بسهولة على يد أحد العمال السامانيين ، ولم يحقق ابنه الذى سلك بعد فترة سيرة أبيه وجده شيئا اذ استسلم فى النهاية وقبل طاعة نصر .

وقد زالت هذه الفتن فى أغلبها كما أشرنا بتدبير وحنكة حمويه القائد وأبى عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى وزير نصر العالم ، ولما مات الجيهانى استوزر الأمير نصر أبا الفضل محمد بن عبيد الله البلعمى الذى كان وزيرا لجده اسماعيل وأبيه أحمد . واعتهد البلعمى هذا وزارة نصر حتى (٣٢٦هـ) وكان رجلا فاضلا محبا للفضل محنكا كافيا وهو ممدوح الشاعر الكبير أبى عبد الله بن جعفر بن محمد الرودكى وهو الذى نقل

بأمر من الأمير نصر كليلة ودمنة من العربية الى النثر الفارسى ثم دفع الرودكى الى نظمها شعرا فارسيا • وقد مات البلعمى والرودكى كلاهما فى (٣٢٩هـ) •

وكانت الفتنة العظمى التى حدثت فى عهد وزارة أبى الفضل البلعمى خروج اخوة نصر الثلاثة عليه فى (٣١٨هـ) • وكان نصر قد ألقى باخوته هؤلاء حتى لا يدعوا امارته حبس قلعة بخارى • وفى هذا العام حينما ذهب الأمير نصر الى نيشابور تمكن اخوته الثلاثة من خداع حراسهم بعون من جماعة من أهل بخارى فلاذوا بالفرار وأطلقوا أسر عدد آخر من العلويين والديالمة كانوا نزلاء السجن معهم ثم اتجهوا الى خزائن الأمير نصر فنهبوها واستولوا على دوره وقصوره • فعجل الأمير نصر من نيشابور الى بخارى وتمكن بعون البلعمى وأبى بكر محمد بن مظفر بن محتاج الجغانى قائد جيش السامانيين فى خراسان من اخماد فتنة بخارى ، وتفرق اخوة نصر الثلاثة فى أطراف البلاد •

وكان من بين أصحاب اخوة نصر جماعة من الشيعة الاسماعيلية والفاطمية وكانت رئاسة بعضهم لابن الحسين بن على المروردى • وكان للشيعة الاسماعيلية كما سبقت الاشارة فى هذا الوقت نفوذ فى البلاد السامانية وقد بلغ نفوذهم بلاط السامانيين نفسه اذ أنهم أدخلوا جمعا من رجال بلاط الأمير نصر فى مذهبهم • ووفق داعى خليفة الحسين بن على المروردى أخيرا فى أن يدخل الأمير نصر السامانى أيضا فى هذا المذهب • وقد دفع نصر مبلغ تسعة عشر ومائة ألف دينار دية موت المروردى الى خليفة الحسين لكى يرسلها الى القائم الخليفة الفاطمى بمصر امام الاسماعيلية •

وكان دخول الأمير نصر فى المذهب الاسماعيلى باعث تعب غلمانه الأتراك الذين كانوا حفظة الأمير وبلاطه وذوى نفوذ عليهم ، فصمموا أن يزيلوا نصرا من الامارة ويقتلوا الاسماعيليين وأعلن نصر فى هذا الوقت

أى حدود (٣٣٠هـ) ، وكان عليلا ، تبرأه من الاسماعيليين واعتزل الامارة واستخلافه ابنه نوحا للغلمان الأتراك ومخالفيه الآخرين • ولما مات فى (٣٣١هـ) ، قام نوح بقتل خليفة المرورودى وجميع رجال البلاط ورؤساء الجيش والكبار الذين اعتنقوا هذا المذهب ، فتحولت الاسماعيلية مضطرة من هذا الوقت من الدعوة العلنية الى الدعوة الخفية •

وانتهت وزارة الأمير نصر بعد عزل أبى الفضل البلعمى فى (٣٢٦هـ) الى ابن أبى عبد الله الجيهانى وزيره الأول وهو أبو علـى أحمـد بن الجيهانى ، لكن أبا الطيب محمدا بن حاتم المصعبى من الكتاب المنشئين ذوى النفوذ ومن فضلاء الاسماعيلية فى البلاط السامانى ومن ممدوحى الرودكى عارض هذا التعيين ، وحدث خلاف بين أتباع المصعبى والجيهانى فصارت أمور امارة نصر نهب الاختلال ، ودام هذا الحال الى أن هلك أبو على الجيهانى فى (٣٣٠هـ) تحت بيت منهار ، فاستوزر نصر وكان قد اعتنق المذهب الاسماعيلى المصعبى • لكن وزارته لم تطل لأنه بعد اعتزال نصر وتولى نوح كان مصير المصعبى القتل ضمن الكبار الاسماعيليين •

فتوح الأمير نصر ووقائع عهد امارته الخارجية : —

كان ذروة انبساط حدود الدولة السامانية فى أيام امارة الأمير نصر التى بلغت الثلاثين عاما ، والفضل الأكبر لهذا الاتساع يعود الى كفاءة وتدبير الوزيرين المشهورين أبى عبد الله الجيهانى ، وأبى الفضل البلعمى ورؤساء الجيش مثل حموية بن على كوسة وأبى بكر محمـد بن مظفـر الجغانى وابنه أبى على أحمد وقراتكين التركى وأبى عمران سـيمجور الدواتى والا ما استطاع الأمير نصر لصغر سنه ولشبابه (كـان بـلغ نحو الثمانية والثلاثين عاما عند وفاته) أن ينهض باحتواء المشـاكل التى أشرنا اليها آنفا وبالسيطرة على البلاد الواسعة التى تم الاستيلاء عليها لا سيما وأن الأمير نوحا توافر له فوق أعدائه فى الداخل الذين ذكرنـا أسماء أظهرهم ، أعداء وخصوم خارج حدود بلاده التى ورثها عن آبائه

من قبيل الدعاة العلويين بطبرستان وماكان بن كاكى وليلى بن النعمان ومردآويج وغيرهم •

فكما رأينا فى تاريخ العلويين قد حاول قادة الأمير نصر فى أيام امارة الناصر الكبير أن يستخلصوا طبرستان وجرجان منه بعد أن استصفاهما من قبضة العمال السامانيين لكنهم فشلوا فى اعادة هاتين الولايتين الى السامانيين برغم محاولاتهم العديدة ولم يروا غير مصالحته علاجا • أما الخليفة الناصر الكبير وهو الحسن بن القاسم الداعى الصغير فقد سير فى (٣٠٨هـ) قائده ليلى بن النعمان صوب خراسان للاستيلاء عليها ، واستولى ليلى على نيشابور ثم هاجم منها طوس لكن حموية وأبا الفضل البلعمى وسيمجور الدواتى أطبقوا عليه بطوس وأورده مورد الهلكة فى (٣٠٩هـ) • وأمر نصر فى السنة التالية قراتكين بالاستيلاء على جرجان بجيش يبلغ الثلاثين ألفا ، فاستولى عليها ، لكن العلويين استردوها بعد عودته • فبعث نصر هذه المرة سيمجور اليها وسير معه البلعمى فى عونه ، لكنهما لم يحققا شيئا أمام ماكان بن كاكى القائد الآخر للداعى وهكذا احتفظ العلويان بجرجان ، حتى قدم الأمير نصر بشخصه فى (٣١٤هـ) الى طبرستان فلم يلق غير الهزيمة والعار وغرم ثلاثين ألف دينار دفعها الى الداعى الصغير لكى ينجو من مضايق طبرستان • ومع أن نصرا فى هذا السفر أخذ الرى من عمال الداعى وأناب فيها عامله لكنها عادت الى العلويين بعد عامين أيضا وتولاها ماكان من قبل الداعى• ولم يستطع نصر الا أن يقضى على الداعى الصغير بيد أسفار ومردآويج خصمه الكبير ويأمن بذلك شره •

وبعد قتل أسفار وامارة مردآويج قائده للرى وطبرستان وجرجان رأى الأمير الزيارى صلاحه فى مماشاة السامانيين فترك جرجان بنصيحة البلعمى للأمير نصر ، فأناب نصر فيها وفى قيادة الجيش وحكم خراسان أبا بكر محمدا بن مظفر الجغانى ولم يتعرض مردآويج قط الى ولايات السامانيين ما دام حيا •

وفى خلال هذا الوقت أى فى (٣٣٢هـ) مقارن التاريخ الذى استولى فيه على بن بويه البويهى على شيراز فتح الأمير أبو بكر الجغانى والى خراسان كرمان بيد ماكان بن كاكى قائد مرداويج الذى كان قد لقـى الهزيمة منه ولاذ بالسامانيين ، وطرد أبو بكر أبا على محمـد بن الياس صاحب هذه الولاية منها ، وظلت كرمان لفترة تبع حوزة السامانيين •

وبعد قتل مرداويج أمر نصر أبا بكر الجغانى وماكان بالسيطرة على جرجان وطبرستان والرى كما مر فى تاريخ الزياريين لكنهما لقيا هزيمة مرة من عامل وشمكير أخى مرداويج وخلفه •

وفى (٣٣٧هـ) عزل الأمير نصر أبا بكر الجغانى الذى كان مريضـا فى ذلك الوقت عن حكومة خراسان وولاها ابنه أبا على أحمد • وهاجم أبو على فى (٣٣٨هـ) جرجان فى تعقبه لماكان الذى لحق مرة أخرى بآل زيار وانصرف عن السامانيين • وبعد أن استولى عليها عهـد بهـا الى ابراهيم بن سيمجور ، وبعد قليل أى فى ربيع الأول (٣٣٩هـ) أصـاب بعون آل بويه من ماكان مقتلا على مقربة من الـرى وهـزم وشـمكير واستصفى للأمير نصر بلاد أبهر وزنجان وقزوين وقم والكرج وهمدان ودينور وأوصل حدود الدلة السامانية وان لم يدم هذا الاتساع طويلا حتى حدود عراق العرب • ومن أراد التفصيلات فى علاقات الأمير نصر والحسن بن بويه والأمير أبى منصور بن عبد الرزاق الطوسى يرجع الى أحداث عهد وشمكير بن زيار •

والخلاصة أن الوقائع الهامة التى حدثت فى مدة امارة نـصر بن أحمد التى دامت ثلاثين عاما ومعاصرتـه الوزراء والرجـال والقـادة المشهورين الأكفاء والشعراء من مثل الرودكى والشهيد البلخى(١) قـد

---

(١) الشهيد البلخى المتوفى نحو عام (٣٢٥ هـ) هو ابو الحسن الشهيد بن الحسين من شعراء العهد السامانى وحكمائه وفضلائه حذق اللغتين العربية والفارسية ونبغ فى الفلسفة وناظر أبابكر محمد بن زكريا الرازى فى مسائلها ، ومدح نصرا بن احمد وأبا عبد الله الجيهانى .وله فى أنواع فنون الشعر شعر يجعله مسـاويا للرودكى •

جعلت من نصر أشهر الأمراء السامانيين وكان هو نفسه رجلا كريما حليما عاقلا ذا فتوة وعفو • وابتلى نصر فى آخر عمره بمرض السل ومكث مريضا به نحو ثلاثة عشر شهرا الى أن مات به ولقب بعد موته بالأمير السعيد •

٤ — نوح بن نصر

(٣٣١ — ٣٤٣هـ)

ويجب أن نعد بداية امارة نوح بن نصر هى بداية عهد ضعف الدولة السامانية لأن هذا الأمير وكان فى خوف من ثورة السنة والاتراك المتعصبين كما فعلوا مع أبيه ويود دائما الاستحواذ على رضاهم ، ألقى زمام أمور الدولة بعد بلوغه الامارة الى أحد فقهاء زمانه وقضاته بدلا من يعهد بها الى رجل جدير بها محنك بأمورها • ورغم هذا الوزير المؤثر كما كان عالما ورعا لكنه لم يكن على حظ بأمور السياسة واجراء أمور الدولة وهو أبو الفضل محمد بن أحمد السلمى الملقب بالحاكم الجليل الذى كان يصرف أكثر أوقاته بعد وزارته لنوح فى العبادة والصلاة وتصنيف الكتب فى الفقه وقل أن اهتم بادارة البلاد السامانية ، ولهذا حدث انهيار تام فى أساس الدولة السامانية • كما وضع الجنود أساس الشكوى والمخالفة حين لم تصلهم أجورهم من مدة قبل هذا الوقت بسبب الاغارة على الخزانة فى أيام ثورة اخوة الأمير نصر وحين وفاته ، فلم يبذلوا فى دفع الثورات التى شبت فى خوارزم وفرغانة وخراسان الجهد الأتم والوفاء الكامل فاتسعت هوة الاختلال •

وفى العام الثالث لامارة نوح عزل نوح أبا على أحمد الجغانى حاكم وقائد جيش خراسان بسبب شكاية أهلها سوء سيرته وسيرة عماله من منصبيه ونصب مكانه ابراهيم بن سيمجور • فاستاء لهذا أبو على الجغانى وهو الذى استصفى لنوح الرى من الحسن بن بويه من فترة قليلة ،

فأدخل تحت امرته بعون أخيه الرى وهمدان وبلاد الجبل وثار على نوح ابن نصر ، ثم ضم اليه خفية بعضا من جنود نوح من ناحية واستمد ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل السامانى ، وكان يعيش بالموصل ، وجيشه الى همدان من ناحية أخرى وتحرك برفقته الى خراسان .

وفى هذه الأثناء حرص جنود نوح بسبب شكواهم عدم وصول رواتبهم وضعف كفاءة الحاكم الجليل على عزل نوح وقتل هذا الوزير فى شهر جمادى الأولى (٣٣٥هـ) ، كما سلم اليه أعنى أبا على الجغانى قائدا نوح وهما ابراهيم بن سيمجور ومنصور بن قراتكين فى خراسان . وألقى أبو على الجغانى بمنصور فى السجن لكرهه له لكنه جعل من ابراهيم السيمجورى حليفا له وتمكنا بهذا التحالف من مواجهة الأمير نوح فى مرو . وهرب نوح من مرو الى بخارى ومنها الى سمرقند وأجلس أبو على الجغانى عم نوح ابراهيم السامانى رسميا فى امارة نوح ببخارى .

ولم يطل الأمر حتى اصطدم أبو على الجغانى بابراهيم السامانى الذى كان بصدد القاء القبض عليه ، فسلك الأمير الجغانى طريق التركستان والجغانيان (الصاغانيان) وأطلق سراح منصور بن قراتكين الذى كان يحتفظ به فى حبسه ، وتوجه منصور الى نوح بسمرقند .

وبعد رحيل أبى على خلع ابراهيم نفسه من الامارة وتركها لأبى جعفر محمد أخى الأمير نوح وجعل من نفسه قائدا له . لكنهما عندما لم يجدا فى نفسهما أمارة الامارة تقدما الى نوح وهو بسمرقند معتذرين وأعاداه الى بخارى . وعاد نوح الى بخارى وأدخل الجند العصاة تحت امرته بمساعدة منصور بن قراتكين ثم سمل عينى أخيه وعمه يدفعه خبثه ، وأطلق يد منصور بن قراتكين فى قيادة جيش خراسان وحكومتها فأدخل منصور خراسان ثانية فى طاعته .

وبعد أن استقر الأمير نوح على كرسى الامارة وجه همته لدفع أبى على الجغانى ولكن أبا على سبق فقدم الى الصاغانيان الى بلخ ومنها

الى بخارى لكنه هزم قرب هذه المدينة فى جمادى الأولى (٣٣٦هـ) هزيمة قاسية وهرب الى الصاغانيان • وسيطر نوح على هذه الولاية ، وانهزم أبو على ثانية الى طخارستان وجمع منها جندا وأتباعا • وفى ربيع الأول (٣٣٧هـ) هاجم الأمير نوحا فى ما حول الصاغانيان وقطع الطرق عليه خلال المعابر الضيقة لهذه الولايات الجبلية وقطع اتصاله ببخارى • وفى النهاية تصالح نوح وأبو على وقرر أن يبقى ابن أبى على رهينة فى بخارى ويعفو نوح عن أبى على • وعاش أبو على من هذه الآونة حتى (٣٤٠هـ) فى الصاغانيان •

أما منصور بن قراتكين فقد ظل من (٣٣٥) حتى (٣٤٠هـ) والى خراسان ودخل فى صراع فى هذه الفترة مع أبى منصور محمد بن عبد الرزاق الطوسى ، كما سبق ، ومع أبناء بويه ، أيضا حتى كان عام (٣٣٩هـ) حينما أفاد من غياب ركن الدولة ، عن الرى فاستولى عليها ، وتقدم حتى كرمانشاه وأحكم قبضته على أصفهان فى تعقبه ركن الدولة ، لكن أمرا هاما لم يقع من لدنه • وفى المحرم (٣٤٠هـ) عاد من أصفهان الى الرى وحينما وافى نيشابور وافته المنية فطلب نوح أبا على الجغانى من الصاغانيان وفوض اليه عمله الأول وهو قيادة جيش خراسان وامارتها

وسرعان ما أدخل أبو على خراسان اليه ، ثم توجه من جانب نوح فى (٣٤٢هـ) لمعاونة وشمكير ومحاربة ركن الدولة لكنه تصالح كما رأينا مع ركن الدولة فى الرى • وعلى أثر شكاية وشمكير من أبى على عزله نوح من عمله فلاذ أبو على بركن الدولة •

وتوفى الأمير نوح بعد حكم اثنى عشر عاما وثلاثة شهور فى ربيع الأول (٣٤٣هـ) ولقب الأمير الحميد ، لقبه معاصروه بذلك ، لطيب سيرته وحسن أخلاقه •

٥ ـ أبو الفوارس عبد الملك بن نوح

(٣٤٣ ـ ٣٥٠هـ)

صار الابن الأرشد لنوح بعد موته وهو الأمير الرشيد عبد الملك أميرا واستوزر بعد جلوسه أبا منصور محمدا بن عزيز وأبقى أبا سعيد بكرا بن مالك الفرغاني الذى عينه أبوه نوح فى قيادة جيش خراسان مكان أبى على الجغانى فى موضعه • ووفق أبو على هذا بعون من آل بويه وكان ساخطا لعزله ، فى أن يستصدر من المطيع الخليفة العباسى منشور ولايته خراسان ومن ثم طالب بمنصب أبى سعيد •

وهاجم أبو على الجغانى وركن الدولة والحسن بن فيروزان جرجان وتقدموا حتى (جاجرم) فى خراسان لكنهم لم يقووا على الجيش السامانى فآبوا بالهزيمة الى طبرستان ومنها الى الرى • وبعد قليل أى فى رجب من (٣٤٤هـ) مات أبو على الجغانى فى وباء عام حدث فى الرى وخلص السامانيون منه •

وسير أبو سعيد جيشا كثيفا بقيادة محمد بن ماكان عن طريق الصحراء لفتح أصفهان التى كانت تابعة لمؤيد الدولة لاتعابه ، وهزم محمد مؤيد الدولة وفتح أصفهان واستحوذ على أموال ركن الدولة وعياله • فأرسل ركن الدولة وزيره أبا الفضل بن العميد الى أصفهان وتمكن الوزير من أسر محمد بن ماكان وهزم جيشه وفرط عقده • وفى النهاية تصالح ركن الدولة وأبو سعيد وقر الأمر على أن يبقى ركن الدولة على جميع بلاد الجبل والرى وفى ازاء ذلك يرسل الى عبد الملك ببخارى مائتى ألف دينار سنويا •

وبعد أن انتهت غائلة خراسان والرى أحضر أبو سعيد الى بخارى لأن جماعة من الجنود والأتراك كانت ساخطة عليه فتركته وقدمت تشتكيه لعبد الملك وتنوح عليه سوء تصرفاته • وأمر عبد الملك بقتله فألقى

ألبتكين الحاجب(١) فى (٣٤٥هـ) به أرضا على باب قصر عبد الملك وقتله • ثم طرح عقب ذلك بمحمد بن عزيز أيضا من الوزارة الى السجن وخلفه أبو جعفر أحمد بن الحسين العتبى أما أبو الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور فقد تولى قيادة جيش خراسان •

ولم تدم وزارة العتبى ولا قيادة أبى الحسن السيمجورى لأن عبد الملك عزل الأول عن الوزارة فى (٣٤٨هـ) بسبب اسرافه فى النفقات وطعن الناس فيه وأناب أبا منصور يوسف بن اسحاق فى وزارته ، كما عزل الثانى أيضا فى (٣٤٩هـ) بسبب تعديه على أهل خراسان واجحافه بهم واختار أبا منصور محمدا بن عبد الرزاق الطوسى فى قيادة جيش خراسان •

ولم يدع السعاة وذوو النفوذ فى البلاط الوزير والقائد الجديدين مطمئنين فى أعمالهما خاصة البتكين كبير حجاب عبد الملك الذى كان له سطوة زائدة عن المعتاد والذى تواضع مع أبى على محمد بن محمد البلعمى ابن البلعمى الأول على أن يأخذ مكان أبى منصور الطوسى ويستولى البلعمى على مكانة أبى منصور الوزير • وانتهت هذه المؤامرة بالتوفيق فبلغ أبو على البلعمى وزارة عبد الملك والبتكين قيادة جيش خراسان وأطلقت أيديهما فى جميع أمور الدولة والجيش فى عهد عبد الملك •

وسقط الأمير الرشيد عبد الملك فى الحادى عشر من شوال (٣٥٠هـ) من فوق جواده وهو يلعب بالصولجان ووافاه أجله وخلفه أخوه منصور ابن نوح كما سيلى •

---

(١) البتكين كلمة مركبة من (الب) بمعنى البطل و (تكين) بمعنى المسمى . والكلمة الأخيرة وصحتها تكن أو تين لاتزال تروج كاسم علم بين التركمان ، ويلحق هذا اللفظ (تكين) بكثير من الاسماء التركية مثل قراتكين ونوشتكين واينالتكين وسبكتكين بمعنى مثل أو شبيه . (فامبرى حاشية (٢) ص (١١٧) .

٦ ــ أبو صالح منصور بن نوح

(٣٥٠ ــ ٣٦٦هـ)

لما مات عبد الملك بن نوح رفع البلعمى ابنه نصرا للامارة بمشورة البتكين الا أن كبار الأسرة السامانية ورؤساء الجيش لم يقبلوا هذا الأمر وأغاروا على قصر عبد الملك ثم خلعوا نصرا بعد يوم واحد من الحكم وأمروا عليهم عمه أبا صالح منصورا بن نوح ورضا البلعمى بهذا الأمر ونتيجة لذلك بقى فى الوزارة •

أما من كان أكثر الناس سعيا لابلاغ المنصور للامارة فهو الأمير أبو الحسن بن عبد الله فايق الذى كان من الغلمان الروميين أصلا ، وكان من بدء طفولته فى خدمة منصور بن نوح ومن خاصة مربية ولهذا سمى فائق الخاصة •

وكان تولى منصور بن نوح وفائق ومن ترك مناصرة نصر بن عبد الملك رغم أنف البتكين فى حقيقة الأمر بحكم اعلان البتكين بالحرب وقطع علاقة بلاط بخارى به ، وكان البتكين نفسه أسرع من أدرك هذه الخطوة فعزم ترك خراسان • لكن الأمير السامانى أرسل أبا منصور محمدا بن عبد الرزاق قائدا لجيش خراسان ودافعا لألبتكين وقابضا عليه قبل أن يتحرك منها • واتجه ألبتكين من نيشابور الى بلخ ، ومع أنه تغلب فى تلك المنطقة فى نصف ربيع الأول (٣٥١هـ) على جند الأمير منصور الا أنه سلك طريقه عن طريق طخارستان الى مدينة غزنين وأقام بها •

أما أبو منصور الطوسى فبعد تحرك ألبتكين أطلق يديه فى الاعتداء والنهب فى بلاد خراسان ، ولما كان يعلم أن منصورا بن نوح سوف يخلعه عن مقامه أعلن طاعته لركن الدولة الديلمى فندبه للاستيلاء على جرجان التى كان يحكمها وشمكير الزيارى فى هذا الوقت مستظهرا بالأمير منصور • ومع أن ركن الدولة قد استولى على جرجان وطبرستان فى

(٣٥١هـ) من وشمكير وهزمه الى جيلان الا أن وشمكير قبل أن يحدث هذا رشا طبيب أبى منصور بألف دينار لكى يسقيه السم ، وقد عمل السم بعد هذا بقليل عمله فى أبى منصور وهلك كما سيلى فى النهاية بهذه العلة •

وعهد منصور بن نوح فى أواخر (٣٥٠هـ) أى حينما كان ألبتكين لا يزال فى بلخ وأبو منصور عاصيا فى خراسان الى الأمير أبى الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور والى خراسان السابق بقيادة جيشها • والتقى أبو الحسن السيمجورى وأبو منصور الطوسى يتقاتلان ولم يستطيع أبو منصور أن يقاتل وهو مسموم فوقع أسيرا أثناء القتال وقتله أحد غلمان الأمير السيمجورى •

وعامل أبو الحسن السيمجورى الناس هذه المرة خلاف السابقة برفق وعدالة وخير وتحاشى كثيرا من أعمال الظلم التى صدرت عنه سابقا ولم يتجاوز نيشابور لخمس سنوات بسبب اطمئنان أحوال خراسان •

وفى (٣٥٦هـ) قدم أبو على بن الياس صاحب كرمان الذى أخرج الديالمة البويهيون ولايته عن حكمه ، كما مر فى تاريخ آل زيار ، الى بخارى لدى المنصور وأطمعه فى ولايات آل بويه • فأمر المنصور أبا الحسن السيمجورى فى خراسان ووشمكير والحسن بن فيروزان فى جرجان والدامغان بفتح الرى وقتال ركن الدولة فوصلوا الى حدود الرى فى آخر عام (٣٥٦هـ) • ولكن وشمكير لما سقط فى المحرم من (٣٥٧هـ) فى صيده من على جواده وهلك وصالح أخوه بيستون ركن الدولة انصرف أبو الحسن السيمجورى عن حربه وآب الى نيشابور •

ومع أن المنصور غضب لضعف رأى أبى الحسن السيمجورى الا أن أبا الحسن قصد بخارى ولم يترك حيلة أو تدبيرا حتى أرضى منصورا عليه فعاد الى منصبه بخراسان • وسعى فى هذه المرة ومعه أبو جعفر العتبى شريك أبى على البلعمى فى وزارة السامانيين فى الصلح ما بين

آل سامان وآل بويه خاصة العتبى وابن العميد وزير ركن الدولة اللذان كانا فرسى الرهان فى الفضل والكتابة تجمعهما الصداقة ، وفى النهاية عقد الصلح بين الدولتين فى (٣٦١هـ) وقرر أن يدفع ركن الدولة وعضد الدولة ما بين مائة وخمسين ألف دينار ومائتى ألف سنويا الى المنصور بن نوح وألا يتعرض منصور للرى ، ولاحكام هذه العلاقة زوج ابنتـــه للأمـــير منصـــــور .

ومات أبو على البلعمى فى (٣٦٣هـ) واعتزل أبو جعفـــر العتبـــى الوزارة أيضا فى نفس السنة ، ووزر أبو منصور يوســـف بن اســـحاق لمنصور وكان الوزير السابق لعبد الملك وسلف أبى على البلعمى وبقى فى الوزارة حتى (٣٦٥هـ) . ففى هذه السنة اختار الأمير منصور أبا عبد الله أحمد بن محمد الجيهانى الذى احتفظ به بوزارته حتى آخر امارته . أما عن علاقة الأمير منصور السامانى بخلف بن أحمد الصفارى فقد ســـبق الحديث عنها ضمن تاريخ الأخـــير . ومات أبو صالح منصور بن نـــوح فى الحادى عشر من شوال (٣٦٦هـ) وأطلق عليه بعد موته الأمير السديد .

وأبو على البلعمى وزير منصور هو مترجم كتاب تاريخ الطـــبرى المعروف من العربية الى الفارسية الذى أتم ترجمته فى (٣٥٢هـ) بأمـــر الأمير السامانى ، وقد زاد الوزير المترجم على المتن العربى بعد اختصاره موضوعـــات اضـــافية .

٧ — أبو القاسم نوح بن منصور
(٣٦٦ — ٣٨٧هـ)

بعد موت منصور خلفه ابنه نوح الثانى ذو الثلاثة عشر عاما ولمـــا كان لا يزال آنذاك صغير السن فقد قامت أمـــه بادارة أمور الملك .

ولما أن بلغ نوح سن الرشد قرب لاحكام أساس امـــارته الأمـــير أبا الحسن السيمجورى وأبا الحارث محمدا بن أحمد بن فريغون والى

ولاية الجوزجانان وفائقا الخاصة وأبا العباس تاش حاجبه ، وقد مكن الأخيرين فى أن يتدخلا تماما فى أمور الملك وأناب أبا الحسن السيمجورى فى خراسان وضم اليها هراة ونيشابور بلقب ناصر الدولة وتزوج من ابنته . ثم اتجه فكره الى اختيار وزير له فرفع أبا الحسين عبد الله بن أحمد العتبى الى وزارته وكان شابا ذا كفاءة وفضل مع وجود خصام ناصر الدولة أبى الحسن السيمجورى له .

وقد صار عداء أبى الحسن لوزارة أبى الحسين العتبى مقدمة لظهور خصومة شديدة بين ذلك الأمير وهذا الوزير وزاد أمر هذا العداء حدا جعل العتبى يعزل أبا الحسن عن حكم خراسان وقيادة جيشها ويعطى أعماله فى (٣٧١هـ) أبا العباس تاش الذى كان من غلمان أبيه القدامى .

ولقب نوح تاش هذا بلقب حسام الدولة وعاد ناصر الدولة السيمجورى الى قهستان وأقام بها منزويا .

وقد وافق عزل ناصر الدولة وتنصيب حسام الدولة على حكومة خراسان كما سبق هروب فخر الدولة الديلمى وقابوس الزيارى من طلب عضد الدولة ومؤيد الدولة من العراق وجرجان الى نيشابور ، وطلبهما عون نوح ، فأرسل نوح بناصر الدولة وفائق لمدهما ولكن — كما سبق شرح ذلك — فائقا الذى تحالف مع ناصر الدولة سرا وتعادى مع حسام الدولة الذى رباه العتبى قد خان نوحا وكانت النتيجة أن جيش خراسان انهزم الى نيشابور أمام مؤيد الدولة بعد حصاره لجرجان . فأرسل أبو الحسين جيشا آخر من بخارى الى بلخ وعزم هو نفسه أيضا أن يأتى لمعاونة تاش ، لكنه قبل أن يتحرك اغتاله أتباع أبى الحسن السيمجورى وفائق فى (٣٧٢هـ) فوقف أمر غزو نوح الثانى لجرجان وطبرستان ، ومع أن عضد الدولة لم يكن قد مات فى هذا الوقت فقد كان جنده ومؤيد الدولة يستصفون خراسان أيضا من أيدى السامانيين .

واستدعى الأمير نوح بعد قتل العتبى والهرج والمرج اللذين عما

أمور الدولة حسام الدولة تاش من خراسان الى بخارا ، ولما رأى تاش بعد دخوله العاصمة أنه لن ينجو من حساده الكبار دخل اليهم من بـــاب المداراة ، فترك لهذا حكم بلخ الى فائق وقهستان وبادغيس الى ناصر الدولة وهراة الى ابنه أبى على السيمجورى وعاد هو الى نيشابور محتفظا لنفســـه بقيادة الجيش • وبعودة تاش الى خراسان استوزر الأمير نوح عبد الله بن محمد بن عزيز ، وكان هذا الوزير من الأعداء السابقين لأبى الحسين العتبى ومن الخصوم الألداء لتاش ، ولما كان يعلم أن تاش يفكر فى الانتقام لقتل العتبى والحاق الضرر بأعدائه حرض نوحا على عـزل تاش وحل محله ناصر الدولة السيمجورى ، فلما لم ينصح تاش لهـذا الأمر أمر الأمير والوزير ناصر الدولة وفائقا أن يدفعاه • واستصرخ تاش فخر الدولة الديلمى الذى خلف مؤيد الدولة فى الرى وكان رأى من تاش أيام ضربه بوجهه فى خراسان خيرا عديدا ، فأمده فخر الدولة بألفــى فارس • ولما لم ير ناصر الدولة فى نفسه القدرة على المقاومة رحــل الى قهستان واستنجد منها بشرف الدولة أبى الفوارس الأمــير الديلـــمى لشيراز منافس فخر الدولة ، وفى النهاية ، كما سبق ، ذاق تاش الويان من القادة السامانيين فلاذ بفخر الدولة بالرى • وترك فخر الدولة لـــه جرجان واستراباد وظل تاش فى حدودهمـــا الى أن مـــات فى (٣٧٧) أو (٣٧٨هـ) ولم ير خراسان قط •

مقدمات انهيــار الدولة الســـامانيـــة :ـ

مع أن حسام الدولة تاش قد مات وهزم ديالمة الرى ، الا أن الدولة السامانية التى كانت تيمم شطر الزوال لم تستطع أن ترفع رأسها قوية ، لأن أكثر ولاياتها فى هذا الوقت كان بيد عمال وحكام عاصين لبخـــارى • وكانت الخزانة خاوية والوزراء بلا كفاءة يتعاقب بعضهم بعضا ، والقوة الأساسية بيد الغلمان الترك ورؤسائهم ، ووراء هؤلاء جميعا كان قواد نوح يخاصم أحدهم الآخر ويدعى عليه القيادة والولاية •

ومات ناصر الدولة السيمجورى أواخر (٣٧٨هـ) ووعد نوح ابنه أبا على منصبه مجبرا خائفا ، لكن فائقا لم يطع أبا على خاصة أن نوحا وحاشيته كانوا على اتفاق معه فى الباطن ، وصار هذا الحال باعث ظهور النزاع بين أبى على وفائق والذى انتهى الى الحرب • وظفر أبو على السيمجورى على فائق فيما بين بوشنج وهراة ، فجعل نوح أبا على هذه المرة رسميا أى فى (٣٨١هـ) القائد العام لجيش خراسان ملقبا اياه بعماد الدولة وترك له هراة التى كانت تحت سيطرة فائق • وتحرك فائق بعد هزيمته يقصد السيطرة على بخارى ، لكنه هزم فى الحادى عشر من ربيع الأول (٣٨٠هـ) من قائدى نوح بكتوزون واينج(١) وهرب الى بلخ وترمذ ، وهناك تغلب على الأمير أبى الحارث الفريغونى عامل نوح على الجوزجانان • ولما كان يبغض نوحا فقد تحالف مع صاحب كاشغر الخان الافراسيابى بتوران أى شهاب الدولة هارون المعروف بـ (بغراخان)(٢) ودعاه لأخذ بخارى • ويشاء الله أن أبا على السيمجورى الذى عصى أمر نوح دفع مرتبات الجند وكان خائفا مغبة

---

(١) بكتوزون لفظ او يغورى معناه الأمين العادل (فامبرى حاشية (١) ص ١٢٣ من كتابه تاريخ بخارى) واينج او ايننج لفظ تركى يدل على الصدق والاخلاص (المرجع السابق ح (٣) ص ١٢٠) •

(٢) هذه الأسرى اى اسرة آل افراسياب تسمى بالقراخانيين او الخانيين ، وقد سقطت اخيرا كما سنرى على يد السلطان محمد خوارزم شاه (سياقى) •

ويذكر فامبرى حاشية (١) ص (١٢٠) ان (ايليك) لفظ او يغورى معناه الأمير او الحاكم أو الوصى فهو بهذا ليس اسم علم نظيره فى ذلك كلمات (تركمان) او (ترخان) او (خاتون) او غيرها من الالقاب التى سمى بها العرب والفرس الحكام الترك اذ ذاك •

اما ترخان بدورها (حاشية ٢ ص ٦٥ من كتاب فامبرى) أو طرخان او طرخون عند المؤرخين المسلمين والفرس فهو من القاب الشرف عند التورانيين

واخيرا فان بغرا وعلى الأصح بقرا أو بخرا هو اسم الناقة فى اللغة التركية الشرقية ولم يكن من المستغرب قبل انتشار الاسلام بين الترك ان يطلقوا اسم حيوان على ضريح او شخص (ح ٢ ص ١٢٠ من الكتاب السابق)

هذا العصيان يستدعى بغراخان أيضا للسيطرة على بخـارى • ولما رأى فائق أن خصمه توافق مع خان الترك وأن الطرفين قررا اقتسام الولايات السامانية طلب عفو نوح وعاد الى بخارى فأرسله نوح واينج الحاجب لدفع بغراخان وهزم بغراخان فى ربيع الأول (٣٨٢هـ) جند نوح وسلم فائق لبغراخان وصار من أتباعه ، واستولى الخان الأفراسيابى نتيجـة لهذا الفتح على بخارى وتركها نوح ومـد يد الاسـتمداد لأبى عـلى السيمجورى ، لكنه لم يجبه • ولما مرض بغراخان فى هذه الأثناء ببخارى ومات فى طريق عودته الى التركستان عاد نوح الى دار ملكه بعد تواريه وأمسك مرة أخرى بأزمة أمورهـا •

وعند عودة نوح قصد فائق بخارى للسيطرة عليها وكان والى بلخ من قبل بغراخان لكنه هزم من جند نوح فالتجأ مضطـرا بـأبى عـلى السيمجورى فتحالفا كلاهما ضد نوح وصمما على الهجوم على بخارا • وازاء عصيان هذين القائدين القويين لم يجد نوح بدا من اسـتصراخ سبكتكين صهر البتكين السابق الذكر الذى خلفه فى امارة غـزنة وقـام بفتوحات عظيمة فى شرق أفغانستان الحالية ، وأتى سبكتكين الى ما وراء النهر ، وفى اللقاء الذى تم بينه وبين نوح أقسم يمين الوفاء وعقد العهد على دفع أعدائه ، ونهض يؤيد نوحا أيضا واليا خوارزم أو والى خوارزم ووالى الكرج وأمير الجرجانية (من بلاد خوارزم القديمـة من خيـوه الحالية) وهو أبو العباس مأمون بن محمد • وترك نوح قسما من البلاد التابعة للسيمجورى لهم وألحق بعونهم فى رمضان (٣٨٤هـ) بأبى عـلى وفائق الذى استمد أيضا فخر الدولة هزيمة فادحة فلجأ هذان القائدان المتمردان الى فخر الدولة الديلمى بجرجان • ولقب نوح بعد هذا الفتح سبكتكين ناصر الدولة وابنه محمودا سيف الدولة ونصب محمودا قائدا لجيش خراسان بدل أبى على السيمجورى • واستقبل فخر الدولة أبـا على وفائق استقبالا حسنا وقرر لهما مع هدايا مرسلة اليهما جـزءا من مال جرجـان لنفقاتهمـا •

وفى (٣٨٥هـ) سمع أبو على وفائق أن نوحا عاد الى بخارا وسبكتكين الى هراة وأن سيف الدولة محمودا فى نيسابور وحيد ، فعـزما فـتح خراسان • وطلب محمود عون أبيه ولكن قبل أن يصله تمكن من طـرد أبى على وفائق عن نيشابور ، ولما كانا غير مطمئنين على عاقبة أمرهمـا طلبا عفو نوح وأبديا الطاعة فلم يجبهما نوح وسبكتكين فجمع الطرفان جيشهما وتغلب نوح مرة أخرى مستعينا بجند سبكتكين ومحمـود فى جمادى الآخرة (٣٨٥هـ) فى طوس على أبى على وفـائق اللذين نجيـا بروحيهما وهربا الى خوارزم وطلبا أيضا منها عفو نوح • وكان نـوح مستعدا الى أن يعفو عن أبى على بشرط أن يخلع عنه صداقة فائق فرفع أبو على يده عن حليفه فائق الذى قال له ان أمان نوح لا يعتمد عليه ، وقدم الى ملك خوارزم فصفده بالأغلال • وهاجم مأمون بن محمد أمـير جرجانية فى هذا الوقت شاه خوارزم فأسره وأبا على معه • وبعد نيـل عفو نوح أرسله الى بخارى لكن سبكتكين طلب الى نوح تسليمه له فسير نوح الأمير السيمجورى اليه فى (٣٨٦هـ) ، فأورده سبكتكين وثلاثة من العصاة بعد نحو عام من الحبس فى ٣٨٧هـ مورد الهلـكة ، وبقتلـه زال اعتبار الأسرة السيمجورية وشوكتها •

أما فائق فقد رحل خوفا من نوح وسبكتكين الـى بـلاد الايـلك نصر خان الافراسيابى خليفة بغراخان ومكث عنده معززا مكرما لكنـه حرضه بعد قليل على التحرك الى بخارى ، لكن ايلك خان ونوحا بتدخل سبكتكين مالا الى الصلح ، ونتيجة لهذا عفا نوح عن فائق وأرسله لحكم سمرقند •

وفى (٣٨٧هـ) توفى نوح وسبكتكين وفخر الدولة الديلمى ومأمون ابن محمد أمير جرجانية الواحد بعد الآخر ، وصار باب المنافسة والصراع الى أشخاص آخـرين •

وقد فتح استمداد قواد نوح العصاة لخانات التركستان وتوسل

نوح بسبكتكين وابنه محمود الباب لهاتين الطائفتين من الترك الصفـر البشرة أى أتباع آل افراسياب والغزنويين الترك الى ما وراء النهـر خراسان ، وكان هذا الأمر سيئا جدا كما سنرى ، فقد أدى الى انهيـار الدولة الايرانية السامانية من ناحية وأصبح من ناحية أخـرى مقدمـة لتأسيس الأسر التركية فى ايـران .

٨ — أبو الحارث منصور بن نوح
(٣٨٧ — ٣٨٩هـ)

مات الأمير أبو القاسم نوح بن منصور أى نوح الثانى فى الثالث عشر من رجب (٣٨٧هـ) ولما مات وقد لقب بالأمير الرضى خلفه ابنـه الصغير السن منصور الثانى ، ولم تمر مدة من الوقت على جلوسـه حتى خالفه عدد من رجال البلاط والأمراء ودعوا الايلك خان الى بخارى فقدم هذا الى فائق بسمرقند وسيره الى بخارى . وخرج منصور من بخارى لكنه عاد اليها بدعوة فائق الذى كان يتظـاهر بالاخـلاص الى الأسرة السامانية وبوساطة كبار بخارى وتسلط فائق على أمورها . ولمـا كان سيف الدولة محمود قد ترك خراسان فى هذه الآونة بسبب وفاة والده واستيلاء اسماعيل أخيه على غزنة وعاد اليها نصب منصور بكتـوزون الحاجب مكانه قيادة جيش خراسان . لكن فائقا الذى لم يكن على صفاء مع بكتوزون فى الباطن دخل فى محادثات مع أبى القاسم السـيمجورى أخى أبى على الذى لجأ الى آل بويه بعد القبض على أخيه وكان يعيش فى هذا العهد فى بلاط وأمه السيدة خاتون بالرى وحرضه على اخـراج بكتوزون من خراسان والاستيلاء على منصبه . وهـاجم أبو القاسـم جرجان من الرى ومنها نيشابور ولكنه هزم من بكتوزون فى نيشابور فى ربيع الأول (٣٨٨هـ) وانهزم الى قهستان وهراة . وفى عاقبة الأمر تصالح أبو القاسم وبكتوزون على شريطة أن تكون قهستان وهراة لأبى القاسم وخراسان لبكتوزون .

وبعد انتهاء هذه المشكلة عاد سيف الدولة محمود الى خراسان بعد أن تغلب على أخيه وطلب من منصور منصبه السابق الذى كان يحتله بكتوزون فى هذه الآونة ، فاعتذر منصور وأنابه فى حكم بلخ وترمذ وقسم من حدود بست وهراة • فلم يقنع محمود بهذا الاقتراح ولما رأى انحياز منصور الى بكتوزون تماما هاجم نيشابور وهزم بكتوزون الى سرخس عند منصور واتفق بكتوزون ومنصور وكان كلاهما ساخطا على منصور على خلعه فى النهاية فعزلاه عن الامارة فى ١٢ صفر (٣٨٩هـ) وبعد أسبوع سملا عينيه وأمروا طفله عبد الملك •

٩ — أبو الفوارس عبد الملك بن نوح

(من ١٢ صفر حتى ١٠ ذى القعدة من ٣٨٩هـ)

ولما سمع سيف الدولة محمود بعزل منصور وسمل عينيه عزم على دفع فائق وبكتوزون للانتقام وفى أواخر جمادى الأولى فى مرو واجههما وألحق بهذين القائدين الجحودين هزيمة نكراء فر على أثرها فائق برفقة عبد الملك الثانى الى بخارا وتوجه بكتوزون الى نيشابور ، وهاجم محمود نيشابور يتعقب بكتوزون فسلك الأخير طريق جرجان فرقا • فبعث محمود بقائده أرسلان جاذب فى عقبه وتمكن بكتوزون من أن يفر مدة من يد جند محمود ويتوارى عنهم الى أن انتهى به اللجوء الى بخارى • وسيطر سيف الدولة على خراسان لنفسه وأسقط اسم السامانيين من الخطبة وخطب مباشرة للقادر الخليفة العباسى وبهذا خرجت خراسان بيد أحد أبناء غلمان السامانيين عنهم • وقد عهد سيف الدولة بعد أن أدخل آل فريغون وأمراء بلاد الكرج تحت طاعته بقيادة جيش خراسان الى أخيه نصر وأقام هو نفسه فى بلخ التى كانت مركز اقامة أبيه سبكتكين وآثرها قصبة له ولقبه الخليفة أمين الملة ويمين الدولة •

انهيـــار الدولة السامانية فى ٣٨٩هـ : ــ

بعد أن تمكن محمود من خراسان نال عبد الملك وفائقا وبكتـــوزون ثلاثتهم من محمود الهزيمة فركبهم الفزع من تسلطه على بخارا وما وراء النهر أيضا ، فجمع الثلاثة جموعهم لطرد هذا الند القــوى الشـــكيمة وقصدوا استرجاع بخارى • ولكن اقتضت ارادة الله أن يوافى فائقـــا فى الطريق فى شعبان (٣٨٩هـ) أجله ويظهر تصدع تام فى أساس تجمعهم• وسمع ايلك خان شمس الدولة أبو نصر هذا وكان أخا وخلف ايلك خان نصر توجه الى بخارى متذرعا بحماية الأمير السامانى وكان تحركه فيمـــا يبدو لدعوة الشيعة والباطنيين له لسخطهم على السامانيين السنة المتعصبين• على أية حال قدم ايلك خان فى العاشر من ذى القعدة (٣٨٩هـ) الى بخارى وألقى القبض على بكتوزون الذى لحق بعسكره بطريق المداهنة والملق ثم على عبد الملك وأخيه منصور الأعمى وسائر الأمراء السامانيين ، وانتهت الدولة السامانية بهذا على يد أمير تركى آخر من بخارى وما وراء النهر • وهذه الواقعة من أكثر وقائع تاريخ ايران شؤما لأن من هـــذا الوقـــت قصرت يد العنصر الآرى الايرانى عن أحد آصل أقسام ايران وهو مـــا وراء النهر ، وعلى أثر الاستيلاء المتتابع للأتراك والأجانب غيرهم فقـــد أصبح هذا الاقليم الذى هو مهد الأدب الفارسى الاسلامى وموطن ومدفن لجمع كثير من كبار فضلاء ايران خارجا عن تصرف الايرانيين كما أنـــه لا يزال خارجـــا عنهـــم الى اليـــوم •

نظرة فى الوضع الادارى وأسلوب حكم السامانيين : ــ

دامت دولة الأمراء السامانيين التى لم تخرج فى وقت قط عن تبعية وقبول الأمر الروحى لخليفة بغداد وكانت تعتبر نفسها دائمـــا مطيعـــة منفذة لأوامر العباسيين مدة عشرة ومائة عام (من ٢٧٩ سنة وفاة نصر حتى ٣٨٩هـ تاريخ استيلاء الايلك خان على بخارا) • وطول هذا القرن ولبضع سنين كان السامانيون وكان جميعهم على مذهب السنة يعترفون

بأن الخليفة العباسى ببغداد هو أمير المؤمنين أميرهم وأمير غيرهم وأنه الرئيس الروحى لهم مع أنهم كانوا ايرانيين(١) • وقد اقتفوا فى سيرتهم هذه مسلك الطاهريين دستورا لحياتهم وحكمهم ولهذا فقد كانت طبقة رجال الدين وعلماء الدين فيما وراء النهر وخراسان يستظهرون دوما بالأمراء السامانيين خلاف من تشيع منهم الذين كانوا يحيون متوارين خوفا من قوة السامانيين وعلماء أهل السنة • وكانت الشيعة اذا سنحت الفرص لهم يتعاونون مع أعداء السامانيين ويدعونهم سرا للقضاء على أسرتهم(٢) •

ومع أن الأمراء السامانيين كان لهم فى الظاهر حق عزل وتنصيب جميع القادة العسكريين والمدنيين فى ولاياتهم لكن قدرتهم هذه كما رأينا أخذت فى الضعف من عهد الأمير نصر بن أحمد فصاعدا وتدخل فى عمل الأمير منهم فى الغالب رجال البلاط ورؤساء الجيش ، ولم يكن للأمير حيلة غير الانصياع لأمرهم •

وكانت ادارة الولايات السامانية فى يد ذوى النفوذ فى مؤسستين أو جهازين أولهما البلاط وثانيهما الديوان •

وكانت رئاسة البلاط السامانى لشخص اسمه (حاجب سالار) أى كبير الحجاب أو (حاجب بزرك) بنفس المعنى وكان مسيطر على جميع

---

(١) وكأن المؤلف يعنى أن الله تعالى قدر مذهب التشيع لايران وايران للتشيع والثورة على العرب والاسلام السنى امرا خاصا بالايرانيين ، وهذا يؤكد الادلة السابقة تعصب المؤلف ومحليته •

(٢) كان الأمراء السامانيون غير نصر أخى اسماعيل الذى لم يبلغ الامارة تسعة نفر وقد عدد العنصرى (الشاعر الكبير الغزنوى ملك شعراء بلاط محمود الغزنوى ، توفى ٤٣١هـ) فى قصيدة تنسب اليه أسماءهم هكذا :

نه تن بودند زآل سامان مشهور
هريك بامارت خراسان مأمور
اسماعيلى واحمد ونصرى
دونوح ودو عبد الملك ودو منصور (سياقى)

ومعناها : تسعة نفر كانوا من آل سامان مشهورين :. وكانوا كل منهم بامارة خراسان مامورين اسماعيل واحمد ونصر :. والنوحان وعبد الملك والمنصوران

الأمور الداخلية للأمير ولمنزله خاصة اذا كان الأمير صغير السن ، وكانت أزمة الأمور فى حقيقتها فى يـد كبـار الحجـاب .

وكان لكل أمير سامانى عدد من الغلمان والحراس الشخصيين وكانت قيادتهم ورئاستهم لـ (أمير الحرس) وكان عمل هذه الفرقة حفظ حياة الأمير . وكان الأمـير يترك حكم العاصمة أى بخارى دائما فى مسئولية شـخص يسـمى (صـاحب الشـرطة) .

أما حكومة الولايات فكان تودع من طرف الأمير وغالبا باشارة كبير الحجاب أو الوزير للأمراء أو قادة الجيش ، وكان حكم خراسان فى هذا الوقت يتمتع بأهمية كبرى لأن حاكم خراسان كان القائد العام لجميـع الجيش السامانى أيضا . ولهذا فقد كان الأمراء السامانيون يختـارون لهذا المنصب حينا عن طواعية وأحيانا كثـيرة خوفـا وحيطـة القـواد المشهورين وكبار الأسر القديمة ، حتى أن هذا العمل كان فى الغالب وراثيا فى بعض الأسر وكان يشب من أجد الحصول عليه بين رؤسـاء الجيـش وأفراد أسر عديدة النزاع كما كان الأمر مع آل محتاج وأسرة قراتكين وآل سيمجور اذ كانوا فى نزاع دائم من أجل الحفاظ على هذا المنصـب أو الاستيلاء عليه وكانت خراسان تنتقل بينهم فى أغلب أيـام الدولـة السامانية .

أما رئاسة الديوان السامانى فقد كانت للوزير الأمير أو (السيد الكبير) (خواجه بزرك) الذى كان يعد رئيس الدولـة وصاحب تدبـير الأمير وكانت له الرئاسة على جميع أهل القلـم والدفـتر أى الكتـاب والمستوفين (مأمورى الجمع والخرج) والمشرفين (ناظرى الخـرج) والعمال الماليين ، وكانت جميع أمور الدولة فى واقعها فى يده . ولما كانت السيرة الجارية أن ينتخب الأمير الوزير مع أخذ رأى قائد جيش خراسان فقد كان قادة جيشها يتدخلون فى عزل الوزراء ونصبهم ويحدث لهـذا هرج ومرج فى أعمال الديوان ، وكان سبب هذه الحالة أن الـوزراء كان

عليهم أن يبلغوا نفقات الجيش التى كانت تحت أمر قادته فكانوا الى حد ما تابعين لهم مأتمرين بأمرهم • وبمجرد أن وزيرا كان يتكاسل فى أداء هذه الوظيفة أو اظهار الخضوع لقائد الجيش الذى يمتلك القوة كان أمره ومكانته يتزلزلان تزلزلا •

وكان أغلب نظام الديوان السامانى وتشكلاته مرهونا بكفاءة أبى عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى وزير الأمير نصر بن أحمد الذى كان حكيما محنكا شهما وكان يتبع المانوية باطنا ويعد بين الزنادقة كما اصطلح على المانويين ، وكان كسائر المانويين العارفين والمتعلقين بالآداب القديمة الايرانية معرفة كاملة يدخل فى ادارة الديوان السامانى كثيرا من مراسم العهد الساسانى وتشكيلات ايران لعهدهم ، فقد كتب ، كما ينقل المؤلف عن زين الأخبار للكرديزى(١) الى كل بلاد العالم الكتب وطلب رسوم كل بلاط وديوان لكى تنسخ له وتبعث ، مثل ولاية الروم والتركستان والهند والصين والعراق والشام ومصر والزنج وزابل وكابل والسند والعرب ، أتت رسوم الدنيا اليه ووضعت نسخها أمامه فتأمل فيها مليا وأخذ من بينها ما كان أفضل وأحسن وترك نقيضهما وأخذ بالأفضل منها وأمر بأن يسير كل أهل البلاط والديوان فى بخارى على هذا المراسم فانتظم أمور المملكة جميعها برأى الجيهانى وتدبيره • أ • هـ •
وعن طريق هذه المعلومات ألف الجيهانى كتابه المشهور جدا فى علم الجغرافيا ومعرفة البلاد والطرق والآداب وعقائد الأمم المسمى بالمسالك والممالك وقد ضاع هذا الكتاب وهو من أقدم كتب هذا العلم وأكثرها اعتبارا للأسف •

---

(١) الكرديزى هو أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الكرديزى الغزنوى من كتاب العصر الغزنوى والمعاصر للسلطان عبد الرشيد ابن مسعود بن محمود الغزنوى ، وقد ألف تاريخه الكبير زمن هذا السلطان والمعروف بزين الأخبار وتناول فيه التاريخ من بداية الخليقة حتى نهاية حكم السلطان مودود بن مسعود الغزنوى (٤٤٤هـ) .

أما ديوان السامانيين الذى انتظم بيد الجيهانى والبلعمى وسائر الوزراء الايرانيين فقد كان تقليدا لديوان الخلفاء العباسيين فى بغداد الى حد ما ، فقد كان تحت أمر الوزير ، كمثل ديوان بغداد ، عدد من صاحبى الدواوين الأخرى مثل أصحاب ديوان الاستيفاء (ما يساوى تقريبا وزارة المالية أو الدخل والمنصرف) وديوان الأشراف (أو مراقبة المنصرف) وديوان البريد (المخابرات) وديوان الأوقاف وديوان القضاء (اجراء أحكام الشرع) وديوان الرسائل أو الانشاء (ديوان كتاب الأمير والوزير أو ما يساوى حاليا وزارة الخارجية) وغيرها •

وقد انتقلت نفس هذه التشكيلات من السامانيين الى خلفائهم الغزنويين والسلاجقة وملوك خوارزم وظلت قائمة حتى عهد المغول وكان يتوارثها طبقة الوزراء والكتاب والمستوفين التى كانت تنفذ وتحفظ هذا النوع من الادارة جيلا عن جيل واذا مازالت أسرة كان يخلفها أسرة جديدة فى الخدمة لتنفذ وترعى سيرة الأسرة السالفة •

لكنه يتوجب العلم أن هذا النوع من الادارة لم يكن جاريا فى كل الولايات السامانية وكان منحصرا تقريبا فى بلاد ما وراء النهر وخراسان ، لأنه كان لكل عدد من النواحى التابعة للسامانيين مثل الصاغانيان والجوزجانان وخوارزم وجرجانية وسيستان وغزنة تشكيلات خاصة به مختلفة عن بقية الدولة وكانت تعيش تحت امرة أمراء نصف مستقلين محليين وكان السامانيون قانعين بتحملهم تبعة أنفسهم مع ائتمارهم بأمرهم •

ومن عهد اسماعيل وأخيه نصر نتيجة لغزوات السامانيين فى حدود بلاد الكفار التركستانية نفذ عدد كبير من الأتراك أسرى وغلمان الى ما وراء النهر وتجمعوا فى بخارى فى البلاط السامانى وخدمة الوزراء والأعيان وقواد الأمراء ودخلوا فى سلك الخدمة والاتباع ، وقد تزايد نفوذ هؤلاء الغلمان تدريجا حتى صاروا من خواص الحجاب ومربى أبناء

الأمراء والأعيان وبلغوا المقامات العالية كآل سيمجور والبتكين وفــائق وبكتــوزون •

وفضلا عن هؤلاء الرؤساء الأتراك فقد دخل عدد وفير أيضــا من هذه الطائفة ضمن الجيش السامانى وفى عداد حراس بلاط الأمراء وتغلب بالتدريج الأتراك المقاتلون فى الجيش الســامانى ، وفى الجيــش الذى ينبغى أن يدافع عن البلاد الآرية الايرانية فى مواجهة سيل هجوم قبائل الترك الثورانيين ، الذين كان يسكنون من نهر سيحون حتى حدود الصين والمحيط الهادى ، كانت الأكثرية والرئاسة للعنصر التركى • وكان هؤلاء الترك كما رأينا فضلا عن أنهم لم يبذلوا مقاومة أمام الايلكخانيين يدعونهم للاستيلاء على بخارا والقضاء على السامانيين بعون منهم وفى النهــاية انتهت الدولة السامانية على يد نفس أولئك الترك •

أسماء الأمراء السامانيين وزمان امارة كل منهم

١ ــ الأمير العادل الأمير الماضى أبو ابراهيم اسماعيل بن أحمد
(٢٧٩ ــ ٢٩٥هـ)
٢ ــ الأمير الشهيد أبو نصر أحمد بن اسماعيل (٢٩٥ ــ ٣٠١هـ)
٣ ــ الأمير السعيد أبو الحسن نصر بن أحمد (٣٠١ ــ ٣٣١ هـ)
٤ ــ الأمير الحميد أبو محمد نوح بن نصر (٣٣١ ــ ٣٤٣ هـ)
٥ ــ الأمير الرشيد أبو الفوارس عبد الملك بن نوح (٣٤٣ ــ ٣٥٠ هـ)
٦ ــ الأمير المؤيد الأمير السديد أبو صالح منصور بن نوح
(٣٥٠ ــ ٣٦٦ هـ)
٧ ــ الأمير الرضى شاهنشاه أبو القاسم نوح بن منصور
(٣٦٦ ــ ٣٨٧هـ)
٨ ــ الأمير أبو الحارث منصور بن نوح (٣٨٧ ــ ٣٨٩ هـ)
٩ ــ الأمير أبو الفوارس عبد الملك بن نوح
(من ١٢ صفر حتى العاشر من ذى الحجة ٣٨٩هـ)

الفصل السادس

الغــزنويون
(٣٥١ ــ ٥٨٢هـ)

بدايــة أمــر الغزنويــين : —

ينتسب الغزنويون الى غزنة أو غزنى أو غزنين من مدن أفغانستان الحالية الواقعة فى سفوح جبال سليمان وكانت المركز الأول والعاصمــة للغزنويين ، وقد بدأت منها أهميتهم واعتبارهم •

وأول من يعد فى الحقيقة المؤسس من بين الأمراء الغزنويين أولئك الحقيقى للأسرة الغزنوية هو أبو اسحاق البتكين الذى مر ذكره فى تاريخ السامانيين ، وكان غلاما تركيا ابتاعه الأمير الشهيد أحمد بن اسماعيل ، ثم دخل خدمة أخيه نصر من بعده ، ثم بلغ فى عهد امارة عبد الملك الأول منصب رئاسة الحجاب كما رأينا • والبتكين هذا هو الذى قتل بكرا بن مالك قائد الجيش السامانى فى بخارى فى (٣٤٥هـ) ، ثــم رقى فى (٣٤٩هـ) منصب قيادة جيش السامانيين وحكومة خراسان •

ظل البتكين من (٣٤٩هـ) حتى أواخر (٣٥٠هـ) فى خراسان • وفى هذا الوقت ، كما رأينا ، اصطدم بالأمير منصور بن نوح ، ومع أن البتكين ألحق الهزيمة بجند منصور على مقربة من بلخ ، وأنه كان بحوزته أملاك ومتعلقات فى خراسان وما وراء النهر (١) فقد يمم شطر أفغانستان لعله

(١) تذكر أن عدد ضياعه واملاكه وصلت خمسمائة وقطيع أغنامه ألف ألف ، وعشرة آلاف جوادا وبغلا وجملا (سياقى) •

كان يتجنب مقاتلة ولى نعمته ، وكانت أفغانستان وقتها دارا للكافرين فعزمها للجهاد .

وبلغ ألبتكين فى أوائل عام (٣٥١هـ) مدينة غزنة وغلب أميرها الأمراء أبا على وأقام بها أميرا وجعل منها دار اقامته . ومن ثم يعتبر عام (٣٥١هـ) بداية تأسيس الأسرة الغزنوية ولو أن استقلال الغزنويين يبدأ بعام (٣٨٧هـ) حينما جلس السلطان محمود على العرش .

ومن عام (٣٥١هـ) حتى (٣٥٢هـ) سنة موت البتكين ، كان البتكين مشغولا بالجهاد فى حدود كابل ومعابر المناطق الجبلية شرقى أفغانستان . واستولى فى هذه الفترة على مدينة كابل ثم دخل فى حرب مع أحد راجات السند . وقبل أن تنتهى الحرب مات البتكين وخلفه ابنه اسحق فى امارة غزنة .

وبعد عام من تولى اسحاق الامارة ، أخرجه أبو على أمير غزنة السابق الذى طرده البتكين قبل ، منها فهرب اسحاق الى بخارى واستمد الأمير منصورا بن نوح . فأبلغه منصور امارته السابقة بشرط أن يعتبر نفسه تابعا له ، فقبل وسك عملة غزنة وخطب على منابرها باسمه .

ووقعت امارة غزنة بعد موت اسحاق فى (٣٥٥هـ) فى يد غلمان البتكين وتولاها منهم اثنان واحد بعد الآخر بموافقة جنوده ومجاهدى جيشه الى أن صارت فى العشرين من شعبان (٣٦٦هـ) نصيب سبكتكين صهر البتكين . وسبكتكين مثله كمثل البتكين من الغلمان ذوى الأصل التركى اشتراه البتكين من تجار الرقيق فى عهد عبد الملك الأول من نيشابور ثم شرفه بتزويجه ابنته .

ومع أن ابلتكين هو الذى وضع أساس الدولة الغزنوية الا أن المؤسس الحقيقى لهذه الأسرة هو سبكتكين لأنه مد حدود دولتها شرقا وجنوبا باستيلائه على مناطق واسعة ثم امتلك فى الغرب خراسان وحكومتها فاتسعت البلاد الغزنوية اتساعا كبيرا .

وأول فتح لسبكتكين هام هو استيلاؤه على مدينتى قصدار (من بلاد اقليم مكران القديمة الواقعة فىبلوجستان الحالية) وبست (من مدن سيستان السابقة فى الوادى الأوسط لنهر هيرمند) فى (٣٦٦هـ) . فقد توسل أمير بست (طغان) بسبكتكين من شر بايتوز أمير قصدار ووعده ان أمده فى استخلاصه بست من بايتوز أن يؤدى له مالا . فاستخلص سبكتكين بست منه وألحق به الهزيمة . فلم يف طغان بوعده وأعلن عصيانه لسبكتكين فقاتله الأخير واستولى على بست ثم ألحق بها قصدار ودخلتا من يومئذ تحت حكمه وأمره . ومن الغنائم التى صارت من نصيب سبكتكين فى هذا السفر التحاق الشاعر والمنشىء العالى القدر أبى الفتح على بن محمد البستى بخدمته وكان من البداية يعيش فى بلاط بايتوز ويعمل كاتبا له .

وبعد هذه الفتوحات نفد سبكتكين الى سهول السند من معابر سلسلة جبال سليمان وهزم ملك طائفة الراجبوت المسمى (جيبال) وضم اليه مدينة بيشاور وعاد محملا بالغنائم والأموال الضخمة الى غزنين . وقد سبق ذكر تفصيلات دعوة سبكتكين وابنه محمود فى (٣٨٤هـ) عن طريق الأمير نوح بن منصور ووصولها الى قيادة جيش السامانيين وحكومة خراسان ثم حروبهما للمتمردين من قواد نوح فى تاريخه ولا حاجة الى تكرارها .

٢ — أبو القاسم محمود بن سبكتكين
(٣٨٧ — ٤٢١هـ)

مات أبو منصور ناصر الدولة سبكتكين ، وكان اختار فى أواخر أيامه بلخ عاصمة له وكان يعيش بها ، حينما كان قادما من بلخ فى طريقه الى غزنة فى شعبان من (٣٨٧هـ) وكا نابنه الأكبر سيف الدولة محمود فى نيشابور فى هذا الوقت منشغلا بادارة أمور خراسان .

نزاع محمود واسماعيل : —

وحينما وصلت جنازة سبكتكين الى غزنة رفع جنده ابنه الأصغر

اسماعيل بناء على وصيته الى مسند الامارة ، فترك محمود خراسان وأتى هراة وقدم عمه بغراجق مساعدته له ونهض أخ له آخر اسمه نصر من بست لمدده ، وظفر محمود على أخيه اسماعيل بالقرب من غزنة ، فأمنـه وأنزله من قلعة غزنة وأشركه معه فى الامارة ، لكنه ألقى به فى السجن بعد قليل لسوء ظن به ومات اسماعيل فى السجن ، وكانت مدة امارته سبعة شـهور •

ثورة الأمير منتصر الســاماني : ــ

ولما استقر ايلك خان على بخارا حبس أبناء نوح بن منصور أو أخوة الأمير عبد الملك وبضعة نفر من أقاربهم ، وأبعد بعضهم عن الآخر وفرقهم فى البلاد • وتمكن أبو ابراهيم اسماعيل بن نوح من الهرب من حبـس الايلك فى اوزقند برداء نسائى وتوجه الى خوارزم وجمع منهـا جمعـا وظفر بهم ملقبا بالمنتصر على أتباع الملك الايلك وأخذ بخارى • لكنـه لم يطق المكث بها فانطلق مهاجما نيشابور وأخرجها عن قبضة نصر بن سبكتكين أخى محمود • ونال منتصر هزيمة من يمين الدولة فلاذ بقابوس الزيارى ومنه الى طوائف الغز وسلجوق الساكنين على حدود خوارزم واسترد بعونهم بخارى • لكنه لم يطمئن الى أتباعه الترك ففر تحت جنح الظلام ولم يجد حيلة لكى يسترد ملك أجداده الا أن يتوسل بيمين الدولة محمود • فخف محمود لنجدته وغلب ايلكخان واستقر منتصر على بخارى •

لكن الايلك بعد عودة محمود طرد منتصرا من بخارى فهام عـلى وجهه فترة فى خراسان وقهستان وطبرستان حتى استقر به المطاف عنـد قبيلة عربية مهاجرة عند بخارى ، فقتله فى (٣٩٥هـ) بأمر من أعدائـه ، وهكذا انتهى آخر داعية كبير للأسرة السامانية وكان رجلا رشيدا فاضلا وشاعرا وارتاح منه الايلك ومحمود وكانا قلقين منه وخلى الميدان لهمـا للمـد التـركى •

حـــرب محمـــود لخلف بن أحمد السيستانى : —

كان خلف بن أحمد الذى وقفنا على أحوالـــه فى أواخـــر تاريـــخ الصفاريين يعيش فى عداء خفى ومنافسة لسبكتكين ومحمود من حين أن استوليا على خراسان بسبب مجاورة ملكه لملكهما مع وجود الصداقـــة الظاهرية لكنه اذا ما سنحت له الفرصة كان يغير على أطـــراف بـــلاد الغزنويين وكانت قهستان وهراة أكثر مناطق نزاع الطرفين وكان يحكمها بغراجق أخو سبكتكين وعم يمين الدولة محمود • وفى (٣٨٧هـ) لما وصلت خبر أنباء موت سبكتكين مسامع خلف أخذ منه السرور حتى أنه سير ابنه طاهر للاستيلاء على بوشنج فاستصفاها من يدى بغراجق • فأمد محمود عمه ورده لدفع طاهر بن خلف • وأصاب طاهر هذه المرة أثناء الكر والفر من بغراجق مقتلا فأشعل نار غضب محمـــود •

وفى (٣٩٠هـ) كان خلف متوجها لقلعة اسبهبد احدى قلاع سيستان الحصينة وبرفقته ولده وأهله حين فاجأه محمود مع كثرة من جنده عند هذه القلعة ، ولم يكن مع خلف أحد فبقى بها محصورا • ولم يجد خلف بدا من التسليم فنجا من حصره بعد أن افتدى نفسه بمائتى ألف دينار وسلك محمود طريق الهنـــد •

وبعد هذه الواقعة أنزل خلف انتقامه الفظيع الذى جاوز حـــدود الفظاعة بمن ساعدوا محمودا ، وبلغ انتقامه وفظاعته حدا جعل ابنـــه طاهرا يثور عليه • لكن خلفا تظاهر بأنه اعتزل الامارة وانشغل بالعبادة والعزلة وخدع ابنه بالحيلة والتدبير واظهار شفقة الأب على ابنه ، فلما سلم ابنه ، قتله أبوه بيده ثم غسله وكفنه وأوسده الثرى فى (٣٩٢هـ) • وجأر أهل سيستان فى النهاية من مظالم خلف واستدعوا محمـــودا لكـــى يأخذ بلدهم لينجوا من شروره وخف محمود الى هذه المدينة وكان يترقب مثل هذه السانحة فحصر خلفا فى قلعة (طاق) احدى قلاع سيستان • وبعد أربعة شهور من المقاومة سلم خلف واستولى محمود فى صـــفر من (٣٩٣هـ) على سيستان وأرسل بخلف الى الجوزجانان لكنه ألقى به فى

السجن لما سمع بمكاتبة الايلكخان ، ثم قتل فى (٣٩٩هـ) فى سجن دهك بين زرنج وبست ٠

السلطان محمود وخانات التركستان : ـ

لقب الخليفة القادر كما سبق محمودا فى ذى القعدة من (٣٨٩هـ) بيمين الدولة وأمين الملة وخلف السامانيين فى خراسان وضم الى اسمه من هذه الأيام أيضا لقب السلطان وعمل به ٠ ولفظه (سلطان) عربية بمعنى السلطة والقدرة والهيئة الحاكمة وكانت تستخدم للخلفاء ورائجة قبل محمود ، وكان أغلب الشعراء والمنشئين والأتباع لدى محمود يلقبونه به ولم يكن لقبه الرسمى قبل ذا ٠

وكان الخانيون أو الخانات الذين استولوا من حدود هذا الوقت (٣٨٩هـ) على ما وراء النهر وكانوا قد خلفوا السامانيين فى تلك البلاد . كانوا مسلمين يعدون قبول أمر الخليفة العباسى فرضا ويعتبرون أنفسهم كالغزنويين أتباعا للخليفة القادر ويسكون عملتهم ويخطبون باسمه ٠

وقد وقع نزاع بسبب منتصر السامانى بين محمود والايلك نصر خان غير أن هذه الفتنة قد خمدت وتزوج محمود ابنة نصر وبدأ السلام بين هذين الأميرين التركيين واضحى نهر جيحون الفاصل بين مليكهما ٠ وقد تلقى محمود هذا الصلح بحبور لأنه يترقب الفتح فى الهندونذر أن يغزوها كل عام ويريد أن يفرغ للاهتمام بها ٠ لكن الصلح لم يدم طويلا لأن الايلك نصرا بمجرد أن توجه محمود لاحدى غزواته وأقام فى المولتان بالسند (٣٩٦هـ) أرسل قائده (سباشى تكين) للسيطرة على خراسان من ناحية و (جعفرتكين) حاكم بخارى الى بلخ للاستيلاء على طوس ونيشابور من ناحية أخرى ٠ فعجل محمود الى خراسان وهزم جعفر وسباشى وأنقذ خراسان من سيطرة الخانيين ٠ وفى السنة التالية عبر الايلك نصر بعون قدرخان بن بغراخان السابق الذكر والى الختن بجند آخرين وأسرع لمحاربة محمود وكان مقيما فى طخارستان فى هذا الوقت

مع جمع من الأتراك الغزو الخلجيين(١) والأفاغنة والهنود وخمســمائة فيل حربى • وفى الثانى والعشرين من ربيع الثانى من (٣٩٨هـ) على كثب من جسر (جرخيان) على نهر بلخ فى صحراء (كتر) على بعد فراســخ أربعة من بلخ اشتبك الطرفان ولقى جيش الخانيين هزيمة قاسـية وغرق جزء هام منهم فى الماء حين فــراره •

ومعركة كتر احدى الوقائع العظيمة الأهمية فى تاريخ الغزنويــين لأن خطر الخانيين من هذا الوقت حتى عهد الســلاجقة قد انتهــى عن خراسان • أما نصر فقد ثار عليه أخوه (طغان خان) بســبب هزيمتــه وتحالف مع محمود ، ولم يستطع الخانيون بسبب نشوب الاختلافات الداخلية بينهم منافسة محمود أو مساواته بل كان كل منهم يستمده على الآخر وكان حكمه جاريا متبعا فى بــلادهم •

فتح خــوارزم وجرجـانية فى ٤٠٧ ــ ٤٠٨ هـ : ــ

كانت خوارزم ، وهى منطقة خيوه الحالية(٢) تحت امرة أسرتين من الأمراء على عهد السامانيين أولاهما أسرة المأمونيين التى حكمت على الجــزء الشمالى لنهر جيحــون وكانت عاصــمتهم مدينــة جرجــانج أو الجرجانية أو أورجنــج مدينــة خيــوه الحالية محلها ، وثانيهمــا الخوارزمشاهيون القدماء الذين سيطروا على الساحل الأيمن أى الجزء الشرقى لنهر جيحون وكانت عاصمتهم مدينة كاث أو شهرستان •

وقد سبق ذكر لأبى العباس مأمون بن محمد صاحب جرجانية وقلنا

(١) (الغز) سوف يرد فى تاريخ السلاجقة أصلها ، أما « الخلجيون » فنسبه الى خلج وهى تحريف للفظ « خلخ » بكسر الخاء وهو لفظ تركى أو أيغورى قديم ينطق فى التركية الحديثة « قلج » بمعنى السيف ، وقد يرسم تلق وخلح وغلج . (انظــر تاريخ بخارى . ارمينيوس فامبرى ، ترجمــة د. احمد الساداتى ص ٤٨ حاشية ، و ص ٨٤ ج ١) .

(٢) كانت خيوه تعرف فى القديم باسم خيووك وهو لفظ من اصل تركى كان غير معروف زمن السلاجقة ، وسوف يأتى تاريخهم (المرجع السابق ج ٢ ص ٢١٧) .

ان هذا الأمير حمل على أبى عبد الله خوارزمشاه صاحب شـهر كـاث (٣٨٥هـ) الذى كان قد أسر أبا على السيمجورى واستخلص منه خوارزم الشرقية وقتله فى نفس هذه الآونة فى مقابل أبى على السيمجورى ، وقد أطلق على أبى العباس صاحب جرجانية من هذا الوقت خوارزمشاه أى ملك خوارزم فى حين أن هذا اللقب كان لولاة كاث .

وبعد وفاة أبى العباس فى (٣٨٧هـ) خلفه ابنه أبو الحسن على وقبل بيعته للخانيين بعد سقوط السامانيين ، وبما أن محمودا قد تغلب عليهم فقد ساله أبو الحسن وتزوج من أخته .

وتولى جرجانية وخوارزم أبو العباس مأمون بن مأمون بعد أخيه أبى الحسن وتزوج هو أيضا بأخت أخرى لمحمود وكان مطيعا للسلطان مجبرا حتى (٤٠٧) سنة قتله ولكنه كان يظهر الاخـلاص والمحبة للخـانيين .

وفى نفس العام ساء ظن محمود بخلوص نية أبي العباس فطلب اليه أن يخطب له فى خوارزم فتظاهر خوارزمشاه بقبول طلبه ، لكن أعيان خوارزم وأمراءها لم ينصاعوا وثاروا على حاكمهم وقتلوه وأمروا عليهم ابن أخيه أبا الحارث محمدا بن على . فقصد السلطان محمـود خوارزم بحجة الانتقام لدم أبى العباس خوارزمشاه وانقـاذ أخته بجيش ضخم ، وبعد معركة فى (هزاراسب) بالقرب من جرجانية هـزم جند خوارزم شاه هزيمة شديدة ، ثم دخل فى الخامس من صفر (٤٠٨هـ) جرجانية وقبض على جميع أفراد الأسرة المأمونية وأتى بهم غزنة وترك خوارزم الى قائده المشهور آلتون تاش وزال آل مأمون وصار آلتون تاش ملك خوارزم .

كان أفراد الأسرة المأمونية أغلبهم فضلاء محبين للفضـل وكانت جرجانج فى عهدهم مركز اجتماع العلماء والفضلاء حتى أن أبا عـلى بن سينا كان يعيش هناك فى بلاط أبى الحسن على وأبى العباس مأمون ، وكان أبو الريحان البيرونى أيضا من أجلة خواصهم ومستشاريهم .

غـزوات محمود فى الهنـد من ٣٩٢ حتى ٤١٦ هـ : ـ

سافر السلطان محمود أسفارا حربية للجهاد والغزو الى الهنـد فى المدة بين عامى (٣٩٢هـ) و (٤١٦ هـ) أى نحو أربعة وعشرين عاما وكان أهم هذه الغزوات اثنتى عشرة غزوة ، وقد حارب راجات الهند وحكامها المحليين بنية جهاد كفارها ظاهرا وباطنا للاغارة على بلادهم ومعابدهـم ومحال أصنامهم التى شهرت بكثرة ثروتها وآلاتها وأدواتها وأصنامهـا الفضية والذهبية وقد جلب معه كل مرة بالاغارة على مدنهم غنائم لا تعد

وبدأ السلطان محمود هجماته على الهند بعـد جلوسـه بخمـس سنوات وأنهاها قبل وفاته بخمس أخرى لأنه انشغل فى الخمـس الأولى بقمع أعدائه فى الداخل والقادة السامانيين والايلك خان والأمير خلف ، وفى الخمس الأخيرة لم تتركه ثورات العراق وخراسان والاهتمام للخطـر التركى السلجوقى أن يتوجه للهند خالى البال • أما ما بين الخمسين فقل أن يمين الدولة لم يذهب الى الهند غازيا ولم ينتصر ويجلب الغنائم •

وشرح جميع غزوات محمود على الهند وبيان جزئيات حروبه مـع راجات الهند وحكام أجزائها الغربية والمركزية وتعداد أسماء البلاد التى فتحها والراجات الذين هزمهم يخرج عن نطاق هذا الكتاب المختصر فضلا عن خلوه من الفائدة والمتعة ، فلذا نقنع بالوقائع الهامة والنقاط الرئيسة المتعلقـة بهـذه الغـزوات •

١ ـ بداية غزو محمود للهند الغربية كما أشرنا هى سنة (٣٩٢هـ) ، ففى هذا التاريخ اقتفى السلطان بعد اخضاع أحمد بن خلف فكرة أبيـه فى الحملة على أرض الراجبوت ومقـاتلة جيبال ، ونتج عن هذا هزيمـة جيبال وأسره وعاد بعد السيطرة على قسم من البلاد شرق بيشاور موقرا بالغنـائم الموفورة •

٢ ـ فى (٣٩٥هـ) هاجم محمود سهول البنجاب وتغلب فى (بهاطيه) عاصمة البنجاب المركزية (ما بين مدينة المولتان ونهر ستلج) على حاكمها

وعاد بعد ضم هذه المنطقة الى أملاكه بمائة وعشر فيلا الى غزنة .

٣ — فى (٣٩٦هـ) قصد محمود الملتان بحجة دفعه واليها المسنم (والملتان من بلاد شرق نهر السند فى ولاية البنجاب) الذى اعتنق المذهب الاسماعيلى ، ولما لم يجب (انندبال) ابن جيبال السابق الذكر والذى حكم فى كشمير طلب محمود عبور البلاد فقد بدأ السلطان بتعقبه وسيطر على كشمير ، وفر والى الملتان خوفا الى جزيرة سرنديب واستولى محمود على الملتان وقسم آخر من البنجاب .

وبعد هذا الفتح دخل محمود سهول الجانج وهاجم بلاد راج آخر اسمه (ننداً) فتقهقر هذا الراج من أمامه واعتصم بقلعة كالنجر الحصينة وهى من القلاع الجنوبية لنهر جمنا من أفرع نهر الجانج وتقع حاليا مغرب مدينة (الله آباد) الحالية فحاصرها محمود وبعد أن حوصر ننداً أربعة وثلاثين يوما طلب الصلح فرفض محمود فى البداية لكنه صالحه باعتباره تابعا له عندما سمع أن الايلك خان هاجم خراسان .

٤ — ومن غزوات محمود المشهورة فى الهند غزوتان فى (٤٠٤هـ) و (٤٠٥هـ) وقد استفرغ لنفسه فى أولاها قلعة ناردين من قلاع البنجاب عزب نهر جيلم من أفرع نهر السند وفى ثانيتهما معبد تانيسر (فى شمال دهلى) وقد أتى بصنم تانيسر الكبير الى غزنين .

٥ — فى (٤٠٩هـ) فتح محمود مدينة قنوج (على حافة نهر الجانج وشمال شرقى مدينة كاونبور) وسلم له حاكمها واعتنق أهلها الاسلام ، لكنه لما عاد محمود غضب الراجات الآخرون لهذا فقدم أعظمهم لمحاربة حاكم قنوج وقتله . فعاد السلطان محمود وهاجم سهول الجانج وفتح معبد (موترا) البالغ الشهرة الواقع فى شاطىء الجانج وشمال مدينة آكرا ، وغنم جميع نفائسه ومن بينها صنم ذهبى خالص وعاد الى غزنة بجلال وعظمة .

٦ — وأعظم وآخر غزوة لمحمود فى الهند هجومه على ولاية

الكجرات (٤١٦هـ) وشبه جزيرة كاتياوار (وهى الحد الفاصل بين ولاية السند والهند الوسطى) • كان محمود سمع أن أعظم معابد الهند يقع فى مدينة سومنات فى الساحل الجنوبى لشبه جزيرة كاتياوار ، وكان الهنود يومها يعتقدون أن سبب استيلاء محمود على سائر الأصنام الهندية هو غضب صنم سومنات وسخط عليها • وكان محمود على علم بأن معبد سومنات مستودع للذهب والفضة والجواهر والنفائس فتقدم الى شبه جزيرة كاتياوار عن طريق الملتان وصحراء تار العظمى ويصحبه ثلاثون ألف فارس وجماعة من المجاهدين المتطوعين فى العاشر من شعبان من عام ٤١٦هـ لتملك هذه الخزائن والكنوز النفيسة والقضاء على صنم البراهمة الأعظم • وفى طريقه استولى على مدينة (انهلواره) العاصمة القديمة لولاية الكجرات ، وبلغ قلعة سومنات فى منتصف ذى القعدة •

وكانت قلعة سومنات تشرف على البحر من فوق مرتفع واستبسل الهنود فى الدفاع عنها فى جانبيها لكنهم فى النهاية عجزوا أمام المجاهدين المسلمين ، فاقتحم محمود بعد أيام ثلاثة هذا المعبد وحطم بنفسه برمح كان معه هذا الصنم الأعظم وكان من الحجر ويبلغ طوله خمسة أذرع وأرسل بقطع منه الى غزنة ومكة وبغداد ليعلن عن فتحه العظيم ثم آب الى عاصمته فى العاشر من صفر عام ٤١٧ هـ •

وقد أقيم معبد سومنات وكان أحد النماذج الرفيعة لفن العمارة الهندية على قواعد حجرية وعمد بأعمدة خشبية وكانت تبرق على سقفه أربع عشرة قبة من الذهب • وكانت خزائنه تغص بالنفائس والجواهر التى كان يبعث بها الراجات والزوار الهنود لسنين طويلة • وقد قدرت قيمة هذه النفائس التى غنمها جنود محمود بنحو عشرين ألف ألف دينار •

فتح الرى وأصفهان فى (٤٢٠ هـ) : —

وكما مر بنا فى أحوال مجد الدولة الديلمى فقد لاذ هذا الأمير بعد موت أمه السيدة خاتون بالسلطان محمود من جراء استبداد جنده وتزايد

شرهم • وكان محمود ينتظر الفرصة للاستيلاء على بلاد الجبل ولاستئصال الديالمة فى هذه المنطقة ، فأرسل فى البداية عليا الحاجب الى الرى وأمره أن يقبض على مجد الدولة ، ففعل على هذا ، ثم وصل محمود بنفسه الى الرى فى ربيع الآخر (٤٢٠هـ) واستحوذ على خزائن مجد الدولة ومكتبته القيمة وعلى ما يقرب من ألف ألف دينار نقدا وبقيمة خمسين ألف دينار جواهر ، ثم قام باحراق أكثر كتب مجد الدولة وكانت كتبا فى الحكمة والنجوم وتأليفا فى علوم الضلال ، وبهذا زالت ودالت دولة الديالمة فى الرى •

وبعد فتح الرى وقتل جماعة من أصحاب مجد الدولة بحجة سوء معتقدهم فتح أيضا قزوين وساوه وآبه وأرسل ابنه مسعودا لفتح زنجان وأبهر ، ثم أنابه بعد فتح هاتين المدينتين على ممالك الديالمة التى فتحها جميعا وعاد الى خراسان •

وكانت حكومة أصفهان وهمدان وشابور خواست على النحو الذى ذكرنا فى تاريخ الديالمة فى هذا الوقت لعلاء الدولة أبى جعفر محمد بن دشمنزيار كاكوية ، ولما رأى كاكويه أن محمودا تملك الرى وقزوين وسائر أملاك مجد الدولة وأنه يرنو بنظره الى بلاده ، بادر وخطب فى أصفهان لمحمود • فلم يتعرض محمود له وهكذا بقى علاء الدولة فى حكم ولاياته •

وبعد عودة محمود الى غزنة هاجم مسعود أصفهان فأخرجها عن يد علاء الدولة وأناب عنه حاكما لها وعاد الى الرى لكن أهل أصفهان ثاروا على والى مسعود وقتلوه • فقدم مسعود مرة أخرى الى أصفهان من الرى وأعمل فى أهلها السيف فقتل منهم نحو خمسة آلاف وأعاد المدينة الى حكمه وركن علاء الدولة الى الفرار •

وفى (٤٢١هـ) هاجم مسعود همدان وطرد منها عمال علاء الدولة كاكوية فهرب علاء الدولة الى خوزستان حتى يستمد أبا كاليجار وجلال الدولة الأميرين الديلميين لكنهما لم يتمكنا من عونه لصراعاتهما الداخلية

ونزاع أحدهما مع الآخر ، ومكث علاء الدولة فى خوزستان الى أن سمع بوفاة السلطان محمود وعودة مسعود الى خراسان ، فاغتنم الفرصة وتملك أصفهان واستولى على أملاكه السابقة .

وفاة السلطان محمود فى ٤٢١ هـ : ــ

أصيب محمود فى آخر عمره بمرض السل (الدق) وكانت ولادته فى عام (٣٦٠هـ) وكان بسببه يشتد ضعفا ونحافة يوما عن يوم . واشتد عليه المرض فى سفره الى الرى وعاد الى خراسان بحالته هذه وأقام فى بلخ ، ثم قدم الى غزنة فى ربيع عام (٤٢١هـ) ، وبعد بضعة أيام وافاه أجله فى هذه المدينة فى الثالث والعشرين من ربيع الأول من نفس العام .

وقد نال السلطان محمودا وهو أول ملك مستقل وأكبر أفراد الأسرة الغزنوية بشجاعته وجرأته وكثرة فتوحاته وانتصاراته وجلال بلاطه شهرة بليغة فى تاريخ المسلمين ، خاصة لغزواته فى الهند والغنائم التى استاقها منها ولاجتماع العلماء والشعراء فى بلاطه والأشعار والكتب التى صنفت باسمه صار اسمه معروفا فى أكناف العالم وأطرافه . لكن ينبغى العلم أن أكثر هذه الشهرة يرجع الى تملق معاصريه المتعصبين الذين عدوا غزواته فى الهند فى سبيل نشر الاسلام والقضاء على الكفار من أعظم الخدمات التى أسداها محمود للدين ، وبرأوا ساحته كمجاهد فى سبيل الله من كل عيب ونقص . بينما اذا نظرنا بعين الانصاف وجدنا محمودا به عيوب عظيمة وأن فتوحاته بدل أن تقع فى شعب ايران موقع الاستفادة انتهت بهم الى أضرار بالغة . وبالجملة فان أيام حكم محمود من وجهة نظر الشعب الايرانى من العهود الكثيرة الاظلام ، وليس محمود يمين الدولة فى تاريخ ايران مثل هذه الشهرة للأسباب الآتية : ــ

١ ــ مشهور أن فى بلاط محمود قد اجتمع أربعمائة شاعر ماهر

يمدحون السلطان كان من بينهم كما نعلم العنصرى البلخى(١) والفرخى السيستانى(٢) والعسجدى المروزى(٣) والزينبى العلوى(٤) والفردوسى الطوسى(٥) والمنشورى السمرقندى(٦) والكسائى المروزى(٧) والغضايرى الرازى(٨) • وليس من أدنى شبهة فى أن أعظم هؤلاء العظام

---

(١) العنصرى هو ابو القاسم حسن بن احمد من شعارء القصيد الكبار فى العصر الغزنوى وملك الشعراء فى بلاط محمود . ويزيد ديوان قصائده واغلبها فى مدح محمود ومسعود عن الفى بيت . وفوق القصائد له منظومات اخرى مثل وامق وعذرا وعين الحياة وغيرها . ويدل العنصرى على احاطة كاملة باللغة والأدب العربيين والعلوم العقلية ، وقد صار اسوة اكثر شعراء القصيد الفرس ، توفى عام (٤٩٢هـ) .

(٢) ابو الحسن على بن جولوغ الفرخى المتوفى (٤٢٩هـ) ربا ديوانه عن تسعة آلاف بيت من قصائد وغزليات وقطعات ورباعيات ويتميز عامة بالبساطة والسهولة والواقعية ويعد من ناظمى القصيدة الممتازين .

(٣) العسجدى المتوفى نحو (٤٣٢هـ) هو ابو نظر عبد العزيز بن منصور ضاع ديوانه الا من اشعار فى كتب سير الشعراء واشهرها قصيدته فى فتح محمود الغزنوى لمعبد سومنات .

(٤) الزينبى هو عبد الجبار العلوى المحمودى وقيل ان اسمه الزينبى ذكرت كتب تذاكر الشعراء بعضا من اشعاره .

(٥) الفردوسى المتوفى ٤١١هـ أو ٤١٦هـ هو ابو القاسم حسن شاعر الحماسة الكبير وابن احدى أسر الدهاقين الاغنياء ، بدأ نظمه سيرة اسلافه الأسطوريين والتاريخيين فى سن الأربعين (نحو عام ٣٧٠هـ) وأنهاه نحو (٤٠٠هـ) منفقا من عمره ثلاثين عاما فى ذلك بعد أن ذهب عنه ماله وشبابه وتقدم به مادحا السلطان محمود ، لكنه لم يلق للأسباب التى سوف نشير اليها بعد ذلك ، ما كان ينتظره من مال وجاه بل هرب خوفا من السلطان الى آل باوند بطبرستان حيث هجاه . وينسب اليه خطأ قصة يوسف وزليخا الشعرية .

(٦) هو ابو سعيد احمد بن محمد المنشورى السمرقندى من الشعراء الذين غنى شعرهم غير قطع فى كتب الأدب .

(٧) الكسائى هو ابو الحسن مجد الدين اسحاق المتوفى عام (٣٩١هـ) شاعر المدح والوصف والحكمة والوعظ والمعانى الفلسفية ومدح السامانيين كذلك .

(٨) وهو ابو زيد محمد المتوفى (٤٢٦هـ) من اهل الرى مدح آل بويه قبل محمود الغزنوى وأفاض فى مدح محمود وعطاياه فى قصيدته اللامية . وكان له مع العنصرى مباحثه ادبية وقصائد انتقادية .

المشاهير جميعا هو الفردوسى الطوسى ، كما أنه لم يك بين علماء بلاط محمود من هو أجل قدرا وأعظم منزلة من أبى الريحانى البيرونى • لكن محمودا كما نعلم لكثرة لؤمه سلك مسلكا مشهورا مع الفردوسى وأصدر أمر قتل أبى الريحان فى وقت من الأوقات بسبب الحقيقة العلميـــة التى قالها وكانت تبدو كفرا فى نظر السلطان ولم ينج ذلك العالم الا بوساطة (أبى نصر مشكان) كاتبـــه(٩) •

ولم يكن بمكنة محمود وقد كان تركى الأصـــل لا يحســـن درك لطائف اللغة الفارسية ويعادى بشدة لتعصبه الشديد للمذهب الســـنى كل ما يشتم فيه رائحة الحكمة وحرية الفكر أن يكون طـــالب الشـــعر والأدب ناشد العلم والحكمة عن ميل قلبى أو تذوق طبيعى فى أى وقت من الأوقات • وكان كل هذا التظاهر الذى شوهد منه لأن وجود الشعراء والعلماء المعروفين فى البلاط فى تلك الأيام كان يعد من أسباب عظمتـــه وجلاله ، وكان الشعراء بنظمهم قصائد المديح للأمـــراء والســـلاطين والفضلاء وبتصنيف الكتب والرسائل بأسمائهم أفضل وسيلة لاذاعـــة مفاخر ممدوحيهم واعلاء صوت واسم مخدوميهم ، حتى أن كل بلاط كان يباهى غيره فى عدد شعرائه وكثرة فضلائه وشهرة أسمائهم وعلو سمائهم ووهج لمعانهم • وكان محمود الذى لم يطق أن يتصور بلاطا فى عـــصره يفوق بلاطه فى غزنة صيتا فى أى ناحية كلما وجد من هؤلاء الشـــعراء والعلماء أثرا اجتذبهم الى غزنة بالوعد والوعيد ، كما فعل بالغضائرى اذ استدعاه من بلاط مجد الدولة فى الرى بكثرة صلاته وطلب من مـــلك خوارزم أن يبعث له بأبى على بن سينا وأبى الريحان البـــيرونى وأبى سهل المسيحى وأبى نصر بن عراق وأبى الخير بن الخمار وقد كانـــوا سبب ازدهار بلاط جرجانية ، فلاذ منهم أبو على بن سينا وأبو ســـهل

---

(٩) أبو نصر منصور بن مشكان صاحب ديوان رســـائل محمـــود ومسعود الغزنويين وتعد مكاتباته ورسائله الفارسية من ابلغ ما كتب حتى عصره وظل فى منصبه حتى وفـــاته (٤٣١هـ) .

المسيحي وكانا يخشيان تعصب محمود بآل زيار وآل بويه ، ودخل بقيتهم الذين ظلوا بجرجانية لا يبرحونها في بلاط محمود اضطرارا لما فتحها .

وقد حث محمودا تعصبه وجهله الأدب أن يعامل الفردوسي الذي كان يخالفه المذهب بوضاعة وقبح وأن يؤذي هذا الشاعر العالي المقام فيبقى له في التاريخ ذكرا ذميما ، وحق للفردوسي أن يقول فيه :

لم يكن للسلطان بلاط يقوم على العلم والا لكان وضعني موضعي(١)

٢ — كان السلطان محمود يفرط في تعصبه للمذهب الحنفي ، ولما كان جمع غفير في بلاد ما وراء النهر وخراسان قد اعتنقوا المذهب الاسماعيلي أو مذاهب الشيعة الأخرى بسبب دعوة الدعاة الاسماعيليين في هذه المناطق ، فكان محمود يقتلهم بقسوة بالغة حيثما ثقفهم خاصة وأن الدعاة الاسماعيلية كانوا يدعون الناس في ايران لاتباع الخلفاء الفاطميين في مصر وكان هؤلاء الخلفاء يناهضون بني عباس مخدومي محمود • وكان محمود يتعقب أغلب من لم يتمذهب بالمذهب الحنفي(٢) بتهمة القرمطة (أي الاسماعيلية ومشايعة الفاطميين) فيقتلهم ، وكان في هذا المضمار يستوي لديه القرامطة والمعتزلة والحكماء أو الفلاسفة كما فعل بأتباع مجد الدولة اذ قتلهم بتهمة الاعتزال وجعل من الجزء الأعظم من مكتبته النفيسة طعمة للنيران وقتل رسول الخليفة الفاطمي

---

(١) اصل البيت الفارسي : بدانش نبد شاه دستكاه
وكرنه مرا برنشاندى بكاه (سياقى) .

(٢) لفظ المؤلف الأصلي (الدين الحنفي) وهو مذهب من المذاهب السنية الاربعة يوحي — ربما — بنزعة الايرانيين الخفية الى تفريق الاسلام فرقا وجعل كل فرقة دينا على حدة والا ما وقع المؤلف في هذا الخطأ البين وليس ذلك ناشئا عن جهله ببدهيات الاسلام بقدر ما هو متعمد مقصود ، ولا ادل على هذه النزعة الموروثة افتراقهم عن دين زردشت تشعيب مذاهب عنه كالمانوية والمزدكية وجعلها اديانا قبل الاسلام ثم تشعيب التشيع عن الاسلام وتفريع هذا المذهب — فروعا يخالف بعضها بعضا مخالفة تجعل كل فرع مستقلا بذاته .

فى مصر • وكان هذا السلطان حينا يتهم الأعيان والأثرياء بسوء المعتقد للاستيلاء على أموالهم وضمها اليــه •

٣ ــ كان محمود رجلا بخيلا عابدا للمال طالبا للثروة ومع أنــه كان يتذرع فى غزواته للهند بنشر الاسلام والجهاد والغزو فى سبيل ذلك فى الظاهر فقد كان غرضه الأصلى نهب المعابد المتخمة بالثروة فى الهنــد والقدوم بغنائمها • وبالرغم من أنه أنفق جزءا زهيدا من هذه الغنائم فى التعمير أبنية وحدائق وآثارا خيرية فى غزنة وبلخ وطوس ، لكنــه كان يكنز أكثرها ولا يصل للشعب شىء منها بل ان عماله كلما خرج للغــزو كانوا يسلبون الرعية مالها بقسوة وزجر تامين ، ولما كان هــذا الغــزو يتكرر كل عام تقريبا فقد أصيب شعب ايران اصابات بليغة ، وقد نفــرت العامة بسبب هذا الظلم من نظام حكم الغزنويين نفورا جعــل أهــل خراسان يستدعون التراكمة السلجوقيين للاســتيلاء على بلادهــم عن طواعية تامة لما ذهب ريح محمود وتأمر مســعود ، وانحسرت الدولــة الغزنوية بسبب هذه الحالة سريعا عن ايران وما وراء النهر •

٤ ــ ومع أن السلطان محمود قد استوزر وزراء أكفاء لكن أحدا منهم لم يستطع أن يؤسس أساسا متينا دائما لادارة البلاد بسبب قوة السلطان واستبداده ، ولم تكن أحوال العامة والرعايا مقترنة بالراحــة والرفاهية ازاء تسلط جند محمود المغيرين الذين كانــوا مزيجــا مــن المجاهدين المتطوعين من أبناء قوميات مختلفة لعدم سيادة النظام والعدالة كما كانا فى عهد الوزراء الأولين السامانيين أو عهد نظام الملك السلجوقى بعــــد •

ووزير السلطان محمود الأول هو أبــو العباس فضل بن أحمــد الاسفراييني الذى كان أولا كاتبا لفائق الخاصة ثم لحق بعد زوال دولته بخدمة سبكتكين وابنه محمود ثم استقر فى منصب وزارة محمود حتى (٤٠١هـ) وكان أبو الفضل الاسفراييني رجلا كافيا محنكا صارت اللغة الفارسية فى ديوان محمود بأمره اللغة الرسمية فكتبت الأحكام والدفاتر

والمراسلات بأمر من الوزير بالفارسية • وبعد عـزل الاسـفراييني فى (٤٠١هـ) استوزر محمود أبا القاسم أحمد بن حسن الميمنـدى الذى جمع الفضل والأدب مع الكفاءة والحنكة • وقد أعاد أبو القاسم الميمندى وكان ممدوح أكثر شعراء عهد محمود ومن المنشئين المشهورين باللغـة العربية ديوان محمود الى العربية خلافا لما فعل الاسفراييني وذلك لكى يثبت فضله ومقدرته فى هذه اللغة • وبقول مشهور ان سبب حرمـان الفردوسى من تحصيل مكافأته هو هذا الميمندى بينما كان الاسفراييني يشجع ذلك الشاعر ويكرمـه •

ومع أن الميمندى هو أخو محمود من الرضاعة ورفيقه فى مكتـب التعليم الا أن محمودا أزاله من الوزارة فى (٤١٥هـ) وأرسله ليسـجن باحدى قلاع الهند وظل بها الميمندى حتى موت محمود • وكانت وزارة محمود فى سنى سلطنته الأخيرة لأبى على حسن بن محمد بن ميكـال المعروف بحسنك الوزير والذى يعد بدوره من فضلاء المنشئين(١) •

---

(١) كال المؤلف السب والشتم لمحمود الغزنوى وزيف عليه لاسباب عدة لن نحصيها فى هذا المقام وانما نذكر أهمها واول هذه الأسباب ما أفصح عنه المؤلف فى نظرته فى وضع السامانيين الادارى وفى انتهاء دولتهم بيـد خانات الترك اذ قال ان انتهاء السامانيين على يد أبى نصر الايلكخان أكثر احداث تاريخ ايران شؤما لانه فتح الباب له ولسبكتكين ومحمود من قبله لاستعمار ايران . والحق ان الصراع بين العنصرين الايرانى والتركمانى قد انتهى بغلبة الأخير بنهاية السامانيين واعتلاء محمود عرش ايران . فـلم يكد الايرانيون يستقلون عن الحكم العربى فى عهد الصفاريين والسامانيين الى حد ما حتى قدر لهم الله العنصر التركى ليحكم بلادهم اذ خلف الغزنويين بنو جلدتهم من السلاجقة ثم المغول وهم أقرب الى الترك فتيمور فالصفويون فالقاجاريون ، وهكذا لم يتمتع الايرانيون بحكم بلادهم فنشأ بينهم شعور الكراهية الشديدة للاتراك كما كان للعرب الى حد تزييف محاسن حكامهم وقلب حسناتهم سيئات، وتضخيم سيئاتهم كبائر ومعلطات الذنوب . فأنشأ المؤلف ، مخفيا علة كرهة لمحمود وهى انه تركى لاغير ، يبرر تجمع هـذا الكم الهائل من الشعراء والكتاب والعلماء وهو لحـب الظهور عنـده ، وان ماشيناه فى ذلك لانه حاكم كأى حاكم عاصره فيكفيه فضلا على الايرانيين ان لغتهم الفارسية صارت لغة ادب قوى وعلم مستقر وبلغت كمال ارتقائها على يديه . اما الفردوسى فهو لا يفوق نظراءه من الشعراء فى شـعره بل =

٢ ـ السلطان محمد بن محمود

(من ربيع الآخر حتى شوال من عام ٤٢١هـ)

عين السلطان محمود فى مرض موته ابنه محمدا وكان فى هذا الوقت

=

يقل كما ارى وانما عول المؤلف من قدره لانه كان فارسيا متعصبا كارها للعرب والترك جميعا يحكم ولادته من احد بيوت الدهاقين الايرانيين ذوى الأصل الفارسى والتعصب الشديد واجلى عصبية فى منظومته التى قدس فيها حكام ايران الأسطوريين وازرى بغيرهم وغير الفرس وادعى انه أحيا القومية الفارسية وحاول قدر طاقته الاستغناء عن الألفاظ العربية وهو بهذا بطل فى المنظور الايرانى المتعصب كيعقوب الصفارى ، فمن الطبيعى أن يحرم السلطان محمود مكافاته ، اذ اثبت انه الف منظومته من اجل المال وهو ما يشك فيه ، لانه قدم يسىء الى السلطان وعنصره ويقدح فى بطولته ومدار اغلب نظمه قائم على انتصار الفرس على التورانيين الترك وتزييف تاريخ الأخيرين واظهارهم بمظهر فاحش . وتقول المصادر أن محمودا قال للفردوسى انه لا يرى فيها بطلا غير رستم وفى جيشه الف مثل رستم فرد الفردوسى قائلا : لم اعرف أن بجيشك الف رستم غير ان ما أعرفه يقينا هو أن الله تعالى لم يخلق مثل رستم . ويحق لمحمود أن يفخر بجنده وقد فتح الله بهم بلادا وثنية وقد ضموا من يريدون الشهادة الخالصة لنشر الاسلام أما الفردوسى فهو يمدح أبطالا اكثرهم اسطوريون ويذم العرب والترك كذبا مستندا الى موروثات قومه الملفقة ثم ينبغى المكافأة بهذا فكأنه يستجيز لنفسه القتل وهو البادىء بالعدوان . والسبب الثانى هو أن محمودا كان سنيا تعقب الايرانيين الخارجين مثل الاسماعيلية والروافض على الاسلام بالقتل وهو فرض على المسلم الصادق وقد اعتنق الايرانيون هذه المذاهب الخارجة والتشيع بعامة لا للتدين وانما تدفعهم عنصريتهم الى الانتقام من العرب والترك بترك الاسلام لأنه أتى مع العرب والمذهب السنى لأنه مذهب الترك والعرب . ومحمود فى نظر المؤلف وقومه عدو دينى فوق أنه عدو قومى ومتحالف مع عدوهم التقليدى وهو العرب ويشترك الاثنان فى أنهما مستعمران مغيران على أرض ايران وخيرها فلابد أن يكيد وقومه له وللعرب والترك جميعا كيد الضعيف للقوى وهو التزييف والتلفيق والدس . ولو كان ملاك الأمر هو الدين أو المذهب كما يفهم المؤلف فهل افاد شعبه ولغته وحضارته من الصفويين الذين جاهروا بعداء السنة فى داخل ايران وخارجها وأعلنوا تشيعهم ؟ ان المؤلف لا يمكنه أن ينكر ان بلاده تخلفت خطى حضارية كثيرة مع حكم الصفويين وأن محمودا التركى السنى اسدى له ولايران وللمسلمين جميعا أفضالا للحضارة الايرانية خاصة والاسلامية عامة واخيرا اذا كان هذا هو راى الايرانيين فى محمود وعهده (الكثير الاظلام) كما أعلن المؤلف فى أول كلامه فاننا نعذرهم ونعذره اذا أخذنا السببين السابقين فى الاعتبار .

والى جوزجانان وبلخ خلفا له وحرم ابنه الآخر مسعودا هذا الحق لغضبه عليه ، فلما مات محمود قدم محمد من بلخ الى غزنة وجلس على عرش أبيه بلقب (جلال الدولة) .

وكان محمد ضعيف النفس محبا للهو واللعب غير معتن بأمور الملك ، ولهذا تواضع جمع من كبار الجيش وأكابر الدولة سرا مع مسعود وكان آنذاك فى الرى واستدعوه للسلطة وخلافة أبيه . وقدم مسعود بدعوتهم من الرى الى نيشابور ولحق به جماعة من خاصة محمود وأمراء جيشه كأبى النجم اياز بن أويماق غلام السلطان محمود المشهور(١) وعلى دايه وهناؤه بالسلطنة ، وصل فى نفس الحين منشور رسمى بامارته من الخليفة القادر العباسى ، فسلك مسعود طريقه الى غزنين رابط الجأش ثابت الجنان .

فاختار محمد كبير حجابه عليا بن ايل أرسلان ، وكان من أقرب خاصته فسمى لذلك بعلى القريب ، ومعه عمه يوسف بن سبكتكين قائدين لجيشه وتهيأ لمنع مسعود . لكن هذين القائدين سرعان ما أدركا أن مقاومة مسعود وحربه لن يجديا نفعا فقبضا على محمد فى (١٣ شوال ٤٢١هـ) وكان مشغولا بالخمر والشرب وأعمياه وحبساه فى احدى القلاع ثم ناديا بمسعود أميرا للجيش وسلطانا للبلاد . أما مسعود فما أن بلغ هراة حتى قبض على على القريب وقتله وألقى بعمه يوسف فى الحبس وعامل كثيرا من قواد الجيش الذين غدروا بأخيه ومكروا به معاملة تختلف شدة ورأفة .

وكانت وزارة محمد فى السبعة شهور زمن امارته لـ (خواجه أبى سهل أحمد بن حسن الحمدوى) وكان هذا الوزير من كبار المنشئين والفضلاء والمهتمين بالأدب فى عهده وسوف يشار اليه بعد .

---

(١) كان تاريخيا معروفا بذكائه وفهمه واديبا وشعريا معشوق السلطان محمود وقد افترى الايرانيون فى أدبهم وشعرهم على محمود بهذا اذ نسبوا اليه هيامه بهذا الغلام وصبابته به ثم تحول أياز الى انموذج للجمال فى عرف الأدب الفارسى عامة .

٣ ــ السلطان مسعود بن محمود
(٤٢١ ــ ٤٣٢هـ)

أمر شهاب الدولة مسعود بعد وروده غزنة وتوليه مقام أبيــه أن يأتوه بأبى القاسم أحمد بن حسن الميمندى الذى ألقى فىالسجن بالهند بأمر السلطان محمود من (٤١٥هـ) الى عرشه ليستخلصه لوزارته وظل هذا الوزير حتى (٤٢٤هـ) حين توفى بهذه الوزارة •

ومن بين من أمسك بهم مسعود حين حاز العرش أبو على حســنك الميكالى الوزير فقد اتهمه السلطان بالقرمطة بسبب سيعه فى ابلاغ أخيه محمــد الى الســلطة ثم قام بشــنقه •

حــروب الســلطان مســعود : ــ

وأول واقعة هامة لعهد امارة مسعود هى غزوة ولاية مكران ســنة (٤٢٣هـ) فقد أنفذ السلطان جيشا ليعين أحد ولدى واليها المتوفى ثــم أدخل مكران حتى حدود السند تحت طاعته • وفى السنة التالية ســير مسعود جيشا آخر الى كرمان تقاتل مع نواب أبى كاليجار الديلمى أمــير فارس لكن وزير الأخير أصاب جنده بهزيمة فعادوا منهزمين الى خراسان

والحرب الثالثة لمسعود كانت فى الرى وهمدان وبلاد الجبل لتأديب العصاة الذين ثاروا بين عامى (٤٣٢) و (٤٢٤هـ) عليه بعد عودته من هــذه الولايــات الى خراســـان •

وفى نفس سنة وفاة محمود وأوبة مسعود الى نيشابور • كمــا سبقت الاشارة ، تقدم علاء الدولة كاكويه من خوزستان الى أصفهــان واستولى بيسر على هذه المدينة وهمدان والرى وأخذ يهــاجم أمــلاك فلك المعالى منوجهر بن قابوس الزيارى الذى كان يعيش تحــت أمــر الغزنويين وأخذ من عماله خوار ورامين ودماوند من عماله • فاستنجد

فلك المعالى بالسلطان مسعود فسير جيشا من خراسان لمدده ، فاستعاد هذا الجيش بعون على بن عمران من أصحاب فلك المعالى ومن ممدوحى الشاعر (منوجهرى الدامغانى) الرى من علاء الدولة الذى جرح بالمعركة وفر الى احدى القلاع التى تبعد عن همدان مسافة خمسة عشر فرسخا . وبعد فرار علاء الدولة خطب منوجهر فى الرى للسلطان مسعود وأناب مسعود عنه أحد رجاله وهو (تاش الفراش) فى (٤٢٢هـ) فى حكم الرى وبلاد الجبل . وبعد أن التأمت جراح علاء الدولة هاجم من همـدان بروجرد ممدا فرهاد بن مردآويج ، فأرسل تاش الفراش وعلى بـن عمران جيشا يتعقبهم ، وقد تمكن هذان القائدان بعد سلسلة من الحروب فى (٤٢٣هـ) أخيرا من أن يجبرا علاء الدولة على الفرار الى أصفهـان ويخرجا همدان وبروجرد وشابورخواست والكرج عن سيطرته .

وفى (٤٢٤هـ) قدم مسعود بنفسه من غزنة بهدف معالجة أمـور الرى وبلاد الجبل الى خراسان ولما بلغ نيشابور أنبىء أن عامله عـلى البلاد البلاد المفتتحة بالهند قد أعلن عصيانه . فاضطر السـلطان الى تغيير وجهته وصمم على اتيان الهند وبعث أبا سهل الحمدوى الوزيـر السابق لأخيه محمد من نيشابور للرى لمراقبة تصرفات تاش الفراش الذى جار الناس من جوره وظلمه وقبل عذر علاء الدولة كاكويـه وكان يطلب عفوه وأبقاه على أصفهان حاكما بشرط أن يؤدى اليـه خراجـا سـنويا .

وعمل أبو سهل الحمدوى على اصلاح ما خربته أيام حكومة تاش بكل عدل وكفاءة فخول للرعية أسباب الرفاهية والرضا اثر قضائه على البدع التى أقرها سلفه وخضع تاش لأمره ، الى أن حلت سنة (٤٢٥هـ) وكان الصفاء بين أبى سهل وعلاء الدولة فى الظاهر وحسب ، ولكن علاء الدولة لما استنكف أن يؤدى الخراج السنوى ثم أعلن عصـيانه يمـده فرهاد بن مردآويج وجه أبو سهل لهما جيكشا فقتل فرهاد ولاذ علاء

الدولة بالأمير أبى كاليجار ببلاده • واستولى أبو سهل الحمدوى على أصفهان وغنم خزائن علاء الدولة وأرسل نفائسها الى غزنة ومن بينها مؤلفات الحكيم المشهور أبى على بن سينا الذى كان يعيش آنذاك فى أصفهان وكان وزيرا لعلاء الدولة • ووقع علاء الدولة ثانية فى حرب مع أبى سهل (٤٢٧هـ) لكنه لم ينل نصرا فانهزم الى طارم •

ومن حروب مسعود فى الغرب وقائعه فى جرجان وطبرستان مع أبى كاليجار كوهى خال والقائم على أمر أنوشيروان الزيارى فى (٤٢٦هـ) التى أشير اليها وذكر فيها أن أهل جرجان وطبرستان لقوا فى هذه الحروب أذى شديدا من الجنود الغزنويين ، وعاد مسعود بدون أن يتمكن من احراز نتيجة هامة من سفره هذا بسبب ثورات خراسان برما ملولا •

أما فى الشرق أى الهند فقد اتجه مسعود اليها مرة واحدة عام (٤٢٤هـ) بسبب عصيان عامل أبيه على الهند أحمد بن ينالتكين ، وبعد أن طوع أحمد لأمره فتح احدى قلاع الهند الهامة ، ثم آب فى السنة التالية الى خراسان لما سمع بأنباء استيلاء التركمان عليها • وفى (٤٢٦) عصى أحمد بن ينالتكين مرة أخرى وهزم جند مسعود ، فسير مسعود أحد قائديه المطيعين له الهنود لدفعه فهزم أحمد وغرق أحمد أثناء فراره فى مياه نهر السند فأرسل برأسه الى مسعود •

وفى (٤٢٨هـ) وأوائل (٤٢٩هـ) غزا مسعود الهند جريا على عادة أبيه وكان فى سفره هذا أكبر فتح له فتح قلعة (هانسى) فى جنوب شرقى البنجاب الذى استحوذ عليها فى ربيع الأول من العام الأخير • وقد عاد مسعود فى اثر هذه الغزوات كأبيه موقرا بالغنائم مجللا بالفخر الى غزنين ولكن أيام هذه الفتوحات كانت آخر عهد شوكته ، فقد حطم التركمان السلاجقة ، كما سنشير بعد قليل ، نتيجة لبضع هزائم مجده مرة واحدة •

السلطان مسعود والتراكمة الغزو السلاجقة :ـ

كما رأينا فى تاريخ السامانيين فقد كانت بلادهم مجاورة من الشمال والشمال الشرقى لمساكن مجموعة من الترك لم يكونوا قد اعتنقوا الاسلام بعد ، وكان الأمراء السامانيون أكثر أوقاتهم يجردون جيوشهم على مساكنهم للجهاد والسبى والغنم وكانوا يسمون بلادهم دار الكفر كما فعل نوح بن أسد السامانى قبل تأسيس الأسرة السامانية اذ استولى على مدينة (اسبيجاب) منهم واستحوذ الأمير اسماعيل العادل على مدينة (طراز) والأمير نصر على بلاد أخرى ناحية فرغانة • وكان غير أولئك الترك الذين سكن أغلبهم الحدود الشرقية والشمالية الشرقية للولايات السامانية طائفة أخرى أيضا منهم سكنوا شمال بحيرة خوارزم (بحيرة آرال الحالية) وعلى حدود مصب سيحون وجيحون والصحراء الواقعة بين بحيرة آرال والخرز وكانوا يسمون عامة بالأغز ، ولما كان هؤلاء الترك الذين يشتركون فيما يبدو مع التركمان الحاليين فى الأصل والعنصر تسع قبائل سموا أيضا (تغزاغز) أى التسع القبائل الأغزية وكلمة (غز) التى شاعت فيما بعد مخفف لفظة الأغز هذه(١) •

وقد قام السامانيون بتهجير جموع كثيرة من تراكمة الغز عن مساكنهم الأصلية باقتضاء مصالح بلادهم وحدودها وأسكنوهم فى البلاد شمالى ما وراء النهر التى استولوا عليها من قبضة الأتراك الشرقيين منذ فترة قريبة مثل اسبيجاب والمدن التى على مصب نهر سيحون • وكان من بين قبائل الغز هذه قبيلة عرفت باسم رئيسها (سلجوق) فسميت بالسلاجقة وقد آثرت الاستقرار فى منطقة مصب

---

(١) الغز والاوغوز مخفف التغزغز كما ذكر المؤلف او الطوقوز او غوز اى قبائل الغز التسع • وقد كون التركمان دولا قبل الميلاد واشتهر منها بعد الاسلام الأغوز والأويغور والقرغيز والتنقوت وغيرها (راجع مادة ترك فى المجلد الخامس لدائرة المعارف الاسلامية) •

نهر سيحون أى فى جنوب بحيرة خوارزم .

وسرعان ما دخل سلجوق فى الاسلام وأدخل فى طاعته مدينة جند من بلاد شاطىء سيحون وكان أهلها مسلمين ، فلما مات أقام أبناؤه بهذه المدينة ، لكن مسلمى جند وقد تضرروا من مهاجمة السلاجقة لهم أجلوا بعد موت سلجوق أبناءه وقبيلته عن مدينتهم الى جنوبها فأسكنهم السامانيون فى قرية (نور) من قرى شمال شرقى بخارى(1) . وقد زاد السلاجقة من يومئذ فصاعدا من شوكتهم وعدتهم يوما بعد يوم ، ولما كانوا مسلمين فلم يتعرض لهم أحد وظلت قرية نور ببخارى مسكنا لهم الى أن ثاروا على الغزنويين ووفقوا فى تكوين دولة كبرى لهم .

وكما سبقت الاشارة فى شرح حروب السلطان محمود الملوك الخانيين فان هذه الأسرة قد دخلت منذ أن هزمهم محمود فى (كتر) فى (٣٩٨هـ) تحت حماية الغزنويين ، وبقى طغان خان الذى تأمر على الخانيين بعد ايلكخان نصر حتى آخر حياته مطيعا ومحالفا للسلطان محمود . وبعد موت طغان خان فى (٤٠٨هـ) خلفه أخوه أبو منصور محمد أرسلان خان ، الا أن (على تكين) وهو أمير آخر من أمراء هذه الأسرة ادعى الامارة وظل فى حرب مع أرسلان خان حتى موت الأخير(2)

---

(١) قال أمير الشعراء المعزى النيشابورى فى ذلك فى مطلع احدى قصائده :

كوهر سلجوق كزنوربخارا دررسيد
هم بشرق هم بغرب نورازآن كوهر رسيد (سياقى)

ومعناه : ان جوهر سلجوق الذى اتى من نوربخارى قد عم نوره الشرق والغرب جميعا . أما المعزى هو أبو عبد الله محمد بن عبد الملك من كبار شعراء العهد السلجوقى وقد أخذ تخلصه (المعزى) بسبب انتسابه الى بلاط معز الدين والدنيا ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقى وسوف يأتى تاريخ السلاجقة بعد . ويشمل شعره القصائد والغزليات التى تتسم بالبساطة وتخلو من التصنع وتتضمن اشارات تاريخية لكثير من أحداث عهد السلاجقة كاشاراته الى حروب وصلح السلطانين ملكشاه سنجر السلجوقيين ، وقد توفى المعزى نتيجة سهم أصابه خطأ من ملكشاه فى حدود (٥٢٠هـ)

(٢) يذكر البيهقى فى تاريخه (توفى ٤٧٠هـ) ان طغان خان أخو على تكين وليس أخا لأرسلان خان وأن ارسلان وبغراخان ابنا يوسف قدرخان ، وعلى تكين عدو لهذين ، وهكذا يختلف مع المؤلف (سياقى) .

وقبل أن يموت أرسلان بقليل أى قبل (٤١٥هـ) تغلب على تكين تغلبا كليا ، وقد حالف فى ثورته هذه التركمان والسلاجقة وأدخل بخارى وسمرقند تحت استيلائهم .

وقصد السلطان محمود ما وراء النهر فى (٤١٦هـ) للقضاء على فتنة على تكين وارجاع امارة الخانيين لأبناء قدرخان واستولى على بخارى وسمرقند من على ذلك وألقى القبض بالحيلة على اسرائيل بن سلجوق السابق ذكره رئيس السلاجقة وأودعه حبس احدى قلاع الهند . ثم سمح مخالفا رأى أرسلان جاذب والى طوس لأربع آلاف أسرة من التراكمة السلاجقة بعبور نهر جيحون وسكنى الصحراء الواقعة ما بين سرخس وابيورد فى خراسان . وبعد عامين أقدم هؤلاء الترك كما تنبأ أرسلان جاذب على ايذاء شعب اقليم خراسان فعجز جاذب عن دفعهم وفى النهاية هاجمهم محمود فى (٤١٩هـ) وبعد أن أصاب منهم مقتلة عظمى هزم بقيتهم تجاه جنوب خوارزم .

وبعد موت السلطان محمود توسل مسعود لكى يأخذ التاج والعرش من أخيه محمد بعلى تكين ولكن قبل أن يجيب على طلب مسعود كفى أمر محمد ، ولم يلق على تكين الى السلطان الجديد بعد جلوسه كبير بال .

وفى (٤٢٣هـ) هاجم آلتون تاش حاكم خوارزم عليا تكين بأمر من السلطان مسعود وكان على حليفا للسلاجقة لكنه لم يحقق نجاحا بل ناله جرح فى حربه هذه مات متأثرا به بعد يوم فى مكان هذه الحرب . وعقد وزيره المشهور أبو نصر أحمد بن على بن عبد الصمد صلحا مع على تكين وغدا واسطة السلام بينه وبين السلطان محمود .

وحينما مات آلتون تاش أناب حكم خوارزم لعامل له وولى هارون ولد آلتون تاش عملا دون شأنه وكان ينتظر منصب أبيه ، فدعاه هذا الى محالفة الترك السلاجقة ، ثـ مأعلن فى شوال (٤٢٣هـ)

قيامه على مسعود لكنه لم يحرز نجاحا وأخمد مسعود فتنته بيسر وأدب السلاجقة أيضا • وظل السلاجقة الأتراك مقيمين فيما وراء النهر حتى (٤٢٥هـ) وكان على تكين على قيد الحياة يعاملهم بلطف ورأفة • فلما مات هاجم ابناه وقائد جيشه السلاجقة وطردوهم مما وراء النهر • ومن ناحية أخرى قتل حاميهم الآخر هارون بن آلتون تاش حاكم خوارزم فى نفس الأوان بيد غلمانه وصار المقام حوالى خوارزم غير ممكن لهذه الجماعة ، فارتحلوا الى السفوح الجنوبية لجبال شمال خراسان أى فى جنوب صحراء التركستان الحالية وحوالى مدينة نسا ، وأرسلوا منهـا رسالة بتوسط صاحب ديوان خراسان أبى الفضل السورى بن المعـتز الى وزير السلطان أحمد بن عبد الصمد الوزير السابق لآلتـون تاش والذى وصل منصب وزارة مسعود فى (٤٢٤) بعد موت أحمد بن حسن الميمندى ، فشفع لهم لدى مسعود وكانت تربطه بهم أيام وزارته لآلتون تاش علاقة مودة وطلب اليه أن يسمح لهم بالاقامة بخراسان • وكانت هذه الرسالة من أبناء ميكائيل بن سلجوق الثلاثة محمد طغرل وداود جغرى وبيغو وقد بلغت مسعودا حينما كان مشغولا بقتال أتبـاع أبى كاليجار كوهـى فى طبرسـتان •

وبعد أن وصل مسعود الى نيشابور أجمع بعد تردد طويـل أن يبعث جيشا لدفع الترك عن خراسان ومع أن رأى الوزير والأخيار غيره كان يدعو الى استمالة السلاجقة الذين أظهروا عجزهم وطاعتهم لـه الا أن مسعودا رفض ذلك وأرسل بجيش خليـط من الجنـود الـترك والهنود والعرب والأكراد بقيادة الحاجب بكتغدى(١) لقتال الترك ، غير أن هذا الجيش لقى الهزيمة على مقربة من مدينة نسا فى شعبان (٤٢٦هـ) من داود السلجوقى وعاد بكتغدى منهزما الى مسـعود بخراسـان ، وكانت هذه الهزيمة أول وهن كبير أصاب شوكة السلطان مسعود ودولته

---

(١) بكتغدى كلمة تركية تشير الى الأصل الملكى (ح ١ ص ١٣٢ من تاريخ بخارى لفامبرى) •

وجعلت السلاجقة ، خلافا لذلك ، أكثر جرأة وشجاعة .

وبعد هذه الواقعة أرسل السلاجقة رسولا الى السلطان خوفا من نقمته جعلوا شفيعهم لهم عنده أحمد بن عبد الصمد مرة أخرى واعتذروا عما حدث منهم ، فترك مسعود الذى كان فى خوف من قوة رؤساء هذه الطائفة الولايات الثلاث نسا وابيورد وفراوه (على بعد أربعة منـازل من نسا) لطغرل وداود وبيغو على الترتيب ولقب كلا بدهقان وتـرك حكم هذه البلاد للاخوان الثلاثة فاستراح مؤقتا من فتنة الترك .

وفى شعبان (٤٢٩هـ) بعد أن عاد السلطان مسعود من الهند أمر كبير حجابه (سباشى) الذى ولى خراسان من فترة قبل ذلك أن يعارك طغرل وداودا ويؤدب السلاجقة . وكان سباشى رجلا مماطلا ويبدو أنه كان حليفا للسلاجقة لأنه عند مواجهتهم فيما بين مرو وسرخس وقبل أن تحسم المعركة جمع أمواله وهرب متسترا بأستار الليل وتبعه أكثر جنده فى الصباح ، فاستحوذ طغرل بيسر على الجزء الأعظم لخراسان وألحق به نيشابور اذ أخذوها من أبى سهل الحمدوى الذى كان طرد اليها من الرى وجلس طغرل على عرش مسعود بها فى شوال (٤٢٩هـ) وأعلـن نفسه سلطانا . والذى سعى أبلغ من غيره لانتصار التراكمة السلجوقيين كان أحد رؤساء نيشابور لقب بقائد بوزكان(٢) واسمه أبو القاسم على ابن عبد الله الجوينى وقد سخط على صاحب ديوان خراسان أبى الفضل السورى بن المعتز وظلمه وظلم سائر عمال الغزنويين فتواضع سرا مع السلاجقة . وبعد دخول طغرل نيشابور استخلص أبا القاسم الجوينى لخدمته ثم رفعه بعد ذلك أى فى (٤٣٦هـ) الى وزارته .

وبعد هذه الواقعة الهامة لم يحرك السلطان مسعود حتى أوائـل (٤٣٠هـ) ساكنا ، فلم يتحرك الا فى هذا العام من غزنة الى بلخ . ولمـا

---

(٢) بوزكان هى بزجان موطن العالم الرياضى الكبيـر أبى الوفـاء البوزجانى وكانت من البلاد الواقعة بين نيشابور وهراة وتبعد عن نيشابور مسيـرة أربعـة أيـام (سـيافى) .

سمع الترك النازلون حوالى بلخ بنهوض السلطان ارتحـلوا من أمـام جيشـه وسـلكوا طريقهم الى الصحـراء •

وقد أوعزت هزيمة شباسى عامة أعداء السلطان مسعود على التمرد ومن بين هؤلاء بورى تكين ولد ايلك نصر خان الذى عصى فيمـا وراء النهر ، وتحالفت خوارزم أيضا وهى التى دخلت من (٤٢٦هـ) أى بعد قتل هارون بن آلتون تاش تحت طاعة أخيه أبى العباس خنـدان وخرجت عن دائرة نفوذ مسعود وتحالفت مع السلاجقة وكان الخوف من أن تخرج ما وراء النهر وخوارزم جميعا عن امتلاك الغزنويـين بعـد خراسان الغربية والرى والجبل (التى كان استولى عليها علاء الدولـة كاكويـه) •

وأجبر مسعود على أن يعبر جيحون بعد أن عمر الجسر الذى كان مقاما على كثب من ترمذ بين خراسان وما وراء النهر وذهب متعقبا بورى تكين وأبقى أحمد بن عبد الصمد فى الجوزجانان وما حول بلخ • وحينما وصل مسعود الى المناطق حول الصاغانيان عاد السلاجقة بايعـاز من أبى العباس خندان من الصحراء وتقدموا عـن طريـق سرخـس الى الجوزجانان وبلخ فكاتب أحمد بن عبد الصمد السلطان بهذه الحادثـة وأفهمه أنه يحتمل أن يقصد السلاجقة تحطيم جسر ترمذ واذا تم لهم ذلك فسوف يستشكل رجوع السلطان • فكر مسعود راجعا على جناح السرعة فوصل ترمذ فى أسبوعين وطلب يبغو أخو طغرل وداود اللذان استقرا بنيشابور عفو السلطان ، فقبل عذرهم مرة أخرى ، ثم أتى من هراة الى طوس بعد عقد معاهدة معه أن يدفع أخويه • الا أن الترك مع قبول طاعة السلطان أقدموا على نهب متعلقاته وجيشه بهراة وطوس ومع أن مسعودا كان ينبههم فى كل مرة فيعتذرون الا أنهم لم يرفعوا أيديهم عن الاغارة والحرب واذا انهزموا فى ناحية فكانوا يهاجمون فى نـواح أخـرى •

وأخذ قادة التركمان السلاجقة أخيرا على عاتقهم وهـم طغـرل وبيغو وداود وأخ لهم من أمهم هو ابراهيم ينال بعد المشورة فى أمـر حرب مسعود أو الانسحاب الى جرجان والرى أن ينتزعـوا القسـم الشرقى لخراسان أى بلخ وترمذ وفارياب وهراة أيضا بالحرب من يد السلطان وتجمعوا من أجل هذا الهدف على حدود مرو • وعزم السلطان مسعود فى رمضان (٤٣٠هـ) برفقته جميع قواده الى مرو وحينما بلـغ قلعة دندانقان بالقرب من مرو واجهه السلاجقة من ناحيـة وواجـه الجفاف جنده من ناحية ، فلم يستطيعوا وعددهم مائة ألف أن يقـاوموا ستة عشر ألفا فلقوا هزيمة عظيمة • وهرب مسعود الى هـراة وأعمـل السلاجقة فى أحمال المؤن الضخمة التى تحملها جند مسعود والتى أضحت أحد أسباب هزيمتهم الرئيسة اغارة وغنما وكانت واقعة دندانقان بمنزلة حكم النهاية لسلطنة الغزنويين فى ما وراء النهر وايران لأن طغرل عـاد الى نيشابور لساعته وذهب بيغو الى هراة وداود الى بلخ وأمر ابراهيم ابن ينال بالسيطرة على العراق العجمى ، وأدخلوا كما سيلى فى تاريخهم جميع ايران وما وراء النهر تحت امرة دولتهم بأسرع ما يكون وقضـوا على أكثر الأسر المحلية ، فضلا عن الغزنويين ، التى كانـت باقيـة فى تلك البـلاد •

وفاة السـلطان مسـعود فى ٤٣٢ هـ : ــ

وأتى مسعود غزنة بعد فراره من مرو وأمسك بجماعة من الأمراء من بينهم سباشى وبكتغدى وبعث بهم ليحبسوا بالهند • ثم أرسل ابنه مودودا ومعه أحمد بن عبد الصمد فى ربيع الأول (٤٣٢هـ) بجيـش جرار الى خراسان ليجلى عنها السلاجقة وقصد هو الهند ليشتى بهـا واصطحب جلال الدولة محمدا أخاه الأعمى • وفى أثناء الطريق أغـار بعض غلمانه على الخزائن السلطانية وانقسم الجيش جماعتين على نفسه وانغلب أتباع مسعود • فأسر الغالبون مسعودا ورفعوا أخاه الأعمى

محمدا الى الامارة بالتهديد وحبس مسعود فى ربيع الآخــر (٤٣٢هـ) بأمر أخيه ثم قتل فى السجن بعد ذاك بقليل •

كان مسعود مثل أبيه شجاعا رشيدا مقاتلا محبا للشــعراء وزاد بلاد أبيه وسعة بسبب فتح الرى وبلاد الجبل وكرمان والسند وجرجان وطبرستان ، لكن اللهو والشرب والاستبداد غلب على طبعه ، وكانت الهزائم الكبرى التى جرت له بسبب لهوه المفرط واستبداده بالرأى ، فلم يطع المخلصين لدولته حينما منعوه من تنفيذ أفكاره فى حروبه فى جرجان ومعاملته مع السلاجقة ولم يدع الشراب واللهو حتى فى أثناء ثــورات خراسان وهجمات السلاجقة وبذلك كان غافلا عن ادراك مشكلات الأمور الخارجيــة •

٤ ــ السلطان مودود بن مسعود

(٤٣٢ ــ ٤٤١هـ)

وقتما قتل مسعود بجانب شاطىء السند ونصب محمد أخوه أميرا بعون أعداء مسعود كان مودود فى خراسان فقدم منها ومعه أحمد بن عبد الصمد الى غزنة وجلس على عرش السلطنة مكان أبيه ثم أخــذ فى التأهب لقتال عمه محمد ، وتمكن من القبض على عمــه وقتــله ، وكانت مدة امارته الثانية أى يوم أن قتل أربعة أشهر (من بيع الآخــر حــتى شعبان من ٤٣٢هـ) • وقد عامل قاتلى أبيه بشدة وصفت له غزنة لكنه ووجه الخطوة الأولى بثورة أخيه (مجدود) الذى كان يحكم فى الهنــد نائبا عن والده • فأرسل مودود جيشا ليقمع أخاه ، لكن مجدودا قبــل أن يلتقى الطرفان وافاه أجله ليلا وانتهى شره بهذا ، ودخــلت أمــلاك الغزنويين فى الهنــد فى طــاعة مــودود •

وفى (٤٣٥هـ) سير مودود جيشا ليسترد خراسان فهــزم ألــب أرسلان ولد طغرل السلجوقى وعاد بهزيمته الى غزنة ، فصرف مــودود

اهتمامه الى الهند مضطرا لأن ثلاثة من حكام الهند قد بادأوه بالعصيان آنذاك وهاجموا لاهور فركب أكتافهم وهزمهم وعاد الى غزنة بعد ضم عدد من القلاع اليـــه وادخالهـــم فى طاعتـــه .

وفى آخر عمر مودود تحالف بقصد استعادة البلاد التى فقدهـــا أبوه مع نفر من ملوك الأطراف مثل أبى كاليجار الديلمى وخاقان الترك ضد السلاجقة وقرر أن يهاجم الحلفاء السلاجقة من أطراف ثلاثة . أما جند أبى كاليجار فقد وقعوا فريسة أذى كثير فى صحراء لوط ومـــرض أبو كاليجار نفسه فعاد الى أصفهان . ومودود ما أن تحرك من غزنة حتى أصيب بالقولنج فعاد الى عاصمته ، ومات بعد قليل أى فى العشرين من رجب (٤٤١هـ) .

وقام الترك وحسب بالاغارة والهجوم بعضا من الوقت على حدود خراسان وخوارزم ثم عادوا الى أوطانهم بعد أن أصابهم الســـلاجقة بالهزيمـــة .

٥ و ٦ — على بن مسعود ومسعود بن مودود

(شهران من رجب حتى رمضان من ٤٤١هـ)

بعد موت مودود نادى الأمراء بابنه الصغير مسعود الثانى أميرا ، وبعد خمسة أيام أشرك عمه أبو الحسن على بن مسعود الأول الملقـــب ببهاء الدولة معه فى الامارة ، ومرت أمور السلطنة الغزنوية على هـــذا النحو نحو الشهرين حتى قدم عبد الرشيد الابن الثالث ليمين الدولـــة محمود — وكان قد حبسه مودود ابن أخيه وخلص من حبســـه بعـــد موته — من بست الى غزنة مهاجما فتصرف فى العرش والتاج .

٧ ــ عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين

(٤٤١ ــ ٤٤٤هـ)

كان عبد الرشيد رجلا فاضلا عاقلا وحسب ولم يكن له الشجاعة والجرأة اللتان لا محيص للحكم منهما فكان يحكم تحت نفوذ أحد حجاب ابن أخيه مودود واسمه طغرل ، فلما تجاوز استبداد طغرل الحد أرسل به عبد الرشيد الى سيستان ليقاتل السلاجقة بقصد ابعاده فتقاتل طغرل مع والى بيغو على سيستان وألب أرسلان فى خراسان فغلبهما فأصابه الغرور وعاد الى غزنة وعصى ملكه عبد الرشيد فأمسك به وقتله وتسعة نفر آخرين من الأمراء الغزنويين وجلس على العرش أميرا • ولم تتجاوز امارة طغرل هذا الذى لقب بطغرل كافر النعمة الأربعين يوما ، اذ قتله بدوره أحد الغلمان الغزنويين ، فأتى الأمراء بفرخزاد ولد مسعود الأول وكان حبيس احدى القلاع ورفعوه للامارة •

٨ ــ فرخزاد بن مسعود بن محمود

(٤٤٤ ــ ٤٥١هـ)

حكم فرخزاد مدة سبع سنين وأهم واقعات حكمه هجومه على خراسان وهزيمته لأحد قادة ألب أرسلان وأسره له • فقدم جغرى بيك داود أبو ألب أرسلان وهزم فرخ زاد وأجبره على أن يطلق سراح قائده وتصالح فرخ زاد معه •

٩ ــ ظهير الدولة ابراهيم أخو فرخ زاد

(٤٥١ ــ ٤٩٢هـ)

بعد أن جلس السلطان ابراهيم خلفا لأخيه دخل فى صلح ، فى أول خطوة له ، مع جغرى بك السلجوقى وأجمع أمرا أن ينهى النزاع

الذى بقى من عهد مودود حتى يومه ما بين أصحاب جغرى بك وابنه ألب أرسلان والغزنويين للاستيلاء على خراسان لأنه حتى وقتذاك لم يقدر السلاجقة على القضاء على الغزنويين فى غزنة ولم يستطع الغزنويون أيضا استرداد خراسان •

وتعاهد ابراهيم وجغرى وقررا أن يكون كل منهما مالكا لما تحت يده من متصرفات وألا يتعرض أحدهما للآخر ولا يهرق دم الناس بلا ذنب بسبب هذا الصراع • وقد ظل الطرفان فترات يراعيان هذه المعاهدة حتى أنه نتيجة هذا الصفاء والاخلاص زوج ألب أرسلان أحد أولاده من ابنة السلطان ابراهيم ، وزوج ابن لألب أرسلان آخر وهو ملكشاه ابنته بعد ذلك لمسعود ولد السلطان ابراهيم •

كان السلطان ابراهيم ملكا عادلا عاقلا فاضلا دينا حكم اثنتين وأربعين سنة بهدوء وراحة وقصد الهند فى هذه الفترة مرارا للجهاد ، من بينها نجاحه فى (٤٧٢هـ) بافتتاحه بضع قلاع واصابته قدرا من الغنم والأسر منهم • وقد بلغت درجة تدينه أنه كان يصوم تطوعا ثلاثة شهور فى كل سنة ويكتب القرآن الكريم بيده كل عام ويرسل بنسخه الى الكعبة • وكانت حكومة الهند فى عهد ابراهيم لأحد أولاده واسمه سيف الدولة محمود من (٤٦٩) حتى (٤٨٠هـ) ومحمود هذا الذى اشتغل غالبا بالجهاد فى الهند هو مخدوم وممدوح خاص للشاعر الكبير مسعود ابن سعد بن سليمان الذى كان نفسه من الأمراء والمحاربين وكان يجالد بسيفه فى ركاب سيف الدولة محمود (١) •

---

(١) مسعود بن سعد المتوفى (٥١٥هـ) من كبار شعراء القصائد فى القرن الخامس ومعاصر العصرين الغزنوى والسلجوقى ، أصله من همدان وولادته بلاهور ، صاحب مسعودا بن ابراهيم الغزنوى فى حروبه بالهند ، فلما ساء ظن ابراهيم بمسعود ألقى به الحبس وبحاشيته ومنهم الشاعر الذى مكث عشر سنوات حبيسا نظم فيها أفضل قصائده التى سميت بالحبسيات . وقد أطلق سراحه ليعود ليسجن ثانية نحو ثمانية أعوام حتى خرج عام (٥٠٠هـ) كان يعرف العربية والهندية وله أشعار بالعربية أيضا .

١٠ ــ علاء الدولة مسعود بن ابراهيم

(٤٩٢ ــ ٥٠٩هـ)

ولما رقى علاء الدولة مسعود العرش فى (٤٩٢هـ) سير ولده الأمير عضد الدولة شيرزاد لحكم الهند ففتح عضد الدولة ، وهو من ممدوحى مسعود بن سعد بن سليمان أيضا ، فى الهند فتوحات كثيرة وكانت وسعة هجماته حتى الحدود التى بلغها الغزنويون وحسب فى عهـد السـلطان محمود ، فضلا عن أن قسما من البنجاب دخل فى ملكية مسعود الثالث أيضا • وزوجة مسعود كما أشرنا هى ابنة السلطان ملكشاه السلجوقى وأخـت السـلطان سـنجر •

١١ ــ أرسلان شاه بن مسعود الثالث

(٥٠٩ ــ ٥١١هـ)

وبعد موت علاء الدولة مسعود خلفه ولده أرسلان شاه لكن أخاه شيرزاد ادعى حكمه فقتله أرسلان شاه وحبس اخوته الآخرين ما عدا بهرام شاه الذى فر الى خاله سنجر بخراسان وعامل والدة بهرام شاه وكان زوجـة أبيـه باسـتخفاف •

وظل أرسلان شاه يحكم فى غزنة حتى شوال من (٥١١هـ) • وفى هذا الوقت سير سنجر ، فى مرو ، أميرا من أمرائه هو الأمير (أنر) مع بهرام شاه الى سيستان ، ولحق بهما هناك الأمير أبو الفضل نصر بن خلف ملك نيمروز ، وعزم سنجر على اتيان غزنة برغم ممانعة السلطان محمد لفكرته هذه • وقبل غزنة بفرسخ واحد أصاب أرسلان شـاه فى شوال (٥١١هـ) بهزيمة شديدة وأبلى الأمير أبو الفضل السيستانى فى هذه الحرب بلاء حسنا • وورد سنجر غزنة تام الانتصار وأجلس بهرام شاه على عرشها • وقبل بناء على الميثاق الذى واثقه به سنجر خاله أن يخطب للخليفة العباسى وللسـلطان محمد وسنجر ثم لـه وأن يرسـل مائتين وخمسين ألف دينار سنويا الى ديوان سنجر ثم كتب سنجر خبر

هذا الفتح المبين الذى لم يسبق للسلاجقة فى تاريخهم (لأن أحدا من السلاطين السلاجقة لم يستحوذ على غزنة من قبل) الى أخيه السلطان محمد • وكان السلطان محمد كما سنرى فى أحوال السلاجقة فى هـذه الآونة فى مرض الموت ، وخلفه أخوه سـنجر على حكـم كـل البـلاد السلجوقية (فى ذى الحجة من ٥١١هـ) •

١٢ ــ يمين الدولة بهرام شاه بن مسعود
(٥١١ ــ ٥٤٨هـ)

وبعد أن عاد سنجر الى خراسان واستقر بهرام شـاه على كرسى الغزنويين عاد أرسلان شاه وكان قد فر الى الهند واسـتعاد غزنـة من أخيه • فقصد بهرام شاه خراسان ليستمد سنجر ثم طرد أخاه مـرة أخرى من غزنة بعد مقام شهر واحد بها لكن هذه المرة وقع أرسلان شاه أسيرا فقتله أخوه وأصبح بهرام شاه ملك غزنة والهند تحـت حمـاية السلطان سنجر ، لكن الغزنويين كما مرت الاشارة لم يكن استقلالهم كاملا وكانوا يؤدون الجزية للسلاجقة •

وقد أمضى بهرام شاه القسم الأكبر من أيامه من الشـطر الأول لحكمه ، الذى طال الى حد ما ، فى ادارة أمور الهند والغزو الجهاد بها بسبب الصفاء بينه وبين سنجر وأمنه من جانب خراسان وكان يخـرج دائما من الهنـد فاتحـا غالبـا •

لكنه فى (٥٢٩هـ) استنكف أن يرسل المال للسلطان سنجر متذرعا بضخامته فأتاه السلطان مقاتلا فلم يجد بهرام شاه محيصا من اظهار العجز وطلب العفو فاستدعاه السلطان ليقابله لكن بهرام شاه ركن الى الفرار من أمامه اشفاقا فدخل السلطان غزنة واغتنم كل أموال بهرام شاه ثم أمنه ودعاه الى غزنة وعاد الى خراسان فى (٥٣٠هـ) •

وكان البلاء العظيم الذى ابتلى به بهرام شاه فى الشـطر الثانى لحكمه والذى قضى على شأفة الدولة الغزنوية فى ايران وفى الهند كلتيهما

هو تعاظم قوة أسرة الأمراء الغوريين التى سوف نؤرخ لهم فى الفصل التالى .

فقد سم بهرام شاه على النحو الذى سنشير اليه فى أحوال الغوريين قطب الدين محمد الغورى الذى استوحش من أخوته قبل ذا فلاذ بغزين وذلك بسعاية جماعة من الأشرار ، فصارت هذه الحادثة سبب ظهور العداء بين الغوريين وبهرام شاه . فقدم سيف الدين السورى بجيوشه الى غزنة وهزم بهرام شاه بالهند وجلس هو على عرش غزنة . ولما علم بهرام شاه فى شتاء هذا العام أى (٥٤٤هـ) أن الجنود السوريين قد آبوا الى بلاد الغور وأن وصول الأمداد الى سيف الدين السورى المعتلى عرش غزنة فى هذا الفصل أمر مستحيل أتى غزنة على حين غرة فقبض على سيف الدين وقتله .

وصمم علاء الدين حسين الذى كان حانقا لقتل أخيه الأول ثم اشتعل غضبا لسماعه قتل أخيه الثانى ، مقسما بأغلظ الأيمان أن يقلب غزنة رأسا على عقب ويمحو آثار أسرة بهرام شاه فهاجم بهرام بجيش لجب وبعد ثلاث حروب انتصر فيها أجبره على الفرار الى الهند ثم أعمل السيف ليل ونهار سبعة أيام فى الناس وحرق غزنة وأخرج أجساد السلاطين الغزنويين خلا جسد محمود ومسعود وابراهيم وأشعل فيها النار وحطم كثيرا من الأبنية والعمائر والكتب .

وبعد عودة علاء الدين الغورى وهزيمته وأسره بيد السلطان سنجر عاد بهرام شاه فى (٥٤٧هـ) الى غزنة ومات فيها فى السنة التالية .

بهرام شاه أحد أفضل وأشهر السلاطين الغزنويين لأنه كان ينافس فى تربية الشعراء وأهل الفضل السلطان سنجر معاصره وكانت غزنة ولاهور تضارعان (مرو شاهجهان) فى عهده فى هذا الباب . ويجب ذكر أسماء (مسعود بن سعد بن سلمان) و (السنائى الغزنوى)(١)

(١) السنائى هو الحكيم ابو المجد مجدود بن آدم مدح مسعودا بن ابراهيم وبهرامشاه أول الأمر ثم آثر العزلة والزهد بعد لقائه الصوفية بخراسان ثم السفر الى مكة وغيرها الى ان عاد الى غزنة نحو علم (٨٤١٨هـ)

و (عبد الواسـع الجبلى)(٢) و (سـيد حسن أشرف الغـزنوى)(٣) و (عثمان المختارى الغزنوى)(٤) من الشعراء العظـام الذين مدحـوا بهرام شاه • ومن أشهر الكتب المتعددة التى ألفـت باسـم هذا الملـك بالنظم والنثر (حديقة الحقيقة)(٥) المنظومة المعروفة للحكيم السنائى والتى نظمها هذا الشاعر الأستاذ فى (٥٢٥هـ) قبل وفاته بقليل ، ثـم (كليلة ودمنة بهرامشاهى) من انشاء قلم المنشىء الكبير (أبى المعـالى نصر الله بن عبد الحميد الشيرازى)(٦) والتى تعد احدى سامقات النثر

فظل بها حتى موته . من آثاره ديوانه الشامل قصائد وغزليات ومقطعات وحديقة الحقيقة وسير العباد الى المعاد وطريق التحقيق وكارنامه بلـخ ومثنويان هما عشاق نامه وعقل نامه ، ويمكن اعتبار سنائى اول شـاعر للغزل الصوفى الايرانى مزج المعانى الصوفية بمضامين العشـق .

(٢) الجبلى المتوفى (٥٥٥هـ) هو بديع الزمان عبد الواسـع بـن عبد الجامع الغرجى مادح سلاطين غزنة والسلطان سـنجر السـلجوقى وملوك الغور والخوارزميين ، كان ماهـرا فى عـلوم عصره خاصـة الأدب موشحا كلامه بالصناعة اللفظية ، وانشد الشعر بالعربية فسماه العـوفى بـذى البـلاغتـين .

(٣) هو أشرف الدين ابو محمد حسن بن محمد الحسينى الغزنـوى الملقب بالاشرف والمتوفى عام (٥٥٧هـ) من واعظى وفصحاء القرن السـادس مـدح الغزنويين والسلاجقة ، ويشمل ديوانه أربعة آلاف بيت فى القصائد والغزل والترجيعات فى سائر الموضوعات .

(٤) وهو أبو المفاخر خواجه حكيم سراج الدين ابو عمر عثمان بن عمر عاصر مسعود بن سعد والسنائى وأبا الفرج الرونى الشاعر ومـدح الغزنويين ، ويشمل ديوانه ثمانية آلاف بيت وله مثنوى فى قصة شهريار بن برزو بن سهراب بن رستم البطل الأسطورى واسمه (شهريار نامه) الفـه تلبية لرغبـة السـلطان مسـعود بن ابراهيـم .

(٥) حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة من أهم آثار السنائى وتشمل عشرة آلاف بيت الفت باسم بهرام شاه الغزنوى على عـشرة ابـواب فى التوحيد وذكر كلام البارىء ونعت النبى وصفة العقل وفضيلة العلم وذكر النفس وصفة الأفلاك ومدح بهرام شاه والحكمة والامثال وصفة تصنيـف الكتاب . ويتضمن الحكمة والمواعظ والموضوعات الصوفية وبيـان مقـام العلـم والعقـل .

(٦) أبو المعالى نصر الله المتوفى فى النصف الثانى للقرن السـادس كاتب بهرام شاه ووزير خسرو شاه ، ومن آثاره ترجمة كليلة ودمنـة الى الفارسـية من العربية وهى نموذج للانشاء الفصيح الذى احتذاه كتـاب القـرن السـادس ومن جـاء بعدهـم .

الفارسى ، ثم (البصائر اليمينية) فى التفسير من تأليف فخر الدين محمد ابن مسعود النيسابورى الذى كان من أجلة علماء بلاط بهرام شاه ، وفى (٥٣٠هـ) حين قدم سنجر لتأديب بهرام شاه بغزنة تقدم هـذا العـالم سفيرا من جانب ملك غزنة الى السلطان وجعل سنجر يترأف بحال بهـرام شـــاه •

١٣ ــ تاج الدولة خسرو شاه بن بهرام شاه

(٥٤٨ ــ ٥٥٥هـ)

بعد موت بهرام شاه خلفه ابنه خسرو شـــاه لكن الغـــوريين كانوا قد حازوا جانبا عظيما من القوة فى هذا الوقت وصار السـلطان ســنجر شيخا واهنا ، وحل التراكمة الغز فى ممالك سنجر لهذه الأسباب لم يكن خسرو شاه قادرا على الحفاظ على قصبة أجداده فاستولى الغز منه على غزنة فى (٥٥٥ هـ) وانحصر من هذا الوقت فصاعدا الملك الغزنـوى فى الهـند الغربيـة •

١٤ ــ سراج الدولة خسرو ملك بن خسرو شاه

(٥٥٥ ــ ٥٨٢هـ)

بعد فتح غزنة على يد الغز أتى خسرو شاه لاهور وتوفى بها وخلفه ابنه (خسرو ملك) أو (ملكشـــاه) أميرا عليها • فى عهـده اســتصفى الغـــوريون غزنة من الترك ولما قروا بالا من هذه الناحية توجهوا لفتـح بقية البلاد الغزنوية وأخرج شهاب الدين محمد بن سام كما سيلى بعـد بيشاور ولاهور والمولتان أى وديان حدود كابل والسند عن كف خسرو ملك بالتدريج ، وطلب خسرو ملك الصلح فى (٥٨٢) من شهاب الدين لكن قبل أن ينجح فى هذا المسعى قبض عليه أشياع شـهاب الدين وبهـذه الحادثة انتهت دولة آل محمود • وظل خسرو ملك حتى (٥٩٨) محبوســا فى الغـــور ثم قتــل فى هـذا التاريخ •

أسماء الأمراء الغزنويين وأيام امارة كل منهم

أبـــو اســـحاق البتكــين ٣٥١ — ٣٥٢

اســحاق بـــن البتكـــين ٣٥٢ — ٣٥٥

بلكـــــاتكـــين ٣٥٥ — ٣٦٢

بـــيرى ٣٦٢ — ٣٦٦

ناصر الديـــن ســـبكتكين ٣٦٦ — ٣٨٧

اساعيل بن ســـبكتكين ٣٨٧ — ٣٨٨ (سبعة شهور)

١ — يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين (٣٨٧ — ٤٢١ هـ)

٢ — جلال الدولة أبو أحمد محمد بن محمود (٤٣١هـ (سبعة شهور))

٣ — شهاب الدولة أبو سعد مسعود بن محمود (٤٢١ — ٤٣٢هـ)

٤ — شهاب الدولة أبو الفتح مودود بن مسعود (٤٣٢ — ٤٤١هـ)

٥، ٦ — بهاء الدولة أبو الحسن على بن مسعود ومسعود بن مودود

٤٤١ (مجموع شهرين)

٧ — عز الدولة أبو منصور عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين

(٤٤١ — ٤٤٤هـ)

٨ — جمال الدولة أبو الفضل فرخ زاد بن مسعود بن محمود

(٤٤١ — ٤٥١هـ)

٩ — ظهير الدولة أبو المظفر ابراهيم أخو فراخ زاد (٤٥١ — ٤٩٢هـ)

١٠ — علاء الدولة أبو سعيد مسعود بن ابراهيم (٤٩٢ — ٥٠٩هـ)

١١ — سلطان الدولة أبو الفتح أرسلان شاه بن مسعود الثالث

(٥٠٩ — ٥١١هـ)

١٢ — يمين الدولة شاه أبو المظفر بهرام شاه بن مسعود

(٥١١ — ٥٤٨هـ)

١٣ — تاج الدولة أبو شجاع خسرو شـــاه بن بهرام شـــاه

(٥٤٨ — ٥٥٥هـ)

١٤ — سراج الدولة أبو الملوك خسرو ملك بن خسرو شـــاه

(٥٥٥ — ٥٨٣هـ)

الفصل السابع

سلاطين الغور

جبال الغور وجبال الفيروز :—

كانت الغور منطقة جبلية واسعة الى حد ما واقعة بين ولايتى هراة وغزنة وهى عبارة عن وديان المناطق الجبلية التى تسمى الآن (كوه بابا) أى جبل بابا و (سفيد كوه) أى الجبل الأبيض ، وتتصل جبال خراسان عن طريقها بسلسلة جبال هندوكوش • وهذه المنطقة أيضا منبع أنهار الهيرمند والهريرود والمرغاب وهى التى جاور القسم الغربى منها ولاية هراة وكانت تسمى الغرجستان والجبال •

أما السفوح الشمالية للولايات الجبلية الغور والغرجستان التى تعد بداية سهول ماوراء النهر ووادى الفروع الجنوبية للآمودريا فقد كانت تسمى قديما (طخارستان) والطخارستان تقريبا هى المنطقة التى تسمى حاليا بالتركستان الأفغانية •

وكانت أعظم وأشهر مدن منطقة الغور مدينة فيروزكوه التى كانت قصبة ملوك الغور الأصليين ، الا أن الغور كما سنرى قد سيطروا بالتدريج على ولاية طخارستان فى الشمال التى تعد كما سنرى المدينة الرئيسة بها باميان (ما بين بلخ وكابل) ، وعلى غرجستان والجبال وهراة فى الجنوب والغرب ، ثم اختاروا باميان وهراة ومن بعدهما غزنة مجالا لعروشهم •

أصـــل الغوريـــين ونســـبهم : ـــ

أما أصل الغوريين ونسبهم فليس معروفا على وجه الدقة ، والمسلم به حتى الآن أنهم كانوا من الشعوب الجبلية فى منطقة الغور وكانـوا مستقلين بصفة عامة بسبب الوضع الطبيعى لمساكنهم كأكثر العشـائر الجبلية ، ولم يتمكن الملوك الفاتحون والغزاة من السيطرة عليهم بسبب صعوبة الوصـــول الى بـــلادهم ٠

أما الملوك الغوريون فهم يدعون أنهم من أبنـاء الضحـاك بطـل الشاهنامة المعروف وكان أحد أجدادهم الأعلين ، واسمه (شنسب) قد اعتنق الاسلام على يد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ولهـذا يسـمى سـلاطين الغـور حينـا آل شنسـب ٠

وفى الوقت الذى عمل فيه يعقوب بن الليث الصفارى على السيطرة على بلاد الرخج وكابل لاذ رؤساء الغوريين أمام تقدم جيوشه بمناطقهم الجبلية وعجز يعقوب عن السيطرة على هذه المناطق الصعبة ٠

ومن رؤساء الغوريين وأول ملك له اسـم وأثر معتبران فى التاريخ محمـد بن الســورى :

الذى كان معاصرا للسلطان يمين الدولة محمود الغزنوى وأبيـه سبكتكين وكان دائم الهجوم على أملاك هذا الأب وذاك الابن فى منطقة (بست) ، وفى النهاية هاجمه السلطان محمود فى (٤٠١هـ) بجيـش جرار ، وسلم محمد بن السورى بعد فترة من التحصن باحدى القلاع للسلطان ثم مات فى أسره فأناب محمود ابنه فى حكومة الغور ٠

ومع أن الغوريين صاروا من يومئذ للغزنويين الا انهـم كانـوا يتمتعون باستقلالهم السابق فى بلادهم الأصلية وظلت أسرتهم تحـكم بلا انقطاع فى بلاد الغور واستمر الحال على هذا المنوال حـتى أيـام سلطنة بهرام شاه الغزنوى والسلطان سنجر السـلجوقى ٠ ففى هذه الفترة قبل الأمراء الغوريون اطاعة أمر سنجر السلجوقى ٠ ففى هـذه هذا السلطان المتزايدة وتبعية بهرام شاه له وكان لهم ببهرام شاه المطيع

لسنجر علاقات حسنة وكان أحدهم صهرا له •

ومن الغوريين الملك عز الدين حسين الذى عاصر سنجر وبهرام شاه وقد ولد سبعة أبناء بلغ أربعة منهم الحكم فلقب بأبى السلاطين •

أما الابن الأكبر للملك عز الدين حسين وهو الملك فخر الدين مسعود الذى ولى امارة طخارستان فى (٥٥٠هـ) أى قبل وفاة السلطان سنجر وبذا صار مؤسس شعبة الغوريين فى باميان ، فلما كانت والدته جارية تركية لم يستطع أن يخلف أباه سلطانا فى بلاده الأصلية ، فانتهت لهذا سلطنة الغوريين الى أحد أخويه وهو سيف الدين السورى الذى قام بتوزيع بلاد أبيه بعد رقيه عرشه بين اخوته وأناب لكل منهم حكم بلد منها • ويعد الملك سيف الدين السورى المؤسس الحقيقى لأسرة الملوك الغوريين •

١ — سيف الدين السورى

(٥٤٣ — ٥٤٤هـ)

كان أحد أبناء سيف الدين السورى على النحو الذى مر شرحه فى سلطنة بهرام شاه هو قطب الدين محمد الملقب بملك الجبال وكان مقيما فى فيروزكوه التى بناها بنفسه فخاف ورهب اخوته الآخرين ومن ثم لاذ ببهرام شاه حميه بغزنة • وتلقاه السلطان الغزنوى باكرام فى البداية ، لكن أساء الظن به بعد ذلك بسبب حب أهل غزنة له لحسن خلقه وخلقه وفتوته فدس له السم خفية • ولما وصل أنباء ذلك ، وقد حدث فى (٥٤٣هـ) ، الملك سيف الدين السورى جرد جيوشه للانتقام لدم أخيه وغلب بهرام شاه واستولى على غزنة فى جمادى الأولى من (٥٤٣هـ) ، ويعد عام ثورة سيف الدين السورى على بهرام شاه والاستيلاء على غزنة بيد الجيش الغورى هو بداية سلطنة الملوك الغوريين •

أما بهرام شاه فقد عاد بغتة من الهند الى غزنة فى فصل الشـــتاء فى المحرم من (٥٤٤هـ) على النحو الذى مر فى تاريخه وهاجم ســـيف الدين السورى بغزنة حيثما كان مقيما بمفرده وبغير جيش ، فكان أن استأسر سيف الدين ووزيره وأركب كلا منهما ناقة وطاف بهما فى شوارع غزنة باهانة بليغة بينما كان الناس يقذفونهم بالتراب والفضلات ، ثـم قتلهما ، فأوقد نار الحقد عليه التى كانت مشتعلة قبل بقتل قطب الدين محمـــد .

٢ ــ عـــلاء الدين حســين جهانســوز
(٥٤٤ ــ ٥٥٦هـ)

انتهت امارة فيروزكوه بعد قتل ملك الجبال قطب الدين محمد الى أخيه الآخر بهاء الدين سام واتصل بهاء بالملوك المحليين بغرجستان وكان اسم كل منهم العام (شاز) ، فلما قتل سيف الدين السورى فى (٥٤٤هـ) استقر على رئاسة اخوته وامارة الغور بسبب أنه أكبر أبناء الملك عــز الدين حسين (بعد الملك فخر الدين مسعود الذى كانت والدته جاريــة فلم يملكوه بلادهم الأصلية وقد ســبق ذلك) .

وتأهب بهاء الدين سام بجيش ضخم يطلب به دم أخويه المقتولين وقصد غزنة . لكن قبل بلوغها مرض فى الطريق بسبب حزنه الشــديد على أخويه القتيلين ثم مات بعد هذا بقليل بمرض الجدرى وانتهــت سلطنة الغور الى أخيه الآخر علاءَ الدين حسين بن حسين .

وقد حقق علاء الدين مقصد بهاء الدين سام أخيه من غزو غزنين ، فسير جيشا ضخما من شعب الغور وغرجستان الى غزنة ، وقدم بهــرام شاه من الهند لدفعه بأفيال وجيش عظيم وقاتل علاء الدين قتالا شديدا فى سيستان مرة وبين سيستان وغزنة ثانية وعلى كثب من عاصمته ثالثة وانهزم فى المرات الثلاثة ، فلاذ بالفرار فى نفس العــام (٥٤٤هـ) الى

الهند واستحوذ علاء الدين على عاصمة الغزنويين بقهر تام وجعل منها كما سبق طعمة للحرائق مدة أسبوع ليل نهار وسوى بآثار الغزنويين وعمائرهم الأرض ، ثم أخرج جسدى أخويه وعاد الى الغـور عن طريق بست ولم يقصر فى تخريب عمائر الغزنويين وأبنيتهم فى بست أيضـا ، ولقب علاء الدين حسين بعد تحريق غزنة بلقب (جهان سوز)(١) ٠

وغدا علاء الدين جهانسوز بعد هذه الفتوحات والخراب الشـديد مغرورا متنمرا ، فحبس ابنى أخيه بهاء الدين سام غياث الدين محمد وشهاب الدين محمد باحدى القلاع ثم أعلن عصيانه لسلطان السلاطين سنجر السلجوقى وامتنع عن ارسال التحف والهدايا التى كان يرسـلها سنويا من بلاد الغور الى بلاطه وهاجم هراة بجيش عظيم واستولى على بلاد واديى نهرى هريرود ومرغاب وحمل على بلخ ٠ وأمدته طوائـف التركمان الغز فسقطت بيده بلخ ٠ فأتى السلطان سنجر فى (٥٤٧هـ) لمدافعته وفى مدينة (أوبة) من بلاد شرق هراة ألحق به الهزيمة عـلى شاطىء هريرود وأمسك به وصفده وكبله ، لكنه أمر فأخلوا سبيله وكان سنجر من الشهامة والرقة والعقل حتى أثر عنه حكايات فى ذلك ، وأتى به اليه فوهبه سنجر طبقا كان أمامه مليئا بالجواهر القيمة ، فارتجـل علاء الدين هذا الرباعى منشدا :

بكرفت ونكشت شه مرا درصف كين هرچند بدم كشتنى ازروى يقـين
بخشـيد مرايكى طبـق در ثمـين بخشايش وبخشش چنان بودوچنين

ومعناهما : أسرنى الشاه ولم يقتلنى مع أنى أستحق القتل يقنيا
بل وهبى طبق در ثمـين وهكذا كان عفوه وجوده فى الأولى والثانية ٠

وقد اختاره السلطان سنجر أولا لمنادمته ثم أعاده الى امارته الغور

وبعد عودة علاء الدين جهانسوز من بلاط سنجر عمل أولا عـلى قمع أعدائه وقلعهم وقد أعلنوا عصيانه فى غيابـه ، فلمـا أمن شرهم

---

(١) أى محـرق الدنيـا ٠

انشغل بالفتح فنجح فى فتح بضع قلاع فى سيستان وبست وهراة وطخارستان ووادى نهر مرغاب • وفى نهاية عمره لبى دعوة الدعاة الاسماعيليين ثم توفى بعد هذا بقليل فى (٥٥٦هـ) •

٣ — سيف الدين محمد بن علاء الدين حسين

(٥٥٦ — ٥٥٨هـ)

وبعد موت علاء الدين جهانسوز خلفه ابنه السلطان سيف الدين محمد على عرش الغور وفيروزكوه ، وفى بداية حكمه قضى على الدعاة الاسماعيليين الذين دعوا أباه لدعوتهم وأمر بقتلهم حيث وجدوا فى بلاده ثم سرح ابنى عمه غياث الدين محمد وشهاب الدين محمد اللذين حبسهما أبوه • لكنه صار فريسة هجوم التراكمة الغز ولما تنقض سنة وبعض سنة عن حكمه ، لأن الغز كما سنتناوله فى شرح حكم السلطان سنجر كانوا استولوا فى أواخر حكمه على خراسان وسيستان وكرمان وأطلقوا أيديهم فى نهب جميع بلاد هذه النواحى ، وهاجموا غرجستان من بين ذلك ، فارتحل سيف الدين لمقاتلتهم ، لكن قائد جيشه بسبب حقده على السلطان قتله أخاه ضرب صدره برمحه فخر السلطان من على جواده فأهلكه الغز •

٤ — غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام

ورفع بعد قتل السلطان سيف الدين محمد الأمراء والكبار من الغوريين ابن عمه غياث الدين أبا الفتح محمدا بن سام على العرش • وواجهت غياث الدين فى بداية حكمه ثورة عمه الأكبر فخر الدين مسعود ابن حسين الذى كان يحكم من (٥٥٠هـ) على طخارستان وباميان من جانب علاء الدين جهانسوز ، وقد كان فخر الدين أكبر أبناء أبى السلاطين عز الدين حسين ولم يبق من ولده السبعة غيره ، لكنه لم يتول سلطنة الغوريين لأن أمه كانت جارية ، فظن أن الفرصة واتته لضم

البلاد الأصلية للغوريين الى ملكه ، وحمل على فيروزكوه بعد أن تحالف مع أمراء سنجر كالأمير قماج حاكم بلخ والأمير تاج الدين يلدز والـى هراة . ولاقى السلطان غياث الدين وأخوه الملك شهاب الدين أولا تاج الدين يلدز الذى كان أسبق حلفائه وصولا الى فيروزكوه فقتلاه وفرقا جنده ، ثم عاجلا الأمير قماج بالهجوم وهزماه أيضا وأرسلا رأس يلدز وعلما من أعلام جيش قماج استوليا عليه الى باميان حـيث عمهمـا ، فاضطرب فخر الدين لهذا شديد اضطراب وعزم العودة ، لكن الغوريين تقاطروا عليه فأسروه ، الا أن ابنى أخيه عاملا عمهمـا بكل التواضـع والاحترام وأعاداه الى امارتـه باميان كما كان عليـه .

اجتاح التركمان الغز ــ كما بينا فى أحوال خسروشاه السـلطان الغزنوى قبل الأخير وكما سوف نبين فى تاريخ السلطان سنجر ــ جميع خراسان بعد أن استأسروا هذا السلطان ، فاسـتولوا على غزنـة فى (٥٥٥هـ) من بين ما استولوا عليه ولاذ خسروشاه بالفرار الى لاهـور وجعل منها عاصمته ثم انثال الغز على كابـل وقسـم من سيسـتان فاستولوا عليهما كذلك وظلوا بهما حتى (٥٦٩هـ) وكان الذى طردهـم منهما واستخلص غزنة منهم هو السلطان غياث الدين محمد بن سـام الغورى . وقد استصفى غياث الدين هراة أيضا فى (٥٧١هـ) من يـد أحد عبيد سنجر السابقين ، وطوع اليه أيضا بوشنج وسيستان وكرمان وجوزجانان ومرو الرود ، ووسع حدود دولة الغوريين من ناحية الغرب والجنوب الغربى وسـعة عظمى .

الغوريون والخوارزمشاهيون :

حين كان السلطان غياث الدين وأخوه الملك شـهاب الدين يقومان بهذه الفتوحات العظيمة كانت الأسرة الخوارزمشاهية القوية القـادرة قد رفعت لواء الشوكة والسلطة فى خوارزم وما وراء النهر وخراسـان وأسسوا دولة فى هذه المناطق فقامت دولة الغوريين بمراتب فى القـوة

خاصة فى عهد ملكهم المعاصر لهذين الأخوين السلطان علاء الدين تكش (٥٦٨ — ٥٩٦هـ) الذى حاز شهرة وقوة فوق العادة لما تيسر له من فتوحات وكان يجاور الغوريين من ناحية خراسان وجوزجانان •

وفى (٥٨٦هـ) أخذ أخو علاء الدين تكش ملك خوارزم وهو جلال الدين محمود سلطانشاه وكان قد عصا أخاه واستولى على حدود مرو الرود وبنجده وهى حدود ملك الغوريين أخذ يهاجم بلادهم على الرغم من صفاء العلاقات بينهما فيما سبق • فسير غياث الدين جيشا لردهم أكثر من مرة الى أن أحدق الملك شهاب الدين وملك شمس الدين بن فخر الدين مسعود أمير باميان الغورى وتاج الدين ملك نيمروز فى (٥٨٨هـ) بسلطان شاه وأصابوه بهزيمة فادحة على شاطىء مرغاب ولاذ سلطان شاه بالفرار •

وفى (٥٩٦هـ) مات علاء الدين خوارزم شاه وخلفه ابنه علاء الدين محمد ، وتأهب الملك شهاب الدين والسلطان غياث الدين على ظن منهما أن الفرصة مواتية للاستيلاء على خراسان بجيش لجب فأوسعا بلادها الهامة هجوما فابتديا بأبيورد ونسا وسرخس ومرو وطوس فى (٥٩٧هـ) ثم تقدموا حتى حدود قهستان وجرجان وبسطام وأضحت خراسان مرة واحدة موطىء الجند الغوريين ، وقد تحالف الغوريون فى هذه الحروب مع ابن اخى علاء الدين محمد خوارزم شاه •

وفى ذى الحجة من (٥٩٧هـ) غلب السلطان محمد خوارزم شاه الغوريين بحملة واحدة على مقربة من نيشابور ، فطلب غياث الدين وشهاب الدين عفوه فعفا عنهما خوارزم شاه وخليا خراسان • وفى السنة التالية عاود الغوريون خراسان بالهجوم وطلبوا الى خوارزم شاه تسليمهم قطعة من خراسان ولما لم يطعهما شاه خوارزم هاجم الملك شهاب الدين طوس وأضر أهلها كثيرا • وفى هذه الأثناء تناهت أنباء وفاة السلطان غياث الدين فعاد شهاب الدين الى مرو لكن جند

خوارزم شاه أحاطوا به فيها فلاذ منهم منهزما بالفرار الى الغور (٥٩٩هـ)

ومع أن أحد أسباب صراع الغوريين والخوارزمشاهيين الرئيسة هو المجاورة وطمع أحدهما فى الاستيلاء على بلاد الآخر الا أن عاملا آخر أوسع من دائرة نيران هذا القتال والجدال وهو الخليفة العباسى الناصر لدين الله (٥٧٥ — ٦٢٢هـ) لأنه كان يعيش فى عداء شديد للخوارزمشاهيين من عهد استيلاء علاء الدين تكش على ايران الغربية وتفكيره فى القضاء على دولته ، ولكى يأمن شر هجوم الخوارزميين يبعث دائما بالهدايا الفاخرة والرسل الى غياث الدين الغورى ويحرضه على مهاجمة بلاد خوارزم شاه كما وقع فى (٥٩٤هـ) حين أوعز الناصر الى غياث الدين الغورى بالحملة على بلاد خوارزم شاه بعد أن استخلص علاء الدين تكش بلاد الرى وهمدان وأصفهان من يد عمال الخليفة وصار معارضا له ليجبر الغورى تكش على العودة الى خوارزم ٠ وعاد تكش الى خوارزم ولكى ينتقم من الغوريين تحالف مع الأتراك القراختائيين الذين يحكمون فى كاشغر وكانت ما وراء النهر تابعة لهم أيضا وحثهم على مهاجمة بلاد الغوريين وقصد هو بنفسه طوس بهدف ضم هراة ٠ لكن قادة الغوريين هزموا القراختائيين وتصالح خوارزم شاه مع الغوريين ٠ وفى عهد السلطان محمد خوارزم شاه ورث نفس معاملة أبيه للخليفة مما جعل الخليفة يعاود تحريض غياث الدين وشهاب الدين على ملك خوارزم فتتابعت غزوات هذين الأخوين على خراسان وخوارزم وأكثرها كان بتحريض الناصر ، ولم يتورع هذا الخليفة المخادع كما سنرى فى تاريخ المغول فى عدائه للخوارزميين وعناده لهم عن تحريض الكفار القراخطائيين والمغول وفى النهاية سقطت أسرته بيد المغول الذين دعاهم الى البلاد الاسلامية بنفسه (١) ٠

---

(١) عاصر ابن الاثير صاحب الكامل الخليفة الناصر واتهمه بالظلم وقبح السيرة وانه أطمع التتر فى بلاد المسلمين ، للتفصيل انظر كتابه الكامل فى التاريخ ١٢ ص ٢٠٢ (طبعة مصر ١٣٠١ هـ)

ومات السلطان غياث الدين محمود وكان مريضا بمرض النقرس فى جمادى الأولى (٥٩٩هـ) وكان وهو أعظم ملوك الغوريين رجلا عادلا دينا كريما مقربا للشعراء ، وكان بلاطه فى الغور وغزنة يعد محفل الفضلاء والشعراء والفقهاء ومع أنه كان شافعى المذهب لكنه لم يكن يتعـرض لعقائد الشعب وكان يقول ان التعصب فى الدين من جانب الملوك قبيح . وشاعر عهده الكبير هو فخر الدين مباركشاه المروردى الذى شرع فى نظم تاريخ سلاطين الغوريين ونسبهم على وزن شـاهنامة الفردوسى باسم السلطان علاء الدين جهانسوز ثم أتمه باسم غياث الدين محمد ، وكانت وفاة مبـارك شـاه عام (٦٠٢هـ)

٦ ـ معز الدين محمد بن سام

(٥٩٩ ـ ٦٠٢هـ)

بعد وفاة غياث الدين محمد كان ابنه محمود الذى آثر نفس لقب أبيه له ينتظر أن يترك عمه شهاب الدين محمد سلطنة الغور له ، الا أن شهاب الدين خلف أخاه ملقبا نفسه بمعز الدين وولى غياث الدين محمودا امارة بسـت وفراه .

فتح الهنـد من ٥٧١ حتى ٦٠٢هـ :ـ

السلطان معز الدين محمد بن سام أو الملك شهاب الدين السابق الذكر أخو غياث الدين هو أعظم ملوك الغور من كل جانب لأن فى أيامه تم أكبر فتوحات الغوريين مع أنه لم يحكم بعد أخيه أكثر من سـنتين وشهر واحد ، هذا فضلا عن حروبه بخراسان وخوارزم ، لأنه فى الوقت الذى كان غياث الدين منصرفا فيه الى فتح غزنة وطخارستان وسيستان وكرمان كان شهاب الدين أو معز الدين منصرفا الى فتح بلاد أخرى فى مشرق بلاد الغوريين . ففى عام (٥٧١هـ) أى نفس العام الذى أخـذ

فيه أخوه هراة فتح السند والمولتان وقضى على أسرة أمراء المسلمين التى كانت تحكم هناك من مدة وفى (٥٨٢هـ) استحوذ على لاهور وأدال الغزنويين نهائيا ٠

وبعد فتح لاهور انقلب شهاب الدين محمد من هذه المدينة الى الهند الوسطى أى ولايتى راجبوتانا وأجمير لكنه هزم فى المنطقة الأخيرة ومع شدة تجلده وحنكته فقد كان أدنى الى أن يلقى حتفه ٠ وفى عاقبة الأمر أنجاه أتباعه وآب شهاب الدين حانقا متأثرا الى لاهور ، وأمر من شدة الغضب أن يقيد الأمراء الغوريين الذين انهزموا فى هذه الحرب أمام العليق وعاملهم باذلال ، ويقال أنه من تاريخ هذه الهزيمة حتى فوزه فى (٥٨٨هـ) بالانتقام مما حل به كان يتحاشى فى هذه الفترة أن يستبدل قميصه أو أن ينام مع زوجته ٠

أما من هزم جيش الغوريين فى هذه الحرب فقد كان أحد راجات اجمير واسمه (بريت وى) ٠

وفى (٥٨٨هـ) هاجم شهاب الدين محمد بجند كثيف اجمير منطلقا من غزنة وفى (تانى سر) على اثنين وتسعين ميلا شمال غربى وهلى أصاب بريت وى وقد خف مائة وخمسون أميرا هنديا لمؤازرته بهزيمة فادحة أسر فيها بريت وى ثم قتل وحاز الغوريون غنائم كثيرة من بينها أربعة وعشرون فيلا حربيا ٠

وقد جعل فتح تانى سر سائر الهند الشمالية حتى وسطها تحت تصرف الغوريين ، وبعد أن قام الملك شهاب الدين بشكر الله تعالى على هذا الفتح المبين أناب غلامه قطب الدين آى بك فى الولايات المفتوحة ثم عاد الى أخيه بغزنة ٠

وفى عام (٥٩٠هـ) تملك الملك شهاب الدين قنوج وبنارس وفى (٥٩٢هـ) سيطر على قلعة كواليور ومن بعدها فى (٥٩٧هـ) نهرواله ، ثم استولى بعد هذا بقليل قطب الدين آيبك وقواده الآخرون على ولايات

بهار والبنغال وبهذا دخل القسم الأعظم للهند بعد فترة وبعد أن كان مجزءا تحت حكم موحد وصار فى طاعة دولة مسلمة فارسية اللغة .

ومع أن أكثر هذه البلاد قد تم فتحه بيد السلطان محمود الغزنوى وخلفائه ، الا أن تسلط الغزنويين لم يدم الا على القسم الغربى للهند أى الوادى الأعلى للجانج وسهول السند وطرد راجات الهند تدريجا العمال الغزنويين من الهند الوسطى والشرقية . أما استيلاء الملك شهاب الدين الغورى وغلمانه وقواده فقد بقى مستمرا خلاف الغزنويين ، ومع أن شهاب الدين قد عاجله أجله وتجزأت دولته الواسعة الا أن غلمان الغوريين المسلمين قد حفظوا جميع البلاد المفتوحة كما كانت تحت حكمهم وحافظوا على الاسلام واللغة الفارسية فيها على اثر الفتوحات المتجددة ودوام حكمهم واستمر هذا الحال حتى عهد تولى السلاطين الكوركانيين الذين ورثوا غلمان الغوريين فى هذا الأمر .

وظل الملك شهاب الدين الغورى حتى (٥٩٩هـ) سنة وفاة أخيه السلطان غياث الدين محمد نائبا عن أخيه مجالدا بالسيف باسمه ، فلما مات أخوه انتهت اليه سلطنة الغور ومن هذا الأوان لقب بالسلطان معز الدين .

وفى (٦٠٠هـ) قصد السلطان معز الدين من غزنة لاهور لغزو الهند ، فأفاد محمد خوارزم شاه من غياب معز الدين وموت غياث الدين وانصرف الى محاصرة هراة التى كانت بيد ابن أخت هذين الأخين لكنه فشل بعد مدة من القتال فى فتحها وعاد الى سرخس مصالحا . ولما تناهت هذه الأخبار لمسامع معز الدين عاد من الهند وعزم هذه المرة على استئصال خوارزم شاه تماما وأن يحمل على جرجانية عاصمة خوارزم ويجتث دولة خوارزم من أصلها نهائيا . وتحرك الجند الغوريون من غزنة ومعهم بعض الأفيال الحربية الى خوارزم ، ولم يوفق خوارزم شاه فى أن يعيد السلطان معز الدين عن قصده برغم تهديده بالهجوم على

هراة وغزنة وكان معز الدين يجيبه (سوف نتقابل فى خوارزم) •

وعجل خوارزم شاه مضطرا الى عاصمته وأمر بتحطيم كل السدود لكى يقطع على السلطان الغورى طريق تقدمه وبأن يغرق خط سيره بالماء ووصل معز الدين بعد أربعين يوما من الصراع مع هذه الموانع فى النهاية الى خوارزم • وعلى مقربة من عاصمة الخوارزميين حارب جيشهم حربا ضروسا ومع أنه هزم كثيرا من القادة الخوارزميين وقتلهم الا أنه فشــل فى فتح المدينة بسبب استبسال أهلها فى الدفاع عنها • وأثناء هذا الوقت وصل قائد خان القراختائيين وعثمان خان الافراسيابى خان ما وراء النهر لعون خوارزم شاه فانهزم السلطان معز الدين بقسوة وهرب من خوارزم الى قلعة اندخود (فى جنوب نهر آمودريا بين بلخ ومرورود) لكن جند القراختائيين وما وراء النهر أحاطوا به فى ذاك المكان وكان على شفا أن يستأسره الكفار القراختائيون • فتوسط عثمان خان لأنه لم يكن يود أن يقع هذا السلطان المجاهد المسلم فى يد الكفار وأنقذه بعد أن أخذ كــل ما معه وأعطاه الى القراختائيين فدية ، وبعد قليل استقر الصلح بــين خوارزم والغــور •

كانت هزيمة خوارزم فادحة جدا للسلطان معز الدين الغورى لأنه فضلا عن هلاك خيرة الجند وجمع من القواد وذهاب الأموال والخزائن أذيع فى البلاد الغورية أن السلطان قتل فى حرب خوارزم ، ولهذا فقد ادعى عدد من غلمانه كانوا ينتظرون هذه الفرصة الاستقلال والحكم كل فى بلد ، كما فعل تاج الدين يلدز (وهو غير تاج الدين يلدز الذى سبق ذكره وقتل) اذ عزم الاستيلاء على غزنة ، وغلام آخر هو آيبك (١) الذى نادى بنفسه ملكا فى الموتان والسند وأخذت طائفة الخلج فى أفغانستان الحالية فى قطع الطرق وايذاء الناس وقد أخمد معز الدين بعد صلحــه

(١) آيبك هذا غير قطب الدين آيبك قائد شهاب الدين الذى ولــى حكومة دهلى من طرف الغوريين وأسس بعد قتل السلطان معز الدين أسرة مماليك دهــلى (ســياتى) •

مع خوارزم شاه وعودته الى غزنة جميع هذه الفتن وعمل على اصلاح حال الخزانة والجيش حتى يتأهب للانتقام من أتراك القراختائيين الكفار

قتـل السـلطان معز الدين فى (٦٠٢هـ) : ـ

فى (٦٠٢هـ) طلب السلطان معز الدين من عامله فى لاهور والمولتان أن يرسل اليه خراج سنتى (٦٠٠) و (٦٠١هـ) حتى ينفقها فى سـبيل جهاد القراخطائيين ، فأجاب عامله ان ارساله متعذر بسبب عصـيان طائفة (الكوكر) من سكان المناطق الجبلية فى لاهور والمولتان وقطعهم الطرق فأمر معز الدين قطب الدين آيبك حاكم دهلى أن يعد جيشا لافناء طائفة الكوكر ، وتحرك هو أيضا مع آنه كان يقصد حرب القراخطائيين من غزنة صوب بيشاور بسبب شكاوى الناس المتوالية من هذه الطائفة ، وعلى مقربة من نهر جيلم فى ربيع الآخر (٦٠٢هـ) أنزل هو وقطب الدين آيبك بهؤلاء العصاة هزيمة كبرى ، وقمع معز الدين فضلا عن تأديـب هذه الطائفة جماعة أخرى من المتمردين ، ثم قصد الى غزنة من لاهور ولكن فى الثالث من شعبان (٦٠٢هـ) وأثناء الطريق اغتيل بيد بضعة نفر من أفراد قبيلة الكوكر كانوا برفقة جنده يهدفون قتله اثر ثنتين وعشرين طعنة بالخناجر ، ونسب البعض قتله الى الفدائيين الاسماعيليين .

كان السلطان معز الدين محمد بن سام الذى تلقب فى ذلك بالملك شهاب الدين رجلا رشيدا عادلا مواظبا تماما على تنفيذ أوامر الـشرع وكان يعيش كأخيه خاليا من التعصب المذهبى وكان يعاشر أرباب الفضل والأدب والفقه . وكان الامام الكبير والحكيم الجليل القدر فخر الدين محمد بن عمر الرازى (٥٤٣ ـ ٦٠٦هـ) من خاصة بلاطه وبلاط أخيه السلطان غياث الدين محمـد (٢) .

---

(٢) هو أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الطـبرى الرازى المتوفى (٦٠٦هـ) عرف بابن الخطيب ومن الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء الشافعيين ومن علماء ايران الكبار فى القرن السادس والذى يعد من نـوادر =

٧ ــ غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد

(٦٠٢ ــ ٦٠٧هـ)

انفرط عقد انتظام الممالك الغورية بعد قتل السلطان معز الدين مرة واحدة واتجهت الدولة بكل عظمتها واتساعها الى التجزؤ الكلى . بمعنى أن غياث الدين محمود ابن أخ معز الدين الذى كان يحكم بست وفراه رفع رسميا الى سلطنة الغوريين ، الا أن جماعة من الأمــراء الغوريين التفوا حول بهاء الدين سام أمير باميان الغورى ابن الملك شمس الدين محمد بن الملك فخر الدين مسعود وابن أخت السلطان معز الدين وغياث الدين واحتدم النزاع بين هذين المدعيين وأتباعهمــا من أجــل التــاج والعرش ، فنهض من بين مماليك السلطان أعزهم وأقواهم نفوذا وهو تاج الدين يلدز السابق الذكر لحماية غياث الدين محمود ، وشاء اللــه أن يموت بهاء الدين سام فى طريقه الى غزنة للاســتيلاء عليها لكنــه أوصى أبناءه بالسيطرة على غزنة وتملك عرش الغوريين .

وسيطر أولاد بهاء الدين سام على غزنة لكن تاج الدين يلدز طردهم

=

عهده فى العلوم الاسلامية . له تاليفات هامة فى العلوم المختلفة وسمى امام المشككين لتمكنه فى المجادلة والاعتراض على الفلاسفة والشك فى المســائل الفلسفية ، وكان من مخالفى ابن سينا دفع آراءه بطريق الاستدلال العقلى والفلسفى . من آثاره المشهورة بالعربية فى علم الكلام : نهاية العقول وكتاب الأربعين ومحصل افكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين ورسالة فى المعراج . وفى الفلسفة : الملخص وشرح الاشارات وشرح عيون الحكمــة ومباحث المشرقية والنهاية . وفى التفسير مفاتيح الغيب أو التفســير الكبير وهو فى الحق دائرة معارف دينية ثم نهاية الاعجاز فى بيان موارد فصاحــة القرآن وبلاغتــه .

وأهم آثاره بالفارسية جامع العلوم أو حدائق الأنوار فى حقائق الأسرار الذى الفه لعلاء الدين تكش خوارزم شاه عام (٥٤٧هـ) ثم (رساله روحية) فى حقيقة الروح وفناءالجسم وحكمة الموت والنصح ، ثم (أصول عقــايد) فى ثمانية أبواب ، ثم الاختيارات العلائية فى النجوم باسم الحاكم السابق .

عنها وعاد الى عاصمته ، وبدلا من أن يخطب لغياث الدين محمود ادعى استقلاله •

وفى دهلى نادى قطب الدين آيبك أيضا فى (٦٠٢هـ) بنفسه سلطانا بعد قتل السلطان معز الدين وأسس أسرة حكمت فى هذه المنطقة من بعده حتى (٦٨٦هـ) • واستقلت السند والمولتان بدورهما بيد مملوك آخر من مماليك السلطان معز الدين واسمه ناصر الدين قباجه فى نفس سنة قتل السلطان وخرجت عن تبعية الغوريين وانحصرت سلطنة غياث الدين محمود فى نفس حدود بست وفراه وفيروزكوه وبلاد الغوريين الأصلية •

وكان غياث الدين محمود رجلا غير كفء لاهيا لاعبا لهذا عصاه أمراؤه الأدنون وأقاربه ودعا أكثرهم السلطان محمدا خوارزم شاه للاستيلاء على البلاد الغورية حتى أن عز الدين حسين بن خرميل والى هراة الذى كان من عهد السلطان غياثالدين الغورى ميالا دائما الى حماية خوارزم شاه أعطى هراة ليسيطر عليها الخوارزميون ، وفصل خوارزم شاه أيضا بلخ عن تصرف أميرها الغورى فى (٦٠٣هـ) ولم ير غياث الدين محمود مفرا من أن يعتبر نفسه مطيعا خاضعا للسلطان محمد وعاد خوارزم شاه الى خوارزم •

وفى (٦٠٤هـ) حينما انشغل السلطان محمد ملك خوارزم بفتح ما وراء النهر وحرب القراخطائيين مال حسين بن خرميل الذى كان حاكم هراة من جانب خوارزم شاه الى غياث الدين محمود وعصى خوارزم شاه فأمسك به عمال خوارزم شاه وقتلوه وأرسلوا برأسه الى خوارزم • ولما سمع أخو محمد خوارزم شاه تاج الدين عليشاه الذى كان يحكم طبرستان نائبا عن أخيه أن أخاه وقع أسيرا فى قبضة القراخطائيين قدم خراسان من طبرستان ونادى نفسه سلطانا • وسرعان ما تخلص خوارزم شاه من أسره فلاذ تاج الدين عليشاه فى (٦٠٦هـ) بغياث الدين محمود الغورى خوفا

من أخيه • فطلب خوارزم شاه تسليم أخيه من غياث الدين محمود الذى ألقى بعلى شاه فى سجن فيروزكوه • وفى النهاية قتل أتباع علـى شـاه غياث الدين محمود فى (٦٠٧هـ) ونادوا بتاج الدين على شـاه المحبوس ملكـا على الغـور وفـيروزكوه •

٨ ، ٩ — بهاء الدين سام وعلاء الدين أتسز
(٦٠٧ — ٦١٠هـ)

اختارت جماعة من أمراء الغور بعد قتل غياث الدين محمود ابنـه ذا الأربعة عشر عاما بهاء الدين سام أميرا ولم يدعوا على شاه ينجـو من الحبس فيصل للسلطنة • لكن علاء الدين أتسز وهو أمير آخر من الغوريين وابن علاء الدين حسين جهانسوز هاجم بعون خوارزم شـاه فـيروزكوه وفى منتصف جمادى الأولى (٦٠٧هـ) انتصر على بهاء الدين سام وسائر أمراء أسرة غياث الدين ومعز الدين وأصبح تحت حماية خوارزم شـاه أميرا للغور وفيروزكوه واشتغل حتى (٦١٠هـ) أغلب وقته بقتال أمـراء غزنة الأتراك وتاج الدين يلدز حتى قتل وقتذاك بيد احد أمراء غزنة أولئك

علاء الدين محمد بن شجاع الدين على
(٦١٠ — ٦١٢هـ)

عين تاج الدين يلدز بعد مقتل علاء الدين أتسز محمدا سلطانا وكان ابن شجاع الدين على سابع أبناء أبى السلاطين الملك عز الدين حسين وقد تأمر أيضا بعد موت السلطان غياث الدين فيما سبق أربعـة أعـوام فى الغور وفيروزكوه • وبعد عامين من الامارة سلم علاء الدين محمـــد فيروزكوه فى (٦١٢هـ) الى عمال محمد خوارزم شاه وأرسل به عماله الى جرجانية وبهذا انتهت سلسلة السلاطين الغوريين •

أسماء ملوك الغور وأيام امارة كل منهم

١ - سيف الدين السورى بن الملك عز الدين حسين (٥٤٣ - ٥٤٤هـ)

٢ - علاء الدين حسين جهانسوز أخو سيف الدين (٥٤٤ - ٥٥٦هـ)

٣ - سيف الدين محمد بن علاء الدين جهانسوز (٥٥٦ - ٥٥٨هـ)

٤ - غياث الدين محمد بن بهاء الدين سام بن حسن (٥٥٨ - ٥٩٩هـ)

٥ - معز الدين محمد أخو غياث الدين محمد (٥٩٩ - ٦٠٢هـ)

٦ - غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد (٦٠٢ - ٦٠٦هـ)

٧ - بهاء الدين سام بن غياث الدين محمود (٦٠٧هـ)

٨ - علاء الدين أتسز بن علاء الدين حسين جهانسوز (٦٠٧ - ٦١٠هـ)

٩ - علاء الدين محمد بن شجاع الدين على بن عز الدين حسين (٦١٠ - ٦١٢هـ)

الفصل الثامن

السـلاطين السـلاجقة

(٤٢٩ ــ ٥٩٠هـ)

أصـل السـلاجقة ونسـبهم : ــ

سبق أن شرحنا فى الفصل السادس ضمن تأريخ حكم شهاب الدولة مسعود بن الغزنوى أصل التراكمة السلاجقة ونسبهم وابتداء قوتهم ، وهنا لكى نوسع هذا الموضوع ايضاحا ، وكفانا هذا ، نقول باجمـال ان السلاجقة طائفة من التركمان الغز والخزر سكنت فى أيام شوكة الأمراء السامانيين فى صحارى بحيرة خوارزم (آرال) والسواحل الشرقية لبحر آبسكون (بحر الخزر) ووديان سيحون وجيحون العليا وكانت مساكنهم تفصل البلاد الاسلامية فيما وراء النهر عن مساكن أتراك قرلق (الخلخ) الشرقيين والغز غير المسلمين • ولم يشتهر السلاجقة قبل رياسة سلجوق عليهم شهرة خاصة وقد كانوا يعاونون لدخولهم فى الاسلام ومجاورتهم البلاد السامانية الأمراء السامانيين حينا فى صراعهم الخانيين التورانيين ولهذا فلم يكن السامانيون يمنعونهم التردد الى بلادهم حتى أن أحـد رؤسائهم وهو (سلجوق(٢) بن دقاق) ارتحل بقبيلته فى أواخر العهـد

(٢) تقضى قواعد اللغة التركية فى رسم كلمة (سلجوق) أن تكتب أما (سيلجيق) أو (سالجوق) لأن مقطعى جيق وجـوق يفيدان لصـغير ، ويستعمل الأول مع الكلمات التى تقع الياء فى مقطعها الأخـير ، ويسـتعمل الثانى مع التى تقع الالف او الواو فى مقطعها الأخير • ويذكر بارتولد فى كتابه (تاريخ الترك فى آسيا الوسطى) ص ١٠٠ أن النطق الصحيح هو (سالجوك)

السامانى وحط رحاله فى مدينة (جند) من البلاد على شاطىء نهر سيحون فى واديـــه الأعـــلى وأقـــام بهـــا •

وبعد موت سلجوق أخذ ابنه ميكائيل وتراكمة قبيلة أبيه يجاهدون الكفار جيرانهم فى جند لكنه قتل فى معارك الجهاد وكان له ثلاثة أبناء هم بيغو أو جبغو وجغرى وطغـــرل •

وقد شد هؤلاء الأبناء الثلاثة بعد موت أبيهم رحلهم مع قبيلتهـــم التى عرفت بالسلاجقة من حين تولى سلجوق أمرهـــم من مدينـــة جنـــد قاصدين حدود بخارى عاصمة السامانيين ، وآثروا الاقامة عـــلى بعـــد عشرين فرسخا من هذه المدينة ، لكن السامانيين أزالوهم عن مقامهـــم كانوا يخشون جوار هذه الطائفة ولها مثل هذه القوة والكثرة العددية ، فاتجه السلاجقة يحتمون ببغراخان الافراسيابى فى توران •

أما بغراخان فقد حبس حيطة منه أكبر الاخوة وهو طغرل بن ميكائيل بن سلجوق لكن جغرى نجح فى تخليص أخيه ورحـــل أولاد ميكائيـــل مع السلاجقة هذه المرة من توران الى قرية نور من القرى القريبـــة الى وكان هذا حين تملك ايلك خان الافراسيابى عاصمة السامانيين وقضى على أسرتهم •

=

كما وجده فى كتاب محمود الكاشغرى ، (فامبرى . تاريخ بخارى) حاشية (١) ص (١٧٢٧) .

كما أن دقاق صحفها تقماق وكان قائدا لجيش أمير يدعى بغو أو بوغو (أى الغزال كما سبق) وذكر الأستاذ حمزة طاهر فى مقال بمجلة الثقافة عدد (٤٦٩) أن السلاجقة يعرفون رئيسهم باســـم بغو وقائد الجيـــش باســـم مثل طغرل وجغرى وجاولى هى فى الواقع القاب وليست أعلاما . أما طغرل سوباشى ونبلاءهم باسم اينال وأن الأسماء التى اشتهر بها أبناء ســـلجوق فهو مصغر كلمة دوغراول أى القصاب من المصدر (دوغـــرامق) أى الذبـــح وجغرى معناه اللامع أو المتألق من المصـــدر جقمـــق أى اللمعـــان وأخطـــأ المستشرقون الأوربيون بربطهم كلمة طغرل مع كلمة دوغرو (بمعنى المستقيم) وحين ظنوا أن (جغر) هو (جعفر) محرفا (فامبرى : حواشى صـــفحات ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩) .

وأخذ يتزايد اعتبار السلاجقة وشوكتهم وقوتهم سريعا وكثر عددهم تدريجا وبلغت أهميتهم حدا جعلهم يهددون دائما اتصال محمود الغزنوى مع قوة هذا السلطان العظيم الشأن بخانات التركستان فقد كانوا يقطعون طريق سفرائه الذين يترددون بين ايران وتوران •

وفى حدود (٤١٦هـ) صارت فتنة التراكمة السلاجقة فى بلاد ما وراء النهر سبب مشقات بليغة خاصة مجموعة منهم كان يرأسها أرســلان بن سلجوق أخو ميكائيل وعم بيغو وجغرى وطغرل وأقامت فى الصــحراء المجاورة لبخارى وعاثوا فى الأرض فسادا • وأمسك السلطان محمــود بأرسلان وأرسله ليحبس فى الهند وقضى على جماعة أخرى من طائفته ، ولما قدم الجيش الغزنوى يتعقبهم اتجهوا الى أصفهان وعرجت جمــاعة أخرى منهم الى آذر بايجان ومع هذا فقد ظلت فرق كثيرة من السلاجقة خاصة أصحاب أبناء ميكائيل فى خراسان •

وقد فشلت حملات أرسلان جازب والسلطان محمود كما مر قبــل فى ازالة السلاجقة من مساكنهم المحكمة التى اختاروها فى أطراف جبــل بلخان (ما بين المناطق الجبلية شمال خراسان والساحل الشرقى لبحــر الخزر) ، وقد ظل السلاجقة يغيرون من هذه التحصينات طــوال مــدة حكم السلطان مسعود على بلاد خراسان والجوزخان وطخارستان •

وقد تفرق أتباع أرسلان بن سلجوق فى العراق وبلاد غرب ايــران وشمالها الغربية وعرفوا باسم الغز العراقيين لكنهم عجزوا عن تأسيس دولة لهم عكس اخوانهم أصحاب أبناء ميكائيل وهم السلاجقة الأصليون الذين تمكنوا من تأسيس دولة عظمى بعد هزيمتهم لسباشى كبير حجاب مسعود وفتح دندانقان الذى انتهى بادالة دولة الغزنويين فى ايران ، هذه الدولة العظمى ، كما سنرى بعد قليل ، لا نظير لها من جهات عدة فى تاريخ الاسلام ، ولم يتأسس لغيرها من عهد انهيار الساسانيين حتى قيامهــا فى آسيا الغربية سلطنة بمثل وسعتها وعظمتها ووحدة ادارتها ومركزيتها •

١ ـ ركن الدين أبو طالب طغرل بن ميكائيل بن سلجوق

(٤٢٩ ـ ٤٥٥هـ)

وكما ذكرنا خلال تاريخ حكم السلطان مسعود فقد دخل طغرل بن ميكائيل ، بعد أن أمده أبو القاسم على بن عبد الله الجـوينى المعـروف بقائد بوجكان ، نيشابور فى شوال من عام (٤٢٩هـ) أى جلس على عرش مسعود بها بعد شهرين من تغلب السلاجقة على سباشى وقبل سنتين من انتصارهم الحاسم فى دندانقان ونادى بنفسه سلطانا • ويعد تاريـخ جلوس طغرل فى نيشابور والخطبة باسمه فى شوال (٤٢٩هـ) بداية حـكم الســلاجقة •

وبعد جلوس طغرل واسقاط قوة الغزنويين فى خراسان قسم قـادة الجيش السلجوقى البلاد المفتوحة ، ولم يكن بعضها قد سيطروا عليـه تماما قبل ذاك الوقت ، بين أنفسهم كما يلى :

١ ـ من نيشابور حتى ساحل نهر جيحون ومـا وراء النهـر كان نصيب جغرى واسمه الاسلامى داود • وقد عجل جغرى بفتح بخـارى وبلخ وخوارزم وضمها كلها الى ملكـه •

٢ ـ صارت قهستان وجرجان نصيب أخى طغرل لأمه ابراهـيم بن ينـال •

٣ ـ وتركت هراة وبوشنج وسيستان وبلاد الغور لابن عم طغرل وجغرى وبيغو واسمه أبو على حسن بن موسى بن سلجوق •

٤ ـ أودعت رئاسة السلاجقة العامة أى منصب السلطنة فى عهدة طغرل وكان اسمه الاسلامى ولقبه وكنيته (ركن الدين أبو طالب محمد) ، وانصرف طغرل الى حدود دولته الغربية بعد أن أصدر الخليفة العباسى القائم منشور حكمه واطمـأن عـلى الجانب الشرقى والشـمال الشرقى لبلاده لأن قسما هاما من الممالك التابعة للغزنويين وآل بويـه أو البـلاد

تحت حمايتهم مثل كرمان وفارس وخوزستان وبلاد الرى والجبل وطبرستان وجرجان وايران الغربية لم تدخل طاعته حتى ذاك الوقت •

فتح جرجان وطبرستان فى ٤٣٣ هـ : ـ

على النحو الذى مر تفصيله فى تاريخ آل زيار ، تمكن نوشيروان بن فلك المعالى منوجهر ــ الذى كان يعيش من بعد موت أبيه منوجهر تحت وصاية خاله باكاليجار الكوهى وكان تابعا مؤديا للخراج للسلطان مسعود الغزنوى حتى آخر حكمه ــ من أسر خاله فى حدود (٤٣٣هـ) واستقل بنفسه ولم يلق بالا الى طغرل الذى أخذت قوته تتفاقم فى تلك الأيام واغتنم طغرل الذى لم تبرح مخيلته فكرة استيلائه على جرجان وطبرستان الفرصة يضم هذه البلاد فتحرك صوبها ، وهرب نوشيروان من جرجان الى سارى ، وفى النهاية تعهد أن يدخل فى تبعية طغرل لما رأى أنه لا يدانيه قوة وأن يرسل ثلاثين ألف دينار الى ديوانه • وقبل هذا طغرل ولكى يضمن أن تكون جرجان وطبرستان تتبع أمره وادارته مباشرة سير اليهما أميرا من أمرائه هو مردآويج لحكومتها ، وبهذا انتهت أسرة آل زيار على الحقيقة ، فمع أن بعد موت نوشيروان (٤٣٥هـ) حكم ابنه جستان سنين عدة امارة جرجان لكن امارته لم تكن غير اسمية لأن الأمور كانت تسير وفق أوامر عامل طغرل السلجوقى مباشرة •

فتح خوارزم والرى وهمدان فى ٤٣٤هـ : ـ

سبق قولنا ان أحد أولاد آلتون تاش حاكم خوارزم وهو اسماعيل خُندان استخلص ولاية خوارزم فى أيام صراع السلطان مسعود الغزنوى مع التراكمة السلاجقة من قبضة العمال الغزنويين ، فاستبعاد السلطان مسعود خوارزم بعون شاه ملك بن على أحد الأمراء الذين كانوا تحت حكمه فلاذ اسماعيل بطغرل وجغرى فحمل جغرى على خوارزم ممدا

اسماعيل لكن شاه ملك أوقع به الهزيمة ، واستمر الحال على هذا المنوال حتى غلب مسعود وقتل وانتهت سلطنته الى مودود وظلت خوارزم على حالها بيد شاه ملك بن على نائب الغزنويين •

وفى (٤٣٤هـ) توجه طغرل بنفسه الى خوارزم فتغلب على شاه ملك بعد حصارها واختفى شاه ملك وركن الى الفرار عن طريق دهستان وطبس الى كرمان ومكران لكنه وقع هنالك أسيرا فى يد ابراهيم بن ينال وبهذا انضمت خوارزم الى البلاد السلجوقية •

وفى بداية (٤٣٣هـ) مات علاء الدولة أبو جعفر كاكويه وقد سبق ذكرنا أحواله وخروجه ضمن تاريخ آل بويه والغزنويين وبلغت ادارة حكومته التى شملت الرى وأصفهان وهمدان وجزءا من بلاد غربى ايران ولده ظهير الدين أبا منصور فرامرز • الا أن أخا آخر لأبى منصور هو أبو كاليجار كرشاسف لم ينضو لذلك فاستقل بنهاوند ، وبعد قليل تابعه أخوه أبو حرب فأعلن العصيان فهيأ هذا الحال من الشقاق المجال لتدخل السلاجقة فأتى فى نفس العام (٤٣٣هـ) ابراهيم ينال الرى وطلب الى ظهير الدين أن يقبل طاعة السلاجقة فعصى ظهير الدين ولما رأى أنه يواجه خصما قويا ترك الرى وأتى همدان وبروجرد وصالح أخاه أبا كاليجار كرشاسف وكان كرشاسف على استعداد أن يعترف برئاسة أخيه عليه بشرط أن يأخذ حكومة همدان •

وخف ابراهيم بن ينال فى (٤٣٤هـ) بعد استيلائه على الرى يتعقب ولدى علاء الدولة كاكويه فى بروجرد فضمها اليه ، فتحصن أبو كاليجار باحدى قلاع شابورخواست (خرم آباد الحالية) ولم يمسك به ابراهيم مع سيطرته على شابورخواست وقتله الناس وتصرفاته القبيحة ، ولما سمع بقدوم طغرل الى الرى أتاه وعاد كرشاسف الى همدان •

وقدم طغرل بعد فتحه خوارزم وجرجان وطبرستان الى الرى من خراسان فأخذ الرى وبلاد الجبل من ابراهيم ينال وولاه سيستان • وفى

حملته هذه تملك بلاد قزوين وأبهر وزنجان ودخل أمراء الديلم وطارم تحت تبعيته ، ولما لم ير أبو منصور فرامرز وأخوه أبو كاليجار كرشاسف مناصا من التسليم اليه بعد أن أدركا أنهما لن يتخلصا منه سلما اليه بلادهما • وترك طغرل أصفهان على حالها الى أبى منصور لكنه طلب كرشاسف الى الرى وأخذ منه همدان وأعطاها أحد العلويين • لكن أهل قرية كنكاور لما أبوا تسليم قلعتهم لطغرل أرسل اليهم كرشاسف فبقى بها الأخير • وأثناء مقام طغرل بالرى أمر بعض جنده بأخذ همدان وكانت هذه الولاية كما نعلم فى هذا الوقت تحت سيطرة أبى كاليجار الديلمى • وأرسل الأمير الديلمى وزيره من شيراز لحفظ كرمان فغلب الوزير جند طغرل وحفظ كرمان مؤقتا من سيطرتهم •

وفى (٤٣٦هـ) نزل كرشاسف من قلعة كنكاور واسترد همدان من عمال طغرل وخطب فيها للأمير أبى كاليجار الديلمى وقام بتصريف أمورها ثانية • ولما سمع طغرل بهذا أنفذ ابراهيم ينال من سيستان الى همدان فتصرف فى حملته هذه جميع بلاد الجبل حتى حدود نهروان وخوزستان وهزم كرشاسف والأكراد الذين انبعثوا لعون الأخير • وكان الملك أبو كاليجار الديلمى يود أن ينهض لعون كرشاسب محميه لكنه لم يستطع الحركة بسبب شيوع المرض فى خيل عسكره ، وبهذا بلغت حدود دولة السلاجقة حدود العراق العربى من ناحية الغرب •

طغرل والديالمة الكاكوية وآل بويه : —

وفى الوقت الذى انشغل فيه طغرل وأخوه ابراهيم ينال بضبط بلاد ايران الوسطى والغربية ، كان الشقاق والخلاف مشتعلا ما بين أفراد الأسرة الكاكويه من ناحية وبينهم وبين آل بويه من ناحية أخرى ، وكانت هذه الحالة خادمة للأتراك السلاجقة تماما •

ففضلا عن الصراعات الدائمة بين أبناء علاء الدولة كاكوية وقد أشرنا اليها اليها فقد كانت المنافسة شديدة بين أبى منصور فرامرز

كاكويه والملك أبى كاليجار الديلمى أيضا حتى أن أبا منصــور فى (٤٣٥هـ) هاجم كرمان لاستقطاعها من آل بويه لكنه غلب فالتجأ الى طغرل على أمل أن يسيطر السلطان السلجوقى على بلاد البويهيين ويدعها له • ولما لــم يحقق طغرل له أمله وعاد الى خراسان كاتب أبو منصور خوفا فى بدايــة (٤٣٧هـ) الملك أبا كاليجار وقبل أن يدخل طاعته ويخطــب له فى أصــفهان فقبل الأمير البويهى عذره وقر الصلح بينهمــا •

وفى (٤٣٨هـ) قدم طغرل الى أصفهان ليضمها وحاصرها وعجــز عن فتحها ووقف أبو منصور بقوة أمام السلطان السلجوقى وفى النهاية قنع طغرل بأن يرسل اليه أبو منصور مالا سنويا ويخطب له وأقلع عن فتــح أصــفهان •

وفى هذا الحين كان ابراهيم بن ينال فى غرب ايران منشغلا خاصة فى كرمانشاه بقمع الأكراد والغز العراقيين واستقطع بعد ضرب هــؤلاء جميعا هذه المناطق من قبضة هذه الجماعات وعمال الملــك أبى كاليجــار الديلمى ، ودخل أبو كاليجار فى الصلح مع طغرل مخــافة أن يســتولى ابراهيم ينــال على العراق وخوزستان وفارس فقبــل طغــرل عرضــه وكاتب أخاه فى (٤٣٩هـ) أن يتجنب مهاجمته بــلاد أبى كاليجــار ، ولكى يستحكم الصلح بينهما تزوج طغرل بابنة أبى كاليجار وزوج ابنة أخيــه داود أو أخت الب أرسلان لابن أبى كاليجار •

وفى (٤٤١هـ) تحرك طغرل ثانية من خراسان الى ايران الوســطى والغربية لقلقه من تفاقم قدرة أخيه ابراهيم بن ينال الذى استحوذ عــلى بلاد الجزيرة وارمنية حتى حدود دولة الروم الشرقية وأصاب الــروم بالهزائم فضلا عن ايران الغربية وكان غير راض من ناحية أخرى لسلوك أبى منصــور كاكويه المنــافق فى أصــفهان •

وبعث طغرل أولا الى أخيه أن يخلى همدان وقلاع ايران الغربيــة التى بتصرفه ولما لم يطع ابراهيم وأورد وزيره مورد القتل بتهمة أنــه

تسبب فى الفساد بينه وبين أخيه عجل طغرل الى همدان ، وانغلب ابراهيم ولاذ بقلعة ولم يفلح فى النجاة من أخيه فاضطر الى الاستسلام ، فتلقاه طغرل باحترام وأبقاه عنده ودخلت جميع بلاد ايران الغربية والجزيـــرة فى طاعتـــه •

وبعد أن أنهى طغرل فتنة ابراهيم بن ينـــال اتجـــه الى أصـــفهان وحاصرها فى المحرم من (٤٤٢هـ) واستمر حصاره لها عاما أرسل خـــلاله جيشا أيضا الى فارس • وفى النهاية فى المحرم من (٤٤٣هـ) اقتحم طغرل أصفهان وقضى على دولة الديالمة الكاكويه فيها وسير أبا منصور الى حكومة يزد وأبرقـــو •

وكان ملك آل بويه فى هذا التاريخ كما رأينا فى تاريخهـــم فى يـــد الملك لارحيم ولد الأمير أبى كاليجار الذى بلغ فى (٤٤٠هـ) امارة كرمـــان وفارس وخوزستان وعمان والعراق العربى خلفا لأبيه لكن لم يكن حكمه قويا مستحكما لأن أعداءه كانوا فى الداخل كثرة كما أن خـــوارج عمـــان والسلاجقة كانوا يضعون بلاده تحت تهـــديدهم من ناحيـــة خراســـان وقهستان وأصفهان وكرمانشاه ولم يكن هو بالشخص الذى يستطيع أن ينقذ كرمان من تهديد ألب أرسلان أو فارس وخوزستان والعـــراق من خطـــر طغـــرل •

وفى (٤٤٣هـ) حين ضم طغرل أصفهان اليه ، كمـــا مـــر فى تاريـــخ الديالمة ، استعاد الملك الرحـــيم شـــيراز وأصـــطخر من أبى منصـــور فولادستون أحد أبنائه الذى كان استولى عليهما فاســـتمد فولادســـتون طغرل ، وتمكن فولادستون بعونه فى (٤٤٥هـ) من شيراز وخطـــب فيهـــا لطغـــرل أولا ثم للمـــلك الرحـــيم ثم لنفســـه •

ومع أن فولاد أحد الأمراء الديالمة طـــرد فى (٤٤٧هـ) أبا منصـــور من شيراز وأسقط اسم طغرل من الخطبة وبعد قليل استعاد الملك الرحيم شيراز الا أن طغرل كما سيلى أسر الملك الرحيم فى (٤٤٧هـ) وانهارت بهذه

الحادثة دولة ديالمة آل بويه بيد طغرل الأول السلجوقى •

أوضاع دار الخلافة وآذربايجان والجزيرة عهد تغلب طغرل : —

كانت أوضاع دار الخلافة وبلاد الجزيرة وآذربايجان فى هذا الوقت سيئة ، كانت الخلافة بيد القائم بأمر اللـه (٤٢٢ — ٤٦٧هـ) الخليفـة العباسى لكن الأمور جميعها كانت بيد أحد غلمان بهاء الدولـة الديلـمى السابقين وهو أبو الحارث أرسلان البساسيرى(١) رئيس الجند الأتراك ولم يكن للخليفة القائم فى الحقيقة أدنى نفوذ فى مقـابل البساسـيرى وأصـحابه •

وفى بلاد الجزيرة وعراق العرب أى الموصل وديار بكر والحلة كان ثلاث أسر من الأمراء المحليين تحكم حكما يعد من الناحية الظاهرية تابعا للخليفة العباسية لأن طاعتهم له كانت من الناحية الدينية والروحية وحسب ولم يكن أمراء هذه الأسر ينصتون لأوامر الخليفة كثيرا فى منازعاتهـم وصراعاتهـم أحدهـم مع الآخـر •

أما الخلفاء الفاطميون الذين أسسوا فى (٢٩٧هـ) دولة فى حـدود تونس الحالية ثم استولوا فى (٣٥٦هـ) على وادى النيـل وبنـوا مدينـة القاهرة فى ذكرى فتحهم لبلاد مصر وجعلوها عاصمتهم فكانوا أعـداء كما نعلم للخلفاء العباسيين فى بغداد والأمراء الذين يحكـمون تحـت حمايتهم بسبب اعتناقهم للمذهـب الاسـماعيلى • ولمـا كان الدعـاة الاسماعيليون الذين نجحوا فى تأسيس الخلافة الفاطمية قد انبعثوا من ايران ولم يتمكنوا من تأسيس دولة عظمى فى موطنهم الأصلى بسـبب قوة السامانيين والغزنويين فقد كان خلفاؤهم يودون دائما بسط دائـرة استيلائهم على الشرق أيضا ويقضون عـلى الخـلافة العباسـية تماما ويفوضون أمورها الى العلويين الذى انتسب اليهم الفاطميون •

---

(١) البساسيرى نسبة الى بساسير وهى الشكل القديم (بسـا) أو (فسـا) وهى المدينة المعروفة من مدن فارس (سياقى) .

ومع أن الفاطميين قد فقدوا نتيجة لانتقال عاصمتهم من تونس الى القاهرة القسم الغربى لملكهم أى جزائر صقلية ومالطة وطرابلس لكنهم مدوا حدود دولتهم فى الشرق فى بلاد الشام ، مثلما ضموا اليهم حلب فى (٣٩٤هـ) بسبب صاحبها سيف الدولة الحمدانى واعتناقه المذهب الفاطمى وظلوا يرسلون الى هذه الولاية واليا من قبلهم الى أن استولى أعراب بنى مرداس عليها فى (٤١٤هـ) . وكذلك قبل بعض أمراء ديار بكر والنقاط الأخرى فى الجزيرة تبعية حكم خليفة مصر الفاطمى فأضحى القائم العباسى وبغداد مهددين بالخطر الفاطمى خاصة فى عهد خلافة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧ — ٤٨٧هـ) .

وكان امارة الموصل بيد الأمراء العقيليين العرب الذين تولوها من (٣٨٦هـ) . أما ديار بكر فقد استولى عليها أيضا طائفة من الأكراد هم بنو مروان من (٣٨٠هـ) وكانت امارة الحلة مع قوم من العرب اسمهم بنو مزيد أسسوا امارتهم فى (٤٠٣هـ) . وكانت امارة آذربايجان فى ذاك الحين فى يد أسرة من مهاجرى العرب سميت بالروادبين أتوا هذا البلد من أوائل الخلافة العباسية ووصلوا بالتدريج الى حكمها وكان يحكمها آنذاك منهم أبو منصور وهسودان ولد محمد أو (مملان) وأبو منصور وهسودان بن مملان هو ممدوح الشاعر المشهور قطران(٢) .

وقدم طغرل فى المحرم من (٤٤٦هـ) الى آذربايجان فأحنى له الأمير أبو منصور الروادى فى تبريز رأس الاستسلام وأرسل ابنه رهينة اليه وقبل أن يخطب للسلطان السلجوقى ثم رحل منها طغرل الى كنجة فأطاعه

---

(٢) هو أبو منصور قطران العضدى التبريزى من شعراء القرن الخامس والعصر السلجوقى ومن اول من انشأ ينظم فى تبريز الفارسية . من آثاره ديوان يميل اسلوبه غالبا الى الفرخى والعنصرى ، ومن قصائده المعروفة قصيدة فى وصف زلزال تبريز الذى حدث عام (٤٣٤هـ) . وقد امتزج اغلب شعره فى شعر الرودكى لتشابه اسم ممدوح الثانى وهو ابو نصر السامانى مع كنية ممدوح قطران وهو ابو نصر مملان . وفوق الديوان له كتاب فى اللغة اسمه تفاسير فى لغة الفرس .

أميرها وأسرع طغرل الى مدينة (ملازكرد) من بلاد أرمنية وكانت تحت طائلة البيزنطيين فخرب ما حولها وبعد استئساره واغتنامه منها كثيرا وادخال الأمير المروانى لديار بكر فى طاعته عاد الى آذربايجان ومنها الى الرى •

وفى بداية (٤٤٧هـ) قصد طغرل همدان من الرى وأظهر أنه يريد زيارة الكعبة بيت الله ويصلح طريق مكة وكان يود باطنا أن يقضى على المستنصر بالله الفاطمى فى مصر ويزيل الدولة الفاطمية نهائيا وأمر لهذا الغرض أن يجمع عماله فى البلاد المجاورة للعراق العربى مثل دينور وكرمانشاه وحلوان جنودهم •

ولما قفل طغرل وصحبه راجعا الى العراق العربى قدم الملك الرحيم الديلمى الذى كان ما يزال يخطب له فى دار الخلافة من واسط الى بغداد بهدف أن يمنع طغرل • ولم يكن هدفه هذا ممكنا لأن طغرل كان قد طمأن الخليفة من جانبه قبل ذلك وأظهر له الطاعة والانقياد من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان وزير القائم وجماعة من حاشيته برفقة طغرل سرا ، وأهم من هذا كله أن أرسلان البساسيرى رئيس الجند الأتراك قد خرج من (٤٤٦هـ) عن طاعة الخليفة العباسى واتصل خفية بالمستنصر الفاطمى وحرم الخليفة والملك الرحيم من معاونته • ونتيجة لهذه الأوضاع خطب بأمر الخليفة القائم فى بغداد فى الجمعة لثمان بقين من رمضان سنة (٤٤٧هـ) وأسقط اسم الملك الرحيم الديلمى من الخطبة ودخل طغرل بغداد باجازة القائم فقبض على الملك الرحيم بعد امارة بغداد ستة أعوام وعشرة أيام وبهذا سقطت دولة آل بويه الذين استولوا على بغداد وحكموا على خليفتها منذ عهد معز الدولة بلا انقطاع •

وتزوج القائم فى المحرم من (٤٤٨هـ) بابنة داود وأخت ألب أرسلان وبنت أخى طغرل وقامت بهذا علاقة التقرب بالمصاهرة بين الأسرتين العباسية والسلجوقية •

وأثناء مقام طغرل ببغداد هاجم أرسلان البساسيرى الموصل مستظهر بالمستنصر الفاطمى وأشياعه فى الجزيرة تقاتل فى مدينة سنجار مع قريش العقيلى الأمير الموصلى وقتلمش ابن عم طغرل وكان نور الدولة دبيس المزيدى يساعد البساسيرى والخليفة الفاطمى فى هذه المعركة ، وخرج البساسيرى ونور الدولة منتصرين وهزم قريش وقتلمش هزيمة شديدة ، ولكى يتلافى الخليفة القائم الخطر المترتب على هذه الهزيمة وكان يتوجه الى خلافته ولكى يستريح من شر جند طغرل الذين تسببوا فى ايذاء الناس لطول مقامهم ببغداد فقد أمر طغرل بأن يتجه الى الجزيرة فاتجه اليها السلطان بعد مكث ثلاثة عشر شهرا .

وكان نتيجة تحرك طغرل أن دخل نور الدولة فى طاعته وكذلك الأمير المروانى لديار بكر وعاد طغرل الى بغداد (٤٤٩هـ) بعد اخماد فتنة هذه البلاد وانابة ابراهيم ينال فيها . أما البساسيرى فقد لاذ بحدود الشام ولما سمع أن ابراهيم ينال قد تحرك الى بلاد الجبل من الموصل عاصيا طغرل أتاها فى (٤٥٠هـ) واستولى عليها لكن طغرل عجل اليها من بغداد فهرب البساسيرى من أمامه .

ازالة فتنة البساسيرى فى ٤٥١ هـ :ـ

وبعد عودة طغرل من بغداد وتحركه الى همدان انتهز البساسيرى الفرصة وهاجم بغداد فتركها الخليفة القائم فلم يكن يطيق مقاومته ودخل البساسيرى فى الثامن من ذى القعدة (٤٥٠هـ) عاصمة العباسيين وخطب للمستنصر بالله الفاطمى وأزال اسم بنى العباس من خطبتها .

أما طغرل فقد صار تحت وطأة ثورة أخيه ابراهيم بن ينال بعد وصوله همدان وطلب عون أولاد أخيه داود ألب أرسلان وقاورد وياقوتى لقلة الجند معه فأتوا لعونه وهزم جماعتهم ابراهيم ينال بالقرب من الرى وأمر طغرل هذه المرة بقتله ولما اطمأن قلبه من هذه الناحية خف الى بغداد ليطرد البساسيرى عنها ويعيد القائم للخلافة .

وأخلى البساسيرى فى السادس من ذى القعدة (٤٥١هـ) دار الخلافة أى بعد عام بالضبط مخافة طغرل وثورة الناس فأتى القائم وطغرل بغداد وبعد أن أقر طغرل الخليفة على كرسى الخلافة قصد الكوفة لاجتثاث البساسيرى حتى يمنعه من التحرك الى الشام ليقطع طريق رجعته • وقتل البساسيرى نتيجة حرب واحدة وأرسل رأسه بأمر طغرل الى القائم ببغداد وكفى الله بغداد شر البساسيرى واستيلاء الفاطميين •

وفاة طغرل الأول فى ٤٥٥ هـ : —

عاد طغرل الى بلاد الجبل بعد القضاء على البساسيرى واصلاح أمور العراق للعربى والجزيرة ولما كانت زوجته قد وافها أجلها فى آخر (٤٥٢هـ) خطب من الخليفة القائم ابنته ، فاستنكف القائم أولا أن يجيبه هذا الأمر لكنه رضى كرها خوفا من تهديدات طغرل وفى ذى القعدة من (٤٥٤هـ) تزوجت ابنة القائم بطغرل رسما •

وفى أوائل (٤٥٥هـ) قصد طغرل بغداد من أرمنية وبعد نحو شهرين من مكثه فى دار الخلافة تحرك الى الرى ومعه زوجة الخليفة ابنة أخيه التى كانت غضبى من زوجها ، لكنه مرض بهذه المدينة وبعد قليل مات بها فى الثامن من رمضان (٤٥٥هـ) وهو فى السبعين وقد استمرت مدة سلطنته من شوال (٤٢٩هـ) حتى رمضان (٤٥٥هـ) أى نحو ستة وعشرين عاما •

ووزير طغرل المشهور هو أبو نصر منصور بن محمد الكندرى من أهل قرية كندر بنيشابور والذى تلقب بعميد الملك ، وكان قد وزر من قبل وزارته التى بدأت من أواخر (٤٤٨هـ) واستمرت حتى آخر عمره ، أربعة نفر آخرون فى بلاط طغرل أشهرهم أبو القاسم على بن عبد الله الجوينى المعروف بقائد بوزجان سبق ذكره •

وعبد الملك الكندرى الذى يقف من نظام الملك الطوسى وهو من عظام وزراء السلاجقة موقف المنافسة والخصومة من المنشئين الكبار فى

اللغتين العربية والفارسية ويعود الفضل فى أكثر ازدهار دولة طغرل الى كفاءة هذا الرجل المشهور وحنكته ، وبسبب نفاذ بصيرته فى الأمور وقوته العلمية والأدبية وتدبيره وسياسته تمكن طغرل من الاستيلاء بيسر علـى العراق العربى ودار الخلافة وادخال الخليفة القائم ووزرائه وحاشيته بلا قتال وسفك دم تحت طاعته • وقد بلغ نفوذ عميد الملك الأدبى فى بلاط الخلافة حدا كان يجعله يفصل دائما فى الخلافات بين البلاطين العباسى والسلجوقى لصـالح طـغرل •

٢ ـ عضد الدولة محمد ألب أرسلان بن جغرى
(٤٥٥ ـ ٤٦٥هـ)

اختار طغرل الأول فى مرض موته بالرى سليمان أحد أبناء أخيـه داود جغرى بيك ، وكان وأمه ببلاطه ، خلفا له ، ورفع عميد الملك الكندرى بعد موت طغرل سليمان الى الخلافة وأجرى الخطبة باسمه • وكان جغرى بيك فى حياة طغرل أميرا للقسم الشرقى لبلاد السلاجقة وهى مـا وراء النهـر وخراسان وكان يدفع عنه هجوم الخانيين والغزنويـين الى أن مات فى (٤٥١هـ) وخلفه فى ولايته من أولاده الأربعة ألـب أرسـلان[١] وقاورد وياقوتى وسليمان الأول ألب أرسلان • ثم لحقت زوجته وسليمان ابنها ببلاط طغرل ، وبعد أن مات أخوه تزوج بها ثم جعل طغرل باضرار زوجته هذه من سـليمان ابنها وارثه •

ولما بلغ خبر موت طغرل خراسان ، عصى ألب أرسلان أخاه ونادى بنفسه وارثا لطغرل يؤازره فى ذلك وزيره المشهور أبو على حسن بن على ابن اسحاق الطوسى أو خواجه نظام الملك وأخذ جانبـه بعض الأمـراء السلاجقة أيضا • ولما رأى عميد الملك الكندرى أن سـلطنة سـليمان لن

---

(١) الب فى التركية تعنى البطل أو القوى وأرسلان هو الأسد فيهـا ايضـا .

تتحقق مع وجود ند قوى كألب أرسلان خطب لسلطنة الأخير فى الرى وجعل من سليمان وليا لعهده .

قتل عميد الملك فى ذى الحجة ٤٥٦ هـ : —

وبعد أن جلس ألب أرسلان على الحكم يمم من نيشابور وبرفقته نظام الملك شطر الرى لكى يدفع ابن عم أبيه شهاب الدولة قتلمش بن اسرائيل الذى ادعى السلطنة واستولى على الرى . وجرت الحرب بين أتباع قتلمش وألب أرسلان على مقربة من (خوار) بالرى وهزم قتلمش ولفظ آخر أنفاسه فى المعركة ، وقتلمش هذا كما سوف نشير هو جد شعبة السلاجقة الروم(٢) .

وبعد هذا الفتح دخل ألب أرسلان ونظام الملك الرى فى آخر المحرم

---

(٢) حينما كان اتباع طغرل واخويه تحت حماية الغزنويين كان اتباع ارسلان بن سلجوق الذين عرفوا بالغز العراقيين يسيحون فى العراق وآذربايجان وأرمنية وقد شهر من قادتهم زمن طغرل قزل وككتاش . ومع بداية هجمات السلاجقة على أرمنية عهد باسيل الثانى كما سيلى استطاعت قبيلة البجناك أن تصل الى الدانوب وتعبره الى بلغاريا وتدخل صفوف جيشه وظلت القبائل التركية على صلة بالأناضول ينفذون اليه ويخرجون منه صيفا وشتاء ارتيادا للمرعى والنجعة . ولما تأسس للسلاجقة دولة فى فارس كانت جموع التركمان الوافدة تشكل خطرا على أمن دولتهم فلهذا دفع طغرل بأمواج الغز والقارلوق والقيجاق والقالاج ، ومن بعده الب ارسلان وملكشاه الى جهاد البيزنطيين ليجنبوا المسلمين غاراتهم وليقووا نفوذ دولتهم باضعاف الروم وليضمنوا لقبائلهم الأرض والغذاء . وقد وضح ابن الأثير (الكامل ٦/٩ — ٢٢٧ ، ٢٤٩) هذه السياسة فى ضم ابراهيم بن ينال جموع الغز اليه وجهاده بهم الروم ووصولهم الى ملازكرد وارضرروم وقاليقلا وطرابزون وأسرهم ملك الأبخاز واقترابهم الى القسطنطينية .

وبعد موت ارسلان واصل ابن اخيه قطلمش بن اسرائيل فتوح الأناضول ، ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى (ح ٥ ص ٣٥٨ (طبعة مصر ١٩١٧م) أن قطلمش فتح قونية واقصرا . وزالت ارمنية بفتوح الب ارسلان فى آنى وقارص كما سيلى ثم ما ناكرت فانفتح الطريق أمام السلاجقة خاصة سليمان بن قطلمش الذى واصل جهاد أبيه بعد أن رفعته قبيلة (ياب او غلو) رأسا لها وقد هربت الى الأناضول اثر ثورتها على طغرل وألب أرسلان ، وبعد سلسلة من الغزوات اسس فرع السلاجقة فى الأناضول أو سلاجقة الروم .

من (٤٥٦هـ) ودخل عميد الملك ليعتذر الى نظام الملك مقـدما خمسـمائة دينار هدية ، فلما خرج عن بلاط السلطان والوزير تحرك أكثر الجنود فى ركابه • وخاف السلطان والوزير من هذا الأمر فأمر ألب أرسلان بسعاية الوزير فيما يظهر بالامساك بعميد الملك فأرسل رأس هذا الوزير الفاضل الى نظام الملك فى كرمان •

فتوحـات ألب أرسـلان : ـ

أوسع ألب أرسلان من حدود المملكة التى ورثها عن عمه طغـرل فى غربها وشمالها الشرقى وفى ظرف تسع سنوات ونصـف سـنة أوصـل حدودها بكفاءته وحنكة وزيره نظام الملك حتى شاطىء سيحون والبحـر المتوسط وأزال جميع خصومه الذين ادعوا السلطنة والمخالفة ، ومن بين ذلك ذهابه فى (٤٥٦هـ) لتأديب أمير الختلان (من ولايات الوادى الأعـلى لجيحون) الذى رأس العصيان وقتله له وادخال ولايته فى طاعته ، ثـم اسراعه لتأديب عمه بيغو والى هراة الذى عصاه فغلبه وأدخله طاعته ثـم سيطر فى عودته من هراة الصاغانيان فى طريقه الى نيشابور •

وبعد أن اطمأن قلبه لجانب ما وراء النهر وخراسان عزم الجهـاد فقصد أرمنية وبلاد الروم الشرقيين (البيزنطيين) فتقدم من نيشابور الى الرى ومنها الى آذربايجان وجعل من نخجوان مركزا لمعسكره •

فتح أرمنية وجزء من بلاد الكرج والأبخاز فى ٤٥٦هـ : ـ

كانت أرمنية وهى المنطقة الواقعة بين البحـيرات الثـلاث (وان) و (أورمية) و (كوكجه) قد عادت اليها قوتها وظهر بها ملوك أقويـاء وحدوا بلادها تحت حكم وادارة واحدة وذلك منذ أن ضعفت الخلافـة العباسية وغفل عنها البيزنطيون بسبب انصرافهم الى دفع هجوم مسلمى الجـزيرة والشـام •

ولما انتهت الامبراطورية البيزنطية الى سلطانها الكـفء النشـط

باسيل الثانى أو باسيليوس (٣٦٥ ــ ٤١٦هـ) لم يكن لهذا الامبراطور فكر غير تجديد عظمة الروم السالفة فبسط حدود دولته فى شبه جــزيرة البلقان وآسيا الصغرى ومن بين ذلك استولى على بلغاريا غربا وهاجم أرمنية شرقا وسيطر على الجزء الأعظم بين بحــيرتى وان وأورميــة ، وصارت أرمنية عهد أن كان السلاجقة يؤسسون دولتهم تحت وطأة نــد قوى هو باسيل وجار مقتدر آخر هى دولة الأبخاز (فى شــمال أرمنيــة وســواحل البحــر الأســود) •

وبعد أن تمكن باسيل من أرمنية توجه من جنــوب شرقى البحــر الأســود الى بلاد الأبخاز حيث كان يحكم ملكها الشاب (جيورجى) ، الا أن جيورجى بعون الأرامنة والمسلمين أوقع بباسيل الهزيمة فخضدت شوكة امبراطور بيزنطة وزاد خلاف ذلك اعتبار دولة الأبخاز وأهميتها • وبعد أن مات جيورجى فى (٤١٨هـ) خلفه ابنــه ذو التســع الســنوات (بقراطى) تحت ادارة أمه • ولما بلغ بقراطى سن الرشد ، فكر فى بسط مملكته فهاجم لذلك بلاد القفقاز المسلمين أى ولايات تفليس وأران وألحق فى (٤٣٠هـ) بمسلمى أران هزيمة شديدة وحصر تفليس فى (٤٣٤هـ) •

ولم تدم فترة قوة بقراطى طويلا لأن الروم الغربيين غلبــوه من ناحية ، وهاجم ابراهيم بن ينال أخو طغرل بلاده فى (٤٤٠هـ) من ناحية أخرى ، فلاذ بقراطى باستمداد امبراطور بيزنطة الا أن الترك السلاجقة هزموا الجيشين معا ، وتقدم ابراهيم بن ينال فى عهد طغر الأول بعد فتحه بلاد أرزنة الروم (أرض روم) وملازكرد حتى ميناء طرابزون •

وفى (٤٤٦هـ) تقدم كما مر سابقا ألب أرسلان وابنه ملكشاه ووزيره نظام الملك الى نخجوان • وقام ملكشاه ونظام الملك بفتح كثير من قــلاع الكرج وبلادهم الأبخاروكرا قافلــين الى ألــب أرســلان • ثم تحــرك السلطان بنفسه الى ولاية كارتلى (غرب بلاد الكرج) ولم يجد بقراطى فوتا من أن يصالح السلطان السلجوقى بقبوله دفع الخــراج وتزويــج

ابنته من ألب أرسلان . وقد طلق ألب أرسلان ابنته هذه بعد ذلك وتزوج بها نظام الملك .

وبعد أن فتح ألب أرسلان بلاد الكرج والأبخاز أناب الأمير الكردى الأصل لكنجة وهو الأمير فضلون فى امارة تفليس ، وذهب عن طريق (قارص) لفتح قلعة آنى (فى غرب ايروان على رأس طريق أخلاط فى أرمنية) وخلص بعد مدة من الحصار هذه القلعة من سيطرة المسيحيين وعلى اثر هذه الفتوحات طوى اسم ألب أرسلان جميع بلاد المسلمين طيا وأمر الخليفة بالثناء عليه على المنابر والدعاء له .

فتوحات ألب أرسلان فى الشرق : ـ

وعاد ألب أرسلان الى أصفهان بعد أن فتح قلعة آنى وتقدم منها الى كرمان وخف من أصفهان أخوه قاورد بن جغرى الذى وليها من (٤٣٣هـ) ولقب بعماد الدولة قرا أرسلان لاستقباله وآب ألب أرسلان الى عاصمته مرو بعد أن اطمأن الى انتظام الأمور بهذه البلاد ثم اختار ابنة طمغاج خان ابراهيم الخاقان الافراسيابى زوجة لابنه ملكشاه وزوج ابنة السلطان ابراهيم الغزنوى كما سبق ذلك لابن آخر له هو أرسلان شاه وبهذا ارتبطت الأسرة السلجوقية بالأسرتين الخانية والغزنوية برباط النسب .

وفى (٤٥٧هـ) اتجه ألب أرسلان الى ما وراء النهر وخوارزم وعاد الى مرو بعد أن سلمت له جند وهى من المراكز الأولى لاقامة السلاجقة واطاعة أميرها له وأمير خوارزم وفى عودته الى مرو اختار ألب أرسلان ابنه ملكشاه رسما لولاية عهده ثم أخذ الميثاق على اخوته والأمراء والكبار السلاجقة أن يرفعوا ملكشاه من بعده ، ثم قسم ممالكه فى هذا الحين أى بداية (٤٥٨هـ) بين اخوته وأولاده وأقاربه ، فترك بلخ الى سليمان وخوارزم الى أرسلان أرغو وطخارستان والصاغانيان الى الياس اخوته الثلاثة وأناب أرسلان شاه ابنه الآخر فى مرو .

وقام فى (٤٥٩هـ) عماد الدولة قاورد أمير كرمان السلجوقى وأخو السلطان بعصيانه وأسقط اسمه من الخطبة ونادى باستقلاله ، فجاء ألب أرسلان كرمان وبعد هزيمة جنده قبض عليه فى قلعة (جيرفت) لكنه عفا عنه وأبقاه أميرا على كرمان كما كان ثم رحل عنها الى فارس وفى هذا السفر فتح نظام الملك قلعة أصطخر للسلطان ونتيجة لهذا زاد مقامه عند ألب أرسلان عزة واحتراما أكثر من ذى قبل .

فتح ملازكرد فى ٤٦٣ هـ :—

فى عام (٤٦٢هـ) هاجم امبراطور بيزنطة رومانوس ديوجارنيس بجيش عظيم بلاد الشام وهزم مسلميها والأمير المرداسى بحلب محمودا ابن صالح وقد انصرف محمود عن العلويين بمصر بعد أن جعل من نفسه مطيعا تابعا للخلفاء الفاطميين بمصر لما رأى انهيار قوتهم وعظم شوكة ألب أرسلان ، وقبل أن يقع موقع هجوم ألب أرسلان خطب فى حلب فى (٤٦٣هـ) للقائم العباسى وألب أرسلان ، وقد أسقطت مكة والمدينة وقتذاك أيضا الخليفة المستنصر الفاطمى من خطبتيهما وخطبا مكانه للقائم وألب أرسلان .

ومع أن محمودا بن صالح قد أطاع السلطان ألب أرسلان الا أن السلطان أتى حلب وطلب الى محمود أن يحضر للقائه فامتنع محمود فحصر السلطان حلب ، وفى النهاية لم يجد محمود بدا من الاستسلام فقدم وأمه الى ألب أرسلان فعفا عنه السلطان بشفاعة أمه وصارت حلب من (٤٦٣هـ) تبعا للسلاجقة .

وفى نفس العام أتى رومانوس ديوجانيس لفتح ما فقد من أرمنية وغرب بلاده بجيش عدته مائتا ألف جندى من اليونانيين والكرجيين وشعب البلغار وروسية وفرنسا الى آسيا الصغرى وعسكر فى مدينة ملازكرد (ما بين بحيرة وان وأرزنة الروم فى شمال أخلاط) . ومع أن ألب أرسلان لم يكن برفقته أكثر من خمسة عشر ألف فارس تركى الا أنه

خف للقاء الامبراطور وأرسل أهله وعياله برفقة نظام الملك الوزيـــر الى همـــــدان •

وقد طلب ألب أرسلان مع انتصاره على طلائع جيـــش رومـــانوس بالقرب من آخلاط مصالحته لخوفه بسبب قلة جنده ، لكن الامبراطور قال بغرور سوف نتصالح فى الرى(١) ، فجعل هذا ألب أرســلان يستبسـل ولا ينشد الا الفتح أو الشهادة مجاهدا فى سبيل اللـــه تعالى ، فهـاجم وصحبه الذين كانوا فرسان تعصب للدين مغاوير دفـاعا عن الاســلام البيزنطيين على كثب من ملازكرد وأعمل الـترك السـلاجقة بأسـلوبهم الخاص فى الهجوم والكر والفر مع قـلة عـددهم سـيوفهم فى رقـاب المسيحيين حتى اختفت الأرض تحت جثث قتلاهم ووقـع الامبراطـور أسيرا فى أيديهم وأتى به الى ألـب أرســلان • وجـلد الســلطان أولا الامبراطور ثلاثا وقال له لماذا لم تقبل دعوتى للصلح ؟! فأجاب السلطان وقد بلغ به التأثر : لا تلمنى وافعل بى ما تريد ، فعفا عنه السلطان مقابل ألف ألف وخمسين ألف دينار وعقد معه صلحا لمدة خمسين سنة وأعـاده الى بلاده(٢) •

وفتح ملازكرد من الوقائع الهامة فى تاريخ آسيا الغربية لأن الروم

---

(١) اراد الب أرسلان تسوية المسائل سلميا لكنه لم يوفق وللرسائل المتبادلة بين الطرفين أهميتها ، يقول ألب أرسلان فى رسالته الى رومانوس على رواية ميرخوند فى كتابه تاريخ السلاجقة نشر فولرز (وبرغم كثافة جندك فانك تواجه أميرا انتصاراته شائعة ذائعة فاذا كنت ندمت على تعجلك فقـر بالجزية وأقلع عن العدوان وسيقرك عند ذلك السلطان على ما بيـدك من أرضين ولا يلحق بك أذى والا فستجلب الخراب عـلى راسـك) واجـاب رومانوس برواية جيبون : (اذا كان البربرى يرغب فى السلم فليترك الأراضى التى يحتلها لجند الرومان ويسلم مدينته الرى وقصره بها ضمانا على اخلاصه) راجع : (تاريخ بخارى) لفامبرى ص (١٣٦–١٣٧) وحاشية ٢ ص (١٣٦) .

(٢) انظر للتفاصيل ما ذكره عماد الدين الأصفهانى فى هذه الواقعة من وصف بليغ فى كتابه (تاريخ دولة آل سلجوق) اختصار الفتح البندارى ص ٣٩ — ٤٢ (مصر ١٣١٨هـ) والكامل ٢٧/١٠ .

من هذا الوقت فصاعدا لم يفكروا فى التوجه الى أرمينية مرة أخرى وكانوا دائما ينفذون اليها من أواسط العهد الأشكانى ولم يرفعوا يد السيطرة أو عين الطمع عنها مع مجالدات الملوك الأشكانيين والساسانيين ومجاهدات المسلمين لهم ، بل أخذت بلاد آسيا الصغرى من بعد هذه الواقعة تخرج تدريجا عن أيديهم ، كما بدأت الحضارة اليونانية والآداب المسيحية التى انتشر نفوذها ورسخت قواعدها بعون أباطرة القسطنطينية حتى حدود أران وآذربايجان بدأت فى الزوال مع فتح ملازكرد وشروع استيلاء الأتراك السلاجقة ، وحلت محلها بالتدريج الحضارة والآداب الاسلامية واللغة الفارسية .

قتل ألب أرسلان فى العاشر من ربيع الأول ٤٦٥هـ : —

ترك طمغاج خان ابراهيم ملك توران سلطنته فى أواخر عمره الى ابنه شمس الملك نصر ولما توفى فى (٤٦٠هـ) استقل شمس الملك وخرج عن طاعة السلاجقة . وعبر ألب أرسلان فى بداية (٤٦٥هـ) جيحون بجيش بلغ مائتى ألف جندى لتأديب شمس الملك . وفى صباح السادس من ربيع الأول من (٤٦٥هـ) أتى بأمير احدى القلاع هو يوسف الخوارزمى وكان عاصيا مقيدا الى السلطان ولما أغلظ يوسف القول الى ألب أرسلان طلب السلطان الى حراسه أن يطلقوا سراحه لكى يصيب منه بسهامه مقتلا ، وأخطأ السلطان هدفه فهاجمه يوسف بخنجر كان معه وطعنه ومات السلطان متأثرا بجراحه بعد أربعة أيام ودفن فى مرو . وكان مدة حكمه تسعة أعوام ونصف عام وكانت وزارته طوال مدة حكمه لنظام الملك الطوسى ولم يحول ألب أرسلان نظره عنه مرة مع سعاية الساعين وكان يسير دائما برأى هذا الوزير المحنك وكفاءته .

٣ ـ جلال الدين أبو الفتح حسن ملكشاه
(٤٦٥ ـ ٤٨٥هـ)

كان لألب أرسلان ستة أولاد هم ملكشاه الذى خلفه بناء على وصيته وتعيينه ثم اياز وتكش وبورى برس وتتش وأرسلان ارغو وكان لكل نصيب من مملكة أبيه وسوف يرد ذكر أكثرهم فى تفاصيل الوقائع بعد

عاد ملكشاه وكان برفقة أبيه فى غزوة ما وراء النهر بعد طعن ألب أرسلان ووفاته مع نظام الملك والجنود الى خراسان وترك أخاه ايازا فى بلخ ولما سمع أن عمه عماد الدولة قاورد قام يدعى السلطنة وقصد الاستيلاء على الرى وبلاد الجبل وصل على عجل الى الرى وتواجه بعون من الأمراء العرب للحلة والموصل مع جند قاورد على كثب من همدان وتغلب عليه فى النهاية وأمسك بقاورد وقتله ليلا بمشورة نظام الملك لكنه ترك كرمان وبقيت كرمان وعمان وسواحل البحر يتوارثها أفراد أسرة قاورد حتى (٥٨٣هـ) وتسمى هذه الأسرة بسلاجقة كرمان •

فتوحات ملكشاه : ـ

قبل أن يصل ملكشاه الى السلطنة أى حينما كان مشغولا بالحرب فى الجزيرة وأرمنية مع أبيه أرسل أحد أمرائه الترك الخوارزميين واسمه اتسز (اتسيس) بجند لمهاجمة الشام وفلسطين وكانت تحت امرة المستنصر الفاطمى • وهاجم أتسز فى (٤٦٣هـ) بيت المقدس وحصر دمشق لكنه فشل فى أن يفتحها فى هذه الآونة ، وكان حتى (٤٦٨هـ) يجدد هجومه عليها كل عام حتى أخرج دمشق فى السنة الأخيرة عن يد عامل المستنصر • وهاجم فى السنة التالية مصر وحاصر القاهرة ، لكنه لم يحقق شيئا بسبب ظلمه الناس واجحافه بهم ومدافعة الجنود الفاطميين وعاد منهزما الى الشام •

وفى (٤٧٠هـ) ولى ملكشاه أخاه تتش الملقب بتاج الدولة الشام

وأجاز له أن يضم الى حوزته كل ما يفتحه من بلادها • فحاصر تاج الدولة حلب أولا ، ولما قدم فى ذاك الوقت قائد الجيش الفاطمى الى الشام لدفع أتسز الخوارزمى وحاصر دمشق أتى تتش لعون أتسز وهرب المصريون عند سماع هذا الخبر • ولم يسمح أتسز لتتش أن يدخل دمشق وخرج هو ليلاقيه خارج أسوارها ، فغضب تتش لهذا وقتل أتسز واستولى على دمشق فى (٤٧٢هـ) وأسس أسرة سلاجقة الشام(١) •

وفى نفس عام (٤٧٢هـ) استخلص أمير الموصل العقيلى شرف الدولة مسلم بن قريش حلب من قبضة آخر أمراء بنى مرداس وقضى على هذه الأسرة • وجعل ملكشاه حلب تبعا لأمير الموصل • أما شرف الدولة لما سمع فى (٤٧٦هـ) أن تتش تحرك من بغداد بجيش ضخم بقصد السيطرة على أنطاكية بأمر من ملكشاه أصيب بالهلع من أجل ملكه فاستمد الخليفة الفاطمى بمصر لكى يخلص دمشق من قبضة السلاجقة لكنه فشل فى تحقيق ما يريد واضطر الى أن يعود الى بلاده عندما بلغته أنباء الاضطرابات فيها • فأرسل ملكشاه جندا من بغداد وديار بكر الى الجزيرة لتأديب شرف الدولة هذا العقيلى ، ومع أن جنده هزم أمير الموصل وحصره الا أن ملكشاه صالح شرف الدولة بسبب اضطرابات خراسان وعصيان أخيه تكش وأبقاه أميرا على بلاده كما كان •

---

(١) كان أول اتصال السلاجقة بالشوام لما دخل هرون بن خان السلجوقى بلاد الشام فاستعان به عطية بن مرداس ملك حلب ومحمود بن شبل الدولة المرداسى فى الصراع الدائر بينهما لملك حلب . ومع أنه تأسس فرع للسلاجقة فى الشام بيد تتش بن ألب أرسلان الا ان الخلافات بين القواد السلاجقة نشبت فلم يتسم حكمهم مثل اخوانهم فى الشرق بالقوة والتماسك . انظر بعض هذا الصراع كصراع تتش صاحب دمشق وبوزان متملك الرها وحران ، وآقسنقر صاحب حلب من ناحية اخرى (٤٨٧هـ) وقتال رضوان بن تتش وأخيه دقاق وسمكان بن أرتق وما يتعلق بهرون السلجوقى « زبدة الحلب » لابن العديم (تحقيق سامى الدهان دمشق / ١٩٥١) • ح ٢٨٧/١ — ٩٧ ، ١١١/٢ — ٧) •

فتح أنطاكية فى ٤٧٧هـ : ـ

كان ملكشاه قد فوض فى (٤٧٠هـ) حكومة ولايتى قونية وآق سرا من بلاد آسيا الصغرى اللتين فتحهما الأتراك السلاجقة الى سليمان ولد شهاب الدولة قتلمش بن اسرائيل السابق الذكر ابن عم طغرل الأول وجغرى وسليمان هذا مؤسس شعبة سلاجقة الروم •

وهاجم سليمان بن قتلمش فى (٤٧٧هـ) ميناء أنطاكية الذى كان البيزنطيون قد استولوا عليه منذ عام (٣٥٨هـ) ففتحه باسم ملكشاه وزاد به حوزة ملكه وقد أوسع فتح أنطاكية من حدود دلوة السلاجقة ووصل بها الى شاطىء البحر المتوسط غربا • وبعد فتح أنطاكية طلب شرف الدولة العقيلى من سليمان قتلمش أن يؤدى اليه الخراج السنوى الذى كان يدفعه له أمير أنطاكية المسيحى من قبله فرفض سليمان طلبه هذا ، فاشتعلت الحرب بينهما وقتل شرف الدولة بيد سليمان •

فتح حلب فى ٤٧٩ هـ : ـ

كانت حلب تقع حدا فاصلا ما بين بلاد تاج الدولة تتش مالك دمشق ومؤسس شعبة سلاجقة الشام وسليمان بن قتلمش أمير قونية وآق سرا وأنطاكية ومؤسس شعبة سلاجقة الروم وكانت حلب تحسب كما قلنا من بعد زوال العقيليين تبعا للموصل • وأراد سليمان بن قتلمش أن يضم اليه حلب بعد فتحه أنطاكية الا أن أهلها دعوا تتش ليملك بلدهم فنشبت الحرب بهذا بين القائدين السلجوقين وقتل سليمان فى صفر من (٤٧٩هـ) بيد تتش ودخلت حلب فى طاعته(١) •

---

(١) فى تفاصيل صراع مسلم بن قريش صاحب حلب وسليمان بن قطلمش وانهزام الأخير وقتله وقتال تتش لسليمان وقتل الأخير ، وكانوا فى غنية عن هذا التقاتل والتفرغ لقتال البيزنطيين انظر ابن الاثير فى الكامل ج (١٠) ص (٦٠) •

وقصد السلطان ملكشاه فى نفس عام (٤٧٩هـ) فى شهر جمادى الآخرة من أصفهان الجزيرة والشام ومنها عن طريق الموصل بلاد وادى الفرات الأعلى فاستولى على بعض قلاع هذه المنطقة الذى كان لا يزال فى يد الروم ثم أتى حلب فأخلاها تتش قبل أن يبلغها أخوه ويمم شطر الشام وعاد السلطان الى بغداد •

فتح ما وراء النهر فى ٤٨٢هـ : —

حينما قتل ألب أرسلان وعاجل ملكشاه الى الرى لدفع قاورد اغتنم الملك خاقان توران الفرصة فهاجم خراسان وتملك مدينة ترمذ فى ربيع الآخر من (٤٦٥هـ) وطرد ايازا أخا ملكشاه عن بلخ لكن بعد قليل بسبب الخلافات التى استعرت بين أفراد الخانيين وعودة ملكشاه من العراق وتقدمه نحو سمرقند أجبر شمس الملك على قبول الصلح •

وفى أيام حكم أحمد خان ابن أخ شمس الملك الذى كان شابا ظالما متعديا قدم الى ملكشاه جماعة من رجال الدين مما وراء النهر يشكون اليه ظلم حاكمهم ودعوا السلطان ليأخذ بلادهم (٤٨٢هـ) • فترك ملكشاه يرافقه نظام الملك أصفهان الى خراسان وهاجم بعد جمعه جيشا ما وراء النهر فابتدأ بضم بخارى ثم حاصر سمرقند واستولى عليها بعد قليل وأمسك بأحمد خان واحتفظ به أسيرا وأناب فيها أحد عماله ثم ألحق بسمرقند مدينة أوزجند وجاء أمير خانية كاشغر وقبل أن يخطب ويسك عملته فى بلاده باسم السلطان •

وفى نفس رحلة ملكشاه المشهورة هذه الى ما وراء النهر وكاشغر ، كتب الوزير نظام الملك لكى يظهر اتساع البلاد السلجوقية أجرة ملاحى جيحون على خراج أنطاكية أولا ، ثم اصطحب رسول الامبراطور البيزنطى معه الى حدود كاشغر لكى يؤدى فيها الخراج المقرر الذى كان يدفعه البيزنطيون بعد فتح ملازكرد سنويا

للسلاطين السلاجقة وكان يأتى مبعوثهم الى أصفهان ليؤديه ، ليقول الناس ان امبراطور الروم سلم الخراج السنوى للسلطان السلجوقى فى كاشغر .

وفى عودة ملكشاه الى خراسان ثار الأتراك الجكليون الذين كانوا يعيشون فى خدمة ملكشاه وأقاموا فى سمرقند تحت رئاسة عين الدولة بسبب عدم صرف مرتباتهم اليهم ودعوا الأمير الخانى لفرغانة يعقوب تكين الذى كان أخا خان كاشغر الى سمرقند ، فأتاها يعقوب تكين وقتل عين الدولة واستولى عليها .

وعاد ملكشاه عند سماعه هذه الأخبار من خراسان على وجه السرعة الى ما وراء النهر ولما بلغ بخارى هرب يعقوب تكين من سمرقند وتخلى عنه جنوده فاضطر الى اللجوء الى أخيه أمير كاشغر . وأمر السلطان أمير كاشغر بتسليم يعقوب تكين وقال انه اذا عصى أمره هذا فسوف يهاجم بلاده . فسير خان كاشغر أخاه الى السلطان الا أن حراسه لما سمعوا فى الطريق أن خان كاشغر قد أسره أحد الثوار فكوا عقال يعقوب تكين . ورأى ملكشاه أن مصلحته فى أن يدع يعقوب تكين فأمر وزير زوجته تركان خاتون(١) التى كانت ابنة طمغاج خان ابراهيم وعمة أحمد خان خاقان سمرقند وهو تاج الملك أبو الغنايم مرزبان ابن خسرو فيروز الشيرازى باصلاح أمر يعقوب فأنهى الملك هذه المأمورية بنجاح وأدخل يعقوب تكين فى طاعة السلطان وعاد الى أصفهان .

الاسماعيلية وظهور الدعوة الجديدة : ـ

الاسماعيلية قوم من شيعة آل على كانوا يعتبرون اسماعيل الامام

---

(١) تلفظ كلمة (تركان) وهى تركية بمعنى السيدة والملكة (تركن) بكسر التاء والكاف (سياقى) أما خاتون فعند أغلب أصحاب المعاجم أنها فارسية بمعنى السيدة ودخلت العربية وجمعت خواتين الا أن ارمينيوس فامبرى رأى رأيا آخر فى كتابه (تاريخ بخارى) وهو ان الكلمة تركية مستمدة من الأصل (خت) بمعنى الخلط والادغام (ص ٣٩) .

السابع وليس الامام موسى الكاظم أخاه من بعد موت الامام جعفر الصادق الامام السادس وكانوا يقولون ان اسماعيل مستتر والأئمة من بعده مستورون وسوف يظهرون حين يقتضى الوقت الصلاح ، ولهذا سميت هذه الجماعة من الشيعة الاسماعيلية لأنهم يقولون بامامة سبعة أئمة وحسب كما سموا بالسبعية أيضا • وفى باب الامام يعتقد الاسماعيلية انه لما كان العقل البشرى غير كاف لمعرفة اللـه فلابد من امام يطلع الناس على هذه المعرفة كالمعلم يعلم الناس ولهذا سمى الاسماعيليون بالتعليمية أيضا • وفى خصوص الشريعة اعتقد الاسماعيلية أن للاسلام ظاهرا وباطنا واذا تعقب المرء باطن الشريعة وأهمل ظاهرها فليس عليه مسئولية ، ولهذا فقد كانوا يتأولون غالب أحكام الشريعة على وجه من الوجوه وجعلوا لكل عبادة وغيرها معنى باطنيا فسموا لهذا بالباطنية أيضا •

وانتشر دعاة المذهب الاسماعيلى ومبلغوه فى جميع البلاد الاسلامية بعد اسماعيل بن جعفر الصادق ودعوا الناس فى الشرق والغرب • وأهم تقدم لهم قبل تزايد قوة الفاطميين فى افريقيا هو قيام القرامطة الذين ظهروا فى (٢٧٨هـ) واستولوا على كثير من مدن العراق والشام والبحرين وأخذوا مكة وظلوا فترات أسباب ايذاء مسلمى هذه النواحى وسفك دمائهم (١) •

---

(١) انتشرت الدعوة القرمطية بين فلاحى السواد الجهلة الذين كانوا يئنون من جشع الجباة واستغلال الملاك وبين البدو الذين كان فقدهم مضرب المثل . واشاع دعاة القرامطة انهم علويون مع انهم خالفوا الاسلام عقيدة وسلوكا وركزوا على فقر الناس لاثارتهم على الحكم العباسى ، ويظهر هذا فى دعوة أول داعى لهم بالعراق القائلة (أمرت أن أدعو أهلها (قرية قرب الكوفة) من الجهل الى العلم ومن الضلال الى الهدى ومن الشقاوة الى السعادة واستنقذهم من ورطات الذل والفقر واملكهم ما لا يستغنون به من التعب والكد) انظر تفاصيل مذهبهم فى الكامل لابن الاثير ٧/٨ــ١٧٩ ، ٨/٦٤) . وقد استطاعوا الاستيلاء على البحرين واستشرى خطرهم بقيادة طاهر القرمطى الذى سلب الحجاج وفى (٣١٧هـ) دخل واصحابه المسجد

وفى ايران وما وراء النهـر مع ان الاسماعيليين فى أيـام امـارة الأمـير نصر بن أحمـد وبداية أمر ديالمة آل زيـار نفذوا فى الأجهزة الحكومية الا أنهم لم يستطيعوا أن يكونوا دولة لهـم بسـبب تـولى الأتراك الغزنويون المتعصبون والسلاجقة وعاش دعاتهـم وأشـياعهم لائذين بالجبال والقـلاع المحكمة وكانوا يبثون تعاليمهم من مخابئهـم الى الناس • أما فى الغـرب أو افريقية فقد حـازوا التقـدم خـلاف أمرهم فى الشرق وأسسوا فى تونس دولة فى (٢٩٦هـ) وحتى لا يشـتبه أئمتهم بعلويى ايران نسبوا أنفسهم الى فاطمة بنت الرسول صـلوات اللـه عليـه وسـموا أنفسـهم بالفاطميين ، وسيطروا كما مر شرحه تدريجا على مصر والقسـم الأعظم من الشام والجزيرة العربية وخطب لهم فى بغداد أيضا لمـدة عام فى عهـد أرسـلان البساسيرى •

وبعد موت المستنصر باللـه الخليفـة الفاطمى فى مصر (٤٢٧ — ٤٨٧هـ) قام النزاع بين ولديـه المصطفى لدين اللـه نزار والمسـتعلى من أجل الخلافة لأن المستنصر جعل نزارا خليفة له فى البداية لكنه نـدم بعد هذا الاختيار وولى المستعلى عهده وكان لكـلا الولدين أشـياع • وكان نتيجة هذا الاختلاف أن انقسـم الاسماعيليون قسمين : النزارية الذين التفوا حول نزار والمستعلوية الذين شايعوا المسـتعلى • ولـم يبلغ نزار الخلافة وغلبه أخـوه وأسره ومات فى أسره الا أن أتباعـه انتشروا فى الأرض ودعوا الناس اليهم • وسـميت دعـوة النزاريـة بالدعوة الجديدة • وكان اسماعيليو ايران الذين قاموا بالدعوة فيهـا من هذا الوقت فصاعدا كانوا جميعهم من النزارية ويدعـون أنهـم أبنـاء أحـد أبنـاء نـزار •

= الحرام وقتل الحجاج فيه وقلع الحجر الاسود وباب البيت وكسوته وطـرح القتلى فى بئر زمـزم ودفن الآخرين فى المسجد الحرام (الكامل ٨/٧٧) و (تاريخ بغداد للدورى ص ٧٤ — ٧٦) .

وفى أيام خلافة المستنصر ممن دخلوا الدين الاسماعيلى شخص اسمه الحسن بن الصباح من أهل الرى لا يعرف بالضبط أصله ونسبه(٢) .

وتنقل الحسن بن الصباح فى (٤٦٩هـ) بين الرى وأصفهان وآذربايجان والشام ثم سافر فى (٤٧١هـ) الى مصر ومكث بها سنة ونصف سنة ودخل فى جماعة تشايع خلافة نزار فنقل عقيدتهم الى الشرق وأخذ من أواخر (٤٧٣هـ) يدعو شعب ايران الى مذهب الاسماعيلية النزارية ، وفى السادس من رجب (٤٨٣هـ) استولى على قلعة (آلموت)(٣) فجعل منها مركز دعوته ومقر اقامته واحتفظ أتباعه غير هذه القلعة بحصون فى أكثر النقاط الجبلية التى يصعب الوصول اليها فى شمال وشرق ايران من آذربايجان حتى كرمان خاصة فى بلاد الديلم وقومس وقهستان ، وكان فى طوع الرؤساء الاسماعيليين وأمراء هذه القلاع جمع من الفدائيين الانتحاريين سموا بالفدائيين كان الاسماعيلية يستخدمونهم غالبا فى قتل أعدائهم الألداء من قادة الجيوش والقادة الدينيين والأمراء

---

(٢) جاء فى كتاب (سركذشت سيدنا) اى سيرة سيدنا (المراد به الصباح) الذى الف له أن اسمه هو الحسن بن على بن محمد ابن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميرى ، ويدعى الصباح نسبته العربية هذه فى قوله (أنا من أولاد الصباح الحميرى وكان آبائى فى الكوفة ثم انتقلوا منها الى قم وجاءوا الى الرى من قم) وقد رد نظام الملك الطوسى نسبته العربية ونسبه أهل طوس اليها ، ونسبه ابن الاثير الى الرى (انظر : حبيب السير : ج ٤ مجلد ٢ ص ٦٩ ، الكامل ١٩٩/١٠) .

(٣) الموت مخفف اله آموت أى اله آموخت اى تعليم العقاب ، فكلمة اله بالديلمية تعنى العقاب وسميت هذه القلعة بهذا الاسم لأن احد الأمراء الديالمة الذى يهوون الصيد تعقب يوما عقابه للصيد فوقف العقاب على موضعها ، ورأى الأمير هذا الموضع مناسبا لبناء قلعة فسميت بسبب ارشاد العقاب اليها آله آموت والموت . أما تفسير معناها نعش العقاب فخاطىء (سياقى) . زعم خواندمير (حبيب السير ج ٤ مجلد ٢ ص ٧٢) ان معناها وكر العقاب ، وكلمة (اله) كلمة فارسية وجدت فى البهلوية أيضا ومعناها النسر والعقاب .

والملوك ، وقد ولدت أعمالهم فزعا شديدا فى سائر البلاد السلجوقية ، خاصة أنهم كانوا يستغلون بعضا من الأمراء والسلاطين فى قتل أعدائهم ثم يشيعون من بعد ذلك أن من قتلهم هم الفدائيون الاسماعيليون(١) •

---

(١) ذكر نظام الملك فى (وصاياه) كما أورد حبيب السير : (كان اسم والد حسن الصباح عليا وكان رجلا ذا عقيدة خبيثة ومذهب سيء يبدى الزهد ويعيش بالرى ، وكان الامام الموفق النيسابورى من اكبر علماء خراسان طبقت شهرته الآفاق واشتهر عنه أن أى تلميذ يأخذ عنه قراءات القرآن والحديث لا محالة من أن يبلغ المجد والحكم لذلك أرسل على هذا بابنه الحسن الى نيسابور ومكنه من التفرغ الى العلم عند الموفق ليرفع عنه سوء مظنة الناس به) . ومع أنه قد ثبت انتحال هذه الوصايا على نظام الملك ، فقد انطلق خواندمير صاحب حبيب السير من أن الصباح أخذ عن الموفق موردا قصة طويلة مفادها أن نظام الملك وعمر الخيام وحسن الصباح تتلمذوا جميعا على هذا الشيخ وكان الثلاثة أصدقاء فأقسموا على انه اذا وصل أحدهم الى مركز رفيع فى الدولة فعليه أن يساعد زميله . ولما صار نظام الملك وزيرا للسلاجقة اتصل به الخيام وذكره بالميثاق فأجرى عليه معاشا بلغ عشرة آلاف ثم جاءه الصباح فعرض الوزير عليه حكومة الرى أو أصفهان فلم يرض بأحداهما وطلب منصبا رفيعا فى البلاط فأدى له ما أراد لكن الصباح أخذ يدس الى نظام الملك للايقاع به وتولى الوزارة مكانه فلما انكشف أمره آثر الهرب الى خراسان فأصفهان فى شهور عام (٤٦٢هـ) وتلاقى بعبد الملك بن العطاش داعية الاسماعيلية فى الرى الذى سيره الى مصر فاتصل بالمستنصر الفاطمى لكن الصباح لم يرض باستخلاف المستعلى دون نزار ولى العهد الى آخر تاريخ الحسن بن الصباح . وما يهمنا هنا أن قصة زمالة الخيام والصباح ونظام الملك برغم تسليم رشيد الدين فضل الله صاحب كتاب جامع التواريخ بها محض خرافة وضرب من الوهم لأن الخيام والصباح ماتا بين على (٥١٧ ، ٥١٨هـ) وولد نظام الملك عام (٤٠٨هـ) ومات (٤٨٥هـ) ولم يبلغ الصباح والخيام المائة من العمر ، فان جاز أن الثلاثة قد تعاصروا ورأى بعضهم الآخر لكن الثلاثة لم يتزاملوا فى حلقات الدرس فى الشباب فى سن واحد .

(انظر حبيب السير مجلد ٢ جـ ٤ ص ٦٩ — ٧٢) . وانظر فى أخبار الصباح : الكامل : جـ ١٠ ص ١٩٩ ، ١١٨ ، ١٦٢ — ٣ ، حبيب السير مجلد ٢ جـ ٤ ص ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، وفى مراتب الحشاشين ووصف جنتهم المزعومة : تاريخ الأدب فى ايران لبروان . ترجمة د. ابراهيم الشواربى (مصر ١٩٥٤) ص ٢٥٢ — ٦ .

قتل نظام الملك فى العاشر من رمضان ٤٨٥هـ : —

ولما شاخ نظام الملك فى أواخر ملكشاه وجعل أبنـاؤه العـديدون ورجاله ومعتقلوه يديرون القسـم الأساسى لأمور الدولة عنه وكانـوا ينحرفون عن جادة الانصاف والعدل فى كثير من الأحيان يدفعهم نفـوذ نظام الملك الخارق وخدمـاته السابقة الكثيرة فى بلاط السـلاجقة كمـا كانوا يستبدون بالأمور ويتحكمون فى الناس ، فاستوحش ملكشـاه من نظام الملك وأولاده وأتباعه وأوسع قوم من الوزراء التابعـين وعمـال الديوان الظاهرين والذين كانوا يعتقدون أن وجود نظام الملك ونفـوذه وأولاده يحولون دون ترقيتهم من دائرة الشقاق والخلاف بين السلطان والوزير وكـانوا دائمى السـعى الى تحطيم شـأن أسرة نظام الملك .

ومن وزراء بلاط ملكشـاه الـذين سـعوا أكـثر من غـيرهم فى استئصال نظام الملك ثلاثة هم تاج الملك السابق الذكر الذى كانت لـه فى هذا الأوان وزارة تركان خاتون زوجة ملكشـاه ورئاسة ديـوان الطغراء والانشاء السلطانيين ، ثم مجـد الملك أبو الفضل أسـعد ابن محمـد القمى رئيس ديوان الاسـتيفاء وثالثهم سديد الملك أبو المعالى المفضـل ابن عبد الرازق رئيس ديوان عرض العسـكر . وفضلا عن ذلك فقـد تحالفت مع هؤلاء لثلاثة المخالفين تركان خاتون التى كانت تبغى خـلافة ابنها الصغير محمـود لأبيه السـلطان وكان نظام الملك يمـانع ذلك ، فكانت هذه السـيدة تسـعى الى تنصيب تاج الملك الشـيرازى مكانه ، فيمكن لابنهـا بهـذا أن يصـل الى السـلطة .

ومع أن ملكشـاه كان يميـل قلبا الى أن يقصر يد نظـام الملـك وأبنائه وأتبـاعه عن الأمـور لما تقتضيه مصلحة الملك الا أنه لـم يكن بمكنته أن يقـوم بهذا جهرا مغبة تولد الفتن خاصة أن جماعة من الجند كانت تحمى باخلاص نظـام الملك وأولاده وكانت طائفة منهم تسـمى

الغلمان النظامية على أهبة أن تشعل نيران الفتنة والثورة عند أى معاملة سيئة تجوز عليهم •

وفى السنة الأخيرة من سلطنة ملكشاه ثار النزاع ما بين شحنة مرو وكان من خاصة غلمان السلطان وشمس الملك عثمان أحد أبناء نظام الملك ، فأرسل السلطان على اثر شكاية هذا الشحنة تاج الملك ومجد الملك اليه برسالة كتب فيها : (اذا كنت شريكى فى الملك فهذا حكم آخر واذا كنت تابعى فلماذا لا تراعى حدك ولا تؤدب أبناءك وأتباعك الذين تسلطوا على الدنيا حتى أنهم لا يراعون حرمة عبيدنا ، آمر لو أحببت أن يأخذوا الدواة منك) فغضب نظام الملك لهذه الرسالة وقال : (قل للسلطان ألا تعلم أننى شريك لك فى الملك وقد بلغت هذه المرتبة بتدبيرى ، وألا تذكر أنه لما قتل السلطان الشهيد ألب أرسلان كيف جمعت أمراء الجيش وعبرت بهم جيحون وفتحت لك المدن وسخرت أقطار الشرق والغرب ؟ ان دولة ذلك التاج انعقدت على هذه الدواة ، فاذا خلعت هذه الدواة خلع ذلك التاج) •

فزاد ملكشاه حنقا على حنق لاجابة نظام الملك هذه وكانت حقا شديدة الجفاء ، خاصة وأن موصلى الرسالة عكروا من الماء الصافى ما وسعهم ذلك فوق ذلك الا أن السلطان مع كل هذا لم يقدم على عزل نظام الملك ويبدو أنه كان يرقب فرصة أفضل يقوم فيها بدفعه بطريقة أخرى •

وتحرك ملكشاه فى نفس هذا التاريخ من أصفهان متجها الى بغداد وكان نظام الملك فى ركبه أيضا •• وفى سهول كرمانشاه تقدم شاب فى لباس الصوفية الى نظام الملك بالتماس فطعنه فى العاشر من رمضان (٤٨٥هـ) مات على اثره نظام الملك ، واشتهر أن القاتل كان من فدائيى الاسماعيلية أقدم على قتل نظام الملك باغواء تاج الدولة •

وقد عد الغلمان النظامية وأتباع نظام الملك قتله بتحريض تاج

الملك الشيرازى ورضاء السلطان الخفى به ، فأسروا حقدهم على هـذا الوزير والسلطان وصمموا على أن ينتقمـوا منهمـا حينمـا تسـنح الفرصـة المناسـبة .

دخل نظـام الملك وكان فى أصـله من أبناء دهاقنة ولايـة بيهـق (سبزوار)(1) لكنه نال تعليمه فى طوس فى خدمة عامل بلخ بعد تحصيله الأدب والفقه ، فعرفه عامل بلخ هذا على ألب أرسلان فاستوزره هـذا الأمير وكان يقيم آنذاك فى خراسان أميرا عليها من قبل طغرل خلفا لوالده جغرى بيك ، وقد اختاره ألب أرسلان فى الثالث عـشر من ذى الحجـة (٤٥٥هـ) كما رأينا وزيرا للدولة السلجوقية بعد قتل عميد الملك الكندرى ، وظل نظام الملك من هذا الوقت حتى قتله مدة تسع وعشرين سنة وسبعة أشهر وبضعة أيام السيد الكبير أو سيد الوزراء ، وكان حـل الأمـور وعقدها فى هذه الدولة السلجوقية العظيمة الواسـعة التى امتـدت من كاشغر شرقا حتى أنطاكية غربا يتم بكفاءته وسياسته . وكانت ولادتـه فى عـام (٤١٠هـ) .

كان نظام الملك أشهر الوزراء الايرانيين بعد الاسلام لأنه كان فضلا عن حنكته وحسن ادارته رجلا دينا زكى السـيرة كثير الخير والبركة وقد خلف عنه كثيرا من الأعمال الخيرية وأقدم فى غالب بلاد المسـلمين بانشاء المسـاجد والمدارس من بينها المدارس التى بناها فى طـوس وهـراة ونيشـابور وبغـداد والتى سميت بالنظـامية وكان أكبرهـا شـهرة

---

(١) سبزوار قصبة ولاية بيهق ، يقول حافظ آبرو ضـمن وصـفه لخراسان (ولاية بيهق كانت فى الاصل بيهه أى بهتر (ومعـناها الفضـلى) وعربت بيهق وهذه الناحية مـن توابع نيشابور وكانت قصبة بيهـق فى أول الأمر (خسروكرد) ولكنها صارت الآن سبزوار) وحافظ آبـرو من مـؤرخى القرن التاسع الكبار وعاصر تيمور الكوركانى وابنه شاهرخ وأشهر آثـاره فى التاريخ والجغرافيا هو زبدة التواريخ ، والنص الذى أوردناه عن كتـاب معين الدين الاسفزارى روضات الجنات فى أوصاف مدينة هـراة (تهـران ١٣٣٨هـ) ص ٢٧٢ .

نظامية بغداد . وقد أبقت ابنيته الأخرى فى أصفهان وبغداد والبلاد الأخرى اسم نظام الملك حيا مدة ، ونظم الشعراء قصائد فى مدحه وألف العلماء والفضلاء الكتب باسمه(٢) .

ولم ينته نفوذ نظام الملك فى بلاط السلاجقة بقتله لأن أبناءه وكانوا كثرة بلغوا فى أيام أولاد ملكشاه والسلاطين السلاجقة الآخرين الوزارة والوظائف الديوانية الهامة مرارا وظل حالهم هذا قائما حتى آخر عهد السلاجقة .

موت ملكشاه فى منتصف شوال (٤٨٥هـ) :

بلغ ملكشاه بغداد من كرمانشاه بعد قتل نظام الملك فى الرابع والعشرين من رمضان ، وفوض تاج الملك فى الوزارة خلفا لنظام الملك ، وبعد قليل أى فى منتصف شوال من هذا العام دس له السم بنحو لم يعلمه أحد ، ويبدو أن هذا الفعل قد تم بيد الغلمان النظامية وأتباع نظام الملك الذين كانوا يعتبرون السلطان مساهما فى قتل سيدهم . ولما مات ملكشاه لم يتأثر بموته الناس كثيرا ولم يعتبروا موته بعد قتل نظام الملك أمرا كبير الاهمية .

ملكشاه أعظم سلاطين السلاجقة بكل مقياس ، بلغت دولتهم فى عهده منتهى وسعتها وعظمتها فقد كان يخطب له من حدود الصين حتى البحر المتوسط ومن شمال بحيرة خوارزم وصحراء القبجاق حتى ما وراء اليمن ، وكان امبراطور البيزنطيين والأمراء

---

(٢) ونظام الملك فوق انه سياسى بارع ووزير كفء مؤلف أديب من آثاره كتابه (ساسيتنامه) الذى اداره على كيفية تدبير الملك واحتذاء العدل واستقصاء حال الوزراء والكتاب والقضاة واختيار العيون ومشاورة العلماء ، فضلا عن فضحه معتقد الحشاشين والباطنيين ومن سبقهم من الخارجين على الدين والحكم ، وقد أثار عليه الحشاشين الذين هم فى الأغلب المسئولون عن قتله .

المسيحيون فى بلاد الكرج والأبخاز يعطونه الجزية ، كما كانت أصفهان فى عهده وعهد نظام الملك من أهم بلاد الدنيا واحدى مدنها الفائقة العمار • وقد عمر هذا الملك ونظام الملك والعمال والأعيان السلاجقة غيرهما فى هذه المدينة كثيرا من الأبنية ما يزال بعض آثارها قائما الى اليوم • ويدين ازدهار حكم ملكشاه وكان هو نفسه ملكا كافيا متدينا عادلا الى كفاءة نظام الملك كما سبق القول وكفاءة أولاده وان كان للسلطان غيرهم أيضا وزراء وعمال ديوان كان أكثرهم خبيرا فى عمله ذا كفاءة ويؤدون أعمالهم تحت يدى نظام الملك • وأشهر هؤلاء كمال الدولة أبو الرضا فضل الله بن محمد الزوزنى الذى كان رئيس ديوان الانشاء والاشراف حتى (٤٧٩هـ) وكان ابنه الفاضل سيد الرؤساء أبو المحاسن محمد معين الملك ينوب عنه فى عمله هذا • وفى (٤٧٦هـ) عزل السلطان كمال الدولة وسيد الرؤساء ، وفوض عملهما لاثنين من منشئيه ثم الى تاج الملك الشيرازى الفارسى وظل الأخير فى هذا المنصب حتى قتل نظام الملك •

ومن الوزراء المشهورين لملكشاه شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمى الذى كان يترأس ديوان الاستيفاء وكان أبو الفضل محمد مجد الملك القمى ينوب عنه فى عمله ، ثم نصب مجد الملك هذا فى منصب شرف الملك بعد ذلك على نحو أن أغلب الأمور الهامة فى أواخر أيام ملكشاه كانت بيد تاج الملك ومجد الملك وسديد الملك العارض أو رئيس ديوان عرض العسكر وكان ثلاثتهم يعادون وينفسون على أسرة نظام الملك ، وقد كان استيلاء هذه الجماعة على الأمور بدلا من كمال الدولة وشرف الملك ونظام الملك أحد أسباب ظهور الانشقاق والخراب فى الأعمال والأمور الحكومية •

ومن أعمال ملكشاه المشهورة اقدامه على اصلاح التقويم وترتيبه فى أصفهان (٤٦٧هـ) وقد اشترك فى هذا العمل كذلك

الحكيم والشاعر العالى القدر أبو الفتح عمر بن ابراهيم الخيام النيشابورى(١) • وهذا التقويم هو الذى اشتهر بالتقويم الجلالى(٢) •

٤ — ركن الدين أبو المظفر بركيارق
(٤٨٥ — ٤٩٨هـ)

ولما مات ملكشاه أخفت تركان خاتون وتاج الملك نبأ وفاته وواثقوا أمراء الولايات سرا وأخذوا عهدهم بسلطنة محمود الابن الصغير لملكشاه الذى كان يبلغ عمره أربعة أعوام وبضعة شهور وقبل الخليفة المقتدى أيضا باصرار من تركان خاتون أن تكون السلطنة له • واختير تاج الملك فى وزارة محمود والأمير أنر من أمراء ملكشاه لقيادة جيشه •

أما الابن الأرشد لملكشاه وهو بركيارق(١) وأمه زبيدة خاتون ابنة ياقوتى بن جغرى بيك فقد كان مقيما بأصفهان عند وفاة أبيه •

---

(١) الخيام المتوفى عام (٥١٧هـ) لا يشتهر فى التراث الفارسى شاعرا بقدر انه عالم رياضى وفلكى وطبى وفلسفى ، وكتب مؤلفاته فى هذه العلوم بالعربية والفارسية . من جملة رسائله العربية رسالات فى الطبيعيات والمعراج ورسالة الجبر والمقابلة ولوازم الامكنة فى اختلاف هواء الأقاليم ورسالة فى حل مسألة جبرية ذكر فيها من بين واحد وعشرين قسما المعادلات الجبرية . ومن آثاره الفارسية نوروزنامه ورسالة وجودية وغيرها . ولو صح أنه نظم بضع رباعيات فى أفكار له فلسفية فمن المحقق انتحال أغلب الرباعيات المشهورة عليه . راجع ما كتبه عنه ادوارد براون فى كتابه تاريخ الأدب فى ايران ترجمة الدكتور ابراهيم الشواربى (مصر / ١٩٥٤)

(٢) شارك الخيام وبضعة علماء فى اصلاح التقويم الشمسى الذى كان معمولا به قبل عهده وفى عهد ملكشاه وكان بحسبه يتحول الاعتدال الربيعى والنيروز وهو أول شهر (فروردين) من شهور السنة الايرانية من هذا الشهر الى ما بعده أو غيره ، فأصبح وفق التقويم الجديد الشهر يضم ثلاثين يوما ، ثم يضاف الى آخر اسفندماه الشهر الأخير خمسة أيام هى المسترقة ويزاد كل أربعة أعوام يوم ، وصارت مواقيت الفصول الأربعة بهذا الشكل ثابتة لا تتغير .

(١) بركيارق كلمة تركية بمعنى الشديد اللمعان .

وألقت تركان خاتون ببركيارق هذا فى سجن أصفهان لعلمها أن وجـوده ســوف يحـول دون سلطنة ابنها • ولما علم الغلمان النظامية فى أصفهان بخبر تنصيب محمود فى الســلطنة واختيار تاج الملك لوزارتــه هاجـوا وماجوا وأخرجـوا بركيارق من الســجن ورفعوه الى الســلطنة ثـم ذهبوا معــه الى رئيس مدينة الرى أبى مســلم السروشيارى صــهر نظــام الملك •

أما تركان خاتون وتاج الملك ومحمود فقد أتوا أصفهان فاســتولوا عليها وجمعوا جيشا وقصدوا منازلة بركيارق • ووقعت الحــرب بــين الفريقين فى أواخر ذى الحجة من (٤٨٥هـ) على مقربة من بروجرد وكان النصر لبركيارق فهربت تركان خاتون الى أصفهان وتعقبهــا بركيــارق فحصرها فى أصــفهان •

وهرب تاج الملك أثناء معركة بروجــرد أولا لكنــه وقــع أســيرا وأتى به الى بركيــارق وهو يحاصر أصفهان • وكان بركيارق يــود أن يبقى له الــوزارة مقابل مائتى ألف دينار الا أن النظامية أعــداء تــاج الملك الذين كانوا يكرهــون أن تخــرج الوزارة عن عائــلة نظــام الملك ثاروا ثانية وأفهمــوا الســلطان أنهــم لن يكفــوا عن ثورتهــم الا اذا تســلموا رأس تاج الملك وفى النهــاية انســالوا على تاج الملك فى الثانى عشر من المحــرم من (٤٨٦هـ) ومزقــوه اربــا ولم يبــلغ عمره وقتهــا الســابعة والأربعــين •

وتملك بركيارق أصفهان بيسر وتغلب عــلى أعــدائه تغلبــا تامــا وخلف أبــاه رســما وأعطى وزارتــه لأحــد أولاد نظــام الملك وهــو عز الملك حســين وكان بأصفهان آنــذاك •

حــروب بركيارق لطالبى ســلطنته : ــ

صار بركيــارق فى بداية ســلطنته أســيرا لمشــاكل من ادعــوا الســلطنة غير تركان خاتون وابنهــا محمــود وكان أقواهم تاج الدولة

تتش أمـير الشـام • فبعـد أن سـمع تتـش بمـوت أخيـه نهض مخالفا ابنـه فاستخلص أولا حلـب وأنطاكيـة والرهـا من أمرائهـا السـلاجقة وأدخلهـم تحت طاعتـه ثـم اتجـه الى فتـح الموصـل وأخرجهـا عن يد صاحبها الأمـير العقيلى ثم سـيطر بعـدها عـلى دياربكر وآذربايجان لكنه أجبر عـلى العـودة الى الشـام لأن أمـراء حلب والرهـا قد انحـازوا الى بركيـارق •

وكانت آذربايجـان آنذاك تحت حكم اسـماعيل بن ياقوتى خـال بركيـارق ، وزينت تركان خاتون زواجها باسـماعيل مخادعة له فقـام هذا بثورته على ابن أخيـه ، غير أن أصـحاب بركيارق هزمـوه وألجأوه الى الفـرار الى أصفهان ، وسـكت تركان خاتون اسـمه بعد اسـم ابنها محمـود وكانت تريد الزواج به لكن أمـراء بركيـارق علمـوا أن اسـماعيل يروم السـلطنة وقتـل السـلطان فقتلوه ولم تجد أختـه زبيـدة خاتون التى كانت تحميـه حتى وقتذاك الا السكوت والصمت •

وقدم بركيـارق وعـز الملـك فى السـابع عشر من ذى القعـدة (٤٨٦هـ) الى بغداد ونادى به الخليفة المقتدى فى الرابع عشر من المحـرم سـلطانا ولقبه بركن الدين وشـاءت ارادة اللـه تعـالى أن يمـوت الخليـفة فى اليـوم التـالى ، وصـدق خليفتـه المسـتظهر سـلطنة بركيـارق أيضـا •

وفى شـهر جمادى الأولى من هـذا العـام حمـل تتـش عـلى حلب وقتـل الأمراء الذين كانوا وافقوا بركيارق ثم أعاد سيطرته عـلى حلب والجزيرة ودياربكر وآذربايجان وهمـدان • وفى همـدان بـلغ فخـر الملك أبو الفتح مظفـر ابن نظـام الملك الأرشـد خدمتـه فرفعه تتش الى وزارته ناظرا الى ميـل عامة الشعب الى أسرة نظام الملك •

وأتى بركيارق فى شـوال (٤٨٧هـ) الى بلاد الأكراد لمحاربة عمـه تتش عن طريق الموصـل لكنه هـزم من عمـه فارتد هاربا الى أصفهان •

وهم أهل أصفهان وأتباع أخيـه محمود الى أن يعمـوا بركيارق ويجعلوا مـن محمـود سلطانا لكن من حسـن حظ بركيـارق أن محمـودا كان مريضـا يومذاك وكانت تركان خاتون قد لقيت حتفها ، ومات محمـود فى ذاك الوقت وخلص بركيارق من العـذاب الذى كان يأتيه من ناحيته .

وقد مادت سلطنة بركيارق فى ذاك التاريخ بشـدة لأن تتـش قد بلغ من القـوة مبلغا عظيما حتى أن المسـتظهر قرر أن تكـون خطـبة السـلطنة له من ناحية ، كما أن عز الملك وزير السـلطان قـد وافـته منيتـه فى الموصـل قبل تحرك بركيـارق لقتـال تتش ولم يكن يوجد من يستطيع أن ينظم عقد الأمور المنفرط من ناحيـة ثانية .

واختار بركيارق بعـد عودته الى أصفهان الابن الثانى لنظام الملك مؤيد الملك شـهاب الدين أبا بكر عبيد الله الذى كان هـرب لتـوه من فتنة خراسـان وقدم الى أصفهان لوزارته ، وسرعان ما أقام مؤيد الملك الذى كان أكفأ أبنـاء نظـام الملك ومن الـوزراء الفضـلاء المجـربين السـلاجقة السـلطنة المزلزلة وأحكم بناءها ، وهـزم أكـبر أعـداء السـلطان وهو تتش نتيجة حرب وقعت فى صفر (٤٨٨هـ) على مقربـة من الرى ، وأصيب تتش بالقتـل فيهـا وكفى شـره .

وفى حـرب الرى وقع فخر الملك الأخ الأكـبر لمـؤيد الملك الذى كان وزيرا لتتش أسيرا مع الجنـد ، وكان يتشـوف لفـترات أن يكون وزير السـلطان ويصـل منصـب أبيه فتحالف مع أعداء أخيـه وهـم زبيدة خاتون أم بركيارق ومجد الملك القمى المسـتوفى . وقد حث هؤلاء السـلطان على عزل مؤيد الملك وتنصيب فخر الملك مكانه ، ومع أن فخر الملك بلغ الوزارة الا أن وزارته كانت اسما بلا مسمى لأن مجد الملك وزير زبيـدة خاتون ورئيس ديـوان الاسـتيفاء كان متسـلطا فى حقيقـة الأمـر على كل أمـور الدولة .

وفى بداية سـلطنة بركيارق أدخل أرسـلان أرغو أخـو ملكشـاه

وحاكم مرو خراســـان تحت امرتـــه وتغلب على أمـــراء بـــلادها فـــلم يوافق مؤيـــد الدولة وبركيارق على امـــارته لكنهمـــا لم يتمكنا من رده بســـبب كثرة مشـــكلاتهما • ولما عـــزل مؤيـــد الملك ووزارة مجد الملك أعلن أرســـلان أرغو الثورة على بركيارق وقال انـــه لن يســـلم لمجـــرد مكاتبة مجد الملك له ، ويبـــدو أن عصـــيان أرســـلان أرغو كان بعضـــه بتحريض عماد الملك أبى القاســـم أحد أبناء نظام الملك الذى كان وزيرا لأرســـلان • وأرســـل بركيارق عمه الآخر بـــورى برس ليقضى عـــلى فتنة أخيه أرســـلان أرغو لكنه لم يســـتطع أن يفعل شـــيئا بـــل غلـــب عـــلى أمـــره فى (٤٨٨هـ) ، وبقى الأمـــير العـــاصى عـــلى حاله أمـــيرا لخراســـــان •

وفى (٤٩٠هـ) بعث بركيارق أخـــاه الأصـــغر أحمد ســـنجر برفقة الأمير قمـــاج وكيامجير الدولة أبى الفتح على بن حســـن الأردســـتانى الذى يتولى وزارته اذا نجـــح لحـــكومة خراســـان وطـــرد أرســـلان أرغو ، وتوجـــه الســـلطان بنفســـه فى جمادى الأولى من نفس العـــام وبصحبته فخر الملك الى خراســـان أيضـــا • وقبـــل أن يصـــل جنـــد الســـلطان أصـــاب أحد غلمان أرســـلان أرغو ســـيده بالقتل فيســـر لبركيارق الاســـتيلاء على خراســـان • وبعد أن قضى الســـلطان سبعة أشـــهر فى بلخ ولى أخـــاه ســـنجر بلقبى مـــلك وناصر الدين حـــكومة خراســـان ، وعـــزل فى نفس هـــذه الآونة فخر الملك وجعل وزارتـــه لمجـــد الملك مســـتقلا • ولم يطل انزواء فخـــر الملك حينما تـــوارى فى نيشـــابور لأن ســـنجر أقال فى نفس العام (٤٩٠هـ) مجـــير الدولـــة من وزارته وأعطاها فخـــر الملك ، وظل فخر الملك بوزارته حتى يوم عاشوراء من عام (٥٠٠هـ) حين قتله فدائيو الاســـماعيلية •

عصـــيان محمد بن ملكشـــاه لبركيارق : —

عزل مؤيد الملك من وزارة بركيارق فأخذ يطرق الأبواب للانتقـــام

من مجـد الملك القمى والسـلطان بأن يثار أمير على السـلطان ، فلمـا لم يتحـقق مقصـوده فى أى بـاب توجـه الى محـمد أخ السـلطان آخر بكنجه وكان يحكم على أران وكنجة وحرضـه على عصـيان بركيارق أخيه لأبه وكان محمد سنجر لأمه ، وجعله يتحرك الى همـدان والـرى ومن نفسـه وزيرا له • وعجل بركيارق بجمع جنده وعاجل من الـرى الى زنجـان لمنـع أخيه • وفى زنجان عصـت مجمـوعة من الجيـش السـلطان وطالبت بقتـل مجد الملك • ولم يسـمع السـلطان لقولهـم لكن العصـاة انسالوا على خيمة مجد الملك فقطعوه اربا فى الثامن عشر من شـوال من (٤٩٢هـ) وحملوا رأسه وذهبوا به الى معسـكر محمـد ومؤيد الملك • ولاذ بركيارق بعد هذه الواقعة بالفـرار الى أصـفهـان ، فمنعوه الناس عنها فقصـد خوزسـتان ، ونادى محمد فى خرقان بنفسه سـلطانا واعترف بسلطنته الخليفـة العباسى فى السـابع عشر من ذى الحجة (٤٩٢هـ) ولقبه بغياث الدنيا والدين •

وألقى مؤيد الملك بزبيدة خاتون أم بركيارق التى وقعـت أسـيرة فى يـده بالسـجن وكان قد تخلص من شريف نده القـوى مجد الملك وفى النهـاية قتـل هذه المـرأة التى كانت تسـعى دائمـا الى عـون مجد الملك وكانت من الأسـباب الهـامة لعزل مؤيـد الملـك من وزارة بركيـارق •

وشبت الحرب بين محمد وبركيارق خمس مرات من أجل السـلطنة فى الحرب الأولى التى حدثت فى الرابع من رجب (٤٩٣هـ) بالقـرب من همدان غلـب محمد بركيارق وكان شـحنة بغداد وخليفتهـا وأمـراء الموصـل والحلة والجزيرة يسـاعدون بركيـارق ، فاضـطر الى أن يلوذ بالفـرار الى أمير حبشى من الأمراء السلطانيين الذى تأمر فى هـذا التاريخ على قسـم من خراسـان وخوارزم • أما سنجر فقد انحاز الى جانب أخيه الشقيق محمد وهزم فى حـرب بوجكان بركيـارق وحبشى ، وعرج بركيارق الى أصفهان ، وأسر ثم قتـل أمير حبشى •

وفى الحـرب الثانية فى جمادى الآخرة (٤٩٤هـ) تغلب بركيارق بشد من أزره أحـد أمراء محمد على أخيـه ، ووقع مؤيد الملك أسـيرا فى يد أحد غلمان مجـد الملك ، وكان بركيارق يود أولا أن يبقيه فى وزارته نظير مبلغ ضخم لكنـه بسبب قتله لأمه وأعماله القاسـية الأخـرى قطـع عنقـه بيـده •

وحدثت الحـرب الثالثة بين محمد وبركيارق فى صفر (٤٩٥هـ) على كثب من نهـاوند لأن محمدا بعد هزيمته فى السنة السـابقة قـدم الى سـنجر بخراسان فأمده ورافقه الى بغـداد ، وسـاعده الخليفة أيضـا وبعض أمـراء العرب ، وتوجه محمد الى نهـاوند لقتـال بركيـارق ، وبعد حـرب قصيرة استمرت يومين تقرر الصـلح بين الطرفـين عـلى أن تكون كنجة وأران وآذربايجان والموصـل تحت أمـر محمـد وبقيـة البـلاد السـلجوقية لبركيـارق •

وندم محمـد فى عودته الى قـزوين لهـذا الصـلح ونسـب من كانوا سـبب عقـده الى الوهـن والخيـانة وأوقف اعترافه بسـلطة أخيـه وأتى الرى بجيـش عظيم وفى جمـادى الأولى قابل أخـاه فى نفس العـام (٤٩٥هـ) لكن جنده تفرقوا عنـه قبل المعركة فانهزم محمد ومعه سبعون فارسا الى أصفهـان ، ولمـا كانت العاصمـة خاليـة من سـلطانها اسـتولى عليها وأقفل المدينـة أمام بركيـارق •

وأسرع بركيارق الى أصفهان وحاصرها ، ولما وجد محمـد نفسـه عاجزا بعد أن قاوم سـبعة أشهر ركن الى الفـرار الى همـدان واجتمع به فيهـا الأمير منصور ولد آخر لنظام الملك ومعه جيشـه ونصـير الملك محمـد بن مؤيد الملك وقد جـاء من كنجه لمسـاعدته ، ورحل محمـد الى آذربايجان ليأخذ أهبته ولحق به فيها جماعة من الأمـراء •

وجرت الحـرب الخامسـة بين بركيارق ومحمـد فى الثـامن من جمـادى الآخرة (٤٩٦هـ) على مقربة من (خـوى) فجـرت الهزيمـة

على جيش محمد وتفرق الأخوان فذهب محمد الى أرمنية وبركيارق الى تبريز •

وفى النهاية تصالح محمد وبركيارق فى ربيع الآخر (٤٩٧هـ) وقرر أن تكون البلاد شمالى نهر (سفيدرود) بجيلان حتى باب الأبواب أى آذربايجان وأران وأرمنية والجزيرة والموصل تحت امرة محمد والعراق وأصفهان وبلاد الجبل تحت طوع بركيارق وظل هذا الاتفاق مرعيا حتى ربيع الآخر (٤٩٨) حين توفى بركيارق •

وفاة بركيارق :ــ

أصيب بركيارق بمرض السل واشتد به المرض فى شهر صفر (٤٩٨هـ) حينما توجه الى بغداد فاضطر الى أن يقيم أربعين يوما فى بروجرد وفى الثانى من ربيع الآخر وافاه أجله بها ، وقبل وفاته اختار ابنه الصغير ملكشاه الذى كان بلغ عمره وقتها أربعة أعوام وثمانية شهور ونصب الأمير اياز قائد جيشه مربيا له أو أتابك له(١)

كان بركيارق الابن الأرشد لملكشاه ولم يزد عمره عند وفاة أبيه عن الخامسة والعشرين ، وحكم اثنتى عشرة سنة وأربعة شهور وكان رجلا كريما عاقلا صبورا كريما صبوح الوجه ، وقد انقضى غالب حكمه كما مر فى القتال والصراع • ومع أن بركيارق قد ناله فى بضعة من الأوقات صدمات وهزائم شديدة الا أن هذا لم يحوله عن متابعة هدفه الى أن تغلب فى النهاية على جميع المشكلات •

انقسام الدولة السلجوقية

مع أن بركيارق كان الخليفة الرسمى لملكشاه وألب أرسلان لكنه لم يكن يحكم مباشرة الا على بلاد الجبل وأصفهان والعراق العربى من بلاد السلاجقة الواسعة ، وكانت سائر البلاد فى

(١) (أتابك) تعنى فى التركية (الأب الكبير) .

طاعة السلطان ظاهرا وفى الحقيقة كان سلطانه عليها اسما وكانت هى مستقلة • فقد كان الشام يديره ولد تاج الدولة تتش وكانت بلاد الروم تحت أمر أولاد سليمان بن قتلمش كما كانت كرمان بيد أولاد قاورد • وفى عام (٤٩٥هـ) خرجت دياربكر عن حوزة قدرة السلطان وأرمنية فى (٤٩٣هـ) عن طريق الأتابكة والأمراء السلاجقة وقد سبق قولنا ان البلاد شمال نهر (سفيدرود) بجيلان تأمر عليها أخوه غياث الدين محمد وكذلك ايران الشرقية وما وراء النهر استولى عليها سنجر أخوه الآخر ، وكان محمد وسنجر يعتبران نفسيهما ملكا مطلق العنان فى بلادهما ولم يكونا يهتما كثيرا بالسلطان بركيارق • وقد جزأت هذه الحالة دولة السلاجقة العظمى فلم يعد لها هذه الوحدة التى نعمت بها فى عهد طغرل وألب أرسلان وملكشاه الا وقتا قصيرا فى أيام حكم السلطان سنجر كما سنشير ان شاء الله بعد قليل •

٥ ــ غياث الدين أبو شجاع محمد

(٤٩٨ ــ ٥١١هـ)

السلطان غياث الدين محمد هو ثالث أبناء جلال الدين ملكشاه وكان أكبر سنا من سنجر ومحمود وأصغر من بركيارق وكان سنجر ولدى أم واحدة وكان بركيارق من أم أخرى ومحمود من أم ثالثة •

وبعد وفاة بركيارق رحل الأمير اياز قائد جيش السلطان بابنه ملكشاه الى بغداد وأخذ البيعة له من الخليفة ، أما محمد فقد قدم وقتذاك من الموصل وكان مشغولا بحصارها الى بغداد وصالح اياز فى النهاية وعن مشورة وزيره السلطان محمد وزال النزاع بين محمد ملكشاه بن بركيارق ، لكن السلطان قام بقتل اياز

لما رأى منه النفاق والخيانة وأبقى ملكشاه لديه كابنه وصفت له السلطة ، وقد اعترف سبخر الذى كان واليا من (٤٩٠هـ) على خراسان وما وراء النهر ويرعى دائما جانب محمد ، برئاسة أخيه السلطان محمد عن طواعية قلب ولم يخلع طاعته فى أى وقت قط .

السلطان محمد والاسماعيلية : ـ

أفاد الباطنية الاسماعيلية ودعاة الدعوة الجديدة بعد قتل خواجه نظام الملك وموت ملكشاه من الحروب الدائمة بين بركيارق ومحمد وأوضاع البلاد المضطربة وقد ظلوا فى بلادهم المختلفة خاصة فى قاينات والرى وساوه وأصفهان يقوم بالدعوة لمذهبهم العلنية وبقتل أعدائهم والحاق الأذى بهم ، وقد زاد الأمر سوءا حينما كان الخلاف مستعرا بين محمود وبركيارق ومحمد للسيطرة على أصفهان عاصمة الدولة السلجوقية أن تجاسر الباطنية الى حد أنهم كانوا يأخذون الناس بأنواع الحيل الى بعض المنازل حيث يحبسونهم أو يقتلونهم ، ولما عم فسادهم ثارت عامة أصفهان وألقوا بجمع غفير من الاسماعيلية فى النار .

وكان الاسماعيلية كما أشرنا يلوذون غالبا بالقلاع المحكمة من أجل الحفاظ على أنفسهم والاعتصام من هجوم أعدائهم ، ومن بين هذه القلاع قلعة (شاهدز) أو (قلعة جلالى) أو القلعة الجلالية التى بناها السلطان ملكشاه على جبل أصفهان البركانى فقد استولى عليها أحد رؤساء الاسماعيلية وهو أحمد بن عبد الملك العطاش فى حوالى عام (٤٨٨هـ) وكان عبد الملك أبو أحمد هذا داعى العراق الاسماعيلى ، وقد بلغ الحسن الصباح خدمته بالرى عام (٤٦٤هـ) ثم نيابته ولما استقر الحسن على رئاسة اسماعيليى ايران أبقى أحمد رئيسا للباطنيين فى أصفهان مراعاة واحتراما لأبيه .

ومع أن بركيارق قام بعدة حروب مع الاسماعيلية أيام حكمه

واستولى فى (٤٨٩هـ) على احدى قلاعهم فى أبهر ، لكنه لكثرة مشاكله الطاحنة لم تسنح له الفرصة لاقتلاع هذه الطائفة من جذورها ، وفضلا عن هذا السبب فقد كان بركيارق وامراؤه يتحالفون خفية مع الباطنية لازالة أعدائهم فيطلبون معونتهم ، كما حدث فى حرب بوزكان التى جرت بين سنجر من ناحية وأمير حبشى وبركيارق من ناحية أخرى اذ امد الأمير اسماعيل بن جيللى الامير الاسماعيلى لطبس وقاين أمير حبشى وبركيارق بخمسة آلاف فارس ، ولما كانت أكثرية قتلى الفدائيين الباطنيين من أصحاب غياث الدين محمد وأتباعه مدعى حكم بركيارق وخصمه فقد أذاع تدريجا أن بركيارق حليف الاسماعيلية وأن فدائييهم يقومون بقتل أتباعه بناء على أمر بركيارق ، خاصة وأن الاسماعيلية بعد هزيمة محمد فى (٤٩٤هـ) وقتل مؤيد الملك قد كان لهم نفوذ خارق فى الاجهزة الحكومية والعسكرية لبركيارق وأدخلوا جماعة فى مذهبهم وكانوا يهددون علنا من يخالفهم بالقتل وقد جعل هذا خاصة بركيارق ووزراءه يحملون اسلحتهم دائما خوفا منهم وكانوا يقابلون السلطان بأسلحتهم هذه ولكى يدفع بركيارق هذه التهمة التى كان أتباع محمد يزيدون من رقعة نارها على تأديب الباطنية وقتلهم فأزهق أرواح جمع من رؤسائهم فى يزد والجزيرة • ومع هذا فلم يقطع أثر هذه الطائفة ولم تصل يد السلطان وأتباعه الى القلاع المحكمة التى كانت تحت تصرف هذه الجماعة فى أكثر بلاد ايران •

وفى أيام حكم السلطان غياث الدين محمد تزايد خطر أحمد بن عبد الملك العطاش وأصحابه المستقرين فى قلعة شاهدز باصفهان ورأى محمد أن وكرا من الفساد العظيم قائم الى جانب عاصمته فأمر بحصار شاهدز ، واخيرا سلم أحمد فى (٥٠٠هـ) فقتله محمد وقتل ابنه وخرب شاهدز وكان الرجل الذى دبر الاستيلاء على شاهدز واستسلام أحمد هو وزير السلطان محمد سعد الملك سعد بن محمد الآبى الذى تولى وزارته من بداية حكمه •

وقد ضم سعد الملك الآبى بعد فتح شاهدز قلعة خان لنجان اليهـا وكانت من قلاع الاسماعيلية الهامة وتقع على بعد سـبعة فراسخ مـن أصفهان فزاد من قوته وشهرته لكنه اتهم أمام السـلطان بتحالفه مـع الباطنيين فقتله محمد فى شوال (٥٠٠هـ) بهذا الجرم واستوزر أحد أولاد نظام الملك وهو ضياء الملك أحمد الذى تلقب فى ذاك الوقت بنظـام الملك الثانى • وترجع شهرة نظام الملك الثانى هذا فى أغلبها فى وزارة السلطان محمد الى واقعتين أولاهما فتحه للنعمانيـة فى التاسع عشر مـن رجب (٥٠١هـ) وثانيهما تجريد جيوشه لفتح قلعة الموت فى (٥٠٣هـ) •

ففى (٥٠٠هـ) وصلت محمدا أنباء عصيان الأمير سيف الدولة صدقة أمير الحلة المزيدى ، فقصد السلطان فى آخر ربيع الأول من عام (٥٠١هـ) العراق العربى وأنزل ووزيره نظام الملك فى التاسع عشر من رجب (٥٠١هـ) الهزيمة بصدقة فى النعمانية وقتل صدقة فى الحـرب وضم محمد ولاياته اليـه •

وفى المحرم من (٥٠٣هـ) أرسل السلطان محمد بناء على الشكاوى العديدة للناس من اسماعيلية الموت نظام الملك ومعه الأمير جاولى سقاوو الذى كان قد هاجم قلاع الاسماعيلية فى فارس وخورستان مرارا فشغل نظام الملك بحصار الموت وانشغل الأمير بحصار احدى القلاع الأخـرى المجاورة ومع أنهما اتفقا من الربيع حتى الخريف للاسـتيلاء على هاتين القلعتين الا نهما لم يصيبا نجاحا فانصرف نظام الملك عـن قصده وبعـد قليل أصابه الفدائيون الاسماعيليون فى بغداد بطعنات لم تؤثر فيه كثيرا فبرأت جروحه بعد مدة ، وفى السنة التالية أى (٥٠٤هـ) أسقطه محـمد من وزارته •

وفاة السلطان محمد فى الرابع والعشرين من ذى الحجة (٥١١هـ) :

حكم السلطان أبو شجاع غياث الدين محمد بن السلطان ملكشاه من (٤٨٦هـ) حتى (٤٩٢هـ) فى كنجة وأران من جانب بركيارق ثم نصب من

السنة الأخيرة على السلطة العامة لكل البلاد السلجوقية خلفا لأخيه حتى الرابع والعشرين من ذى الحجة مـن عام (٥١١هـ) حـين مات أى كان سلطانا لمدة اثنتى عشرة سنة ونصف سنة .

وقد اختار محمد وقت احتضـاره محـمودا ابنه الذى كان يبلـغ الأربعة عشر عاما خلفا له فخطب له بعد موت السلطان بيوم وأمر الخليفة المستظهر أيضا فى الثالث عشر من المحرم (٥١٢هـ) أن تتضمن خطبتـه بعد اسمه أيضا ولقبه بلقب مغيث الدين .

كان السلطان محمد الذى لم يزد عمره عن السبعة والثـلاثين عاما وقت وفاته ملكا شجاعا عادلا طيب السيرة لم تصدر عنه فى أيام حـكمه حركة تذم وكان له جد واجتهاد خاصان فى تقوية أمر الدين يشـهد لذلك حروبه مع الملاحدة وأرسل فى (٥٠٩هـ) جيشـا الى سواحـل الشـأم وفلسطين حيث استولى الصليبيون من (٤٩١هـ) ليطردهم الا أن هـذا الجيش لقى الهزيمة بسبب الخلاف الذى كان قائما بين الأمراء المسلمين بالجزيرة والشام وصارت هزيمتهم باعثا على تقويـة موقع المسيحـيين الصليبيين .

٦ ــ السلطان معز الدين أبو الحارث أحمد سنجر
(٥١١ ــ ٥٥٢هـ)

وبعد أن وصل خبر وفاة السلطان محمد استنكف الملك ناصر الدين سنجر(١) الذى كان يحكم من عام (٤٩٠هـ) على خراسان وما وراء النهر وقد حاز فتوحات كبرى فى هذه الفترة أن ينصاع لأمر ابن أخيه محـمود ذى الأربعة عشر عاما أو يقبل سلطانه ، فلقب نفسه بألقاب أبيه السلطان ملكشاه (معز الدين) و (السلطان) ، لكنه لم يتعرض احتراما لحقـوق

(١) سـنجر أصلا سنغر أو شـنغر ثم حرفت الى سـنقر لفظ تركى يستعمل كذلك كاسم علم ومعناه (الصقر) وآق سنقر بمعنى الصقر الأبيض

أخيه محمد لابنه السلطان مغيث الدين محمود فأبقى الولاية الغربية له كما كانت • ومع أن محمودا وأبناء محمد الآخرين كانوا يعترفون بسيادة عمهم الكبير ورئاسته مادام حيا عن رهبة أو رغبة وكان يخطب باسم سنجر فى غالب البلاد السلجوقية حتى الشام والحرمين الا أن حوزة ملك سنجر الحقيقية كانت تمتد وحسب من الرى الى كاشغر وحدود السند شرقا وكان أبناء السلطان محمد والأمراء والأتابكة السلاجقة يديرون البلاد الغربية السلجوقية •

وتنقسم مدة حكم سنجر التى استمرت نحو اثنتين وستين سنة الى فترتين ، أولاهما التى تبدأ بعام (٤٩٠هـ) وتنتهى بعام (٥١١هـ) وكان سنجر خلالها ملكا ويحكم نائبا عن اخوته وحسب وكان لقبه ناصر الدين • وثانى هاتين الفترتين هى التى تمتد من عام (٥١١هـ) حتى عام (٥٥٢هـ) حينماأنيطت به سلطة السلاجقة ورئاستهم العامة وكان يلقب بأكثر من لقب كمعز الدين وسلطان السلاطين وغيرهما وكان يقال له قبل هذه الفترة (ملك الشرق) •

(أ) فترة امارة سنجر

(٤٩٠هـ — ٥١١هـ)

أول واقعة هامة لفترة امارة الملك ناصر الدين سنجر بعد دفع فتنة أرسلان أرغو هى فتح طخارستان وترمذ عام (٤٩١هـ) حينما استصفى سنجر هذه البلاد من يد أحد الأمراء السلاجقة وضمها الى ملكه ، ووقعت بعدهاحرب بوزكان التى أشرنا اليها ضمن سلطنة بركيارق ، وقد نهض سنجر فى هذا الحرب التى جرت فى عام (٤٩٣هـ) لمؤازرة ابن أخيه محمد وغلب بركيارق وأمير حبشى وكانت قيادة جيش سنجر فى هذه المعركة للأمير (برغش) أكبر أمرائه • وأنفد سنجر الأمير برغش فى (٤٩٤هـ) لفتح قلاع الاسماعيلية فى قهستان وطبس ، وعاد برغش بعد قتل وتخريب

كبيرين فى هذه البلاد الى مرو عاصمة سنجر ، وعاد مرة أخرى فى (٤٩٧هـ) الى هـذه البلادة وأذاق الاسماعيليـة وبالا • وأخـيرا صالح سنجـر الاسماعيلية بناء على نصح بعض رجـال بلاطه بشريطة ألا يبنوا قلعـة جديدة وأن يذروا شراء الأسلحة ودعوة الناس الى دينهم وعـاد يرغش الى خراسان • ولم يقبل أكثر شعب خراسان هذا الصلح ، واتهم سنجر من هذا الوقت بتواضعه مع الباطنية وتحالفه ، ثم صدرت عنه بعد أعمال قوت من هذه التهمة •

حروب سنجر فى ما وراء النهر :

قلنا سابقا أن السلطان ملكشاه بعد فتحه سمرقند عـاد الى ايران عام (٤٨٢هـ) بأحمد خان أميرها أسيرا ثم أعـاده الى امارته بعد مدة • وقد اعتنق أحمد خان أثنام مقامه بايران عقيدة الباطنيين فلمـا آب الى سمرقند ثار عليه الفقهاء وأفتـوا بقتله فقتل أحمد خان فى المحرم مـن (٤٨٨هـ) وخلفه ابن عمه •

وصارت فى عهد سلطنة بركيارق امارة الخانية فى أيدى ثلاثة مـن أفراد هذه الأسرة ، وكانوا معترفين على الدوام بسلطنة بركيارق ورئاسته الى أن سافر سنجر الى معية أخيه ببغداد (٤٩٥هـ) فأفاد قدر خان جبريل من غيابه وصمم على أن يستولى على خراسان بعون أحد أمراء سنجـر خاصة وأن سنجر كان مريضا عندما عاد الى خراسـان ، كما اشـتدت الخصومة أيضا بين بركيارق ومحمد ، فأقدم قدرخان متجاسرا على قصده وسرعان ما شفى سنجر وخف الى بلخ لمقابلة قدرخان وأمر الأمير يرغش بأن يمسك بقدرخان الذى كان منهمكا فى القنص الى حد الغفلة فاستأسره يرغش وقتل بأمر من سنجر وعين سنجر ابن أختـه محمد تكين وكان من الأسرة الخانية من ناحية أبيه ويعيش فى مرو راهبا قدرخان فى امـارة سمرقند بلقب أرسلان خان وصارت ما وراء النهـر تحت طاعة سنجـر المباشرة • وقد أمد سنجر أرسلان خان أكثر من مرة للقضاء على معارضيه

من بينها ما حدث عام (٥٠٣هـ) فدفع أعداءه وظل أرسلان خان يحكم فيما وراء النهر بسلام وصفاء نحو عشرين عاما من تاريخ تنصيبه وكان سنجر فارغ البال من هذه الناحية الا فى (٥٠٧هـ) حينما أخبر أن أرسلان خان يظلم رعاياه وقد عصاه ، فتحرك سنجر بجيش له ، الا أن أرسلان خان توسل خوفا بالأمير قماج أكبر أمراء سنجر فى هذه الآونة ودعا سنجر أرسلان خان لكى يأتى شاطىء جيحون الشمالى ، وحينما كان سنجر راكبا جواده على شاطئه الأيمن ، قبل أرسلان خان أرض طاعته فعفا عنه سنجر وأعاده الى امارته .

فتح غزنة فى العشرين من شوال (٥١١هـ) :

ذكرنا تفصيل غزو سنجر لغزنة وسبب ذلك فى تاريخ الغزنويين أثناء حكم أرسلان شاه الغزنوى وقلنا ان سنجر بناء على العهد الذى كان عقده فى مرو مع بهرام شاه أخى أرسلان شاه أتى الى غزنة لمؤازرته وبرفقته الأمير أتز وابو الفضل نصر بن خلف ملك سيستان ففتحها فى العشرين من شوال (٥١١هـ) وأجلس بهرام شاه على العرش وقرر الاثنان أن يخطب أولا للخليفة والسلطان محمد وسنجر ثم باسم بهرام ، وبهذا قبلت غزنة طاعة السلاجقة بيد سنجر ولم يكن تابعة حتى هذا الوقت للسلاجقة قط ، وقد جعل هذا الفتح سنجر مشهورا ذائع الصيت فى بلاد المسلمين أكثر من المعتاد .

وكان السلطان محمد لا يرى مصلحة سنجر فى غزوه لغزنة وكان يمانع فكرته هذه لكن سنجر لم يهتم بأخيه بناء على تشجيع وزيره له ،فبعد أن فتح هذه المدينة كتب خبر فتحها لأخيه حينما كان السلطان محمد أخوه مريضا وبعد شهرين أى فى الرابع والعشرين من ذى الحجة (٥١١هـ) وافاه أجله وأصبح سنجر سلطانا .

وفى فتح غزنين كان وزارة سبخر لقوام الملك أبى الحسن صدر الدين محمد ولد فخر الملك ابن نظام الملك وقد اختاره سنجر

لوزارته فى شهر صفر (٥٠٠هـ) أى بعد شهر تقريبا من قتل أبيه فخر الملك الذى قتلته الباطنية فى العاشر من المحرم من نفس العام

وقد ساء ظن سنجر بوزيره أثناء مقامه بغزنة ، وحرض أمراء سنجر الذين لم يكونوا محبين لصدر الدين محمد وكانوا ينظرون بعين الطمع الى الأموال الضخمة التى حازها فى فتح غزنة سنجر على قتله ، فقتله سنجر بعد أن بلغ مرو فى سبع بقين من ذى الحجة (٥١١هـ) وكان صدر الدين آخر وزراء سنجر فى فترة امارته وملكيته •

(ب) فترة سلطنة سنجر
(من ذى الحجة ٥١١هـ حتى ربيع الأول ٥٥٢هـ)

حرب ساوة فى الثانى عشر من جمادى الأولى (٥١٣هـ) : —

بعد قتل صدر الدين محمد أصيب سنجر لهذا بندم شديد خاصة وقد بلغه موت السلطان محمد فى هذا الوقت أيضا فزاد ألمه وعجزه وكان قتله لوزيره عملا قبيحا وأشد تأثيرا فيه وأخيرا لما رأى أن ميل العسكر والرعية يتجه الى أسرة نظام الملك اختار ابن أخى نظام الملك أبا المحاسن عبد الرازق بن عبد الله الذى تلقب بالفقيه الأجل وشهاب الاسلام وزيرا له ، وجلس مكان السلطان محمد فى مرو مختارا لقب (السلطان) •

وفى (٥١٣هـ) قدم السلطان مغيث الدين محمود ابن أخى السلطان سنجر بجيش كثيف الى الرى لأنه كان غير راض بسلطنة عمه وكان يظن أن عمه سوف يعامله بنفس المعاملة التى عامل بها أباه محمدا « من قبل » وكان يحرضه وزراؤه والأمير على بن عمر رئيس حجابه وأمراء العراق والحلة وكان بركبه جيش العراق بقيادة منكوبرس وجيش العرب برئاسة المنصور بن صدقة المزيدى

فأسرع السلطان سنجر بجيش قوامه عشرون ألفا وثمانية عشر فيلا حربيا وبرفقته شهاب الاسلام والأمير أبو الفضل نصر بن خلف السيستاني وعلاء الدين محمد خوارزم شاه والأمير علاء الدولة كرشاسف الأتابك الكاكوئى ليزد (زوج أخت سنجر ومحمد) ليقابل جند محمود ، وفى الحرب التى جرت فى الثانى عشر من جمادى الأولى (٥١٣هـ) فى ساوة لحقت الهزيمة الشديدة بمحمود ، فهرب الى أصفهان وتقدم سنجر الى همدان وأسقط الخليفة اسم محمود من خطبة بغداد وخطب لسنجر .

وفى همدان قبل سنجر لقلة جيشه والتماس أمه تاج الدين خاتون التى كانت جدة محمود أن يصالح محمودا ، فأتى الأخير لملاقاة عمه وجدته ، فأبدى سنجر له حبا جما وأمر أن يذكر اسم محمود بعد اسمه فى جميع البلاد وليا لعهده وترك له ولاياته عدا الرى وبعد خمس سنوات أرسل باحدى بناته من خراسان الى العراق لتتزوج به .

أما من أوقع محمود بسنجر فقد كان رجلا من عمال الديوان من أهل همدان واسمه زين الملك قوام الدين أبو القاسم وكان وزيرا للأمير على بن عمر كبير حجاب محمود أولا وقد ارتكب كثيرا من الجرائم فى نحو خمس عشرة سنة فى دولة محمود وسنجر والخليفة بسبب تآمره وفساده ومكره فقضى على كثير من الأبرياء عن طريق أتباعه أو فدائيى الاسماعيلية . وقد حرص أولا مخدومه الأمير عمر كبير الحجاب حتى عصى محمودا على عمه ثم أثار أمراء ما وراء النهر والحلة وفارس وشبا نكاره وقتل جماعة من غلمان محمود ثم نهب خزانته وأكثر من تخريبه الى حد أن سنجر صار مجبرا فى قدومه للرى على اصلاح أحوال بلاط حكم ابن أخيه .

وبعد فتح ساوه أخذ هذا الخبيث يهب هذا وذاك أموالا حتى تقرب الى سنجر فكلفه بأن يأتى بمحمود الى أصفهان ، وبعد عودة سنجر الى خراسان صار رئيس ديوان الطغراء والانشاء من لدن سنجر فى بلاط

محمود ، وكان فى هذه المدة يكتب لسنجر أخبار العراق الصادقة والكاذبة ، ولم يتخل قط عن الدسائس على أمل أن يبلغ الوزارة حتى حرك محمودا فى (٥١٧هـ) فقتل وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك ومن ثم بلـغ وزارته بعد قليل ، وقد توسل فى هذه الآونة بالباطنية للتخلص من أعدائه فأهلك سفيرى الخليفة ووزير سنجـر بأيديهم وأمر بالعارف المشـهور أبى المعالى عبد الله بن محمد الميانجى المعروف بعين القضاة الهمدانى(١) فشنق فى (٥٢٥هـ) فى أيام وزارته الثانية كما سوف نشير ، وقد تعددت جرائمه الى حد أن محمودا ألقى به فى الحبس فى (٥٢١هـ) مع أن سنجر قد اختاره ، واستراح الناس من شروره لبعض الوقت ، وسوف نشـير الى بقية وقائع سلطنة السلطان سنجر فى القسم الغربى للبلاد السلجوقية أثناء تاريخ سلاجقة العراق أو أبناء أخيه •

غزو سنجر الثانى لبلاد ما وراء النهر فى (٥٢٤هـ) :

وفى (٥٢٤هـ) طلب محمد أرسلان خان خاقان سمرقند الذى أصيب فى هذا الأوان بالشيخوخة والفلج عون السلطان سنجر عندما قتل قاضى المدينة ورئيسها أحد أبنائه ، فتحرك سنجر بجيشه الى ما وراء النهـر • ولكن قبل وصوله أخمد ابن آخر للخاقان الفتنة فأرسل أرسلان خان الى سنجر وهو فى طريقه اليه أنه لم يعد بحاجة الى عونه ، فغضب السلطان لهذه الرسالة ، ووقع فى أسره جماعة ادعت ان أرسلان خان سيرهم لقتل السلطان فهاجم السلطان سمرقند واستباحها ثم قبض على أرسلان أبى زوجته وبعث به الى خراسان ، وترك سنجر ما وراء النهر أولا الى حسن

---

(١) كان عين القضاة المقتول عام (٥٢٥هـ) من مشايخ الصوفية ومن كلامه مريدون كثيرون ، وقد حرر المؤلف فى فترة حياته القصيرة القى لم تـزد كلامه مريدون كثيرون ، وقد حرر المؤلف فى فترة حياته القصيرة التى لم تزد من الثالثة والثلاثين آثارا عديدة بالعربية والفارسـية من بينهـا (يزدان شناخت) اى معرفة الله ، وتمهيدات او زبدة الحقـائق ومكاتيب . وكـان شجاعا فى اذاعة ما يعتقد لهذا أثار عليه المتعصبين فاتهم بالالحاد وقتل •

تكين ومن بعده الى ابن أرسلان خان الخاقان كمال الدين أبى القاسم محمود وكان ابن أخت السلطان ، وقد ظل هذا الخاقات كما سيلى مطيعا له حتى آخر سلطنته .

تأسيس الدول القراخطائية والخوارزشاهية :

فى حدود عامى (٥١٨) و (٥١٩هـ) نجحت طائفة من الجنس الأصفر الساكنين فى المنطقة شمالى جبال (تيان شان) وأودية نهرى ايلى وتاريم ما بين بحيرتى بلخاسن وايسى كول واسمها القراخطائيون(١) فى تأسيس دولة واسعة بعون رجل اسمه (يلوتاشه) كان يقال له الكورخان(٢) أى ملك الملوك أو خان الخانات وصار لقب كورخان من بعده لقب الملوك القراخطائيين العام ، وكانت عاصمة هذه لدولة الجديدة مدينة بلاساغون(٣) .

أما الخوارزمشاهيون الجدد فهم أبناء غلام تركى اسمه أنو شتكين اشتراه أحد الأمراء السلاجقة فى غرجستان فسمى لهذا بأنوشتكين غرجه . وقد ارتقى انوشتكين فى بلاط ملكشاه بسبب جدارته وكفاءته فعين بشحنكية خوارزم ، وأرسل ملكشاه بابنه أى قطب الدين محمد لحكومتها فلقب قطب الدين بلقب خوارزم شاه وهو مؤسس الأسرة الخوارزمشاهية وبداية ظهور دولتهم هو عام (٤٩٠هـ) .

---

(١) قره ختاى هو الاقليم الذى يضم اليوم ولايتى ثسانسى وكانسو الصينيين (ح ١ ص ١٤٠ من كتاب فامبرى) .

(٢) كورخان هكذا كما اثبته المؤرخون الشرقيون متابعة لعطا ملك الجوينى مؤرخ المغول وصاحب كتاب (جهانكشا) ، ويقول الجوينى ان هذا اللفظ فى لغة قره ختاى معناه خان الخانات ويستدل على ذلك بكلمة كوركان الاويغورية بمعنى الحامى او المدافع وهو قول لا يثق به فامبرى فى كتابه السابق (ح ١ ص ١٤٣) .

(٣) يذكرها المغول باسم جوبالق اى المدينة الجميلة كما ذكرها ميرخوند على وجه الصحة وفى خريطة آسيا فى القرن الرابع عشر التى حققها بول فى كتابه القيم تقع عند الشمال من اورمجى الحديثة (المرجع السابق ح ٢ ص ١٤٣) .

وبعد أن نصب سنجر على حكومة خراسان وقضى على فتنة أرسلان أرغو أبقى قطب الدين محمدا على حكومة خـوارزم ، وظل محمد هـذا تابعا مطيعا لسنجر طوال مدة امارته (٤٩٠ — ٥٢٢هـ) وكان يأتى بلاط سنجر كل عام بمفرده أو برفقة ابنه أتسز وكان يجالد بسيفه فى الغالب فى ركبه فكان من بين قواده فى ساوة وكان أتسز يحارب مع السلطـان فى قتاله مع ابن أخيه مسعود •

وبعد وفاة محمد خوارزمشاه جعل سنجر ابنه أتسز فى مقام والده ومكث أتسز الذى لقب بأبى المظفر علاء الدولة على سيرة أبيه من الطاعة والمتابعة لسنجر حتى حدود عام (٥٣٠هـ) • وكان أتسز من ضمن ركب سنجر فى (٥٢٩هـ) وقت تحركه الى غزنه ليؤدب بهرام شاه • الا أن فى (٥٣٠هـ) حين بلغ السلطان بلخ وصل أتسز الى خوارزم وقد نفس عليه أمراء سنجر وبغير رضا السلطان ، فأعلن عصيانه من هذه الآونة وأخذ يؤسس دولة مستقلة له بينما كان القـراخطائيون قد بدأوا فى جـوار خوارزم الشرقى يستولون على البـلاد السـلجوقية وأخذوا يتقـدمون كالسيل ناحية الغرب •

الحرب الأولى بين سنجر وأتسز فى ربيع الأول (٥٣٣هـ) :

هاجم أتسز بعد ايابه من غزنة جند والوادى الأسـفل لنهر حجون بقصد فتحها فدخلها وكانت تابعة للسـلطان ، فأرسل سنجر رسـلا اليه وقبح ما فعل لكن خوارزمشاه تجرأ وحبس رسل السلطان وأقفل جميـع طرق خراسان وأغـرق الأراضى من حواليهـا بالماء فيمنع تقـدم جيش سنجر • وفى الحـرب التى حدثت فى التاسع مـن ربيع الأول (٥٣٣هـ) بجوار (هزاراسب) انتصر سنجر انتصارا مبينا وصرع من جند أتسز نحو عشرة آلاف ، وهرب أتسز الا أن ابنه سقط أسيرا بيد سنجر فقطعت عنقه بأمر منه • وترك سنجر ابن أخيه غياث الدين سليمان ولد السلطان غياث الدين محمد واليا على خوارزم وعاد الى خراسان •

وكر أتسز الى خوارزم راجعا بعد عودة سنجر فأخذ أهلها يعاونونه لسخطهم على معاملة الجنود السلاجقة لهم فطرد خوارزم شاه غياث الدين سليمان من ملكه واعتلى عرش خوارزم ثانية ، ولما كان يخشى السلطان فقد أرسل اليه فى ذى القعدة من (٥٣٥هـ) رسالة قسم الى سنجر وتعهد أن يبقى على طاعته مقسما بأغلظ الأيمان .

حرب قطوان فى صفر (٥٣٦هـ) :

توجه الكورخان القراخطائى فى (٥٢٢هـ) الذى ذكرته المصادر الاسلامية بلقب الأعور لعور فيه الى فتح بلاد كاشغر والختن(١) بعد أن ضبط قبائل القرغيز (الخرخيز) التركية وكانت كاشغر والختن بيد أحد الحكام فى تلك الأيام وكان مطيعا للسلطان سنجر . وقد ألحق حاكم كاشغر بكورخان هزيمة فادحة فى مكان يبعد عن هذه المدينة ببضعة منازل ولاذ القراخطائيون بالفرار .

وشرع الترك القراخطائيون مرة أخرى فى (٥٣١هـ) يهاجمون بلاد المسلمين وسلكوا هذه المرة طريق ما وراء النهر ، فتقدم اليهم الخاقان محمود بن أرسلان خان لكنه هزم منهم فى رمضان من هذه السنة قريبا من مدينة خجند وركن الى الفرار الى سمرقند فتقاطر القراخطائيون على البلاد الشرقية لما وراء النهر وعم أرجاء هذه البلاد فزع عظيم وفى النهاية أنفذ أهل ما وراء النهر الخان محمودا للسلطان سنجر وطلبوا عونه لدفع الكورخان القراخطائى .

وزحف السلطان سنجر فى ذى الحجة من (٥٣٥هـ) ومعه نحو مائة ألف مقاتل يصحبه الأمير قماج والأمير أبو الفضل السيستانى

---

(١) يرى آبل رموسات (Abel Remusat, Hist.de le Ville Khoten) أن لفظ ختن هو تحريف للفظ السنسكريتى (كو ـ ستانا) أى صدر الأرض ، ويرى أهل آسيا الوسطى انه مشتق من اللفظ الفارسى (خوب تن) أى الجسد الجميل يشيرون بذلك الى عرى الرجال الوسماء : انظر كتاب غامبرى ح ١ ص ٤٥) .

وبهرام شاه الغزنوى وعلاء الدين حسين جهانوز الغورى والشاه الغازى نصرة الدين رستم بن على قائد جيش طبرستان الى ما وراء النهر وهاجم ترك القرلق بناء على شكوى الخاقان محمود منهم أيضا ولم يصغ الى طلب تجديد طاعتهم له واعتذارهم اليه برغم الحافهم فلاذ القرلق بالقراخطائيين فاستشفع الكورخان لهم عند السلطان ، ولكن السلطان لم يقبل شفاعته مغرورا وأرسل مخالفا رأى وزيره ناصر الدين أبى الفتح طاهر بن فخر الملك أخى قوام الملك صدر الدين محمد السابق الذكر الذى ولى وزارة السلطان من جمادى الأولى (٥٢٨هـ) أرسل الى الكورخان يهدده ويدعوه الى الاسلام .

وغضب الكورخان لرسالة وتهديدات سنجر فتقدم الى سمرقند لدفعه وفى الحرب الهائلة التى وقعت فى (قطوان) على بعد ستة فراسخ من سمرقند فى الخامس منصفر (٥٣٦هـ) ألحق القراخطائيون والأتراك القرلق بجيش سنجر هزيمة شديدة وأهلكوا أغلبه ووقعت زوجة السلطان ابنة أرسلان خان الافراسيابى والأمير قماج والأمير أبو الفضل السيستانى أسرى وهرب السلطان الى ترمذ وفقد الخاقان محمود ما وراء النهر ، واستولى الكورخان على بخارى أيضا بعد فتحه سمرقند .

وانسال القراخطائيون من ناحية أخرى على خوارزم وانهزم أتسز منهم ولعله تدخل فى تحريك الكورخان الى مهاجمة ما وراء النهر وصالحهم على أن يدفع لهم خراجا سنويا ثلاثين ألف دينار .

كانت هزيمة قطوان أول وأشد هزيمة للسلطان سنجر وكان تأثيرها شديدا عليه لأنه فضلا عن الوهن الذى أصابه من جرائها فان أتسز تيسر له أن يسلك طريق العصيان وصارت بلاد سنجر الشرقية من كاشغر حتى بخارى ليست خارجة عن يده وحسب بل أصبحت هذه البلاد الاسلامية فى طوع هذا الملك الكافر تؤدى له الجزية ، وظلت كاشغر وما وراء النهر على حالها من التبعية للكورخانيين الى أن قضى علاء الدين محمد خوارزم شاه على دولتهم فى حدود (٦٠٩هـ) وكان الخانات الافراسيابيون يؤدون اليهم الجزية أيضا .

حروب سنجر فى خوارزم فى (٥٣٨) و(٥٤٢هـ) :

لما هزم سنجر من القراخطائيين وأتى ترمذ وبلخ انتهز أتسز الفرصة لتجديد عصيانه ومهاجمته خراسان وفى ربيع الأول (٥٣٦هـ) بلغ سرخس ومنها الى مروشاهجان عاصمة السلطان فقام عليه أهلها فقتل أتسز منهم مقتلة عظمى منتقما وعاد الى خوارزم • وعاد ثانية فى شهر شوال الى خراسان وأسقط فى ذى القعدة اسم سنجر من خطبتها وأمر أن يخطب له فيها واستمر هذا الحال حتى أول المحرم من (٥٣٧هـ) ولم يك لسنجر قدرة على منعه بسبب الهزيمة التى حلت به • وعاد أتسز الى خوارزم وأعلن استقلاله وأنشأ رئيس ديوان انشائه الشاعر والكاتب البالغ الشهرة رشيد الدين عمر البلخى الوطواط(١) بمدحه بقوله

لما اعتلى الملك أتسز عرش   انتهت دولة سلجوق وآله(٢)

وبلغ الغضب بسنجر مبلغا عظيما لما فعله أتسز فهاجم خوارزم فى (٥٣٨هـ) وحاصرها فأخذ أتسز يعتذر اليه ويخطب مصالحته فعفا عنه سنجر وعاد الى خراسان •

لكن أتسز لم يصف لسنجر فى أى وقت وكانت مصالحته له من وجه الاضطرار دائما حتى أنه بعد فترة أرسل بشخصين سرا لقتل سنجر فأرسل مبعوث السلطان فى خوارزم وهو الشاعر المشهور أديب

---

(١) سمى الوطواط لضآلة جسمه وشبهه هذا الحيوان فى الضآلة ، وقد اتصل بغير الخوارزميين أيضا كآل باوند والخاقان محمود بغراخان والشاه الغازى نصرة الدين رستم بن قارن وغيرهم ، بيد أنه شهرته فى الأدب الفارسى طغت على اتصاله بالحكام ، ففوق ديوان له ورسائله السلطانية والاخوانية له كتاب عظيم الشأن فى البديع والصناعات اللفظية وهو حدائق السحر فى دقائق الشعر (ترجمه الدكتور ابراهيم الشواربى وقدم له) . له أيضا منظومة فى العروض الفارسى ونثر اللآلىء من كلام أمير المؤمنين على ، وبعض رسائل بالعربية فى الأدب والكلام ، وتخول له تآليفه مكانة كبيرة فى الأدب الفارسى والنثر العربى .

(١) البيت بالفارسية :

جون ملك اتسز بتخت ملك برآمد * دولت سلجوق وآل اوبسرآمد

شهاب الدين اسماعيل صابر(١) بالمؤامرة الى سنجر فقبض سنجـر على الرجلين وقتلهما ، وألقى أتسز بأديب صابر أيضا فى نهر جيحون •

وفى جمادى الآخرة (٥٤٢هـ) حمل سنجر مرة أخرى على خوارزم وحاصر قلعة (هزاراسب) فاقتحمها بعد شهرين ، فأتى أتسز وقد أعيته الحيل مضطرا الى سنجر فى المحرم من (٥٤٣هـ) وأحنى رأس الاستسلام عن كراهية وعفا السلطان ثانية عن ذنوبه •

فتنة الغز فى (٥٤٨هـ) :

كانت طائفة الغز كما سبق الشرح جماعة مـن التركمان المسـلمين كالسلاجقة الساكنين فيما وراء النهر • وقد هاجـروا منها بعـد استيلاء القراخطائيين عليها وسكنوا حوالى بلخ • وكانت بلخ فى هذا الوقت تحت حكم الأمير قماج من كبار أمراء جيش سنجـر فطلب الى الغز أن يتركوا حدود بلخ ويذهبوا الى مكان آخر ، فرفض التركمان الغز فهاجم قمـاج ولم تستطع هذه الجماعة أن تصرفه عن عزمه برغم محاولاتهم بأن يعطوه ما يشاء من مال ، فاضطروا الى الحرب وبعد أن هزموه انصبوا على بلخ ولم يرعووا عن القتل والنهب •

وهدد السلطان سنجر التركمان الغز ليتركوا بلخ فانبعثوا يعتذرون اليه وقالوا انهم مستعدون أن يعطوه كل عام المـال والعبيد اذا أبقاهم فى مراعيهم • فلم يسمع سنجر لهم وقصدهم ليزيلهم بنحو مائة ألف •

وألحق بدو الغز بجيش سنجر الهزيمة الأولى فى المحرم من (٥٤٨هـ) بالقرب من بلخ والهزيمة الثانية فى جمادى الأولى من نفس العـام على مقربة من مرو وقتل فى المرة الثانية الأمير قماج وجماعة غيره من أمـراء

---

(١) اديب صابر واصله من ترمذ انشأ يمدح اولا سـنجر ثم بعثـه برسالة الى اتسز فمكث بخوارزم فترة حدث له فيها ما حدث . خـلف ديوانا من القصائد والغزليات وكان متأثرا فى اشعاره بأسلوب العنصرى والفرخى ، وله مناظرات شعرية مع الوطـواط .

سنجر ووقع السلطان وزوجته فى السادس من جمادى الأولى أسيرين فى يد الغز وتدافـع البدو التركمان فى مناطق خراسـان كالنمل والجـراد وأصبحت بلادها العامرة التى كانت كل منهـا العـين والمصباح لعـالم الحضارة وقل نظيراتها فى العمارة وكثرة السكان موطىء حوافـر ودواب هذه الجماعة المغيرة الدموية وأشاعوا النهب والسلب فى مرو وبلخ وطوس ونيشابور وهراة وذاق كثير من العلمـاء وأهل الزهـد والتقوى شربـة الشهادة من يد أولئك الغز ولم تسلم من هجومهم غير هراة وحدها بسبب قلاعها المستحكمة وألقى أمراء الغز وكان أشهرهم ناصر الدين أبو شجاع الطـوطى بسنجر فى السجـن حتى أوائل (٥٥١هـ) وكانوا يظهـرون له الاحترام ويعترفون به سلطانا لكنهم لم يغفلوا عنه حتى لا يفـر ويأتيهم منتقمـا .

وممن نجا بروحـه من أمراء سنجـر مع وزير السلطـان طاهر بن فخر الملك سليما نشاه السابق الذكر ابن السلطان محمود بن السلطـان محمد الذى كان سنجر منذ فترة قد اختاره لولاية عهده فرفعوا الى مكان السلطان ، وأتى سليما نشاه فى جمادى الآخرة مـن عام (٥٤٨هـ) الى نيشابور لكنه لما كان رجلا ضعيف النفس سىء المسـلك فلم يطق صراع الغز وبعد أن مات وزير السلطان طاهر بن فخر الملك فى شوال مـن نفس العام لم يستطع البقاء فى خراسان وعاد الى العراق فى صفر من (٥٤٩هـ).

ودعا أمراء سنجر الخاقان ركن الدين محـمود ابن أخت السلطان من بلاد ما وراء النهر الى خراسان وخطبوا له فيهـا ، وفى نفس هـذه الأيام أدخل أحـد الغلمان القدامى للسلطان واسـمه (المؤيد آى آبه) نيشابور وطوس ونسا وأبيورد وبيهق والدامغان تحت امرته وطرد الغز عن هذه البلاد وقبل أخيرا أن يستقل فى هذه النواحى وأن يعطى خراجـا سنويا الى الخاقان محمود .

وطوال مدة أسر سنجر لم يستفد أتسز خوارزم شاه من اضطراب أوضاع بلاد سنجر مع أنه كان دائم الطمع فى خراسان وشغل نفسه أكثر

هذه الفترة بالجهاد فى حدود شمال خوارزم وشرقها • ولما أدرك الخاقان محمود بعد وصوله الى خراسان أنه لن يطاول منفردا الغز طلب أتسز ليعاونه فتلاقى أتسز به فى خراسان وكتب مكاتيب الى الشاه الغازى اسبهيد طبرستان وعلاء الدين حسين الغورى وتاج الدين أبى الفضل ملك نيمروز ودعاهم الى معاوية سنجر،ووصلت أنباء خلاص سنجربتدبير أحد الأمراء من قبضة الغز ووصوله الى ترمذ فى تلك الأثناء ، فكتب أتسز رسالة الى السلطان وهنأه فيها بخلاصه من قبضة الغز الذى تم فى أوائل (٥٥١هـ) وطلب السماح منه اليه أن يذهب الى خوارزم أو يبقى بخراسان أو يلحق بجيش السلطان ، ولكن قبل أن يحسم قراره مرض فى حدود قوجان ووافته منيته فى ليلة التاسع من جمادى الأولى من (٥٥١هـ) •

وفاة السلطان سنجر فى الرابع عشر من ربيع الأول من (٥٥٢هـ) :

استمر أسر سنجر فى يد الأتراك الغز ثلاث سنوات وبعض سنة ، ولم يكن السلطان طوال هذه المدة مستعدا للفرار خوف أن تظل زوجته أسيرة بيد التركمان ، فلما توفيت زوجته ، وصل السلطان بعون من جماعة من حراسه الى شاطىء جيحون بقصد القنص وبلغ ترمذ بواسطة القوارب التى كان صاحب ترمذ قد هيأها له من قبل ، ووصل مرو بجيش كان مهيأ أيضا من صاحب ترمذ وبعض الأمراء الآخرين ، وجلس ثانية على العرش ، ولكن ضعف الشيخوخة وحزنه على وفاة شريك حياته وخراب البلاد وظهور العصاة أوهنت منه تدريجا فمات فى السنة التالية فى الرابع عشر من ربيع الأول ودفن فى مروشاهجان عاصمته وكان عمره اثنتين وسبعين سنة وانقضت نحو واحدة وستين سنة فى امارته وسلطنته•

والسلطان سنجر أحد أعظم وأفضل سلاطين ايران وكان بذى جد وجهد بليغين فى تعمير البلاد ورفاهية الرعية واحكام الأمن والأمان فوق أنه شجاع وكريم محب لرعيته وكان منتصرا دائما باستثناء واقعتين وكان

يخطب له من أقصى كاشغر حتى شاطىء البحر المتوسط ومن القبجاق حتى ساحل هرمز والحرمين ، ومن حدود عام (٥١١هـ) عام جلوسه على السلطة حتى عام وفاته كان سلاطين خوارزم وغزنة والعراق وحتى جرب قطوان أمراء كاشغر وما وراء النهر ، كل أولئك تابعين له يرسلون الى بلاطه الخراج • ولم يحز أحد السلاطين السلاجقة على ما حاز من فتوح فى غزنة وما وراء النهر والغور وخوارزم ، واذا لم ينل الفتوح فى الغرب، الا أنه أوسع دولة السلاجقة فى شرقها وشمالها الشرقى وسعة جديدة ومد حدودها بضم بلاد الأمراء الغزنويين والغوريين والوادى الأعلى لنهر سيحون الى أطرف هذه المناطق •

والأمر الآخر الذى أذاع من صيت سنجر فى تاريخ ايران وأدبها هو اهتمامه الكامل بالشعر الفارسى وصلاته ونواله التى كانت تبلغ أدباء هذه اللغة والفضلاء الآخرين • وربما لم يقل المدح الذى أنشد له لملك قبله قط كما أن الكتب التى ألفت باسمه فوق الحصر ، خاصة شعر الطراز الأول فى اللغة الفارسية للشاعرين أمين الشعراء محمد بن عبد الملك المعزى النيشابورى(١) والحكيم أوحد الدين على بن محمد الأنورى الأبيوردى (٢) اللذين أعليا ذكره بقصائدهما الغراء وخلداه بها•كما أنشأ

---

(١) المعزى المتوفى فى حدود عام (٥٢٠هـ) هو أمير الشعراء ابو عبد الله محمد بن عبد الملك من كبار شعراء العصر السلجوقى ، وكان ابوه عبد الملك البرهانى شاعر بلاط الب ارسلان وتوفى فى بداية حكم ملك شاه . وتخلص المعزى نسبة الى معز الدين والدنيا ملك شاه الذى لقبه أيضا بأمير الشعراء وكانت وفاته بيد مليكه الذى لم يبرح بلاطه اذ أصابه سهم الملك بلا قصد فجرح وظل جريحا حتى موته . وأشعار المعزى تشمل القصائد والغزليات التى تتصف بالبساطة وعدم التكلف وتحفل قصائده باشارات تاريخية تعود الى العصر السلجوقى كحروب ملكشاه وسنجر وصلحهما .

(٢) الأنورى هو أوحد الدين الملقب بحجة الحق المتوفى عام (٥٨٣هـ) مهر فى الأدب والرياضة والفلسفة والحكمة وكان متعلقا بآثار ابن سينا وكتب بعضها بخطه كما كان متبحرا فى الفلك . والأنورى من شعراء القصيد الفارسى وفاق سابقيه فى الفصاحة والدقة . كما أن غزلياته تتسم باللطف والجمال ، ومهر أيضا فى الهجاء . وقد أفاد الأنورى فى شعره بلغة الحوار ومالت أشعاره حينا الى البساطة والسلاسة والى التعمق والابهام حينا آخر، وقد شهد الشعراء بعد الأنورى له بالأستاذية .

شعراء آخرون قصيد مديحه من قبيل أديب صابر الترمذى وكمال الدين الكمالى البخارائى (١) وفريد الدين عبد الواسع الجبلى والسيد أشرف الحسن بن الناصر الغزنوى والحكيم السنائى .

أوضاع خراسان بعد موت سنجر :

ولما لم يكن للسلطان سنجر وقت احتضاره أولاد ذكور ، فقد نصب ابن أخته الخاقان أبا القاسم محمودا فى مكانه بالسلطنة ، الا أن حكم محمود وسط طائفة الغز وكانوا لا يزالون يستولون على جزء من خراسان ومؤيد الدين آى ابه الذى سيطر على القسم الآخر من هذه البلاد كان حكما مضطربا . فقد قبل الغزو حكومته وأدخل مؤيد الدين آى ابه نفسه تحت أمره على نحو أنه تسلط على جميع أمور الدولة وغدا محمود فى الحقيقة تحت تصرفه ونفوذه .

وعمل مؤيد الدين آى ابه ومحمود على مقاتلة الغز وكانت الحرب بين الطرفين سجالا الى أن تغلب عليهما الغز تماما فى شوال (٥٥٣هـ) وهرب مؤيد ومحمود وأخذت هذه الجماعة المتجزئة تنهب وتسلب فى بعض بلاد خراسان ثانية . وأقام محمود فى جرجان الى أن أرسل ابنه فى (٥٥٤هـ) الى خراسان باستدعاء من الغز ثم أتاها بنفسه . لكن مؤيد آى ابه لم يوافق السلطان وبلغ خبوشان (قوجان) أو قوشان ومع أنه سقط فى قبضة الغز لكنه استطاع الفكاك منهم ونجح فى جمع جيش فى نيثابور وأخذ يهاجم به فى هذه النواحى الى أن قر الصلح بينه وبين محمود فى

---

(١) لعل اقبال يقصد به الشاعر أبا النجيب شهاب الدين عمعق البخارائى المتوفى (٥٤٣هـ) والذى لقب بأمير الشعراء فى بلاط سمرقند عهد حكم خضر خان ابراهيم وقد مدح جملة من ملوك الخانية بسمرقند ثم اتصل بسنجر ونظم مرثية فى ابنته وعاصر الأنورى والرشيدى السمرقندى من شعراء ما وراء النهر . وقد حذق عمعق استخدام الصناعات البديعة خاصة التشبيهات والكلمات الموزونة ، وشمل ديوانه القصائد والرباعيات ، وينسب اليه (يوسف وزليخا) الذى يمكن قراءته ببحرين ، وهو غير موجود الآن .

ذى القعدة فترك له محمود بنشابور وطوس •

وفى جمادى الآخرة من (٥٥٦هـ) بادر محمود بحصار نيشابور ومعه الغز ، لكنه استغل انشغالهم فى الحصار فلاذ بالفرار الى مؤيد • ولما عجز جندالغز عن فتح نيشابور عادوا الى الاغارة على طوس وظل محمود حتى رمضـــان من (٥٥٧هـ) عنــد دؤيد • وفى هــذا الأوان أعمى مؤيد الدين محمودا وابنه وظلا على حالهما هذا الى أن لقيا حتفهما فى حبسه ، فخطب مؤيد آى آبه فى نفس هذا الوقت بالسلطنة لنفسه ، وبعد قليل سيطـر على طوس وقومس أيضا وفى (٥٥٨هـ) قبل أن يخطب للسلطان أرسلان ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه الملك السلجوقى بدعـوة من شمس الدين ايلدكز الأتابك فى دائرة حكمه ، فكان يخطب فى خراسان آنذاك لثلاثـة ملوك : فى قومس وطوس وبيهق ونيشابور للسلطان أرسلان السلجوقى . وفى جرجان ودهستان لايل ارسلان خوارزمشاه وفى بلخ ومرو وسرخس كانت أولا للسلطان المتوفى سنجر ، ثم صارت لحاكم تلك البلاد • وقــد استولى الخوارزمشاهيون كما ســيأتى على خراسان وقتل خوارزمشـــاه مؤيد آى ابه •

٧ ـ مغيث الدين أبو القاسم محمود بن محمد ملكشاه

(٥١١ ـ ٥٢٥هـ)

كان السلطان مغيث الدين أبو القاسم محمود قد ولى ســلطنة العراق بعد موت أبيــه الســلطان محمــد فى ذى الحجــة من (٥١١هـ) وبعد أن لقى الهزيمة فى الثانى عشر من جمــادى الأولى (٥١٣هـ) عــلى يدى عمه الســلطان ســنجر فى ساوه وعاد الى ســلطنته الســابقة عن طريقه أيضــا قدم الى أصــفهان والســتوزر بأمر ســنجر كمــال الملك على بن احمــد الســميرمى صاحب ديوان الأشراف فى بلاط والده وكان معروفا بكفاءته وفضله وكان أيضــا سبب الاتيان بمحمــود بعد هزيمته

الى ســنجر واختير قوام الملك أبو القاسم رئيســا لديوان الطغــراء والانشاء وشمس الملك بن نظام الملك مستوفيا عاما للمملكة •

وارتهن الســلطان محمود فى بداية سلطنته بعصيان أخويه طغرل ومسعود ، فقد تحرك الأخير وكان فى الموصل حينمات أبوه صوب بغداد فى جمــادى الأولى (٥١٢هـ) بمؤازرة بعض من أمراء الجزيرة واستولى عليها ، لكنــه صالح أخــاه محمودا لما ترك محمــود لــه آذربايجــان والموصل فعاد الى مقر حكمه بعد قليل • وكان طغرل حين مات أبوه يبلــغ الثامنة من العمر ، وكان أتابكه أنوشتكين شيركير يدير باسمه ولايــات ساوه وآوه وزنجان • ثم عزلــه الســلطان محمــود عن أتابكية طغرل فى (٥١٣هـ) مع أنه استولى على بعض قلاع الاسماعيلية فى عهد السلطان محمــد ، ونصب محمود أتابك جديدا لكى يأتى بأخيه اليــه • وحرض الأتابك الجديد طغرل على العصيان ولما سمع بحركة الســلطان محمــود الى همــدان اصطحب طغرل وهرب الى كنجه واستولى بالتدريج عــلى أران ووادى الأرس •

وفى (٥١٤هـ) عاود مسعود ثورته على أخيه محمود بعد هزيمته من ســنجر وترك الموصل لحرب أخيه بصاحبه وزيره الشــاعر الفاضــل المعــروف مؤيــد الدين أبو اســماعيل الحســين بن على الطغــرائى الاصفهانى(١) ، لكنه غلب على أمــره فى الحــرب التى جرت فى منتصف ربيع الأول من هذه السنة فى وعر جبال أسد آبــاد بين الطرفــين وأسر الطغرائى ثم قتــل بأمر محمــود • وآثر مســعود الفرار ثم أطــاع أخــاه ، بعــد قليــل ، مضــطرا •

---

(١) هو فخر الكتاب ابو اسماعيل المقتول عــام (٥١٤هـ) من كبــار الشعراء والادباء العرب وكان وزيرا لمسعود بــن محمد بن ملكشــاه من ســلاجقة العراق ، وقد عد من الشعراء المشاهير والادباء بعصره ، وقصيدته العربية المسماة بلامية العجم معروفة ، وقتل بتهمة الالحاد .

حرب محمود مع الكرجيين فى (٥١٧ هـ) :

استولى ملك الكرجيين داود الثانى (٤٨٢ — ٥١٩هـ) ابن جيورجى السابق الذكر الذى كان رجلا عاقلا نشطا مطلعا على الاسلام والقرآن الكريم كاف الاطلاع وكان يعامل رعاياه المسلمين بكمال الرأفة وحسن المعاملة ، استولى ابنه على المناطق الشمالية لملكته من البحر الأسود حتى الداغستان والدربند وأدخل فى جيشه نحو أربعين ألفا من الأتراك القبجاق وجعل من أحد أمراء شروان المسلمين حليفا لكرجستان بتزويجه من ابنته ولما بلغ هذه القوة شرع فى (٥١٣هـ) بمهاجمة أران وتفليس وكانت للسلاجقة وبلغت شراسة هجومه حدا أن المسلمين بأران وأرمنية والجزيرة نهضوا فى (٥١٤هـ) لجهاده وتقدم اليه طغرل أخو السلطان محمود مع أتابكه وأمراء الحلة وماردين لرده ، لكن داود هزمهم قرب تفليس وحاصر داود تفليس واستولى عليها فى (٥١٥هـ) وفتح هذا البلد الذى ظل بأيدى المسلمين نحو أربعمائة عام وصارت تفليس عاصمة لبلاد الكرج ثانية ولهذا لقب الكرجيون داود الثانى بمحيى بلاد الكرجيين •

وبعد هزيمة طغرل صالح أخاه السلطان محمودا ، وأتى قوم من شعب تفليس والدربند الى خليفة بغداد والسلطان بهمدان يطلبون العون على داود فتحرك محمود فى (٥١٧هـ) لمعاونتهم وضم مدينة شماخى من ملك شروان صهر داود لكن جنده لم يجرؤوا على مهاجمة جند داود الكرجيين ، وأزجى شمس الملك الوزير الذى بلغ الوزارة من (٥١٦هـ) حين قتل كمال الملك السميرمى بيد الملاحدة النصح الى السلطان بالعودة فكر السلطان راجعا الى همدان بعد مدة من اقامته بشروان ، فانتهز داود الفرصة لكى يسترد شروان ومدينة آنى (حانى) عاصمة أرمنية القديمة أيضا اليه •

وفى عودة السلطان من شروان عاد أبو القاسم الدركزينى الذى لقى

سنجر فى سفارة بخراسان وأكثر من سعايته عنده ضد شمس الملك ، وأبلغ أمر سنجر بارسال شمس الملك الى مرو السلطان محمودا ، فقتل محمود شمس الملك أيضا بناء على اشارة مستوفيه خوفا من أن يطلع شمس الملك سنجر على أسراره اذا قابله ، ونجح الدركزينى بعد هذا بقليل أن يخلفه وأن يبلغ الوزارة التى كان منتهى أمله .

حرب محمود مع الخليفة المسترشد فى (٥١٢هـ) :

قصد السلطان محمود بجيش كثيف بغداد فى (٥١١هـ) بسبب الخلاف الذى ظهر بين شحنته السلطان فى بغداد والخليفة المسترشد فأخذها فى المحرم من (٥١٢هـ) وأجبر الخليفة على مصالحته ، وبعد شهرين أقامهما محمود فى دار الخلافة عاد الى همدان . وفى وصول محمود الى همدان ألقى بقوام الملك الدركزينى وزيره الدساس فى الحبس وأحل محله المؤرخ والمنشىء الكبير شرف الدين أنوشروان بن خالد الكاشانى .

وظل الدركزينى حتى (٥٢٢هـ) فى الحبس . وأتى السلطان سنجر وقتذاك من خراسان الى الرى ليرى هل خرج محمود عن طاعته كما أبلغه المغرضون أم ما يزال على طاعته . فتقدم السلطان محمود من همدان الى الرى ليستقبل عمه سنجر فأجلسه عمه بجواره على العرش وأظهر له كثيرا من الاكرام ، وقد حضر هذا اللقاء أخوة محمود الثلاثة الآخرون وهم طغرل ومسعود وسليمان أيضا . وقد أطلق محمود لاصرار السلطان سنجر الدركزينى من قيده وجعله وزيرا بأمره أيضا لوزارة ابنة سنجر وكانت زوج محمود ، وتمكن الدركزينى بعون هذه الزوجة أخيرا فى الرابع والعشرين من المحرم (٥٢٣هـ) من وزارة السلطان .

٨ ــ غياث الدين داود بن محمــود
(شوال ٥٢٥ ــ جمادى الآخرة ٥٢٦هـ)

و

٩ ــ ركن الدين أبو طالب طغرل بن محمد
(جمادى الآخرة ٥٢٦هـ ــ المحرم ٥٢٩هـ)

ومات الســلطان محمود فى شوال (٥٢٥هـ) بعاصمته همــدان بعــد اثنتى عشرة سنة وعشرة شــهور ســلطنة ، فرفــع وزيره أبو القاســم الدركزينى ابنه داود بلقــب غيــاث الدين الى عرش الســلطنة ، الا أن الناس لما قاموا فى همدان على الوزير جمع الوزيــر أموالــه وأتى الرى وكانت جزءا من مملكة سنجر أما داود فقد توجــه الى زنجــان فى ذى القعــدة من هــذه الســنة .

ولما سمع عم داود مسعود خبر موت أخيه عاجل الى تبريز فاستولى عليها ، وقدم داود لقتال عمه وحاصر تبريز فى آخر المحرم من (٥٢٦هـ) ، ومع أن مســعودا صالح ابن أخيه الا أنه وصــل مسرعا الى همــدان وأرسل منها رسلا للمسترشد ببغداد وطلب اليه أن تجرى الخطــبة لــه وطلب داود أيضا نفس الأمر ، فأجاب الاثنين أن الحكم فى هذا الطــلب للســلطان سنجر وسوف يخطب لمن يحكم له ، وبينما كان النزاع قائمــا بين مسعود وداود ورد أخ لمسعود وابن للسلطان هو سلجوق شــاه والى فارس الى بغداد وأقام بها فاستقبله الخليفة بحفاوة واحترام .

وهاجم مسعود بعون من أتابك الموصل بغداد واشتبك فى قتــال مع أخيه سلجوقشاه والمسترشد ، فهزم سلجوقشاه أتابك الموصــل ، ولمــا تناهت الأخبار بأن الســلطان ســنجر قاصد العراق فى هــذه الآونــة ، أخاف مســعود الخليفة بوصوله ، فقبل المسترشد أن يخطــب لمســعود وأن يكون ســلجوق شــاه ولى عهــده .

قتـــال سنجر لمسعود فى الثامن من رجب (٥٢٦هـ) :

قدم السلطان ســـنجر بدعوة من الدركزينى بعد موت ابن أخيه فى آخر ربيع الآخر (٥٢٦هـ) الى الرى ، وبادر طغرل أخو مسعود وسلجوق شـــاه أيضا الى مقابلته فجعل من داود ولى عهده فى خراســـان وما وراء النهر وسلطنة العراق ، وتحرك من الرى الى همدان ونهـــاوند ، فصمـــم مسعود وسلجوق شاه والمسترشد على قتـــال الســـلطان ســـنجر ، لكن الخليفة تأخر عن التحرك معهم ، وألحق السلطان ومعه الأمـــير قمـــاج وأتسز خوارزم شاه وطغرل بجيش مســـعود وسلجوق شـــاه الهزيمـــة قرب دينور فى الثامن من رجب (٥٢٦هـ) واستدعى مسعودا الذى هـــرب الى آذربايجان وبعد أن عفا عنه أرسله لامارة كنجة وأران ونصب طغرل رسميا على سلطنة العراق وأبقى قـــوام الملك أبـــا القاســـم الدركزينى بوزارته ، ثم عاد الى خراسان للقضاء على عصيان أحمـــد خان خـــاقان ما وراء النهر •

١٠ ــ غياث الدين أبو الفتح مسعود بن محمد
(٥٢٩ ــ ٥٤٧هـ)

بعد عـــودة سنجر رجع داود الى همدان واشتبك فى رمضـــان من (٥٢٦هـ) مع طغرل يقاتله ، فهزم طغرل داود قرب همـــدان فهـــرب الى بغداد • وكان مسعود على حكومة كنجة فتركها الى بغداد عند سماعه هذا الخبر ولقى داود بها وحث الخليفة على أن يعترف به سلطانا وبـــداود وليـــا لعهده فى صفر (٥٢٧هـ) ثم هاجم همدان وهزم طغرل فى شـــعبان (٥٢٧هـ) وسيطر على عاصمة سلاجقة العـــراق •

وسمع أيضا بأن أخاه عاد منهزما فى طريق قم والـــرى فذهـــب فى عقبه فاستولى على هذين البلدين وعلى جزء من فارس وأخذ طغرل ومعه الدركزينى يتنقلان هاربين من مدينة الى أخرى • وقد قتل فى نفس أيام

هروبه الدركزينى فى شوال (٥٢٧هـ) فى النهاية وأراح الناس من شره .

وبعد أن جمع طغرل جيشا جديدا تغلب على مسعود فى رمضان (٥٢٨هـ) على مقربة من قزوين واسترد منه همدان وفر مسعود الى بغداد وطلب عون الخليفة . وكان المسترشد عازما على معاونته حين سمع خبر موت طغرل فى المحرم من (٥٢٩هـ) فأتى مسعود الى همدان وجلس على عرش السلطنة .

قتل المسترشد فى الثامن عشر من ذى القعدة (٥٢٩هـ) والراشد فى الخامس والعشرين من رمضان (٥٣٢هـ) :

بعد أن استقر مسعود على عرش سلطنة سلاجقة العراق اصطدم بالخليفة المسترشد وكان سبب ذلك التجاء بعض أمراء مسعود الى دار الخلافة وحثهم الخليفة المسترشد على اسقاط اسم مسعود من الخطبة . وزحف المسترشد بدعوة من هؤلاء الأمراء فى شهر رجب (٥٢٩هـ) لقتال مسعود ولما اقترب من جبل بيستون فاجأه مسعود وجنده وصحبه ، فأسر الخليفة وتفرق جنده . ورحل مسعود بالخليفة الأسير الى آذربايجان لأن داود ابن أخيه(١) كان وعد المسترشد بالعون وأعلن عصيانه مسعودا ، فسار مسعود بأسيره فى شوال من عام (٥٢٩هـ) ثم حط رحله على بعد منزلين من مراغة .

وصالح مسعود المسترشد حينئذ وتقرر أن يعود الخليفة الى بغداد ويرسل الى مسعود أربعمائة ألف دينار سنويا وأن يمتنع عن جمع الجيوش أو مغادرة منزله . ولكن قبل عودة المسترشد الى بغداد بلغه سفير من سنجر فأبقى مسعود الخليفة عنده لكى يعرف نتيجة رسالته ، وفى هذه المدة قتل المسترشد فى الثامن عشر من ذى القعدة على يد جماعة من الباطنية وعلم بعدها أن سنجر حرض هذه الجماعة على قتل الخليفة .

وبعد قتل المسترشد خلفه ابنه الراشد ، ووقع فى نزاع مع مسعود

---

(١) ذكر المؤلف ان داود اخو مسعود والصحة ان داود ابن اخيه محمود.

فى (٥٣٠هـ) لعجزه عن دفع الخراج السنوى اليه فأبعد اسمه عن الخطبة فنادى ابن أخيه داود وطالب حكمه بنفسه سلطانا وحرك أمراء الأطراف لمقاتلة مسعود وعصيانه ، فأتى مسعود بغداد فلاذ الراشد اشفاقا منه بأتابك الموصل واختير المقتضى خليفة مكانه •

وفى (٥٣٢هـ) قدم الراشد من الموصل الى آذربايجان حيث داود فانحاز اليهما أتابك فارس وبعض الأمراء الذين كانوا يخشون مسعودا وتحرك الجميع لمقاتلته ، فهزمهم مسعود فى شعبان من هذه السنة قرب دينور ، وأتى الراشد وداود الى خوزستان ومنها الى أصفهان وفى هذه المدينة فى الخامس والعشرين من رمضان لفظ الراشد آخر أنفاسه بعد طعنات من أحد الاسماعيلية •

موت مسعود فى أول رجب (٥٤٧هـ) : —

أنفق مسعود القسم الأخير من سلطنته غالبه فى اشتباكات مع أمرائه وأولئك الذين كانوا يعلنون ملوكية اخوته أو أبناء اخوته على الرغم من أنفه ، وفى هذه الفترة أتى سنجر مرة واحدة فى عام (٥٤٤هـ) الى الرى لكى يصلح من أمور الحكم بها وبادر مسعود الى طاعته وتجديد عهد تبعيته وانقياده له • وفى النهاية تغلب مسعود على غالب الأمراء العاصين وانتهى أمرهم أكثرهم الى الانهزام أو القتل • ومات مسعود بعد حكم دام نحو ثمانية عشر عاما فى همدان فى غرة رجب من عام (٥٤٧هـ) وهو آخر ملك كبير من شعبة سلاجقة العراق أو آخر سلطان قوى للأسرة السلجوقية لأنه لم يظهر من بعد موته وموت السلطان سنجر الذى حدث بعد هذا بنحو خمسة أعوام من يعد صاحب اسم أو صفة معتبرين من هذه الأسرة •

١١ ـ معز الدين أبو الفتح ملكشاه بن محمود
(من رجب (٥٤٧هـ) حتى ذى القعدة من نفس العام)

و

١٢ ـ غياث الدين أبو شجاع محمد بن محمود بن محمد
(٥٤٧ ـ ٥٥٤هـ)

بعد السلطان مسعود أصبح ابن أخيه ملكشاه بن محمود بن محمد ملكا ، لكنه كان رجل لهو ولعب وخمر وعجز فى تصريف الأمور فخلع الأمراء بعد أربعة شهور حكمه واختاروا أخاه محمدا ملكا وكان فى خوزستان .

وكان من غلمان كمال الملك السميرمى وزير السلطان محمود أحد الأتراك القبجاقيين اسمه ايلدكز(١) ولقبه شمس الدين أخذ يرقى تدريجا فى بلاط الحكم الى أن ولاه السلطان مسعود فى حدود (٥٤١هـ) حكم آذربايجان وأران ، وزوج مسعود بعد موت أخيه طغرل الثانى زوجته من الأتابك شمس الدين ايلدكز ، وظل ايلدكز حتى آخر حكم مسعودا عبدا وفيا له .

أما الأخ الرابع لمسعود وطغرل وهو سليمان شاه الذى أسره مسعود عند عصيانه له فألقى به مسعود فى حبسه فقد فر من حبسه بعد جلوس السلطان محمد الثانى وعزم همدان للاستيلاء على العرش والتاج ولكن أتباعه تفرقوا عنه قبل أن تشب حرب بينه وبين محمد ، فتوجه سليمانشاه الى سنجر فاختاره السلطان وليا لعهده ، ثم اختير سلطانا بعد أسر سنجر كما مر بنا ، لكنه كر قافلا الى العراق خوفا من الغز فى

---

(١) ايلدكز أو ايلدركوز تركية بمعنى (المشرف على الناس) (فامبرى ح ١ ص ١٥١) .

صفر (٥٤٩هـ) ولم يسمح له الغز بدخول كاشان وأصفهان وخوزستان • فلاذ بالخليفة ودخل بغداد فى أول (٥٥١هـ) باجـازته ونادى الخليفـة بسلطانه ولقبه بألقاب أبيه السلطان محمد وجعل من ملكشـاه الثـانى ولى عهـده أيضـا •

وهزم محمد فى نفس العام بعون أمير الموصـل سليمانشـاه الذى تحالف مع الأتابك ايلدكز فأسر سـليمانشاه وحبس بالموصـل ، وهاجم محمد بغداد ليرغم الخليفة على الاعتراف بسلطنته وحاصر بغداد الى أن سمع أن الأتابك ايلدكز وملكشاه الثانى وأرسلان شاه ابن طغـرل الثانى وابن زوجة ايلدكز دخلوا همدان واستولوا على عاصمته ، فأجبر على أن يتخلى عن حصار بغداد وقصد همدان فى الرابع والعشرين من ربيـع الأول من عام (٥٥٢هـ) •

وآب ايلدكز وملكشاه الى الرى الا أن (اينـانج) شـحنة الـرى هزمهما ووصل قبل وصول السلطان محمد الثانى الى همدان واسـتولى على عرشها لهذا السلطان • وفكر محمد بعد أوبته الى همدان أن يهاجـم آذربايجان ويدخل بلاد ايلدكز تحت تصرفه لكنه أصيب بمـرض السـل وبعد سنتين مات فى سلخ ذى القعدة (٥٥٤هـ) •

١٣ ــ غياث الدين أبو الفتح سليمانشاه بن السلطان محمد
(٥٥٤ ــ ٥٥٦هـ)

و

١٤ ــ ركن الدين أبو المظفر أرسلانشاه بن طغرل
(٥٥٦ ــ ٥٧١هـ)

ولما مات السلطان محمد الثانى وقع الخلف بين أمرائه على تعيـين خلفه فقد كان قوم يميلون الى سلطنة عمه سليمان شاه الذى كان يعيش فى حبس أمير الموصل ، وانحاز آخرون الى ملكشاه أخى السلطان المتوفى

وطلبت جماعة ثالثة سلطنة أرسلان شـاه بن طغـرل ابن زوج الأتـابك ايلدكز نظرا لقدرة هذا الأتابك • وكان بينهم اينانج شحنة الـرى الذى تغلب على ايلدكز وأرسلانشاه وكان جيشه يفوق غيره نفوذا وقوة فانحاز اينانج هذا الى سليمانشاه • وقد أطلق أمير الموصل سليمان شـاه بعـد موت محمد فأتى همدان وجلس على السلطنة ، ولكى يخمد فتنة ايلدكـز وأرسلان شاه جعل من الأخير ولى عهده وأناب شـمس الدين ايلدكز فى أران وآذربايجان • أما ملكشاه الذى كان يفكر فى عصيانه لعمه وشـغل نفسـه فى أصفهان بجمع الجيش فقد وافاه أجله فى أصـفهان فى ربيـع الأول (٥٥٥هـ) وسلمت السلطنة لسليمان شـاه •

كان سليمانشاه رجلا خميرا سكيرا عاجزا يصرف أيـامه فى اللهـو واللعب فضاق الأمراء ذرعا به وأمسكوا به فى شوال (٥٥٥هـ) وألقوا بـه فى الحبس ثم أهلكوه فى الثالث عشر من ربيع الأول (٥٥٦هـ) وطلبوا الى ايلدكز أن يأتى بأرسلان شاه الى همدان ويجلسه على عرش ملكيتهـا • وتلقب ايلدكز الذى كان يجمع جميع الأمور فى يديه بلقب الأتابك الأعظم وجعل من ولديه وأخوى أرسلان شاه لأمه وأولهما نصرة الدين محمـد جهان بهلوان حاكما لأران وآذربايجان وثانيهما مظفر الدين عثمان قـزل أرسلان قائدا للجيش • وعقد ايلدكز لابنه الأكبر محمد جهان بهلوان على ابنة اينانج والى الرى وبهذا حفظ قلبه طائعا له ، لكن تلك الطاعة لم تدم فقد كان ينفس اينانج على ايلدكز تقدمه فى بـلاط السـلطنة فتحالف مع الأتابك السلغرى لفارس وحاكمى أصفهان وقزوين ووزير الخليفة فأعلن سلطنة محمد بن طغرل الثانى • وهزم ايلدكز وابناه العصـاة وأصـاب اينانج ضربة شديدة فهرب الى الرى ، وعاد الأتابك الأعظم بعد مصالحته الى همدان على أن يدفع اينانج خراجا سنويا ، لكنه امتنـع عن ارسـال هذا الخراج سنة أو سنتين فزحف ايلدكز فى (٥٦٤هـ) نحـو الـرى فاستولى عليها وقتل اينانج على يد غلمانه •

ومن أحداث سلطنة أرسلان شاه الهامة هجومه وايلدكز على بـلاد

الكرج فى (٥٥٧هـ) وقتاله جيورجى الثالث (٥٥١ — ٥٨٠هـ) ملك هـذه البلاد والأبخاز وفتح (آنـى) و (دويـن) و (دبيـل) فى شرق آرارات وجنوب ايـروان وكان من نتيجة هذا أن غنـم المسـلمون من الكرجيين غنائم وأسرى كثيرين واسترجعوا البلاد التى أخرجهـا أبو جيورجى من قبضة المسـلمين قبل وأدخلوا ملك شروان تحت طاعتهم •

ومات الأتابك ايلدكز فى (٥٦٨هـ) بعد أن أسس لأرسلان شاه دولة قوية الى حد ما من حدود تفليس الى حدود مكران ، وبلغ ابنـه الأتابك نصرة الدين محمد جهان بهلوان حرية التصرف فى أمور السلطنة ، وقـد أبقى السلطان تحت تصرفه كما كان والده الى أن مات أرسـلان شاه فى (٥٧١هـ) بعد حكم خمس عشرة سنة ولم يكن لأرسلان شاه من السـلطنة غير اسـمها •

١٥ — ركن الدين أبو طالب طغرل بن أرسلان شاه
(٥٧١ — ٥٩٠هـ)

بعد وفاة أرسلان شاه أجلس الأتابك جهان بهـلوان ابنه الصـغير طغرل الثالث على عرش همدان وأمسك هو بأزمة الأمور بصفته الأتابـك وعهد الى أخيه قزل أرسلان بقيادة الجيش وأدار هذان الأخوان البـلاد التى استولى عليها أبوهما وحافظ عليها من هجوم الخصوم الطلاب حتى (٥٨٢هـ) حين مات جهان بهلوان ادارة حسـنة •

وحينما مات جهان بهلوان أحـب طغـرل الثالث الذى كان شـابا شجاعا حسن التربية دمث الخلق طموحا وقد بلغ الرشد أن يتحـرر من تحكم مظفر الدين قزل أرسلان وانضم اليـه جمـع من أمـراء جهـان بهلوان ، وبينما كان قزل أرسلان مشغولا فى أمور زفافه الى زوجة أخيه أبنة اينانج شحنة الرى السابق لاذ طغرل بالفرار من مدينة ساوة ليلتها واتجه الى سمنان ، فعجل قزل أرسلان فى عقبه لكنه هزم فى الدامغان من

أتباع السلطان فعاد الى همدان ومنها فى (٥٨٣هـ) الى آذربايجان ، وعاد طغرل بعد مدة من اقامته فى طبرستان الى همدان وأعلن نفســه سلطانا مســتقلا .

وحينما وصل الأتابك قزل أرسلان الى آذربايجان طلب من الناصر الخليفة العباسى عونه لدفع طغرل وخوف الخليفة هجوم طغرل ، فأرسل الناصر جيشا ضخما بقيادة وزيره فى أوائل (٥٨٤هـ) لمعاونة قزل أرسلان الى همدان ، ولم يتمكن قزل أرسلان من أن يصل الى جيش الخليفــة فى الوقت المناسب فهزمهم طغرل على وجه العجل فى الثامن من ربيــع الأول من هذه الســنة وهرب جيش وزير الناصر مهزوما واهنا الى بغداد .

ولما كر طغرل راجعا الى همدان بعد لقائه جيش الخليفة كان قــزل أرسلان قد بلغها قبله ونشبت الحرب بين الفريقين فى همدان ودام القتال شهرا حتى تعب جيش قزل أرسلان فمال بهم نحو أسد آباد واغتنم طغرل الفرصة فوصل آذربايجان حتى يضم بلاد الأتابك الأصلية .

وفى هذه الفترة كان قزل أرسلان قد استولى على همدان بالجيــش الذى أمده به الخليفة الناصر للمرة الثانية وأجلــس فى رجــب (٥٨٤هـ) سنجر بن سليمانشاه على عرش الســلطنة .

وكانت حكومة أصفهان فى هذا الوقت مع ولد الأتابك محمد جهــان بهلوان (قتلغ اينانج)(١) فلما رأى اضطراب أمر طغرل ضم الى حكمــه الرى وزنجان وهزم فى المدينة الأخيرة طغرل الذى كان مريضــا فذهــب طغرل الى همدان وكانت خالية من الأتابك الا أن الأتابك وصــل معجــلا فأسر السلطان وابنه ملكشاه وألقى بهما فى حبس احدى قلاع آذربايجان وأعلن سلطانه ولكنه قتل ليلة اليوم الذى كان يعتزم الاحتفال بســلطنته فى شهر شعبان (٥٨٧هـ) على نحــو لم يعرفــه أحد ونســب قتــله الى الفــدائيين الاســماعيليين .

---

(١) قتلغ اينانج تعنى (المؤمن السيد) (غامبرى ج ١ ص ٥١٥١) .

وبعد قتل قزل أرسلان استولى قتلغ اينانج أحد ولدى أخيه على الرى وأصفهان ونشر نصرة الدين أبو بكر علم امارته فى آذربايجان مكان أبيه وتخلص طغرل أيضا بيد بعض الأمراء من سجنه فأتى همدان واستحوذ على سلطنته الضائعة مرة أخرى ٠

وفى منتصف جمادى الآخرة من (٥٨٨هـ) لقى قتلغ اينانج الذى جرد جيشه على قزوين الهزيمة بها من طغرل فتحصن بالرى واستصرخ السلطان علاء الدين تكش خوارزمشاه(٢) الذى كان قد سيطر على خراسان وجرجان وطبرستان فأتى خوارزمشاه لمعاونته ، وفر من أمامه قتلغ الذى ندم على ما فعل ، وصالح طغرل خوازم شاه أيضا وتقرر أن تبقى الرى فى طاعة تكش ٠ وعاد خوارزم شاه بعد أن ترك جيشا فى الرى لدفع عصيان أخيه ٠

ولكى يطمئن طغرل من جانب قتلغ اينانج من بعد هذه الواقعة تزوج بأمه الا أن قتلغ وأمراء آخرين لم يكفوا عن نسج المؤامرات ضد السلطان فاضطر الى أن يأخذ الرى بحملة واحدة ويحبس قتلغ اينانج لكنه سرحه بعد مدة قليلة ، فطلب قتلغ ثانية عون تكش فأرسل له جيشا الى الرى ، وهزم طغرل هذا الجيش فى المحرم من (٥٩٠هـ) فى خوار بالرى وأجبر قتلغ على الهروب الى خراسان ٠

قتل طغرل الثالث وانقراض دولة السلاجقة بالعراق فى (٥٩٠هـ) :

ولما علم تكش بهزيمة جيشه زحف من خراسان ومعه قتلغ اينانج قاصدا الرى وخاصة أن الخليفة الناصر كان استدعاه أيضا لمدافعة طغرل وحينما اقترب خوارزمشاه الى الرى كان طغرل منهمكا فى اللهو واللعب يحيا متغافلا عن عدو كهذا بمثل تلك القوة ومعتمدا على تدبيره وقوته

---

(٢) تكش بكسر التاء لا فتحها لفظ تركى قديم معناه قتال أو حصار أو موقعة ومصدره دوكشمك أى المحاربة والدخول فى المعركة فامبرى ح ١ ص ١٥٠) ٠

وحدهما حتى أنه فى حربه مع قتلغ اينانج وخوارزم شاه ومعه قـلة من الجيش ألقى بنفسه وهو يقرأ بضعة أبيات من الشاهنامة برمحه الثقيـل لكنه سقط سريعا وقتله قتلغ فى الرابع والعشرين من ربيع الأول (٥٩٠هـ) وأرسل تكش رأسه الى الناصر بدار الخلافة وانتهت دولـة السـلاجقة العراقيـين بقتـل طغرل الثالث .

ترك تكش خوارزم شاه همدان لقتلغ اينانج والرى وأصفهان لعمال من قبله وصارت بلاد الجبل أى العراق العجمى بهذا جـزءا من المـالك الخوارزمشـاهية .

دامت دولة السـلاجقة الواسعة ــ التى لم يسـبق من بـداية الاسـلام حتى تاريخ تأسيسها لدولة مثل عظمتها واتسـاعها ــ نحـو قـرن فى مـا وراء النهـر وتـوران أى حتى عام (٥٤٨هـ) واسـتمرت حتى (٥٥٧هـ) فى خراسـان أى نحو ثمانيـة وعشرين ومـائة عـام وفى العراق حتى سنة قتل طغرل الثالث أى احدى وستين ومائة سنة . وكانت عاصمة السـلاجقة منذ أواخر عهد طغرل الأول حتى أيـام محمـود بن محمد هى أصفهان ومن عهد محمود حتى نهاية هذه الأسرة همدان . وقد آثر سنجر مدينة مرو التى سماها (شاهجان) أى مقر السلطان عاصـمة له ، وكانت مرو شاهجان حتى استيلاء الغز الوحشيين احدى أعظم بلاد العالم المتحضر عمارا ومن المراكز المعتبرة للعلم والأدب .

ويطلق على طغرل الأول وألب أرسلان وملكشاه وبركيارق ومحمـد وسنجر الذين كانت جميع البلاد السـلجوقية فى عهدهم من كاشغر حتى انطاكية تحت أمر واحد السلاجقة العظام ، بينما يطلق على أبناء محمـد وأبناء أبنائه الذى كان سـلطانا على الـرى وهمـدان وبـلاد الكـرد سـلاجقـة العـراق .

وقد أزال التركمان الغز سلاجقة كرمان (٤٣٣ ــ ٥٨٣هـ) فى عـام (٥٨٣هـ) وأتابكة الشام والجزيرة أيضا سلاجقة الشام (٤٨٧هـ ــ ٥١١هـ)

قبل انهيـــار سلاجقة العراق الا أن أسرة سلاجقة الروم (٤٧٠ ــ ٧٠٠هـ) قد دامت حتى حــدود أوائل القرن الثامن الهجرى حتى أزالهــم أيضــا الأتراك العثمانيــون تماما فى نفس هذا الوقــت .

أسماء السلاطين السلاجقة وزمان كل منهم

١ ــ السـلاجقة العظــام

١ ــ ركن الدين أبو طالب طغرل بن ميكائيل بن سلجوق
(٤٢٩ ــ ٤٥٥هـ)

٢ ــ عضد الدين أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن جغرى
(٤٥٥ ــ ٤٦٥هـ)

٣ ــ معز الدين أبو الفتح ملكشاه حسن بن ألب أرسلان
(٤٦٥ ــ ٤٨٥هـ)

٤ ــ ركن الدين أبو المظفر بركيارق بن ملكشاه
(٤٨٥ ــ ٤٩٨هـ)

٥ ــ غياث الدين أبو شجاع محمد بن ملكشــاه
(٤٩٨ ــ ٥١١هـ)

٦ ــ معز الدين أبو الحارث سنجر أحمد بن ملكشاه
(٥١١ ــ ٥٥٢هـ)

٢ ــ سـلاجقة العـراق

٧ ــ مغيث الدين أبو القاسم محمود بن محمود بن ملكشاه
(٥١١ ــ ٥٢٥هـ)

٨ ــ غياث الدين داود بن محمود
(٥٢٥ ــ ٥٢٦هـ) ثمانية شهور

٩ — ركن الدين أبو طالب طغرل الثانى ولد السلطان محمد

(٥٢٦ — ٥٢٩هـ)

١٠ — غياث الدين أبو الفتح مسعود ولد السلطان محمد

(٥٢٩ — ٥٤٧هـ)

١١ — معز الدين أبو الفتح ملكشاه الثانى ولد السلطان محمود

(من رجب حتى ذى القعدة من ٥٤٧هـ)

١٢ — غياث الدين أبو شجاع محمد الثانى ولد السلطان محمود

(٥٤٧ — ٥٥٤هـ)

١٣ — غياث الدين أبو شجاع سليمانشاه بن السلطان محمد

(٥٥٤ — ٥٥٦هـ)

١٤ — ركن الدين أبو المظفر أرسلانشاه بن طغرل الثانى

(٥٥٦ — ٥٧١هـ)

١٥ — ركن الدين أبو طالب طغرل الثالث ولد أرسلان شاه

(٥٧١ — ٥٩٠هـ)

الفصل التاسع

الأتــابكة والخوارزمشــاهيون

كان السلاجقة كما رأينا قوما بدوا مقاتــلين وكان الســبب الأول لانتصارهم الذى حازوه فى فتح البــلاد التى فتحــوها وفى تحطــيم كل الجيوش التى لاقوها هو قدرتهم على القتال والحرب والجلاد لهذا لــم يترك السلاطين السلاجقة قيادة جيوشهم فى حروبهــم أو فى الولايــات المفتوحة لغير الأتراك المحنكين فى الحروب المضحين بأنفسهم على نحو أن أمور الجيش كانت دائما بيد العنصر التركى وأمور ادارة الملك كالديــوان والدفاتر فى أيدى المنشئين والمستوفين والوزراء الايرانيــين • وكان من نتائج فتوحات السلاطين السلاجقة فى بلاد الكرجيين وأران زيادة أعداء الغلمان الأتراك القبجاق والخزر فى البلاد الاسلامية وقد احتفظ كل واحد من السلاطين والوزراء والعمال الديوانيين بعدد من هؤلاء الممــاليك فى البــلاط أو الديوان ، ورقيت جماعة من هذه الأعداد تدريجيا بسبب حب أسيادهم واهتمامهم بهم أو بســبب ظهــور لياقتهم وكفاءتهم من رتبــة العبودية الى المراتب الرفيعــة فى بلاط الســلطان أو جيشه • ولما كانت عادة الســلاجقة أن يجعلوا للأمراء الصغار الســن من يشرف عليهــم فى تربيتهم أو حين ارسالهم الى حكومة الولايات ، فقد تولى بعض هــؤلاء الغلمــان هذا المنصب وسموا بالتركية (أتابيك) وهى بالتركــية تعــنى الأب(١) •

وفى أواخــر العهد السلجوقى أصــاب الضعف الســلاطين وكانوا

(١) سبق قولنا ان معناها الحرفى هى الأب الكبير .

دائمى الحرب والتنافس ، فأفاد أكثر هؤلاء الأتابكة من الحرية التى عهدت اليهم ، فأسس كل منهم دولة لنفسه فى ناحية من البلاد السلجوقية ، فأسس طغتكين أتابك ابن تاج الدولة تتش فى (٤٩٧هـ) أسرة أتابكة دمشق (٤٩٧ ــ ٥٤٩هـ) ومثله عماد الدين زنكى من أبناء غلمان السلطان ملكشاه شعبة أتابكة الموصل (٥٢١ ــ ٦٤٨هـ) وألف ايلدكز أتابك أرسلان شاه كما مر شرحه أسرة أتابكة آذربايجان (٥٤١ ــ ٦٢٦هـ) • وقد كان أنوشتكين غرجه أبو قطب الدين محمد خوارزم شاه كما رأينا وسلغر جد أتابكة فارس (٥٤٣ ــ ٦٨٤هـ) ومؤسسو أسرة أمراء اربل (٥٣٩ ــ ٦٣٠هـ) وملوك أرمنية (٤٩٣ ــ ٦٠٤هـ) وأمراء دياربكر (٤٩٥ ــ ٧١٢هـ) كلهم من غلمان أو قادة جيش السلاجقة ، قام كل منهم بفصل جزء من بلاد السلاجقة الواسعة وجعل فيه امارة لنفسه ولأولاده من بعده • ومن هذه الأسر ما يرتبط خاصة بتاريخ ايران كأتابكة آذربايجان وفارس ولرستان وأسرتى الخوارزمشاهين والقراخطائيين • وسوف يذكر تاريخ أتابكة فارس ولرستان والقراخطائيين بكرمان تكملة لتاريخ المغول ، ولهذا فاننا سوف نذكر فى هذه الفترة أتابكة آذربايجان والخوارزمشاهين وحسب •

١ ــ أتابكة آذربايجان

(٥٤١ ــ ٦٢٦هـ)

كان شمس الدين ايلدكز مؤسس سلسلة أتابكة آذربايجان كما مر تفصيله من الغلمان القبجاق والذى حصل فى بلاط السلطان مسعود السلجوقى أهمية واعتبارا ، وأخذ نجم سعادته يرتفع الى الأوج بعد ما زوجه مسعود من امرأة أخيه طغرل الثانى بعد وفاته وأنابه فى أتابكية أرسلان شاه ابن طغرل الصغير الى أن فوض له مسعود فى (٥٤١هـ) حكم آذربايجان وأران وقد أمر فى الحقيقة ايلدكز لكى يجاهد الكرجيين

المسيحيين الذين كانوا يهاجمون هذه الثغور دائما وقد صارت امارة آذربايجان من عام (٥٤١هـ) وراثية فى أسرة ايلدكز واستمر هذا الحال حتى (٦٢٦هـ) •

١ ـ شمس الدين أبو بكر ايلدكز

(٥٤١ ـ ٥٦٨هـ)

كان لشمس الدين ايلدكز أتابك أرسلان شاه وزوج أمه امارة آذربايجان وآران من عام (٥٤١هـ) حتى عام (٥٥٦هـ) حين أجلس ابن زوجته على عرش السلطنة أى نحو ثلاثين عاما • ولم يذهب فى هذه المدة الى أحد قط من السلاطين الذين جلسوا على العرش من بعد مسعود ليقدم طاعته فقد أقام بهمدان بعد جلوس أرسلان شاه وأرسل ابنه نصرة الدين محمد جهان بهلوان الى منصبه السابق •

واستولى الأتابك ايلدكز كما مر على الرى وأصفهان من عام (٥٥٦هـ) حتى سنة موته (٥٦٨هـ) من ناحية ، وحث مؤيد الدين آى ابه على الخطبة لأرسلان شاه فى خراسان ، ومن ناحية أخرى استعاد بعد هزيمته الكبرى للكرجيين فى (٥٥٧هـ) جزءا من أران وآذربايجان الشمالية من هؤلاء المسيحيين ، ومنح مرة أخرى هيبة واعتبارا لدولة السلاجقة المتصدعة •

٣ — نصرة الدين أبو جعفر محمد جهان بهلوان
(٥٦٨ — ٥٨٢هـ)
و
٤ — مظفر الدين عثمان قزل أرسلان
(٥٨٢ — ٥٨٧هـ)

وبعد موت الأتابك ايلدكز خلفه ابنه الأكبر نصرة الدين محمد جهان بهلوان فى ادارة الأمور الملكية وأرسل أخاه مظفر الدين عثمان قزل أرسلان أميرا لآذربايجان وأران • وكان القسم الغربى لآذربايجان من حدود تبريز حتى حوالى الجزيرة فى يد أسرة من بقايا الرواديين الذين يسمون الأحمديليين لأن جدهم كان اسمه (أحمديل) ، وكانت هذه الأسرة قد حظيت بحكم هذه المنطقة من أوائل القرن السادس أى فترة سلطنة السلطان محمد بن ملكشاه ومن مشاهيرهم (آق سنقر) ولد أحمديل الذى كان أتابك داود ومسعود ولدى السلطان محمد وقتل فى (٥٢٧هـ) بيد الباطنيين •

وقد استولى أبناء أحمديل على تبريز ومراغه وقلعتها المحكمة (رويين دز)(١) من قلاع مراغة ، وكانوا على عهد ايلدكز يصالحونه مرة وينازعونه أخرى •

وفى (٥٧٠هـ) أى قبل موت ايلدكز بعامين انتهز الأتابك جهان بهلوان فرصة موت الأمير الأحمديلى لتبريز ومراغة لكى يسيطر عليهما فحصر بنفسه مراغة وحصر أخوه قزل أرسلان تبريز • وأخيرا تصالح الأمير الأحمديلى مع جهان بهلوان وترك له تبريز •

ومن عام (٥٧١هـ) عام جلوس طغرل الثالث حتى (٥٨٢هـ) تاريخ

---

(١) اى القلعة النحاسية .

وفاة الأتابك جهان بهلوان كانت أزمة سلطنة آخر سلطان سلجوقى بالعراق الذى خلف أباه وهو فى سن السابعة بيد هذا الأتابك ، وكان يدير هذه البلاد الواسعة التى أدخلها وأبوه تحت أمر طغرل ، فوق أنه كان رجلا ذا كفاءة وعدل وحب للأدب ، ادارة حسنة •

وكان لجهان بهلوان من (قتيبة خاتون) ابنة اينانج شحنة الرى ولدان هما قتلغ اينانج و (ميرميران)(١) لم يصل واحد منهما الى الامارة ، الا أن ابنيه الآخرين اللذين ولدتهما له جارية أخرى وهما أبو بكر وأوزبك كما سيلى قد بلغا الأتابكية والامارة •

ولما لقى الأتابك جهان بهلوان حتفه أمسك أخوه قزل أرسلان بأزمة أمور بلاط طغرل الثالث وتزوج من زوج أخيه (قتيبة خاتون) ، الا أنه اصطدم سريعا كما سبق فى تاريخ سلطنة طغرل بالسلطان طغرل فألقى قزل أرسلان به فى الحبس وأخذ بعد أسباب سلطنته • لكنه وجد مقتولا فى شعبان (٥٨٧هـ) ليلا ، وقد طعن جسده بخمسين طعنة خنجر ونسب قتله الى الفدائيين الاسماعيليين كما كان جاريا فى تلك الأيام •

٤ ـ نصرة الدين أبو بكر بن محمد جهان بهلوان

(٥٨٧ ـ ٦٠٧هـ)

بعد قتل قزل أرسلان صارت امارة آذربايجان وأران نصيب ابن أخيه نصرة الدين أبى بكر فأعطى العراق لأخيه لأبيه قتلغ اينانج لكن قتلغ كما مر طرده طغرل الثالث الذى كان قد نجا من الحبس من هذا البلد فى(٥٨٨هـ) فلاذ بخوارزم شاه فأتى خوارزم شاه الرى وصالح طغرل ، ولكى يخمد طغرل فتنة قتلغ وأمه قتيبة خاتون تزوج هذه المرأة التى شهدت موت زوجيها جهان بهلوان وقزل أرسلان، الا أن المرأةوابنها أعدا طعاما دسا فيه السم ليطعماه طغرل • وعلم طغرل بالمرأة فأطعم

(١) أمير أميران اى أمير الأمراء •

قتيبة هذا الطعام فلقيت حتفها وألقى بابنانج أيضا فى السجن ثم خلصه بعد مدة قليلة من سجنه بشفاعة بعض أركان دولته ، واشتبك قتلغ مع أخيه نصرة الدين أبى بكر للاستيلاء على آذربايجان .

ومن الحروب الأربعة التى أنشبها قتلغ فى ظرف شهر واحد مع الأتابك أبى بكر خرج قتلغ مهزوما فى كل مرة ، فاضطر الى الاستغاثة بخوارزم شاه مرة أخرى وكان هذا وقت أن قصد تكش من خراسان الى الرى لضرب طغرل ، وقتل طغرل كما مر تفصيله فى الرابع والعشرين من ربيع الأول (٥٩٠هـ) بعون الجنود الخوارزميين فى الرى . وأناب خوارزم شاه بعد سقوط دولة السلاجقة فى العراق قتلغ فى همدان وأصفهان وترك الرى أيضا لابنه يونس خان ونصب من الأمراء (مياجق) فى أتابكية ابنه . وفى (٥٩٢هـ) أورد مياجق قتلغ اينانج مورد القتل بحجة أنه كان يفكر فى مخالفة خوارزم شاه وأرسل رأسه الى خوارزم .

وكان الأتابك أبو بكر رجل خمر ولهو ينفق ليله ويومه فى السكر والشرب ولهذا فقد كان غافلا تماما عن تدبير أمور المملكة وتعهد أحوال الجيش وكانت على خلاف حاله جارته الشمالية أو بلاد الكرج تحت ادارة امرأة ذات لياقة وكفاءة وهى (تامارا) (٥٨٠ — ٦٠٩هـ) ابنة جيورجى الثالث .

فقد أصاب جنود هذه المرأة فى شوال (٥٩٩هـ) الجيش الأتابكى قرب شمكور (شمال مدينة كنجة وجنوب نهر كورا) بعون ملك شروان وضمت اليها شمكور وكنجه ودوين وأشاعوا القتل والنهب شيوعا فاق الحد . ولم يحاول الأتابك رغم كثرة استغاثة مسلمى هذه البلاد أن ينتقم لهذه الهزيمة ، ونتيجة لفعله ضاعت النواحى الشمالية من أرس التى فتحت فى عهد الأتابك ايلدكز وجهان بهلوان .

وقد أطمع سكر الأتابك أبى بكر وغفلته جيرانه الآخرين فى الاستيلاء على بلاده ، فتحالف فى (٦٠٢هـ) أمير اربل مظفر الدين

الكوكبرى مع أمير مراغة الأحمديلى علاء الدين كربه أرسلان لاستخلاص آذربايجان الشرقية ، فاستغاث أبو بكر مظفر بأحد غلمان أبيه وهى آى تغمش(١) الذى كان قد استولى على الرى وهمدان وأصفهان وبلاد الجبل • فأتى آى تغمش لعون ابن سيده وأعاد برسالة منه واحدة صاحب اربل الى بلاده وتغلب على علاء الدين الأحمديلى وأجبره على قبول الصلح • وعلاء الدين كربه أرسلان هذا الذى توفى فى (٦٠٤هـ) وكان رجلا محبا للفقراء مشجعا للشعراء والعلماء هو من نظم باسمه الشاعر المشهور النظامى الكنجوى مثنوى بهرامنامه فى (٥٩٣هـ)(٣) •

وهاجم الأتابك أبو بكر بعد وفاة ابن علاء الدين الأحمديلى وخليفته أى فى (٦٠٥هـ) مراغة واستولى على هذه المدينة التى ظلت تحت سيطرة الأحمديليين نحو قرن من الزمان ولم يبق للباقين من هذه الأسرة غير قلعة (رويين دز) •

ومات الأتابك نصرة الدين أبو بكر بن جهان بهلوان فى (٦٠٧هـ) بعد حكم عشرين عاما •

---

(١) آيتغمس أو آيدغمش البهلوانى استولى على الرى وهمدان وبلاد الجبل من عام (٦٠٠هـ) ونادى على رغم أنف الاتابك ابى بكر بسلطنة أخيه أوزبك (سياقى) •

(٢) الحكيم جمال الدين ابو محمد الياس بن يوسف بن زكى من كبار شعراء القصص الايرانيين ، ولد نحو (٥٣٥هـ) فى كنجة وتعلم فيها علوم عصره ، ثم اتصل بحكام اذربايجان وشروان ومراغة والف بأسمائهم كتبه . ويبلغ ديوانه عشرين الفُ بيت فضلا عن الخمسة الشهيرة التى تبلغ ثمانية وعشرين الفا فى صورة المثنوى وهذه الخمسة هى مخزن الاسرار وليلى والمجنون وخسرو وشيرين وهفت بيكر او بهرام نامه واسكندر نامه . وكان النظامى استاذ وامام شعراء القصة ، خلطها بالحكمة والموعظة والدعوة الى الزهد . وقد بلغ فى وصف المشاعر الانسانية دقة بالغة . ويشاهد فى أشعاره ما ينبىء عن تعلمه العلوم والفلسفة . وقد احتذاه فى نظم المثنويات الخمسة شعراء تالون اشهرهم الأمير خسرو الدهلوى والجامى والوحشى . وتوفى النظامى نحو عام (٦٠٤هـ) .

٥ — مظفر الدين أوزبك(٣)
(٦٠٧ — ٦٢٢هـ)

ومظفر الدين أوزبك الذى ثار بمدد من آيتغمش فى حدود (٦٠٠هـ) من أجل السلطنة هو أخو الأتابك أبى بكر وزوج ابنة طغرل الثالث • وليس فى فترة حكمه التى بلغت خمس عشرة سنة وقد كان ضعيف النفس سكيرا لاهيا لاعبا واقعة هامة غير اعتداءات الكرجيين المتكررة على مشكين واردبيل واستيلاء المغول على آذربايجان فى (٦١٧هـ) • ولم يكن الأتابك أوزبك يطيق مقاومة المغول فصالحهم وأعطاهم مالا كثيرا وألبسة ودوابا • ولما سمع ثانية أن جماعة من المغول قاصدة تبريز أخلى المدينة وذهب الى نخجوان فأنقذ رؤساء تبريز عاصمة الأتابكة من قتل المغول ونهبهم وعاد اليها الأتابك •

وقد استفاد الكرجيون من هذا الوضع المتشعث فهاجموا بلاد أران وآذربايجان مرارا ولم يروا من الأتابك تحركا وكان يعيش بهذه الحالة المنكوبة حتى سمع فى (٦٢٢هـ) أن جلال الدين المنكبرتى خوارزمشاه زحف قاصدا تبريز ، فترك زوجته فى المدينة وهرب الى كنجة • وأستولى جلال الدين فى السابع عشر من رجب (٦٢٢هـ) على تبريز وأرسل الملكة مكرمة الى خوى ، وتقدم بنفسه لمقاتلة الكرجيين •

وفى عودته من تفليس لما كان رؤساء تبريز قد سلكوا مع جلال الدين طريق النفاق والدهان عاقبهم واستباح الملكة زوج الأتابك أوزبك ومات الأتابك حزنا وحسرة •

---

(٣) تعنى كلمة اوزبك سيد نفسه والمستقل . والجدير بالذكر ان هذه الكلمة نفسها كانت شائعة بين المجريين بوصفها من القاب الشرف وهى ترى فى الوثائق القى يرجع تاريخها الى عام (١١٥٠م) والاوزبك الذين استولوا على بلاد ما وراء النهر من ايدى أولاد تيمور هم خليط من الترك والمغول (فامبرى ح ١ ص ٢٩٥ ، ح ٢ ص ٢٩٦) .

٦ ـ الأتابك خاموش قزل أرسلان بن أوزبك

(٦٢٢ ـ ٦٢٦هـ)

لم يبـق عن الأتـابك أوزبك ولد غـير ابن أصم أبكم منذ ولادته اسـمه قزل أرسـلان لقب بهـذه العلة بالأتابك الصامت (خاموش) وتزوج بابنـة هى حفيـدة علاء الدين كربـه أرسـلان الأحمـديلى ، وبعد أبيـه كانت امارتـه فى قسـم من آذربايجان من بينـه مراغـة ورويـين دز • وفى (٦٢٦هـ) حين كان السـلطان جـلال الدين المنكبرتى فى كنجـة ذهب اليه الأتابك خاموش وقبل أرض طاعتـه ثم سـافر من هناك الى المـوت ومات فيها بعد شـهر وتزوج جـلال الدين بزوجتـه وانهارت أسرة أتابكة آذربايجان بعد نحو خمس وثمانين سنة من الامارة

يذكر أتابكة آذربايجان خاصة شمس الدين ايلدكز ووالداه جهان بهلوان وقـزل أرسـلان فى تاريخ الأدب الفارسى بخـير لأن عـددا من الأدباء الكبـار البلغـاء مدحهم بقصائد غراء وخلد أسماءهم وأشهرهم ظهير الدين محمد الفاريابى(١) وأفضـل الدين الخاقانى الـشروانى(٢)

---

(١) ظهير الدين أبو الفضل طاهر بن محمد الفـاريابى من شـعراء القصيدة المعروفين فى القرن السادس ، حذق العربية وعلوم الحكمة والفلك واتصل بحكام آل باوند وأتابكة آذربايجان وآخر السلاجقة العراقيين ، وقد تأسى فى شعره بالأنورى ومهر فى فن الغزل .

(٢) الخاقانى وهو أفضل الدين أبو بديل بن على من كبار الشـعراء الفرس وينسب الى الخاقان الأكبر منوتشهر ابن فريدون شاه شروان الذى اتصل به وبابنه الخاقان الكبير أخستان ثم آثر العزلة الى أن مات عام (٥٩٥هـ) ويعد الخاقانى من شعراء القصيدة فى الدرجة الاولى الذى تمـيز بالـتزامه الرديف الصعب فى القصائد الطويلة وذلك لاطلاعه الواسع باللغة العربيـة فضلا عن الاصطلاحات الفلسفية والطبية مما كان يخرجه عن البساطة حينا . ويبدأ أغلب قصائده بوصف الطبيعة والربيع والخريف والصباح ، وأغلـب تشبيهاته من خلق قريحته وتخيله . ومن آثاره غير الديوان قصائد وغزليات متأثرة بالسنائى ومثنوى (تحفة العراقين) .

وشرف الدين شفروه الأصفهانى(٣) ومجير الدين البيلقانى(٤) وأثير الدين الأخسيكتى(٥) وجمال الدين الأشهرى (٦) •

أســماء أتابكة آذربايجان وزمان كل منهم

١ — شمس الدين ايلدكز	(٥٤١ — ٥٦٨هـ)
٢ — نصرة الدين محمد جهان بهلوان بن ايلدكز	(٥٦٨ — ٥٨٢هـ)
٣ — مظفر الدين عثمان قزل أرسلان بن ايلدكز	(٥٨٢ — ٥٨٧هـ)
٤ — نصرة الدين أبو بكر بن جهان بهلوان	(٥٨٧ — ٦٠٧هـ)
٥ — مظفر الدين أوزبك ابن آخر لجهان بهلوان	(٦٠٧ — ٦٢٢هـ)
٦ — الأتابك خاموش قزل أرسلان بن أوزبك	(٦٢٢ — ٦٢٦هـ)

(٣) شرف الدين شفروه ، وشفروه من أعمال أصفهان ، يعتبره كتاب التذاكر ملك الشعراء للأتابك شيركير (صائد الأسود) أخى الأتابك أرســلان آى ابه ، وعد ديوانه شاملا لثمانية الف بيت .

(٤) هو أبو المكارم مجير الدين المتوفى عام (٥٨٦هـ) تلميذ الخاقــانى السالف الذكر ، ويشمل ديوانه القصائد والغزليات والقطعات والرباعيات ويبدو فيه أثر أستاذه ، وكان له مناظرة ومعارضة مع أغلب شعراء عــصره كالخاقانى والنظــامى وغيرهمــا .

(٥) وهو من شعراء المدح فى القرن السادس ، اقتفى فى شعره اثر الأنورى والسنائى والخاقانى ونافس البيلقانى فتهاجيا تعريضا وتصريحا ، وكان للأثير ولع بالاتيان بالرديف الصعب والمعانى غير السهلة ، وقد طبــع ديــوانه بطهــران عام (١٣٣٧هـ . ش) .

(٦) جمال الدين محمد بن عبد الرازق الاصفهانى المتوفى عام (٥٨٨هـ) ولد بأصفهان وقضى بها أغلب عمره ولاقى النظامى الكنجوى ومــدح أغــلب السلاجقة وبعض أتابكة آذربايجان وآل باوند الحاكمين فى مازندران واسرتى آل خجند وآل صاعد من أسر اصفهان الكبيرة . ويشمل ديوانــه القصــائد والغزليات والمدح والحكمة والوعظ ، وهو من المتأثرين بالأنــورى والســيد حسن الغزنوى والوطواط ويبدأ أغلب قصيده بالمدح وقل أن وصف الطبيعة ، الا أن غزله يأتى فى الصف الأول لغزل عصره .

ب ــ الخوارزمشاهيون
(٤٩٠ ــ ٦٢٨هـ)

قد بينا ضمن سلطنة السلطان سنجر تاريخ تأسيس وبداية أمر الخوارزمشاهيين وهم أبناء أنوشتكين غرجه وقلنا ان أولهم وهو قطب الدين محمد قد نصبه أمير حبشى بن التونتاق حاكم خراسان حاكما لخوارزم عام (٤٩٠هـ) وصار منصبه هذا من هذا الوقت فصاعدا وراثيا فى أسرة قطب الدين محمد بن أنوشتكين ، فبداية تأسيس الأسرة الخوارزمشاهية اذن هو عام (٤٩٠هـ) وقطب الدين محمد أول خوارزمشاه أو ملك لخوارزم لهذه الأسرة •

١ ــ قطب الدين محمد بن أنوشتكين
(٤٩٠ ــ ٥٢٢هـ)

و

٢ ــ علاء الدولة أبو المظفر أتسز بن قطب الدين محمد
(٥٢٢ ــ ٥٥١هـ)

كان قطب الدين محمد طوال مدة حكمه لخوارزم أى نحو ثلاثين عاما ونيف دائم الطاعة والتبعية لسنجر لم يعص أمره قط • وأشرنا قبل الى أنه كان يأتى بلاط سنجر كل عام أو كان يرسل بابنه أتسز الى بلاط خراسان ، وكان الأب والابن دائما بركب سنجر فى الحروب التى خاضها الأخير فى بلاد ما وراء النهر وغزنين والعراق •

وقد لقى محمد خوارزمشاه منيته فى (٥٢٢هـ) وكان عادلا حسن السيرة محبا للأدب مشجعا له ورقى ابنه أتسز مقامه •

وتنقسم فترة حكم علاء الدولة أبى المظفر أتسز لخوارزم وتمتد

من (٥٥٢هـ) وتنتهى الى (٥٥١هـ) الى مرحلتين : المرحلة الأولى من عام (٥٢٢هـ) حتى (٥٣٠هـ) وكان أتسز بين هذين العامين كوالده مطيعا لسنجر يؤدى له فروض التبعية وكان يعمل بالقتال فى ركبه والجلاد . والمرحلة الثانية التى تبدأ بعام (٥٣٠هـ) وتنتهى بعام (٥٥١هـ) عام موته كان فيها العداء والخصومة قائمين أكثر الأوقات بين أتسز وسنجر ، وقد هاجم سنجر كما مر فى تاريخ سلطنته خوارزم ثلاث مرات : فى ربيع الأول (٥٣٣هـ) وفى نفس الشهر (٥٣٦هـ) وفى جمادى الآخرة (٥٤٢هـ) وقد غلب فى المرات جميعا أتسز وأجبره على الاستسلام والاعتذار ، ومع أن أتسز لم يعص السلطان من عام (٥٤٢هـ) فما بعده بسبب اشتغاله بصراعه مع القراخطائيين والاضطراب على الحدود الشمالية والشرقية لبلاده الا أنه لم يكن صافى الباطن له مخلص النية الى أن أتى خراسان حين أسر الغز سنجر وظل بها الى أن نجا سنجر من حبسه ، وقبل أن يسفر الأمر عن كيف سيكون واجب أتسز نحو خراسان أو أحوال العلاقات المستقبلية بينه وبين سنجر وافى أتسز أجله فى التاسع من جمادى الآخرة من عام (٥٥١هـ) فى ولاية قوشان الحالية .

كان أتسز شجاعا الى حد التهور وأميرا عادلا ومشجعا للشعر كريما معطاء ، وخلد طيب سيرته وخير ذكره رئيس ديوان انشائه ومادحه الخاص رشيد الدين محمد الوطواط البلخى الذى توفى فى (٥٧٣هـ) بأشعاره الفارسية والعربية . وقد قام هذا الشاعر والمؤلف القدير الذى قل نظيره فى النظم والنثر فى اللغتين العربية والفارسية فى عهده بتأليف كتابه الفائق الشهرة ، بأمر من أتسز ، وهو (حدائق السحر فى دقايق الشعر)(١) . وقد مدح أتسز غير شاعر بعد الوطواط من شعراء

(١) حدائق السحر فى دقائق الشعر كتاب فى علم البيان والبديع من آثار رشيد الدين الوطواط الذى بدأ فى وضعه باشارة من اتسز عام (٥٥١هـ) وأنهاه فى حكم ابنه ايل أرسلان . وقد استفاد الوطواط فى كتابه هذا من كتاب ترجمان البلاغة الذى ينسب الى محمد بن عمر الرادويانى احد ادباء القرن الخامس وبداية السادس . وقد بدأ الكتاب بذكر محاسن الشعر ثم بذكر بعض شواهد الشعر العربى والفارسى ، ويمثل من الشعر الفارسى بشعر المعزى وعمعق البخارائى .

سنجر مثل أديب صابر ومن شعراء أران كالخاقانى الشروانى أيضا •

وكانت الجرجانية فى عهد أتسز خوارزم شاه من أكبر مراكز العلم والأدب ومحال اجتماع عدد كبير من الفضلاء المشهورين ، وكان لأتسز خاصة اجتهاد بليغ فى جمع أهل الثقافة والعلم بعاصمته هذه ، كما حدث فى عام (٥٣٦هـ) حينما استولى على خراسان بعد هزيمة سنجر من القراخطائيين اصطحب معه جمعا من علماء هذا البلد الى خوارزم ، ومن مفاخر عهده وجود الامام العلامة الكبير جار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى (٤٦٧ — ٥٣٨هـ) صاحب المؤلفات العديدة فى التفسير والنحو واللغة والأدب وأشهرها جميعا (الكشاف) فى تفسير القرآن والأنموذج فى النحو العربى ومقدمة الأدب فى اللغة العربية بالفارسية • وغير الزمخشرى زين الدين السيد اسماعيل بن حسن الجرجانى المتوفى (٥٣١هـ)(١) من الأطباء الكبار على عهد أتسز وكان أبوه قطب الدين محمد • والسيد اسماعيل الجرجانى هو مؤلف الكتاب المعروف (ذخيرة خوارزمشاهى) فى الطب وقد صنفه هذا العالم باسم قطب الدين محمد خوارزمشاه ، ثم اختصره بعد بأمر أتسز وجعله باسم علاء الدولة أتسز باسم (خفى علائى)(٢) •

٣ — تاج الدين أبو الفتح ايل أرسلان بن أتسز
(٥٥١ — ٥٦٧هـ)

عاد بعد أن مات أتسز ولده ايل أرسلان الذى كان بصحبته بالجنود الخوارزميين الى الجرجانية وراسل منها السلطان سنجر مظهرا طاعته

(١) **زين الدين اسماعيل المتوفى (٥٣١هـ) من معاريف أطباء القرن السادس بل أعرفهم جميعا وترادف مؤلفاته آثار ابن سينا وأهم آثاره الطبية بالفارسية ذخيرة خوارزم شاهى الذى لخص باسم خفى علائى ، وكتاب (يادكار) أى التذكار و (اغراض) . ويقع الكتاب الثانى فى مجلد اما الثالث فيعد ايجازا لكتاب الذخيرة .**

(٢) **الف الجرجانى كتاب الذخيرة عام (٥٠٤هـ) فى اثنى عشر مجلدا يحوى كل مجلد بضعة أبواب وفصول ويشمل مباحث فى الطب والأدوية والتشريح وقد استخدم المؤلف فى الكتاب كثرة من التركيبات والاصطلاحات الطبية باللغة الفارسية ، وترجم المؤلف كتابه هذا الى العربية .**

وتبعيته ، فنصبه السلطان مكان أبيه وجلس ايل أرسلان رسما فى الثالث من رجب (٥٥١هـ) خلفا لأبيه • ومات السلطان سنجر بعد جلوس ايل أرسلان بثمانية شهور واختير مكانه الخاقان ركن الدين محمود • وقد نصب ايل أرسلان عزاء السلطان ثلاثة أيام وأرسل رسالة للخاقان ركن الدين هنأه فيها بالسلطنة وأظهر أيضا تبعيته للسلاجقة •

وكانت رئاسة الأسرة السلجوقية آنذاك لغياث الدين محمد بن محمود بن السلطان محمد الذى كان يحكم العراق ويعيش فى حال من النزاع والخصومة لعمه سليمانشاه والخليفة المقتفى •

وبعث السلطان محمد الثانى الى ايل أرسلان أنه مصمم على التحرك الى خراسان وما وراء النهر لاصلاح أمورهما ، فقوى ايل أرسلان من تصميمه ، الا أن محمدا لم يستطع بسبب نزاعه مع الخليفة والخصوم الآخرين أن يطبق نيته تطبيقا عمليا ، ومع أن خوارزم شاه سعى فى الاصلاح بين الخليفة ومحمد الا أنه لم يخرج بنتيجة ومات محمد فى (٥٥٤هـ) •

أما أحداث سلطنة ايل أرسلان فهى قسمان أحدهما حروبه فى بلاد ما وراء النهر وثانيهما غزوه لخراسان • ففى جمادى الآخرة (٥٥٣هـ) هاجم ايل أرسلان ما وراء النهر ليمد رؤساء جماعة القرلق التى كانت قد لاذت به هربا من طلب الخاقان الأفراسيابى لسمرقند فأخذ بخارى وسمرقند وهرب الخاقان والتجأ بالقراخطائيين الذين صار الخانيون من بعد حرب قطوان تحت تبعيتهم •

وزحف القراخطائيون فى (٥٦٧هـ) نحو خوارزم بسبب رفض ايل أرسلان دفع الخراج السنوى الذى التزم بأدائه أبوه الى الكورخان القراخطائى ، وهزموا جيش ايل أرسلان على شاطىء نهر جيحون ، ومات ايل أرسلان بعد هذا بقليل فى التاسع عشر من رجب (٥٦٧هـ) •

أما فى ناحية خراسان فبعد أن أعمى مؤيد الدين آى ابه الخاقان

ركن الدين محمود فى (٥٥٧هـ) وسيطر على غالب خراسان ، بدا الخــلاف بين ايل أرسلان الذى أدخل من بداية حكمه خوارزم وجرجان ودهستان تحت امرته ومؤيد آى ابه بسبب السيطرة على هاتين المنطقتين والنواحى الأخرى من خراسان ، فتقدم ايل أرسلان فى (٥٥٨هـ) بجيش ضخم الى هذه الناحية وحصر نيشابور لكنه لم يستطع فتحها وعاد الى خــوارزم بعــد صلحه مع مؤيــد الدولة •

٤ ــ جلال الدين محمود سلطانشاه بن ايل أرسلان
(رجب ٥٦٧ حتى ربيع الآخر ٥٦٨هـ)
و
٥ ــ علاء الدين تكش بن ايل أرسلان
(٥٦٨ ــ ٥٩٦هـ)

بعد أن مات ايل أرسلان خلفه فى حكم خــوارزم ابنــه الأصــغر سلطانشاه محمود لكن ابنه الأكبر تكش والى جند لم يقبل سلطنة أخيــه الأصغر ، فاستمد القراخطائيين ازاء دفع خراج ســنوى لهم وأخــرج سلطانشاه وتركان خاتون أمه من خوارزم وجلس فى الثانى والعــشرين من ربيع الآخر (٥٦٨هـ) على عرش خوارزم ولاذ سلطانشاه وأمه بالفرار الى مؤيد آى ابه فى خراســان •

قتل مؤيد آى ابه فى التاسع من ذى الحجة (٥٦٩هـ) : ــ

خدعت تركان خاتون مؤيد آى ابه بالجواهر والنفائس التى جلبتها معها من خوارزم وشجعته على الاستيلاء عليها ، فجمع مؤيد جنــداً من كل حدب فى بلاده وصوب وزحف وبرفقته تركان خاتون وسلطانشاه الى خوارزم ، الا أن تكش فاجأه بالهجوم على بعــد عــشرين فرســخا من الجرجانية فأسر مؤيد ثم قتل بأمره فى التاسع من ذى الحجــة (٥٦٩هـ)

وهرب سلطانشاه وأمه الى دهستان وتعقبهما تكش الى أن قبض على تركان خاتون فى دهستان فقتلها وعاد الى خوارزم .

واختار جنود مؤيد آى ابه وأتباعه من بعد قتله ابنه أبا بكر طغانشاه (٥٦٩ — ٥٨١هـ) لامارتهم فى نيشابور ، فهرب اليه من دهستان سلطانشاه الذى لم يطق مقاومة أخيه وبعد فترة قصد بلاط السلطان غياث الدين أبى الفتح محمد بن سام الغورى ليحتمى به .

الصراع بين سلطانشاه وتكش : —

وبعد أن تخلص تكش من شر مؤيد آى ابه وتحريضات تركان خاتون زوج أبيه عاد الى خوارزم واستقر على الملك لكنه كان محنى الهامة لتحمله عار دفع الخراج السنوى للكفار القراخطائيين لا سيما وأن مبعوثى الكورخان كانوا يأتون بلاطه فى أى وقت لكى يصل الخراج اليهم ويعاملونه بتحكم وغلظة . وأخيرا أمر تكش أن يقتل أحد هؤلاء المبعوثين فتجددت على اثر هذا الخصومة بين الخوارزمشاهيين والقراخطائيين .

ولما سمع سلطانشاه بهذا الخبر وهو فى بلاد الغور وقتذاك سر وأتى القراخطائيين بدعوة منهم وأعطوه بعض جنودهم على أمل أن يستعيد سلطانه فتقدم بهم الى حدود خوارزم ، لكن تكش دفع بماء نهر جيحون الى أطراف الجرجانية وأحكم قلعتها فلم ير سلطانشاه والقراخطائيون معه فائدة من غزوهم . وهاجم سلطانشاه بعدد من الجنود القراخطائيين خراسان قادما من خوارزم فأخذ سرخس من أحد رؤساء الغز واسمه (ملك دينار) فلجأ ملك دينار الى طغانشاه فى بسطام وكان يومئذ تابعا لتكش خوارزمشاه .

وتحرك طغانشاه بدعوة ملك دينار الى سرخس بجيشه وفى الحرب التى وقعت فى ذى الحجة (٥٧٦هـ) بينه وسلطانشاه جرت على جيش

طغانشاه الهزيمة ففر الأخير الى نيشابور ، وبعد أن مد يد الالتجاء الى تكش والسلطان غياث الدين الغورى مرارا لاسترجاع ملـكه الضـائع ولم ينل فائدة مات فى (٥٨١هـ) فأجلس أتباعه ابنه سنجر شاه مكانه .

وسرعان ما استولى سلطانشاه على القسم الأعظم من خراسان ، وأخلى ملك دينار هذا البلد تماما وقـدم الى كرمان وأسقط بعون الغـز المستولين على هذه الولاية سلسلة سلاجقة كرمان وتملك حكمها .

وفى (٥٨٢هـ) توجه علاء الدين تكش خوارزم شـاه الى خراسـان لتأديب منكى بك أتابك سنجر شاه بن طغانشاه الذى أذاق أهل نيشابور ظلمه واستبداده وحصر نيشابور لكنه عجز عن السـيطرة عليها فعاد الى خوارزم ، ثم أتاها فى السنة التالية وأمسـك بمنكى هـذا وقتـله وترك نيشـابور لابنه ناصر الدين ملكشـاه واصطحب سنجـر شاه معه الى خـوارزم .

وهاجم سلطانشاه نيشابور وكان لا يكف عن مهاجمته لخراسان بعد أن عاد تكش وحاصر ابن أخيه فى نيشابور فتحرك تكش بعجل من خوارزم لانقاذ ابنه فهرب سلطانشاه . وأخيرا تم الصلح بين الأخـين فى ربيـع عام (٥٨٥هـ) وتلقب تكش بلقب السلطان رسما فى الثامن عشر من جمادى الأولى من نفس العام فى طوس ، وأضحى لقب السلطان من هذا الوقـت فصاعدا لقب حكام خوارزم فكانوا قبل هذا التاريخ لا يجدون فى أنفسهم مثل هذه الشجاعة وكانوا يتلقبون بلقب (ملك) وهو لقب الأمـراء الذين يحكمون أتباعا لسلطان ما . أما سلطان شاه فقد أخذ يهاجم بعد صـلحه مع أخيه بلاد الغوريين كما سبق الحديث فى ذلك ، لكنه لقـى فى (٥٨٦هـ) هزيمة مرة على أيدى ملوكهم فهرب الى خراسان وبعد قليل عصى أخـاه فأجبر تكش على أن يأتى فى نفس هذا العام خراسـان ويغـلب أخـاه العاصى ويدخـله فى طاعتـه .

ومن هذا الوقت حتى عـام (٥٨٨هـ) اسـتقر الصـلح بين تكـش وسلطانشاه الى أن تحرك تكش الى الرى بناء على دعوة قتلغ اينـانج ،

فانتهز سلطانشاه غياب أخيه وهاجم خوارزم ولكن أهلها منعوها عنه فخف تكش الى خوارزم وهرب سلطانشاه الى مرو • وتقدم تكش الى مرو فى تعقب أخيه ومات سلطانشاه فى نفس هذا الوقت أى فى آخر رمضان (٥٨٩هـ) فاطمأن قلب تكش من جانبه وقد كان فى ضيق مقيم بسببه لمدة تقرب من عشرين عاما وضم الى خوارزم بلاده التى استولى عليها فيما سبق فى خراسان وهى مرو وسرخس وطوس • وأناب ابنه الأرشد ناصر الدين ملكشاه فى مرو وجعل ابنه الآخر محمداً على حكم نيشابور •

حروب تكش خوارزم شاه :ـ

علاوة على الحربين اللتين خاضهما تكش فى الشرق فى بخارى عجل فى (٥٩١هـ) لتأديب الأتراك القبجاق فى بلاد ما وراء نهر سيحون الا أن فى السادس من جمادى الآخرة هزم منهم هزيمة قاسية وهلك أغلب جنده اما بأيدى هذه الطائفة أو بسبب الحرارة والعطش فعاد منهزما الى خوارزم • وقد انتقم لهذه الهزيمة التى أصابت خوارزمشاه ابنه محمد فى (٥٩٤هـ) فهزم رئيس الأتراك القبجاق وأسره وأتى به الى خوارزم •

وفى العراق سبق ذكرنا فى الفصل السابق لحروبه بها التى انتهت الى قتل طغرل الثالث وادالة أسرة سلاجقة العراق فى (٥٩٠هـ) ولسنا بحاجة الى تكراره وانما ما ينبغى ذكره أن خوارزم شاه بعد قتل طغرل أتى عاصمته همدان وسمع بها أن الخليفة العباسى الناصر قد أرسل وزيره مؤيد الدين بن القصاب بخلع له ونزل الوزير على بعد فرسخ واحد من المدينة • فاستدعى تكش الوزير الى بلاطه ، لكن مؤيد الدين خاطب خوارزم شاه أنه يجب احتراما لخلعة الخليفة أن يترجل عن جواده ويقف أمام جواد الوزير • وظن خوارزم شاه أن وزير الخليفة يقصد التحايل عليه فأتى ليستأسره فهرب مؤيد الدين بن القصاب نحو المناطق الجبلية فى غرب ايران وكان هذا بداية ظهور العداوة المعلنة بين خوارزم شاه ودار الخلافة •

وأودع خوارزم شاه كما سبق شرحه همدان وأصفهان الى قتلغ اينانج وعهد الى ابنه يونس وأتابكه مياجق حكم الرى وعاد الى خوارزم وفى عودة خوارزم شاه الى بلاده الأصلية اصطدم قتلغ اينانج ومياجق فهزم الأخير الأول قرب زنجان ، فأتى قتلغ مؤيد الدين بن القصاب يحتمى به بخوزستان وكان قد فتح هذه الناحية لتوه للخليفة وجاء بالوزير وبجيشه الى كرمانشاه وهمدان •

وأخذ وزير الخليفة فى (٥٩١هـ) كرمانشاه وهمدان وآوه وساوه والرى من يد يونس خان ومياجق وتقهقر الخوارزميون حتى الرى وسرعان ما تصادم قتلغ اينانج بمؤيد الدين الوزير ، فآب مؤيد الدين الى همدان لازالته وكان قد جمع جيشا فى المناطق حول هذه المدينة فغلب قتلغ وأقام بالمدينة • وقصد قتلغ بعون مياجق الذى كان قد عاد الى الرى همدان ثانية ، لكن مياجق كما رأينا قتله وسير رأسه الى خوارزم •

وعاود تكش فى (٥٩٢هـ) الى العراق وأسرع الى همدان وهزم عساكر الخليفة وأخرج جثة مؤيد الدين بن القصاب وكان مات قبل وصول خوارزم شاه بهمدان من قبره وقطع رأسه وأرسلها الى خوارزم وعاد الى أصفهان ففتحها وآب راجعا الى خوارزم •

ولما عاد تكش الى قصبته مات ولده الأرشد ناصر الدين ملكشاه والى خراسان ، فبعث خوارزم شاه أولا بوزيره نظام الملك صدر الدين مسعود بن على الهروى لادارة أمور خراسان ثم بابنه الآخر محمد من بعده فأمنا خراسان وكانت أحوالهما مضطربة بسبب نزاع أولاد ملكشاه، وسير نظام الملك الهروى ابن ملكشاه الأكبر هندوخان الى خوارزم •

أما الابن الآخر لخوارزم شاه وهو يونس خان فقد أصيب بالعمى من حدود عام (٥٩١هـ) فاستقل مياجق الأتابك بحكم العراق ، ثم تدرج استقلاله شيئا فشيئا الى عصيان خوارزم شاه فأجبر تكش أن يقدم فى ربيع الأول لمدافعته الى الرى عن طريق مازندران ، وألقى القبض على

مياجق فى قلعة (فيروز كوه) فلم يقتله خـوارزم شاه مراعاة لخدمـات أخيه واكتفى بحبسه •

ولما سـمع الخليفة الناصر بعـودة تكش الى العراق أرسـل اليه بتملقه بالخلع النفيسة خشية أن يكون قصده دار الخلافة ونصبه رسمـا على سلطنـة العـراق وخراسـان والتركسـتان ولقب ابنـه محمـدا بقطب الدين •

وبعد اقرار الأمن بالعـراق فكر خوارزم شـاه وكان فى قزوين أن يستولى على قلاع الاسماعيلية وبعد أن انقضت مدة على انشـغاله بهذا الأمر عاد أخيرا فى (٥٩٦هـ) الى خوارزم وترك قطب الدين محمـدا فى خراسـان وابنه الآخـر تاج الدين عليشاه فى أصفهان •

موت تكش فى التاسع عشر من رمضان (٥٩٦هـ) :

اغتال الاسماعيلية نظام الملك وزير خوارزم شاه فى جمادى الآخرة (٥٩٦هـ) لأنهم كانوا يعدونه محرك خوارزم شاه لغزوه قلاعهم ، فاشتد غضب تكش لأنه كان يحب هذا الوزير الصالح الدين حبا جما ، فبدأ بأمر ابنه قطب الدين أن يهاجم قلاع قهستان بجيش كبير ، وقصد هو نفسـه مع أنه كان مريضا من خوارزم خراسان ، لكنه لفظ آخـر أنفاسـه بين نيشابور وخوارزم فى التاسع عشر من رمضان (٥٩٦هـ) ، فأخلى محـمد عند سماعه هذا الخبر وكان منشغلا فى هذا الوقت بحصار ترشيز هـذه القلعة وقد أعطاه الملاحدة أموالا ، وصل على عجل الى معسكر أبيه •

كان تكش ملكا عادلا حسن السيرة متدينا فاضلا اجتمع حوله جماعة من الشعراء وأهل الأدب أشهرهم بهـاء الدين محمد بن المؤيد البغدادى الذى كان شاعرا ومنشئا ورئيسا لدار الانشـاء السلطانية ، ومجموعـة منشآته تعرف باسم (التوسل الى الترسل)(١) • وغيره العـلامة الكبير

---

(١) جمع المؤلف مجموعة منشآته هذه باسم الوزير بهاء الدين وتحوى
=

فخر الدين محمد بن عمر الرازى (٥٤٣ — ٦٠٦هـ) الذى صنف عدة كتب من تأليفه باسم السلطان علاء الدين تكش خوارزم شاه(٢) .

٦ — علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش

(٥٩٦ — ٦١٧هـ)

وبعد موت تكش جلس ابنه الثانى قطب الدين محمد فى العشرين من شوال (٥٩٦هـ) مختارا لقب علاء الدين خلفا لأبيه ، ووجه فى بداية أمره بعصيان ابن أخيه هندوخان الابن الأرشد لناصر الدين ملكشاه أخيه وكان يطالب بخلافة تكش . وسرعان ما أجبر جند علاء الدين محمد هندوخان على أن يفر الى هراة ويحتمى بغياث الدين وشهاب الدين ملكى الغور ، فأفاد ملكا الغور اللذان كانا يطمعان فى خراسان وبلاد خوارزم شاه من هذه الفرصة كما سبق فى تاريخهم فهاجما خراسان ، لكنهم ، كما رأينا ، غلبوا فى جميع حملاتهم على خراسان وخوارزم ، وأزال السلطان محمد فى (٦١٢هـ) دولة الغوريين واستحوذ على هراة وفيروز كوه وغزنة .

فتح مازندران وكرمان فى (٦٠٦هـ) و(٦٠٧هـ) :

كانت مازندران التى ظلت من عهد الساسانيين فى يد أمراء ايرانيين

=

ديباجة وفصلين ومقدمة وثلاثة أقسام فى حمد الله ومدح الرسول واصحابه والسلطان وسبب تأليف الكتاب ومدح بهاء الدين الوزير ومختصر فى أساليب الكتاب المختلفة ونماذج للفرمانات وكتب العهد التى كتبها للسلطان وأرسلها الى الأمراء والملوك بالأطراف ، ورسائل اخوانية تحوى حوادث تاريخية وعادات الناس وأخلاقهم والبلاط ورجال النصف الثانى للقرن السادس . وهذا الكتب هام اذ انه يجلى أساليب الانشاء والنثر الفارسيين فى العصور المختلفة وهو بنفسه من خير نماذج المنشآت الموشاة بالصناعات اللفظية البالغة النضج والكمال .

(٢) من مؤلفات هذا العالم باسم هذا السلطان جامع العلوم أو حدائق الأنوار فى حقائق الأسرار الذى ألفه عام (٥٤٧هـ) ورسالة الاختيارات العلائية فى النجوم فى مقالتين وترجم الى العربية .

خلص مـن أبناء الملوك الساسانيين فى أيام سلطنة عـلاء الدين محمد خوارزم شاه تحت أمر الشاه الغازى حسـام الدين أردشير بن حسن (٥٦٧ ـ ٦٠٢هـ) مـن ممدوحى الشـاعر الشهير ظهـر الدين محمـد الفاريابى • ومات هذا الاصبهبذ فى (٦٠٢هـ) وخلفه ابنـه شمس الملوك رستم ولم يمتنع هو أيضا مثل أبيه عن قبول أمر السلطان محمد •

وقتل زوج أخت شمس الملوك فى الرابع من شوال (٦٠٦هـ) وكان من السادات العلويين شمس الملوك ، فثارت القلاقل لهـذا فى مازندران واستيجد الأمراء المحليون بخوارزم شاه فأرسـل السلطان محمد أحـد أمرائه لضبط هذا البلد فدخلت مازندران بيسر تحت تصرفه •

وعلى نحو ما سبق توجه أحد أمراء الغز الذى استولى على سرخس وهـو ملك دينار فى (٥٨١هـ) بعد أن هزمه سلطا نشاه أخـو علاء الدين تكش الى كرمان ، وبعد أن جمع الغز المقيمين بهذه النواحى أسقط أخيرا فى (٥٨٣هـ) أسرة سلاجقة كرمان واستولى دينار على كرمان ، وقد ألف باسم هذا الملك الغزى المنشىء المعروف أفضل الدين أبو حـامد أحمد بن حامد الكرمانى كتابه (عقد العلى) فى تاريخ كرمان فى عام (٥٨٤هـ) •

وبعد امارة ثمانية أعوام على كرمان مات ملك دينار (٥٨٣ ـ ٥٩١هـ) وخلفه ابنه علاء الدين فرخشاه (٥٩١ ـ ٥٩٢هـ) ، لكن أوضـاع كرمان على عهـده كانت قرينة القـلاقل وخطبت جمـاعة لعـلاء الدين تكش خوارزمشاه ، وأرسل خوارزم شـاه بدوره قوادا من خراسـان لضبط كرمـان ، وأصبحت هـذه الولاية مـن حـدود عام (٥٩٢هـ) تابعـة للخوارزمشاهيين ، وأناب ناصر الدين ملكشاه بن تكش الذى كان حـاكم نيشابور من لدن أبيه ابنه هندوخان على كرمان ، وظل هندوخان بها حتى سنة وفاة أبيه ملكشاه أى الى ربيع الآخر (٥٩٣هـ) ، وبعد عودته أدار نواب تكش أمور كرمان •

وفى وقت موت تكش صـارت كرمان ألعوبة لهجوم التراكمة ثانية ،

وهاجم كرمان ملوك شبا نكاره من فارس لاقتلاعهم مرارا ، وأخيرا تمكنوا من ادخال هذه الولاية تحت امرتهم ، ولكنه بعد نحو أربعة أعوام قـــام أهل كرمان على أصحاب شبا نكاره بسبب ظلمهم وجـــورهم ، فأمـــروا عجمشاه الابن الآخر لملك دينـــار الذى كان هندوخـــان قد بعث بـــه الى خوارزم وعاد فى هذا الوقت الى كرمان •

وفى هذا الوقت استولى الأتابك مظفر الدين سعد بن زنكى (٥٩٩ — ٦٢٣هـ) أتابك فارس السلغورى والذى كان فى نزاع مع ملوك شبا نكاره على كرمان مرة فى عام (٦٠٠هـ) وأخـــرى بعد تجديد امراء شبا نكـــاره هجومها عليها فى (٦٠٢هـ) وظلت كرمان حتى (٦٠٧هـ) تحت أمر نائب الأتابك سعد •

وعصى نائب الأتابك فى تلك الآونة مخدومه ، فصـــارت أمور كرمان رهن الاضطرابات • وأفاد والى مدينـــة زوزن فى قهستان مـــن طـــرف السلطان محمد خوارزمشاه واسمه تاج الدين أبو بكر من هذه القلاقل ، فاستولى على كرمان بجيش أمده به خوارزمشــــاه فى عام (٦٠٧هـ) ثم هاجم هرموز (ميناء ميناب الحالى مقابل الجـــزيرة وباب هرمز) فضم هذا البلد وقسما من عمان وكانت تبعا لهرموز الى البلاد الخوارزمشاهية، فاتسعت حوزة السلطان محمد فى هذه الجهة حتى الســـواحل الجنوبيـــة لبحـــر عمـــان •

السلطان محمد خوارزمشاه والخليفة الناصر :

فى السنوات الأخيرة من سلطنة تكش كان الناصر الخليفة العباسى دائم الخوف من هجوم خوارزمشاه عليه من بعد هزيمة جنـــده ووزيره على يديه فعمل على تأليب الملوك الغوريين لمعاداة الخوارزميين ، فدفـــع كما رأينا فى تاريخ الغورية فى (٥٩٤هـ) السلطان غياث الدين الى مهاجمة البلاد الخوارزمشاهية ، فاضطر تكش أن يستمد القراخطائيين فهاجمت هذه الفئة الكافـــرة على أثر تحريضات الخـــليفة النـــاصر بلاد الغـــور المســـلمين •

وهزم السلطان غياث الدين جند القراخطـائيين وصـالح تكش ، وأصدر الخليفة الناصر منشورا بسلطنة تكش رسميا فى (٥٩٥هـ) حـين قدم خوارزمشاه الى الرى مخافة الخليفة يعترف فيه بحكمه لكل البـلاد التى استولى عليها سابقا وأرسل الخلع اليه والى ابنه محمد ولقب محمدا بقطب الدين •

وبعد جلوس محمد مكان أبيه تكش عمل الناصر خشية أن يسـلك الابن مسلك عداوة أبيه للخلافة على تحريك الملوك الغوريين ضده ، وقد أحل الخليفة بغياث الدين وشـهاب الدين اللذين كانا مشغولين بفتـح الهند ودفع الكفار القراخطائيين كما مر شرحـه الضعف والعجـز لكثرة غزواتهما على خراسان وخوارزم الى أن سقطت أسرة السلاطين الغـور وتجزأت الممالك الغورية •

ولما لم يستطع الناصر أن يتخلص من تهديد خوارزم شاه عن طريق الغوريين كماكانيود ، عمل على اثارة الأمراء والحكام المحليين الصغـار وتحريكات أخرى ، ومن بين ذلك أنه تحالف مـع جلال الدين الحسـن الاسماعيلى من خلفاء الحسن بن الصباح والذى سيطر على قلاع الموت ورودبار وقهستان فأطاع الحسن الذى ترك المذهب الاسماعيلى ظاهـرا وعرف بلقب (نو مسلمان) أى المسلم الجديد أمر النـاصر وترك تحت اختيار الخليفة جماعة من الفدائيين البـاطنيين لكى يزيل أعـداءه بنفس سيره الاسماعيلية فى ازالة أعـدائهم • وأمر الناصر أيضـا أن يقدم علم جلال الدين الحسن الذى جعله رفق أصحـابه الحجاج على علم رعـايا خوارزمشاه فى الحج ، وكان عمله هذا بمنزلة توهين عظيم من شـأن هذا السلطان العظيم الشوكة والذى كان يحكم على أوسع دول العالم آنذاك •

وكان القسم الأكبر للعراق أى همدان وأصفهان والرى على النحو الذى رأيناه قبـل ذلك حتى عام (٦٠٨هـ) فى يد شمس الدين آيتغمش أحد غلمان الأتابك محمد جهان بهلوان السابقين • وفى هذا العـام عصى أحد أتباعه وهو (ناصر الدين منكلى) مخدومـه آيتغمش فاستولى على

البلاد السابقة للأتابك أوزبك وهرب آيتغمش الى بغداد •

وبعد أن استقر منكلى على امارة العراق أخذ فى معاداة الأتابك أوزبك من ناحية ، ومهاجمة بلاد جلال الدين نو مسلمان من ناحية أخرى ، فألب الخليفة الناصر جلال الدين والأتابك أوزبك على قتال منكلى وأرسل جيشا من طرفه لمساعدتهما ، وهزم الحلفاء منكلى فى (٦١٢هـ) فقتل فى ساوة وسير الأتابك رأسه الى بغداد وتوزعت بلاد منكلى بين الخليفة الناصر والأتابك وجلال الدين • وترك الأتابك نصيبه الى أحد مماليك أخيه واسمه سيف الدين اغلش وقد عاش فى خدمة السلطان محمد خوارزمشاه وقد كان يجالد بسيفه فى حروبه ، الا أن اغلش سرعان ما خطب فى بلاده لخوارزم شاه • فأمر الخليفة وكان غاضبا لما حدث جماعة من الاسماعيلية بقتله فاغتالوا اغلش بطعنات خناجرهم ، ولما وصل ذلك خوارزمشاه زاد غضبه عما سبق على حركات الخليفة العدائية خاصة وأن الناصر كان يأنف من الخطبة له فى بغداد • ولما استولى خوارزم شاه على غزنة وجد مراسلات من الخليفة الى الغوريين تدور حول تأليبهم على معاداته فلم يعد له شك فى عداء الناصر لأسرته ، ولأجل هذه الأسباب جميعا قصد من خوارزم العراق ، واستولى بسهولة على اصفهان والرى وقم وكاشان وساوه وهمدان • وتغلب على الأتابك سعد ابن زنكى أتابك فارس وأمسك به ومع أنه كان يريد قتله الا أنه عفا عنه أخيرا بشفاعة أحد مرافقيه وأعاده الى فارس ، وقبل الأتابك أن يترك ابنه رهينة فى بلاط خوارزم شاه وأن يرسل ربع مال فارس الى خوارزم هذا من ناحية • ومن ناحية أخرى جعل خوارزم شاه من الأتابك أوزبك مطيعا له وقبل هو أيضا أن يخطب له فى أران وآذربايجان •

وفى نفس هذه الأيام أسقط خوارزم شاه اسم الخليفة الناصر من الخطبة بفتوى جماعة من علماء ما وراء النهر وأمر أن يرفع أحد السادات الحسنيين فى ترمذ الى الخلافة قائلا ان الناصر لا يستحق الخلافة بسبب قيامه على سلطان السلام وأعماله القبيحة الأخرى وان السادات

الحسنيين أخرى منه خلافة .

وسار خوارزم شاه من همدان الى بغـداد ، لكن كثرة من جيشـه وخيوله هلك بسبب الشتاء والثلج الشديد الذى سقط فى الأماكن الجبلية الوعرة فى أسد آباد ، وسبب له الأكراد ولجيشه كثيرا من الضرر البالغ ، فتشائم السلطان مما حدث ، ولما كان غير مطمئن الخاطر من جانب المغول أيضا الذين شرعوا هجومهم منـذ فترة سابقة على الحـدود الشـمالية لبلاده ، فعاد من همدان فى أواخر (٦١٤هـ) الى خراسان ومنها بلغ مرو فى المحرم من (٦١٥هـ) ، وذاع أن الخليفة النـاصر قد مات فليس مـن اشكال لاسقاط اسمه من الخطبة .

انهيار الأسرة القراخطائية فى (٦٠٧هـ) :

كان الخوارزمشاهيون ، كمـا سبق ، يؤدون الخـراج كل عام الى القراخطائيين من حين أن هزم الكرخان أتسز ، وفشل ايل ارسلان وتكش برغم محاولاتهما أن يتخلصا من هذا الحمل ، خاصة وأن تكش كان قـد قبل دفع هذا الخراج السنوى من جـديد الى القراخطائيين حينمـا كان يصارع أخاه سلطا نشاه .

واسـتولى القراخطائيون كما رأينـا على بلاد ما وراء النهـر أى سمر قند وبخـارى من بعد حرب قطـوان فكان أمراء هـذه الناحيـة وسلاطينهـا يدفعون الى شحنات الكورخان الخـراج بانتظـام وكانوا يحكمون تحت تبعيتهم بلقب السلطان والأمير ، وقد كان أخلاف الخانيين على نفس هذا الحال فى سمرقند ، وسلكت فى بخارى أسرة من العلمـاء الدينيين عرفت باسرة (صدر جهان) نفس هذا المسلك .

وأخذ أهل ما وراء النهر يشكون الى السلطان محمد خوارزم شـاه بعد ما تيسر له من الفتوحات العظيمة ما حـل بهم من ظلم وجور وعـار باستيلاء القراخطائيين وكان السلطان نفسه فى ضيق شديد لأدائه الخراج

السنوى اليهم ولهذا فقد ألقى برسول الكورخان فى (٦٠٦هـ) الذى أتى لايصال الخراج المطلوب فى الماء وأغرقه وتحرك فى آخر نفس العام عازما الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر •

واستقبل أهل بخارى السلطان محمدا باحترام بالغ ، وفى وصوله الى سمرقند قدم خاقانها نصرة الدين عثمان خان الملقب بلقب سلطان السلاطين والذى لم يكن على صفاء مع الكورخان الى خدمة خوارزمشاه وقبل أن يخطب له ويصك العملة باسمه وعبر السلطان قاصدا الاستيلاء على بلاد القراخطائيين الاصلية نهر سيحون وفى ربيع الأول (٦٠٧هـ) هزم جيش (تاينكو) والى مدينة طراز قائد الكورخان واستأسره وأتى به الى خوارزم وقتله • ومن هذا الوقت تلقب السلطان محمد بلقبى (سنجر) و(الاسكندر الثانى) •

أما الكورخان فسرعان ما هاجم بجيشه سمرقند وبعد أن هزم عثمان خان وخوارزم شاه استعاد هذه المدينة ولاذ السلطان محمد بالفرار •

وتصالح الكورخان مع عثمان خان لأنه كان فى هذا الوقت فريسة مشاكل شديدة فى حدوده الشمالية والشرقية لبلاده وعاد الى بلاده الأصلية بعد أن ترك شحنة من جانبه فى سمرقند وتحميله الخراج السنوى •

ومن الملوك الذين كانوا يؤدون الخراج للكورخان كوجلك خان(١) الذى يترأس على جماعة النايمان من المغول المسيحيين ، أعلن هذا الملك عصيانه للكورخان وجعل مركز بلاده تحت تهديده فعجل الكورخان بالعودة من سمرقند لدفعه •

وانتهز السلطان محمد هذه الحادثة للانتقام لهزيمته السابقة فعاد

---

(١) كوجلوك لفظ ايغورى معناه (الرجل القوى) (فامبرى ج ١ ص ١٥٥) .

ثانية الى بخارى وسمرقند وحالفه عثمان خان مرة أخرى ، ودخل خوارزم شاه بعد أن غلب جنود الكورخان فى قتال ونزال مع كوجلك ثم عاد مع عثمان خان الى خوارزم وترك شحنات من لدنه فى كل مدينة .

وعقد السلطان محمد فى رجوعه الى خوارزم لعثمان خان على ابنته وبعد مدة أعاده يصحبه شحنة الى سمرقند ، الا أن عثمان بعد عودته الى سمرقند أخذ يتألم لظلم الشحنة وجوره واعتداء الجنود الخوارزميين على الرعية الذى فاق الحد فأخذ يسىء معاملة بنت خوارزم شاه ، واستدعى سرا الكورخان ليأخذ سمرقند فجاء وأعمل السيف فى الخورازميين المقيمين بالمدينة .

وقد أحنق هذا الخبر خوارز مشاه الى حد أنه قصد سمرقند متحركا من خوارزم بهدف استئصال شأفة عثمان خان وذبح أهل سمرقند ، وبعد أن فتحها أخذ فى ذبح أهلها ثلاثة أيام كاملة ثم رفع يده عن فعله الشنيع بشفاعة أئمة المدينة والسادات بها ، وقبض على عثمان خان الذى أتى يقدم اعتذاره فقتله وأكثر اتباعه وأقاربه ، وبهذا دالت سلسلة الملوك الخانيين فى (٦٠٧هـ) تماما ووضع خوارزم شاه من ناحية الغرب البلاد القراخطائية موضع هجماته بينما أنشأ كوجلك الذى تحالف مع السلطان محمد قبل ذلك فى مهاجمة الكورخان من الشرق ، وغلبه وأسره فى معركة واحدة ، وبهذا أسقط كوجلك وخوارزمشاه الدولة القراخطائية أيضا فى نفس العام (٦٠٧هـ) وتقرر أن يقسم هذا الملكان المنتصران أغلب بلاد الكورخان الواسعة بينهما .

مجاورة المغول للبلاد الخوارزمشاهية :

بعد أن ترددت السفراء بين كوجلك وخوارزمشاه مرارا لتقسيم البلاد القراخطائية ، ولما لم يتفق الطرفان صمم السلطان محمد أن يهاجم بلاد كوجلك ، ولكن جنده المسلمين بدلا من أن يتحالفوا مع مسلمى كاشغر والبلاد الأخرى الذين كانوا يحاربون بشجاعة مع جنود كوجلك المسيحيين

أخذوا يهاجمونهم ويحملون عليهم وتحاشوا مواجهة أتباع كوجلك ، وأمر خوارزم شاه لكى يمنع هجوم كوجلك على بلاد ما وراء النهر أهالى عدد بلاد شرقيها أن يخربوا مساكنهم ويرحلوا عنها •

وفى شتاء (٦١٢هـ) زحف السلطان محمد من مدينة جند الى مساكن طوائف القبجاق ، وفى هذه الحدود واجه فرقا من المغـول بقيادة جوجى ولد جنكيز خان • وخاطب جوجى خوارزم شاه أنه أتى لدفع ثوار هـذه المنطقة ولا يقصدون حربه ، فأجابه خوارزم شاه وهو فى كامل غروره أن الكفار جميعا فى نظره سواء وهاجمهم ، وفر أتباع جوجى مستترين بالليل مع تفوقهم الخارق ، وعاد خوارزم شاه فى صيف (٦١٣هـ) الى سمرقند وكانت هذه الواقعة التى أفهمت خـوارزم شاه درجة فروسـية مغـول جنكيز خان وشجاعتهم أول صدام ما بين هؤلاء القوم والسلطان محمد •

مـوت خوارزم شاه فى شوال (٦١٧هـ) :ـ

جاور أتباع جنكيزخان ، كما سيلى تفصيله فى تاريخهم ، بعـد أن زالت الدولة القراخطائية فزال بهم الحاجز العظـيم الذى فصـل بـلاد ما وراء النهر العـامرة عن مساكن أقوام التتار الوحشـيين ، جـاوروا البلاد الخوارزمشاهية ، ومع أن جنكيز كان يود أن يقيم علاقة صـداقة مع خوارزم شـاه الا أنه بسـبب عدم فطنة هذا الخوارزمى وقع معـه فى نزاع ، فبعـد أن طـرد جنكيز كوجلك من كاشـغر فى عـام (٦١٥هـ) وأزال دولـة جمـاعة النايمان ، طفـق يتأهب للهجـوم عـلى البـلاد الخوارزمشاهية باستعدادات عظيمة ، وانصب فى خريـف (٦١٦هـ) بكـل أبنائه وقواده على بلاد ما وراء النهر ، وبعد أن خرب مدن هذه المنطقـة العامرة سيطر أيضا على خوارزم وخراسان ، وكان خوارزم شـاه يفـر أمامه حتى تحصن فى النهاية بمازندران ، ولما سمع أن المغـول يتعقبونه يمم شطر جزيرة آبسكون الصغيرة مقابل مصب نهر جرجـان فى بحـر الخزر ولفظ آخر أنفاسه فى شوال من (٦١٧هـ) فى شدة من الفقر والحزن

والمرض فى حالة لم يكن له ما يكفنونه به ، فكفن برداء أحد أتباعه .

والسلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه كان فى عهده أحد أكثر ملوك المسلمين شهرة وعظم شأن ، اذ تحقق على يديه فتوحات كبيرة فى مدة قصيرة نسبيا ، وقد أسقط الأسر كلها فى وقائع عظمى قل أن تتيسر لملك آخر غيره قط . وكانت دولته من أوسع الدول بعد دولة السلاجقة لأنها شملت فضلا على جميع ايران وما وراء النهر وخوارزم جزءا من التركستان والهند أيضا ، وقد دان بقية الملوك بالطاعة لخوارزم شاه أيضا .

وكان خوارزم شاه ملكا عالما ودينا محبا للعلم والأدب لكنه كان قاسيا فظا خاليا من الحنكة والسياسة ، وكان أسوأ من ذلك كله يعيش تحت نفوذ أمه القبجاقية (تركان خاتون)(١) التى كانت امرأة أنانية شهوانية سفاكة للدماء ذات دسيسة ودهاء وقد بلغ تسلط هذه المرأة على الأمور الى حد أنها كانت تمنع أوامر ابنها خوارزم شاه من أن تنفذ اذا لم تر أنها صالحة فى نظرها ، وكانت تسبب له مشقات بالغة ، وقلت ناحية من البلاد الخوارزمية لم يتسلط على أمورها واحد من أتباع هذه السيدة .

ولم يكن رعايا خوارزمشاه أصفياء القلب له لأنه من ناحية ناهض الخليفة الناصر امام المسلمين بالعداوة وأحنق عليه طبقة رجال الدين ذوى النفوذ بفعله هذا من ناحية ، وكان الجنود الخوارزميون والحراس القبجاق أو أتباع أمه يصيبون الرعية بكثير من الايذاء والاضرار ، وبلغ ظلمه وقسوته أيضا فى البلاد المفتوحة حدا أن المسلمين غالبا كان يفضلون حكم الكفار القراخطائيين على سلطنة السلطان محمد .

ونظرا لعدم اهتمامه بسكان البلاد والتابعة له وطبقة رجال الدين

---

(١) تركان خاتون هذا لقب عام يطلق على نساء السلاطين الأتراك وليس اسما خاصا كما فهم المؤلف ومعناها (السيدة الملكة) .

فقد جمع حوله جماعة من الأتـراك القبجـاق كحراس ومسـتحفظين ، فاستحوذ هؤلاء الترك السفاكون الغلاظ الأكباد على أزمة الأمور تعاونهم تركان خاتون أم السلطان ، وكان هذا السلطان الضعيف النفس ألعوبة فى أيدى رؤساء هذه الجماعة دائما ولم يكن له رأى ولا حرية أمامهم .

وكان أحد أفعال خوارزم شاه القبيحة التى زاد على أثـره نفـور رجال الدين والرعية له هو قتله للعارف المعروف الشيخ مجد الدين شرف ابن المؤيد البغدادى أخى بهاء الدين محمد رئيس ديوان رسائل تكـش والذى كان له نفوذ عظيم فى خوارزم وكانت أم السلطان نفسها تحميه . وقد قتل خوارزم شاه لسبب لا يعرف بالضبط الشـيخ مجـد الدين فى (٦١٢هـ) فأحنق فعله هذا أمه تركان خاتون وشعب خوارزم عليـه حنقـا شديدا فقام رجال الدين بمعاداته أكثر من ذى قبل ، وكان نتيجـة هـذه الأفعال أن السلطان محمدا لم يستطع أن يعتمد على رعاياه التابعين لـه فى دفاعه عن تاجه وعرشه مع عدم وجود التنظيمات العسكرية الصحيحة ، ومع كل شوكته وعظمته اللتين كانتا له غلبه ونكبه جماعة من أقوام البـدو التتـــار .

٧ ـــ جلال الدين المنكبرنى

(٦١٧ ـــ ٦٢٨هـ)

كان للسـلطان محمد من نسائه العديدات بضعة أبنـاء أشـهرهم أربعـة هم جلال الدين المنكبرنى(٢) أرشد أولاد السلطان وكان بصحبة السلطان أبيه فى غالب الأحوال ، وغيـاث الدين الذى كان يحـكم عـلى كرمان ، وركن الدين والى العراق ، وأوزلاغ شاه الذى اختاره السلطان

(٢) لفظ أويغورية مؤلفة من كلمتين : منك بمعنى السماء وبردى بمعنى مبعوث ورسول ومنكوبردى وليس منكبرتى معناها رسـول السماء (غامبرى ج ١ ص ١٧٧ ، ج ٣ ص ١٨٩) .

وليا لعهده بسبب عناد تركان خاتون لجلال الدين واصرارها على توليـة ابنهـا عهـده .

وحينما فر خوارزم شاه من أمام جنـود جنكيز الى العراق لحـق جلال الدين وغياث الدين وركن الدين ثلاثتهم بأبيهم وعين السـلطان فى جزيرة آبسكون جلال الدين خلفا له وحث أخويه الآخـرين على اطـاعة أمره ، ولم تكن عاصمة خوارزم حتى هذا الوقـت قد سـقطت فى يـد جنكيز خـان .

وعاد أبناء خوارزم شاه من مازنـدران الى خـوارزم ولمـا أعلنت سلطنة جلال الدين عصى الأتراك المنحازون الى تركان خاتـون وأوزلاغ شاه الذى كانت أمه أيضا قبجاقية وصمموا على قتل جلال الدين ، فهرب جلال الدين ، الى خراسان ، وبعد أن هزم بالقرب من مدينة نسا عددا من المغول عرج الى هراة لقلة عـدد جيشـه .

وانشغل السلطان جلال الدين حتى عام (٦٢٨هـ) عام قتله بقتـال جنود المغول وملوك ايران الغربية والجزيرة وخليفة بغداد وملكة الكرج ، وكان يخرج منتصرا فى أكثر هذه الحروب ، حتى لقى الهزيمة فى الثـامن والعشرين من رمضان (٦٢٧هـ) من السلطان علاء الدين كيقباد من سلاجقة الروم(١) على مقربة من أرزنجان فانهزم الى آذربايجان وأرسل جنوده الى صحراء موغان لينالوا قسطا من الراحة وانهمك هو فى اللهو واللعـب

---

(١) فى عهد علاء الدين كيقباد (٦١٦ — ٦٣٤هـ) امتدت حـدود دولة سلاجقة الروم جنوب الاناضول وشماله الشرقى وشرقه على حساب المسلمين وغيرهم ، فقد استولى لغايات تجارية على كثير من المدن الحصينة بالساحل الجنوبى للأناضول مثل انا مور وعلائية وسيرجيشا الى مينـاء صوغداق على القرم وشن غارات تاديبية على ارمينية الصغرى واستولى فى شرق الأناضول على أرزنجان وأرضروم وخلاط وجالد دولة جلال الدين فى ايران وآذربايجان وحاول الاستيلاء على حلب وشمال سوريا ولكنه ارتد حسيرا . كمـا حصر طرابزون وشغل مناطق حتى اونية واخضع ملكة جورجيا وجدد جميع القلاع فى الشرق أمام الخطر المغولى . (راجع للمترجم رسالته فى الدكتوراة جماعات الفتوة فى الأناضول ص ٥٨) .

وشرب الخمر • وفى هذه الأثناء سمع أن المغول يقصدون آذربايجـان عن طريق زنجان وقبل أن يصل الى جنوده باغته المغول بالهجوم فهرب جلال الدين الى شاطىء نهر الأرس ومنه الى أورمية فلربما لـقى العـون من ملوك الولايات الذين كانوا جميعا حانقين عليه خائفين منه ، فلم يسـاعده أحد منهم ، وأخذ السلطان يطرق هذا الباب وذاك حتى تسـاقط عليـه المغول مرة أخرى قرب ديار بكر ، ومع أن جلال الدين فر بحياته ناجيـا حتى حدود ميافارقين الا أن جماعة من الأكراد قتلته فى الجبال التى حول هذه المدينة فى منتصف شوال (٦٢٨هـ) ، وانهارت الأسرة الخوارزمشاهية التى كانت قد سقطت على يد جنكيز خان فى بلاد ما وراء النهر وخوارزم وخراسان بقتل السلطان جلال الدين المنكبرنى انهيارا تاما •

ومع أن جلال الدين كان رجلا كثير الشجاعة والجرأة والحلم والقوة الا أنه لم يقـل عن أبيـه قسوة وسفكا للدماء وخرقا ، وكان أسـوأ من ذلك كله أن اللهو واللعب والشرب كان يفتتنه الى حد أنه لم يكن يبـالى بأى عدو مهما كان مع وجود اللهو والخمر ، وبمجرد ما كان ينفصـل عن عدوه ولو قليل انفصـال كان يغرق فى دنان الخمر وينسى الدنيا وما فيها•

وكان جلال الدين كأبيه أيضا سىء المسلك فظا حقودا فى حق الرعايا والمغلوبين ووقع فى عداء الخليفة والاسماعيلية وملكة الكرجيين والسلطان السلجوقى فى بلاد الروم وملك الجزيرة — وليس له معاون أو مساعد — فى نفس واحد فى حين أن المغول كانوا من خلفه ، وقـد كـره شـعوب الولايات التى هاجمها فى شخصه الى حد أنه لم يجد منهم عونـا وقـت الضرورة وكان الناس فيها يفضلون حكم المغول على استيلاء جلال الدين عليهم بل كانوا يستدعون جنود جنكيز عن ميل لانقاذهم من اعتـداءات جلال الدين • والخلاصة أن العشر سنوات من كر جلال الدين وفره لـم تؤد الى نتيجة اللهم الا اجتذاب المغول الى كثير من البلاد الـتى كان من الممكن أن تظل بمنجى من شرورهم ومزيد من الخراب وتقتيل الأبرياء •

أسماء السلاطين الخوارزميين وزمان كل منهم

١ ــ قطب الدين محمد بن أنوشتكين غرجه (٤٩٠ ــ ٥٢٢هـ)

٢ ــ علاء الدين أبو المظفر أتسز قطب الدين محمد (٥٢٢ ــ ٥٥١هـ)

٣ ــ تاج الدين أبو الفتح ايل أرسلان بن أتسز (٥٥١ ــ ٥٦٧هـ)

٤ ــ جلال الدين محمود سلطانشاه بن ايل أرسلان (من رجب ٥٦٧ حتى ربيع الآخر من ٥٦٨هـ)

٥ ــ علاء الدين تكش بن ايل أرسلان (٥٦٨ ــ ٥٩٦هـ)

٦ ــ السلطان علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش (٥٩٦ ــ ٦١٧هـ)

٧ ــ جلال الدين منكبرنى بن علاء الدين محمد (٦١٧ ــ ٦٨٢هـ)

القسم الثانى

من الغزو المغولى حتى نهاية الدولة القاجارية

الفصل الأول

الغــزو المغــولى

أقــوام الترك والمغول : —

كان الشعب الأصفر الذى يسمى بين المسلمين بأسماء عامة كالمغــول والتتار أو التتر شعبا بدويا يســكن وديان جــبال خينكان (Khingan) ويابلونوى (Iablonoï) وسايان (Saïan) وأودية أنهار سلنكا (Sélénga) وأرقون (Argoun) وكرولينا (Kéroulen) وما حول بحيرة بايكال أى الناحية الجبلية الواقعة بين الصين ومنشوريا وسيبريا الجنوبية والمنطقة التى تســمى اليوم منغوليــا •

ولم كن لهذا الشعب الى وقت ظهور جنكيز خان شهرة فى التــاريخ ولا أثر ، لأن التتار قبل هذا الفاتح المسيطر انقسموا على أنفسهم قبائل صغيرة عاشت فى فاقة وانكسار ، ولم يوحد كلمتهم لــواء واحــد غــير جنكيز خان وجعل منهم بفتوحاته وبما ألحق من تخريب وتدمــير قومــا ذاع صيتهم فى عالم تلك الأيــام •

وكانت أقوام الترك والمغول فى حين ظهور جنكيز تســكن ما بــين حدود ايران الشرقية والصين وسيبريا الجنوبية فى وديان الجبال والأنهار والواحات الداخلية فى الصحارى وتشعبت الى القبائل التالية : —

١ — قبيلة التتار والقنقرات(١) وكانت تسكن فيما بين شــاطىء

(١) القنقرات وصحتها القنغرات تركية بمعنى الحصــان الكســتنائى (غامبرى ج ٥ ص ١٦٢) •

نهرى أرقون (من شعب نهر آمور) وسلنكا وبلاد قبائل القرغيز شمالا ، والصين الشمالية أى الخطا شرقا ، ومساكن قبائل الأويغور ، فالتبت جنوبا •

وكانت هاتان القبيلتان من أشد القبائل الصفراء وحشية فى آسيا الشمالية وكانت تدفع جزية الى أباطرة الصين الشمالية ، ومع أنهما لم يكونا بذات أهمية قط فى أول الأمر ، الا أن اسم التتار من بعد ظهور جنكيز أطلق على كافة القبائل الصفراء التى دخلت فى طاعته وسمى جيش جنكيز وأتباعه وأصحابه كلهم بالتتار والتتر ، وكانت هذه الكلمة (التتر) فى الأوقات الأولى لهجوم المغول اسمهم العام ، ثم صار اسم « المغول » متداولا لهم •

٢ — قبيلة القيات الصغيرة التى ظهر منها جنكيز خان وكانت سكناهم على شواطىء الشعب العليا لآمور وجبال قراقروم(٢) أى يابلونوى الحالية •

٣ — قبائل الأويرات(٣) والآرلاد والجلاير ما بين نهر أنون (Onon) وبحيرة بايكال •

٤ — قبيلة الكرائيت الساكنة فى الواحات الشرقية لصحراء جوبى(٤) وجنوب بحيرة بايكال حتى سور الصين • وكانت هذه القبيلة أقوى قبائل المغول قاطبة فى القرنين الخامس والسادس الهجريين وسيطرت على أغلب القبائل حولها ، وقد اعتنق رئيسها المسيحية عام (٣٩٨هـ) ومن هذا الحين دخلت المسيحية وحازت شهرة فى أوربا

---

(٢) لا ينبغى الخلط بين جبال قراقروم هذه وسلسلة جبال قراقروم الحالية الواقعة فى شمال كشمير وجنوب كاشغر (سياقى) .

(٣) أويرات تركية بمعنى (الحصان الرمادى) (فامبرى ص ١٦٢ ج٥) .

(٤) جوبى لفظ مغولى معناه (الصحراء الجدباء الخاوية) ولا يستعمل علما الا فى القليل (فامبرى ج ١ ص ١٦١) ، ويميل فامبرى (نفس الصفحة والحاشية) الى أن الكرائيت واشتقاقها غير معروف الى أنها تحريفا فارسى للكلمة التركية (كيريت) بمعنى كلب الصيد .

وانتشرت فى أناسها أساطير حول هذه القبيلة ورئيسها •

٥ — قبيلة النايمان من قبـائل الأتراك وكانت تسـكن فى الوادى الأعلى لنهر أورخـون (Orkhon) والسـهول حـول جبال (آلتـائى) والبحيرات فى هذه المنطقة ، وقد اعتنقت المسيحية كالكرائيت ومع هـذا فقد كانت فى قتال ونزال معها دائمين •

٦ — أتراك الأويغور المانوية المذهب وكانوا بوجه عام أكثر قبائل الأتراك والمغول حضارة وكانت مساكنهم فى شمال التركستان الشرقيـة الحالية وشمال بحـيرة (لب نور) وحوالى نهـر تاريم أى مدن تورفان وبيشباليغ (قوشان الحالية) وبرقول وقهره شهر •

٧ — أتراك القرلق أو القارلون الذين سكنوا فى جنوب مسـاكن الأويغور وشملت مساكنهم الوادى الأعلى لنهـر تاريم كله ، وهم الذين عرفوا فى الشعر الفارسى باسم الخلخ أو الخـرلج وبالقامة المشوقـة وجمال الوجـه •

٨ — الأتراك القراخطائيون الذين أسسوا حين الغزو المغولى دولة كبيرة بين بلاد الخوارزمشاهيين ومسـاكن المغول الشرقيـة وكان أتراك القارلوق والأويغور يتبعونهم ويدفعون لهم الجزية • كانت قبائل المغول والأتراك كما قلنا قد انقسموا على أنفسهم قبائل متعددة وان كانت حين ظهور جنكيز قد دخلت طاعة ملك قبيلة الكرائيت باستثناء تلك التى قبلت تبعية أباطرة الصين الشمالية من بين القبائل التى تعيش فى الشرق وتلك التى كانت تسكن فىغرب بلاد المغول تابعة لأمر الكورخان القراخطائى •

وقد بعث بلوغ جنكيز وأبيه القدرة أن تخلص قبيلة قيات الصغيرة القبائل الساكنة بالغرب أولا من ربقة التبعية لحكام الخطا ثم تقضى على الكرائيت والقراخطائيين وتوحد جميع قبائل المغول والترك تحت حـكم واحد ثم تهاجم البـلاد المتحضرة شرق بلاد المغـول وغربها بعونهـم ومددهم •

جنكيز خان :

ولد جنكيز خان الذى اسمه المغولى هو (تموجين)(١) فى حدود عام (٥٤٩هـ) فى مضارب قبيلة قيات أما والده يسوكاى بهادر فهـو رئيس هذه القبيلة وخانها وهى من قبائل المغول كما مر • وكان يسوكاى بهـادر رجلا فطنا قديرا اذ انه لما بلغ رئاسة قيات أدخل المغول المجاورين لهـا تحت طاعته وأصاب قدراً من القوة والأهمية الى حد أن امبراطور الصين الشمالية أصيب بالفزع لاتساع قوته وأرسل من يحـول دون تقدمه لكن يسوكاى قضى عليهم وسرعان ما تخلصت قبيلته من عار دفع الجزية للصين واستقلت تماما •

وكان عمر تموجين ثلاثة عشر عاما حين لقى أبوه حتفه ، ووقـع فى شدة من أمره حينما خلعت جماعة من المغول طاعته فاضطر الى التوجـه الى خان قبيلة الكرائيت المسيحية فاستقبله الخان بحفاوة لعلاقات المودة السابقة بينه وبين أبيه واستقرت المودة بينهما فترة ، لكنه لما زادت شوكة تموجين صمم خان الكرائيت أن يتخلص منه بالحيلـة حتى لا يغـدو فى القابل أسير ند قوى الشكيمة واطلع تموجين على مقصود الخان فهاجـر بقومه من بين الكرائيت فلما خف خانهم لتعقبه خر مجندلا فى قتاله معه ، فارتفعت منزلة تموجين ودخل تحت امرته كثرة من قبائل المغول ولقب من هذا التاريخ بجنكيز خان

وفى عـام (٦٠٠هـ) تغلب جنكيز خان فى جـبال الآلتائى على خان قبيلة النايمان كذلك الذى مات بعد فترة قليلة متأثراً بجـرح أصيب به فى المعركة وفر ابنه كوجلوك بن تايانك خان خوفا من جنكيز • وبعد هزيمـة جنكيز للقرغيز فى (٦٠٣هـ) زحف لتأديب كوجلوك خان فى حوالى نهـر

---

(١) لفظ جنكيز خان او يغـوزى مكون من مقطعـين الأول جنك بمعنى مستقيم أو ثابت أو قوى وكيز بمعنى جبار فيحمل كله على معنى الشديد القوى أو الجبـار . وسمى الجوينى صاحب (جهانكشـا) ــ أو فاتح العـالم لقب هولاكو ــ جنكيز خان تيمورجى (فامبرى ص ١٦٢ حاشية ٢ ، ٣) .

ايرتيش من الشعب العليا لنهر أوبى • ولاذ كوجلوك الذى لم يكن يطيق مقاومة جنكيز من أمام جنده الى الكورخان القراخطائى ، فعقد الكرخان له على ابنته وصمم أن يعاونه ليستعيد ملك أبيه •

وقد مضى بنا أن الكورخان القراخطائى وكان معاصرا للسلطان محمد خوارزم شاه قد هاجم سمرقند فى (٦٠٧هـ) ، وبعد أن هزم عثمان خان سلطان السلاطين من ملوك الافراسيابين وصلحه معه والاستيلاء على بلاد الأويغور عمل على ضرب كوجلوك الذى كان عصاه بدفع من خوارزم شاه • وضاق المانويون الأوريغوريون ، الذين بلغوا شأوا عظيما فى المدينة وكان علما على حضارة الايرانيين القدامى فى عهد الساسانيين فى البلاد المختلفة للتركستان الشرقية ، ذرعا بظلم شحنة الكورخان القراخطائى فوثبوا عليه وقتلوه فاحتمى ملكهم بجنكيز خان وصار الأويغور من هذا الوقت من أتباع جنكيز ، وقد انتشر باختلاطهم بالتتار قوم جنكيز الخط الأوريغورى ، خاصة ، الذى كان أحد شعب الخط السريانى فى المغول ، وصار الأويغور من وقتذاك فما بعده يعلمون سواد المغول وكتابهم الخط الأويغورى ويدونون اللغة المغولية بهذا الخط • وأسر الكورخان أخيرا فى (٦٠٧هـ) على يد كوجلوك واقتسم الأخير مع خوارزم شاه البلاد القراخطائية ، لكنهما تقاتلا بسبب الخلاف على هذا التقسيم ، وعاد خوارزمشاه بعد مدة من القتال فى البلاد القراخطائية وايذاء الناس وتخريب المدن الى خوارزم •

وقد جعل انهيار دولة الكورخطائيين ، التى كانت واقعة بين البلاد الخوارزمشاهية ومساكن المغول وسدا فى الحقيقة يحول دون وصول المغول الى بلاد ما وراء النهر وخوارزم العامرة ، من خوارزمشاه مجاورا للمغول ، ولما مر هذا السلطان فى (٦١٢هـ) من مدينة جند (من البلاد الواقعة على شاطىء سيحون) لقتال جماعات القرغيز والقبجاق صادف مجموعة من جنود جنكيز يقودها ابنه جوجى ، ومع أن المغول كانوا لا يعتزمون قتال خوارزم شاه الا أنه هاجمهم مغترا ومعتبرا أن الكفار

جميعهم سواء •وقد أبرز المغول فى هذه الحرب شجاعة فائقة لكنهم آثروا الفرار ليلا لعدم ميلهم الى الحرب ، وعاد خوارزم شاه فى صيف (٦١٣هـ) الى سمرقند •

ومع أن هذه الواقعة التى كانت أول لقاء بين خوارزم شاه والمغول لم تكن على أهمية كبيرة الا أنها أرعبت خوارزم شاه لما عاينه من جلادة التتار وشجاعتهم فجعل يتفادى مقابلتهم فيمـا بعد ذلك حتى موته وكان دائم الانسحاب من أمامهم •

جنكيز خان وخوارزم شاه :

فكر السلطان محمد خوارزم شـاه بعدما أصاب من انتصـارات فى آسيا المركزية أن يسيطر على الصين وبعد أن وصلته انباء استيلاء جنكيز على بلاد الأويغور ثم على مدينة بكين عاصمة الصين الشمالية فى (٦١٢هـ) أنفذ بعثة الى الصين للتحقق من صدق هـذه الأنباء • واسـتقبل جنكيز مبعوثى خوارزم شاه باحترام وأرسل الى السلطان رسـالة معهم ذكـر فيها أنه يميل الى أن يستقر الصلح والصفاء بين الطرفين على الدوام وأن تتردد بين البلاد الخوارزمشاهية والجنكيزية دائما القوافل والتجار ويتم تبادل السلع بين البلدين •

وبعـد أن تجـاورت الدولتان المذكورتـان على اثر انتصـارات خوارزم شاه فى صحراء القرغيز وزوال الدولة القراخطائية وتقدم جنكيز بدوره فى جبال آلتائى وتيانشان وبحـيرتى بلخاش وايسى كول ، وصـل بضعة نفر من التجار المسلمين الى بلاط جنكيز ومعهم بعض المنسوجـات المذهبة فأجزل الخان لهم العطاء نظير بضائعهم وأرسل برفقتهم جماعـة من تجار رعيته الى خـوارزم حملها أيضـا هدايا الى خوارزم شـاه • واستقبل الأخير وفادة جنكيز فى (٦١٥هـ) بعد أن عاد من العـراق فأدوا اليه هداياه ورسالته • ومع أن خوارزم شاه غضب أول الأمر لأن جنكيز

خاطبه على أنه ابنه الا أنه أخيرا بناء على نصح حسن لأحد رسل الخان قبل معاهدته وقرر الطرفان أن يتصل حبل المودة بينهما من ذاك الحين فصاعدا وأن يصادقا من صادقهما ويعاديا من عاداهما • أما الذى عقد هذه المعاهدة ممثلا لجنكيز فقد كان أحد مسلمى ما وراء النهر واسمه محمود الذى لقب بعد بيلواج أى السفير(١) •

وبعد عقد هذه المعاهدة تحرك جمع كبير من تجار المغول (ما بين أربعمائة وخمسين وخمسمائة) ومعهم قدر عظيم من البضاعة القيمة من بلاد المغول الى ما وراء النهر • وطمع أمير مدينة أترار (على شاطىء سيحون) وهى أول مدينة من بلاد خوارزم شاه وهو غاير خان فى أموال هؤلاء التجار وكان من ذوى قرابة تركان خاتون أم السلطان ، وأفهم السلطان أنهم جواسيس ، ثم قتلهم عنبكرة أبيهم غير واحد هرب الى جنكيز واستولى على ما معهم •

ولما بلغت أخبار هذه الواقعة الهائلة جنكيز أرسل الى السلطان محمد سفيرا طلب اليه أن يسلم اليه غاير خان الذى ارتكب هذا الفعل القبيح • وكان أكثرية جيش محمد من الترك من قبيلة غاير خان ومن التابعين له وكانت أم السلطان تحمى هذا الأخير فلم يستطع محمد تسليمه لذاك السبب ولنفوذ أمه الذى تعدى الحدود بل أقدم على قتل رسول جنكيز أيضا ، فزاد من حنق خان المغول بسفاهته هذه عن ذى قبل ، واجتذب بيده الآثمة سيل هجوم المغول على بلاد الاسلام العامرة •

انهيار دولة النايمان والهجوم على البلاد الخوارزمشاهية :

وقبل أن ينتقم جنكيز لمقتل رسله ورعيته التجار من خوارزم شاه اتجه أولا الى ازالة كوجلوك خان الذى كان يصب على الرعية فى كاشغر والختن الايذاء ويبعث الفتن والفساد فأرسل قائده المعروف جبه نويان

(١) كلمة أويغورية أصلها يولاوج (غامبرى ج ٣ ص ١٥٨) •

بجيش عظيم الى كاشغر ، وتمكن جبه بعون مسلميهـا الذين فاض بهم ظلم ملك النايمان من أن يهزم الأخير الذى قتل أثناء فراره فى برخشـان وانهارت دولته فى (٦١٥هـ) وقبلت جميـع التركسـتان الشرقية طاعـة جنكيز ، ولم يكن جنكيز وصحبـه يدينون بأى دين فزال سبب الحـاق الأذى بالرعية من أجل الدين ولذلك استقبل المسلمون سيطرتهم بشـديد الفـرح •

أما خوارزم شاه فقد شق عليه قتل جنكيز كوجلوك وادالة دولتـه لأنه كان فى رعب قبل سنوات من اللقاء مع كوجلوك وكان يأمر النـاس بتخريب البلاد التى كانت تقع على الحدود معه حتى يستشكل الطـريق على حملاته • وقد أدرك بعد هزيمته بهذا اليسر على يد أحد قواد جيش جنكيز أن قدرة المغول الحربية أعظم مما كان يظنه وأنه وقـع فى عداء ند قوى المراس ربما لم يقابل نظيره حتى وقته ذاك •

وفى خريف عام (٦١٦هـ) بعد أن أخـذ جنكيز كامل أهبته تحـرك بجيش قدره المؤرخـون المسلمون ما بين ستمـائة ألف وسبعمائـة ألف والباحثون من مائة وخمسين ألفا ومائتى ألف من وادى سيحون الأسفل وتحت بحيرة الآرال (بحيرة خوارزم) للهجـوم على ممالك السلطـان الخوارزمى • وكانت عـدة جيش خوارزم شـاه تفوق عدته مـع جنكيز بمراتب لكنه لم يكن متآلفا متحدا تجمع أفراده وقـد كانوا من عنـاصر مختلفة وأقوام متباينة الوشائج القوية ولم يجتمع تحت ادارة ونظـام صحيحين فضلا عن الخلاف الكبير الذى ثار بين قواد الجيش والأمـراء الخوارزمشاهيين بشأن خطـة الدفاع فقد قالت جماعة بوجـوب مقابلة جنكيز على شاطىء سيحون ، واعتقدت جماعة أخـرى أن لقاءه أيسر فى ما وراء النهر وذهبت جماعة ثالثة الى توجب اخلاء بلاد ما وراء النهـر وإيران وصد المغول فى الهند وفوق هذا النقص العظيم فقد انحاز جمـع كبير من حاشية السلطان وامرائه سرا الى جنكيز وكانوا يطلعونه خفيـة

على خطط خوارزم شاه وذلك بسبب سوء سياسته وأعمال سفكه اذا لم يدع دولة ولا ملكا صاحب قوة وصار أكثر الكبار القواد الشجعان بين قتيل على يديه أو ملقى فى السجن • وكان جنكيز نفسه على اطلاع دائم بما يجرى فى بلاط خوارزم شاه وبلاده عن طريق التجار والجواسيس وكان يخطو بخطى بصيرة ومحسوبة الى حد عظيم فى طريق فتح البلاد الخوارزمشاهية •

وفى شهر رجب (٦١٦هـ) وقف جيش جنكيز مقابل قلعة أترار أول ما واجهه من بلاد خوارزم شاه من ناحية الشرق متأهبا • وفى هذه النقطة قسم جنكيز جيشه أربعة أقسام على النحو التالى :

١ — أمر سبعة تومانات أو سبعين ألفا منهم بقيادة جغتاى وأوكداى أو أكتاى ولديه بفتح أترار(١) •

٢ — ترك قسما آخر الى ابن له ثالث هو جوجى أو توشى(٢) وعهد اليه بفتح بلاد شاطىء سيحون •

٣ — وأمر خمسة آلاف أيضا بالاستيلاء على مدينتى خجند وبناكت من بلاد ما وراء النهر •

٤ — أما القسم الأعظم من جيش المغولى بقيادة جنكيز يرافقه ابنه الرابع تولوى أو تولى فقد أخذ طريقه الى بخارى ليفصم ارتباط الجيش الخوارزمى فيما وراء النهر بخوارزم •

فتح بخارى فى (٦١٦هـ) :

عبر جنكيز نهر سيحون وكان أول ما واجهه مدينة زرنوق من القلاع الشمالية لبخارى ولم ينتو أهلها من أول الأمر المقاومة فاستسلموا وأمنهم

---

(١) التومان عدد مغولى يساوى عشرة آلاف .
(٢) ويدعى أيضا سوداى أو سونتاى أو سوبوتاى (غامبرى ج ٢ ص ١٦٤) •

جنكيز واصطحبهم معهم (حشرا) ، والحشر فى ذلك الحين هم الجـنود غير المنتظمين الذين كان يستفاد بهم فى الأعمال غير الحربية مثل تسـوية الخنادق بالأرض بملئها بالتراب وجمع الأحجار والأخشاب لسد الأنهـار وتخريب القلاع وما اليها •

وبعد أن استولى جنكيز على قلعة زرنوق ثم ألحق بها قلعة نور على مسافة اثنى عشر فرسخا شمال بخارى اقترب جيشه فى غرة ذى الحجـة (٦١٦هـ) من بوابة بخارى فحاصروها حيث كان يعسكر بهـا من الجيش الخوارزمى العام عسكر عظيم •

وغلب الخوازميون بعد أيام ثلاثة من الحصار والقتال ولم ير أهـل المدينة مناصا من التسليم فتساقط المغول فى الرابع من ذى الحجـة على هذه المدينة العامرة التى كانت أفضـل وأهم مدن ما وراء النهـر • وفى دخول المغول بخارى أمر جنكيز باحراقها لما أبداه حراس قلعتها من شديد المقاومة فاحترقت المدينة بأجمعهـا لأن منازلها كانت مشـيدة بالخشب الا بعض القصور والمسجد الجامع التى بنيت بالحجر • ورحل المغـول أهل المدينة الى خارجها وأخذوا شبابهـا حشرا وتفرق من طلب الأمـان لحياتهم فى كل حدب وصوب • وسئل أحد الفارين من بخارى عن حـالها بعد استيلاء المغول فأجاب (أتوا وخربوا وأحـرقوا وقتلـوا ونهبـوا وذهبـوا) •

واستدعى جنكيز بعد دخوله بخارى عددا من كبارها وتجارها وقال لهم ان غرضى من جمعكم هو أننى أريد البضائع الفضية والذهبيـة التى باعها خوارزم شاه لكم عن طريق غاير خان بعد قتل تجار المغول لأن هذه الأشياء ملكى وملك شعبى ، فقدم له التجار ما بحوزتهم منهـا ، وأثبت هذا تدخل خوارزم شاه المباشر فى قتل تجار المغـول ومسئوليته فى اثارة غضب جنكيز •

فتح سمرقند فى (٦١٧هـ) :

وبعد أن خرب جنكيز بخارى تحرك صوب سمرقند وقاد من أهـل بخارى جمعا عظيما باذلال كبير حتى يتصور أهل سمرقند أنهم من ضمن جيشه فيفزعون لضخامته ، ففعل هذا التخطيط فعـل السحر وأزل مـن أقدام شعب سمرقند مع أن عددا ضخمـا من الجيش الخـوارزمى كان مرابطا بالمدينة (من خمسين ألفا الى عشرة ومائة ألف باختلاف الرواية) لاسيما وأن الجيش الخوارزمى كان يتفادى مواجهة المغول • الا أن أهل سمرقند لم يسكتوا عن الدفاع عن مدينتهم فأبدوا مقاومة شجاعة لثلاثة أيام وخرجوا فى اليوم الثالث عن المدينة وهاجموا المغول • وتقهقر المغول أولا أمامهم وما أن اقترب المسلمون الى كمائن المغول حتى تقاطروا عليهم من كل جانب فأهلكوا أكثرهم • أما الجنود الأتراك الخوارزمشاهيون فقد استأمنوا المغول • ودخل جنكيز فى العاشر من المحـرم (٦١٧هـ) المدينة وبعد أن خرب قصر الحاكم بها أمر بالقتل والنهب ، وعامل سمرقند بمـا عامل به بخارى من قبل •

فتح بقية ما وراء النهر :

وفى الوقت الذى كان جنكيز فيه منصرفا الى فتح بخارى وسمرقند كانت الجماعة التى أمرها من جيشه بفتح أترار تهاجم هذه القلعة المحكمة بانتظام ، وقد أبدت أترار مقاومة أشد من البلاد الأخرى فيما وراء النهر لأن حصارها استغرق نحو خمسة شـهور ، واستبسل غاير خان ، الذى يجوز أنه المسبب الحقيقى لهجـوم جنكيز على البلاد الخوارزميـة ولذا لا يمكن بأى حال قط أن يستسلم للمغول ، فى الدفاع بشجاعة فائقة أمام المغول ومعه الجند الذين أمده خوارزم شاه بهم والمدد الذى بعث به اليه بعد ذلك • وفى النهاية خانه أحد قواد خوارزم شاه الذى كان قد أتى لمدده واسمه (قراجه خاص) ولحـق بجغتاى وأوكتـاى الا أن ولدى جنكيز أهلكاه لخيانته ولى نعمته • ومع هذا استمر غاير خان فى المقاومة ما بقى

معه جند وصحب ، وأخيرا لم يبق معه أكثر من جنديين فلاذ بسقف القلعة وأخذ يدفع عن نفسه بقطع الحجارة التى كانت بعض الجـوارى يقتلعنها من حائط القلعة ويعطينها له ، ووقع بهذا الحال فى قبضة المغول فقتل ولدا جنكيز هذا الرجل الشجاع ووضعوا السيف فى أهل مدينة أترار •

أما جنود جوجى الذين أمروا بفتح البلاد الواقعة على نهر سيحون فقد استولوا بعد سبعة أيام من الحصار على سقناق أول الأمـر وكانت تقع على بعد أربعة وعشرين فرسخا من أترار ثم قاموا بتخريبهـا • وفى صفر (٦١٧هـ) حاصروا جند ولم يقاوموهم أهلها كثيرا فدخلهـا جوجى منتصرا وانصرف الى التأهب لفتح الجرجانية عاصمة خوارزم شاه ليكمل مهمتـه •

ويمم الجيش الأول لجنكيز خان بقيـادة (ألاغ نويان) بعـد أن استراح من تعبه فى فتح بخارى وسمرقند وأترار شطر بلاد ما وراء النهر الأخرى مثل بناكت وخجند وفرغانة لفتحها • ولم يظهر مقاومة شـديدة الا من خجند من بين هذه المدن فقد قاتل حاكمها (تيمور ملك) وكان مـن أكثر أمراء خوارزم شاه شجاعة بألف مقاتل كان كل ما لديه المغول ببطولة على شاطىء سيحون وأهلك فيهم كثيرا • وفى النهاية لما أدرك أنه لن يظفر عليهم تقهقر عن طريق النهر الى بناكت ومنها الى خـوارزم ثم لحق فى خراسان بجيش خوارزم شاه •

عبور المغول جيحون وتعقب خوارزم شاه :

بعد فتح سمرقند أعاد جنكيز تقسيم قواته الى أقسام عدة أمر كل قسم منها بالاستيلاء على الولايات التى لم تفتح بعد من بلاد خوارزمشاه على النحو التـالى :

١ ـ أرسـل ثلاثة تومانات أو ثلاثين ألفا بقيادة (جبه) أو (يمه) و(سبتاى بهادر) و(تغاجار) لتعقب خوارزم شاه فى خراسان وأمرهم

بعـدم التوقف فى الطـريق لأى سـبب كان وألا يكفوا حتى يمسـكوا بخوارزم شاه وألا يهاجموا البلاد التى بطريقهم وبفرض أنه توقف عـن المقاومة لرؤيته عدم قدرته على مقاومتهم لابد أن يطلعوه على الأمر •

٢ ـ بعث ابنيه الأكبرين جغتـاى وأوكتـاى بجيش كبـير الى الجرجانية قصبة الخوارزميين وولاية خوارزم وأمر ابنه الآخـر جوجى أيضا أن يخف الى عون أخويه من جند •

٣ ـ أمر عددا غير كبير من جنوده يقودهم ألاغ نويان ويسـاور أن يسيطر على الوادى الأعلى لجيحون أى الوخشان والطـالقان • أما جنكيز فقد أمضى أيام الصيف فى حوالى (نخشب) حتى يستريح جنوده بعضا من الوقت ويتهيأ خيل الجيش للقتال القادم •

وكان السلطان محمد خوارزم شاه الذى لم يكف عن الفـرار أمام جيش جنكيز فى هذا الوقت ببلخ ولما سـمع بخبر ضياع ما وراء النهـر واقتراب الحملة المغولية من خـوارزم قصد العـراق يلبى دعـوة ابنه ركن الدين لعله يدبر وسيلة أو أمرا ليمنع تقدم المغول • وبوصول جيش جبـه وسبتاى وتغاجار الى شـاطىء جيحون سـلك جمع من الجنـود القراخطائيين وأمراء خوارزم شاه سبيل الخيانة وانحازوا الى المغول ، وأسرع المغول بعد عبور هذا النهر فى ربيع الأول (٦١٧هـ) والسيطرة على بلخ الى هراة لكنهم لم يتعرضوا اليها بشىء لأن حاكمها كان قد قبل طاعة جنكيز فتقدموا نحو طوس •

ولم يكن بالسلطان محمد لشدة خوفه أى هدوء للاستقرار فى أى بلد فأخذ يتنقل بين نيشابور وبسطام والرى ولما سمع أن ابنه ركن الدين يرابط فى قلعة (قرزين) من قلاع مدينة الكرج بثلاثين ألف جندى توجه اليه •

وكان بامكان خوارزم شاه فى هذه المدينة أن يقضى بسهولة بما معه من جنـد وبمدد ابنه والأمـراء الآخرين على جنـد سبتاى وجبه القلة المنهكة، الا أن الخوف من المغول للاسف أزال عنه تماما عنان السيطرة على

نفسه حتى أن سوء تدبيره الذى بلى به لسوء حظه لم يسمح له أن يفيد من هذه الفرصة السانحة بل انه أرسل وهو فى حالة مــن الهروب السريع بحريمه الى ابنه الثانى غيــاث الدين فى قلعة قارون مــن قلاع الألبرز الداخلية ،وفشل أمراء العــراق فى حثهم المتكرر له على مقاومة المغــول وقتالهم فى جبال لورستان ، خاصـــة وأن الأتابك نصرة الدين أحمد أتابك لورستان المشهور طلب الى الســلطان أن يأتى أحد المعــابر الضيقة بين لورستان وفارس لكى يجمع له من قبائل فارس واللور نحو عشرة آلاف جندى فيسدوا الطريق على المغول ويقضوا عليهم الا أن السلطان التعيس رفض هذا العرض وحمله على أنه تحايل منه لضرب أتابك فارس عــدوه فعاد نصرة الدين أحمد الى بلاده من شدة يأســه وكان أن وصل وقتذاك خبر بلوغ جبه وستباى مدينة الرى •

نهاية السلطان محمد خوارزم شاه :

انقسم فى طوس الجيش المغولى قســمين سلك سبتاى عن طــريق الدامغان وسمنان طريقه الى الرى وأخذ جبه طريقه الى مازندران فوصل عن طريق دماوند الى الرى بعد نهبه مدن طبرستان خاصة آمل •

وفى الرى ترامت الى المغول أنباء تحرك خوارزم شاه مــن همدان الى مازندران فاتجهوا بعد القتل والسلب فى الرى الى همــدان على أخف من الريح وواجهوا على مقربة مــن دولت آباد بملاير جنود السلطــان فأهلكوا كثرة منهم حتى جواد خوارزم شاه نفســه أصيب بسهم الا أن المغول لم ينشطوا كثيرا فى تعقبه لعدم معرفتهم له فأسرع خوارزم شاه ووصل الى قلعة قارون وكان يقصد الى الهروب الى بغداد ، الا أن المغول حلوا كموت الفجاءة ، فتوجه السلطان وقد سيطر عليه الفزع العظيم الى قلعة (سرجهان) على خمسة فراسخ من السلطانية الحالية فى ســفوح جبــال طارم ، وترك المغــول تعقبه لجهلهم الاتجــاه الذى سلك اليــه السلطــان •

وأقام خوارزم شاه سبعا فى سرجهان وتركها الى جيلان ومنها الى مازندران فاحتفى به أمراؤها ما عدا الاصبهبد (كبود جامه) — أو صاحب الرداء الأزرق — الذى كان يتأمر على جنـوب مرداب بأستراباذ ، فكان يحفظ عليه احنة قتله عمه وابن عمه فتحالف مـع المغول ضده فلمـا علم خوارزم شاه أن المغول عرفوا مقامه ركب سفينة ليلوذ بجزيرة آبسكون احدى الجزر الواقعة على لسان نهر جرجان داخل بحر الخزر(١) ، فحل المغول وأمطروا سفينة السلطان بوابل من سهامهم لكنهم فشلوا فى تعقبه لعدم السفن معهم •

وسمع السلطان فى وصوله هذه الجزيرة وكان مصـابا بعلة (ذات الجنب)(٢) أن المغـول تمكنوا من قلعـة قارون وقتلوا أبناءه الصغـار واستبوا حريمه فأعجزه شدة المرض وسماعه هذه الفاجعة سريعـا فلفظ آخر أنفاسه فى جزيرة آبسكون فى شوال من (٦١٧هـ) هذا السلطان بمثل تلك العظمة فى الشأن والوسعة فى الدولة حال أنه لم يكن عنده ما يكفن به فكفن بقميص أحد رفقته • وحينما تسلطن جـلال الدين ابنه على ايران أمر أن ينقل رفاته من جزيرة آبسكون الى قلعة (اردهن) • وبعد أن قتل أمر أوكتاى ولد جنكيز أن يستخرج رفات السلطان من القلعة أيضـا وأن يحـرق •

واقعة خوارزم وفتحها فى (٦١٨هـ) :

ومع أن قصد جنكيز الرئيسى تعقبه للسلطان الخوارزمى واستئصال شأفته وانهاء أمره الا أن الاستيلاء على عاصمة الخوارزمشاهيين والقبض على تركان خاتون أم السلطان وسائر الأمراء كانت من الأمور التى عدها

(١) يرى فامبرى ان الجزيرة التى لجأ اليها السلطان محمد وبها مات ليست آبسكون وانما أغوردجالى أو جيركن الحالية (تـاريخ بخـارى ح ٣ ص ١٧٧) •

(٢) ورم يصيب الحجاب الصدرى من ناحية الجنب ويصاحبه سعال شـديد وضيق فى النفس والحمى وآلام شـديدة بالجـنب •

خان المغول هامة من كل ناحية .

كانت خــوارزم وهى مملكة الخوارزميين الأصليــة تحت حــكم أم السلطان تركان خاتون وأتراك القنقلى ، وكانت هذه الجماعة بمكنتها أن تنزل بجيش جنكيز المهاجم فى مثل هــذا الموقــع الذى كان قلب الممالك الخوارزمية الويلات لكن شيخوخة تركان خاتون وما نزل بها مــن مصائب من ناحية والانشقاق بين الأمراء وقواد الجيش من ناحية أخرى حال دون هــذا الأمر .

وحينما كان جنكيز بما وراء النهر أرسل (دانشمند حاجب) أحــد مستشاريه بسفارة الى تركان خاتون وسلمها خطابه الذى يقول فيــه انه يقاتل خوارزم شاه وحده ولا يفكر أبدا فى التعرض الى البلاد التى تحت ادارتها ويريد منها أن تبعث بأحد من تثق بهم اليه حتى يســلم الى الملكة حكم خوارزم وخراسان ومضافاتهما .

ولم تخالج تركان خاتون أدنى خالجة اطمئنان نحــو مقترح جنكيز وما ان سمعت أن خوارزم شاه قد عبر جيحون وأخلى ما وراء النهر حتى جمعت حريم السلطان وأطفاله الصغار ونفائس خزائنه وغادرت خوارزم وقبل أن تتركها أغرقت فى ماء جيحون جماعة من وجوه الكبار والأمــراء والنجباء كان خوارزم شاه قد قبض عليهم أيام مقامه بخــوارزم وألقى بهم فى حبسها اعتقادا منها بأن فتنة المغول سرعان ما سوف تزول وتستقر سلطنة خوارزم شاه فلا يثورون وقتذاك عليه .

وبعد أن غادرت تركان خاتون خوارزم بقى جمع من الأمراء وقواد الجيش فى الجرجانية عاصمة السلطان محمد وانتهت أزمة أمــور المملكة الى شخص لم يكن لديه أدنى خبرة أو كفاءة لها فزادت الأمور اختــلالا واتسع الشقاق فى الناس وصارت الأموال الديوانية نهب المختلسين وظل هذا الحال الى أن قدم خوارزم عاملان مــن نواب ديوان خــوارزم شاه فأداراه باسم السلطان ، وبعــد قليل من وصــولهما وصل أيضــا أبناء

السلطان محمد وهم جلال الدين وأوزلاغ شاه وآق شهر بعد دفن والدهم بجزيرة آبسكون عن طريق بحر الخزر الى خوارزم فأعلموا الرعية بموت السلطان •

وكان خوارزم شاه في كل الفترة التى ظل أسير رأى أمه تركان خاتون قد ولى ابنه قطب الدين أوزلاغ شاه عهده بناء على ميلها ، لكنه بعد أن سمع بأسر أمه وهو بجزيرة آبسكون وأحس بدنو أجله أيضا طلب اليه جلال الدين وأخويه وكانوا حاضريه فولى جلال الدين عهده وأمر أخويه بطاعته والانقياد له •

وبعد دخول أولاد خوارزم شاه خوارزم واذاعة ولاية جلال الدين العهد وخلع أوزلاغ شاه رفض الأمراء الأتراك هذا القرار وأعلن أكثرهم قوة وهو قتلغ خان وكان طوع أمره سبعة آلاف جندى خلاف جلال الدين وصمم ومن شايعه على حبسه أو قتله •

واضطر جلال الدين والحال هذه الى الفرار الى خراسان وبصحبته ثلاثمائة فارس وتيمور ملك أمير خجند السابق الذى كان قد عاد الى خوارزم قرب هذا الوقت وأنزل بجند المغول هزيمة فى خوالى هذه المنطقة ، وبعد ثلاثة أيام من فرار جلال الدين أخلى أوزلاغ شاه وآمد شاه جرجانية خوفا من دنو المغول اليها وعجلا الى خراسان •

ولما رحل أولاد خوارزم شاه اجتمع أمراء مملكة خوارزم شاه وجيشه وكانوا يحكمون على تسعين ألفا من الأتراك القنلقيين على تنصيب أحد أقارب تركان خاتون وهو خمار تكين على السلطنة وقبل الجميع طاعة حكمه •

وحشد جنكيز معظم جيشه على أكثر من جانب لخوارزم لأنه كان مطلعا على أهمية موقعها وكثرة سكانها وعمارها وقوة أتراك القنقلى وشجاعة أهلها • فقد أمر جيش جغتاى وأوكتاى بالتحرك الى الجرجانية من ناحية الجنوب الشرقى أى من ناحية بخارى ووجه جوجى من ناحية

أخرى وكان بحوالى جند أن يرسل جنده لمد جغتاى وأوكتاى وبعث هـو نفسه بخاصة جيشـه الى الجرجانية عقبهم فبلغ عدد الجيش المغـولى خلاف جنود جوجى مائة ألف •

وحينما اقتربت طلائع جيش جنكيز الى أبواب مدينة الجرجانيـة ظن أهلها أن ما يرونه من المغول هم كل ما مع خانهم فاستجمعوا شجاعتهم وهاجموهم فتقهقر المغول وتعقبهم أهل خوارزم وما أن سحبوهـم الى فرسخ عن المدينة حتى أحاط بهم كل جيش المغـول العظيم وأعملوا فيهم القتل فلم تغرب الشمس حتى قتل جمـع كثير منهم وعـادت بقيتهم الى المدينة منهزمة •

وفى اليوم التالى بلغ أوكتاى وجغتاى المدينة فحصراها ودعيا أهلها أولا الى الطاعة فلم يجبهم أحد فنصبوا منجنيقاتهم وصبوا على النـاس أحجارهم وأخشابهم ، ولم يكن حـول خوارزم حجارة كثـيرة فانصرف المغول الى تقطيع أشجار التوت وكانت كثـيرة وافرة لأن الخـوارزميين كانوا يزرعونها لديدان الحرير ثم تركوها فى الماء حتى تصلبت ثم أشعلوها نارا وطفقوا يقذفون المدينة بها بالمنجنيقات •

وما أن وصل جنود جوجى حتى أحـاطوا بالمدينة من كل جـانب ، وخاطب جوجى أهلها بأنهم لو سلموا يأمنوا ، ولكن أهالى الجرجانية لم يسمعوا له مع أن السلطان محمدا كتب اليهم من جـزيرة آبسكون قبـل وفاته يدعوهم الى مسالمة المغول والكف عن قتالهم فجدوا فى سعيهم الى الثبات والدفاع • وأخيرا أمر جنكيز الأسرى من الحشر المرافقين لجيشه أن يهيلوا التراب فى خندق المدينة المملوء بالماء فى مدة عشرة أيام ويحطموا قلاعها وأسوارها •

وقد أفزعت أعمال المغول خمارتكين افزاعا شديدا فكف عن المقاومة وخرج من المدينة واستسلم لجند المغول ، ومع أن خيانته هذه قد خلفت فى قلوب أهل الجرجانية ضعفا ووهنا الا انهم مع هـذا لم يرضوا بعـار

الاستسلام فأجبر جند جنكيز على أن يخرجوا عن أيدى الرعية البـاسلة عاصمة خوارزم شاه بعنت شديد محلة محلة وشارعا شارعا وانقسم جند المغول ما بين محارب لهم بالسهام ومحـرق لدورهم بالزجاجـات المليئة بالنفط •

وقد دام القتال على هذا النحو بضعة أيام ولم تستسلم المدينـة ، ففكر المغول فى حيلة أخرى ولجأوا الى تحطيم سد جيحون واطلاق مائه على مدينة الجرجانية ، وقبل أن يتم عملهم انقض حـراس جسر المدينة وهم الذين شيدوه على ثلاثة آلاف من المغول فأفنوهم عـن بكرة أبيهم ، فنفخ هذا النصر فى أهالى الجرجانية قوة جديدة وزادتهم جلادة فى القتال وصبرا على تحمل المصيبة •

وأخيرا تمكن المغول من تسـوية المدينة بالأرض الا ثلاث محـلات اعتصم بها من بقى من أهل الجرجانية العاجزين مـن السيف وأرسـلوا محتسب المدينة الى جوجى يطلبون الأمان فرفض لأن طلبهم جاء متأخرا عن موعده المناسب وأمر باخراج البقية من الرعية خارج المدينة ، ففصلوا منهم أرباب الحرف والصناعة وكانوا يبلغون مائة ألف وأرسـلوهم الى البلاد الشرقية التى تحت أمرهم ، واستبقى قادة المغول النساء والأطفال وأعملوا فى الرجال السيف بأن قسموهم على الجنود وذكر أنه أصاب كل جندى مغولى فى هذه القسمة أربعة وعشرون رجلا •

وبعد أن أنهى جنكيز أمر الأهالى وسع المدينة نهبا وسلبا فهدم ما لم يصبه التخريب وهكذا فنت وزالت تلك المدينة التى لم يكن يناظرهـا فى تلك الأيام مدينة من حيث عمارها وكثرة سكانها وأهميتها وكانت تحكم فى عهد السلطان محمد على العالم الممتد من صحـراء جوبى والتبت شرقـا حتى العراق العربى وخليج فارس •

وقد بلغ حصار جرجانية نحو أربعة أشهر من ذى القعـدة (٦١٧هـ) الى صفر (٦١٨هـ) ولم يبق حيا من أهلها أحد وقد بلغ القتلى عددا جعـل

ضخامته المؤرخين يمتنعون عـن ذكره ولا يصدقونه • وكان مـن بين من قتل فى هذه الواقعة الشيخ نجم الدين الكبرى العالم والعـارف المعروف وسوف نذكر له ترجمة فى الفصول التالية •

وكانت احدى أسباب طول حصار الجرجانية فضلا عن ثبات أهلهـا الشجعان أن جوجى بن جنكيز لم يكن يميل الى الحاق التخريـب الكـثير بهـا لأنه تقرر أن تكون ضمن مملكته القادمة لهذا لـم يتعرض للمدينـة أثناء مدة الحصار ووقع الخلاف بشأن ذلك بينه وبين أخيه جغتاى ولـما علم جنكيز جعل جيوش جوجى وجغتاى وأوكتاى تحت أمـر الأخـير • وبعد فتح خوارزم تركها الى جوجى وطلب اليه جغتاى وأوكتاى فبلغـاه وهو يحاصر الطالقـان •

نهـاية تركان خـاتون :ـ

بعد أن قتلت تركان خاتون أم خوارزم شاه الأمراء والملوك والاعيان الذين تم حبسهم من قبل ابنها فى خوارزم رحلت عنها بطريق الصحـراء ومعها حريم السلطان وأولاده الصغار ونظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح الوزير متجهة الى خراسان ومنها الى مازندران وتحصنت بقلعـة ايلال (لال) من قـلاع ولايـة لاريجـان •

وضرب المغول حصارهم لهذه القلعة فى أوائل عام (٦١٧هـ) واستمروا يحاصرونها أربعة أشهر وفى النهاية اضطرت تركان خاتون ونظام الملـك الوزير لفقدان الماء الى التسليم فنزلوا منهـا واسـتسلم الجميـع الى الجيش المغولى • وأرسل المغول بتركـان خاتون ونظـام الملك الوزيـر وحريم خوارزم شاه وأولاده الى جنكيز عند الطـالقان فـأورد الوزير وأبناء السلطان الصغار فى (٦١٨هـ) مورد القتل واحتفظ ببنات خـوارزم شاه ونسائه وأخواته مع تركان خاتون وأمرهن أن يندبن موت السـلطان بصوت عال وقت رحيلهن ، ولما هـزم بعد ذلك السـلطان جـلال الدين المنكبرتى فى حوالى نهر السند استبى حريمه أيضا فأرسـلهن مع حريم

أبيه الى قراقروم وظلت تركان خاتون بهذه المدينة الى أن لقيت حتفهـا في (٦٣٠هـ) • وأمر المغول بنات خوارزم شاه بخدمة الأمـراء المسـلمين الذين هم في طوعهم بخدمتهم والتزوج بهم الا (خان سلطان) زوج نصرة الدين عثمان خان سلطان السلاطين القراخـانى التى اصـطفاها جوجى لنفســـه •

فتح خراسان وظهور السلطان جلال الدين المنكبرنى :

مكث جنكيز أياما عدة بعد فتحـه سـمرقند فيما حـول جيحـون وسمرقند ، وعمل جنده في خوارزم آنذاك بالاسـتيلاء عليها وتوجـهت جماعة أخرى الى السيطرة على ما لم يسيطر عليه من بلاد ولاية فرغانة •

وأثناء اقامة جنكيز بسمرقند لاذ أولاد السلطان محمد وهم جـلال الدين وأوزلاغ شاه وآق شاه بالفرار من خوارزم ، وبلغ جـلال الدين الذى كان أسرع من أخويه فى تركه خوارزم مدينة نسـا ومعه ثلاثمـائة فارس وتيمور ملك والى خجند السابق ، ولما سمع جنكيز بفـرار أولاد السلطان أرسل من خلفهم جندا يتعقبونهم كثيفا فمكثوا يرقبون الطـرق من مرو الى شهرستانه •

ولاقى جلال الدين الذى جاء عن طريق صحراء خوارزم سـبعمائة جندى مغولى فقضى عليهم فى هجـوم واحـد واسـتولى على خيلهـم وسلاحهم وقـتل من استطاع الفرار منهم حتى من لجـأ من هـؤلاء المغول الى الاعتصام خوفا بترع نسا أخرجهم منهـا الـزراع وقطعـوا أعناقهـم على المـلأ العــام •

وبعد أن اغتنم جلال الدين مؤن المغول وأسلحتهم وخيلهم اسـتعد بفرسانه لبلوغ نيشابور فوصل اليها معجلا الا أن أخويه اللذين وصـلا ولاية أستو (قوشان) وقعا فى قبضة المغول فقتلوهما واسـتولوا عـلى ما معهما من جواهر ونفائس قيمة وباعوها بثمن بخس دراهم معـدودة الى سكان هذه المنطقـة •

ولما لم يتمكن جلال الدين مع أنـــه انتصر ذلك النصر أن يجمـــع فى خراسان جندا كافيا تركها بعد مدة قليلة من اقامته بنيشابور الى مدينـــة زوزن (بولاية قهستان على بعد ثلاثة أيام سير من قاين) فـــلم يوافقـــه أهلها أو يسمحوا له بدخولها فاضطر الى العروج الى مدينة بست ومنهـــا الى هـــراة •

وتقدم جنكيز من سمرقند الى نخشب ومنها الى قلعة ترمذ فدعـــا أهلها الى الطاعة فرفضوها وقاتلوا جنده أحد عشر يوما وأهلكوا كـــثرة من جيشه الى استبد بهم العجز فغـــلبوا فاســـتولى جنكيز على ترمـــذ وأفـــنى جميـــع أهلهـــا •

وعبر جنكيز بعد الاستيلاء على نخشب وترمذ جيحون وتقـــدم الى بلخ والطالقان بنفسه وأرسل بعض جيشه الى طخارستان • وسلمت لـــه مدنية بلخ وكانت من أمهات بلاد خراسان لكنه بسبب ظهور جلال الدين واستظهار شعب خراسان به لم يهتم بطاعة أهل بلخ له فأخرجهم جريـــا على عادة المغول عن المدينة وأفناهم عن بكرة أبيهم مرة واحدة •

وحينما كان جبه (يمـــة) سبتاى يتعقبان السلطان محمد خـــوارزم شاه لم يتعرضا كما مر كثيرا الى بلاد خراسان حينما كانا يعـــبراه ومضيا كالسيل من خلال مدنه ، فلم يسمع أهل خراسان من بعد رحيل جنودهما لمدة أخرى شيئا عن المغول فعملوا على تجديد القلاع والحصون وجمـــع المـــؤن والعلائـــف •

وما أن عبر جنكيز جيحون وجسر ترمذ حتى أمر ابنه تولى بالتوجه الى خراسان فاستولى فى مدة ثلاثة شهور على جميع بلاد خراســـان من حدود مرو الروذ حتى بيهق (سبزوار) ومن نسا وابيورد حتى هـــراة مدينة مدينة وألحق ذلك الاقليم العامر عمـــارة ونســـمة بما وراء النهـــر تخريبـــا وقتـــلا •

الاستيلاء على مرو ونيشابور وهراة فى (٦١٨هـ) : —

كانت مرو شاهجان عاصمة السلطان سنجر فى عهد حكمه مركز خراسان وتعد من أكبر بلاد ايران وقد بلغ عمارها وغناها الى حد أن ملاكها ودهاقنتها ، كما يذكر ، كانوا يضارعون أمراء البلاد الأخرى وملوكها ثروة وغنى • وفوق الغنى المادى فقد كانت مجمعا لأهل العلم والفضل مثلها مثل الجرجانية كانوا يفيضون الى مدارسها ومكتباتها العامة والخاصة لذلك الوقت فيفيضون علما •

وبعد أن لاذ السلطان محمد خوارزم شاه بالفرار الى جزيرة آبسكون ترك مجير الملك حاكم مرو السابق الذى كان يحيا فى خدمة السلطان مازندان الى مرو وجمع نحو سبعة آلاف من التركمان والجنود والتف حوله جماعة من الرنود(١) والأوباش فادعى خلافة السلطان •

وكان شيخ الاسلام بمرو قد أرسل الى قواد جيش المغول قبل دخول مجير الملك فيها هدايا قيمة وقبل طاعة المغول وسلك قاضى سرخس الذى كان ذى قرابة الى شيخ الاسلام نفس مسلكه وجرت مكاتبات بين القاضيين بشأن هذا الأمر ، فلما اطلع مجير الملك على هذه المواضعة أثار الناس على قاضى مرو فمزقوه اربا ووقف من أهل سرخس الذين أطاعوا المغول موقف العداء أما من كان يحكم مرو قبل مجير الملك فقد أسرع الى مازندران لدفع منافسه وأتى بجمع غفير من المغول الى المدينة • وبدلا من أن ينصرف مجير الملك للدفاع عن المدينة أمام المغول هاجم مدينة سرخس وقتل قاضيها وأخذ يقاتل التراكمة فيها ، وبين هذا القتال وصل جنود تولى وضربوا حصارهم حول مرو •

وسلمت مرو بعد أيام خمسة من المقاومة • وأبدى تولى احترامه

---

(١) الرند هو الشاطر ذو الحيلة الغدار فى المعاجم الفارسية ومن لا يبالى وينكر عليه ظاهره الملامة وباطنه السلامة (لغة نامه دهخدا (تهران / ١٣٤١ ش) فالرند اذن من أسماء العيارين والفتيان (راجع رسالة المترجم (جماعات الفتوة فى الأناضول ص ٣٢) •

لجير الملك أولا وخلع عليه لكنه بعد قليل ألقى القبض عليه وعلى جميع كبار المدينة الذين تعرف اليهم عن طريقه ، ثم أمر بأن يخرج جميع أهل المدينة بنسائهم وأطفالهم بحيث لم يبق منهم واحد فيها ، وحين ذاك اعتلى كرسيا ذهبيا وأمر بضرب أعناق جميع رؤساء جيش خوارزمشاه المأسورين ، وقسم الأهالى على الجنود ، فقتلوا هؤلاء العاجزين بنسائهم وأطفالهم • ثم أحرق مرو وأشعل النار فى قبر السلطان سنجر وأمر بنبش القبور طمعا فى أن يجد مالا وقال لا يبقى واحد من أهل مرو الذين عصونا) فامتثل المغول لأمره وهلك أكثر من سبعمائة ألف من شعبها البرىء فى هذه الواقعة المهولة •

أما نيشابور فكان أهلها قد قبلوا طاعة المغول حينما مر بهم جيش جبه وسبتاى وحكمها شحنة من جانبهم ، فلما سمعوا بخبر ظهور السلطان جلال الدين المنكبرنى أعلنوا عصيانهم وقتلوا شحنة المغول •

فلما بلغ خبر قتل الشحنة الى تولى أرسل تغاجار نويان صهر جنكيز اليها للاستيلاء عليها فأتى تغاجار نيشابور وحصرها • وفى اليوم الثالث من الحصار قتل تغاجار وهزم المغول ففر جماعة منهم الى طوس وعدد آخر الى سبزوار •

وفى هذا الوقت فرغ تولى من فتح مرو فتحرك صوب نيشابور ، وكان أهلها يقاتلون حتى ذاك الوقت بشجاعة لكنهم قبلوا التسليم لقلة المؤن لكن تولى رفض استسلامهم وفتح المدينة فى العاشر من صفر (٦١٨هـ) وقتل أهلها واستحيا نساءها وأمر بقطع رؤوس القتلى خشية أن يكون وسطهم من لا يزال بقيد الحياة ، ثم سوى المدينة بالأرض •

وقدمت ابنة جنكيز زوج تغاجار الى نيشابور وأمرت أن تخرب المدينة الى حد أن تزرع أرضها ولا يبقوا منها شىء ظاهر حتى كلابها وسنانيرها ففعل المغول ما قالت فقضى جنود تولى سبعة أيام وليال يغمرون المدينة المخربة بالماء وبعد تسويتها زرعوها شعيرا • وقدر عدد القتلى فى نيشابور بنحو ألف ألف وسبعمائة وخمسين ألفا •

ودقت طوس ومشهد الحالية أيضا ضمن ما وقع تحت سنابك خيول المغول وخربت ، ولما ارتاح المغول من هذه الناحية أخـذوا طريقهـم الى هراة وكانت آخر مدينة لم تفتح بعد فى اقليم خراسان أرسل تولى أولا رسالة الى هراة واستدعى قاضيها وحاكمها اليه فقتل شـعبها رسـوله فأحكم هذا غضبه وحملته عليهم وعلى مدينتهم •

وظل حاكم هراة وهو ملك شمس الدين الجوزجانى يدافع باستبسال عن المدينة حتى ثمانية أيام ، اذ أصابه سهم فى اليوم الثـامن مات على اثره فتسبب قتله فى ظهور انشقاق بين مدافعى هراة فخرج جماعة مـن علماء المدينة وأعيانها الى تولى وسلموا اليه المدينة • وأظهر تولى خلاف عادته رأفة بها فلم يقتل من أهلهـا الا اثنى عشر ألفـا مـن أتباع السلطـان جلال الدين ، ثم توجه بعد تنصيب شحنة عليها الى أبيه الذى كان يحاصر فى هذا الوقت الطالقان فى ولاية الجوزجانان •

كانت مدينة الطالقان هـذه التى تسمى بطالقـان بلخ أو طالقـان خراسان تقع على بعد ثلاثة منازل شرق مرو الرود على رأس طريق بلخ ولا يجب أن نخلط بينها وبين طالقان قزوين وطالقـان أصفهان وطالقـان طخا رستان (شرق غندوز قرب فيض آباد الحالية فى أفغانستان الشمالية الشرقية) •

مكث جنكيز عشرة شهور يحاصر قلعة نصرت كوه من قلاع الطالقان وقتل عدد كثير من جيشه فى هذه الحروب ، فقدم ابناؤه أوكتاى وجغتاى وتولى بعد أن فرغوا من فتح ما وراء النهر وخوارزم وخراسـان لعـون أبيهم • وأخيرا بنى جند جنكيز مرتفعا من الحجارة والأخشـاب بعـلو القلعة فرقوه اليها ، ففر الفرسان المدافعون لكن مشاتها أسروا جميعا ثم قتلوا •

وبعد فتح الجوزجانان والطالقان عاجل جنكيز الى غزنة ، وبمـا أن ابن جغتاى الذى كان أثيرا جدا عند جنكيز قتل فى حصار باميان ، أمـر

خان المغول بعد فتحها أن تقتل حيوانات المدينة فضلا عن أهلها وألا يؤسر أحدهم وألا يتركوا حتى الطفل فى بطن أمـــه حتى لا يسكنها مـــن بعدهم أحـــد •

أما الجـــنود الذين كان جنكيز قد وجههم مـــن جيشه لفتـــح بلاد طخارستان فقد استولوا على أغلب مدنهـــا ثم أخذوا فى محاصرة قـــلاع واليان وولخ حينما شرع جلال الدين فى حملاته •

السلطان جلال الدين المنكبرني:

السلطان جلال الدين المنكبرنى هو أكبر أبناء خوارزم شاه ، الا أن السلطان كما مر قبل ولى ابنه الأصغر أوزلاغ شاه عهـــده بسبب تغلب تركان خاتون على ابنها وكرهها لجلال الدين وحرمه واخوته الآخرين هذا الحـــق •

وفى (٦٠٩هـ) حينما أزال خوارزم شاه دولة الغـــوريين واستولى على فيروزكوه وغزنين وباميان وسائر سيستان ترك حكم هذه البـــلاد الى جلال الدين ابنه ، لكنه كان يصطحبه فى حروبه لحبـــه له ولاعتقـــاده فى حكمته وشجاعته وحاجته اليهمـــا وكان ينيب عنـــه حكاما لغزنة وهـــراة وبيشـــاور •

وكانت حكومة هراة فى هذا الحين لأمين ملك ابن خال جلال الدين ، فلما بلغ جيش المغول حوالى هذه المدينة تركها حتى لا يواجههم وتوجـــه الى السند وفتح بلادها وطلب عون حاكم غزنة أثناء عملياته الحربية •

وكان جنكيز اذ ذاك مشغولا بحصار الطالقان وكان الجيش معه غير قلة منهم ، وهزم أمين ملك جماعة من هذا الجيش المغولى المتفرق وكانت لا تزيد عن ألفين أو ثلاثة بالقرب من غزنة وخذ يتعقب المنهزمين •

وتحرك السلطان جلال الدين بعد حروب له مع المغول كما سبق على

حدود نيشابور الى هراة فى أواخر (٦١٧هـ) فدخلهـا فى أوائل العـام التالى وكان دخوله مصادفا لعودة أمين ملك لها • فقدم أمين ملك ومعـه ثلاثون ألفا ليستقبل جلال الدين ولحق به أيضا اثنان من رؤساء الأفاغنة والأتراك القرلق كل بجيش يساوى ما مع أمين ملك ، وبنى جـلال الدين بابنه أمين ملك واستعد لمقارعة المغول •

موقعة بروان وفتح جلال الدين :

وبعد أن أخذ السلطان جلال الدين أهبته بلغ بجيشه الذى تألف من شعوب مختلفة هى الترك والأفاغنة الغوريون والخلج والقرلق الى مدينة بروان (من المدن بين غزنة وباميان وأقـرب الى الأولى والى منبع نهـر لوكر) ، فجعل منها مقر عسكره ولما علم بحصار جماعة من المغول لقلعـة واليان فى طخارستان ترك أحمال الجيش ومؤنته فى بروان وهاجم المغول وقتل منهم نحو ألف وهزم البقية ، وعبر المغلوبون جيحون وخربوا جسره وبلغوا سيدهم وقصوا عليه ما وقع لهم •

وعاد جلال الدين الى براون ، فسـير اليه جنكيز (قوتو قونويان) بجيش ذكر أن عدته بلغت من ثلاثين ألفا الى خمسة وأربعين ألفا •

وجرت الحرب بين جلال الدين وقوتوقو على بعد فرسخ من بروان وجعل جلال الدين أمين ملك على ميمنة جيشه وسيف الدين أغراق رئيس الأفاغنة على ميسرته وقاد هو القلب وأمـر أن يترجل جنـده ويسحبوا خيولهم ويحاربوا المغول راجلين •

واستمرت الحـرب يومين ، لم يحز طـرف منهما فى اليـوم الأول نصرا ، وفى اليوم الثانى أمر قوتوقو أن يعد كل جنـدى مغولى تمثـالا بشكله يركبه جـوادا ، حتى يتوهم أتباع جـلال الدين أن مددا وصلهم فيؤثروا الفرار • وكادت هـذه الحيلة تؤثر أثرها لولا أن جـلال الدين استبسـل فى المقاومة فقوى من عزائم جنـوده فهزموا المغول فأمـــر

جلال الدين أتباعه بركوب الخيل وتعقب العدو وعاد قوتوقو منهزماً الى جنكيز .

وعم الفرح اثر هذا الفتح عامة بلاد المسلمين وحدث لجلال الدين وأتباعه غاية السرور حتى أن جنوده وخدمه كانوا يثقبون آذان الأسرى المغول بمسامير تشفيا وتخفيفا من نار احنهم على أتباع جنكيز ولو قليلا .

ولما بلغ خبر نصر جلال الدين مدن خراسان وجنوب ما وراء النهر قام أهل كثير من هذه المدن بالثورة وقتلوا شحنات المغول ، وصار من أول نتائج هذا النصر أن رفع المغول حصارهم لقلعة ولخ بطخارستان ، وكانوا يحاصرونها من قبل ، ثم لاذوا بالفرار .

وبعد فتح بروان ظهر النزاع بين قواد جيش جلال الدين بسبب تقسيم الغنائم واختلف أتباع السلطان وأمين ملك من الخوارزميين والجيش التركى وجماعات الخلج والترك والغوريين ، من ذلك ثار النزاع بين سيف الدين وأمين ملك بسبب امتلاك جواد من خيل المغول فضرب الأخير الأول بسوطه ولما لم يحاسبه جلال الدين على ذلك ، أخذ سيف الدين وقواد الترك الخلجيين والغوريين طريقهم الى بيشاور . وحاول السلطان استرضاءهم قدر طاقته فلم ينجح ، وفى النهاية عاد جلال الدين الى غزنة . أما الخلجيون والغوريون فأخذ بعضهم يقاتل الآخر فى بشاور وما حولها وقتلت كل مجموعة قائد الأخرى لمدة شهرين أو يزيد ، ثم قضى المغول على بقيتهم بعد ذلك .

وكان جنكيز قد فرغ من حصار الطالقان اذ ذاك فلما بلغه انتصار جلال الدين فىبروان قدم الى غزنين عن طريق الباميان .

حرب السند فى الثامن من شوال (٦١٨هـ) :

لما لم يكن السلطان جلال الدين يقوى على جنود جنكيز دعاه هذا الى اخلاء غزنة وعقد أمره على عبور السند ليجمع جيشا ويعيد

سيف الدين اغراق وسائر رؤساء الجيش الذين سلكوا طريق الخـلاف ، الا أن جنكيز خان حث خطاه وأرسل جماعة لملاقاته فقابلوه فى (كرديز) على بعد منزل شرق غزنة ، فغلبهم جلال الدين وقصد شاطىء السند •

ودخل جنكيز غزنة بعد أن أخلاها جلال الدين بخمسة عشر يومـا وبعد أن عين عليها حاكما من قبله أسرع متعقبا جـلال الدين الى شاطىء السـند •

وكان جلال الدين مشغولا فى اعداد سفن لعبور النهر بها حين وصل المغول وهاجمت طلائعهم فوجا مـن جنوده وهزمـوا قائده ، ومـع أن جلال الدين كان قد أرسل رسلا خاصين لتجهيز سـفن الى هنا وهنـاك الا أن الفرصة بدت ضيقة لكى تتهيأ السفن الكافيـة للعبور الا سفينـة واحدة جعلها السلطان خاصة لعبور أمـه وحريمه ، لكنهـا تحطمت هى الأخرى بسبب تلاطم الأمواج فاستحال عبور النهر •

وبلغ المغول أتباع جـلال الدين على شـاطىء السند قرب معبـر (نيلاب) وأبدى السلطان الجلادة والشجاعة واخترق قلب جيش جنكيز الا أن مجموعة من قواد المغول كبسوا الجنـاح الأيمن لجيش السلطـان وكان يقوده أمين ملك ووقع ابن صغير لجلال الدين لم يزد عمره عن السبع أو الثمانى سنوات أسيرا فى أيديهم فأمر جنكيز بقتله •

وطلب أم السلطان وزوجه وبعض حريمه وهن ينحن منه أن يقتلن حتى لا يقعن فى قبضة جنكيز فأمر السلطان فأغرقت هذه التعيسـات فى السند • وآثر أمين ملك الفرار وتوجه الى بيشاور وأهلكه فيها عدد مـن المغـول •

وظل جلال الدين يقاتل ومعه سبعمائة من جنـوده ولما رأى أنه لم يبق به وبهم قدرة على الثبات أخرى هاجم طليعـة جيش جنكيز وما أن ردهم قليلا حتى ألقى بنفسه فى مياه السند ووصل سالما أرض الهنـد • وكان الجواد الذى تسبب فى نجاته عزيزا أثيرا لديه منذ هذه الحادثة وظل

برفقته حتى سنة فتح تفليس أعفاه من ركوبه عليه •

وقتل جنكيز كل من وجده من بقية جلال الدين وأهلك كل طفل ذكر من أسرته ولم يرحم الطفل الرضيع واستبى بقية حريمه وأرسل بهن الى بلاد المغول وأمر أن يغوص الغواصـــون فى السند فأخـــرجوا له المـــال والنفائس التى ألقى بها بأمر جلال الدين فى النهر ، وأناب ولديه أوكتاى وجغتاى فى هذه المنطقة ليقضيا على السلطـــان اذا عاد ورجع هـــو الى شـــاطىء جيحون •

نتائج ظهور السلطان جلال الدين :

حينما طلع السلطان جلال الدين فى شرق ايران وأخذ يقاتل المغول وبعد أن ذاع خبر انتصاره فى بروان خاصة عصى أهل خراسان وجنوب ما وراء النهر ولاتهم المغول بأمل غلبته وقامـــوا بقتل كثير مـــن حكامهم وشحناتهم من بين ذلك قتل أهل مرو بعون أحد قواد جيش جلال الدين حاكمها وأعلنوا عصيانهم للمغول •

وقدم اذ ذاك قراجه نويان قائد المغول الى سرخس وتعاقب القواد المغول بجيوش جرارة من بعده فجعلوا من البقية الباقية من أهـــل مرو طعمة السيف مرة أخرى وخربوا كل ما بقى من مسجد أو بناء • ولما جال بخاطرهم أنه ما يزال من المروزيين أحياء مختفون أمروا أن يؤذن مؤذن للصلاة فأخرجوا جماعة من بين الأنقاض وقتلوهم ومكثوا واحدا وأربعين يوما يقتلون ما يجدون من الأهالى ويخربون ما بقى عامرا •

وبعد أن عاد المغول أتى مرو أحد الأمراء وجمع حوله جماعة مـــن التركمان فاجتمع بهذه المدينة الخربة نحو عشرة آلاف ، وظل هذا الأمير ومن معه يهاجم عسكر المغول فى مرو الرود وبنجدة الطالقان لمدة ستـــة شهور وينهب خيولهم ومؤنهم • وأتى قراجـــه نويان مرة أخـــرى مـــن الطالقان وفى عقبه قوتوقو نويان ، وأهلك المغول هـــذه المرة ساكنى مرو

مستخدمين وسائل التعذيب كالمثلة والالقاء فى النار وسعوا ألا يصل عاصمة سنجر وما حولها مؤنة الا ما تكفى عددا معدودا ، وذكر المحققون أن مرو أصبحت صحراء الى حد أنه لم يكن بهـا ظل يستظل به حيـوان وحشى وظلت هكذا حتى عام (٨١٢هـ) حـين بدأت ترى العمار بهمة شـاهرخ السلطان بن الأمير تيمور كوركان .

وفى هراة ثار شعبها أيضا فقتلوا الحاكم والشحنة المغوليين وأمروا عليهم أميرا فلما بلغ ذلك جنكيز أرسل لابنه تولى يقول له (لو قتلت جميع أهل هراة لما برزت هذه الفتنة) ثم سير اليها (ايلجيكداى نويان) ومعه ثمانون ألفا وأمر ألا يترك من أهلها واحدا حيا كما أصدر أمرا آخـر أن يتوجه من خراسان جنود لمعاونته . وحمل المغول على هراة بأربعة أسراب أو أرتل وبعد ستة شهور وسبعة عشر يوما استولى أيلجيكداى نويان على المدينة فى جمادى الآخرة (٦١٩هـ) فخربها كلها وبعث بكل من وجده مـن أهلها الى داره الأخرى .

وخمدت ثورة البلاد الجنوبية لما وراء النهر بعد خراب مرو وهراة ونيشابور معجلة خاصة وأن ثورة الأهالى فى هذه المناطق لم تكن لها صفة العموم والشمول الذى كان لأهل خراسان وانما كان بضعة من المنتهزين للفرص والغارة يهاجمون معسكر المغول ويفوزون بقليل من الغنيمة الا فى سمرقند فى أوائل عام (٦١٩هـ) عندما خرب الثوار جسر جيحون فقطعوا طريق ارتباط المدينة بالخارج ، ولكن بمجرد قدوم جغتاى اليها وهزيمته للثوار أعاد بناء الجسر فعاد ارتباط ساحلى النهر .

عودة جنكيز الى بلاد المغول فى (٦١٩هـ) :

بعد أن فر السلطان جـلال الدين الى الهند أرسـل جنكيز أوكتاى الى غزنة ومع أن أهلها قبلوا طاعته الا أنه أخرجهم عنها الى الصحـراء لعل ذلك على اثر ثورة فقتلهم جميعا ما عدا الحرفيين وخرب غزنة وترك

قوتوقو نويان بها وعاد عن طريق هراة • أما جنكيز فقد مكث ثلاثة شهور فى بيشاور والبنجاب فى عقب البقية من جنود سيف الدين اغراق وبعـــد ذلك ترك بيشاور الى كابل وحدود جيحون وبعد قضائه الصيف فى الباميان عـــبر النهـــر وبلغ سمرقند وكان سبب رجوعـــه ثورة شبت فى الصـــين الشمالية والتبت وأوجبت حضوره •

وفى عودة جنكيز الى جيحون أمر جغتـــاى أن يستولى على ولاية مكران والسند فأغار عليهما كما فعل أخوه أوكتاى وقام الاثنان بتخريب نواحى غزنة والسند وكرمان ومكران على نحو أن جلال الدين لو عاد اليها فلن يجد جنوده أدنى وسيلة للعيش أو الحياة •

وبعد تخريب الولايات السابقة اتجه أوكتاى وجغتاى بدورهما الى ما وراء النهر فبلغا بخارى فى شتاء (٦١٩هـ) وأمضيا هـــذا الفصل على شاطىء نهر زرأفشان يستريحان ويتصيدان • وأرسل جنكيز اذ ذاك الى ابنه الثالث جوجى الذى كان بصحراء القبجاق يستدعيه اليه وكان غرضه أن يقوم مع أولاده على شاطىء سيحـــون بصيدهم الجماعى المعـــروف ويتحدث معهم أيضا فى مصالح الممالك التى سيطروا عليها لأن جنكيز بعد أن عاد من شواطىء السند أصيب بالمرض بسبب سوء طقسه وأخذ يشتد مرضـــه يوما بعد يوم وشعر بدنو أجله •

ولحق أوكتاى وجغتاى بمعسكر أبيهما على شاطىء سيحون ، وفى هذا المكان فى ربيع عام (٦٢٠هـ) ألف مجلس شورى أو باصطلاح المغول (قوريلتا) مع أولاده ، وفى صحـــراء قـــلان باشى (شـــمال جـــبال آلكساندروفسكى وغرب بحيرة أيسى كول) قدم جوجى ومعـــه مائة ألف جواد كهدية لوالده •

وقضى جنكيز الصيف فى مأواه بقلان باشى ، وبعـــد أن انهاء هـــذا المجلس الشورى الذى ألفه مع أبنائه أعاد جوجى ا ى صحراء القبجاق ، ثم وصل بعد اهلاكه بضعـــة نفر من الرؤســـاء العاصين الأويغـــور فى

ذى الحجة (٦٢١هـ) مع جميع أبنائه ما عدا جوجى الى مضارب أسرته الأصلية أى على نهر كرولن وأنون •

موت جوجى وجنكيز فى (٦٢٤هـ) :

ولما وصل جنكيز الى معسكر أجداده سمع بعصيان ملك ولاية تنكغوت أو التنقوت الواقعة شمال التبت فقرر غزوها وبعد استعداداته قصد هذه الولاية ، وهزم ملكها بعد حرب طاحنة وأفنى جماعة عظيمة من جنوده ، لكن مرضه اشتد به فى هذه المنطقة فمات فى رمضان (٦٢٤هـ) وهو فى الثانية والسبعين من عمره وارتاحت الدنيا من افزاعه وتعذيبه •

وقبل موت جنكيز بستة أشهر كان جوجى (توشى) ابنه الأرشد قد مات أيضا بصحراء القبجاق وروى فى موته رواية ذكرها بعض المؤرخين ومحواها أن جوجى لما كان أكثر سلامة نفس من أبيه لم يكن يقبل على قتل الناس وتخريب البلاد كثيرا وكان يدعو أباه لأن يقل من ازهاق الأرواح وتخريب البلاد حتى أنه قرر وقتا أن يحالف المسلمين ويقتل أباه ، فأطلع جغتاى على خبيئة صدر أخيه فأطلعها أباه فدس أبوه له السم خفية •

ويعتقد بعض آخر من المؤرخين أنه لما ساء ظن جنكيز بجوجى استدعاه فى عودته الى أرض المغول الأصلية اليه الا أن جوجى اعتذر عن الحضور متذرعا بمرضه ، فقدم واحد من التنقوت من صحراء القبجاق الى أرض المغول وأعلم جنكيز أنه رأى جوجى سليما معافى ومنهمكا بالقنص فأرسل جنكيز أوكتاى وجغتاى لتأديبه لكن خبر موته وصل قبل أن يبلغاه •

على أية حال فانه لا خلاف على أن ما بين جوجى وجنكيز وأخيه جغتاى لم يكن طيبا لأن ابن جنكيز الأكبر كان يريد أن يكون دولة مستقلة فى ما حول بحر الخزر ويضم اليها خراسان ومازندران والولايات الشمالية لايران التى لم يطوها جبه وسبتاى ولم يستوليا عليها وكان يود ألا ينقاد لأمر أحد فأصبحت هذه المسألة باعث تعب كبير لجنكيز وأولاده•

الفصل الثانى

سياسة المغول ومراسمهم

حكم التاريخ فى جنكيز خان :

روى صاحب كتاب (طبقات ناصرى)(١) عن ثقات الرواة أن (جنكيز خان لما قدم خراسان كان رجلا طويل القامة قوى البنية عظيم الجثة ، مفتول اللحية والشارب مبيضهما ، قطى العينين فى غاية الجلادة والذكاء والعقل والمعرفة والهيبة ، قتالا عادلا ضابطا هازما لعدوه شجاعا سفاكا سفاحا) .

أما من ناحية صفات جنكيز الخلقية فقد كان رجلا ذا عزم وارادة كبير العقل مدبرا كامل التحكم فى زمام نفسه ، وكان فى مقابل المشكلات والشدائد يظهر ثابتا غريبا ، وكان لا يكف عن الأمر ما لم يبلغ القصد منه ، لم يدع فى أى وقت للقنوط أن يتسرب الى قلبه ازاء الحادثات القاسية فكان يتلقاها ببرود وثبات .

وحينما هزم السلطان جلال الدين المنكبرنى جيش قوتوقو نويان فى

---

(١) كتاب فى التاريخ من تأليف ابى عمر منهاج الدين عثمان بن محمد سراج الدين الجوزجانى متوفى (٦٩٨هـ) لناصر الدين محمود شاه بن التتمش . يشمل هذا الكتاب تاريخ العالم خاصة تاريخ الغزنويين والغور واعقابهم فى غزنة والهند ، وفى نهايته فصل كامل مفيد فى هجوم المغول على ايران وخانات المغول حتى هولاكو . ومع ان المؤلف لا يفصل فى هجومهم لكنه لمعاصرته لهم ومعاينته الحوادث فان أخباره مقرونة بالصحة . وافاد المؤلف كثيرا من تاريخ البيهقى وجعله اساس تاريخه لمحمود الغزنوى ، وقلده أيضا فى أسلوب الكتابة . وفى طبقات الناصرى أشعار وقصائد للمؤلف نفسه استخدم فيها لأول مرة الفاظا مغولية .

بروان وأتى الأخير جنكيز مهزوما لم يفقد جنكيز عند سماخه هذه الهزيمة حاله سكونه المعتاد وكان كل ما قـال ان قوتوقو نويان تعود أن يخـرج منتصرا فى كل وقت من معاركه ولم يذق مرة طعم الهزيمة ، وسوف يحتاط كثيرا فى أمره بعد هذه الهزيمة .

ليس مـن شك فى أن جنكيز كان أحد أشد الفاتحـين سفكا للدماء وفظاظة وغلظة ذكرهم التاريخ ، لأن ما سفك من الدماء بأمر منه أو خرب من الديار العامرة ربما لم يحدث نظيره فى أيام غزو غاز قط فى فداحـة ويلاته ومصائبه ، خاصة وان جنكيز كان غاية الاحنة والفظاظة ، ولم يكن يشكل عنده قتل مدينة عظيمة قتلا عاما وازهاق أرواح الآلاف وسفك دماء النسوة والأطفال والعجزة باشارة واحدة من شفته أمرا عظيما . لكنـه ينبغى التسليم بأن فتح كل هذه البلاد وادارة أراضيها الواسعة لم يكن يمكن بدون فطنة ولباقة وكفاية وحنكة خاصة وأنه لا يمكن أن نتصور أن جنكيز كان خلوا من كل سياسة لا يتعشـق غير اقتحام البلاد وازهـاق الأنفس فى غزواته ، وانما يتوجب الذكر أن جنكيز كان فاتحـا يستجيز لتنفيذ هدفه وسياسته وازالة الموانع فى طريقـه كل ضرب مـن ضروب القسوة والثبور والتخريب بدون ذرة تأمل أو تحـوط ولم يكن يعبأ بأى شىء غير نيل مراده .

وكان كل جهده فى بداية الأمر افتتاح طريق التجارة والقوافل القديم بين ايران والصين (طريق الحـرير) ، وأقدم لهذا الغـرض على ازالة شعوب الأويغور والقراخطائيين والنايمان والتتر الذى كانوا حائلا دون تردد القـوافل وسـببا فى عدم أمن الطـرق . وحينما جـاور البـلاد الخوارزمشاهية ، راعى شروط الأدب والاحترام فى حق السلطان محمد ، لكن اقدام السلطان على ازلة الدولة القراخطائية وتحطيم السد الحاجز بين البلاد الاسلامية وأرض التتر والمغول وغروره وعجبه وسوء تصريفه ومسلكه مع رسل جنكيز والتفكير فى الاستيلاء على الصين وغيرها هيأت

أســباب اثارة غضب الخان المغــولى وبعثت على هجمــاته على بــلاد المســلمين •

كان جنكيز مثله فى المذابح العامة والقتل الجماعى مثل جلاد مجرد من أى عطف يأمر بتنفيذ أحكامــه ولم يكن يفــرق بين الغنى والفقــير والصغير والكبير والمرأة والرجل والمسلم والكافر ، ولم ينحرف فى أعمال سفكه هذه عن جادة العدل وعدم الانحياز،خاصة وأنه بلغ كما كمال الثبات والبرود خلاف عدة نفر من أبنائه وبعض آخــر من الغزاة (كتيمور لنك ونادر الأفشارى) فى قتل الأنفس ، فلم يصدر عنه فى أى وقت مهما أشتد غضبه وحنقه فظائع كتصفية عيــون الأسرى والصلم والجدع واقامــة منارات من جماجم القتلى •

وقد مثل بعض المؤرخين جنكيز برئيس قبائل الهون أى آتيلا وشبهوا هجوم جيشه بالطوفان أو السيل وتقاطر قومه كمهاجــرة جماعات مــن البدو ، لكن تأهب جنكيز للهجوم على البلاد الخوارزمشاهية وتحوطــه وتدبره فى الأمور العسكرية وايثار نظام عسكرى مضبوط والافادة مــن المستشارين وذوى الخبرة والمرشدين وتحرك الجيوش طبق خطة صحيحة كل ذلك يكذب التشبيه الآنف الذكر تكذيبا كاملا ويدل على أن جنكيز فى كل هجماته كان ينفذ الأمور كلها حسب دستور صحيح ووفــق أســلوب ونظام كاملين •

ويدل طول عمر جنكيز وعــدم فقدانــه أى من قواه الجســمانية والعقلانية حتى لحظة موته على صحة عقله أيضا ورعايته الاعتــدال فى الحياة والعيش والشراب • وقد صار بضعة نفر من أخــلافه كما سنرى (مثل جغتاى وأوكتاى وكيوك) بعد اختلاطهم مع المتحضرين من البــلاد المغلوبة واقامتهم بالمدن ألعوبة اللهو والمجون وبهارج الدنيا وقضوا غالب أيامهم فى سكر ووهن ، فى حين أن جنكيز لم يخرج عن بدويته وخاف وله المغول بالشراب ولامهم مرارا لاعتيادهم هذه العادة لوما شديدا •

كانت هيبته فى قلوب الجيش بلا نهاية وكان الجميع يعتبره القائد المعظم وحكمه حكما الهيا واعتقدوا أنه لا ينبغى أن يوجد فى سائر الأرض حاكم آخر غيره •

وكان عصيان جنكيز وعدم طاعة أمره بمنزلة ارتكاب جناح عظيم لأن عقيدة المغول أن أمر الخان كان ينزل من السماء وعصيانه فى حكم عصيان الله • وكان قتل فرد من أسرة الخان له نفس الحكم ، فقد كان قلب نيشابور رأسا على عقب اثر قتل تغاجار زوج بنت جنكيز ، واستئصال شافة باميان بسبب قتل ابن جغتاى بدفع هذه العقيدة •

ولما أن جنكيز لم يكن يعتقد أى دين أو يدين بأى عقيدة فقد تجنب التعصب لأى دين أو تفضيل ملة على أخرى أو ترجيح عقيدة على عقيدة ، بل كان يكرم العلماء ويعز الزهاد فى كل دين وطائفة ، وكان أبناؤه كلما وجدوا أثناء استيلائهم على البلاد فى أغلب الأحيان عالما أو مطلعا وأنسوا فيه الجدارة لخدمة أبيهم كانوا يبعثون به اليه سالما •

وكان جنكيز يفيد فى باب الأمور العسكرية بالمختصين والأدلة وأرباب الاطلاع افادة كبيرة وكان فى كل وقت عدد من هذه الجماعة بجيشه لا سيما تجار المسلمين وأصحاب القوافل الذين كانوا يأتون من أماكن بعيدة ، وبسبب كثرة أسفارهم كانوا على علم وافر بأحوال البلاد خارج أرض المغول ، وقد أدوا لجنكيز فى هذا الأمر خدمات جليلة • وقد ظل من هذه الجماعة حتى حدود (٦٠٠هـ) فئة ببلاطه وكانوا سفراءه الى السلاطين أو رسله لمهام أخرى ومع أن جنكيز لم يبد رحمة أو رأفة بأعدائه ، الا انه كان يفرق بين المتحضرين المسالمين الأبرياء من الايذاء والبدو المغيرين اللصوص تفريقا بينا فقد كان يقرب اليه الأويغور والمسلمين والصينيين ، خلافا للمنجو والتنقوت والأتراك الخوارزميين والأفاغنة فقد نفر منهم وعاملهم بقسوة • وقد كان لخان المغول كما ذكرنا صحب ومستشارون من المتحضرين من البلاد المغلوبة كالمسلمين

والصينيين والأويغور وأشهرهم هو محمود يلواج المسلم الذى سبق أن ذكرنا اسمه .

الياسا الجنكيزية : —

كان للمغول من قبل جنكيز سلسلة من العادات والتقاليد والآداب الشعبية كما تقتضيه الحاة البدوية لم تدون بسبب معرفتهم للخط والكتابة ، وقد رفض جنكيز بعضها وأبقى الآخر وزاد عليها من نفسه أحكاما وقواعد أيضا فأعطاها فى الواقع جانب الرسمية وأمر أن يعلم أطفال المغول الخط الأويغورى وأن تدون الأحكام والقواعد المشار اليها فى القراطيس وتودع فى خزائن أمراء الأسرة الجنكيزية .

وكان يقال لكل واحدة من هذه الأحكام والقواعد بالمغولية (ياسا) بمعنى الحكم والقاعدة والقانون(1) ومجموعتها وهى القراطيس المكتوبة بالخط الأويغورى ، والتى كانت تجمع جميع الأحكام والمراسم المغولية وقد هذبها جنكيز وصوبها ، كانت تسمى بالياسا الكبيرة وكانت عبارة عن القوانين والأحكام المتعلقة بتعبئة الجيش

---

(1) قيدت هذه الكلمة وأصلها المغولى (دزاساك) فى كتب الفارسية والعربية باشكال مختلفة من قبيل (ياسا) و(ياسه) و(يساق) و(ياساق) و(يسق) وكانت تطلق فى الأصل على الحكم والأمر من كل ملك او أمير ، ولما كان قسم من هذه الياسا الجنكيزية تتعلق بالعقوبات والجزاءات ، وكان جزاء اغلب الجرائم والخطايا القتل اصبح احد معانى كلمة الياسا تدريجا القتل والموت ، واستعمل مؤرخو تاريخ المغول عبارة (بياسا رسانيدن) و(بياسا ملحق كردانيدن) بمعنى القتل ، واصبح اسم المصدر لهذه الكلمة (ياساميشى) أيضا مصطلحا للسياسة وادارة الأمور .

ويرى مع كلمة ياسا فى كتب تاريخ المغول غالبا كلمة (يوسون) وهى لفظة مغولية كذلك بمعنى الأسلوب والطريقة والرسم (سياقى) .

وقد دون مجموعة هذه القوانين دستور جنكيز خان الأويغور ، وذكرها تفصيلا الجوينى فى كتابه جهانكشا ، الجزء الأول ص ١٧ وما بعدها (مجموعة جب لندن / ١٩١١) (فامبرى ، حاشية المترجم ص ١٦٣) .

وتخريب لبـــلاد وبمصـــالح الملك وترتيب المشـــورة فى بـــاب الأمـــور العظمى والغزوات الهامة وأنواع العقـــوبات وطـــرق حـــياة المغـــول ورســـومهم فى الحركة أو لاقامة وغيرهما ، وكان رسمهم أنه كلما اعـــتلى خان جديد العرش أو حدثت حادثـــة عظمى أو اجتمـــع الأمـــراء كانت الياسا الكبيرة توضع موضع الدراسة ويجرون أمورهم على أساسها .

وكانت الياســـا الجنكيزية محترمـــة مقدســـة بين المغول بشـــكل غير عادى ، ولم يجرؤ أحد أن يغفـــل أحـــد مضامينهـــا ، وكان المغـــول يجلونهـــا اجلال المسلمين للقـــرآن الكريم .

وكانت الياســـا الجنكيزية حـــتى بعـــد زوال ســـلطنة أولاده من ايران موضع الاحـــترام والرعاية أيضا من جانب التيموريـــين ، وكانوا يعملون وفق نصوصها حين اجتماع الســـلطان العام وتنفيـــذ العقوبات والقتـــل وأمور الطعـــام والغـــذاء وغيرها .

وقد جرى الصينيون وفق عوائدهم القديمة على أن يذكروا أقوال أباطرتهم اليومية وتعلم المغـــول هذه العادة أيضا من الصينيين وكانـــوا يكتبون أحاديث ملوكهم يوميا ثم يذيعونها بعد موتهـــم ، وكانوا حرفيين جدا فى اثباتها فكانوا يقيدون أى كلام يصـــدر عن الخـــان وكـــانوا اذا أحبوا أن يبقى معناه خافيا غلفوا العبارة بالسجع والاغلاق ، وكان يقال لهذا القسم من حديث خانات المغول الذى وقع فى الشعب موقع المراعـــاة والاحترام بالمعونة (بيليك) بمعنى العـــلم والحكمة ، وكانت (البيليكيات) الجنكيزية محترمة وبعد موته موضع الافادة والمراجعة كياساه تماما .

مراســـم المغـــول : ـــ

كانت طوائف المغول والتتر التى وجهت حملاتها بقيادة جنكيز خان الى بلاد آسيا الشرقية والمركزية والغربية ثم وســـعت مجال سيطرتهـــا الى حدود البحر المتوسط وأوربا الشرقية والوسطى أيضا كانت كما سبق

الشرح من قبائل مختلفة • وكانت هذه القبائل وكلها من الجنس الأصفر وشعبه المختلفة قبل ظهور جنكيز واستقرارها فى البلاد المتحضرة تعيش حياة بدوية صحراوية دائمة الانتقال من موضع لآخر وكانت معيشتهم تتصف بدرجة كبيرة من البساطة والقوة وضعة المستوى •

وجنكيز خان أحد أولئك الزعماء الذين تمكنوا بقوة السيف والتدبير المحكم والقوانين الصارمة أن يخضع قومه تحت أمره ناهيك عن طاعة سائر طوائف الترك والمغول له أيضا • وقد جعل كل هذه الأقوام التى كانت تعيش قبله فى نزاع وقتال دائمين متحدة تتبع أمرا وحكما واحدا وألف قواها المفتتة المشتتة لتنفيذ هدف أكبر ووضعها موضع افادته واستغلاله •

وكانت أكثرية جيش جنكيز فى بداية حملاته للمغول الأصليين ، لكن هذه الطائفة ، ولم تكن كثيرة العدد بالدرجة الكافية ، أخذت تتناقص مع كل تقدم وحرب ، فاضطر جنكيز لكى يغطى خسائر جيشه البشرية أن يختار من شعوب البلاد المغلوبة لاسيما تلك التى تقترب من المغول الأصلاء بقرابة العنصر والأخلاق (مثل البايمان والكرائيت والتنقوت وأتراك القبجاق والقنقلى والقرلق والأويغور) أعدادا كجنود له، واستطاع أيضا أن يطوع هذه الجماعات لأمره وحكمه ولياساه وأنظمته حتى أن هذه العناصر الأجنبية فاقت آخر الأمر المغول عددا وصارت الأغلبية فى جيشه للأتراك والمغول •

والمقصود من المراسم المغولية رسومهم وعاداتهم التى كانت شائعة بين طائفاتهم المختلفة واستخلصها أولاد جنكيز من بين عامة المغلوبين والمغول بعد اختلاطهم ، وبعد الجرح والتعديل فيها مزجها بآدابهم القومية أضفوا عليها جانب الرسمية والقانونية •

ولما أن أوضاع حياة عامة الأقوام المغولية والتركية كانت واحدة بسبب اتحادها فى العنصر والجنس والحياة البدوية ، فقد اتخذت

مراسمهم شكلا واحـدا بينهم جميعا على وجـه التقريب ، وقبـل أن كان لطائفة من المغول عادة أو مرسم لا تعلمها القبائل الأخرى ولا تجريها .

وبعد تغلب المغول على البلاد المتحضرة فى الصين وايران واقامتهم فى المدن تغيرت المراسم المغولية تغيرا عظيما ، ومع أن ظاهر الأمر يقتضى أن يتحكم هؤلاء المغول فى آداب المتحضرين من البـلاد المغلوبة ويتغلبوا عليها وكما أن سلاطينهم وأمراءهم حلوا محل الملوك والسلاطين والأباطرة المهزومين فلابد أن تحل مراسمهم أيضا محل آداب هؤلاء المتحضرين أيضا الا أن الأمر كان عكسيا وضار أبناء جنكيز بعده بنسلين محكومين بأحكام آداب الرعـايا المغلوبين لهم تماما وأهملوا عقائد أجـدادهم وقوانينهم ومراسـمهم أى انتقم الوزراء والمستشارون مـن أرباب الفن والفضـل الصينيين والايرانيين والأويغور المسيحيين المغلوبين بقـوة السيف مـن المغول بقوة حضارتهم وفرضوا عليهم لغاتهم ومذاهبهم وأصول ادارتهم وأحكامهم .

حـق أن مراسم المغول قـد إنغلبت بعد استيلائهـم على البـلاد المتحضرة لآداب هؤلاء المتحضرين لكن كثيرا منها ظلوا يترسمونه ويرعونه وهى التى لم تكن عندهم أسـباب لتركها (كقبول مذاهب المغـلوبين) أو تلك التى كانوا يتبعونها بسبب تعلقهم بخـانهم (كالياسـا الجنكيزية) فانتشرت فى المغلوبين أيضا .

ونحن هنا سوف نشير الى طرف من مراسم المغول وآدابهـم التى كانت شائعة أيام حكم أبناء جنكيز لايـران ونترك شرح تأثـير الآداب الاسلامية والايرانية فى المغول لموضع آخر .

كانت نظرية جنكيز خان الشخصية أن يحتفظ بطوائف المغول مطيعة له على نحو أن يتغلب البدو الصحراويون دائما على المتمدنين المستقرين ولهذا فلم يبال بأى من آداب هؤلاء المتمدنين بل كان يحول بين المغـول وبين ايثار الاسـتقرار بالمدن ولم يكن يؤثر نفسه الا العـودة الى بلاد

أجداده الأصلية والبقاء على نفس تلك الحياة البدوية ٠

كان المغول يعيشون متسترين بالخيام كما هى عـادة عامة البـدو وكانوا يسمون انتجاعهم الشتوى والصيفى بلغتهم المغولية (يورت) أو (اردو)(١) ، وبناء على عادتهم هذه فقد ظلوا يختارون أماكن لمشـتاهم ومصيفهم حتى بعد سيطرتهم على البلاد الحضرية المتحضرة واحتياجهم للاقامة فى العواصم والمدن ، فكانوا يتحركون الى هذه الأماكن بحشمهم وخيولهم وأنعامهم شتاء وصيفا ٠ وكانوا يرسلون رجالا يسمى الواحـد منهم (يورتجى) أى المسئول عن الاقامة مسبقا لاختيار المكان المنـاسب للخان وحاشيته الى كل طرف فيعين المنازل المناسبة فينطلق الخان المغولى باتباعه وحشمه وأغنامه اليها ويقام له معسكر من بيوت الشـعر واللباد ، كما ينزل أتباعه حول منزله تحت هذه المخيمات أو منـازل مصنوعة مـن أفرع وأوراق الشجر وبعد أن ينتهى الفصل وقبل تحركهم من هذا المقام يشعلون النار فى عامة لوازم الاقامة غير المنقولة كالمنازل الشجرية ٠

وكانت معسكرات المغول الشتوية والصيفية فى حكم المدينة الكبيرة ، فضلا عما كان فيها مـن المخيمات الكثـيرة والمنازل المتعـددة والأنفس المحتشدة ، فقد كان يصاحب الخان كل الطبقات مـن قبيل المنشـئين أو كتاب الانشاء والقضاة ورؤساء الجيش والحرفيين والتجار ، ويقوم أهل الحرف والصناعات والتجار بتصريف منتجاتهم وبضاعتهم فيقضون كافة حوائج المعسكر ٠

وكان خانات المغول يبعثون الى الأمراء وذوى القرابة للتشـاور فى الأمور الهامة كانتخاب رئيس الأسرة والغزوات الهامة غالبا فى مثل هـذه المعسكرات عن طريق مبعوثين كانوا يسمون الواحد منهم (ايلجى) وكانوا يقولون لمثل هذه المجالس من الشورى باللغة المغولية (قوريلتاى) ٠

---

(١) استخدمت اللفظة الأولى فى الفارسية بمعنى المنزل والبيت والمسكن والثانية بمعنى الجيش والمعسكر ٠

وقد تعود المغول أن الابن الأصغر للخان قلما كان يغـادر موطـن أجداده الأصلي ولا يشارك اخوته فى قسمة أملاك أبيهم وانما يتملك بعد موت الخان أبيه ملك الأجداد ، فقد ورث تولى أصغـر أبناء جنكيز بعـد موته المناطق حول نهرى كرولن وأنن ، وتضائل نصيبه هذا أمام ما أخذه كل واحد من اخوته وربما روعى فى هذا التقسيم سن أولاد الخان •

وكان المغول يختارون الزوجـات والمضاجعات ، تعود خاناتهـم أن يتزوجوا بابنة أو أخت مـن غلبوه من الملوك والأمـراء أو قتلوه منهم أو عقدوا تحالفا معهم وكان هـذا دأب جنكيز خان فقـد ذكر أن زوجـاته وسرياته بلغن الخمسمائة •

ولما كان المغول يتزوجون بكثرة من النسوة ، فقـد كان الأب يعطى فى تقديم أبنائه وتأخيرهم الأولوية لأولاده من زوجته التى يؤثرها عـن سائر زوجاته الأخريات ، فما حاز من بين ابناء جنكيز التسعة غير أربعة منهم وحسب الاعتبار والشوكة لأنهم أبناء (يسونجين بيكى) أكثر نساء الخان احتراما وأعلاهن منزلة ، وبعـد أن مات أبوهـم أمسكوا بأزمـة الأمـور العظمى •

وقد تسمى كافة الابناء والأقارب والأشخاص الذين ينحدرون مـن عشيرة واحد لأحد الخانات أو الأمراء المغـول بالـ (أروغ) أما طائفتـه ورعاياه والمطيعون أمره فقد تسـموا بدورهم بالـ (أولوس)(١) ، وعلى هذا فالمقصود من (أولوس الأربعة الجنكيزيين) جميع البلاد التى وقعت تحت امرة أبناء جنكيز الأربعة من بعد موته وهم جوجى وجغتاى وأوكتاى وتولى •

ومن الأمور التى كان يوليها المغول أهمية تفوق الحد ويعتبرونهـا من ألزم خاصيات حياتهم الصيد ، فكانوا اذا فرغوا من القتال أمضـوا حياتهم فيه ، وتألفت لهم مراسم وقـواعد فى نظـام الصـيد وتفحص

(١) أولوس تعنى مجموعة الخيام (تاريخ بخارى ص ٣٠٠) •

المصيد واقتناص الحيوان والقنص الجمـاعى ، ذكرت فى بعض أجـزاء الياسـا .

شاع فى المغول بمناسبة جهلهم وعدم معاشرتهم لأهل الحضارة كثير من العقائد الخرافية فكان للشياطين والسحرة والسحر كبير أثر وبالغ نفوذ فى مجالى أحوالهم وحياتهم وكانوا يخشون السحر والسحرة خشية شديدة ، ومن ثبت عليه السحـر عذبوه عذابا أليما ، وتضمنت الياسـا الجنكيزية أحكاما قاسية لهذه الطغمة .

وبعد أن اختلط المغول بالأويغور الذين اعتنقت طائفة منهم البوذية اتخذوا بعض علماء هذا الدين ، وكان يقال لأحدهم (بخشى) كتابا لهم ، فحثوا جماعة من المغول ناهيك عن تعليمهم الخط الأويغورى على اعتنـاق الوثنية البوذية وتقديس الشمس ، وغلب على رؤسـاء المغول وأمرائهم أن يستثيروهم فيما يتصل بالسحر والساحرين ، ولهـذا اكتسبت كلمـة بخشى عند المؤرخين القدامى معانى الوثنى والعـالم بالسحر والسـاحر والمنشىء والكاتب .

ولم يكن لخـانات المغول مراسـم مفصـلة كثيرة فى جلوسـهم أو استقبالاتهم فى بداية أمرهم فلم يكن لهم أصلا بلاط أو عاصمة ، وكانت رسومهم فيما يختص بهذه الأمور ساذجة ومختصرة .

وبعد هلك جنكيز أحب كبار أسرته أن يرفعوا ابنه أوكتاى الى مقام الخان فتخيروا يوما مسعودا باشارة المنجمين ثم رفعوا قلانسهم بناء على العادة المتبعة ، وأخذ جغتاى يمين أخى جنكيز وأمسك هذا بيسرى أوكتاى وأجلساه على العرش وقدم تولى له كأس خمر ثم ركع جميـع الحاضرين ثلاث مرات احتراما له هنأوه بهذا المنصب . ولما انتت مراسم الجلوس ، خرج الخان الجديد أوكتـاى وجميع الأمراء مـن المعسكر وخروا ركعـا للشمس مرات ثلاث ثم جلسوا للشرب واللهو والتلذذ . وبعد انتهاء دور السرور ، صنعوا صنوف الطعام لثلاثة أيام متوالية على رسم المغـول فى

ذكرى روح جنكيز وأرسلوا أربعين ابنة رائعة الحسن من نســل الأمراء والنجباء مزينات بأبهى الزينات ممتطيات صهوات خيول ممتازة الى روح الخان موتا •

وحينما كان خان المغول يود أن ينزل أحدا منهم أعلى درجة لحبــه كان يمد له يده بكأس مــن شراب العنب أو لبن الخيــول المسمى عندهم (قميز) ، فيأخذ هذا النازل منزلة الحب بكأس الرحمة واللطف ، ويخــر راكعا ويعبه فى شربة واحدة • وكان رسم تناول هذا الكأس واعطائه مــن أهم مراسم المغول المعمول بها • واذا ما عقــد صلح وأصدر الطــرفان قرارات شربوا الخمر بعد اذابة قدر من الذهب به أو قدموا المشروب فى كؤوس من الذهب •

أما من أدى خدمات جليلة لسلاطين المغول وأمدوهم وقت الشــدة فكانوا ينزلون منهــم منزلــة اكــرام خــاص يســمى باصطلاحهـم (سيور غاميشى) ، اذ يعطون أراضى وأملاكا ليتمتعوا بثمراتهــا • واذا تنقل هذا النوع من الانعام الى أعقاب المنعم عليه وورثيه سمى بالمغولية (سيور غال) •

النظام العسكرى والحكومى المغولى :

اختار جنكيز خان عددا من المغول حرسا خاصا له سمى الواحــد منهم (كشيكجى) أى الحارس كانوا ثمانين حارسا لحراسة الليل وسبعين لحراسة النهار •

وفضلا عن الحرس الخاص ألف جنكيز فرقة مــن صفوة المقــاتلة عددها ألف وأطلق على كل منهم (بهادر) وتعنى المبارز والشجاع وقــد عدوا فى الحروب طلائع حرس الجيش •

وقد ضمت غالبيته قادة جنكيز الحرس الخــاص به ولما أنه يعرفهم حق المعرفة وبلاهم بالتكليفات الصعاب فترات وعلى هذا فقد تعهد بقيادة

فرقة جيشه قواد لم يدينوا بطاعة الا طاعة أمره وقد توفر تحت أيديهم جنود يطيعون أوامر الخان طاعـة عمياء وينفذونهـا تنفيذ الآلة لأمـر صاحبهـا .

وقد بلغ من بين رجال جنكيز والمحيطين به أسمى المناصب أمـراء أسرته الذين سمى الواحد منهم (نون) أو (نويان) ، وتلقب تولى بـن جنكيز بلقب (ألغ نويان) أى الأمير الكبير .

أما أشراف الجيش فقد تلقب كل منهم بلقب (ترخان) وأعفوا مـن الضرائب وتملكوا الغنائم فى الحروب وكانوا يدخلون بلاط الخان بلا اذن أو اجازة منه ولهم فى الاحتفالات المنازل الحرية بهم يشرب كل منهم من يد الخـان .

انقسـم جيش جنكيز الى فرق قوام الواحـدة عشرة آلاف جندى وسميت الواحدة (تومان) ، وانقسم كل تومان الى عشر جماعات كل منها ألف ، وانشعب كل ألف الى عشرة أقسام كل منها مائة ، وتفرعت كل مائة الى عشر مجموعات كل منها عشرة جنود .

واعتبر المغول جهة الجنوب أكبر الجهات قداسة فتوجهوا اليه عنـد اصطفاف جيوشهم وقسموا الجنود الى ميمنة وميسرة وقلب ودرج قائد الجيش أن يأخذ موقعه فى القلب .

وتعين على قواد التومانات والآلاف والمئـات والعشرات أن يقابلوا جنكيز مـرة كل عام فيتلقون عنه الأوامر ويتعلمون ما يصلح القتـال . ولم يسمح لأحد الجنود من الألف أو المائة أو العشرة أن يترك فرقتـه لينقاد لقائد غير قائده ، واذا فعل ذلك كان جزاؤه القتل وعوقب من سمح له بهذه النقلة عقابا صارما .

واحتفظ جنكيز بجنده فقراء محتاجين لكى يحرضـهم على الغلبـة ويلجأهم الى الفوز وكانوا يحملون فى وقت التحـرك أسـلحتهم ولوازم

حياتهم من البيرق حتى الابرة ، واذا ضيع أحدهم شيئا من ذلك واتضح هذا يوم عرض الجيش ، أو ما يسمى اليوم فرش المتاع ، عذب وعوقب بشدة .

وجرى رسم مغول جنكيز حين الزحف أن يسبق لوازم الجيش المثقلة ومخيمات الغلمان والأطفال والنسوة الجيش بمسافة فى أوقات الاطمئنان فاذا ما عن الخطر تأخر ذلك كله الى عقب الجيش حتى يطمئن الجنود أثناء هجومهم .

ولما اتسعت دائرة أملاك وممالك المغول وأخذ الجنود والسفراء والتجار يترددون ويختلفون أقام جنكيز على رؤوس الطرق منازل للقوافل وسميت (يام) وزودها بلوازم المسافرين والجيوش من المؤونة وعليق الخيل والمأكولات والمشروبات والحيوانات ويدفع نفقات ذلك التومانات (لكل يام تومانان) . وجهزت فى هذه المنازل خيول البريد الحكومى المسمى بـ (ألاغ) لتوصيل السفراء وكانت هذه اليامات تفتش ويسد ما ينقص منها .

واذا ما كان جنكيز يود الاستيلاء على مدينة أو يدعو أميرا أو ملكا لطاعته كان يدعوه الى طاعته (ايلى) عن طريق الرسل فاذا لم يطع ثارا عاصيا (ياغى) ولزم الأمر حربه .

واذا وصل خان المغول الى بوابة المدينة التى يزمع الاستيلاء عليها ودعا أهلها الى طاعته فاذا خرج الى استقباله كبارها بالهدايا والتقدمات أو كما يصطلح المغول عليها بـ (ترغو) والتزموا بمؤونة الجيش وبالخراج لا يتعرض جنكيز الى مدينتهم وعين عليها من قبله (باسقاق) أو شحنة وحاكما وأعطى أميرها المنقاد أمرا (يرليغ) حتى لا يتعرض له أحد ، واحتوى هذا اليرليغ على الـ (تمغا) أى خاتم الخان المسود الحبر أو بماء الذهب وقد سمى المسئول عن ختم هذه اليراليغ (تمغاجى) .

واذا آثر أهل المدينة العصيان أو العداوه صدر عليهم حكم قتل

نسائهم وأطفالهم وأقاربهم وخراب مدينتهم وقتل الناس جميعا ، وكان نظامهم فى معاملتهم المهزومين أن يخرجوا الناس أولا عن المدينة ، ثم يفصلوا عنهم ذوى الحرف ويرسلونهم الى مدن التركستان والمغول ثم يختارون جماعة (حشرا) معهم كما رأينا ، ثم يضربون أعناق الباقين ٠

وإذا ما صار أحد العمال محل ظنة خان المغول كان يدعوه الخان الى الترافع والدعوى وسميت هذه الدعوى (يرغو) وأطلق على قضاتها (يرغوجى) ٠

تقسيم ممالك جنكيز :

كان من بين أبناء جنكيز السبعة(1) أربعة حازوا الاحترام وكان منظور نظر أبيهم ومدده فى عظائم الأمور وهم أبناء زوجته الأثيرة (يسونجين بيكى) جوجى أوتوشى وجغتاى وأوكتاى وتولوى أو تولى ٠

وقد تم تقسيم ممالك جنكيز بعد فتح الصين الشمالية وبلاد الكرائيت والنايمان والأويغور والتنقوت والقراخطائيين والخوارزمشاهيين وذلك أيام حياة جنكيز على النحو التالى :

١ ــ الخطا أى الصين الشمالية صارت نصيب أخى جنكيز ٠

٢ ــ من كاشغر حتى مدينة بلغار (غازان الحالية فى روسيا المركزية) أى الوادى الأعلى لسيحون وجيحون وخوارزم وصحراء القبجاق وروسية الجنوبية وسفوج جبال الأورال وسيبريا الغربية صارت تبع جوجى ، ولما مات خلفه ابنه باتوخان عليها ٠

٣ ــ تركت البلاد السابقة للقراخطائيين وما وراء النهر لجغتاى ٠

٤ ــ وأصاب أصغر أبناء جنكيز وهو تولى البلاد الأصلية لأجداد المغول ٠

٥ ــ أما أوكتاى ولى عهد جنكيز فقد كان نصيبه أقل من غيره وانحصر فى نواحى جبال التارباكاتاى وأطراف بحيرة آلاكول ووادى نهر ايميل فى غرب بلاد المغول ٠

---

(1) ذكر المؤلف ان عدد ابناء جنكيز تسعة منذ وقت قليل .

الفصل الثالث

سلطنة أخلاف جنكيز حتى أيام قيادة هولاكو

سلطنة السلطان جلال الدين المنكبرنى :

بعد أن أنجى السلطان جلال الدين نفسه من قبضة جنود جنكيز بشق النفس وعبر السند بقى مدة مع خمسة أو ستة من أتباعه فى الأدغال الواقعة شمال هذا النهر حتى اجتمع عليه عدد من الجنود ومن ثم أخذ يهاجم الهنود متسترا بجنح الظلام ويسلب أنعامهم ويغتنم سلاحهم فارتفع أمره ولحق به الفارون من الجيش الخوارزمى من هنا وهناك ، الى أن سمع المغول ثانية بصيت شوكته وقدرته فجمعوا جموعهم للقضاء عليه • ولم يطق جلال الدين مقاومتهم فكان يتفادى مواجهتهم فيمم وجهه شطر دهلى وجمع حشدا من الجند هاجم به السند وهزم أمراءه وكان أشهرهم (شمس الدين التتمش ٦٠٧ ــ ٦٣٣هـ) من غلمان سلاطين الغور وقد أسس الأسرة الشمسية فى دهلى وغدا من بعد ذلك من أشهر سلاطين الهند •

ومع أن شمس الدين كان ظاهرا يداهن جلال الدين الا أنه فى باطنه كان يخشى قوته فجمع فى النهاية نحو ثلاثين ألفا أرسلهم لمنعه الا أن أحد قواد جلال الدين تمكن من تشتيتهم فلجأ شمس الدين الى الاعتذار واظهار المحبة • ولما سمع جلال الدين فى هذه الأثناء أن أخاه غياث الدين قد استولى على العراق وأن براق حاجب سيطر بدوره على كرمان وكان القواد فى هذه النواحى يميلون اليه غادر الهند وولى وجهه شطر ايران • وبلغ السلطان جلال الدين وأتباعه كرمان عن طريق مكران وهلك

منهم أثناء الطريق كثرة بسبب الجفاف وفساد الجو ولم يتبق منهم حين بلوغهم كرمان فى (٦٢١هـ) غير نحو أربعة آلاف .

كان براق التركى القراخطائى فى بداية أمره حاجبا للكورخان المعاصر للسلطان محمد الخوارزمى ثم أتى بعد ذلك سفيرا من قبله الى السلطان الخوارزمى فلم يدعه السلطان يعود واستبقاه بخوارزم ، ولما سقطت الأسرة القراخطائية جعله خوارزم شاه حاجبا له وأعلى مقامه ومنزلته ولما انتهى أمر السلطان محمد ، علا أمر براق الحاجب فى خدمة غياث الدين ولد السلطان حتى أقامه حاكما على كرمان من قبله حين زحف للسيطرة على العراق ، وتمكن براق من قلعة (كواشير) أو كرمان الحالية واتخذ منها محلا لاقامته .

ولما ترك جلال الدين الهند الى كرمان بعث اليه براق الحاجب بهدايا كثيرة ودخل طاعته ومع أن جلال الدين شاهد منه أمارات النفاق والخيانة ودعاه جمع من الأمراء الى القبض عليه واستخلاص كرمان منه ، الا أنه لم ير الصلاح فى دعوتهم ، وكان أيضا فى عجلة من أمره فترك براقا فى كرمان وتوجه الى شيراز .

وأرسل أتابك فارس سعد بن زنكى ، وكان غياث الدين قد أصابه بهزيمة وأصيب منه بالبغضاء ، بسلغور شاه ابنه ليستقبل السلطان جلال الدين وتزوج السلطان بابنة الأتابك وتقدم الى أصفهان واستقبله قاضيها بحفاوة بالغة .

وحين أن سمع غياث الدين بقدوم أخيه واستيلائه أتى على رأس ثلاثين ألف فارس لمدافعته ، فأرسل جلال اليه سفيرا منعه من التحارب وأعاده الى الرى وانقادت غالبية قواد جيشه لأمر جلال الدين . وعاين غياث الدين هذه الحال ففر من أمام أخيه فتمكن جلال من الرى وأمن أخاه واستبقاه بخدمته على حال من الاحترام . لكنه بعد ذلك ارتكب خطأ فقد أهلك فى حالة من السكر أحد خاصة ندماء السلطان ، فجعل السلطان

يعاتبه فخافه وفر الى خوزستان ثم الى العراق ثم آب الى خوزستان وأرسل منها براقا الحاجب وقرر الاثنان أن يلتقيا فى (ابرقو) • وأتى غياث الدين كرمان ومع أن براقا كان تابعه ظاهرا لكنه كان يعد نفسه السيد عليه فى حقيقة الأمر ويعمل فى اضعاف أمره الى حد أنه حثه على أن يزوجه بأمه ، فاستأذن بعض أمراء براق المشمئزين عليه لحركته هذه غياث الدين سرا أن يقتلوه ، لكنه لم يأذن لهم ، وعلم براق بما حدث فألقى بغياث الدين وأمه فى (٦٢٥هـ) فى الحبس واستقل من هذه الآونة بكرمان تماما • وقد دخل براق وأولاده من بعده فى طاعة المغول لذا فقد تأمروا نحو ثلاثة وثمانين عاما (من ٦١٩ حتى ٧٠٣هـ) فى كرمان وتسمى أسرتهم بالقراخطائيين أو بأسرة القتلغخانية على لقب براق •

فتوحات السلطان جلال الدين : —

وبعد أن تفوق السلطان جلال الدين على أخيه دخل خوزستان وأمضى بها شتاء عام (٦٢١هـ) وقبل طاعته جماعة من الرؤساء اللوريين •

وراسل السلطان الخليفة الناصر العباسى من خوزستان وطلب عونه لدفع المغول لكن الخليفة لم يجب طلبه لغضبه على السلطان تكش ومحمد خوارزم شاه واحنته على الأسرة الخوارزمية • بل أراد دفعه فأرسل أحد أمرائه بعشرين ألفا لمدافعته ودعا مظفر الدين الكوكبورى (٥٨٦ — ٦٣٠هـ) صاحب اربل لمدده وقتال جلال الدين •

وأتى السلطان جلال الدين العراق اثر تسخيره شوشتر وغلبته تابع الخليفة عليها وفتح البصرة وهزيمة جيش الخليفة ، وانكب جنوده يؤذون الناس ويغيرون على كل عامر لقلة أسباب الحرب والملبوس والمركوب بأيديهم وانبعث فى سائر العراق خوف منهم شديد ، وتقدم جلال الدين الى أن بلغ قرية (بعقوبا) على مسافة سبعة فراسخ من بغداد ، لكنه بدلا من أن يستصفى بغداد من وجود هذا الخليفة المغرض المحتال وينتقم منه للمصائب التى حلت عن طريقه بجده وأبيه

اتجه الى (دقدقا) وحاصرها وأخذها وسمع بها أن صاحب اربل مظفر الدين أت بجيش كبير ويفكر فى مباغتته بالهجوم • فبادر السلطان وفاجأ مظفر الدين وأسره لكنه عامله باحترام وأعاده الى مملكتـــه وعـــزم هو آذربايجــــان •

وكانت آذربايجان وأران كما رأينا فى تاريخ الأتابكة فى يد الأتابك أوزبك بن الأتابك محمد جهان بهلوان فى ذلك الوقت ، وكان يقضى أيامـــه فى الشرب والفسق وقد تزوج بابنة طغرل الثالث آخر الملوك الســلاجقة العراقيين ولم يتصف بأدنى كفاية أو ادارة ولقى الرعايا كثيرا من الآلام من عماله وأرباب دولته ، فضلا عن أن خطر اســتيلاء الكفار الكرجــيين الذى كان يتجدد أغلب الوقت قد سلب الراحة والأمن من رعيــة هــذه الناحية كما حدث فى (٦٢٢هـ) حينما هاجم الكرجيون شروان مــرة وأران وآذربايجان مرة ثانية لكنهم على اثر مقاومة المسلمين الباسلة ودفاعهــم الشــجاع انقلبوا مغلوبين مهــزومين •

وأخلى الأتابك أوزبك تبريز لما سمع بتحرك جلال الدين اليه وهرب الى كنجه وانتهت أمور بلاده الى يد الملكة زوجته • وســيطر الســلطان جلال الدين فى السابع عشر من رجب (٦٢٢هـ) على تبريز ومع أنـــه كان ينفر من أهلها ويعدهم شركاء المغول فى قتــل الجنــود الخوارزمــيين وارسال رؤوسهم الى العدو لكنه عفا عنهم وبعث الملكة زوجة الأتابــك مع جماعة الى خوى باكرام ولم يتعرض الى ما فى تصرفهم ، ثم عــامل الرعية وأملاكهم معاملة حسنة وخطب فيها للخليفــة ، وأخــذ يجــمع الجنــد لضرب كفــار الكــرج •

لكن هذا الحال لم يدم فبينما كان جلال الدين يقاتل الكرجيين قــام بعض رؤساء تبريز وقاطنيها منحــازين للأتابــك ، فأغلظ جــلال الدين لمخالفيه شديد الغلظة بعد أن عاد وبنى بزوجة الأتابك ومات الأتابك أسى وحســرة لذلك •

وفى (٦٢٢هـ) حمل جلال الدين بجيش جرار على الطرف الجنـوبى لبحيرة سوان (كوكجة الحالية) واستعاد مدينة تووين أو دووين احدى البلاد الاسلامية قرب ايروان الحالية وكان الكرجيون قد اسـتلبوها من المسلمين سابقا ، ثم آب الى تبريز للقضاء على ثورة أهلها •

وحينما كان جلال الدين فى تبريز عمل الكرجيون على ازالة ما لحق بهم من هزيمة على يده فجمعوا قوى جديدة من اللان واللزجيين والقبجاق وهاجموا جيش جلال الدين والبلاد التى سيطر عليها فحمل جلال الدين بجيش عظيم عليهم وأمر أن لا يدعوا واحدا منهم حيا وألا يرحم منهـم واحد ففعل المسلمون ذلك وتقدموا حتى تفليس عاصمة الكرجيين ومقـر ملكتهم سافكين قاتلين •

ولم تكن الملكة تطيق المقاومة فخرجت عن تفليس فى الثامن من ربيع الأول (٦٢٣هـ) وأعمل السيف فى سكان هذه المدينة وكانت تغص بهم ولم يبق على أحد ميهم غير من دخل السلام • واسترق جنود جلال الديـن النساء والأطفال وباعوهم لتجار العبيد وقتلوا الرجـال ومـدوا نطـاق قتلهم وغارتهم الى جميع المدن المسيحية جنوب تفليس وقد أنزلوا بهـا ما كان ينزل المغـول بالبلاد التى هاجموهـا •

وأثناء ما كان جلال الدين مشغولا بتعقب الكرجيين فى بلادهم وصله عصيان براق الحاجب فى كرمان وانتهازه مغيب السلطان للاسـتيلاء على العراق فضلا عن أنه راسل المغول وخوفهم كثرة عسـاكر جـلال الدين وقـوتـه •

وكان السلطان ينتوى غزو أرمنية والاستيلاء على قلعـة خـلاط (أخلاط) لكنه عجل مسرعا ومعه ثلاثمائة فارس من تفليس فوصل كرمان بعد سبعة عشر يوما • ولما سمع براق بقدومه المفاجىء أخذ يبدى اعتذاره فعفا عنه وأبقاه بحكومة كرمان وتوجه الى أصفهان • ولم يكد السـلطان يستريح من تعب السفر فى هذه المدينة حتى وصلت مسامعه أنباء اجتماع

الكرجيين ومهاجمة عساكر صاحب خلاط لعسكره فأجبر على العـودة الى الكرج وأرمنية فبلغ فى رمضان (٦٢٣هـ) من العراق تفليس ، وبعد مدة من القتال والنزال فيها ، زحف منها الى حدود بحيرة وان قاصدا خلاط التى كانت تحت امرة أحد الملوك الأيوبيين من أبناء أخى السلطان صلاح الدين الأيوبى •

ولم يتيسر لجلال الدين فتح خلاط فى هـذا السـفر لاستبسـال صاحبها فى الدفاع عنها وصعبت برودة الشتاء الأمر أيضا عليه ، لذلـك ترك فى الثالث والعشرين من ذى الحجة (٦٢٣هـ) فتحها وكر راجعـا الى آذربايجان • ولما رأى جلال الدين تعب جيشه من الحـرب أمرهـم أن يقضوا الشتاء فى المراتع الصيفية للاستراحة واطعـام دوابهـم على أن يتأهبوا للحملة على أخلاط فى ربيـع عام (٦٢٤هـ) •

وفى هذه الأثناء دعا الكرجيون المحصورون فى مدينتى آنى وقارص مسلمى تفليس الذين ذاقوا الشىء الكثير من جور الخوارميين وظلمهـم أن يهاجموا تفليس وكانت بغير مدافع ، وبعد قتل أتباع جلال الدين بهـا واشتعال النار بها خلصوها وأخرجوها عن تملكه ، ولما آب اليها جـلال الدين لم يجد من أتباعه أحدا فامتنع عن تعقـب الكرجـيين • وفى نفس العام (٦٢٤هـ) قتل الاسماعيلية أحد أمراء جـلال الدين الكبـار الـذى استقطع كنجة له واشتهر خلافا للسلطان بالرأفـة والعـدل والكـرم ، فاستولى الغضب على جلال الدين وهاجم بلادهم وسيطر على كـثير من أملاكهم فى الموت وقومس وأكثر فيها القتل والغارة وكان مشغولا بهـما حين وصله خبر وصول جنود المغول الى الدامغان • وتقـدم السـلطان لدفعهم وكانوا قلة فغلبهم فاسترق بعضهم وتعقب آخـرين وعـاد الى آذربايجـان •

حرب جلال الدين للمغول بالقرب من أصفهان فى رمضان (٦٢٥هـ) :

ولما عاد جلال الدين الى آذربايجان أخبر أن عددا كبيرا من المغـول

تحرك الى العراق بقيادة خمسة نفر من قوادهـم ، فأتى جـلال الدين العراق من تبريز ، وأبقى نحو أربعـة آلاف من جنـده ما بين الـرى والدامغان للاطلاع على أحوال المهاجمين المغول وذهب هو الى أصـفهان وجعل منها مركز جيشه بسبب تجمع أتباعه وتهيؤ أسباب القـتال فيهـا فأقام بها وكان المغول قد بلغوا حوالى هذه المدينة أيضا فى هذا الوقت .

وما أن رأى وحشيو المغول توقف جـلال الدين عن خروجـه من المدينة ظنوا ذلك خوفا منه فأرسلوا من بينهم ألفى نفر الى المناطق حول لرستان لجمع المؤونة والغنائم ولكى يطمئن بالهم بشـأن المـؤن وهـم يحاصرون المدينة . فأرسل جلال الدين لفوره ثلاثة آلاف مقـاتل خلف هذه القـوة فحصروا المغول فى مضايق الجبال ومعـابرها وأسروا منهم نحو أربعمائة وأتوا بهم الى المدينة فأعطى جلال الدين بعضهم الى قاضى أصفهان ورئيسها فقتلاهم وجعلا من أجسادهم طعمة للكلاب والنسور .

وفى الثانى والعشرين من رمضان (٦٢٥هـ) صف جلال الدين صفوفه لقتال المغول ، فجعل ميمنة جيشه لأخيه السلطان غياث الدين وقـاد هو القلب ، ولم يكد أمر القتال يستقيم حتى ولى أخوه غياث الدين وأحـد أمراء السلطان دبريهما مع فئة من العسكر فارين فأنزلوا بخيانتهم هزيمة عظيمة على جلال الدين ، ومع هذا لم يكف جلال الدين عن القتال ووقعت بينه وبين المغول حرب عظيمة واشتد هولها واختلط الحابل فيها بالنـابل حدا جعل نتيجتها غير معلومة فترة ، وألحق الجناح الأيمن لجنود جـلال الدين الهزيمة بميسرة جيش المغول وركبوا أكتافهم حتى كاشـان ، لكن ميمنة المغول على النقيض من ذلك وكان جنودها كامنين آنزلوا بميـسرة السلطان الهزيمة ، وبقى السلطان وكان فى القلب ويجهل أحـوال جناحى جيشه وحيدا ووقع موقع حملات العدو ، فاستبسل فى قتالهـم قتـال الفر حتى نجا بنفسه منهم وهرب الى لرستان وهلك قلب جيشه وميسرته وقتل فى هذه الواقعة أكثر أمرائه وقواده الشجعان وفـر من بقـى من

السيف منهم الى فارس وكرمان وآذربايجان • وبعد يومين عادت ميمنة السلطان من كاشان الى أصفهان ظنا منها أن القسمين الآخرين من جيشه فى أصفهان ، لكنهم ما ان عرفوا بحالة السلطان وجنوده الأليمـة حـتى تفرقوا وتواروا فى الأطراف والأكناف ، ووقع أهل أصفهان وكانوا حتى هذا الأوان بمنجى من الغارة المغول فى اضطراب وقلق عظيمين بسـبب اقتراب المغـول وجهلهم أحوال السـلطان ولم يعرف أحد ماذا حـدث للسـلطان وماذا كان هدف المغول بعد أن تغلبوا عليـه •

أما المغول فقد رأوا أهوالا كبيرة وكانوا فريسة خسـائر عظيمـة فعادوا بعد أيام ثلاثة متعجلين الى الرى وخراسان وعبروا جيحون عـلى حال من الاضطراب وعادوا الى معسكرهم الأول • وظل اهل أصـفهان جاهلين مصير السلطان لثمانية أيام وكان أغلب تصورهم أنه قتل فى الحرب الى أن ورد بعد هذه المدة جلال الدين أصفهان فاحتفـل أهلهـا ببشرى وروده وأقـاموا مجالـس السـرور •

ومكث جلال الدين بضعة أيام بأصفهان واجتمع عليه الفـارون من جنده من كل مكان وأمر السلطان الذى غضب لتسـاهل أغلب قـواده فى الحرب أن يلبس من أظهر الوهن فى قتاله ملابس النساء ويطاف بهـم فى محلات المدينة • أما من أظهر على خلافهم التضحية والثبات والدفاع فقد خلع عليه ولقب أغلبهم بألقاب الخانية والملكية والفخـرية ثم خـف الى تعقب المغـول الى الرى •

أما غياث الدين الذى كان مشفقا من أخيه لقتله أحد خواصه وهرب من القتال لهذا السبب ذهب من أصفهان بعد فراره الى خوزستان ولما لم يستطع البقاء بها لاذ أولا بصاحب الموت ثم سلك بعد ذلك طريقـه الى كرمان ، ثم قتله براق الحاجب بها فى نفس العام على نحو ما سـبق •

وأتى جلال الدين الى آذربايجان بعد أن أصلح أمره وغلب العصاة الذين أفادوا من غيبته وأعلنوا عصيانهم بهذا البلد • وكان الكرجيون قد

تأهبوا للانتقام بجيش كثيف فحمل عليهم متجاسرا وسيطر ثانية على تفليس وغنم ما بها ثم توجه الى فتح أخلاط ، وفى أوائل شوال (٦٢٦هـ) ضرب حصاره عليها ، وأثناء ذلك أنفد السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقى سلطان بلاد الروم الى جلال الدين سفراء ليفتتح باب العلاقات الودية ، الا أن السلطان لم يجب طلبه مغترا بل هدد علاء الدين بالهجوم على بلاده • وقد جعل هذا علاء الدين يدخل فى تحالف مع ملك أرمنية الأيوبى على جلال الدين وقرر طرده ومنعه •

وبعد عشرة شهور استطاع أخيرا جلال الدين أن يستولى على مدينة أخلاط التى كانت من ممتلكات السلطان الأيوبى لأرمنية ، لكنه بعد قليل اشتبك مع السلطان علاء الدين كيقباد والجنود الأيوبيين وفى رمضان (٦٢٧هـ) أصيب بالهزيمة منهم فى (ياسى جمن) من مناطق أرزنجان ففر الى خوى ، ولما سمع أن المغول قاصدوه وآتون الى آذربايجان لجأ الى الرضا بصلح أعدائه ، وقر السلام بينه وبين علاء الدين وسلطان أرمنية الأيوبى •

سلطنة أوكتاى قا آن

(٦٢٦ — ٦٣٩هـ)

آثر جنكيز خان كما مر قبل وهو حى أوكتاى ابنه الثالث لخلافته ، وارتضى سائر أبنائه وكبار المغول تبعية أوامره ودانوا له من بعد موت جنكيز بالطاعة ، ولكى يأخذ انتصابه فى مقام الخانية صورته الرسمية عقد اجتماعا بعد عامين ونصف من موت جنكيز أى فى ربيع عام (٦٢٦هـ) على ضفاف نهر كرولن ونتج عن هذا القوريلتاى العظيم اختيار أوكتاى لمقام الخانية وأصبح (أوكتاى قا آن) خليفة أبيه •

وفى القوريلتاى الذى انتهى باختيار أوكتاى للسلطنة صمم أمراء المغول وقوادهم أن يسيروا جيشين لانهاء عمليات فتح عهد جنكيز وفتح

البلاد غير المفتوحة أحدهما الى بلاد الخطا او الصين الشمالية والثانى الى ايران للقضاء على السلطان جلال الدين وفتح آذربايجـان وبـلاد الكـرد •

وقد جعلت قيادة الجيش الثانى لمن سمى باسم جـرماغون نويان فأتى التركستان بخمسين ألفا وعدد من قواد الجيش ووصله مدد خوانين خوارزم وحكامها المغول وحشر خراسان أيضا فوصل ايران ومعه نحـو مائة ألف وبلغ العراق عن طريق اسفراين والرى •

انتهاء أمر السلطان جلال الدين فى (٦٢٨هـ) : —

كان السلطان جلال الدين فى هذا الوقت فى خـوى وكان يظـن أن المغول سوف يقضون الشتاء بالعراق فترك خوى الى تبريز وأرسل جيشه لتمضية الشتاء بصحراء موقان (موغان) ، لكن لم يطل الأمر حتى وصـل خبر بلوغ طلائع المغول زنجان ، فتحرك جلال الدين متعجلا الى موقان بعد أن يأس من معونة الخليفة وعلاء الدين كيقباد والسلطان الأيـوبى لدفع المغول لكى يجمع من تفرق من جنوده لكن المغول كـانوا أسـبق اذ وصلت أعداد منهم اليه بموغان وهاجموا خيمته ليلا لكنهم فشـلوا فى أن يمسكوا به فسلم من المعركة ولاذ بالفـرار الى نهـر أرس وتفـرق جنـده جميعـا •

وبعد أن أمضى السلطان شتاء عام (٦٢٨هـ) فى ماهان (أورمية) سمع أن المغول عبروا جمن أوجان وفى طريقهم الى تعقبه فأجبر على التحـرك من ماهان ووصول كنجة • وفى كنجة قام بتأديب جماعة من أهلها كانوا قد قاموا أشياعا للمغول وقتلوا بعضا من الرجـال والعسـكر الخوارزميين وأرسلوا برؤوسهم الى المغول ، ثم قصد أخلاطا وديـار بكر ليسـتمد سلاطين الشام والجزيرة لكن المغول تقاطروا على رأسه بغتة على مقربة من ديار بكر وقتلوا أغلب أصحابه ، أما هو فقد هرب مرة أخرى سـالما من الميدان واتجه نحو ميا فارقين ، وفى الجبال المحيطة بهذه المدينة قتلته

جماعة من الأكراد فى نصف شوال (٦٢٨هـ) •

وبعد أن تأكدت حادثة قتل جلال الدين أرسل صاحب مدينة آمد (دياربكر) الى الجبال التى قتل فيها السلطان من أتى بفرسه وسلاحه وثيابه كما جمع عظام هذا السلطان التعس ودفنها فى أحد الأماكن •

وظل الناس نحو ثلاثين عاما بعد قتل جلال الدين المنكبرنى يعتقدون أنه لا يزال حيا لأنهم لم يحيطوا علما مؤكدا عن كيفية موته ، وكان أحد الناس يخرج كل يوم وقول انه السلطان فيسعد الناس ببشرى ظهوره ويفزع المغول • ونقل أساطير فى شأنه ، ولم يشأ أحد أن يصدق موت هذا الرجل الشجاع الذى لم يسترح دقيقة طوال مدة حياته وكان كل أيامه فى أحد الأماكن فى مناطق ايران والعراق والجزيرة وبلاد الكرج الواسعة وكان يعد ندا قويا لكفار المغول والكرجيين •

هجوم المغول الثانى على البلاد الاسلامية :ـ

قام الجيش الذى توجه بعد قوريلتاى عام (٦٢٦م) بقيادة جرماغون وبأمر أوكتاى الى ايران ولتعقب السلطان جلال الدين المنكبرنى ، فضلا عن القضاء على هذا السلطان بتسخير البلاد التى لم يكن المغول قد فتحوها آنذاك مثل غزنين وكابل والسند وزابلستان وطبرستان وجيلان وأران وآذربايجان والجزيرة وغيرها • وفى هذه المرة الثانية مع أن غزو المغول لم يكن بأهميته فى المرة الأولى لكنه بسبب عدم ظهور من يقف أمام سيل هجومهم وكان الناس ضعافا من كل جانب وفريسة الرعب والوحشة الزائدين عن كل حد ، فلم تكن سرعة تقدم المغول أقل منها فى المرة الأولى ، ولم يخف القتل والنهب والتخريب الذى حدث عما كان عهد جنكيز وأبنائه كثيرا خاصة وقد تخلص المغول من شر ند خطير مثل جلال الدين واطمأن بالهم فأخذوا ينهبون ويسلبون بغير مانع فى آذربايجان وأران وأرمنية والكرجستان والجزيرة والعراق وأحالوا هذه المناطق التى كانت تحيا فى عجز وعذاب بسبب صراع الأمراء وتنافسهم

فى السنين المتأخرة أحدهم مع الآخر وهجمات جلال الدين ومظـالمه هو وعماله ، أحالها المغول مرة واحدة الى مقتل ومغار ومنهب ، وتقدموا حتى حوالى بغداد وداخل الأناضول •

انشعب جنود المغول بعد قتل جلال الدين ثلاث شـعب اتجـهت الأولى الى التسخير والاغارة على بـلاد دياربكر وأرض روم (ارزنـة الروم) وميافارقين وماردين ونصيبين والموصل وتقدمت حتى سـاحل الفرات • وقد قامت هذه الشعبة فى حملتها هذه بتخريب وقتـل جعـل الناس لا يطيق مقاومة للمغول أو حتى مجرد سماع اسمهم ، وقد حـل الفزع منهم فى قلوبهم الى حد أنه لو قلنسـوة مغولية كما يذكر أحـد المؤرخين سقطت بين ألف فارس مقاتل خوارزمى لتفرق جمعهـم ، وكان هذا هو حال المقاتلين فماذا كان حال العامة العاجزة عن الحرب التى لـم تجـرب منهـا شـيئا ؟! •

واتجهت الشعبة الثانية من جنود التتر الى مدينة بتليس (بدليس) وبعد أن أحرقوا هذه المدينة استولوا على بعض القلاع على حدود أخلاط وغيرها وقتلوا أهالى هذه النواحى بالجملة • وسيطرت الشعبة الثالثـة فى أواخر عام (٦٢٨هـ) على مراغة ثم أتت اربل عن طـريق آذربايجـان وقتلوا من الناس مقتلة عظمى ، ولما لم يقع لأحد خبر عن مصير جـلال الدين فقد مكثوا فى هذه الناحية وبآذربايجان • ثم تحركـت فى أوائـل (٦٢٩هـ) لأخذ تبريز عاصمة آذربايجان ونجت المدينة من القتل العـام والتخريب بسـبب استسلام أهلهـا لهـم •

وبعد أن قلب المغول آذربايجان وجيلان والولايات الأخرى الـتى كانت تتعلق بجلال الدين رأسا على عقب تحركوا الى صـحراء موغـان لقضاء الشتاء ثم زحفوا فى العام التالى لتخريب أرمنيـة والكرجسـتان والجزيرة وبلاد الروم • وفى هذا التحرك سخر المغول كنجة من ناحـية ودخلوا أرمنية ، ثم عبروا من ناحية أخرى فى (٦٣٣هـ) اربل ونينوى وفى

عام (٦٣٤هـ) انقلبوا الى بغداد ووصلوا حتى السامرة • ونادى الخليفة وعلماء بغداد بالجهاد ، فهزم المسلمون المغول على مقربة من تكريت ما بين نهر دجلة وجبل حمرين وخلصوا من قبضتهم نحو خمسة عشر ألف أسير من مدينتى اربل ودقوقا ، وأحكمت بغداد ، ولكن ما ان عاد المغول فى آخر عام (٦٣٤هـ) الى بغداد ثانية حتى أصابوا المسلمين بالهزيمة فى خانقين وقتلوا منهم خلقا كثيرا وعادت بقية المسلمين منهزمة الى بغداد •

وفى الغزو الثانوى فى شرق ايران وجنوبها الشرقى أى سيستان وغزنين وكابل وحدود السند قام المغول بالهجوم النهب وجعلوا من مناطقها غير فارس وكرمان اللتين كان أمراؤهما أى الأتابكة السلغوريون والقراخطائيون يدفعون الجزية لهم ملعبا لقتلهم وغارتهم •

ولم ينته النزاع بين سلاطين الشام ومصر والجزيرة وبلاد الروم مع وجود أخطار حملة المغول الداهمة بل كان أحد هؤلاء السلاطين الغافلين المحبين لمصلحتهم وحسب يقصد حياة الآخر من أجل التصرف فى مدينة أو قلعة وفى كل حملة كانت الرعية البريئة فى بلادهم توطأ بالأقدام والسنابك ، ولم يكن للخليفة العباسى ببغداد النفوذ ولا الاهتمام اللذان يمكناه من القضاء على صراعاتهم الداخلية ويجمع قوى ذلك الجمع المشتت للاجهاز على المغول فى المعابر الخطرة بين أرمنية وبلاد الأكراد والشام •

وفى عام (٦٣٧هـ) ظهر قواد المغول بجيش جرار مرة أخرى أمام أبواب أرمينية لكنهم فشلوا فى الاستيلاء على بلاد الروم أو الأناضول بسبب سيطرة جنود غياث الدين كيخسرو ولد علاء الدين كيقباد وخلفه على معابر أرمنية الجبلية •

عزل جرماغون من قيادة جيش المغول عام (٦٣٩هـ) بسبب اصابته بالفلج وشغل مكانه بايجونويان ، وهاجم هذا القائد الجديد فى نفس العام بجيش بلغ ثلاثين ألفا وبعدد من العرادات والمنجنيقات ارضروم

وكانت من بلاد غياث الدين كيخسرو(١) ، ففتح قلعتها وقتل كـثيرا من أهلها واسترق بعضهم • وفى العام التالى تقدم غياث الدين لايقاف هجوم المغول بجيش كبير من المسلمين والأرمن والعرب والكرجيين عن طـريق البر وببعض السفن عن طريق البحر الى أرمنية وواجه المغـول قـرب أرزنجان • ومع أنه كان منتصرا فى بداية الحرب الا أن الهزيمة حاقت به فى نهايتها ففر الى أنقورة (انكورية) •

وسيطر المغول على سيواس وقيسارية (قيصرية) وأعملوا بهمـا النهب والغارة • وفى النهاية عندما تحقق كيخسرو أنه لن يدانى المغـول ارسل لهم رسولا وقبل أن يؤدى لخان المغول كل سـنة جزيـة نقـدية وعينية وأن يكون تابعا له ، وكان قبوله تبعـية المغـول فى حـكم انهـاء استقلال سلاجقة الروم وانضمام بقية البلاد السـلجوقية الى أمـلاك قا آن المغـول •

استولى أوكتاى قا آن فى (٦٣١هـ) على الصين الشمالية وترك حكمها الى مستشار أبيه المسلم محمود يلواج وأناب أيضا ابنه مسـعود بيـك فى ادارة بلاد الأويغور والختن وكاشغر وما وراء النهر حـتى ضـفاف جيحون ، وقام الأب والابن بتعمير التخريب الذى حدث واصلاح أحوال الرعية وادارة تلك البلاد فوضعا بحسن تدبيرهما وعدلهما مرهما عـلى كثير من جـروح أيـام سـيطرة المغـول •

وأمر أوكتاى قاآن بعد عودته من الصين بناء على قوريلتاى جـديد

---

(١) يقصد المؤلف به غياث الدين كيخسرو والثانى ولد علاء الدين كيقباد، وكان غياث الدين كيخسرو هذا آخر سلطان سلجوقى قام بفتوحات فى شرق الأناضول وبدا انه سيقوى من نفوذه لولا أن المغـول هاجموا بلاده وهـزمره بالقرب من الجبل الأقرع (كوسه طاغ) عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م ووقع الأناضول تحت قبضتهم ، ولم يبق للسلطان السلجوقى بعد عقد الصلح الذى نص فيـه على جزية سنوية باهظة الا سلطة نظـرية ، وكان أمراء السـلاجقة يتولون الحكم فرادى ومثانى أو أكثر بيرالغ (جمـع عربى لكلمة يرليغ المغولية بمعنى الفرمان والأمر)من حكام المغول . انظر قيام الدولة العثمانيـة . محمد فؤاد كوبريلى ترجمة الدكتور احمد السـعيد سليمان (مصر / ١٩٦٧) ص ٥٦ ـ ٧ ، وايضـا : The Cambridge history of Islam, (London 1970) P. 249.

(باتو) ولد جوجى خان و(كيوك) ابنه و(منكو)(١) ولد جغتاى بالسيطرة على بلاد الروس والشركس والبلغار وأرسل تحت قيادتهم جيشا ضخما صوب أوربا الشرقية • وكانت الرئاسة العامة فى هذا الغزو لباتو خان ملك صحراء القبجاق وان كان زمام الحرب فى الحقيقة بيد سبتاى القائد المشهور المغولى • وقد تمكن هذا الجيش البالغ مائةو خمسين ألفا فى (٦٣٥هـ) من جميع المنطقة بين جبال أورال وشبه جزيرة القرم وكانت مسكنا للباشقرد والبلغار وهزم فى السهول حول الفولجا أمراء الأسلاف وروسية وأشعل النيران ببلدى فلاديمير ومسكو ثم انقلب الى مملكة أوكرانيا فقلبها رأسا على عقب واستحوذ فى (٦٣٨هـ) على كييف عاصمتها وبهذا دخلت كل روسيا تحت سطوة المغول وظلت روسية من هذا الوقت حتى قرنين ونصف قرن (٦٣٦ — ٨٨٦هـ) تحت تسلط المغول محكومة بحكمهم وادارتهم •

وبعد فتح روسيا انقسم جيش المغول قسمين سلك أولهما طريق بولونيا (بولندة) وسلك الثانى طريقه الى المجر ، وتغلب القسم الأول فى (٦٣٩هـ) على الحلف الألمانى والبولندى وضبط مدينة برسلو وتقدم حتى برلين الحالية ومملكة ساكسونيا • أما القسم الثانى فقد هزم المجريين فى نفس ذاك الوقت واستولى على عاصمتهم (بست) وتقدم حتى ما يقرب من فيينا من ناحية وسواحل بحر الآدرياتيك من ناحية أخرى ، وبما أن المجريين أو الهنغاريين كانوا يشتركون مع المغول فى الأصل فقد أخلى المغول بلادهم وقنعوا بتبعيتهم الاسمية(١) • وحين ذاك

---

(١) معناه فى الاويغورية الخالد وهو مركب من (منك) أى السماء ثم الصفة (كو) أى الباقى (فامبرى ج ٣ ص ١٨٩) •

(١) كان قائد القسم المغولى المتوجه الى بولندا هو بايدار بن جغتاى الذى تغلب على جيوش بولندا وحلفائهم الفرسان التيوتون النازلين على ساحل بحر البلطيق بقيادة دوق سيليزيا فى ١٩ ابريل (١٢٤٠م) ، غير أن بايدار لم يجرؤ على المضى نحو الغرب أبعد من ذلك . وفى تلك الأثناء مضى باتو وسبوتاى قائدا القسم الثانى المغولى الى بلاد المجر وقاد بيلا ملك المجر جيشه للقائهما غير أنه حلت به هزيمة ساحقة عند جسر موهى على نهر سابو =

جاءت الأخبار الى أوربا بموت أوكتاى فاستدعى سبتاى وباتو لعقد قوريلتاى لانتخاب خان جديد الى آسيا وعاد المغول الى أوربا ولم تتم خطة الاستيلاء على ألمانيا وأوربا الغربية وظلت هذه المناطق بمنجى من أضرار المغول .

موت أوكتاى قاآن فى ٦٣٩هـ :

قضى أوكتاى قاآن طول السبعة الأعوام التى كان جيشه العظيم منكبا فيها على فتح أوربا فى اللهو واللعب والشراب ، ولما كان سليم النفس ، هادىء الطبع فقد عمل على تعمير البلاد واشاعة العدل والاحسان والفتوة ورمم كثرة من خرائب عهد أبيه .

ومع أن المغول حتى هذا العهد لم يتقيدوا بالاقامة فى نقطة ثابتة ولم يكن لهم مكان دائم أو محل معين للاستقرار به — واصل كلمة (مغول) كان مرادفا بالتجوال فى الصحراء والتخريب — الا أن أوكتاى

= فتدفق المغول على بلاد المجر ونفذوا الى كرواتيا وواصلوا زحفهم حتى بلغوا سواحل بحر الأدرياتيك واقام باتو بضعة شهور فى بلاد المجر . ولما قدمت انباء موت أوكتاى فى قراقورم فى الحادى عشر من ديسمبر (١٢٤١م) الموافق (٦٣٩هـ) عاد المغول وقد جمعوا أكياسا ملأوها بآذان ضحاياهم وقتلاهم من بولندا وحدها فبلغ مجموع ما جمعوه مليون أذن ومائتين وسبعين الفا أخذوها معهم دليلا على بأسهم . انظر فى ذلك : تاريخ الأدب فى ايران لبراون ص ٥٧٣ ، وتاريخ الحروب الصليبية لستيفن رنسيمان ج ٣ ، بيروت (١٩٦٩م) ص ٣٤ ، المغول فى التاريخ د. فؤاد الصياد (مصر ١٩٦٠) ص ١٢٠ .

(•) ومن نتائج غزو المغول لأوربا انه وجه الغرب الى الاستعانة بهؤلاء المغيرين لتحطيم المسلمين وتحسين أوضاع الصليبيين . يقول سايكس (ان غزو المغول لأوربا وما احدثوه من دمار رهيب فى بولندا والمجر قد اثار رعبا عظيما فى جميع أنحاء اوربا وعندما تبين لهم انهم سوف يحاولون الهجوم على أوربا الغربية فان هذا الخوف الذى الهموه أوربا بدأ يحمل فى ثناياه أمل تحطيم الاسلام وأخذت تنتشر الاشاعات أن بين الغزاة الجدد قبائل مسيحية). انظر :

Sykes, History of Persia (Oxford, 1922), Vol. II P. 92.

قاآن على أثر معاشرته أصحاب المدينة من الصينيين والأويغور والايرانيين تعلق بالتعمير والتشييد فأمر المهندسين والمعماريين الصينيين فى (٦٣١هـ) فأقاموا له فى (أردو باليغ) فى شمال بلاد المغول وسفوح جبال قراقروم فى مكان احدى أطلال المدن التى خربت عهد تسلط الأويغور مدينة جديدة بنفس اسم أردو باليغ ، ثم سميت بعد ذلك بقراقورم بسبب قربها من جبال قراقورم وجعل منها قصبة له ، وبنى كل من اخوته وأبنائه والأمراء الآخرين فى هذه المدينة قصرا له .

وقد شغل أوكتاى قاآن فى مدة اقامته ببلاد المغول بمعسكرات الشتاء والصيف والقنص واللهو والسرور وكلف بالشرب والخمر الى حد الافراط وكان يقضى يومه تقريبا فى معاقرة الشراب ، وأخذ الشراب يضعف من قوته وصحته يوما بعد يوم الى أن لقى حتفه بسببه فى السنة الثالثة عشرة من سلطنته أى فى عام (٦٣٩هـ) .

وأوكتاى قاآن معروف فى مشرق الأرض بكرمه وجوده وفتوته وعطائه وقد ذاع عنه قصص كثيرة عن جوده ولهذا فقد لقب بـ (حاتم آخر الزمان) (٢) ، كما اشتهر على النقيض من أخيه جغتاى بالعدل وحب الرعية والرفق بالمسلمين ، وقد عرف بحمايته للمسلمين على رغم أنف أخيه(٣) الى حد أن البعض قال ان اوكتاى كان يبطن الاسلام .

---

(٢) كان يمكن ان يطلق عليه معاصروه (حاتم الزمان) وليس آخر الزمان لولا ان الناس على عهده كانوا يعتقدون ان المغول هم يأجوج ومأجوج الذين ذكر القرآن الكريم ظهورهم قبيل قيام الساعة ، لكن التاريخ كذب معتقدهم فقد اتحف البشرية بأقوام غلاظ الأكباد من المخربين والمستعمرين والمتاجرين بدماء الشعوب الناهبين ثرواتهم بعد ذلك فاقوا يأجوج ومأجوج الذين حجزهم ذو القرنين بسده . انظر من القرآن الكريم آخر سورة الكهف .

(٣) لعل هذا يرد على الأوربيين القائلين ان المسلمين بآسيا الوسطى اطلقوا على لهجتهم القومية اسم (جغتاى) لفرط حبهم لابن جنكيز ولم يكن بين الطرفين أدنى حب وقد وقع فامبرى فى نفس الخطأ ورده فى الحاشية (١) من ص (١٨٤) من كتابه (تاريخ بخارى) .

سلطنة كيوك خان

(٦٣٩ - ٦٤٧هـ)

لم يكن الابن الأكبر لأوكتاى قاآن وهو كيوك سنة وفاة أبيه موجوداً بأرض المغول ومع أن أوكتاى استدعاه الى أردو باليغ الا أن أنه قبل أن ينال لقاء أبيه كان أبوه قد ودع الحياة ، فقبضت زوجة القاآن (توراكينا خاتون) على أزمة السلطنة حتى ينجلى أمر خلافة أوكتاى .

ظهر الاختلاف فى كبار عائلة جنكيز على تعيين خلف لأوكتاى ، فقد كان باتو ملك روسيا وصحراء القبجاق والذى تمتع بالاحترام والنفوذ بين المغول يود اخراج السلطنة عن أسرة أوكتاى من ناحية ، وكانت جماعة أخرى تشايع سلطنة الابن الثانى لأوكتاى من ناحية أخرى ، وظهرت مجموعة ثالثة تنادى بالحكم لحفيده من ناحية ثالثة .

أما توراكينا خاتون التى كانت امرأة حكيمة ذكية ذات تدبير وسياسة فقد بذلت جميع مساعيها لحفظ التاج والعرش لابنها كيوك(١) ، وانصرفت لمدة أربعة أعوام أو يزيد (٦٣٩ - ٦٤٤هـ) تواجه محاولات باتو لتعويق انعقاد القوريلتاى وتقاوم مخالفيها الآخرين وتقصر أيدى أعدائها وتجذب قلوب الجنود ، وأرسلت السفراء لكل البلاد التى دخلت تحت سطوة المغول وحكمهم لكى تصبغ سلطنة ابنها كيوك بالصبغة الرسمية وتشكل القوريلتاى وأحضرت السلاطين والأمراء والكبار من كل هذه البلاد الى أرض المغول الى أن وفقت فى مقصودها فى (٦٤٤هـ)(٢) .

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى حبيب السير فى اخبار البشر لخواندمير (بمباى ١٨٥٧ - ١٨٥٩) جزء أول - جلدسوم (ص ٣٢) .

(٢) تميز القورلتاى الذى تم فيه انتخاب كيوك بوفرة عدد من حضره من ممثلى الدول الأجنبية فقد حضره حاكم التركستان ويارد سلاف الدوق الروسى الكبير واميرا جورجيا المتنافسان على عرشها ويسمى كل منهما (داغيد) وأخو سلطان حلب وسمباد أخو هيثوم ملك ارمنية وكل يحمل هدايا قيمة . وكان من الحاضرين أيضا مبعوثو البابا أنوسنت الرابع ورسل الخليفة =

العباسى والحشاشين ، اما رسل الخليفة العباسى والحشاشين فقد أرسلوا بتهديدات ووعيد جراء شكوى الضباط المغول منهم وسرعان ما تحققت هذه التهديدات ، انظر :

History of the Mongols, H. Howorth (London, 1876) Vol. I, PP. 162-163.

وحبيب السير : خواندمير ج ١ مجلد ٣ ص ٣٣ ثم :

Histoire des Mongols .., C. D'ohsson (Paris, 1824; Vol. II, P. 297.

أما مبعوثو البابا فقد كان على رأسهم بيان دل كاربينى (كاربينو) وراهب آخر أرسلا فى سفارة الى المغول (١٢٤٥ — ٤٧م) بناء على أوامر مجمع ليون المعقود فى (١٢٤٥م) للنظر فى أمور الصليبيين واستجلاب عون المغول ضد المسلمين وقد بلغ كاربينى المغول فى انعقاد القوريلتاى لاختيار الخان فشهد الراهب الاحتفالات الرسمية ورأى كيف كانت آداب السلوك تراعى فى دقة وتنوع على اكمل ما يتبع فى أرقى المجتمعات فترك وصفا لذلك يحسن أن نشير اليه لالقاء ضوء على عادات المغول من خلال المصادر الأوربية : كانت قاعة الانتخابات خيمة كبرى من المخمل الأبيض تتسع لألفى شخص ويحوطها سياج خشبى به بوابتان كبيرتان تخص احداهما الامبراطور ورغم تركه بوابته بلا حراسة فلم يكن أحد يجرؤ على ولوجها أما البوابة الأخرى وهى التى كان يدلف منها المدعوون فقد كان عليها حراسة شديدة اظهارا لشأنهم فى الغالب . واستغرق الاحتفال شهرا وكان من معالم الافتتاح استعراض الجزية والهدايا التى اتى بها أربعة آلاف رسول من لدن الأمراء التابعين لهم كان بينهم كثيرون من أمراء روسيا وجورجيا الذين كانوا قد وقعوا فى الأسر فردت عليهم حياتهم . ولم تعلن نتيجة الاختيار فى الحال وانما استبان انتخاب كيوك حين أخذ القوم يقابلونه عند خروجه من مضربه بالغناء والتلويح له بشملات من الصوف الأحمر مثبتة بأعلى قنوات الرماح . ولا تزال هذه الرايات هى شعار السلطان عند المغول . أما المناداة بكيوك فقد تمت فى حفل ثان أقيم بالخيمة الذهبية بعد بضعة أيام من الحفل الأول فأجلس على أريكة ملكية وركع امامه كل الرؤساء والحضور الا كاربنى الذى بقى منتصب القامة فلم يثر صنيعه هذا أحدا ودل ذلك على كرم ضيافتهم ، وانتهى الحفل بشراب القميز وخمر العسل حتى ساعة متأخرة من الليل وقد قدمت العربات تحمل اللحم المطبوخ بـ ملح فأصاب القوم منه . واستقبل كيوك مبعوث البابا فى أول حفل استقبال اقامه بعد اختياره وكانت الهدايا قد عرضت فى الخيمة ومن بينها مظلة مرصعة بالأحجار الكريمة وهى شعار الملوك الآسيويين السائد . وأريكة الخان كانت عرشا من الأبنوس نقشه عجيب وزينته من اللآلىء والأحجار الكريمة الأخرى هذا وكان الذهب يستخدم فى اسراف للزينة وكان يقف بخارج الخيمة عربات محملة بالذهب والفضة والحرير ليتقبلها

كان كيوك خان على نقيض من أبيه مقاتلا فاتحـا مائلا بكليته الى الغزو والاغارة وكان أكثر شبها بجده جنكيز من شبهه بأبيه أوكتـاى • ولهذا فما أن اعتلى عرش الخانية حتى أصدر أوامره أن يحترم الأمـراء ياسـا جنكيز وأن يتحاشوا التحريف بهـا والتصرف فى نصوصهـا وأن يتأهبوا بجيوشهم لتسخير الصين الجنوبية وبقية البلاد الاسلامية وضرب باتو • وسير سبتاى بهادر القائد المعـروف مع قائد آخـر الى الصـين الجنوبية ونصب ايلجيكتاى (ايلجيكداى) فاتـح هراة فى حـكم ايران مكان بايجو وقصد بنفسه بلاد باتو للقضاء عليه ، لكن أجله وافاه عنـد وصوله بيشباليغ فمات بعد حكم عام وبعض عام فى التاسع من ربيع الآخر (٦٤٧هـ) وكانت أمه توراكينا خاتون قد لقيت حتفها قبله ببضعة شهور •

كانت توراكينا خـاتون مسيحيـة الدين عهدت الى الأمـير قداق المسيحى بتربية ابنها كيوك وهو طفل ورعايته وقد قرب كيوك بعد بلوغه السلطنة اليه شينقاى مستشار أبيه المسيحى واستوزره ، فحـول هذان الشخصان اهتمام الخان لمساعدة المسيحيين فوقع الرعيـة المسـيحية فى البلاد المغولية كالأرمن والكرجيين والسريان والروس موقـع اهتمامـه وموضع رعايته ونفذ أطباؤهم فى البلاط المغولى نفوذا تاما وشاعت بعض الآداب المسيحية فى المغول ، وقد عقد كيوك اتحادا مع الأرامنـة بسبب عواطفه لهم ولعل قصده مـن هذا الاتحـاد حملته المتوقعة على البـلاد الاسلامية فى الشـام ومصر لأنه لم يكن بمكنته بسبب ضعفه واعتـلال

= الخان ويفىء بها على خاصته • وحين كان الخان يهم بالحديث كان الحضور يسارعون بالركوع فلا ينهضون حتى ينتهى من كلامه • وقد تكون البيئة هناك على تأخر الا أن سلوك رجال الحاشية كان على احسن ما يبتغيه أى كبـير للأمناء والتشريفات ورسم الراهب صورة لطيفة للخان المغولى فقال انه كان فطنا غاية فى الدهاء حازما رزينا فى كل تصرفاته لايسرف فى الضحك ولايصدر عنه طيش أو نزق وفوق ذلك يميل الى الدخول فى النصرانية • انظر :

Howorth : 1, 162-166 — D'ohsson; II, PP. 197-200, 234-Sykes : II, P.P. 92-95.

صحته وتعوده الشراب أن يمحص الأمور جيداً وكان قداق وشينقاى يديران دفة الأمور ويشعلون نار عداوته للمسلمين(٣) •

سلطنة الشعبة الثانية للأسرة الجنكيزية
منكو قاآن (٦٤٨ – ٦٥٧هـ)

لما مات كيوك خان حدث الاضطراب فى أحوال المغول ثانية وظهر الاختلاف بسبب انتخاب القاآن بين كبارهم ، وقامت زوجته بالنيابة فى الحكم بناء على مراسم المغول الى أن يتألف القوريلتاى ويعين خليفة كيوك عن طريق أمراء التتر وكبرائهم •

وشب النزاع بين هذه المرأة وسرقويتى بيكى زوجة تولوى المسيحية وكانت بنتا لأخى أوانك خان آخر ملك للكرائيت وتعد أكبر سيدة

---

(١) نتج عن ذلك بقول رشيد الدين فضل الله فى جامع التواريخ (جلددوم) بسعى ادكار بلوشة ص ٢٤٩ أن اقبل الخان على الاهتمام بالقساوسة والنصارى وعندما ذاع هذا الأمر ولى شطره جمع من القسس والرهبان من الشام والروم والآس واوروس وكان بالطبع ينكر الاسلام ، ولم يكن صاحب الكلمة فى حكمه ففوض الحل والعقد والقبض والبسط فى الأمور الى قداق وشينقاى ولذا علا أمر النصارى فى حكمه وانقلب الوضع بالنسبة للمسلمين الذين لم تكن لهم الجراة على التحدث مع هؤلاء النصارى • ويرجع براون (تاريخ الأدب فى ايران ص ٥٧٤) فى اتخاذ هذين الوزيرين المسيحية دينا الى تأثير الراهب كاربينى وزميله حتى عمداهما فأثرا بدورهما على الخان فضلا عن تأثير الأطباء المسيحيين فى بلاطه وجعل ذلك كله البابا يطمح الى دعوة الخان الى المسيحية وهذا ما تضمنه أغلب الرسائل البابوية (Howorth : P. 165) . وتعاون النصارى وعباد الأصنام على اضطهاد المسلمين واضعاف دينهم كما يظهر من قصة أوردها المؤرخ الفارسي منهاج الدين بن سراج الدين الجوزجانى فى كتابه سياسة الأمصار فى تجربة الأعصار در تاريخ آل جنكيز) مفادها أن قسسا وعبدة للأصنام طلبوا الى الخان مناظرة علماء المسلمين وقتلهم ان غلبوا فلما لم يتمكنوا منهم طلب كيوك منهم أن يؤدوا الصلاة أمامه فما أن سجدوا حتى أوسعوهم ايذاء لايقافهم عن الصلاة فلم يقطع المسلمون صلاتهم وانصرفوا بعدها غير مفتونين . (انظر : سياسة الأمصار ص ٥٨ – ٦٠ طبعة الهند باهتمام مبرزا محمد – بدون تاريخ) •

فى المغول ، وذلك بسبب تعيين خليفة لكيوك ، لأن زوجة كيوك كانت تبغى أن يرقى ابن أخى زوجها ملكيتهم بينما كانت سرقويتى تطلب هذا المنصب لأولادها • وفى النهاية استدعى باتو بن جوجى ملك القبجاق وروسية كبار المغول وأمراءهم لكى يأتوا اليه بصحراء القبجاق ، حيث يعينون خلفـا لكيـوك •

ولم يقبل أولاد أوكتاى وكيوك وجغتاى هذه الدعوة وانمـا أرسلوا عنهم مندوبين لدى باتو وأرسلت سرقويتى أبناءها اليه قائلة ان باتو لما أنه سيد(١) جميع الأمراء فان اطاعة أمره واجبة على الجميع ولا يحـق لأحد أن يعصيه(٢) •

وسرقويتى أم لأربعة أبناء ذوى اعتبار من تولى كانوا كأبناء جنكيز الأربعة أركان المملكة الركينة وكانوا عامة أعظم أمراء المغول وهم هولاكو وقوبيلاى وأريق بوكا ومنكو •

وكان بين منكو الذى أمر فى عهد أوكتاى ومعه كيوك وباتو بفتـح

---

(١) السيد (آقا فى الفارسية) يعنى الأخ الأكبر فى المغـولية (آقا فى المغولية ايضا) مقابل (اينى) التى تعنى الأخ الأصغر ، ومجمـوع الاخـوة الكبار والصغار يعنى عامة أمراء المغول من الاخوة الصغـار والكبار وابنـاء الأخوة والأعمام وبنى الأعمام (سياقى) •

(٢) تجمع المصـادر الفارسـية على فضـل ام منكو والتى يسميهـا رشيد الدين فضل الله باسم (سيورقوقتيتى) وقد لقيت تقديرا واحترامـا كبيرين لما اشتهرت به من الحكمة والاستقامة ، اراد اوكتاى ان يزوجها لابنه كيوك بعد وفاة زوجها تولوى (تولى) لكنها رفضت بلباقة واشارت الى انها تؤثر ان تكرس حياتها لأبنائها الأربعة وكان جميع الأمراء يبجلونها ، وبالرغم من انها كانت تدين بالمسيحية بحكم تربيتها فى قومها المسيحيين الا انها كانت تحاول اظهار شأن الاسلام وكانت تبذل الصدقات والعطايا للأئمة والمشايخ المسلمين ومصداقا لهذا فقد وهبت الف قطعة من الذهب لانشاء مدرسة فى بخارى فتولى شيخ الاسلام سيف الدين الباخرزى هذا الأمر ، فانشأت هذه المدرسة التى ضمت الف طالب مسـلم ليحصـلوا فيها العـلوم الاسـلامية المختلفة :

(جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله ص ٢٧٢ ــ ٣ ، خواندمير فى كتابه حبيب السير ص ٣٦ من ج ٣ وأيضا : (Howorth, P. 188

روســيا وبلاد أوربا الشرقية وباتــو الذى كان دائم الهم بالقضــاء على أوكتاى ، كان بينهما كمال الوفاق ، لهذا آثر باتو لنفس العلة منكو الذى كان أميرا أريبا كافيا فى القوريلتاى الذى تألف لانتخاب خليفة كيوك لهذا المنصب ، وبهذا انتهت الشعبة الأولى من أسرة جنكيز أى أولاد أوكتاى قاآن من سلطنة المغول وانتقلت السلطنة وخلافة جنكيز الى أولاد تولوى وهم الشعبة الثانية من أسرته •

ولما أن جميع الأمراء والكبراء المغول لم يحضروا مجلس الشــورى أو القوريلتاى الذى آثر فيه باتو منكو للسلطنة ، قرر أن يتألف فى السنة الجديدة قوريلتاى كبير يحضره جميع الأمراء والكبار لاضفاء الرسميــة على منصب منكو •

وقامت جماعة من أبناء أوكتاى وكيوك وجغتاى بمخالفة قرار بــاتو متذرعين بأنه لا يحق أن تخرج السلطنة عــن أسرتى أوكتــاى وكيوك وأخذوا يراسلون باتو ويظهرون سخطهم على ما سبق من ترتيب •

وطالت مــدة المفاوضات بين باتــو ومنكو وسرقويتى من ناحيــة والرافضين من ناحية أخرى عامين وأسفرت هذه المفاوضات بمظاهرة باتو بانتخاب منكو رســميا فى ذى الحجة مــن (٦٤٨هـ) فى قراقروم لمنصب الخانية المغولية ، ومع أن جماعة من الرافضين أبوا حضــور القوريلتاى الا أن منكو مع هذا كان تنصيبه مصطبغا بالصبغة الرسمية •

ولما علم الرافضون برسمية تنصيب منكو انقلب رفضهم الى المؤامرة عليه ، فألقى الخان الجديد القبض على رؤسائهم وقام بشخصه بالتحقيق فى مؤامرتهم فعاقبهم بالحبس والقيد والقتل •

وقد بلغ منكو قاآن فى ادارة أمور الملك نهاية الأمر فى مراعاة الياسا الجنكيزية وآداب المغول ومراسمهم ، وان كانت صــلابة خانات المغــول وخشونتهم الأولى بسبب طول معــاشرتهم وامتزاجهم بالمتحضرين مــن الأمم المغلوبة قد خفت قليلا فى عهده ، واتسعت نظرتهم فى ادارة البــلاد

ومعاملة المغلوبين والرعية ، فاقترب مسلكه من العدل وقواعد السياسة وأصولها وادارة الملك والنظام عند السلاطين المتحضرين •

اعتزل منكو دوام الشرب وخفض من الضرائب ورتب للجنود والأتباع رواتب محددة وسعى فى رفاهية الرعية وأمر عمال حكمه وموظفيه ألا يستلبوا أنعام الرعية بالظلم والاجحاف وألا يأخذوا منهم ما زاد عن الضريبة المقررة ، واستقدم من ايران عدة من فضلائها الى أرض المغول وأمرهم أن يكتبوا للادارات والدواوين بقرا قدوم لغة خليطا من الفارسية والصينية والأويغورية والتنقوتية •

ترك منكو حكم القسم الشرقى لبلاد المغول أى الخطا والصين لمحمود يلواج والتركستان وما وراء النهر وبلاد الأويغور وفرغانة وخوارزم لابنه الأمير مسعود وكان الابن والأب دائما سبب ازدهار حكم أولاد جنكيز فرمما كثيرا مما خربوه ، خاصة البلاد الاسلامية التى كانت تحت حكم الأمير مسعود من عهد أوكتاى ضوعف تعميرها وقوتها ، وأعاد حسن ادارته واستقامة مسلكه لمن بقى من السيف من رعية هذه البلاد المنكوبين حياتهم الأولى ولبلادهم المخربة سيرتها الخالية من التعمير والترميم •

وكان منكو الذى ربته أمه المتصفة بالحكمة مثلها يرعى جانب الاحترام دائم وقته لكل الأديان المختلفة الشائعة بالبلاد الخاضعة للمغول ، ومع أن أمه اعتنقت المسيحية فقد كان علماء المسيحية والبوذية والتائوئية(١) والاسلام جميعا على قدم المساواة أمامه ، ويلقون منه

---

(١) التائوئية مذهب فى الصين يمتلىء بالأوهام والخرافات وله أتباع كثيرون ، وقد وضعه شخص عاش فى حدود عام ستمائة قبل الميلاد اسمه (لايوتسو) ، وشرح اصول مذهبه وفلسفته فى كتاب يسمى بـ (تا أوته كنك)، وخلاصته أن الدنيا تقع تحت ارادة وادارة عقل عال يسمى (تا او) والهدف من الحياة هو الوصول الى التا او ، وكان من بين أتباعه عدد من الفلاسفة الكبار •

الاحترام بلا تفريق ، وقد منحهم قدرا من الحرية الى حـد أنهـم كانوا يتناظرون ويتحاجون عن أديانهم أحدهم مع الآخر فى حضوره ، كما لقى المسلمون الحرية مبلغا كان يخطب فى بعض البلاد لخليفة بغـداد ويدعى ضمن ذلك لدوام دولـة مـنكو .

وفى عهد سرقويتى وابنها منكو زادت السفارات بين بـلاد أوربـا المسيحية وآسيا وبلاط المغول ، وكان سبب ذلك أن المسـيحيين فى هـذه الأيام كانوا فى حرب صليبية مع المسـلمين فى الشـام ومصر ، ولقـوا ضربات شديدة من السلطان صلاح الدين الأيوبى وأولاد أخيـه ، ولكى يقيموا علاقات طيبة مع المغول وكانوا يعدونهم أعداء للاسلام ، أرسـلوا الى بلاط خان التتر سفراء مرارا ، وتعهد منكو أخيرا باصرار من هـؤلاء المسيحيين أن يسعى فى عونهم وانفاذ جيش يقـاتل المسـلمين . وكانت مأمورية هولاكو والقضاء على خلافة بنى العباس على النحو الذى سوف نراه أثرا لهذا التعهد الى حد ما(٢) .

---

(٢) أهم سـفارات الغـرب الى منكو لتأليب المغـول على المسـلمين واستجلاب عونهم الى الصليبيين هى سفارة وليام روبروق (١٢٥٤/ ٦٥٠هـ) الذى أرسله لويس التاسع بعد هزيمته وأسره بيد المصريين فانطلق روبروق من عكا الى قراقروم التى أضحت مركز الدبلوماسية فى العالم فلقى سفارات من قبل الامبراطور اليونانى ومن لدن الخليفة العباسى ومن عند ملك دهلى ومن طرف السلطان السلجوقى بالأناضول كما صادف أمراء من الجزيرة وكردستان وروسيا وجميعهم يقفون فى خدمة الخان الكبير وأقـام بقراقورم كثـير مـن الأوربيين . وكان النساطرة أقوى أصحاب المذاهب نفوذا فى بلاط الخان لأنه مذهب أمه . وقد اهتم (هورث) بايراد وصف روبروق لمنكو وأسرته وبلاطه فكانت (الخيمة التى يجلس فيها منكو مزدانة بالأقمشة الذهبية والستائر ذات الألوان الزاهية المتعـددة وكان الدفء يسرى فيها بفعل موقد يحـرق فيـه الأشواك والأخشاب الرقيقة ويجلس الخان على أريكة صغيرة وهـو يرتدى رداء مصنوعا من الفراء الثمين يلمع ويبرق ، وكان منكو متوسط القامة مستقيم الأنف تنحرف فى آخرها ، فى نحو الخمسة والأربعين . وتجلس امرأته الجميلة الصغيرة بجواره ومعها ابنتها سيرينا أما الأطفال فكانوا يجلسون على أريكة قريبة) .

وعندما استقر المقام بالسفارة « سأل الخاقان الرهبان عمـا يشربونه =

. .: [•] [•] .• [•] [•] [•] • • • •) :• • [• :• [•

=
من الخمر أو مشروب الأرز أو القميز فقالوا انهم يشربون ما يروق للخان فأعطاهم مشروب الأرز فشربوا منه قليلا ليرضوه ، أما المترجم حلقة الوصل بينهم فقد شرب حتى ثمل ونسى نفسه وكان الخاقان يلاعب صقرا فى يده » . وحينئذ جاء دور الرهبان للحديث عن مهمتهم ويبدو أن الوقت لم يكن ملائما فاستأذنوه بطريقة متملقة وبأسلوب المداهنة أن يستريحوا فى مملكته بعضا من الوقت ونظير ذلك يدعون له ولزوجاته وأولاده وان لم يرضه ذلك يرجوا سماحه بالاقامة ريثما يستريحون من عناء سفرهم الطويل . وكان المترجم ثملا لدرجة أنه أخذ يتلعثم فى كلامه وشك الرهبان فى أن منكو نفسه كان ثملا هو الآخر ، ولكنه كان رحيما فسمح لهم أن يستريحوا شهرين وأن يذهبوا الى قراقروم ان شاءوا . ولاحظ روبروق أن منكو وأسرته كانوا يهتمون بالديانات الثلاث المسيحية والاسلام والبوذية رغبة فى البركات التى تعد بها كل ديانة ، لكن عنايته بالمسيحية النسطورية كانت أشد ففى أحد الأعياد دخلت زوجة منكو الأولى احدى الكنائس النسطورية فأطفأ لها أنوارها وقبلوا يد الكهان اليمنى تبعا لتقاليد النساطرة ، وكان منكو يجلس على عرش أمام المحراب . وجعل روبروق وصحبه يغنون تراتيل دينية ثم انسحب الخان بعد ذلك لكن زوجته بقيت ومنحت هداياها للمسيحيين ، وكان الخمر ومشروب الأرز والقميز كثيرا فأخذت كوبا ثم ركعت وطلبت البركات وبينما كانت تشرب كان الرهبان يرتلون ، وشربوا حتى ثملوا وقضوا اليوم على هذه الوتيرة . وكانت الامبراطورة ثملى مثل الباقين حتى اذا حل المساء عادت الى منزلها فى عربة يخفرها الرهبان وهم يغنون ويصيحون ، ويحكى هورث ما يثبت ميل الخان الى المسيحية مما أطمع الرهبان فى تحويله اليها لكنه كان متسامحا وأخبر ذات مرة روبروق أن كل فرد فى بلاطه يعبد الله الواحد الباقى الخالد ومسموح لهم بأن يعبدوه كل على طريقته الخاصة فكانت الديانات الثلاث تمارس فى البلاط بحرية تامة ولا يطغى احداها على الأخرى . ويؤيد هورث المؤرخون الفرس ويذكر منهم خواندمير أن ايدى قوت كبير رجال الشامانية عقيدة الخان قد أمر أتباعه باغتيال المسلمين حين يؤدون صلاة الجمعة لكن الله هدى أحدهم للاسلام فأبلغ منكو فأحضر ايدى قوت لوقته واستجلاه الأمر فاعترف له فأمره بالوقوف على باب المسجد عينه بحضور المسلمين ليستردوا منه اعتبارهم . وفقد روبروق آماله فى تعميد منكو الذى كان يسكر فى أحيان كثيرة فلم يسمح لنفسه باعتناق المسيحية كما كان يأمل . انظر :

(Sykes, P. 100) v (Howorth, PP. 189-191).

(خواندمير ج ٣ ص ٣٦) ، (رنسيمان فى تاريخ الحروب الصليبية ص ٥٠٩)

ومع هذا فان لمنكو تعهدات ذكرها سايكس للصليبيين خاصة مع هيثوم ملك أرمنية الذى كان يريد أساسا استعادة القدس من المسلمين ، وصرح منكو لملك أرمنية أن أخاه هولاكو قد تلقى أوامره بالاستيلاء على بغداد وتدمير الخلافة ولسوف يعيد القدس اذا تعاونت معه كل القوى المسيحية :
(Sykes, P. 100)

وبعد أن نظم منكو أموره الادارية واطمأن للأوضـاع الداخليـة لبلاده اهتم فى السنة الثانية لسلطنته بالغزو فصمم أن يفتح البلاد التى لم تفتح حتى عهده ، ولهذا أمر أخاه الأصغر هولاكو بدفع الاسـماعيلية وادخال خليفة بغداد تحت طاعته وأرسـل قوبيـلاى أخـاه الأوسـط للاستيلاء على الصـين الجنوبيـة •

توجه قوبيلاى فى (٦٥٤هـ) لفتح الصين الجنوبية ولحق به منكو فى السنة التالية وفتح الأخان قسما هاما من هذا البـلد لكن منـكو مرض بسبب عفونة هوائه ومات فى (٦٥٧هـ) وأعلن قوبيلاى نفسه خانا وجعـل مدينة (بكين) عاصمته باسم (خان باليغ) أى مقر الخـان ثم اسـتولى على جميع الصين الجنوبية والهند الصينيـة وجـاوه واليـابان وغـدا مؤسـس أسـرة مغول الصـين •

وقد عد خانا ايران المغوليان وهما أخوه هولاكو وابن أخيه أباقاخان كما سنرى نفسيهما طوال مدة سلطنة قوبيلاى قاآن مطيعيه تابعـيه ولم ينحرفا عن أمره وتبعيته قيد أنملة وقامت روابط المودة والأخوة بينهـم دوما وكان يساعد أحدهم الآخر حين تقع الحاجة ، كما حدث عندما أرسل قوبيلاى عدة فرق من الجيش لمؤازرة هولاكو فى فتحه العـراق العربى وبغداد ، وسير هولاكو بعد فتحه دار الخلافة نصف الغنائم التى اغتنمها من هذه المدينة الى خان باليغ هدية وتقدمة الى أخيه •

وقبويلاى قاآن هو أعظم سلاطين المغول ادارة للملك بوجـه عـام لأنه بعد فتح الصين عمل على ترميم ما خربته غزوات المغـول وجمـع العلماء والأدباء وأهل الحـرف والصـناعات الذين كانوا أخـلدوا الى التوارى والانزواء وحثهم على الاستمرار فى أداء أعمالهم ، وشق طرقا كثيرة وشيد منازل للقوافل فى كل نقطة ، وأقام البريـد المنظـم لعـامة البلاد ، ونهض بأمر الزراعة وأنشأ دور العجزة لرعاية أحـوال الضعفاء والمسنين • وكان فى شخصه رجلا كريم الطبع ، وكان بلاطه غالبا يقـوم

به مجالس المناظرة والمباحثة فى مذهبى البوذية والكنفوشيوشى ودينى الاسلام والمسيحية ، وقد ترجم بناء على أمره جزء من القرآن والانجيل والتوراة وتعليمات بوذا الى اللغة المغولية •

وقد ازدهرت التجارة أيضا فى عهد قوبيلاى قاآن كبير ازدهار ، وقدم فى عهده الى بلاطه الأخان المعروفان من فنيسيا أو البندقية (مافيوبولو) و (نيكوبولو) ثم ابن الأخير (ماركوبولو) الذى حاز حب القاآن ، ومكث مدة عشرين عاما من قبله محلا لمهام حكم ولايات الصين وادارة الأمور الجمركية والسفارات وغيرها ، وكان من نتيجة اطلاعه العميق على أحوال بلاد قوبيلاى أن نقل بعد عودته الى أوربا (فى عام ٦٩٥هـ) تفصيل سفره لأحد أصدقائه فجمعها ونشرها وهى تحوى معلومات نفيسة تتعلق بأحوال جميع بلاد المغول فى ذلك العصر(١) •

---

(١) يعد سايكس ماركو بولو ثالث أكبر الرحالة بعد هيرودوت وشانغ كيان (ق٢ ق.م) والثلاثة وصفوا ايران • وقد وصف بولو ايران ومنغوليا ودخل الأولى فى طريقه الى الصين قريبا من تبريز عاصمة الايلخانيين التى يصفها بأن سكانها (يعيشون على التجارة والصناعات اليدوية فهم يقومون بنسج أنواع كثيرة من مواد جميلة قيمة حريرية ومصنوعة من الخيوط الذهبية ولهذه المدينة موقع مناسب لدرجة أن البضائع تجلب هناك من الهند وبغداد وكرمسير ومناطق أخرى كثيرة وهذه تجذب تجارا ايطاليين لا سيما الجنويين ليشتروا البضائع ويقوموا بأعمال أخرى هناك) • ثم يصف بعد ذلك مدينة سابا (ساوه) فيشيد بجيادها وحمرها ويصف صناعاتها وتجارتها وزراعتها خاصة القطن والقمح والشعير والدخن والخمور فضلا عن الفاكهة • ويخطىء بولو حين يقسم ايران الى ثمانية أقاليم • ثم زار الرحالة كاشان ووصفها وصفا دقيقا ويذكر أن شيوع ذكرها سببه ملابسها المخملية والحريرية • ثم سار منها الى يزد فى الجنوب الشرقى ومنها الى كرمان التى فصل فى وصفه لها عن غيرها فيقول انها تشتهر بأعمال الابرة البديعة التى تزين الملابس الحريرية بالألوان المختلفة الجميلة فى شكل رسوم من الحيوانات والطيور والأشجار والأزهار والحيوانات والأشكال الاخرى المتنوعة • ويتابع الرحالة رحلته ووصفه لمدن ايران اذ ذاك مثل كوبنان على حافة صحراء لوط ثم تونو كان واصلها (تون وكين) ثم شجر السنار الشرقى ويذكر أن الشجر الذى ينمو بدون رى يعد مقدسا عند الايرانيين بسبب ندرة الأشجار ، وعادتهم أنه اذا تحققت رغبة الانسان فلابد أن يقرب تحتها قربانا من الخراف ويترك علامة على ذلك شريطا من الملابس يمزق ويربط على الشجرة المذكورة ، وقد =

ومن أمور عهد قوبيلاى الهامة تردد تجار المسلمين على الصين وظهور نفوذ الايرانيين فى بلاطه وانتشار اللغة الفارسية بالصين ، فقد استدعى هذا الخان حينما كان يريد فتح البلاد المحكمة فى الصين الجنوبية أشهر المهندسين من ايران والشام لصنع المنجنيقات والعرادات الحربية ، وكان يصاحبه دائما فى معسكره وبلاطه عدد من ايرانيى ما وراء النهر وخراسان ، وكان بعض هذه الجماعة ممن نقلهم المغول من ما وراء النهر وايران حينما كانوا يفتحون بلادهما لأنهم أصحاب حرفة وصناعة الى بلاد المغول ، وقد بلغ عدد هؤلاء الناس مبلغا عظيما الى درجة أنهم شيدوا فى بعض البلاد مدنا جديدة لهم على شكل أوطانهم الأولى • وكان بين أمراء قوبيلاى وعماله الاداريين فى الصين عدة من الايرانيين وقد عظم نفوذهم اذ استوزرت أسرته بعد محمود يلواج أحدهم لقب بالسيد الأجل وظل وزيرا مدة خمسة وعشرين عاما (٦٥٨ — ٦٨٣هـ) حتى أن مات • وفى عهد وزارة هذا الوزير الكفء أعد قوبيلاى قاآن النقد الورقى المعروف بـ (شاو) فى الصين ، وقد راجت هذه العملة فى كل أنحاء الصين رواجا كبيرا فى المدة التى كان بها هذا الايرانى وزيرا وتنظم بها دخل البلاد ومنصرفها •

= فصل ماركو بولو كذلك فى وصفه لقوة قوبلاى بعد فتحه الصين وامتدح مناحى تعميره لها خاصة قصره الذى بناه بعد سور الصين ، ثم وصف باطناب عاصمة قوبيلاى وهى قمبالق أو خان بالق ومكانها اليوم بكين فيرسم صورة لحصنها المستور وصروحه الثمانية ثم القصر الخاقى الذى لم يكن له فى الدنيا نظير وقد كسى حوائطه الداخلية بالذهب والفضة وسقفه أيضا . ووصف الرحالة أيضا مآدب الخان الملكية واحتفالات البلاط وصفا مستفيضا تخيل القارىء الى : (Howorth, P.P. 257-276) وكذلك : (D'ohsson, P.P. 735-7)
أما وصفه لايران فانظر للتفاصيل : (Sykes, P.P. 103-107)

الفصل الرابع

غزو هولاكو لايران وانهيار الخلافة العباسية

بعد فتح خوارزم أناب جوجى فاتح هـذا البـلد فى حكم بـلاد الخوارزمشاهيين الأصلية أحد قادة المغول ، وتأمـر هو حينمـا تمـلك أوكتاى ملك المغـول على خراسـان ومازندان •

ومن هذا الوقت حتى خمسة وثلاثين عاما كان وضع حـكم ايـران وادارته تحت الاستيلاء المغولى بنحو أن خـانات التتر كانوا يرسـلون أحدهم من أرض المغول لادارة البلاد وقيادة الجيش المقيم بها حاكمـا حكما مباشرا ، وكان هؤلاء الحكام ينهضون بادارة أمور البـلاد وصـد المهاجمين والثوار وجمع الضرائب بمعاونة عمال وكـتاب ايرانيين • وكان من جملة هؤلاء الكتاب الايرانيين بهاء الدين محمد الجوينى الذى أمـره حاكم خراسان المغولى من حدود عام (٦٣٠هـ) بادارة أمورها المالية وجمع عائداتها أو جعله باصطلاح ذلك العهد صاحب ديوانـه • وقـد اخـتار أوكتاى القاآن بهاء الدين الجوينى فى (٦٣٣هـ) فى منصب صاحب ديوان جميع البلاد المغولية ، فتعهد هذا المنصب الجليل حـتى سـنة وفاتـه (٦٥١هـ) خاصة فى أيام حكومة الأمير أرغون لايران من عام (٦٤١هـ) حتى (٦٥٤هـ) حين كان بهاء الدين الجوينى يعيش فى أوج القوة ، وحينما كان يعود أرغون الى قراقروم حيث بلاط خان المغول كان ينيب الجـوينى فى الحـكم ويكفـله فيـه •

وقد دخل ولدا بهاء الدين الجوينى وهمـا شـمس الدين محمـد وعلاء الدين عطا ملك ممدوحا الشاعر الكبير السعدى الشيرازى وكلاهما

من أكفأ رجال عصر المغول ومن المنشئين الكبار فى اللغة الفارسية ، دخلا بتدبير أبيهما فى بلاط أرغون(١) • ولما قدم هولاكو(٢) الى ايران عـــام (٦١٤هـ) ولحق أرغون بخدمته دخل خدمته أيضا شـــمس الدين محمـــد وعطـــا ملك •

---

(١) سبقت اشـــارات الى عطـــاء ملك الجوينى والى كتـــابه الهـــام (جها نكشـــا) ، وهو علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين الجوينى من المؤرخين المعروفين الايرانيين فى عهد المغول . حكم علاء الدين أربعـــة وعشرين عاما فى بغداد ، الا انه واخاه شمس الدين وقعا فريسة سعاية مجد الملك اليزدى وزير آباقا خان فسجن علاء الدين بأمر الخان وعذب ومات فى النهاية عـــام (٦٨١هـ) .

واثره الهام (جها نكشـــا) اى فاتح العـــالم لقب هولاكو أو بالأحـــرى (تاريخ جهان كشـــا) الفه عطـــا ملك عام ٦٥٨هـ) ويشمل ثلاثـــة مجلدات فى أحداث المغول حتى عام (٦٥٥هـ) . ويضم المجلد الأول عادات ورســـوم المغول القديمة وقوانينهم المعروفة بالياسا وفتوحات جنكيز وسلطنة أوكتاى وعصر نيابة توراكينا خاتون وسلطنـــة كيوك وجغتاى . أما المجلد الثـــانى فيشمل تاريخ الخوارزميين واحداثهم والملوك القراخطـــائيين والكرخانيين . والجزء أو المجلد الثالث يذكر حوادث تتويج منكو وجلوسه ووقائع سلطنته وتفصيل تحرك هولاكو الى بغداد والقضاء على الاسماعيلية . وقد ضم الى نهاية بعض نسخ الكتاب فصل فى سقوط تغداد على يد هولاكو مـــن تأليف نصر الدين الطوسى ولكنه ليس فى سائر النسخ ، قام المؤلف برحلات فى سائر بلاد المغول ورأى كثيرا مما قيده فى كتابه أو سمعه من الثقات مما يثبت قيمة كتابه . ولا يكتفى المؤلف بذكر الحادثة وانما يستقصى اسبابها وينقـــل كتب الفتوح كما هى كما يتحدث عن المذاهب والأديان ولهذا فقد اتسم الكتاب بالدقة والأصالة فوق أنه مثال للنثر المصنع المخلوط بالنظم الفارسى والعربى لكنه لم يضح بالحقيقة التاريخية فى سبيل اللفظ . وقد درس أستاذنا الدكتور السباعى محمد السباعى المجلد الأول من هذا المؤلف فى رسالته للدكتوراه عام (١٩٧٢) .

(٢) اختلف فى أصل اسم (هولاكو)فذكره عطا ملك (قره اولاك) وذكره هامر بورجشتال (قره أوغلان) ومن الصعب الحسم بين الاثنين لأن المؤلفين المسلمين كانوا يجدون مشقة فى اثبات الاسماء المغـــولية فضلا عن اهمـــال النساخ ، راجع فامبرى ح (١) ص ١٨٨ .

مع أن المغول وطأوا بسنابك خيولهم أغلب بلاد المسلمين وأدخلوا أصحابها تحت طاعتهم وتبعيتهم الا أن بعض بلاد المسلمين حتى ذاك العهد لم تدخل كما كان يقتضى الحال تحت غلبتهم وظلت بها مناطق لم يستطع المغول حتى تلك الآونة أن يتمكنوا منها •

فمن ناحية كان للفدائيين الاسماعيليين فى كل منطقة قهستان والموت والوديان الجنوبية جنوبى سلسلة جبال الألبرز قلاع محكمة كانت مستودعا لجماعة من المجاهدين المقاتلين ، وقد بلغت هذه الجماعة كما رأينا فى تاريخ السلاجقة الخوارزمشاهيين قبل قرن ونصف فى هذه المناطق قوة وقدرة وكانوا مبعث الضرر والأذى لأعدائهم على الدوام • ومن ناحية أخرى كانت الخلافة الاسمية لبنى العباس ما تزال قائمة ، ومع أن الخليفة العباسى لم يكن له قط قوة ولا اعتبار الا أنه كان يعد صاحب نفوذ روحى لأنه يعد على المسلمين الرئيس والأمير وكان بمكنته باشارة وأمر أن يحرك بعض الأمراء المطيعين له للدفاع عن الدين والحفاظ على الخلافة •

وفضلا عن الأمرين فكانت مصر والشام بيد السلاطين الأيوبيين ولم يتح للمغول الاستيلاء على هذين البلدين وكان الأيوبيون كما أشرنا سابقا فى صراع مع مسيحيى أوربا والصليبيين وجهاد مع طوائف الفرنج •

وهكذا أقدم المغول وكان لديهم علم بمبلغ حال التفكك بين المسلمين على ازالة الاسماعيلية وبنى العباس وضم آخر البلاد الاسلامية فى القسم الغربى لآسيا • وكان يؤازر المغول فى تحقيق مقصودهم ذاك رعية المغول من المسلمين الذين تأذوا شديد الأذى من ظلم الملاحدة

وجورهم وكانوا يتشوفون الى أى وسيلة لاجتثاث فسادهم ، ثم الأرامنة الذين كانوا يودون أن يستولى المغول على بغداد بسبب حقدهم الدينى على المسلمين التابعين للخلفاء العباسيين وأن يغلبوا مسلمى مصر والشام الذين يجاهدون المسيحيين الصليبيين وأن يقضوا على الاسلام .

وزحف هولاكو فى آخر عام (٦٥١هـ) الى ايران وكانت أمه (سرقويتى) مسيحية وزوجه (دوقوز خاتون) اعتنقت دين المسيح كذلك وأغلب جيشه من الطوائف المسيحية المغول أى من شعوب الكرائيت والنايمان والأويغور .

كان مركز الاسماعيلية الأساسى ولاية الطالقان والرودبار والموت وبلغ عدد قلاعهم المحكمة فى هذه المناطق الخمسين كانوا يتحكمون فيها . وكان أشهر هذه القلاع ثلاثا هى الموت وميمون دز ولنبه سر ، وعدت الأولى (الموت) بمثابة عاصمة الاسماعيليين ودار ملكهم ولم تبعد عن مدينة قزوين أكثر من ستة فراسخ .

وكان للاسماعيلية غير الموت فى ولاية قومس (السمنان والدامغان الحاليتان) وقهستان قلاع محكمة متعددة أيضا وكان يدير هذه القلاع التى بلغت مائة وخمسين حاكم يقال له (المحتشم) .

قبل الاسماعيلية فى عهد جنكيز طاعة المغول وكان جلال الدين حسن امامهم أسبق الى ذلك من كافة أمراء ايران ، وكانوا أسباب تقدم أمر المغول بطريق غير مباشر فى عهد جلال الدين المنكبرنى . لكنهم فى هذا الوقت انحرفوا عن جادة الانقياد للمغول وأهلكوا أحد قادتهم فى احدى حملاتهم على قلاعهم .

فشل المغول فى الاستيلاء على دار الخلافة أو حتى ادخال الخليفة فى طاعتهم مع حملات جرماغون وبايجو على حدود العراق وحروبهم لجيش خليفة بغداد ، بل أصيبوا بالهزيمة وكان هذا الأمر شديد الوقع على خانهم وقوادهم الى حد أن بايجو تشكى من الخليفة المستعصم بالله أمام منكو القاآن وطلب معاونته لدفع الخليفة .

لهذا صمم منكو على أن يسير جيشا لجبا الى ايران لكى يقضى على شر الملاحدة الاسماعيلية أولا ويزيل خليفة بغداد ثانيا ويفتح طريق الاستيلاء على الشام ومصر ثالثا • واختار منكو بعد مشاورة قادة المغول أخاه الأصغر هولاكو لهذه المأمورية ولم يزد هولاكو وقتها عن السادسة والثلاثين ، وأصدر أوامره بأن يتحرك معه مائة وعشرون ألفا من خلاصة جنود جنكيز وجماعة من الأمراء والعلية المغول صوب ايران فيدخل أولئك بقيادة هولاكو ما بين جيحون حتى أقصى بلاد مصر تحت أمر المغول • وتقدم هولاكو فى ربيع الأول (٦٥١هـ) من معسكر منكو الى جيحون ، وفصل من جيشه اثنى عشر ألفا وأمر عليهم أحد قادة جيشه وهو كيتوبوقا ووجهه طليعة له الى قهستان والرودبار لأنه كان بطيئا فى حركته التى أوصلته فى (٦٥٣هـ) الى مدينة سمرقند وأتى كيتوبوقا فى السنة التالية الى قهستان وأخذ فى مهاجمتها وتخريب قلاع الاسماعيلية بها وفتح بعضها ، ثم تقدم بخمسة آلاف فارس ومن المشاة مثلهم الى الدامغان وحصر احدى قلاع الاسماعيلية المحكمة التى تبعد عن الدامغان ثلاثة فراسخ وهى (كردكوه) أو (دزكنبدان) وأمر بحفر خندق حولها وترك بها كثرة من الجنود المغول وخف هو الى السيطرة على قلاع الرودبار وطارم •

وأطبق المحصورون على المغول ليلا فأهلكوا منهم نحو المائة واستظهروا بمدد من جانب علاء الدين محمد خلف جلال الدين حسن امامهم فأبدوا مقاومة شديدة لحملات المغول ، وفشل جنود كيتوبوقا فى فتح كردكوه مع أنهم أخذوا كثيرا من قلاع الاسماعيلية •

وفى (٦٥٣هـ) أصاب ركن الدين خورشاه عن طريق أحد الحجاب والده خداوند علاء الدين محمدا (٦١٨ — ٦٥٣هـ) امام اسماعيلية ايران الذى كان يصرف غالب أيامه فى الفسق والخمر وكان خلوا من كل كفاية وعقل أصابه بالمقتل واستقر فى منصبه وغدا الامام العام لملاحدة ايران والشام • وكانت محتشمية قهستان آنذاك لناصر الدين عبد الرحيم

الذى اتصف بالكرم وحب الفضل والتفلسف وطلب ترجمة كتب الحكمة من العربية الى الفارسية وكان يجلب اليه الفضلاء والحكماء •

وحينما كان كيتوبوقا مشغولا بتسخير قلاع الرودبار وقهستان وصل هولاكو الى ما وراء النهر وأقام بخارج سمرقند ، وبالغ الأمير مسعود بيك فى الاحتفاء به هناك ، وبعد أربعين يوما من الاقامة بها نقل هولاكو جيشه الى مدينة كش حيث بلغه الأمير أرغون حاكم ايران الشرقية والملك شمس الدين كرت ملك هراة وفيروزكوه وغرجستان لأداء فروض الطاعة ، فلقيا منه القبول •

وبوصول هولاكو طوس أرسل شمس الدين كرت الى ناصر الدين محتشم قهستان يدعوه الى طاعته ، وكان ناصر الدين وقتذاك طاعنا فى السن أخذ منه الضعف فاستصحب شمس الدين الى هولاكو وسلم اليه فلقى منه الاحترام أيضا وبعثه حاكما الى مدينة (تون) • وقد صنف نصير الدين الطوسى كتابه المعروف (أخلاق ناصرى)(١) باسم ناصر الدين المحتشم هذا •

---

(١) هو أبو جعفر نصر الدين محمد بن محمد بن حسن ابى بكر من كبار العلماء والساسة فى القرن السابع درس كتب ابن سينا وفرغ من العلوم فى الرابعة والعشرين ثم لحق بعلاء الدين الاسماعيلى وقد شجع نصر الدين هولاكو على اسقاط الخلافة العباسية وتسخير بغداد كما يقول الفرس انفسهم . وبعد أن تحقق ما أراد صرف همته لتأسيس مرصد مراغة بأمر هولاكو ، وظل مقربا الى هولاكو وأباقا حتى موته ببغداد (٦٧٢هـ) وللطوسى مؤلفات كثيرة فى علوم الرياضة المنطق والنجوم والطب والأخلاق وترجمت آثاره الى اللغات المختلفة واستفاد منها الأوربيون ، وينسب اليه مائة وثلاثة كتاب ورسالة ومقاله فى الفنون المختلفة ، منها تحرير اقليدس (فى الهندسة) وتحرير المجسطى (فى الهيئة) والتذكرة النصيرية (فى الهيئة أيضا) وشرح اشارات أبو على (ابن سينا) وتجريد العقائد (فى الكلام) وقوانين الطب ، وحل مشكلات قانون ابو على و (ثلاثون فصلا فى النجوم) . وله فضلا عن المؤلفات العربية مؤلفات عدة بالفارسية منها معيار الأشعار فى العروض واخلاق ناصرى وأساس الاقتباس وأوصاف الأشراف . وكان الطوسى يتحرى الحقائق العلمية التى اقتبسها من الفلاسفة اليونان لكن الناحية الأدبية لم تكن فداء للجانب العلمى وان جنح المؤلف الى البساطة والايجاز .

=

الاستيلاء على الموت وانتهاء الاسماعيلية فى (٦٥٤هـ) : —

ووافى كيتوبوقا هولاكو فى طوس وعرض عليه أوضاع قلاع الاسماعيلية وركن الدين خورشاه فأخذ هولاكو على عاتق نفسه أن يسخر بقية أوكار الفدائيين ويطوى بساطهم فتحرك الى خرقان وبسطام بهذا العزم وأرسل من قبله مبعوثين الى خورشاه يدعوانه للتسليم ويخوفانه قوته وشوكته ، فقبل خورشاه بمشورة نصير الدين الطوسى وكان حاضرا فى هذا الوقت فى قلعة ميمون دز طاعة هولاكو وأنفد أخاه مع رسول اليه واستمهله عاما للتسليم • ولما علم هولاكو أن خورشاه يسلك مسلك المخاتلة والمخادعة حاصر قلاعه من جهات ثلاث واستولى فى أواخر رمضان (٦٥٤هـ) على المعابر الخطرة بين الرودبار والطالقان وحصر قلعة ميمون دز التى بلغ محيطها ستة فراسخ لكنه سرعان ما أدرك أن تسخير هذه القلعة المحكمة ليس أمرا سهلا خاصة وأن الشتاء على الأبواب وليست تهيأة المؤونة أمرا يسيرا أيضا ، فأعاد هولاكو نداءه لخورشاه بالطاعة • ولما رأى خورشاه أنه لن يمكنه المقاومة ثانية نزل فى غرة ذى القعدة (٦٥٤هـ) من القلعة وقبل أرض الطاعة أمام هولاكو وبهذا انتهت فترة استيلاء الاسماعيليين المقتدر الذى بلغ مائة وسبعا وسبعين سنة •

وعامل هولاكو خورشاه معاملة الاحترام وأمر بتخريب قلعة ميمون دز ونحو مائة قلعة أخرى من قلاع الاسماعيلية كانت فى حواليها وفى قهستان واستمرت قلاع ثلاث تقاوم وهى كردكوه ولنبه سر والموت • وفى النهاية استسلمت كردكوه بعد عشرين يوما وثبتت لنبه سر عاما بأكمله

=

وكان الطوسى يقرض الشعر بالعربية والفارسية واورد بعض الموضوعات العلمية نظما . أما كتاب الطوسى (أخلاق ناصرى) فهو فى الأخلاق النظرية التى سبق اليها فلاسفة اليونان الفه نحو عام (٦٣٣هـ) وقد استفاد فى القسم الأول منه من كتاب أخلاق ابن مسكويه المسمى طهارة الأعراق وفى القسم الثانى أفاد من كتاب ابن سينا (تدبير المنازل) وفى القسم الثالث اقتبس من كتب الفارابى •

لكن وباء تفشى فى أهلها فلم يتحمل حراسها الثبات واضطروا الى قبـول الطاعة وفتح أبواب القلعة ودخلت قلعة الموت أيضا بعد ثبات ثلاثة أيام فى تصرف هولاكو وكانت هذه آخر قلعة ومعقل للفدائيين الاسماعيلية تقع فى قبضة المغول .

ودخل المغول الوكر الأصلى للحسن بن الصـباح فحطموا أسلحتـه ومنجنيقاته ونهبوا أمواله وخزائنه خاصة المكتبة البـالغة النفاسـة التى أسسها الاسماعيلية فى طى السـنين المتمادية وطـوى صوت شهرتهـا وأهميتها الأطراف والأكناف وأمر هولاكو باحراقها ، فاستجازه عطا ملك الجوينى الذى رافقه فى هذا السفر أن يطالع كتبها فيفصل المفيد منهـا ويحرق المتعلق منها بأصول المذهب الاسماعيلى وفروعه فأذن لـه .

وبعد أن مكث خورشاه بضعة أيام فى جيش هولاكو وتعزز بزواجه احدى أميرات المغول عن طريقه ، ذهب بناء على رغبته هو الى بلاط منكو لكن منكو لم يقبله فى خدمته فأعاده عنه ليضع قلعة كردكوه تحت اختيار هولاكو نظرا لأن أهلها لم يستسلموا للمغول تماما وليدخل أتباعه العاصين طاعتهم . وقفل خورشاه راجعا الى ايران لكن مرافقيه المغـول اغتالوه على ضفاف جيحون فى (٦٥٥هـ) .

فتح بغداد وانهيار الخلافة العباسية
(٦٥٥ ـ ٦٥٦هـ)

خلافة المستعصم بالله (٦٤٠ ـ ٦١٦هـ) :

تولى أبو أحمد عبد الله الملقب بالمستعصم بالله الخـلافة العباسية من عام (٦٤٠هـ) وهو آخر خليفة عباسى والخليفة السـابع والثلاثون وكان دينا خيرا هادىء الطبع عفيفا طيب السيرة محبا للعـلم حسن الخط لكنه خائر العزم واهن الرأى يجهل أمور السياسة والادارة يمضى أكثـر وقته فى سماع الأغانى والمطربات والملهين أو فى مكتبته الخاصة دونمـا

الاستفادة الحقة • ومع أن المغول كانوا خلف أبــواب بغداد فقــد كان يراسل سلاطين الأطراف يطلب منهم المغنين والمطربين بدلا من أن يتدبر أمره ازاءهم وكان يأمن الوضعاء فى أعظم مناصب بلاطه وديوانه ورئاسته وحكومته • وكان رجال بلاطه قاطبــة من الأراذل ومستولين تمــاما عليه كامل الاستيلاء بغــير كفاءة ضعــافا مغرضين حاشــا وزيره مؤيد الدين محمد بن العلقمى(١) ، يميلون بالخليفة العــاجز حيثمــا أرادوا ويهيئون أسباب ضعف الأمور ، لم يخطر ببالهم طوال الخمسة عشر عامــا ما بين بداية خلافة المستعصم حتى وصول هولاكو بغداد التفكير فى الخلاص ولم يعتبروا بما حدث لأهل خوارزم وما وراء النهر وخراسان(٢) •

وفى عهد خلافة المستعصم أتى المغــول مرارا الى العــراق لكنهم فشلوا فى الاستيلاء على بغداد حتى عام (٦٥٦هـ) وأول عهد قدومهــم بغداد فى عصر هذا الخليفة كان أوائل عام (٦٤٣هـ)(٣) •

---

(١) ليس من مغرض غير المؤلف اقبال فى مقالته هذه التى يأفك فيهــا كما سوف يتضح بقوله أن العلقمى هــو المخلص الكفء والصحيح غير ذلك تمامــا •

(٢) يصف وصاف الخضرة فضل الله بن عبد الله الشيرازى فى كتابه تاريخ وصاف فى دولة المغول (مجلد أول مخطوط ، باهتمام وســعى الحاج خواجة ابراهيم غير واضح تاريخه) وهو مؤرخ معروف للمغول والايلخانيين وعاش بين الآخــيرين وتوفى (٧٣٠هـ) ، يصف الخليفة المستعصم بقولــه : (يمتاز من بين خلفاء دولة بنى العباس بخفض العيش والنعمة والرفاهيــة وكثرة الأموال والنفائس والذخائر والأعلاق والجواهر كمــا اشتهر بالقــوة والعظمة والخيلاء والتكبر) كتابه السابق ص ٥٧ المجلد الأول •

(٣) لم ينس هولاكو قبل فتحه الموت الاتصال بالخليفة العباسى طالبا امداده بجيش يساعده فى فتح بلاد الملاحدة وكذلك أرسل الى حكام آسيا الغربية وقال : (أتينا للقضاء على الملاحدة واذا قدمتم بقواتكم فســتنقذون بلادكم وأسراكم وستكافئون على ذلك ولو ترددتم فسوف أعود اليكم بعد أن أحطم هؤلاء الناس بعون الله وسأعاملكم بنفس الطريقة) ومن المعروف أن طلب العون من الخليفة المستعصم كان حجــة يتوارى خلفهــا اذا رفض الخليفة حتى يتسنى له الهجوم عليه ، وهذا ما حدث فعلا اذ شاور الخليفة اتباعه فى هذا الشأن فحذروه من الاقدام على هذا العمل وادخلوا فى روعــه أن هولاكو يريد بهذه الوسيلة أن تخلو بغداد مــن الجيوش فيسهــل عليه الاستيلاء عليها فامتنع الخليفة عن ارسال المدد انظر : (تاريخ وصاف مجلد أول ص ٦٢ ــ ٣ ــ Howorth, P. 193)

أمر الخليفة أن يتأهب عساكر بغداد للحرب خارج دار الخلافة على سبيل الحيطة وأن يمنعوا العدو اذا ظهر ، وأخذ المغول يهاجمون متعجلين بغداد ظنا منهم قلة عساكر الخليفة فأنفذ الخليفة لمقابلتهم شرف الدين اقبال الشرابى أحد قادته •

وفى السابع عشر من ربيع الآخر من عام (٦٤٣هـ) بلغ المغول أطراف بغداد فدخل جيش الخليفة بقيادة شرف الدين اقبال الشرابى وبعون الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد بن العلقمى فى جهاد معهم ، وهرب المغول تحت جنح الظلام لما لم يأنسوا فى أنفسهم طاقة المقاومة وصينت بغداد وقتها من شرهم •

لم يتفق اتفاق بين رجال بلاط الخليفة وقادة جيشه ولم يبد بينهم اتحاد وكان كل منهم يسعى لتحطيم الآخر ، وفوق ذلك اشتد النزاع المذهبى بين أهل بغداد حتى احتدم القتال بين الشيعة والسنة فى (٦٥٠هـ) ونهب ابن الخليفة الكبير محلة الشيعة ومشهد الامام موسى الكاظم فنفر لحركته هذه عامة الشيعة ببغداد من بنى العباس وأضمر مؤيد الدين بن العلقمى وكان من الشيعة لهذه الواقعة البغضاء والاحنة(٤) •

---

(٤) كانت الفتن بين السنة والشيعة امرا عاديا بين سكان بغداد والكرخ تقوم بين السوقة ثم يصطلح الطرفان ومن يقرأ حوادث الكامل لابن الأثير يلحظ ان هذه الفتن بدات تأخذ طابعها المذهبى بفضل ايقاع البويهيين بين الطرفين يبغون بذلك ايذاء السنة والخلافة كما حدث عام (٣٦١هـ) (الكامل ٨/٢٤٣ ــ ٤) وكان البويهيون يقومون بحرق الكرخ حيث يتجمع التجار الشيعة الأغنياء ثم يلصقون التهم بالسنة (الكامل ٨/٢٤٨) . واستمر البويهيون والأتراك واعداء الخلافة يتذرعون بمساندة السنة والشيعة ظاهرا ويوقعون بينهم ابتغاء المصلحة فلم يكد يمر عام حتى يقيمون الفتن (للتفصيل الكامل ٩/٧٠ ــ ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ــ ٦ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ــ ٥ ، ١٨٠ ــ ٣) . واستمرت حوادث الكرخ أيضا أيام السلاجقة الذين كانوا ينصرون الشيعة لغناهم مرة والسنة حسب مصلحتهم ثانية (الكامل ١٠/٤٤ ، ٥٩ ، ٦٤ ــ ٥) وكان الشيعة يتخلون عن تعصبهم ويلزمون الجماعة بل كانوا ينصرون السنة على اتباع الخليفة (الكامل ١٠/٦٧ ــ ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ــ ٣ ، ٩٩) . فحين يتذرع ابن العلقمى بمثل

=

وبينما كانت بغداد على حالها هذا أتى هـولاكو من العـراق الى همدان بجيش عظيم وكان برفقته فى سفرته هذه بدر الدين لؤلؤ (٦١٦ — ٦٥٧هـ) صـاحب الموصـل والأتابك أبو بكر بن سـعد أتابك فارس ونصير الدين الطوسى وعطا ملك الجوينى ٠

ودفع هولاكو من همدان فى العاشر من رمضان (٦٥٥هـ) سفراء الى الخليفة يطلبون منه قبول طاعته وأن يأتى بشخصه يقدم له الولاء واذا لم يتيسر الأمر يرسل له بقائد جيشه وابن العـلقمى ومنشئه لتسـليم رسائله اليه ٠ فأرسل الخليفة رسولين الى همدان وخوفا هولاكو سطوته وأمره بالرجوع الى خراسان ، فغضب هولاكو لهـذا الاقدام السفيه ، ولما أن أهل بغداد كانوا عاملوا سفراءه معاملة قبيحة فقد أرجـع سفراء الخليفة وأعاد نصيحته بقبول حكم المغول(٥) ٠

وبعد عودة سفراء الخليفة لجـأ الخليفة بتسيير الهـدايا الى هولاكو وبين له ضمن رسالة له سوء عاقبة من ثاروا على بنى العباس وصـور وخاتمة نهاية يعقوب بن الليث الصفارى وأخيه والسلطان محمد السلجوقى والسلطان محمد خوارزم شاه ظنا منه أن هذا التهديد سوف يصيب القائد

= هذه الحادثة العادية للاتصال بهولاكو وخيانة المسـلمين جميعا من السـنة والشيعة وما أدت اليه من قتل وسفك وتخريب فلن يكون الأمر هو مجـرد النقمة من ابن الخليفة وحسب وانما بغض هـذا الوزير للمسـلمين وايثاره مصلحته الخاصة على حساب دمائهم وشرفهم خاصة وان هـولاكو لم يتـرك شيعيا ولم يلحظ اهل التشيع بل أفنى الجميع . يحكى وصاف الحضرة (تاريخ وصاف ص ٦٠ — ٦١) أن ابن العلقمى اثنى الخليفة عن هربه لما حوصر بحجة أنه يمهد طريق الصلح مع هولاكو وارسل الخليفة ابنه أبا بكر الى المغول ليعجم عودهم فرأى حفاوة من هولاكو بناء على اتفاق بينه وبين ابن العلقمى فطمأن الخليفة فخرج اليه ومعه الف ومائتان من العلية كان مصيرهم جميعا القتل . انظر أيضا : (مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضـل الله . دكتور فـؤاد الصياد (مصر / ١٩٦٧) ص ٣٧) .

(٥) ذكر أن هولاكو حين أعاد الرسـل الى الخليفة كتب يتهـدده قائلا (اننى متوجه الى بغداد بجيوش كالنمل والجـراد) : مؤرخ المغول الكبـير ص (٣٤) ٠

المغولى بالرعب فيقلبه من نصف الطريق فى حين أن هذه الرسائل قد زادت هولاكو غضبا على غضب وغيظا فوق غيظ وعزما عن ذى قبل على التحرك الى بغداد(٦) •

فتح بغـداد :

وفى تحرك هولاكو شطر بغداد جعل أولا مـن العشائر والأمـراء الساكنين على الحدود الجبلية للعراق بمنحهم الأموال والحـكم حلفاء له ثم وجه بضعة نفر من أمراء المغول بقيادة سونجاق نويان أو سوغنجاق نويان عن طريق بلاد الأكراد الحالية وكيتو بوقا وعدة قواد آخرين عـن طريق لرستان وخوزستان صوب بغداد وقصد هو نفسه هـذه المدينة فى أوائل ذى الحجة عام (٦٥٥هـ) عن طريق كرمانشاه وحلوان(١) •

وعاود هولاكو مراسلة المستعصم من أسد آباد وهمدان وطلب اليه الحضور اليه ، فأرسل الخليفة اليه شرف الدين بن الجوزى وجدد وعده ووعيده السابقين وطلب من هولاكو أن يعود مـن طريقه ويفـرق جنده ويرسل الخليفة اليه المال الذى قرره كل سنة • فرفض هـولاكو هـذا الطلب الذى يفوح منه النفاق وتجاوز كرمانشاه ودخل العراق •

وحينما اقترب هولاكو الى دار الخلافة بلغ سونجاق وبايجو حدود

---

(٦) قبل ان يقدم هولاكو على غزو بغداد استشـار كبار دولته فيمـا يتعلق بأحكام النجوم وطوالع السعد والنحس فطمأنه نصـير الدين الطوسى بانه لا توجد موانـع تحول دون اقدامه على الغزو (تاريخ وصـاف جلد أول ص ٥٨) •

(١) أصدر هولاكو أوامره بأن تتحـرك جيوش جرماغون وبايجو مـن اطراف بلاد الروم عن طريق اربل والموصل متجهه نحو بغداد لتحاصرها من الجهة الغربية وتنتظر حتى تصل اليهم جيوش هولاكو من الناحية الشرقية . اما كيتوبوقا احسن قواد هولاكو فقد اتجه بالجـناح الأيسر الى العاصمـة العباسية عن طريق لورستان وخوزستان كما أنفذ اليها بعض أمراء المغـول بصحبة سونجاق نويان عن طريق كردستان الحـالية . (الصـياد : مؤرخ المغول الكبير ص ٣٥) •

العراق أيضا وعبروا دجلة بعـد هزيمة طـلائع جيش الخليفة وفتـح كيتوبوقا أيضا لرستان ودخل العراق من ناحية الجنوب ، وحاصر القواد الثلاثة دار الخلافة من أواسط المحرم من (٦٥٦هـ) وأخذوا يرمونها مـن أطرافها بالحجارة وقذائف النار والنفط .

وفى يوم الأحد الرابع من صفر من عام (٦٥٦هـ) خرج المستعصم بأولاده الثلاثة وثلاثة آلاف من السادات الأئمة والقضـاة وأكابر بغداد وأعيانها عن المدينة وبلغوا معسكر هولاكـو ، وبدأ القائد المغـولى بلين الحديث اليه وأمره أن يمنع بقية أهل بغـداد مـن استعمال الأسلحـة ومجاهدة التتر ، ففعل الخليفة ما أمره وكف الناس عن الجهاد ، وأخرجهم هولاكو عن بغداد بحجة احصائهم ثم قتلهم عن بكرة أبيهم وأصدر أوامره بالغارة على المدينة من الرابع من صفر ثم دخلها فى التاسع منه وأعطـاه المستعصم بيده مفاتـح خزائن الخمسمائة عام لأجـداده وأظهـر له كنوزه(٢) .

وفى هجوم المغول على بغداد أغلب أبنيتها وعمائرها من قبيل مقابر الخلفاء ومشهد الامام موسى الكاظم وقتل خلق كثير ، وفى النهاية أمـر هولاكو بعد أسبوع بالكف عن القتل والغارة عليها ثم خرج عنها لفساد هوائها فى الرابع والعشرين من صفر وطلب المستعصم اليه وأورده مـع ابنه الأكبر أبى بكر مورد التهلكة فى نفس اليوم(٣) ، وألحق بهمـا ابنه

---

(٢) أقعد هولاكو المستعصم أمام مقعد مغطى بالحجـارة الثمينة وامره ان ياكل فقال (لا يمكننى ان آكل الذهب) فقال هولاكو (ولماذا احتفظت به بدلا من ان توزعه على جنودك ؟ لماذا لم تحول هـذه البوابات الحـديدية سهاما وتقدمت حتى ضفاف نهر جيحون لتحـول دون تقدمى) ؟ فقال (انهـا ارادة الله) فقال هولاكو (وما سيحدث لك هو أيضا ارادة الله) .
(Howorth, P. 201)
وتركه يتضـور جوعـا أمام الأطبـاق الملأى ذهبا واحجـارا ثمينـة (D'ohsson, P. 243) ويقول وصاف ان هولاكو لما وجه هـذه الأسئلة الى الخليفة لزم الصمت ولم ينبس ببنت شفة (تاريخ وصاف ص ٨٢) .

(٣) قتل الخليفة بطريقة اختلفت حولها المراجع والمرجـح انهم لفوه فى بساط وانهـالوا عليه ضربا بالعصى والدبابيس حتى مات دون اراقة دمـه لأن المغول كانوا يحرمون اراقة الدم الملكى ويعدون ذلك من اكبر الكبائر .

الأوسط بعد أيام عدة وقتل كل من وجد من بنى العباس الا ابن الخليفة الأصغر مباركشاه الذى وهبه هولاكو لزوجته فتركته الى نصير الدين وزوجوه بامرأة مغولية وهكذا سقطت دولة العباسيين التى عمرت خمسا وعشرين وخمسمائة سنة وزالت الخلافة نهائيا وذكر أن عدد قتلى بغداد بلغ نحو ثمانمائة ألف(٤) •

وبعد قتل الخليفة أرسل هولاكو ابن العلقى الى بغداد وزيرا له بها (١) وعين شحنة مغوليا لها أيضا وعمل هذان على تعمير المدينة وترميم خرائبها وتكفين القتلى ودفنهم وعاد هولاكو الى خانقين بعد قليل لكن قواده أطبقوا على الحلة والكوفة والنجف وقتل المغول من اهل واسط نحو أربعين ألفا لما أبدوا المقاومة واستولوا على بلدهم وعادوا أدراجهم الى شوشتر وبلاد خوزستان الأخرى •

موت هولاكو فى (٦٦٣ هـ) •

وبعد الاستيلاء على بغداد أتى هولاكو بالغنائم التى اغتنمها من

---

(٤) استباح المغول بغداد اربعين يوما (كان كل يوم منها عبوسا قمطريرا وشره مستطيرا) كما يذكر وصاف (تاريخ وصاف ص ٨١) وقتلوا اكثر من ثمانمائة الف شخص بقول هورث (Howorth, P. 201) ووصاف ولم ينج من مذابحهم حتى الطفل الرضيع ووجد المسيحيون الشرقيون فى هذه الأيام الرهيبة فرصة طيبة للتشفى من المسلمين فقد اشتركت نسبة كبيرة من النساطرة والأرمن فى جيش هولاكو وكانوا لا يقلون عنفا عن المغول أنفسهم (Howorth, P.P. 200-201) ولم يسلم من بغداد غير الارقاء والجالية المسيحية التى لجأت الى الكنائس تبعا لتعاليم البطريرق النسطورى ولم يمس المغول هذه الكنائس وذلك بسبب نفوذ اكبر زوجات هولاكو دوقوز خاتون التى كانت مسيحية نسورية ولم تخف كرهها للاسلام وحرصها على مساندة المسيحيين على اختلاف مذاهبهم . وابتهج المسيحيون والصليبيون وهللوا لهولاكو وطوقوز واعتبروهما قسطنطين وهيلينا وانهما ليسا الا أدوات الله للانتقام من اعداء المسيح : (رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية ص ٥٢١ — (Howorth, P. 200

(١) مكافاة له على خيانته للمستعصم وللمسلمين ، فقد كان على مكاتبة خفية بالمغول قبل قدومهم الى العراق ، كما سبق •

تهب بغداد والبلاد الأخرى الى آذربايجان فكنز جزءا فى احدى الجزائر الداخلية لبحيرة كبودان (أورمية) (١) فى قصر عال كان شيده بها وأرسل جزءا ثانيا لأخيه منكو ثم آثر مدينة مراغة عاصمة له وأمـر نصير الدين الطوسى أن يبنى له بها مرصدا ويعمل زيجا فقام فى (٦٥٧ هـ) بهذا الأمر بعون عدد من علماء العصر وأنفق خمسة عشر عاما من عمـره فى هـذا العمل ونشر محصلة الملاحظات الفلكية لهذه المدة التى توصل اليهـا من مرصد مراغـة فى كتاب عنوانه « الزيج الايلخانى » بعد هلاك هولاكـو (٦٦٣ هـ) بفترة قليلة .

ومن الوقائع الهامة فى أيام هولاكو بعد فتح بغداد غزواته بالجزيرة والشام التى بدأت من نفس عام الاستيلاء على دار الخلافة وكان نتيجتها فتحه الجزيرة وحلب ودمشق فى سنتى (٦٥٧ و ٦٥٨ هـ) ومـع أن فكرة فتح مصر لم تبرح مخيلته غير أنه بارح الشام اثر سماعه خبر موت منكو القاآن وقنع بطلب طاعة مصر له .

وقتل المصريون رسل هولاكو وفى رمضان (٦٥٨هـ) فى عين جالوت فى فلسطين غلبوا قائد هولاكو المشهور كيتو بوقا وقتلوا جميع جنوده ، ولهذا الفتح العظيم الذى أوقع بشوكة هولاكو الوهن الكبير أهميـة كبرى فى التاريخ لان طريق مصر وبلاد افريقيا الاسلامية وجزيرة العرب من هذا التارخ انسد أمام المغـول فلم يصلوا الى نتيجة بعـدها برغم سعيهم الحثيث لنيـل هذا المقصـود (٢) .

---

(١) هى الآن بحيرة الرضائية وتدخل حدود ايران .

(٢) لا شك أن هذا النصر الاسلامى الكبير كمـا يذكر نسـيمان فى تاريخ الحروب الصليبية (ص ٥٣٧) قد أنقذ المسـلمين من أخطـر تهـديد تعرضوا له فلو أن المغول توغلوا الى داخل مصر لانطوى العالم الاسـلامى كله تحت سيطرتهم وفعلوا ببقيته مثلما فعلوا بالعراق والشام ولمرت البلدان العربية بالشرق الادنى فى دور مظلم تحت حكم المغول مما كان من الثابت ان يترك فى تاريخها اثرا خطيرا بعيد المدى ، وانقذت بلاد الشام من المغـول وبعد ذلك من الصليتيين ، ولو انتصر كيتوبوقا المسيحى لازداد عطف المغـول

وكان هولاكو فى هذا الوقت فى بلاد المغول وصار لسماعة خبر قتل كيتو أسيفا غضوبا بدرجة كبيرة وهم بالانتقام لكنه أجبر على التوجـه لقتال بركاى ولد جوجى وأخى باتـو ملك القيجاق لتعريجه الى ايران فغلبه على كثب من سد جبال القفقاز وأنفد ابنه أباقـا الى صـحراء القبجاق ، فالحق بركاى الهزيمة بأباقا فى (٦٦١هـ) فى شمال القفقـاز فأجبر هولاكو على المكث بآذربايجان ليستدرك بركاى وانهـزم أباقا ، لكنه هلك قبل تنفيذ هذا القصد فى التاسع عشر من ربيع الأول (٦٦٣هـ) على ضفاف نهر جيغاتو توفى آذربايجان وما يزد عن الثامنة والأربعين ودفن بالقرب من دهخوارقان .

حينما كان هولاكو منشغلا بالاعداد الى مهاجمة القبجاق بلغه خبر جلوس قوبيلاى على عرش المغول خلفا لمنكوقا آن وتفويضه حكم البلاد الواقعة بين ضفاف جيحون ومصر من قبله ، فقسم هولاكو حكم هـذه البلاد بين ابنائه وامرائه ومن بين ذلك اعطاؤه ابنه الأكبر أباقا أو أبقـا حكم العراق وخراسان ومازندران والأمير انكيانو ممدوح الشيخ السعدى فارس ومعين الدين بروانة بلاد الروم وابنه الأصغر أران وآذربايجان وأحد أمرائه الجزيرة .

ترك هولاكو حكومة بغداد من (٦٥٧هـ) فى عهدة شمس الدين محمد الجوينى ، وفى حين تحركه لحرب بركاى تغير على وزيره السـابق فقتله

على المسيحيين ولاصبح للأخيرين السلطة لأول مرة منذ سيادة النحـل الكبيرة فى العصر السابق على الاسلام . وقد جعلت معـركة عـين جـالوت سـلطة المماليك بمصر القوة الاساسية فى الشرق الادنى فى القـرنين التاليـين الى ان قامت الامبراطورية العثمانية التى اتمت تقويض المسيحيين الوطنيين فى آسيا ، فما حدث من ازدياد قوة العنصر الاسلامى واضعاف العنصر المسـيحى الذى زاد قسوة على المسلمين بالشام بالتحالف مع المغول لم يلبث ان اغوى المغول الذين بقوا فى غرب آسيا على اعتناق الاسلام ، وعجلت هذه المعـركة بزوال الامارات الصليبية لان المسلمين المظفرين حسبما تنبأ مقدم طـائفة الفرسـان التيوتون اضحوا حريصين على ان يتخلصوا نهائيا من اعداء الدين .

واختار شمس الـدين وزيرا لـه بلقب (صاحب ديون) وأناب أخـاه علاء الدين عطا ملك فى بغداد •

وهولاكو أحد خوانين المغول المحبين للتعمير شيد فى مراغة وبحـيرة أورمية ونهر جغاتو وجبل آلاتاغ عمائر ، ومال الى الحـكمة والنجـوم والكيمياء فقد أنفق أموالا مما احتازه من الاغارة على بلاد المسلمين على مباحث الكيمياء • واعتنق هولاكو البوذية وبنى معابد الأصنام فى خوى لكنه زوجته المسيحية كانت ذات سيطرة تامة عليه وتدفـع به الى مراعاة المسيحيين فأدى لهم خدمات هامة وكان قائده المعروف كيتوبوقا مسيحيا كذلك •

ولما لم يكن فى ايران من يتبع مذهب بوذا اهتم هولاكو بأحـوال المسيحيين وكانوا كثرة فى آذربايجان وأرمنية على أثر نفوذ زوجـه وأمرائه فأنشأت الكنائس فى كل مكان • وكان الأرامنة ومسيحيوا ايران غيرهم يعتبرون هولاكو وزوجته منقذين مسـاعدين لهم ولم يرضوا قط باستيلاء المسلمين ، خاصة من كان يسعى منهم كما سـبق القـول الى استغلال قوة المغول لنفـع أهـدافهم الدينيـة ويمدون المسـيحيين الصرييين الذين كانوا فى قتال مع المسلمين بالشام ومصر ويحاولـون القضاء على الاسلام تماما فى آسيا وافريقيا (١) •

---

(١) يذكر المـؤرخ الأرمنى (هيتون) ان خطة الحملة المغوليـة على الشام قد تقررت بعد لقاء تم بين هولاكو وتابعه الأرمنى هيثوم ملك أرمينـة وبوهيمند السادس أمير أنطاكية الصليبى ، وكان الخـان قد طلب الى هيثوم أن يسير بجيشه الى الرها بحجة تخليص الارض المقدسة من المسلمين وردها الى المسيحيين فجمع الملك الأرمنى جيوشه وانضم الى هولاكو وتقدم البطريرق الأرمنى ليمنح البركة للخان واتخذت حملة هولاكو الأرمنية المغـولية سمات الصليبية ذلك لان هيثوم كان فى علاقته للمغول لا يتحدث عن نفسه فقط وانما كان يتحدث كذلك عن صهـره الصليبى بوهيمند . لكن هـولاكو لم يقتصر فى تحالفه مـع هيثوم بل أراد التحالف مـع كل الصليبيين اذ ارسل رسـالة الى الصليبيين فى غرب آسيا جاء فيها : (لدينا اعـداد كبيرة مـن المسيحيين بين عشائرنا وقد جئنا بقوتنا وسلطاننا معلنين ضرورة تحرير جميـع المسيحـيين =

وكان هجوم المغول على الشام ومصر لتحقيق هذا المقصود خاصة وأن كيتو بوقا بعد الاستيلاء على دمشق شرع فى تبديل مساجدها الى كنائس ، واذا لم يكن المصريون انتصروا فى عين جالوت لاستولى المغول على آخر بلاد المسلمين أى فلسين وأفريقيا الشمالية أيضا ولأصبح مع ضغوط الصليبيين فى هذه الآونة لاقتلاع شأفة المسلمين أمرا مشـكلا للاسلام أن ينجو ويحافظ على وجوده بين هذين الغريمين المتعصـبين الحاقدين .

=

من العبودية ومن الضرائب التى فرضهـا عليهم المسلمون ومعلنـين ضرورة معاملة المسيحـيين معاملة تليق بهم فلا يعتدى عليهم ولا على تجارتهم ونحـن نصرح بأننا سنعيد بناء جميع الكنـائس التى خربها المسـلمون ..) . وقـد أنزلت الحملة المغولية المسيحية بالمسلمين بميافارقين وحلب الفظائع والمذابح وأحرقت المساجد بحلب واستسلمت دمشق للمهاجمين وسنحت للمسـيحيين الفرصـة للتشفى والانتقـام من المسلمين ، يقـول المقريزى فى السـلوك :
(واستطال النصارى بدمشق على المسـلمين وأحضروا فرمانا من هـولاكو بالاعتناء بأمرهم واقامة دينهم وقالوا جهرا : ظهر الدين الصحيح دين المسيح. وشكوا أمرهم لنائب هولاكو (كيتو بوقا) فأهانهم وضرب بعضهم وعظم قـدر قسوس النصارى ونزل الى كنائسهم وأقام شعائرهم وجمـع الزين الحافظى (وزير تورانشاه صاحب حلب) من النـاس اموالا جزيلة واشترى بهـا ثيابا وقدمها لكيتوبوقا نائب هولاكو ولبيدرا وسائر الأمـراء المتقدمين من المغـول وواصل حمل الضيافات اليهم فى كل يوم) للتفاصيل انظـر : تاريخ وصـاف جلد أول ص (١٠١) ـ رنسـيمان ، تاريخ الحـروب الصليبية ص ٥٢٦ ، حبيب السير لخواندمير ص ٥٦ جزء اول ـ جلدسوم ـ حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول (مصر / ١٩٤٩) ص ٢٣٨ ـ المغول فى التاريخ للصـياد ص ١٩٣ ـ ١٩٦ ـ المقريزى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الأول القسم الثانى نشر محمد مصطفى زيادة (مصر / ١٩٣٦) ص ٤٢٥ ـ
Howorth, P. 209/

الفصل الخامس

سلاطين مغول ايران أو الايلخانيون

(٦٦٣ ــ ٧٥٦ هـ)

بعد وفاة هولاكو نصبت زوجاته المسيحية ابنه ابقــا أو أباقا الذى كان يحكم آنذاك خرسان ومازندان خلفا لأبيه وأنفدت رسولا عاجــلا لأباقا فى أران حيث كان يمضى شتاءه واستدعته الى معسكر المغــول فى جغاتو ورقى أباقا فى الثالث من رمضان (٦٦٣هـ) عرش هولاكو رسما ٠

ويقال لأباقا وأخلاف هولاكو غيره الذين حكموا من تاريخ موت الأخير حتى انهيار أسرتهم فى ايران سلسلة ســـلاطين المغـــول أو الايلخانيين ، وتعد أسرتهم مستقلة لقلة علاقاتها مع خانات بلاد المغول ولأنها لم تحكم بأحكام بلاط قراقروم ، وأخذ نفوذ المغول وحكم خاناتهم الأصــليين فى بلاد المغول الأولى يخبــو من عهد جلوس أباقا فصــاعدا تدريجيا ويسلك أعقاب هولاكو مسلك سلاطين ايران ورسومهــم حتى عدوا فى الحقيقة طبقة من ملوك هذا البلد ٠

سلطنة أباقا خان

(٦٦٣ ــ ٦٨٠ هـ)

بعد أن جلس أباقا خان على عرش ايلخانية ايران آثر أخاه الصغير لحكم دربند وشروان وصحراء موغان آلاتاغ وجعل رئاسة جيش المغول فى الروم وحدود الشام لاثنين من قواده وترك فــارس وبغــداد الى

سونجاق وأبقى الأخير عطا ملك الجوينى على حكم بغداد من قبله .

وكانت وزارة أباقا خان من نصيب شمس الدين محمد صاحب الديوان الجوينى كما كان حالها فى الجزء الأخير لسلطنة هولاكو فقام بتدمير أمور الملك فى تبريز وابنه بهاء الدين محمد فى أصفهان والجزء الأكبر للعراق العجمى ، أما خراسان فقد فوضت الى اثنين من الأمراء المحليين وكرمان الى تركان خاتون وفارس الى الملكة ابش خاتون وهراة وغرجستان الى الملك شمس الدين كرت ، وكانت أتابكة لرستان ويزد يحكمونهما والأمراء الايوبيون يديرون دفة الأمور أيضا فى الجزيرة من قبل خان المغول .

كان علاء الدين عطا ملك الجوينى طوال مدة سلطنة أباقا خان (٦٦٣ — ٦٨٠هـ) حاكم بغداد وكل عراق المعرب من جانب سونجاق اسما ولكنه فى الحق كان مستقلا فى عمله تمام الاستقلال ، وسعى كل سعيه طوال مدة حكمه فى تعمير العراق العربى وترميم ما خربه عهد المغول فنشأ قرى وقصبات جديدة وأخرى أنهار للزراعة وأحال الأرض البوار مزارع فيحاء وتقدم فى هذا العمل الى حد ان بغداد زادت كما يقال عمارا عنها على عهد الخلفاء .

كان شمس الدين محمد الجوينى صاحب الديوان وأخوه عطا ملك اسباب ازدهار دولة آباقا خان ، وقام صاحب الديوان بجمع الضرائب العامة لبلاد أباقا وادارة أمورها واجراء سياستها ولم يفقه أحد غير الخان ، وكان أن بلغت ايران نتيجة قدرته وحسن ادارته الرقى والقوة كما تجمع لصاحب الديوان هذا الاسم والرسم والثروة الطائلة وخلد الشعراء وأهل العلم والأدب محامد شمائله وذكر خيراته فى الدواوين والكتب بالنظم والنثر .

وقد اصطفى اباقا مدينة تبريز عاصمة له وكان يقضى شتاءه فى ايران وبغداد وعلى ضفاف جغاتو وصيفه فى آلاتاغ و (وسياهكوة)

أو الجبل الأسود ولقيت تبريز من عهد حكمه ووزارة صاحب الديوان شمس الدين فصاعدا الرقى المتزايد ، خاصة وأنها لم تبل فى عهد المغول كما رأينا بالكثير من المصائب أو تنهب مثل غيرها من بلاد ايران وما وراء النهـر •

حـروب أباقـا :ــ

بنى أباقا زمن وفاة أبيه بابنة أحـد أباطرة الروم الشرقية فقرب اليه المسيحيين متأثرا بنفوذها ونفوذ أمه المسيحية وجعل منهم وسـيلة لقتال مسلمى الشام ومصر الذين كانوا فى جهاد مع الصليبين المسيحيين وعقد عن طريقهم مع البابا وسلاطين أوربا مرارا اتحادا ضد المسلمين (١)

ظهر لأباقا غريمان كبيران اثر غزوات عهد هولاكو الأخيرة غلبـا جنود أبيه هما بركاى ولدجوجى ملك القبجاق والثانى مسـلمو مصر • أرسل أباقا فى أوائل (٦٦٤هـ) أخاه لمقاتلة بركاى ومع أنه كان منتصرا فى البدايـة ، الا أنه بمجرد أن بلغ جيش بركاى الأسـاسى الى وادى نهر كورا وأرس استوحش أباقا من قوة عـدوه فآثر العـودة واتفق فى هذه الأثناء موت بركاى ورجع جيشه الى صحراء القبجاق •

---

(١) لما مات هولاكو الملاذ الوحيد لهيثوم امام هجمات المماليك سعى الى كسب تحالف اباقا خوفا من بيبرس الذى كان يحفظ على الأرمـن والصليبيين مساعدتهم للمغول ، وذهب هيثوم يستصرخ الخان بتبريز بينما قـدم بيبرس فعصف بارمنية واسر احد ابناء هيثوم وقتل ابنا آخر (٢٤ أغسطس ١٢٦٦هـ) ثم عرج الى انطاكية فأذاق اهلها وبالا بما فعلوه وعجل بذلك بانهيار المسيحية فى شمال سوريا • وولى الأمراء الصليبيون وجـه الاستغاثة لأباقا ، يحـكى المقريزى فى حوادث ١٢٦٩/٦٦٨ أن (جماعة من الفرنج خرجوا من الغـرب وبعثوا الى ابغا (اباقا) بن هولاكو بأنهم واصلون لمواعدته من جهة سيس فى سفن كثيرة) . وتوجه امير طرابلس بالرغم من معاهدته مـع بيبرس لأباقـا يستصرخه ويذكر له ما فتحه بيبرس من القلاع والحصون وعندئذ صاح فيـه اباقا قائلا : (انت ما جئت الا لتخوفنى منه وتنفرنى عنه وتملأ قلوب عسكرى رعبا) (رنسـيمان : ٥٥٣ ــ ٥ ــ المقـريزى ج ١ ق٢ ص ٥٨٤ ــ ٦٠٠) لكن اباقا غير لهجته بعد هزيمة المغول فى آبلستين كما سيلى •

وبعد انتهاء شربركاى زحف براق ملك بلاد جغتاى الذى كان يحكم على التركستان وما وراء النهر بجيوشه لقتال أباقا وقام مـن (٦٦٧هـ) حتى (٦٦٨هـ) بحروب فى خراسان واذربايجان وأصاب أباقا بتعب شديد فى ذى الحجة (٦٦٨هـ) منه مهزما على بعد خمسـة فراسـخ من هـراة وأعاد استيلاءه على خراسان ولاذ براق بالفـرار الى بخـارى ودخـل الاسلام فيها متلقا السلطان غياث الدين ونسـج على منواله كـثرة من قواد المغول فى بلاد جغتاى وكانت هذه الطائفة أول من اعتنق الاسلام من المغـول(١) .

أما فى ناحية مصر والشام فبعد فتح عين جالوت استرد المسـلمون الشام من المغول (٦٦٤هـ) وبلغوا حتى حدود أرمنية الصغرى أى قيلقيا وما حولها والتى كانت بيد أحد الأمراء الأرمن الخاضعين لأبقا فاستصرخ هذا الأمير أباقا .

وكانت سلطنة مصر يومذاك مع أحد مماليك الأيوبيين واسـمه الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨ ــ ٦٧٦هـ) ، وقد ألحق بيبرس من أشـهر سلاطين المسلمين الهزيمة مرارا بمسـيحى الصليبيين فى أكثر من سفر حربى مـن (٦٦٦هـ) حتى (٦٧١) وطهر الشام ولبـنان من الملاحدة الاسماعيلية ولما حمل على أنطاكية فى (٦٦٦هـ) وكانت فى يد المسيحيين استنجد أهلها أباقا ، فأمر أباقا الذى كان يتشوف الى غزو الشام ومصر معـين الدين بروانه حاكم الروم بمهاجمة حلب لكنه لم يتحصل على شىء مـن حملته عليها لأن الملك الظاهر أجلى أمامه المغول وسيطر على البلاد حتى الجزيرة أيضـا وبلغ جنوده ضفاف الفرات وفى (٦٧١هـ) انتصروا نصرا مبينـا فيها حول النهر لكنهم عادوا الى الشـام لما سمعوا بهجوم المسـيحيين عليـه .

---

(١) تفاصيل صراع اباقا وبراق ذكرها فامبرى فى كتابه تاريخ بخـارى من ص ١٩٢ حتى ص ١٩٥ .

وفى (٦٧٥هـ) هاجم بيبرس ثغور الشام وما حول بلاد آسيا الصغرى وهيأ معين الدين برواناه له النصر لاتحاده معه فى الخفاء بسبب اسلامه وبغضه لمسيحيى أرمنية الصغرى ، وغلب بيبرس بالقرب من قيسارية فى الأبلستين فى ذى القعدة (٦٧٥هـ) الجيش المغولى والمسيحى ودخل بلاد الروم لكنه عاد أدراجه الى الشام بعد شهر واحد بسبب قلة المؤونة .

وصار أباقا لسماعه خبر هزيمة الأبلستين مغاضبا(٢) حتى أنه تحرك بنفسه الى الروم وأمر باعمال السيف فى عامة المسلمين بين قيسارية وارزنة الروم انتقاما لقتلى المغول وقتل كثيرا من القادة والمسئولين عن هذه الهزيمة وكان من ضمنهم معين الدين بروانه الذى مزقوه أربا وأنضجوا لحمه فى وعاء وأكل المغول كل أجزاء جسمه لاخماد نار الغضب (٣) .

ومات الملك الظاهر بيبرس بعد عوته من أرزونة الروم فى السابع والعشرين من المحرم (٦٧٦هـ) فى دمشق وبعد أن حكم ولداه أحدهما بعد الآخر تلقب سيف الدين قلاوون الألفى أكبر قواد بيبرس شهرة فى (٦٧٨هـ) بلقب الملك المنصور وأمسك بأزمة سلطنة مصر ، لكن سلطنته لم تكن بلا ميازع من بينهم أحد هؤلاء المتمردين الذى ثار فى الشام ولبنان وأجبر قلاوون على التصديق على سلطنته فى هذه النواحى دعا أباقا للقضاء على سيف الدين بالشام ، فأتى أباقا مع أخيه منكو تيمور وثمانين ألف جندى الى الجزيرة والشام ، فعمل هو على فتح قلعة على شاطىء الفرات وسير منكو تيمور الى الشام . وفى الرابع عشر من رجب

---

(٢) قتل للمغول فى معركة آبلستين نحو سبعة آلاف قتيل بكى أباقا لما شاهدهم صرعى مما جعله يعجل بتحالفه مع الصليبيين (وليم موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر (مصر /) ص ٥٢) .

(٣) يذكر المقريزى ان أباقا قتل من مسلمى بلاد الروم انتقاما لهزيمة آبلستين ما يزيد عن مائتى الف نفس ولم يقتل احدا من النصارى (السلوك ج١ ق٢ ص ٦٣٣) .

(٦٨٠هـ) أنزل سـيف الدين قلاوون هزيمة فادحة بالقـرب مـن حمص بمنكو تيمور ، فولى الأخ مهزوما الى أخيه ، وعاد أباقا وقد سـيطر عليه الخوف ومعه الجيود الفارون ، ولم تسنح له الفرصة بعد ذلك لمهاجمـة الشام لأن المنون بعد ذلك بقليل أى فى العشرين من ذى الحجة (٦٨٠هـ) حل به وخلفه أخوه تكودار ٠

كانت وزارة أباقا طوال مدة حـكمه لشمس الدين محمد صـاحب الديوان الجوينى الا أن ارتقاء أمر هذا الوزير الذى فاق المعتاد وأبنائه فى حكم الولايات وأخيه فى بغداد والعراق والثروة الطـائلة التى تجمعت لهم كان يبعث دائما حسد الأعداء من بينهم أحد أتبـاع صاحب الديوان وممن تربوا على يديه وهو مجد الملك اليزدى الذى جن جنونا لكى يبلـغ مقاومه تألب مع أرغون ولد أباقا وجمع آخر من الأمراء وعمـال الديوان وأخذ يسعى بصاحب الديوان وأبنائه وأخيه وفى (٦٧٨هـ) نفذ الى خدمة أباقا وأخذ يقذف فى أسرة الجوينى بالكذب والصـدق حتى أنه نسب الى صاحب الديوان أنه حرض على انشاقاق معـين الدين بروانه فى حـرب بيبرس وحث اليزدى أباقا على تحقيق أموال صاحب الديوان ٠ وتوسـل صاحب الديوان باحدى حريم هولاكو وهى أم منكو تيمور ونجا مـن شر سعاية مجد الملك بوساطتها ٠

وتقرب مجد الملك بوسائله الى أباقا ولم يكف عن دسائسـه وعدائه لأسرة الجوينى وفى (٦٧٩هـ) نصب فى وظيفة المشرف أو النـاظر العـام للمنصرف فى البلاد الايلخانية وأصبح مشاركا لصاحب الديوان منافسـا له ، وفى أواسط (٦٨٠هـ) بينما كان أباقا فى غزوته فى الشـام اتهم أخـا صاحب الديوان عطا ملك بالاختلاس وعدم ايصـال بقية أموال بغـداد وأرسل الايلخان لضبط هـذه الأموال عمالا الى بغداد فأتوها برفقة مجد الملك وألقوا بعطا ملك هذا المؤرخ الشـهير بالسجن بعد ايذائـه وايذاء أتباعه كثير الأذى وان كان أباقا عجل بالعفو عنه بوسـاطة أحد أمـراء المغول وأحسن له ٠

حفظ جلوس تكودار واسلامه أسرة الجوينى حتى فترة من شرور خصومة أعدائها لأن هذا الايلخان أناب بعد جلوسه مباشرة فى حـكم مازندران والعراق وايران وآذربايجان باستقلال وبلاد الروم بمشاركة السلاطين السلاجقة شمس الدين صاحب الديوان ، وفى حكم الموصـل واربل ابنه هارون وبغداد والعراق عطا ملك كما كان فى السابق وخـلع عليهم بأنواع الخلع فازدهر شأن أسرة الجوينى كرة أخرى •

سلطنة السلطان احمد تكودار

(٦٨١ — ٦٨٣هـ)

كان أباقاخان يميل الى أن يخلفه ابنه أرغون وبمـا أن ميله هذا خالف الياسا الجنكيزية التى تحـكم بأن يلى السلطة أرشد الأمـراء فقد رفع بعد موته أمراء المغول أخاه تكودار الى العرش واخـتير بالقوريلتاى المنعقد بآلاتاغ فى السـادس والعشرين من المحـرم من عام (٦٨١هـ) رسما لهذا المنصب •

عمد تكودار فى شبابه على دين المسيح ، وقد كان بالصين وقت غزو أبيه هولاكـو ايران وهو الابن السابع له ، لكنه بعد اختلاطه بالمسلمين أخذ يميل شيئا فشيئا الى الاسلام فاتصل بالأمراء والرجال المسـلمين وسموه بأحمـد •

فى أواخر عهد أباقا انشعب أمراء المغول ثلاث شعب كانت احداهما تود تنصيب الأمير أرغون فى مقام أبيه وتشيعت شعبة ثانية الى تكـودار ومالت ثالثة الى أن يلى هذا المقـام منكو تيمور ولد هولاكو ، ومـات منكوتيمور قبل أباقا بخمسة وعشرين يوما فمال أتباعـه الى أرغـون واشتدت المنافسة يوما بعد يوم بين أتباع تكودار وأرغون ، وبعد أن خلف تكودار باسم السلطان احمد خان أخاه أباقا انقلبت هذه المنافسة الى عداء علنى •

وبعد أن جلس تكودار بسط يد البذل والجود وفرق كثيرا من أموال أبيه المكنوزة على اخوته وامرائه وقواد جيشه ، وطلب صاحب الديوان اليه وكان فريسه مخالب أرغون فأنزله منزل الاحترام والاكرام ، وبعد ذلك أولى الأمير أرغون ملاطفته وبره ، لكن أرغون لم يسر لهذا فخالف أخا تكودار فى نفس الوقت وصمم على مخالفته .

وأول ما قام به تكودار هو اعلانه الاسلام دينا وراسل فى هذا الشأن علماء بغداد وكبارهم وأظهر نفسه على أنه حامى الاسلام وتابع شريعة الرسول الأكرم صلوات الله عليه ، وكان لاعلانه هذا طيب الوقع والأثر فى المسلمين واقتدت به جماعة أخرى من المغول فدخلت الاسلام (١) .

وفى الصراع بين تكودار وأرغون أخذ مجد الملك جانب أرغون والتف صاحب الديوان واسرة الجوينى حول تكودار وفى النهاية نجح شمس الدين فى اتهام مجد الملك بالاختلاس والسحر والشعوذة ومحالفة أرغون، فأغضب الخان عليه . فسلم تكودار مجد الملك لعطا ملك لتسوية حساباته واعادة ما اختلسه ، وفى النهاية اطبق على هذا الرجل الماكر الطالب للجاه أعداؤه فى الثامن من جمادى الأولى من عام (٦٨١ هـ) على باب خيمة عطا ملك ومزقوه شر ممزق وأرسلوا بكل شلو من أشلائه الى اقليم .

وصار أتباع أرغون المغول فى غضب عظيم لما حدث لمجد الملك وهموا بالانتقام له وكان أرغون وقتها فى خراسان فأقدم على ايذاء عمال عطا

---

(١) أخذ احمد فى نشر الاسلام واجبر جماعة من اليهود والمسيحيين على اعتناقه وخرب كنائس تبريز وبدلها الى مساجد وقطع وظائف الأطباء النصارى واليهود واخذ ينفقها على تجهيز قوافل الحجاج واهتم بالأوقاف على الأماكن المقدسة بالحجاز وبنى المساجد والمدارس الاسلامية فى كل مكان وسعى الى الوفاق مع المماليك حقنا لدماء المسلمين وتبودلت بينهما الرسائل تفيض ايمانا واسلاما وشكرا لله على هداية احمد الى الصراط المستقيم ، وهذه الرسائل موجودة بالنص فى تاريخ وصاف (ص ٢٥٩ ، ٢٦٤) والسلوك ج١ ص ٧٠٧ .
انظر ايضا : حبيب السير ج٣ ص ٦٨ ، ٧٠ — ٧١ ، تاريخ ايران ازمغولتا افشاريه ، رضا بازوكى (ايران / ١٣٥٨) ص ٨٨ — ٨٩ .

ملك بعد قدومه العراق والحق عظيم أذاه بأتباعه بحجة طلبه بقايا أموال عهد أبيه من بين ذلك أن أخرج جسد نائبه الذى لقى حتفه من فترة قليلة من قبره وألقى به فى عرض الطريق ، ولما بلغ هذا الخبر عطا ملك وكان بأران مات حسرة فى الرابع من ذى الحجة فأرسل السلطان ابن أخيه هارون لحكم بغداد .

ولم يصف أرغون أبدا لعمله تكودار وغضب لاسلامه وحسن روابطه بسيف الدين قلاوون فأعلن العصيان فى وصوله بغداد وأخذ جانبه جمع كبير من أمراء المغول منهم كيخاتو ابن آخر لأباقا وهموا بدفع تكودار وقتله .

ووفق تكودار هذه المرة فى ان يخمد فتنة العصاة ، واضطر أرغون الى العودة الى خراسان دائرة حكمه لما صار نهب الاعواز وفشل بسبب خلافه لتكودار فى القبض على صاحب الديوان ومصادرة أمواله وكانت عودته اليها فى (٦٨٢هـ) ، وبعد أن ضبط مالها طالب تكودار بحكم فارس والعراق أيضا بحجة أن خرج خراسان لا يكفيه فرفض السلطان فزاد أرغون غضبا على غضبه خاصة بعد قتل تكودار فى نفس تلك الأيام أخاه الذى كان يحكم فى الروم وحليفا لأرغون وأن اهراق دم الأمير المغولى بيد أهله لا تقره الياسا الجنكيزية ، وأدرك أرغون أن تكودار بعد اسلامه لا يظهر اهتماما ولا احتراما فى مراعاة تطبيق ياسا أجداده ولن يحسم العداء بينهما بغير الحسام المهند .

وكان تكودار يسلم بقتله اذا غلبه أرغون فتمكن بتدبير وزيره شمس الدين من طرد كيخاتو وأشياع أرغون غيره من العراق أولا ثم هزيمة جيش أرغون فى صفر (٦٨٣هـ) على مقربة من قزوين ، لكنه بسبب خشيته منه طلبه اليه واعاده الى خراسان بعد اكرام له ومصالحة ، وقد مهد فعله هذا الخاطىء أسباب قتله ووزيره الكافى شمس الدين لأن أرغون لم يرعو عن غيه ، وحينما فكر تكودار فى قتله سرا وفشت خطته

أحدق جمع من امرائه كان يظاهرون أرغون فى الباطن خاصة الأمـير بوقا فى ليلة الثامن عشر من ربيع الآخر (٦٨٣هـ) بخيمة السلطان وكان ثملا وأهلكوا قائد جيشه وفر تكودار والوزير ناجين بحياتيهما ورفـع العصاة أرغون الى الحكم •

وقبض على تكودار أثناء فراره من آذربايجان فأمر أرغـون فى السادس والعشرين من جمادى الأولى (٦٨٣هـ) بقتله انتقاما لقتـله أخاه ، وبقتله بدأ عهـد زوال الاسرة الجوينية والمسلمين الذين بلغـوا شأوا عظيما فى عهد تكودار •

سـلطنة أرغـون خـان

(٦٨٣ — ٦٩٠ هـ)

بعد اختيار ارغون للايلخانية فى (هشت رود) بآذربايجان واقامة مراسم الاحتفال بذلك أودع زمام حل الأمور وعقدها أى خلافة الوزير شمس الدين الى الأمير بوقا وسير ابنه غازان برفقة الأمير نوروز بـن أرغون آغا حاكم المغول المعروف الى خراسان وضم اليه الرى ومازندران وقومس وأناب أخاه كيخاتو فى بلاد الروم •

أما شمس الدين محمد وكان وقتذاك فى أصفهان فقد قـدم الى خدمة الايلخان الجديد خشية أن يهلك أرغون بموته ابناءه وأتباعـه ، ولعله يتطلف به بدفع أموال اليه والتحايل بوسـائل أخرى عليه فينجى أسرته من الاستئصال التام • وأثر تدبيره وعفا أرغون عن جرائمه وقرر أن يقتسم مع الأمير بوقا ادارة أمور البلاد الايلخابية الا أن الأمـير بوقا واعداء شمس الدين خلافه خشوا تجدد قوته فاتهموه امـام أرغون بدس السم الى أبيه فأمر أرغون بقتل الوزير فى الرابع عشر من شعبان بالقرب من (أهر) وقتل ابناؤه وأحفاده وابناء اخوته بالتدريج وسقطت الأسرة الجوينية بهذا الشكل المؤلم •

وشمس الدين محمد صاحب الديوان من أكبر الوزراء والعمـــال والكتاب الايرانيين ولم يناظره فى عهـــده أحد فى كفاءته وتدبيره وشوكة جاهه وجلاله وثروته واشتهر بمزيد الحكمة والتواضع وحب الفضــل والشعر ، وخلد أعذب شعراء الفارسية وأفصح متكلميها السـعدى الشيرازى ذكره وذكر أخيه عــلاء الدين عطا ملك فى قصائده وأنشــأ بضعة نفــر آخرين من كبار العلماء والشعراء الآخرين لذلك العهــد مثل نصير الدين الطوسى والاستاذ صفى الدين الارموى وهمام الدين التبريزى وبدر الدين الجاجرمى (١) الكتب والقصائد باسمه وأفراد أسرة الجوينى فتركوا ذكرهم بخير للخلف بعد أن شهر اسمهم على الألســنة وذكر على الأفواه عهـــدهم •

بعد قتل صاحب الديوان زادت قوة الأمير بوقا حدا لم يبق لأرغون فيه من السلطنة سوى اسمها وأغضب هذا الأمر كثرة من أمــراء المغول وكبار دولتهم فسعوا الى الايلخان لطى بساط استبداده ، وكان أذكى أعــداء بوقا طبيبا يهوديا من أهل أبهر زنجان اسمه سعد الدولة الذى كان يعيش ضمن اطباء أرغون المقربين ، ولما كان يعلم ميل الايلخــان الخفى الى جمع المال نال اذنه بالتحقيق فى حساب عمـــال الأمير بوقــا فى بغداد وعاد فى المرتين اللتين ذهب فيهما الى العراق بمال وفير وحوله لأرغون فاختاره لحسن خدمته وزيرا له وفى السنة الثالثة أى (٦٨٧هـ) قتل بوقا بجريمة الخيانة والتفكير فى عصيانه •

وسرعان ما قصر سعد الدولة أيدى العمال والموظفين المسلمين عن أعمالهم وكان ينيب عنه فى كل مكان من اليهود والمسيحيين وظلت خراسان والروم وحدهما بمنجى من شرور استيلاء اليهود لأنهما كانتا بيد غازان وكيخاتـــو •

---

(١) اشهر هؤلاء الشعراء بعد الطوسى همام التبريزى (متـــوفى عـــام ٧١٤هـ) من مشاهير شعراء آذربايجان ، كانت له صحبة مع الشيخ السعدى ومداعبات شعرية وقد تأسى به فى فن الغزل ، وله منظومات باســم (صحبت نامه) نظمها لشرف الدين هارون ولد شمس الدين محمد صاحب الديوان .

وكان سعد الدولة رجلا ذكيا كافيا فقبض على الأمور المالية للدولة ووضعها تحت ادارته وعمر الخزانة وأمسك بأزمة الأمور وقصر أيدى جميع أمراء أرغون عن الأمور بكل مكان وظل هكذا متسلطا مقتدرا حتى وفاة أرغون (٦٩٠هـ) وبلغ استبداده أن استصدر منه أمرا بمهاجمة الحرمين وتحويل الكعبة الى معبد للاصنام وقتل علماء الاسلام لكنه أصيب بالمرض حينذاك بينما يخشى أن يمتنع من تنفيذه أمره ولم يطل الأمر حتى أهلكه أمراء أرغون فى سلخ صفر (٦٩٠هـ) فى آذربايجان ولحق به أرغون بعد أيام ستة أيضا •

سلطنة كيخاتو

(٦٩٠ — ٦٩٤ هـ)

وبعد حتف أرغون طلب أكثر أمراء مغول أخاه كيخاتو حاكم بلاد الروم الى آذربايجان وانتخبوه خانا فى الثالث والعشرين من رجب (٦٩٠ هـ) •

وتزامن جلوس كيخاتو مع ثورة جماعة من التركمان ويونانيى بلاد الروم فقصد كيخاتو هذه البلاد لتأديبهم وآب بعد شهور عشرة مظفرا منصورا الى ايران •

وفى عودته من بلاد الروم أنفق كيخاتو بعد اصابته بالمرض على الناس صدقات كثيرة طلبا للشفاء ووزع الذخائر والنفائس التى جمعها أرغون وسعد الدولة على أمراء المغول وكبارهم وأصدر أمره بتحرير المحبوسين وأعفى العلماء والسادات وأئمة الدين من دفع الضرائب ومع أن هذه الأعمال كانت فى الظاهر بدافع الاخلاص والجود والكرم فيه الا أنها هدمت فى الباطن أساس دولته بسبب خواء الخزانة وأنتكاس العائدات وزوال الخوف من قلوب الرعية وآلت الى سوء حال الناس •

وضـــع (التشـــاو) النقـــد الورقى : —

استوزر كيخاتو صدر الدين احمد الخالدى الزنجانى الذى كان حليف مجد الملك فى (٦٧٩هـ) ضد أسرة الجوينى ثم أناب بعد ذلك عـــن الأمير المغولى فى فارس ، وكان صدر الدين احمد هذا الذى لقب (بصدر جهان) أى صدر الدنيا من الكرام المحبين للآداب الأجواد ولكنه بغير كفاءة فى الأمور الحكومية ومع أنه كان كثير البذل والعطاء فـــلم يقـــل كيخاتو عنه وكان يقول ان الذهب والمـــال والجواهـــر والنفائس زينـــة الزمان وكان يتشبه بأوكتاى القاآن فى بذله •

ونتج عن هذا التبالغ والتساهل فى الانفاق عند الايلخان والوزير أنه لم يتبق فى الخزانة دينار واحد حتى أن نفقات المطبخ الملكى اليومية أخذت فى الاختلال ، وصمم الوزير للخلاص من هذه الأزمة وعن مشورة أحد أتباعه المطلعين على أحوال الصين أن يروج عمله ورقية بدلا مـــن الذهب والفضة كما هو المتبع بالصين ونشر فى (٦٩٣ هـ)عملة ورقيـــة تشبه أوراق النقد وأسماها (تشـــاو) فى البلاد الايلخانية لكن أكثر الرعية لم يقبلها وأقفل غالب التجار محلاتهم وهجروا المدن فركـــدت المعاملات وكانت المدن الكبرى على شفا الثورة بسبب هذه المشكلة فاضطر كيخاتو الى تركها ولم يترتب عن فعله أيضا لاصلاح حال الخزنة المخربة نتيجة تذكر •

قتل كيخاتو فى (٦٩٤ هـ) :

كان كيخاتو فضلا عن ضعف نفسه واسرته سكيرا فاسقا وأغضب فى مدة حكمه القصير العامة عليه لانتهاكه شرف الناس وكرهه أمـــراء المغول أيضا وكان أقواهم بايدو حفيد هولاكو حاكم بغداد والعراق ، وفى النهاية قدم بايدو فى جمادى الأولى بجيشه من بغداد الى آذربايجان ولما علم كيخاتو أن أغلب امرائه انحازوا الى بايدو هرب الى موغـــان وقتل بها بيد الثوار واختير بايدو ايلخان لايران •

سلطنة بايدو

(من جمادى الأولى حتى ذى القعدة من ٦٩٤ هـ)

بعد قتل كيخاتو رفع الأمير طغاجار والأمراء الآخرون بايدو الى الايلخانية وبعد أن جلس بالقرب من همدان فى جمادى الأولى (٦٩٤هـ) نصب الأمير طغاجار فى امارة الأمراء والجيش وأرسله نائبا عن صدر الدين الزنجانى لحكم بلاد الروم .

وقد قارن جلوس بايدو قيام غازان بن أرغون خان الذى حكم خراسان يعاونه الأمير نوروز من بداية جلوس أبيه على الايلخانية .

وقد ثار الأمير نوروز الذى دخل الاسلام على غازان مخدومه ايام وزارة سعد الدولة وأخرجه عن خراسان فى (٦٨٨ هـ) فأرسل أرغون بايدو لضبط أمورها فاضطر الأمير نوروز الى الفرار الى التركستان وظل فى حالة عصيانه حتى (٦٩٣هـ) حين قدم يطلب عفو غازان فعفا عنه غازان وأحسن اليه .

وبعد أن جلس بايدو تحرك غازان بحث من الأمير نوروز ليلاقى الايلخان الجديد بآذربايجان فى الظاهر وبقصد القضاء عليه فى الباطن ، وبرغم محاولات بايدو ارجاعه الى خراسان بالوعد مرة وبالوعيد أخرى فلم ينصرف بدفع من الأمير نوروز حتى جرت الحرب بين الطرفين فى الخامس من رجب (٦٩٤هـ) فى احدى قرى مراغة وطلب بايدو من غازان الصلح بعد أن أحس الهزيمة فى جنده ودخل الاثنان فى مفاوضات شروط الصلح وتقسيم البلاد الايلخانية ، وعاد غازان الى خراسان وهو غير مطمئن لصفاء نية أمراء بايدو وبعد فترة خلص الأمير نوروز بعد اتفاقات سرية مع طغاجار والأمراء المغول بالحيلة من بايدو ولحق بغازان .

وفى (٦٩٤هـ) اعتنق غازان الاسلام بتشجيع من الأمير نوروز وسمى نفسه محمودا واقتدى به نحو مائة ألف من المغول فدخلوا

الاسلام كذلك (١) فزادت هذه الواقعة من العداوة بينه وبين بايدو وحتى حل آخر عام (٦٩٤هـ) حين هاجم غازان آذربايجان متذرعا بعدم وصول عائدات فارس التى ضمها بايدو الى حوزة غازان ، ولحق صدر الدين الزنجانى بمعسكر غازان أيضا لسخطه على بايدو عزله من وزارته وهاجم بجنده آذربايجان وتخلى طغاجار والأمراء الباقون عن بايدو لميلهم الى غازان ولم يجد بايدو مناصا من الفرار الا أن الأمير نوروز أوقعه بأسره بالقرب من نخجوان فأرسل به الى غازان فى صحراء أوجان فقتله غازان فى الثالث والعشرين من ذى القعدة (٦٩٤هـ) (٢) .

(١) راجع فى ذلك ايضا حبيب السير ج٣ ص ٨٣ .

(٢) يذكر خواندمير أن بايدو بدأ حكمه عادلا فأعاد الحقوق الى أصحابها وأعفى الأوقاف الاسلامية من الضرائب (حبيب السير ج٣ ص ٨٢) ويورد وصاف انه عهد بالوزارة الى جمال الدين الدستكردانى فاختار لقب الوزارة بدلا من لقب صاحب الديوان (تاريخ وصاف ص ٢٨٤) ولم يكن يدين بالمسيحية يقول هورث ومع ذلك عمل على احياء آداب هذا الدين غير انه فى الوقت نفسه لم يكن يضمر عداء للاسلام عكس سابقيه فكان يرسل ابنه ليصلى مع المسلمين كما يصلون .

(Howorth III, P. 387/

الفصل السادس

سلطنة الايلخانات المسلمين

١ ـ سلطنة السلطان محمود غازان

(٦٩٤ ـ ٧٠٣ هـ)

من حين جلوس غازان حتى انهيار أسرة الايلخانات غدا الاسلام الدين الرسمى للدولة وتأسس الحكم الايلخانى علـى الشرع والآداب الاسلامية وزالت طاعة الايلخانات من وقتذاك للقاآن بخانباليغ وانبتت الصلة تدريجيا بين خانباليغ والبلاط الايلخانى • دخل غازان فى العاشر من ذى الحجة (٦٩٤هـ) تبريز وجلس على الايلخانية فى يوم النيروز بتلك السنة وكان أول ما أصدر من أمر يوم جلوسه وجوب قبول الاسلام دينا للمغول واجراء آدابه الدينية ورعاية جانب العدالة ومنع الأمراء والأكابر من ظـلم الرعيـة •

وبعد فترة كتب غازان أوامره الى الأمصار وأرسل رسلا خاصين وفحواها تخريب الكنائس والصوامع فخربت الكنائس ومعابد اليهـود ومعابد نار المجوس وحطمت فى تبريز اصنام البوذيين وطيـف بهـا فى شوارعها وبدلت الكنائس الى مساجد ونزل أذى كبير بغير المسـلمين تعصبا للدين (١) •

وأمر غازان لطلب الأمير نوروز أن تسك الشهادتان عـلى أختـام

(١) من ذلك اجباره غير المسلمين على الظهور بثياب مميزة لهم (حبيب السير ج٣ ص ٨٣) •

الدولة وأن تشرع الأوامر والمكاتيب الرسمية بالبسملة وأن يراعى ذلـك على العملة التى تضرب باسم غازان أيضا وبنقش اسماء الخلفاء الأربعة عليها كما كان الرسم أيام العباسيين •

استوزر غازان خان صدر الدين احمد الخالدى أو (صـدر جهان) الزنجانى ثم أهلك من اشتراك فى قتل كيخاتو من الأمراء وبعث بطغارجار لقيادة عسكر الروم وأمر فى عقبه من يقتله ونجا بذلك من شره وكان شديد النفوذ والقوة •

وبعث اسلام غازان على ثورة طائفة من الأمـراء البوذيين لكـن غازان قبض عليهم جميعا بعون الأمير نوروز والأمير هرقداق ثم أوردهم مورد التهلكة وعزل صدر الدين من الوزارة الذى اتهم بمؤازتهم بشهادة الأمير نوروز وهم بقتله غير ان الأمير هرتداق توسط له فنجا من الموت وعـاد الى الوزارة كما كان •

قتل الأمير نوروز فى الثانى والعشرين من ذى القعدة (٦٩٦ هـ) : ـ

جلس صدر جهان ثانية على مسند الوزارة لكى يفكر فى الانتقام من الأمير نوروز الذى سعى فى عزله فحالف أعداءه لهذا الهدف وسـعى الجميع بوسائل متعددة الى قلب نوروز • وزيف صدر جهان وأخـوه قطب جهان على لسان نوروز وأخيه مراسلات موجهة الى سلطان مصر فحواها أنه مع اسلام غازان الا أن امراءه لم ينالوا شرف الدخول فيه فما تزال الفرصة للسلطان سانحة لمهاجمة ايران واستئصال شأفة الكفر وأن الأمير نوروز واخوته متأهبون لعون المصريين وشملت خطاباتهـم أيضا ذكر ارسال الأمير نوروز بضعة أثواب قيمة هدية للسلطان •

وقد أثار افشاء هذه المراسلات حنق غازان خان وتحرك الايلخان وكان وقتذاك بهمدان معجلا الى شهروان وقد بلغ به الغضب مبلغا جعله يقطع نحو خمسة وثلاثين فرسخا فى اليوم ، وفى الحادى والعشرين من

جمادى الأولى (٦٩٦هـ) بلغ شهروان وأمر بقتل أخوة الأمير نـوروز بدون محاكمة أو مساءلة وأرسل من يتتبع أتباع نوروز وأشياعه واخوته الثمانية بالقتل حيثما وجدوا .

واستدعى أخاه (خدابنده) الذى كان ولى وجهه شطر خراسـان بجيشه والأمير قتلغشاه وهرقدان ومعهما عشرون ألف جندى والأمـير تشوبان وبضعة نفر آخرين من الأمراء من نقاط مختلفة وأمر الجميـع بالقبض على الأمير نوروز بخراسان .

وعلم الأمير نوروز بما يعد له فلاذ بالفرار بأربعمائة من صحبه الى هراة بعد أن خالفه قواد جيشه وانفصلوا عنه وذلـك ليحتمى بالملـك فخر الدين كرت الذى تزوج بابنة أخيه وعليه لنيروز أياد بيضاء ولـكى يطلب مدده الا أن فخر الدين سلم الأمير نوروز الى جنود قتلغ شـاه فقتله قتلغ شاه وسير رأسه فى الثانى والعشرين من ذى القعدة (٦٩٦هـ) الى غـازان .

قتل صدر جهان فى الثانى والعشرين من رجب (٦٩٧هـ) :

بعد قتل الأمير نوروز أشاح غازان خان فى جمادى الأولى (٦٩٧هـ) بوجهه عن صدر الدين أحمد الزنجانى صدر جهان بعد أن أتهمه عدد من عمال الديوان وأمراء غازان بالتصرف فى أموال الدولة وشكا صدر جهان رشيد الدين فضل الله الطبيب الهمدانى وهو من العمال التابعين له الى غازان متوهما اشتراكه فى مؤامرة ضده وحديثه للسلطان حديث العداوة لـه فرد عليه غازان أن رشيد الدين لم يتفوه بكلمة ضده .

وفى هذه الأثناء قدم الأمير قتلغشاه الذى كان توجه لضرب ملـك الكرجيين الى معسكر غازان على ضفاف نهر كورا (كـر) وسـمع أن صدر جهان قد تحدث الى الايلخان عن أتباعه شر الحديث ونسب اليهم الشدة فى القتل والنهب فعاتبه غازان فاستفسر من الوزير عـن سبب

غضب الايلخان وعمن ذكره بسوء أمام غازان ، فأظهر صــدر جهــان رشيد الدين فضل الله الى قتلغشاه على أنه سبب القضية ومحركها فغضب قتلغشاه من رشيد الدين وشكاه الى غازان •

وعلم غازان بعد استدعاء قتلغشاه أن صدر جهان اتهم رشيد الدين فحنق عليه وأمر بتقييده فى السابع عشر من رجــب (٦٩٧هـ) وبعــد محاكمته تركه الى قتلغشاه لمعاقبته فشطره قتلغشاه نصفين فى الثــانى والعشرين من رجب وانتهت بهذا حياة صدر جهان الذى كان مع ذكائه وكرمه وأدبه رجلا طالبا للجاه والفتنة والدسائس •

وفى أواخر عام (٦٩٧هـ) حين كان غازان فى طريقه من تبريز الى بغداد لقضاء الشتاء أصدر أوامره فى أوجان بتولى سعد الدين محمــد المستوفى الساوجى وزارته وديوانه ورشيد الدين فضل الله نيابة وزارته فأقبل هذان على ادارة البلاد الغازانية يعان أحدهما الآخر •

حــروب غازان فى الشــام : ــ

ومن الوقائع الخارجية الهامة لعهد غازان غزوه مصر والشام ولــم يكن موضوع النزاع فى هذه الغزوات الخلافات الدينية بــين المغــول ومسلمى مصر والشام كما كان فى أيام هولاكو وأباقا لان غازان غــدا مسلما وانما بعثت المنافع والمصالح السياسية الى ظهور الصراع بــين الطرفين • فقد رنا مماليك مصر الى اخراج بغداد عن يد المغــول بعد أن استولوا بالتدريج على جميع الشــام وسواحل البحر المتوســط مــن الصليبيين وبلغوا شاطىء الفرات الأعلى وكانوا يودون احياء الخلافة العباسية بها وقام غازان مدافعا عن أمــلاك الايلخــانات واســترداد البلاد التى استحوذ عليها هولاكو وقواده من قبل •

وشرعت الحرب فى (٦٩٩هـ) حين هاجم غازان يصحبه الأمـــير قتلغشاه والأمير تشوبان وثلاثون ألفا مــن آذربايجان بــلاد الشــام

وأصاب المسلمين فى ربيع الأول من نفس العام على مقربة من حمص فى مجمع المروج بالهزيمة واستولى على الشام وفلسطين لكنه أجبر عـلى العودة الى ايران لدفع المغول الجغتائيين فاهتبل المصريون الفرصـــة واستعادوا كثيرا من البلاد الضائعة •

وفى الحملة الثانية لغازان على الشام (٧٠٢هـ) أنزل الملك الناصر محمد (٦٩٨ ــ ٧٠٨هـ) ابن سيف الدين قلاوون سلطان مصر بأمــراء غازان الأقوياء فى مرج الصفر بغوطة دمشـــق فى الثاني من رمضـــان (٧٠٢هـ) هزيمة قاسية واستأسر منهم عددا كبيرا ولاذ الأمير تشوبان وقتلغشاه بالفرار يجللهما فضيحة كبرى الى ضفاق لفرات حيث معسكر غازان • وتأثر غازان من هذه الهزيمة عظيم الأثر الى حد أن الدم كما ذكر نزف من أنفه لشدة غضبه وقتل بعضامن الأمراء المهزومين لتخفيف نار حنقه وأدب البقية بضربهم بالعصا ولم يبارح فكره الانتقـــام حتى موته (١) •

وفاة غازان فى الحادى عشر من شوال (٧٠٣هـ) : ــ

بسط غازان يد البذل والانعام بعد مجلس الشورى الذى عقده أثر هزيمة مرج الصفر فى أوجان وتأديب قادة الجيش ، وخلع على كل من قادته وأنعم عليهم انعاما جزافا ، ومكث خمسة عشر يوما فى مخيمه وزع فيها اموال خزائنه والأموال التى جمعت ظلما من الولايات من قبل باسم اعداد الجيش وصنع ما لم يصنعه ايلخان سابق فى هذا العطاء • وبعد انهاء قوريتاى أوجان أتى غازان تبريز لكى يهيىء جيشه للتحـــرك الى الشام والانتقام من هزيمة مرج الصفر لكنه صار فريسة مرض بعينيه على نحو مباغت ومكث فترة تحت علاج الأطباء الصينيين • وبعد قليل عاد الى أوجان وتحرك الى بغداد لقضاء الشتاء لكنه لم يســتطع تحقيق

(١) لتفاصيل حروب غازان مع المماليك انظر حبيب السير ٣ ص ٨٨ ــ ٩٠ •

مقصده بسبب هطول الثلج والمطر فقرر أن يقضى شتاءه ذاك حوالى قزل أوزن •

أصيب غازان فى سفره لقضاء الشتاء الأخير بشديد المرض ولم يكف عنه الهم والحزن منذ هزيمة مرج الصفر ، ولم يجد أى علاج معه فاضطر الى ان يتحرك فى أوائل الربيع من حوالى قزل أوزن الى ساوه واستقبله الوزير سعد الدين الساوجى فى منزله هذا حيث كان وطنه حرى الاستقبال •

وفى ساوه تحسن غازان تحسنا طفيفا لكنه حينما تحرك منها الى الرى عاوده المرض بشدة فاضطر الى المكث بضعة أيام فى الرى ثم سار الى قزوين ووافاه أجله فيما حولها يوم الأحد الحادى عشر من شوال (٧٠٣هـ) بعد نحو تسعة أعوام من الحكم فى سن الثالثة والثلاثين وحمل جسده من ذلك المكان الى تبريز وأوسدوه الثرى فى (شنب غازان) أو (شام غازان) أحد الأبنية التى أقامها بجانب تبريز يعلوه قبة •

ومع قصر عمرو حكم غازان الا أنه مع ذلك أحد سلاطين الشرق العظام بلاشبهة بسبب اصلاحاته وأعماله والأبنية والقواعد والقوانين التى نفذها ، واذا لم تصح مقارنته بمثل كوروش الكبير ودايوش الأول والسلاطين العظام الشأن الساسانيين لكنه يعد من ناحية ادارة الملك والدولة واحدا من مشاهير سلاطين ايران وأول ملك فى الاسرة الايلخانية من هذه الناحية • بيد أنه يتوجب الأخذ فى الاعتبار أن القسم الأكبر لهذه المناقب والعظمة وعلو الصيت التى اتصف بها غازان انما يرجع لبركة وجود الوزير الأريب الفاضل خواجه رشيد الدين فضل الله الهمدانى الذى أخذ على عاتقه ادارة بلاد غازان الواسعة بالتدبير والفضل والسياسة من ناحية وشارك غازان فى تحقيق رفاهية الرعايا واصلاح الأمور المالية وانشاء الأبنية والآثار الخيرية ، ومن ناحية ثانية خلد بقلمه المبدع ذكر محامد غازان وأعماله البيضاء ووقائع أيامه على

صفحات الزمان ، وقد اجتمع غير هذا الوزير العالم له مـن الفضـلاء نتيجة لحب الأدب وتشجيعه له فى البلاط الايلخانى وشارك كل منهم فى هذه المرحلة بخطوة هامة على نحو يمكن أن يقال به ان عهد غازان وخلفيه أو لجاتيو والسلطان أبى سعيد خان بسبب وجود رشيد الدين فضـل الله وأولاده أحد ألمع العهود الأدبية لتاريخ ايران بل هو ولأسباب سوف نذكرها منعدم النظير فى هذا المضمار فى تاريخ هذا البلد .

شمائل غـازان خان وفضائله : ــ

غدا السلطان محمود غازان خان بعد أن أسلم من المؤمنين الجادين فى الدعوة الى هذا الدين وظل حتى نهاية عمره يجهد فى رعاية مراسـم الدين الحنيف وآدابه واقامة شعائره ويسعى الى تحويل ذلك القسـم من عساكره الذى ظل على اشراكه وعبادته الأصنام أو بوزيته الى الدين الاسلامى وكان يباحثهم ويحادثهم بنفسه لهذا الأمر .

كان غازان رجلا عاقلا خبيرا بالحرب خاصة قبل بلوغه الايلخانيـة أى عهد حكمه خراسان وذلك اثر حملات المغول المتعاقبة فيمـا وراء النهـر على هذا البلد فقد أتقن فنون القتال ومجابهة العدو ووقف على أسرار هذه الفنون ولم يك يبالى الموت بل كان يحرض جنوده دائمـا على احتقار الحياة وعدم الخوف من لقاء العدو وكان يستحضر قـواده فى الغالب كما كان ديدن جنكيز ويلقى اليهم بتعليماته الخاصة ويوصيهم وصية جنكيز الفاتح الأريب بالاستفادة قبل كل شىء بالطرق والمرشدين والأدلاء والاستعانة بمدد جواسيسهم قبل التحرك لتأمين وسائل التموين والمؤونة وتحصيل المعـلومات عن أحـوال العدو المعنوية وتجهيزاتـه المختلفة . وقد جهد غازان جهدا بليغا فى رعاية النظـام والانضـباط العسكرى وكان متأسيا بجنكيز فى هذا الأمر أيضا ويقول ان السـبب الأساسى لهزيمة الجيوش هو عدم انتظام الجند وتفسخ انضباطهـم وانحلاله وقت الوغى أو غلبة العـدو .

كان غازان على علم قليل بالعربية ولغات الصين والتبت واللاتينية فضلا عن اتقانه المغولية والفارسية وكان شديد الميل لمعرفة تاريخ السلاطين وآدابهم وأخلاقهم خاصة من عاصروه منهم وكان كلما صادف أحد الأجانب استعلم منه عن هذه الأمور كامل الاستعلام ، لكنه كان شديد التعلق فوق كل شيء بمعرفة تاريخ آبائه وأجداده المغول فلم يكن أحد من الافراد والكبار المغول يضارعه علما بأحوال المغول واسماء سلاطينهم ووقائع أيامهم وقد نقل رشيد الدين عن فم غازان قدرا من المعلومات النفيسة فى كتابه المعروف جامع التواريخ •

وكان غازان خان فوق هذه الفضائل رجلا فنانا وله معرفة ببعض الصناعات اليدوية والحرف المختلفة من قبيل المعمار والنقش والحدادة وصناعة الأسلحة وأنفق قدرا من عمره متجولا فى طلب الكيمياء والاشتغال بالرمل والتنجيم وجمع النباتات العجيبة كما هى عادة المغول وكان يفكر فى بناء مرصد بالقرب من تبريز وصنع نموذجا له فى شام غازان •

كان غازان يؤثر اهل الأدب والحكمة والفضل وغالبا كان يجالسهم ويطارحم الأسئلة فى محضرهم ولديه المام كاف بالأديان والمذاهب والملل والنحل يمضى كثيرا من وقته فى مباحثه الفرق الدينية المختلفة ومناظرتهم • وكان ذا خبرة فى تشخيص ندر كفاءة الناس ولياقتهم ينزل كلا مقامه الحرى به حسب فضله واستعداده ، وقلما كان يصغى لكلام المغرضين وسعاية الساعين ، وعلى النقيض من ذلك كان شديدا قاسيا فوق المعتاد فى عقابه المخطئين وتأديبهم ويغلظ فى معاقبة عماله وأتباعه وقواد جيشه الذين يتعدون حدود العدل والنصفة وكان جماعا لأزمة هواه لم يصدر عنه ما يبين عنه تشهيه وكان ينزل من يرتكب رذيلة شديد العقاب والمؤاخذة ، ولما كان فى تنفيذه ياساه التى سوف نذكرها غاية المراعاة والشدة فلم يقل حكمه فى سفك الدماء وأعمال القسوة عما سبقه فى العهود المتقدمة •

القواعـد والياسـا الغازانيـة : ــ

وضع غازان قواعد وياسات لتحقيق رفاهية الرعيـة ووصـــول الضرائب وصولا منظما ورفع الظلم والتعدى وحسن ادارة الأمور وألغى كثيرا من الآداب والرسوم التى كان معمولا بها قبله ولم يرض بها ورآها مجافية للعدل والنظام ، ونشير الى قواعده باجمال :

١ ــ قبل غازان كان جمع ضرائب الولايات يقطع للحكام وكانـوا غالبا ظلمه طامعين فطالبوا الرعية احيانا بأداء الضرائب عشر مـرات فى عرض العام الواحد بل عشرين مرة فى بعض الأوقات .

وكان من المفروض أن تجمع حصيلة هذه الضرائب من المخـارج الجارية والصكوك التى كان يرسلها الديوان حـوالات للرعية بالولايات الا أن الحكام كانوا يتلقون أكثر هذه الضرائب والعـوائد بالاسـتيلاء عليها لأنفسهم فتبقى الحوالات بأيدى الرعية لم يؤد مالهـا أو تدفـع ضرائبها فتعود الى الخزينة . ولم يكن العمال بالديوان يفتشون قـط فى عائدات الولايات ولا يعرفون شيئا عن حساباتها فيصدرون بـدون أدنى ملاحظة أو مراجعة الصكوك والحولات الآتية من حكام الولايات ، وكان بين هؤلاء الحكام وصاحب الديوان أو الوزير علامات متفق عليها فاذا لم يرسم صاحب الديوان هذه العلامات على الحولات امتنـع الحكام عـن دفع أموالها التى أدتها الرعية .

وقد هجرت الرعية العاجزة قراها لظلم الحكام وجورهم وجلوا عن أوطانهم فنتج عن ذلك خراب تام فى المدن والقرى ، وكان عمال الديـوان على علم كامل بهذه الأوضاع لكنهم لم يقدموا على القضاء على الظـلم وأسبابه لتحالفهم مع الحكام ، وكانت عامة أصحاب الدواوين والوزراء المغول مشتركين فى هذا الظلم بتفاوت بينهم والمسئولين عما نتج عنه من خراب وان كان أكثرهم مسئولية صدر الدين الخالدى الزنجـابى لأنـه افتتح هذا الوضع الفاسد ووصل فى اسرافه وانفاقه المال فى غير موضعه الى حد الافتضاح وبلغ اصدار الحوالات والصكوك من غير أن يصـدر

ما لهـا وضرائبها فى عهده أبلغ القبح والفضح •

وكان غازان شديد التأثر لهذا الفساد المـالى فأقدم قبل كل شىء على تنظيم وصول الضرائب واقصار أيدى العمـال وحكام الولايـات الظلمة وطمأنة خواطر الرعية من هذه الناحية ، لهذا أمر الا يقطع جمع الضرائب وألا تطالب الرعية بدفع الضرائب أكثر من مرة طول العام ، وأرسل لكل ولاته مستوفيا خاصا لكى يعـد كشفا أو صورة لعائـدات جميع دافعيها من البلاد طبق آخر تحديد حدد لها بالاسـم والرسـم ويرسل به الى غازان ولكى ينسخ صورة أيضا للامـلاك الشخصـية والخالصة والأراضى الخاصة أو الـ (اينجو) والأوقاف المستقلة ويذكر فيها اسماء المستفيدين بعوائدها فى الثلاثين سنة الأخـيرة ، ويرتـب ويدون (قانون المـال) كما كان المصطلح لكل ولايـة •

وبعد أن وصلت هذه الصور والكشوف الى الديوان وأزيلت أخطاؤها استنسخ منها عمال الديوان خلاصة العوائد والضرائب المقرر بالمطالبـة بها سنويا وقيدت مضبوطة بالديوان ، ومهر الموظفون الكبار الديوانيون كشف ضرائب كل قرية ومدينة بالأختام الديوانية ووشح السلطان عليها باسـمه (١) •

وأصدر غازان أوامره بالا يقيد من هذا الوقت فمـا بعده حـكام الولاة والمستوفون حوالات على أحد من الرعية واذا خالف حاكم هـذا الحكم فأصدر صكا أو كتبه كاتب عوقب الأول وقطعت يد الثانى • وكان اثر هذا النظام وازالة التعدى على الرعية وظلمها وتحديد مقدار معلوم من الضرائب لكل قرية وضيعة عن قواعـد وقوانين ثابتة أن عمـرت الولايات بعد عامين أو ثلاثة ودخلت الأموال بتمامها غير منهوبة الخزانة وقصرت يد تعدى الحكام والمستوفين والمبعوثين تماما •

---

(١) التوشيح تعليق العنق بالحمائل والزينة وتزيين المكترب بالامضاء والختم وباصطلاح علم البديع تضمين اسم الشـخص أو الشىء فى الحـرف الأول للمصراع أو البيت بترتيب الجمع والتركيب •

٢ — قبل غازان كان الرسم أن يرسل بمأمورين سمى الواحد منهم (ايلجى) أى الرسول والمبعوث للولايات لتنفيذ أمور الدولة الهامة وابلاغ أخبار المدن للعاصمة ، وقد اتسم هذا الرسم الذى كان جاريا من عهد جنكيز بالسوء الشديد ، فقد كان عامة أمراء البيت المغولى وغيرهم من الأمراء وقواد العشرة آلاف والآلاف والمئات والشحنات أو قواد جيش الولايات يرسلون خدمهم مطلقين عليهم اسم الرسول والمبعوث (ايلجى) الى الولايات للاستخبار أو قضاء المصالح الأخرى ، واذا ما كان لأمير خصومة مع آخر أو قضية لم يعرضها عليه الحاكم أخذ من بين من تقرب اليه مبعوثا يرسله للحاكم ، ومع أن منازل البريد كان يعد بها خمسمائة جواده الا انها لم تكن جيادها تكفى لركوب المبعوثين فكان هؤلاء المبعوثون يأخذون ما يريدون من خيول الرعية وقد بلغ أمرظلم المبعوثين وتعديهم على الناس حد ان جرأ جماعة من قطاع الطرق فسموا أنفسهم مبعوثين وأخذوا ينهبون خيول الرعية ، ولم يكتف الرسل بذلك بل كانوا يأخذون ما يطلبون من أهالى القرى الواقعة على الطرق من المؤونة والأعلاف . وحينما كان يمر المبعوثون كان رؤساء الولايات ينزلونهم فى منازل الرعية وأرباب الحرف وكان هؤلاء المبعوثون النهبة يستولون على كل ما يصادفونه فى بيوت الناس وأحيانا كانوا يرتكبون أمورا مشينة فيها أيضا .

أمر غازان خان لالغاء هذا الرسم أن يبنى كل ثلاثة فراسخ فى الطريق للمبعوثين الخاصين بالحكومة المكلفين بانهاء الأمور الضرورية للمملكة منازل تحتفظ كل منها بخمسة عشر جوادا قويا وان يعطى كل مبعوث معه أمر موشح من السلطان أحد هذه الخيول ، ووضعت هذه المنازل بيد أمراء كبار ، كما أرسل الى الحكام والأمراء بولايات الحدود قدر من الورق الأبيض الموشح بخاتم السلطان ليعطوها مبعوثين اذا اقتضت الضرورة ، وقرر ألا يعطى أكثر من أربعة خيول لكل مبعوث ، واذا اقتضى خبر وجه السرعة فى ابلاغه كان يمهره الحكام والأمراء

بأختامهم ويعطونه الرسول ليبلغه الى أقرب منزل اليه راكبا خيل منزله ويفعل نفس الفعل الرسول تاليه الى أن يصل الخطاب المخيم السلطانى ، وهكذا كان المبعوثون يقطعون فى اليوم الواحد ستين فرسخا وكان المسافة بين خراسان وتبريز مثلا تطوى فى ثلاثة أو أربعة أيام •

وأمر غازان فضلا عن ذلك أن يصرف لكل مبعوث نفقات سفره وأن يبنى بالمدينة بيوت تسمى (ايلخى خانه) أى بيوت المبعوثين لاقامتهم ، ولم يصبح لغير الايلخان ونواب البلاط الحق فى أرسال مبعوث من لدنه ، وعلاوة على ذلك أمر قاصدين فى كل منزل ليبلغوا لدى الاقتضاء أخبار المنازل احداهما للأخرى وكان هؤلاء القاصدون يقطعون فى اليوم ثلاثين فرسخا •

٣ — عمم غازان خان فى شعبان (٦٩٨هـ) أمرا على جميع البلاد نهى فيه عن الربا وفوائد المال نهيا تاما كما أمر الحكام والشحنات بعقاب من يعصى الأمر •

٤ — قبل أيام حكم غازان كان كل حاكم لبلاد الروم وآذربايجان وفارس وكرمان والكرج ومازندران يسك عملته بعيار يخالف العملات الأخرى ولما لم يكن عيار السكات واحدا فى كل البلاد الايلخانية ظهر اختلال فى التعامل وصار سبب ضرر التجار وجدال كبير فى أمور التجارة • وأصدر غازان أيام حكومته أمرا بأن يكون عيار العملة الذهبية والفضية فى كل البلاد تسعة أعشار وأمر كيخاتو نفس هذا الأمر لكنه بسبب عدم قدرة الايلخانيين لم ينفذ هذا الأمر فلم يتجاوز عيار العملة الذهبية والفضية عن الثمانية الأعشار •

وجمعت بأمر غازان كل العملات المغشوشة فى كل البلاد الايلخانية فلم يرج غير المسكوكات التى أمر بضربها وكان موظفو المسكوكات يضبطون العملات المخالفة لصفات المأمور بها ويكسرونها ويحملونها الى دار الضرب ليعاد سكها كاملة العيار •

٥ ــ وكان قبل غازان مقاييس الوزن والكيل بشكل خاص فى كل ولاية بل فى كل مدينة وقصبة وكان الوزن والكيل يختلف اثناهما عــن الآخر من قرية الى قرية اختلافا فادحا وكان هذه المشكلة تسبب كل حين بين موظفى الحوالات الضريبية ومحصلى الضرائب أو والرعية الاختلاف وتوجد حجة للعمال الجائرين لكى يحصلوا من الرعايا ظلما أكثر مما يحق لهم المطالبة به فكانوا يستنزفون الناس ما يريــدون بضربهــم بالعصى وتعذيبهم بحجة اختلاف المكاييل والموازين ، وقد سبب هذا الاختلاف فضلا عن المعايب المشار اليها انتكاس التجارة أيضا وعدم رغبة الناس فى أن يحملوا تجارتهم الى سائر الولايات لأنه غالبا كان يقع الاختلاف بين البائع والمشترى على الوزن والميزان وكان التعــامل ينتهى أغلــب الأوقات بضرر البائع فصار هذا الأمــر موجب نقص بعض الاموال فى غالب الولايات •

وأصدر غازان لكى يوحد الأوزان والمكاييل أمرا وزعه على ســائر الولايات وعين موظفين مخصوصين لكى يساووا موازين التعامل بالذهب والفضة وأوزان الاحمال والمكاييل فى كل مكان وأن يصنعوا هذه الموازين من الحديد ويمهروها بأختام خاصة •

٦ ــ لمــا كان من نتيجة استيلاء المغول وحروب عهد الحــــكم الايلخانى وظلم العمال الديوانيين وتعديهــم أن خربت أغلب القــرى والقصبات وبارت المزارع ، أصدر غازان أحكاما لتعمير مــا خرب مــن الأراضى البوار بأن يجدد الناس العمائر والمبانى ويزرعــون المــزارع البائرة لقاء معاملة خاصة من فروع الديوان لهم فيخفض عنهم الضرائب•

وقبل غازان خربت الأملاك الخاصة الايلخانية أو أمــــلاك الــ (اينجو) تماما وأكل الحكام الأموال المرصودة لها ، فأمر غازان بــأن يوضع من الضرائب لكل ولاية مبلغ تحت اختيار الحكام لشراء البــذور ونفقات الزراعة على أن يستنزل السنة التالية من محصولها • وفى السنة

الأولى أحب بعض الحكام أن يمتنع عن أداء مقرراتها بحجة أضرار الآفات وضعف محصولها فضمت أملاكهم الى الديوان بناء على أوامر غازان ونتيجة لذلك زرعت كل الأراضى البوار وبلغ انتاجها مستوى كبيرا •

٧ — قبل غازان كانت طرق التجارة غير آمنة وخطرة بسبب تسلط قطاع الطرق عليها ومشاركيهم ممن سموا أنفسهم رفاق القافلة فكانت أموال المسافرين ورجال القوافل معرضة دائما لخطر النهب والسرقة واتفق قطاع الطرق مع الأدلاء والمرشدين عليهم •

فأمن غازان الطرق وأمسك بقطاع الطريق ولقوا جزاءهم ووضع مرشدين أمناء فى المنازل الخطرة وقرر أن يأخذوا عن كل حيوان أجرا معينا وان يكونوا مسئولين عن سلامة الطرق ، واذا وقعت سرقة فى الطريق كان على مرشد هذا القسم من الطريق الذى حدثت فيه السرقة أن يقبض على اللص أو يدفع قيمة ما سرق • كما قرر أن يوضع على رؤوس الطرق قوائم قصيرة من الحجر أو الحصى ينصب عليها لوحات يكتب عليها عدد المرشدين والقدر المستحق لهم أخذه عن كل حيوان •

٨ — قبل حكم غازان كان الملازمون خاصة الايلخانات الأمراء وقواد ابلهم وخيولهم وقاصدوهم يتمولون بمال من الأثرياء بكل مكان يصلونه لنفقاتهم • وغلب أن يرد عليهم فى اليوم الواحد ثلاث وأربع مجموعات من هذه الجماعة يعقب بعضها بعضا يأخذون من الناس جورا وعنفا ما يريدون فنادى غازان فى أسواق المدن أن لا يعطى من هذا التاريخ فصاعدا أحد بلا اسم ولا رسم الملازمين والقاصدين والجمالين الخاصة دينارا واحدا ولو سمع أن أحدا أخذ من غيره شيئا ظلما فسوف يسترد ذلك منه بضرب الهراوة وكان هو وجيشه اذا نزلوا بأى مكان اشتروا ما يلزمهم بأسعار عادلة فلم يكن أحد يتعرض للرعايا والعامة بسوء •

٩ — نهى غازان بناء على أمر منه عن شرب الشراب والمسكر فى

الشارع العام وقرر أن يطاف بالعاصى فى الطرقات ثم يعلق بالأشجار وأرسل بالأوامر المتتابعة الى الولايات منع فيها الناس من التلفظ بحديث الكفر كما أمر أن لا يعتقد أحد أن كفاءة السلطان أو فطنته لهما دخل فى الانتصارات التى كانت نصيبه أو نصيب جيشه بل يعدها جميعا من توفيق الله عز وجل وأن أى شر يتولد عن السلطان لا ينسبه الا اليه ، وأصدر حكما كذلك يخفض فيه فى عقود الزيجات من صداق المرأة ويحدده بتسعة عشر دينارا ونصف دينار حتى اذا لم يحدث اتفاق بين المرأة وزوجها لا يكون أمر الطلاق متعسرا بسبب ارتفاع قيمة الصداق •

١٠ — واحدى عظيمات اصلاحات غازان تنظيم أمر المرافعات واختيار القضاة والشهود وأمور التعامل العرفى فكان قبله سوق التزوير والغش شديد الرواج بسبب عدم الاهتمام باختيار القضاه وأخذهم الرشوة فقل أن فصل فى أمر بمقتضى العدل والانصاف وكان القضاة يستأجرون مناصبهم وشاع كمال الشيوع أخذهم بالشهادة الزور وتزوير الاقرارات والحجج وأخذهم الرشوة واعداد المستندات المزورة وتقليد الخطابات •

وأصدر غازان خان لكى يلغى هذه الرسوم المقبحة وليصلح نظام المعاملات والمرافعات أربعة فرمانات : الفرمان الأول بخصوص منصب القضاء والثانى بشأن التقادم وعدم الترافع لقضية مضى عليها ثلاثون عاما والثالث بشأن اثبات ملكية البائع قبل البيع والرابع تأكيد الفرامانات الثلاثة السابقة وتكميلها •

١١ — لم يكن لرسوم الجنود ورؤسائهم وتموينهم ورواتبهم نظام صحيح قبل غازان وانما كان لبعض قواد الجيش وحدهم مقدار معين من الأجر يأخذونه من الديوان ، فحدد غازان للجنود الذين يخدمون على كثب من العاصمة رواتب معينة كان يرفعها من عام الى عام ، ولما كانت صكوك رواتب الجنود قبله ترسل الى الولايات وغالب الوقت لم

تكن تصل أصحابها فيؤدى ذلك الى أضرار للرعية والجنود أصدر غازان أمره بأن تجتمع فى كل ولاية من الولايات فى مكان معروف أمول الديوان حين تجتمع وذلك بعلم الشحنة لكى يدفع قيمة أى حوالة وصك فور وصولها الى صاحبها فلا يضار الرعايا ثم أصدر فى (٧٠٣هـ) أمرا حدد فيه لعامة الجنود اقطاعات معلومة .

١٢ — وقبل غازان كانت جماعة من صناع الأسلحة يصيبون كل عام مقدارا من الأجور المالية والعينية لقاء اعدادهم الأسلحة للجيش الايلخانى ، لكنه بسبب الهرج والمرح الشائع فى أمور البلاد لم يكن العدد المقرر ارساله من الأسلحة كل عام يرسلون به الى الجيش ، فقاطع غازان تعامله معهم وأمر بعضا من صناع الأقواس والسهام والسيوف بارسال مائة مجموعة من كل منها سنوياويأخذواقيمتها حسب السعر الجارىوكلف رجلا أمينا بتسلم الأسلحة منهم كل عام وسمى ولاية ليدفع مالها ثمنا لهذه الأسلحة ، وبهذا النظام كان عشرة آلاف جندى على أهبة بأسلحتهم بينما كان يدفع قبل غازان ضعف ما دفعه ولا يسلح ألفا جندى .

١٣ — واحدى اصلاحات غازان ترتيبه (التاريخ الايلخانى) أو (التاريخ الغازانى) الذى قام به لتوفيق وتطبيق السنوات القمرية مع الشمسية فى التقويم الهجرى اذ أنه حدث فرق بينهما بسبب تأخير بداية العام أو (النوروز) ومن ثم تكون فارق ثلاثة عشر عاما بين السنتين فى عهد غازان ، فطابق هذا الايلخان السنين القمرية بالشمسية فى الثالث عشر من رجب من عام (٧٠١هـ) بعد أن اهمل تطبيقها من عهد المعتضد الخليفة العباسى والديالمة ، وجعل من هذا اليوم بداية تاريخ جدد ، الا أن هذا التاريخ لم يدم وعجلت الايام بزواله .

الأبنيــة الغازابيــة : —

غازان خان أحد السلاطين المعمرين المشيدين لكثرة تشييده العمائر والأبنية ، وقد جرت عادة المغول أن يوسد اجساد خاناتهم ثرى مكان

مختف بعيد عن العمار والزراعة ويحظر دخوله ، فأحب غازان بعد أن آثر الاسـلام دينا أن يتشبه برجـالات الدين الكبار وسلاطين المسـلمين فابتنى لنفسه مقبرة وهو حـى أوقف عليها لكى يحيا على وقفها الصلحاء والزهاد والعباد فيذكرونه بالخير بعد موته ، ولهذا القصد بنى قبة فى (شام تبريز) الذى سمى بعد ذلك بشنب غازان أو شام غازان جنـوب تبريز بثلاثة أرباع الفرسخ كانت من روائع المعمار الاسلامى فاقت فى كبرها وعظمها ما بنى حتى عهد فى البلاد الاسلامية •

وبعد أن أتم بناء قبة قبره أوقف عليها فى ايران والعراق أملاكـا خاصة ولاها الوزيرين سعد الدين الساوجى ورشـيد الدين فضل الله ، وبنى حولها كثيرا من المساجد والمدارس والخانقاهات والحمامات ودور الكتب وغيرها من وجوه الخير •

وخلاف ما أشير اليه من أبنية أعاد غازان بناء مدينة أوجان بأكملها فى (٧٩٨هـ) من جديد واختط فيها أسواقا وحمامات جديدة وبنا خانقاة أيضا فى همدان ، وشيد أسوارا دائرة حول تبريز وشـيراز وعمـر فى (٧٠٢هـ) قلعة تبريز •

٢ ـ السلطان محمد خدابنده أولجايتو

(٧٠٣ ـ ٧١٦ هـ)

اختار غازان خان كما سبق القول أيام حياته أخاه محمدا وليـا لعهده وخلفا لـه وكان محمد حين وافى غازان أجله فى خراسان فما ان سمع بوفاة أخيه حتى ابتداء بقتل الأمير آلافرنك ولد كيخاتو عن طريق جماعة من أمرائه وكان يطالب خلافة غازان يساعده فى ذلك (هرقداق) قائد جيش خراسان ومع أن هراقداق ولى درزه فارا الا انه لم يقض فترة طويلة حتى وقع فى الأسر ثم قتل مع أخين له وثلاثة أولاد ونجـا محمد فى بداية حكمه من شر غائلة عظمى •

بعد القضاء على فتنة آلافرنك وهرقداق وادخال جنودهما طاعة السلطان واشاعة الأمن بخراسان تركها السلطان محمد الى تبريز دار ملكه وقد رافقه فى سفره هذا كثرة من الجند وجمع من الأمراء الكبار من قبيل الأمير مولاى وسونج وايسن قتلغ وعلى القوشجى .

وبعد جلوس محمد على العرش لقب نفسه السلطان أولجايتو أى السلطان المغفور له وكان اذ ذاك لا يزيد عن الثلاثة والعشرين عاما وهو ثالث ابن لأرغون خان .

وقد لقب الشيعة السلطان محمدا أولجايتو بلقب (خدابنده) أى عبد الله بسبب تعلقه بمذهبهم الا أن اهل السنة حرفوا هذا اللقب الى (خربنده) أى المكار والحمار بدافع العداء والحقد وذكر لقب السلطان محمد أو لجايتو لهذا السبب بالشكلين معا فى كتب القدماء .

أصدر أولجاتيو بعد جلوسه بأيام ثلاثة أمرا يقضى باقامة المراسم الدينية وشعائر الاسلام ورعاية قوانين غازان وياساته وخلع على الأمراء وقواد الجيش الكثير ، ومنح قتلغشاه نويان رئاسة (1) القيادة العامة للجيش والمقام الأول بين رجال الملك ، وجعل تحت امرته الأمير تشوبان وفولاذقيا وسونج وايسن قتلغ ثم أبقى رشيد الدين فضل الله الهمدانى الطبيب وزيرا له كما كان سابق حاله آيام أخيه وجعل سعد الدين محمد الساوجى شريكا له فى أمور الديوان والوزارة .

بنـــاء السلطانية فى (٧٠٤ هـ) : ــ

فكر غازان خان أواخر عمره أن يختط مدينة فى (جمن سلطانيه) حيث ينبع نهر أبهر وزنجان القصيران وشرع فى بنائها لولا أن الأجل

---

(1) بالتركية بيلكر بيكى اى رئيس الرؤساء او امير الامراء وذكرها المؤلف فى النص الفارسى . وفى تاريخ بخارى ان هذه الرتبة العسكرية تعادل فى العصر الحديث رتبة المشير وكانت شارتها علما احمر طويلا ، وقد ظلت هذه الرتبة فى عهد تيمور والاوزبك . (تاريخ بخارى ص ٣١٥ وحاشية رقم ٢)

لم يمتـــد به فاقتفى أولجايتو فكرة أخيه ٠

كانت منطقة السلطانية الحالية ومروجها عهد المغول مرتعا لأحشامهم وغلب أن كانوا يلقون برجل اقامتهم فى عبورهم من العراق الى آذربايجان أو بالعكس ، فألقى غازان خان فيها وكانت خربة تماما أساس مدينة وبدأ بناءها أولجايتو باسم السلطانية على بعد خمســة فراسخ من زنجــان وتسعة من أبهر فى (٧٠٤ هـ) فأتمها فى مدة عشرة أعوام بحيث أن فى عام (٧١٣ هـ) ظهرت احدى أعاظم البلاد الاسلامية فى مكان لم يكــن أكثر من مرج وأنشأ بها كثيرا من العمائر والمدارس والمساجد والحمامات والأسواق وتجمع بها سكان كثيرون من كل طبقة ٠

وأمر أولجايتو ببناء سور مربع حول السلطانية كان طوله ثلاثين ألف قدم وبلغت ضخامة جدرانه انه كان بمكنة أربعة فرسان أن يتحركوا على جدارها متحاذين ، وأقام أولجايتو بوسطها قلعة عظيمة كانت كأنها مدينة فى عظمتها وبنى بها قبة ليدفن بها فدفن بها بعد وفاته وعرفت باسمه (شاه خدابنده) وهى من اهم الأبنية ومن النماذج الرفيعة للمعمار فى عهد المغول ٠

وقد اقتفى أولجايتو فى بناء السلطانية الأسلوب الذى سار عليه غازان فى بنائه شنب غازان فى تبريز فقد أمر بعد تشييد المدينة والقبة على أطراف قبره ببناء سبعة مساجد زين أحدها بالمرمر والصينى على نفقته وأقام فيها كثرة من الأبنية كدار الشفاء ودار الدواء ودار السيادة والخانقاة وأوجد أولجايتو أيضا فى السلطانية بعد قصر بناه لاقامتــه الخاصة مدرسة كبيرة على غرار المدرسة المستنصرية ببغداد اســتدعى اليها المدرسين والعلماء وأهل البحث والدرس من كل حدب وصوب ٠

وقد شارك فى بناء العاصمة الجديدة أمراء أولجايتو ووزراؤه كــل بنصيب ومن بينهم الوزير رشيد الدين الــذى عمر محله كاملــة من السلطانية شملت ألف دار فضلا عن مدرسة ودار للشفاء وخانقاه ٠

وبعد أن بنى أولجايتو السلطانية استقدم أفواجا من أرباب الحرف والصناعات من تبريز اليها وشغلهم بترويج صناعاتهم اليدوية فيها ، وافتن فى الاهتمام بها حتى صارت فى مدة وجيزة أول مدينة فى البلاد الايلخانية بعد تبريز ، ولكن للأسف لم يدم لها عظمتها اذ زالت أهميتها بعد أولجايتو وأبى سعيد خان مرة واحدة ، فخربت بالسرعة التى عمرت بهـا وسوى الأمير تيمور لنك الذى كان كأنه على عداء شخصى مع العمار ما بقى منها بالأرض ولم تر هذه المدينة من ذاك الوقت حياة وما تزال الى اليوم أطلالا .

فتـح جيـلان فى (٧٠٦ هـ) : ــ

بقيت ولاية جيلان الصغيرة الواقعة من أردبيل وخلخال حتى حدود كلاردشت وأرض مازنـدران طـوال عهد استيلاء المغـول بمنجـى من سيطرة قواد جنكيز وهولاكو والايلخانات أعقابهما ولم يتمكن المغول منها بسبب وجود المعابر الصعبة العبور اليها والمروج الكثيفة حولها .

وفى (٧٠٦هـ) سير أولجايتو أربعة جيوش من أربـع نواح عـلى النحو التالى : أرسل الأمير تشوبان من ناحية أردبيل وطالش وقتلغشاه من جهة خلخال وطوغان والأمير مؤمن من اتجاه قزوين وكلاردشت واتجه هو بالجيش الرابع عن طريق لاهيجان صـوب جيلان هدف الهجوم .

أرسل أولجايتو قبل غزوة جيلان سفراء الى أمرائها المحليين طلب منهم طاعته ، فبعث امراؤها كلهم بهدايا الى السلطان ودخلوا طاعتـه فلقوا منه الاكرام والاحترام لكنهم أدركوا بعد قليل أن ثروة جيلان التى فاقت الحد وصيت انتاجها خاصة حريرها أطمعا أمراء أولجايتـو بالولاية ، فأصبح كل أمير من امرائها يتوقع ويضرب أخماسا فى أسداس وبدأ كل منهم لذلك السبب يخرج عن طاعة السلطان وينبعث للدفاع عن أملاكه الوراثية وماله واسمه ، فأخنق هذا أولجايتو وصمم على تحريك

جيشه والاستيلاء على جيلان من الجهات الأربع •

ومع أن فتح جيلان كان يبدو للوهلة الأولى سهلا بسبب صغرها وقربها وعدم قوة أمرائها المحليين الا أنه اتضح بعد قليل أن أمر فتحها ليس سهلا كما كان يبدو لأن صعوبة الطرق والموانع الكثيرة كالغابات والجبال والأمطار والأوحال من ناحية جعلت من جيش أولجايتو فى كل خطوة يخطوها نهب الشدة والخطر ومن ناحية أخرى فان دفاع أهلها البطولى عن أرواحهم وأموالهم أحل بجيش خدابنده الهزائم المتتابعة ومع أن أولجايتو سيطر على جيلان نهاية الأمر وأدخل أمراءها طاعته يؤدون الخراج اليه الا انه غرم خسائر ضخمة فى الأرواح وقتل القائد العام لجيشه وهو قتلغشاه الرجل الأول فى المملكة فى هذه المعارك •

وبعد أن سيطر أولجايتو على جيلان وادخال أمرائها طاعته قرر أن يرسل كل منهم مقدارا من الحرير كل عام كخراج الى المعسكر الايلخانى ويعد نفسه من هذا الوقت تابعا له ، ثم قرع ابن قتلغشاه بالعصا لفراره من الحرب وعين الأمير تشوبان فى منصب قتلشاه أى القيادة العامة للجيش وعاد بجميع أمراء جيلان المطيعين الى السلطانية •

أولجايتـــو والتشيع : —

عمدت أم أولجاتيو وكانت من قبيلة الكرائيت المسيحية ابنها — نيكولا فى البداية — طبق مراسم الدين المسيحى وعاش أولجايتو بهذا الدين حتى وفاة أمه فتزوج بامرأة مسلمة • وقد حثته زوجته على الاسلام واختار خدابنده من المذاهب الأربعة السنية المذهب الحنفى مذهبا بسبب نفوذ علماء خراسان الأحناف وأصبح مسلما رسما وأمر بنقش اسم الخليفة الأول على مسكوكاته •

وفى (٧٠٩هـ) دخل السلطان محمد خدابنده المذهب الشيعى بتشجيع أحد امرائه ذوى النفوذ واصرار علماء الشيعة فأمر

بترك اسماء الخلفاء الثلاثة فى السكة والخطبة وباحلال اسماء أمـــير المؤمنين على والامامين الثانى والثالث عنـــد الشيعة محـــل الأوائل فى الخطبة والاقتصار فى السكة على اسم على بـــن أبى طالب وقبول شعب ايران مذهب التشـــيع .

وأصدر أولجاتيو أمره لكى ينشر عقائد التشيع بجلب أئمة هـــذا المذهب من البلاد لينشئوا مدارس خاصة لتعليم اصول التشيع وعقائد فرقه كما هيأ مدرسة بجوار قبة السلطانية عمل فيها ستون معلما ومدرسا اجتمع عليهم مائتا تلميذ لتعليم عقائد الشيعة وأنشأ مدرسة أخرى فى معسكره باسم (المدرسة السيارة) من خيم تطوف مع الجيش أينما ذهب ويتحرك معها طائفة من كبار علماء الدين ليدرسوا لطلاب العلم .

وقد دفع اقبال أولجاتيو واهتمامه بالمذهب الشيعى علماءه الى أن يأتوا معسكره من كل حدب وصوب ويحببوا السلطان أكثر مما سبق فى هذا المذهب ويحاولوا احـــكام ايمانه به بالأدلة الكلاميـــة والشـــواهد المختلفة فيسدوا الطريق على نفوذ أئمة اهل السنة . وكان بين هـــؤلاء العلماء العلامة جمال الدين الحسن بن المطهر الحلى (٦٤٨ — ٧٢٦هـ) وابنه فخـــر المحققين فخر الدين محمد (٦٨٢ — ٧٧١ هـ) وكلاهما من علماء الشيعة المعروفين خفا مع جماعة أخرى من أئمة هذا المذهـــب الى بلاط أولجاتيو بالسلطانية وقدم العلامة الحلى وهو من أشهر مصـــنفى الفرقة الامامية الاثنى عشرية ومن علماء المعقول والمنقول ومن تلامـــذة نصير الدين الطوسى كتابين فى اصول عقائد الشيعة من تأليفه تحفة الى أولجاتيو . وأنزل السلطان بالحـــلى وابنه منزلة الاحـــترام وأقامـــا بالمعسكر ، وطفقت قوة التشيع تزداد يوما بعد يوم اثر هذه الواقعة وأتى علماء الشيعة من البلاد المختلفة خاصة من العراق والبحرين ايـــران وانكبوا على تأليف الكتب ونشر عقائد هذا المذهب .

وكان السلطان خدابنده ذا طبع مسالم قليل التعصب فبعد قليـــل

من قبوله التشيع واصدار أوامره بالترويج له بتشجيع علماء الامامية رأى أن اهل أغلب بلاد ايران خاصة اهل قزوين وشيراز واصفهان لا يطيعون أوامره وأن جماعة من أمرائه يصرون ويتعصبون فى الحفاظ على مذهب اهل السنة ، لهذا قلل من حماسه الأول فى مشايعته للتشيع وأمر ثانية آخر عمره أن تدخل اسماء الخلفاء فى السكة والخطبة .

قتل سعد الدين الساوجى فى (٧١١ هـ) : —

عمل سعد الدين محمد الساوجى مشاركا لرشيد الدين فضل الله الشطر الأعظم لسلطة غازان وأولجاتيو فى ادارة أمور الدولة وتدبير مهامها لكنه أخذ يفقد قبوله الأول فى خدمة أولجايتو بالتدريج ونزل منه منزلة خشونته ، والأمر الذى كان باعثا على أفول نجم اقباله يوما بعد يوم هو طلوع كوكب سعادة رجل ذكى طامح للمجد نفد الى البلاط الايلخانى وأخذ يستلفت انتباه أولجايتو اليه آنا بعد آن وهو تاج عليشاه جيلان تبريزى وكان فى الأصل دلال جواهر وأحجار كريمة لم لم يكن بفضل أو علم ولكنه بفهم وذكاء واستعداد ، وقد تعرف الى الأعيان والأمراء وكثر تردده عليهم عن طريق تعامله التجارى معهم وعرف نفسه بنفس الطريقة للسلطان فأصبح موضع اهتمامه .

وأرسل الوزير سعد الدين بعليشاه الى بغداد ليدير المصانع الخاصة بالنسيج بها لابعاده عن البلاط فذهب اليها عليشاه وسرعان ما نظم أمور مصانعها تنظيما حسنا وصنع بها بعض المنسوجات النفيسة العالية القيمة لم يصنع مثلها أحد قبله ولما قدم السلطان بغداد أتحفه عليشاه وأهداه بها ، فزاد اهتمام خدابنده به أكثر مما كان وأخذ أمره فى الارتقاء حتى أنه رافق العسكر السلطانى ، ولما بلغ الجيش السلطانية شيد عليشاه على نفقته الخاصة بهذه المدينة أبنية رائعة وأقام سوقا لم ير مثله حتى ذلك الوقت بالعاصمة فرضى أولجاتيو الذى كلف بتعمير هذه المدينة والبناء بها على عليشاه رضاء كبيرا وزاده

أكراما ورعاية عما سبق • أما سعد الدين فقد برم بما حدث ولم يستطع أن يرى علو أمر عليشاه وعلى النقيض منه أبدى رشيد الدين احترامه لعليشاه وتعظيمه له فأدى الخلاف بينهما الى الاصطدام فسعى سعد الدين للاضرار برشيد الدين ، فسعى رشيد الدين به عند السلطان دفاعا عن نفسه وتخلصا من عدوه واتهمه بالاختلاس وبعد أن حقق فى حسابه وثبت الجرم عليه قتل بأمر من أولجاتيو فى العاشر من شوال (٧١١هـ) على بعد فرسخ واحد من بغداد • وبعد أن قتل سعد الدين اختار أولجاتيو عليشاه فى منصب الوزير المقتول وذلك بطلب من رشيد الدين وقرر أن يكون الأخير مع تاج الدين عليشاه فى أمور تعامل الديوان وأن يكون عليشاه مع رشيد الدين فى المشورة والتدبير لأمور الملك وأن يطيع تاج الدين أوامر رشيد الدين •

وعمل رشيد الدين هذه المرة على اصلاح ما خرب فى عهد تولى سعد الدين وأتباعه وتقنين قوانين جديدة وأناب فى كل ولاية حاكما أمينا من بين ذلك عهد الى حمد الله المستوفى القزوينى المؤرخ والمنشىء المعروف(١) بحكم قزوين وأبهر وزنجان وطارم العليا والسفلى والى ابنه أى ابن رشيد الدين جلال الدين بحكومة اصفهان والى ابن آخر له هو الأمير عبد اللطيف بوزارة أبى سعيد ولى عهد السلطان وكان قد نصب فى حكم خراسان فى عام (٧١٣ هـ) •

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن نصر المستوفى القزوينى فى (٧٥٠هـ) سليل الأسر القديمة التى عاشت سنوات طويلة فى قزوين ، ولى اعمالا فى خدمة رشيد الدين فضل الله الذى وجهه الى تعهد أموال وحكم قزوين وزنجان وأبهر • وكان حمد الله غالب الحضور بمجالس رشيد الدين والمشاركة فى مباحثاته العلمية والتاريخية • ومن آثاره المعروفة نظمه ظفر نامه ونزهة القلوب وتاريخ كريدة أو التاريخ المختار الذى الفه عام (٧٣٠هـ) لغياث الدين محمود ولد رشيد الدين . وهذا الكتاب موجز لكتاب جامع التواريخ اثر رشيد الدين مع ايجازات لتواريخ اخرى ، ويحوى الكتاب مقدمة وستة ابواب فى كل منها فصول مختلفة ساق فيها المؤلف بداية التاريخ ومباحث عقلانية ثم تواريخ الرسل والعرب والخلفاء وملوك ايران حتى عهده .

وفى أوائل عام (٧١٢ هـ) قدم بلاط أولجاتيو جمع من أمراء الملك الناصر محمد سلطان مصر وقواده وبعض فرسانه وحرضوه على غـزو الشام ، وكان أولجاتيو يفكر فى هذا الأمـر حتى قبل فتح جيلان فعزم على تنفيذ فكرته وتحرك بجيش متأهب من الموصل الى شاطىء الفرات ولكنه فشل فى الاستيلاء على أول قلاع الشام من ناحية العراق فى الخطوة الأولى فعاد الى ايران وتخلى نهائيا عن فكرة غزو الشام (١) •

وبعد عودة أولجايتو من الشام أى فى (٧١٣ هـ) نصب ابنـــه أبا سعيد الذى ولد عام (٧٠٤ هـ) وكان وقتذاك ابن التسعة أعـوام فى حكم خراسان وعين الأمير ســونج لأتابكته ورئاســة خراســـان وعبد اللطيف بن رشيد الدين بوزارته وجعل جماعة أخرى من الأمــراء فى معيتــه •

وقبل انتصاب أبى سعيد على حكم خراســـان هاجمها المغــول الجغتائيون مرارا وغلبوا الأمير بيساو والأمير على القوشجى وتصادف دخول أبى سعيد المدينة مع هجوم منهم آخر وانضم الأمـير يســاول والأمير على القوشجى بعد عجزهما عن مقاومتهم لجيش أبى سعيد وظل أبو سعيد مدة حكمه لخراسان وكانت ثلاثة أعوام وبعض العام فى شغل دائم لدفــع هجومهم •

وفى (٧١٥هـ) أى قبل وفاه أولجاتيو بعام احتاج أبو سعيد للمال لدفع رواتب جنده وأرسل مرارا وتكرارا الى الخزانة بطلبــه أى الى تاج الدين عليشاه ورشيد الدين فضل الله وكان هذان الوزيــران ينفس

---

(١) وجه أولجاتيو سفارة الى ممايك الغرب المسيحى مكونــة مـن « تومس الدوتشى » تحالفا ضد المماليك وكتب رســائل الى البابا كليمنــت الخامس والى ملكى فرنسا وانجلترا ، وقد أدت هذه الرسائل الى الاعتقاد بأنه يميل الى اعتناق المسيحية ، وكان ذلك منافيا للحقيقـــة ، وما زالــت رسائله الى فيليب موجودة فى متحف الوثائق الوطنى (وليم موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر ص ٨٢) •

أحدهما على الآخر منزلته ويطمح كلاهما الى الاستقلال فأخذ كل منهما يحيل دفع المال على الآخر • واستقر رأى أولجاتيو فى النهاية لانهـاء النزاع بين الوزيرين على تقسيم بلاده بينهما فجعل عراق العجـــم وخورستان وولايات اللور وفارس وكرمان بعهدة رشيد الدين وعـــراق العرب وديار بكر وبلاد الروم تحـت ادارة عليشاه الا أن الأخـــير طلب الى السلطان أن يشركهما معا فى الادارة العامة للبلاد وأن تمهـر الأوامر والأحـكام بخاتم كليهما •

أشرك أولجاتيو فى (٧١٥هـ) عليشاه ورشيد الدين فى أمـر الوزارة ليتدخلا متفقين فى تصريف أمورها المالية وتنفيذ أحكامها وقرر من هذا الوقت أن يكون لكل من الوزيرين معاون فى أمور الوزارة • وبعـد أن أخذ هذا النظام صفته الرسمية اعتكف رشيد الدين فى منزله طـــوال الشتاء لاصابته بالنقرس ولم يأت الديوان لمدة أربعة شهور كاملة وكـان أبو سعيد خلال هذه المدة يرسل برسله متعاقبين يطلبون المـال وكـان عليشاه يجيبه أن الخزانة خالية من المال وأن أموال الديوان كلهـا عند رشيد الدين الذى يتمارض حتى لا يدفع مالا ولايغادر منزله بغرض أن يظهره مقصرا فيزيله كما فعل بسعد الدين • وفى النهاية الأمر أمــــر أولجاتيو لأجراء مصالح الملك أن يتراضى الوزيران مع أنه كان خشنا مع رشيد الدين وأن يشترك الاثنان كما كان الحال فى ادارة الأمور •

موت أولجاتيو فى الثامن والعشرين من (٧١٦هـ)

كان أولجاتيو كأغلب الايلخانات غيره يفرط فى الشراب والشـــهوة فزاده ضعفا وفى رمضان من (٧١٦هـ) حينما كان فى القنص فى أطراف السلطانية وقع فريسة آلام فى قدميه وساءت صحته وأفرط يوما دخل فيه الحمام فى تناول أطعمه لذيذة فاشتد به المرض وفى الثامن والعشرين من رمضان ذلك العام وافته منيته فأودع ثرى المدينة فى قبتـــه ولمـا

يزد عـــن الأربعين بعد حكم اثنتى عشرة سـنة ونصف سنة •

أصدر أولجاتيو فى مرض موته أمرين يقضى أولهما بتحديد ذكـــر اسماء الخلفاء الراشدين فى خطبه الجمعة والثانى بارجـــاع نصف أموال سعد الدين الساوجى الى أولاده •

وأولجاتيو بوجه عام من ايلخانات ايران الأخيار عاش النـــاس فى عهده فى رفاهية وقل أن اقدم على ظلم أو قسوة ، واستقام فى عهـــده مذهب التشيع وازدهر العلم والأدب وكان ملكا معمرا فعلاوة على اتمامه بنـــاء السلطانية وقبتها فى سفح جبل بيستون وشيد مدينة أخرى سميت باسم (سلطان آبادتشمنتشال) أو بغداد الصغرى ومدينة ثالثة عـــلى حدود موغان قرب نهر أرس باسم (سلطان آباد أولجايتو) وكان لـــه علاقات مع البابا وسلاطين أوربا المسيحيين والروم الشرقية وأرسل عنه مبعوثين الى فرنسا وانجلترا وايطاليا ولعله كان يهدف من وراء ذلـــك الى تجميع حلفاء له لمهاجمة الشام ومصر وكان يفكر فى هذا قبل فتحـــه لجيلان وكان بعض المسيحيين فى جزيرة قبرص وأرمنية يحرضونه على هذا الهجوم ، لكن هذه العلاقات لم تتعـــد قـــط حدود التعارف ولم تنته بارسال مـــدد حرب من أحدهما للآخر بسبب المواقع الاساســـية والتنافس السياسى •

٣ ــ السلطان أبو سعيد بهادر خان
(٧١٦ ــ ٧٣٦هـ)

فى وقت مرض موت أولجاتيو أرسل امراؤه ووزيراه سرا رســـلا الى أبى سعيد وكان وقتذاك فى مازندران يستقدمونه الى السلطانية على عجل ليصلها قبل وفاة أبيه وكان هدفهم مـــن هذا التعجيـــل أن يبلـــغ أبو سعيد العاصمة قبل أن يتحرك أتابكه الأمير سونج من طوس فيجعل الأمـــراء والوزراء بالبلاط وكان جمعهم تحت نفوذ الأمير تشوبان مـــن

ولى العهد الشاب مطيعا لارادتهم فيقصرون بذلك يد قدة الأمير سونج أتابكه ، الا أن أبا سعيد وحاشيته كانوا أوفياء للأمير سونج فلم يخرجوا عن أمـــره ولم يبارحوا موضعهم الى ان شاع خبر موت أولجاتيو فقدم الأمير سونج من خراسان • وتحرك أبو سعيد بمصاحبـــة أتابكـــه الى السلطانية فاستقبله الأمير تشوبان والأمـــراء الآخرين وأدخلوه العاصمة باجلال كبير وفى غزة صفر (٧١٧هـ) ارتفق الأمـــير تشـــوبان ســـاعد أبى سعيد والأمير سونج ساعده الآخر وأجلساه رسما عـــلى عـــرش الايلخانيـــة •

قبل أن يلج أبو سعيد السلطانية كان ميله الى أن يعطى الأمـــير سونج منصب امارة الأمـــراء الا ان سونج لم يقبـــل قائلا ان قبـــول هذا المنصـــب يفرض عليه ابتعاده عن العاصمة وتعهد حال السلطـــان ولما انه كان يميل كسابق عهده الى أن يكون حاضرا لخدمته وألا يتعارض مع تشـــوبان فى هذا المنصب حث أبا سعيد على التخلى عن هذه الرغبة فأبقـــى السلطان بعد جلوسه هذا المنصب للأمير تشوبان كما كان الحال فى عهد أبيه وأرسل ابن تشوبان تيمور تاش لحكم ولاية الروم واختـــار جلال الدين الابن الأكبر لرشيد الدين فضل الله فى وزارة واســـتيفاء بلاد الروم •

وعند ورود أبى سعيد السلطانية بعث رشيد الدين محمدا لاستقباله ولما كان بينه وبين الامير سونج تكدر سابق وكان يعلم أن سونج يحفظ عليه فهم بأن يتقرب الى الأمير تشوبان منافسه ويجعله حاميه القـــوى واتصل سرا بتاج الدين عليشاه والأمراء الباقين وفى النهاية كان أن ثبت بتدبيرهم منصب امارة الأمراء لتشوبان •

وفى نتيجة هذا الترتيب أبقى أبو سعيد وتشوبان رشـــيد الديـــن وعليشاه فى الوزارة الا أن أزمة الامور الأساسية صارت فى يـــد عليشاه ولم ينصب رشيد الدين وكانت الشيخوخة قد أصابت منه ومل أمـــور

الديوان فى ذلك الوقت الا فى أن يستريح من شرور أعدائه ويمضى ما بقى من عمره فى أمن وراحة •

قتل رشيد الدين فى السابع عشر من جمادى الأولى (٧١٨هـ)

سيطر الأمير تشوبان على مقاليد أمور الجيش والبلاد بعد أن زادت قوته تدريجا وفاقت الحد حتى أنه لم يبق لأبى سعيد من السلطة سوى اسمها وكان هذا الأمير كما سبق القول على اتفاق مع رشيد الدين فبعث هذا الى تحريك حسد عليشاه وغضبه فجعل يسعى بكل وسيلة الى أن يقضى على رشيد الدين •

وقد بلغت المنافسة بين الوزيرين وكان لها سابقة مفصلة فى هذا الوقت أوجها فشقت الأمور على أصحاب الديوان لأن اذا قدم أحدهم الى أحد الوزيرين خدمة اكتسب اضرار الآخرين وعداوته ، فأدى الأمر الى اختلال أمور الديوان وأخذ الطرفان يثير أحدهما عمال الديوان على الآخر •

وقد أدت تحريضات عليشاه فى النهاية الى عزل رشيد الدين عن الوزارة أواخر رجب (٧١٧هـ) وترك الأخير السلطانية الى تبريز للراحة ، ولم يكن سونج راضيا عن عزله برغم حنقه السابق لكنه لم يستطع التدخل فى الأمر لاصابته بمرض صعب لكنه قال أنه ما ان تتحسن صحته فلسوف يعيد رشيد الدين الى الوزارة ، الا أنه تحرك برفقة أبى سعيد الى بغداد اذ ذاك ووافاه أجله فى (٧١٧هـ) على فرسخ واحد منها •

واستقدم الأمير تشوبان وكان هذه الأوقات فى آذربايجان رشيد الدين اليه وقال له ان وجوده أمر ضرورى فى بلاط الايلخان ولن تستقيم الأمور بغير رأيه وتدبيره فأجابه رشيد أن أيام وزارته فاتت أيام وزارة غيره عداوان له ثلاثة عشر ولدا يخدمون السلطان والأفضل

له أن يظلوا هم بالخدمة ويقضى هو بقية عمـــره بشأن الدار الآخرة لكن تشوبان أصـــر عليه وقبل رشيد أخيرا أن يلي الوزارة .

وقد أقلق رجوع رشيد الدين للوزارة باستظهار تشوبان القـــوى عليشاه وسائر أعداء الوزير الفاضل فدفعهم هذا الى التشـــمير عـــن السواعد لاستئصاله .

واتهم السعادة رشيد الدين هذه المرأة أمـــام أبى سعيد أنـــه دس السم لأولجاتيو عن طريق أحد ابنائه وكان قائما على شراب الايلخـــان فسقاه شرابا مسموما ، فغضب أبو سعيد لهذا غضبا شديدا ومن المدهش أن تشوبان المخاتل أكد الأمر للايلخان وشهد أمـــيران قبضا مالا مـــن عليشاه بصحة الواقعة كذلك واستصدر الجميع حكما من أبى سعيد بقتل رشيد الدين . وقتل الجلادون فى السابع عشر مـــن جمـــادى الأولى (٧١٨هـ) أولا ولد رشيد الدين القائم على شراب أولجاتيو ولم يتجاوز عمره الستة عشر عاما أمام ناظرى أبيه ثم ثنوا بهذا الـــوزير الفاضـــل نسيج وحده فشقوه بالسيف نصفين فى سن الثالثة والسبعين بالقـــرب من تبريز وانتهى بهذه الواقعة المشينة عمر أحد آكابر الحكماء والأطباء والمنشئين والمؤرخين الايرانيين الذى قل نظيره فى رجال المشرق .

وبعد قتل رشيد الدين ضبط أعداؤه جميع أمواله وأموال ابنائه ونهبوا محلة الربع الرشيدى التى بناها فى تبريز ولم يتركوا حتى الأملاك التى أوقفها واتهموا هذا المسكين باطلا وتسبب هذه التهمة الباطلـــة فى ألا يستريح جسده تحت ثرى قبره لأن بعد قرن أميرانشاه ابن الأمير تيمور لنك الذى أصابه مس من الجنون بسبب سقوطه من على جواده قد أمر بنبش قبر رشيد الدين الكائن بمسجد كان بالربع الرشـــيدى فى تبريز واستخرج رفاته فأودعوه مقابر اليهود .

وقضت ارادة الله تعالى أن يلقى كافة من اشترك فى مؤامرة قتـــل رشيد الدين نفس مصيره واحدا بعد الآخـــر ولم ينج منهم أحد حـــتى

الأمير تشوبان وقتل الجميع أما على أيديهم هم أو على يد أبى سعيد •
أما تاج الدين عليشاه الذى لم تسعه الفرحة بقتل منافس قوى مثـل رشيد الدين فقد فرق فى الناس الهدايا والعطايا شكرا لهذا التوفيق مـن بينها أن أرسل فى نفس عام قتل رشيد (٧١٨هـ) حلقتين من الذهب زنـة كل منهما ألف مثقال الى الكعبة ليعلقها بها تذكارا للانتصار الذى صـار نصيبه • وبقى عليشاه بعد قتل رشيد الدين مدة ستة أعوام وزيرا لأبى سعيد فى راحة واطمئنان وتزايد احترامه فى عين الايلخان يوما بعد يوم وظل يحـيا بهذه الحال الى أن توفى فى جمادى الآخر (٧٢٤ هـ) ودفـن باحترام فى تبريز •

وقد فرط قتل رشيد الدين والستة الأعوام التى قضاها عليشـاه وزيرا مستقلا وكان مع ذكائه رجلا عاميا عاريا من الفضل عقد أمـور الديوان وسياسة الملك وحين أن مات عليشاه اختير أولاده بأمر أبى سعيد يعاون أحدهم الآخر للوزارة مراعاة لحق احترام أبيهم فـزادت الفوضى والاختلال شدة الى أن حل الوقت الذى صار أبو سعيد فيه فى أسـف عظيم لقتل رشيد الدين وعلم مبلغ تخبطه فى قبول سعاية الأمراء وعليشاه به وحينما دعى الى اختيار غياث الدين محمد ولد رشـيد الدين الى الوزارة قال أنه لم يكن أحد حريا بخلافه رشيد الدين فى وزارته من بعد قتله ورفع السلطان لتلافى الظلم الذى حل بهذا الرجل الكفء كما سنرى ابنه غيـاث الدين محمد الى وزارته •

الثورات أوائل سلطنـة أبى سعيد : —

شجعت سن شباب أبى سعيد وحداثة أمره الأعداء الخارجـين للايلخـانات على الاعتداء عـلى بـلاده من ناحيـة وعصـاه جمـع من قواد أولجايتو الأقوياء وكان كل منهم أميرا مقتدر ينفس أحدهـم على غيره جاهه ومقامه من ناحية ثانية ، واحتوى أبو سعيد بكفـاءته ورشاده وعون قـواده الباقين جميع هذه المشكلات ومنع انهيار الاسرة

الايلخانية ما بقى حيـا ، وأهم مشكلات حكم أبى سعيد كانت كالتالى

١ — انبعث الأمير يسور من بلاد جغتاى وكـان موضـع انعـام أولجاتيو فى السابق ومقيما فى بادغيس بهراة يطلب فى (٧١٦هـ) تسخير خراسان ومازندران وتقدم فى أوائل (٧١٧هـ) حتى مازندران فأرسل أبو سعيد قائده المعروف (ايس قتلغ) (٢) لدفعه فتظاهر يسـور بطاعـة السلطان لكنه أعلن العصيان بعد قليل وهاجم هراة لكنه لم يقـو عـلى غياث الدين كرت فعاد الى خراسان وبعد أن غلب أمراء أبى سعيد فى (٧١٨هـ) اتخذ سبيله الى مازندران . وأمر أبو سعيد هذه المرة الأمير حسين جورجان ولد الأمير آقبوقا جلاير بالقضاء على يسور فركن الأخير الى الفرار حينما لم يطق مقاومته وقتل أثناء قتله وأمنت خراسان شره .

٢ — هاجم من الناحية الشمالية الغربية أى من جانب معابر جبال القفقاز أوزبك خان ملك صحراء القبجاق البلاد الايلخانية وقضى أبـو سعيد أيضا بمؤازرة الأمير تشوبان على هذه الفتنة وعـاد أوزبك خـان الى بلاده من ناحية الدربنـد .

٣ — قام الأمير تشوبان وكان أقوى وأكبر أمراء أبى سعيد بعزل أو معاقبة قواد الايلخان وامرائه الذين وهنوا فى حربهم فى الدربنـد فحنقوا عليه وصمموا على قتله ، وهاجم المخالفون تشوبان وابنه الأمير حسن قرب بحيرة كوكتشه لكن الأمير وابنه نجيا من القتل وبلغـا تبريز فأدخل تاج الدين عليشاة أمير الأمراء تشوبان الى السلطان فتلقـاه أبو سعيد خلاف المتوقع بترحاب واحـترام .

وسار الأمراء الثائرون بعد غلبتهم لتشوبان من ديار بكر وآذربايجان الى السلطانية لكى ينهوا أمر الأمير بعون أبى سعيد فخف أبو سعيد مع

---

(١) صحة اسمه يساور كما ذكر غامبرى فى تاريخ بخارى (ص ١٩٩)

(٢) صحة الاسم (ايسن) هى (اسـن) وهو لفظ تركى معناه القوى والسليم (المرجع السابق ح ١ ص ١٩٨) .

الأمير تشوبان لدفع الثوار وكان اهمهم الأمير ايرنجين والد زوج السلطان وحاكم ديار بكر وتطلب على اعدائه فى الحرب التى جرت فى جمادى الأولى (٧١٩هـ) على مقربة من ميانج وقبض على ايرنجين والرؤساء الباقين فلقب من هذا الوقت بلقب (بهادر خان) •

وبعد هذا النصر زادت سطوة وشوكة الأمير تشوبان وأولاده العديدين فى حكم أبى سعيد الى حد أن السلطان كان ينادى الأمير تشوبان أبا وسيدا ، ولما ماتت (دولندى) أخت أبى سعيد وزوج تشوبان زوجه السلطان أخته الأخرى (ساتى بيك) وكان (دمشق خواجه) ولد الأمير تشوبان فى بلاط السلطان كل شىء وبحكم الوزير العام للبلاد الايلخانية وكان لابنه الآخر تيمور تاش امارة أمراء حكومة بلاد الروم وكان يحكم فيها مستقلا •

قتل الأمير تشوبان فى (٧٢٨هـ) : —

كان للأمير تشوبان ابنة اسمها (بغداد خاتون) طبقت شهرة حسنها الآفاق وزوجها للأمير شيخ حسن ولد الأمير حسين جورجان جلاير ، وكلف أبو سعيد بهذه الابنة فأرسل الى أبيها أن يحرض شيخ حسن على أن يسرح امرأته بغداد خاتون ليتزوج بهذا السلطان فغضب تشوبان لهذا الأمر وسير ابنته وزوجها الى قراباغ •

وأخذ الجوى يحرق أبا سعيد يوما بعد يوم بنار عشق بغداد خاتون ولما علم أن تشوبان لا يوافقه فى ميوله ساء ظنه وبابنه دمشق خواجه الذى كان هذا الوقت وزيرا فى الحقيقة للبلاد الايلخانية الى حد أن قتل الابن فى شوال (٨٢٧هـ) حينما كان أبوه فى خراسان بتهمة اتصاله باحدى الحريم السلطانى وعلق برأسه على قلعة السلطانية ونهب أمواله •

ولما سمع الأمير تشوبان بقتل ابنه دعا ابنه الآخر الأمير حسن للثورة على أبى سعيد فلم ينصع له رغم الحافة فى دعوته بل اتجه

ابنه الى السلطانية بدعوة الايلخان لعله يلطف من غضب أبى سعيد عليه ويلتحق بخدمته • أما أبو سعيد الذى كان فى خوف تام من الأمير تشوبان وقوة أولاده الباقين فقد أسرع بجيش كبير لملاقاة تشوبان ولم يقصد فى تحركه هذا غير القضاء المبرم على أسرة التشوبانيين •

وقصد الأمير تشوبان لقاء العارف المعروف الشيخ ركن الدين علاء الدولة السمنانى (١) بسمنان وأرسله يتوسط له عند أبى سعيد الذى أشتهر بحبه للصوفية فتلقى علاء الدولة باحترام لكنه لم يبد موافقته فى قبول طلبه المتعلق بالأمير تشوبان • ولما رأى تشوبان أن جماعة من أتباعه تركوه أيضا لمعسكر أبى سعيد سرح زوجته ساتى بيك والتجأ بغياث الدين كرت من (٧٢٨هـ) •

وبعد هذه الواقعة حرض فى النهاية أبو سعيد شيخ حسن الجورجانى على تطليق زوجة بغداد خاتون وبنى بها ولقبها بلقب (خداوندكار) •

كان للأمير تشوبان تسعة ابناء أكبرهم الأمير حسن الذى حكم خراسان ومازندران فلما سمع بقتل أبيه رحل الى خان القبجاق وقتل فى خدمته فى حروبه مع الشركس •

وكان الابن الثانى لتشوبان تيمور تاش حاكم ولاية الروم وقد قام

---

(١) هو أبو المكارم ركن الدين احمد بن محمد البيابانكي السمنانى من كبار صوفية النصف الثانى من القرن السابع والنصف الأول من الثامن ، ولد عام (٦٥٩هـ) ومات (٧٣٦هـ) ، وكان ابوه محمد الملقب بشرف الدين وزيرا لغازان خان . وقد عمل السمنانى اول الامر فى ديوان ارغون لكنه اعتزل العمل بعد عشر سنوات وآثر اكمال تعليمه الدينى حتى اذن له بالتدريس بالعلوم الدينية . ثم سافر الى بغداد فى (٦٨٧هـ) وراد الشيخ عبد الرحمن الاسفراينى حتى حاز منه مرتبة الارشاد الصوفى فعاد الى سمنان ليرشد اهلها . وللسمنانى آثار عربية وفارسية كثيرة بحيث ينسب اليه ثلاثمائة كتاب ورسالة ، منها بالعربية فى التفسير مطلع النقط ومجمع اللفظ ، وبالفارسية فى النصوص سر البال فى اطوار سلوك اهل الحال وسلوة العاشقين والعروة لاهل الخلوة والجلوة ، كما ترك غزليات ورباعيات .

فيها بفتوحات هامة وكان يعيش فى صفاء ومودة تامين مع سلطان مصر الملك الناصر ، ولما قتل أبوه أعلن عصيانه لأبى سعيد وترك بلاد الروم الى مصر • فأبدى الملك الناصر له الاحترام فى بداية الأمر لكنه خشى بعد قليل شوكته واستبداده فسيره الى ايران بدعوة أبى سعيد ثم أمر سرا من يقتله قبل وصوله الى ايران فقتل فى الرابع من شوال (٧٢٨هـ) فلربما يتمكن تيمور تاس بعد وصوله ايران بعون أخته بغداد خاتون وغياث الدين محمد الذى ولى الوزارة بعد قتل دمشق خواجه من الأمور ويقوى ويعود للانتقام من الملك الناصر •

ولم يكن لأولاد تشوبان اهمية كبرى كان من بينهم محمود حاكم أرمنية وبلاد الكرج قتله أبو سعيد فى (٧٢٨هـ) فى تبريز وآخر كان مع أبيه تشوبان وكان صغير السن قتله الملك غياث الدين كرت ، ولم يكن لبقيتهم شأن كبير أو اسم ورسم •

حوادث سنى سلطنة أبى سعيد الأخيرة :ـ

فى (٧٢٩هـ) رفع حاكم خراسان (نارى طغاى) رأس العصيان وكان هذا الرجل أحد العوامل العامة فى القضاء على دمشق خواجه وجمع ثروة طائلة من نهب أمواله وبلغ القوة والنفوذ الكبيرين فى معسكر أبى سعيد وبلغ أمر كبره حد نفور أبى سعيد منه ، ولكى يبعده الايلخان عن حضرته أرسله لحكومة خراسان ، وأصر نارى طغاى الذى ادعى خلافة الأمير تشوبان على أن يستولى على هراة التى كان يتوارث حكمها آل كرت منذ سنين ، الا أن غياث الدين كرت الذى كان بمعسكر السلطان فى هذه الآونة استصدر الاليخان أمرا ووصل الى هراة وعلم يارى طغاى أنه لن يستطع مقاومة آل كرت •

وبعد وصول أنباء ثورة خراسان واحتمال هجوم المغول الجغتائيين أمر أبو سعيد خاله (على بادشاه) حاكم اربل مع بضعة نفر من

الأمراء بالتوجه الى خراسان ، ولما اطلع نارى طغاى على تحرك الامراء أرسل رسلا متعاقبين الى الجيش الاليخانى يقول انه لا ضرورة لقدوم الأمراء الخراسان طالما أنه ليس من خطر هجوم عليها • وتهاون أمراء أبى سعيد فى تنفيذ أوامره لتحالفهم مع نارى طغاى بغرض أن ينتـــهى أمر غياث الدين الى القتل ، وفى النهاية تمكن أبو سعيد من العصـــــاة وقتلهم جميعا فى عيد الأضحى عام (٧٢٩هـ) وعلق رؤوســـهم بقلعـــة السلطانية •

وفى (٧٣١هـ) أخبر بعض المغرضين أبا سعيد أن أمير شيخ حسن جلاير يكاتب زوجته السابقة بغداد خاتون سرا بغرض قتل السلطان ، فأمـــر بالقبض عليه وبقتله غير أن عمة السلطان وأم الأمير شيخ حسن توسطت لابنها فعفا عن قتله السلطان لكنه حكم عليه الا يبقى أمامـــه وأن يحبس باحدى الأماكن البعيدة ، فحبس الامير مع أمه فى قلعة كماخ احدى قلاع بلاد الروم وتبعد عن زنجان بمسافة مسير يوم واحــــــد وسقطت بغداد خاتون من نظر السلطان • وبعد قليل ثبتت براءتهـــــا فأورد أبو سعيد المغرضين مورد الهلاك وحلت بغداد خاتون مرة ثانية محل عنايته وبعد عامين بنى أبو سعيد بدلشاد خاتون ابنه دمشق خواجه أيضا •

وفى (٧٣٢هـ) مات الأمير دولتشاه حاكم بـــلاد الروم الجديد أثناء سيره لتقلد منصبه فخلص أبو سعيد الأمير شيخ حسن جلاير من حبسه وأرسله الى الروم فى أوائل (٧٤٢هـ) وظل الأمير حتى وفاة أبى سعيد فى عمله هـــذا •

وفى (٧٣٤هـ) عزل أبو سعيد الأمير شرف الدين محمود شاه اينجو من امارته وكان ممن تربى فى كنف الأمير تشوبان وولى من فترة سابقة حكم فارس وجمع اليها كرمان والبحرين وكيش وأصفهان وحصل ثروة ونفوذا فاق المعتاد وصار من كبار رجال عهده باتصاله بالوزير غيـــاث

الدين ، وعين السلطان غيره فى مكانه • فتحالف محمود شاه مع نفر من الأمـــراء وكان يأنس فى نفسه الكفاءة عن كل رجل فى الحكم وتعقب حاكم فارس الجديد حتى قصر سلطنة أبى سعيد وطلب مـن السلطان تركـه فغلب أبو سعيد الأمراء العصاة وقبض عليهم وأصدر أمره بقتلهم الا أن غياث الدين الوزير تدخل واستجاز السلطان لنفيهم وحبسـهم وحبس كلا من هذه الجماعة فى احد الأماكن ومن بينهم شرف الدين محمـود شاه اينجو الذى حبس بطبرك قلعة لأصفهان ، وأرسل ابنه جلال الدين مسعود شاه لبلاد الروم لدى الأمير حسن •

وفـاة أبى سعيد فى الثالث عشر من ربيع الثانى (٧٣٦هـ) : —

فى آخر عام (٧٣٥هـ) تحرك أوزبك خان ملك القبجاق عن طـريق الدربنــد لمهاجمة أران وآذربايجان ، ولما لـم يكن أحد الأمراء الكبار فى هذا الوقت حاضرا السلطان ترك أبو سعيد السفر الى بغداد الــذى الذى كان مزمعا عليه وأمر غياث الدين الوزير بالتوجه لصد أوزبك خان فقصد الوزير بجيش قراباغ وسرعان ما لحق به أبو سعيد بجيش عظيم لكنه أصيب بالمرض فى (٧٣٦هـ) بسبب حرار الجو وفساده فى آران ، وفى الثالث عشر من ربيع الآخر من ذلك العام وافته منيتـه فى حـدود شروان فحمل جسده الى السلطانية ودفن بالقبة التى ابتناها فى ما حول هذه المدينة •

أبو سعيد آخر ايلخان قوى فى أسرته وكان ملكا كريما عاقلا محبا للعـلم وارتقى فى عصره العلم والآداب كبير ارتقاء وظهره مؤرخــون وشعراء كثيرون وان كان شطر عظيم من هذا الرقى بفضل وجود الوزير المحب للفضل غياث الدين محمد كما سنرى • كان السلطان ذا قريحـة شعرية حسن الخط ويضرب على الأوتار ومع أنه لم يكن شديد التعصب الا انه أقفل باشارة من مستشاريه بعض الكنائس ، وبعـد القحـط والطوفان اللذين حدثا فى (٧١٩هـ) فى أغلب بلاده وأظهر له رجال الدين

أن سبب ذلك أعمال الناس القبيحة أمر أن يخلى كل مكان من دنان الخمر وتقفل الخمارات ولم يترك غير خمارة واحدة فى كل ولية للأجانب .

الايلخانات الباقـــون

أبو سعيد هــو آخر ايلخان كبير لهذه الاسرة لأن بعد موته المباغت اتجهت أسرة الايلخانات بسرعة نحو الانهيار وانتهى منصب الايلخان الى النزاع والصراع بين عــدد من الأمــراء الخائرين مــن الاسرة الجنكيزية وعدد آخر من الأمراء غيرهم المتخاصمين فتجزأت بالتدريــج البلاد الايلخانية الى أجزاء عديدة وتهيأ الجو ليسيطرة الأمير تيمــور كوركان الذى تصادف مولده فى نفس عام موت أبى سعيد فسقطت دولتهم القصيرة الأجل فى يــد هذا الأمير القاهــر .

ولم يكن لأبى سعيد أولاد ذكور ولما كان غازان بدوره عهد حكمــه صير أمراء أسرة هولاكو بين قتيل أو خامل الذكر والصفة تماما فلم يظهر بعد موت أبى سعيد من يستطيع القبض على أزمة الأمور بيد قوية .

ورفع الوزير غياث الدين محمد بعد مشاورة الأمراء والأميرات أحد أحفاد أريق بوكا أخى هولاكو كان اسمه ارباكاون وقد عينه أبو ســعيد أيضا لخلافته الى الايلخانية واختاره كبار المغول بعد اقامة مراســـم تشييع جنازة أبى سعيد مباشرة فى هذا المنصب .

سلطنة أرباكاون (من الرابع عشر من ربيع الثانى حتى الرابع من شوال ٧٣٦ ه)

هاجم أرباكاون بعد جلوسه الدربند ليمنع ملك صحراء القبجــاق الذى بلغ نهر كورا وبعد حرب قصيرة تغلب أرباكاون وعــاد الى تبريز وبنى بساتى بيك أخت أبى سعيد وزوج الأمير تشوبان ، وفى منتصــف رجب أهلك الأمير شرف الدين محمود شاه اينجــو بتهمة اخفائه أحد

أولاد كولاكو فى منزله ليعلن سلطنته ولاذ ابنا محمود شاه أى الأمـير جلال الدين مسعود شاه والأمير شيخ أبو اسحاق من تبـريز فالتجـأ الأول بالأمير شيخ حسن والثانى بعلى بادشاده بديار بكـر •

وفى نفس هذه الأيام التى لم تسـتقم فيهـا سلطنة أرباكاون ، اجتمعت داشان خاتون وحاجى خاتون أم أبى سعيد وعدد من الأمـراء الباغين الفتنة بالتدريج حول الأمير على بادشاه وحرضوه على مخالفـة أرباكاون ، ونصب الأمير على حفيد بايدوخان موسى خان على الايلخانية وتحرك من ديار بكر الى آذربايجان وهزم فى معركة واحدة جرت على ضفاف نهر جغاتو فى السابع عشر من رمضان (٧٣٦هـ) جيش أرباكاون والوزير غياث الدين وقبض على الاثنين وقتلهما •

قتل الوزير غياث الدين فى الحادى والعشرين من رمضان (٧٣٦هـ)

كان غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضل الله رجلا سليم القصد والصدر خيرا محبا للفضل سعى عهد وزارته فى أن يحسن الى كل أعداء أبيه ومن يطلب له الشر لكن الغرور ركبه فى أمور السياسة لأنـه رفض نصيحة الخلصاء فى القضاء على الأمـراء المشايعين لعلى بادشـــاه وأصابهم بالخور من ناحية ولم يقبل اقتراح الأمراء المعارضين لتعيينه فى منصب قيادة الجيش فجرأه على المخالفة ، ولهذا فما ان تفرق جيش أرباكاون على نهر جغاتو وأسر الوزير فى احدى قرى مراغة ومع أن على بادشاه لم يكن راضيا بقتله حتى حرضه الأمراء المعارضون للوزير على قتله وكان وزيرا عالمـا من كبار المربين لاهل العلم والادب ومن كرام عصره بعد أبيه فقتل على بادشاه الوزير فى الحـادى والعشرين مـن رمضان (٧٣٦هـ) وفى نفس الوقت أسر ارباكاون أيضا فى (سجاس) بزنجان فسلم بأمر من على بادشاه الى أتباع محمود شاه اينجو فقتلوه فى الثالث من شوال من نفس العام انتقاما لقتله محمود شاه •

وكان غياث الدين من الوزراء الذين خلدوا اسمهم بالخير فى تاريخ

ايران مثل والده تماما لأنه فضلا عن كفاءته وحنكته ومجالدته بالسيف كان من المنشئين البلغاء وفضلاء عصره ، أجل اهل الأدب والمعرفة وكــان يحلهم محال الكرامة ويصلهم بالصلات القيمة وأنشأ جمع من كبار العلم والأدب الكتب والمنظومات باسمه .

سلطنة موسى خان (من شوال حتى الرابع عشر من ذى الحجة ٧٣٦هـ) :

بعد أن قتل الوزير غياث الدين وأرباكاون نصب أمير على بادشاه موسى خان حفيد بايدو ملكا فى مدينة أوجان ، وسرعان ما شبت الثورات فى بعض الولايات بسبب قلة كفاءة موسى خان خاصة وأن الأمير شيخ حسن بزرك الايلكانى ولد أمير حسين كوركان حاكم بــلاد الروم وزوج بغداد خاتون الأول وكان من كبار أمــراء أبى سعيد ويعــتبر حفيــدا لأرغون من ناحية أمــه ولذلك لقب أبوه الأمير حسين بلقب كوركان أى صهر أرغون خان قد قدم ذاك الأمير من مقر حكمه ببلاد الــروم الى آذربايجان وكان أميرا كفوا طموحا انتخب لمنصب الايلخانية أحد أحفاد منكو تيمور ولد هولاكو واسمه محمد خان وقبض على أزمة الأمــــور باسمه ، ولما غلب فى الرابع عشر من ذى الحجة (٧٣٦هـ) الأمير عــلى بادشاه وموسى خان وقتل الأول استقل فى توليه الأمر تماما .

سلطنة محمد خان (من ذى الحجة ٧٣٦هـ حتى ذى الحجة ٧٣٨هـ) :

بعد دخول تبريز أجلس الأمير شيخ حسن الايلخانى محمد الخان رسما على عرشها وبنى بدلشاد خاتون جزءا وفاقا لما صنعه أبو سعيد ببغداد خاتون ، وكان غرضه أيضا غير الانتقام من التزوج بدلشاد خاتون انه اذا أتت هذه السيدة بولد وكانت حاملا من أبى سعيد (١) لا يجعلهــا

---

(١) المعروف انه لا يحل لرجل ان يعقد او يبنى على امرأة حامل الا بعد انقضاء عدتها بوضع الحمل ويبدو أن السياسة كشأنها دائما تحطــم اصــول الديــــن .

أحد تطالب بمنصب الايلخان ومن ثم يعرض منصبه للخطر •

وأحسن الأمير شيخ حسن بأعقاب رشيد الدين وجعـل الـوزارة الايلخانية لصهر رشيد وهو الأمير جلال الدين مسعود شاه اينجو وابن بنته محمد زكريا ثم جازى قتلة بغداد خاتون وسير ساتى بيـك زوج الأمين تشوبان وأرباكاون مع (سيور غان) الابن السادس لتشوبان وابن هذه السيدة الى صحراء موغان •

سلطنة طغا تيمور خان (٧٣٧ — ٧٥٣ هـ) :

بعد استيلاء الأمير شيخ حسن الايلخانى على آذربايجان عادتـه جماعة من أمراء أبى سعيد ففروا من آذربايجان والعراق الى خراسان واختاروا فيها أحد أمراء البيت الجنكيزى وكان يقيم بمازندران ومن أحفاد أحد اخوة جنكيز ويسمى طغا تيمور ليكون الايلخان وأوجـدوا سببا لتحقيق أهدافهم مقابل محمد خان والأمير شيخ حسن •

وبعد أن أعلن تنصيب طغا تيمور اصطحبه الأمراء العصاة وتحركوا الى آذربايجان ولحق بهم فيها موسى خان العوبة الأمير على بادشاه الذى كان قد هرب من حربه الأمير شيخ حسن الايلكانى • وجرت الحرب بين جيش الحلفاء وجنود الأمير شيخ حسن فى منتصف ذى القعـدة (٧٣٧هـ) بالقرب من مراغة فهرب طغا تيمور وسقط موسى خان أسيرا فى يد الأمير شيخ حسن وقتل فى العاشر من ذى الحجة من نفس العام • واستولى الأمير شيخ على آذربايجان والعراق لنفسه وأتى طغا تيمور خان خراسان أيضا وجلس على عرش الايلخانية بعون من بقية الأمـراء المتحالفين معه فى ذلك البلـد •

عصيان الأمير حسن كوتشك فى (٧٣٨هـ) :

بعد أن قتل موسى خان وفر طغا تيمور الى خراسـان بقى ثائران فى البلاد الايلخانية أولهما طغا تيمور خان الذى أدخل جرجان وخراسـان

تحت طاعته وثانيهما محمد خان آلة مقاصد الأمير شيخ حسن الكبير (١) وبعد بضعة شهور من واقعة قتل موسى خان ظهر ثائر ثالث فى بلاد الروم وكان أحد أولاد الأمير تيمور تاش بن الأمير تشوبان سلدوز كان يسمى شيخ حسن وسمى بعد أن شهر أمره بالأمير شيخ كوتشك (أى الصغير) تمييزا له عن شيخ حسن بزرك وقيل له أيضا الأمير شيخ حسن التشوبانى •

ولما قتل أتباع الملك الناصر تيمور تاش اختفى ابنه شيخ حسن فى بعض بلاد الروم وظل يعيش متواريا حتى (٧٣٨هـ) ، وفى هذه السنة نهض بهوس الاستيلاء أظهر أحد غلمانه وكان يشبه أباه تيمور تاش شبها بسيطا وأعلن أن الأمير تيمور تاش قد خرج بعد أن فر من سجون القاهرة وظل حتى ذاك الوقت مختفيا ولكن تنطلى خدعته على الناس زوج هذا الغلام من أمه وكان يمشى مترجلا خلف ركبه •

وطبقت شهرة ظهور تيمور تاش الآفاق فحركت من ناحية أصحاب الأمير على بادشاه وأشياع الأسرة التشوبانية الذين كانوا على عداء مع الأمير شيخ حسن بزرك على القيام ضده واللحوق بجيش تيمور تاش الكاذب وأفزعت الملك الناصر سلطان مصر من ناحية أخرى •

وفى النهاية تواجه شيخ حسن الكبير والصغير فى العشرين من ذى الحجة (٧٣٨هـ) فى آلاتاغ بنخجوان ، وقبل أن يحتدم الوغى خلى الأمير بير حسين بن الأمير محمود بن الأمير تشوبان الذى كان من قوات شيخ حسن الايلكانى الكبير جيشه وانضم الى جيش ابن عمه الأمير محمد خان لكنه سقط أسيرا بيد شيخ حسن التشوبانى فأمر بقتله ودخلت آذربايجان والعراق تحت سيطرة التشوبانيين وطفق جنود الأمير حسن التشوبانى يهاجمون الناس لنهب أموالهم •

(١) الكبير بالفارسية بزرك واسمه شيخ حسن بزرك وان ترجمنا آخر اسمه للعربية تجاوزا .

سلطنة ساتى بيك (٧٣٩ حتى أوائل ٧٤١هـ) :

ولما دخل الأمير شيخ حسن الصغير تبريز أتاه ستة عشر نفر من أعقاب الأسرة التشوبانية وطلبوا اليه اختيار أحد أفراد أسرة هولاكو للايلخانية ، ولما لم يبق من هذه الأسرة رجل ذائع الاسم نصب قواد الألوف بالجيش والتشوبانيون ساتى بيك بنت أولجايتو وأخت أبى سعيد ولم تكن على صفاء مع الأمير شيخ حسن الكبير نصبوها ايلخانة وخطب لها بأمر شيخ حسن التشوبانى ونقش اسمها على العملة وصارت آذربايجان وأران تحت امرة ساتى بيك وشيخ حسن بينما ظلت سائر البلاد الأخرى فى ايران والعراق تحت رئاسة أمير من الأمراء السابقين لأولجايتو وأبى سعيد أو من الأسر المطيعة لهم •

وبعد استقرار ساتى بيك على عرش الايلخانية زحف الأمير شيخ حسن التشوبانى لصد الأمير شيخ حسن الايلكانى الى قزوين فقبل الأخير الصلح واعترف برسميته سلطنة ساتى بيك وأخذ كل من الندين القويين بالآخر فى أحضانه وقررا ن يقضى حسن الكبير الشتاء فى السلطانية ويذهب حسن الصغير وساتى بيك الى أران على أن يعقدا مجلس الشورى أو القوريلتاى لتدبير أمور المستقبل ، وتوجه حسن الصغير وساتى بيك الى أران وعاد حسن الكبير الى العراق •

ومع أن هذا الصلح لم يدم الا أنه لم يدع لحسن الكبير أهمية وكان فى حكم المعترف بسيادة الأمير حسن الصغير والأسرة التشوبانية •ولهذا أرسل حسن الكبير أحد خاصته الى خراسان وحرض طغا تيمور خان على اتيان العراق فأتى طغا تيمور فى رجب (٧٣٩هـ) ساوة فبلغ بها حسن الكبير معسكره وقام بمراسم استقباله لكنه بعد قليل وقف على سوء فعله اذ رأى أن أحدا من أمراء خراسان لا يلقى اليه بالا ، لكنه تحمل اذ لم يكن أمامه وسيلة أخرى وفى هذا الحين بلغ نبأ تحرك حسن التشوبانى وساتى بيك لدفع طغا تيمور خان • واجتذب حسن الصغير حسنا الكبير

بالحيلة مرة أخرى الى طاعتـــه وطاعة ساتى بيك وعاد طغــا تيمور الى خراسان لعدم قدرته على القتال .

سلطنة شاه جهان تيمور خان (من ذى الحجة ٧٣٩ حتى ذى الحجة ٧٤٠هـ) :

لما عاد حسن الصغير الى آذربايجان نهب بلاط ساتى بيك بحجة أن الملك لم يصنع للنساء ونصب مكانها أحد أحفاد يشموت بن هولاكو واسمه سليمان خان وتزوج بساتى بيك قسرا . ولما سمع حسن الكبير بهذا الخبر أعلن سلطنة ابن آلافرنك بن كيخاتو بلقب شاه جهــان تيمور خان وقدم الى عراق العرب واستولى على بغداد وديار بكر وخوزستان .

وتواجه الحســنان الندان القويان مــع الايلخانيين الجــديدين فى الأربعاء آخر ذى الحجة (٧٤٠هـ) فى حوالى نهر جغاتو فى مراغة وجرت الهزيمة على جيش حسن الكبير وشاهجهان تيمور . وعاد حسن الكبــير بهزيمته الى بغداد وعزل شاه جهان تيمور واستقل بالحكم وأسس حكم أسرة الايلكانيين أو آل جلاير فى بغداد وعراق العرب .

سلطنة سليمان خان (من أوائل ٧٤١ حتى ٧٤٥هـ) :

وضع حسن الصغير بعد نصب سليمان خان آذربايجان وأران وبلاد الكرج وعراق العجم تحت سيطرته وعمل على بسط قدرته فى هذه البلاد وأهلك كثيرا من المتمردين عليه فى مدة قليلة .

وفى (٧٤٠هـ) حينما أجلس حسن الصغير سليمان خان على عرش الايلخانية أرسل الأمير بير حسين بن الأمير محمود بن تشوبان ابن عمــه الى فارس وكانت وقتها بيد أبناء الأمير محمود اينجـــو ، فاستقبلوه بهــا ولكنه قتل أحد أفراد أسرة اينجو مغترا فثار أهل شيراز وطــردوا الأمير بير حسن منها .

وبعد أنتهاء هذه الحادثة وانهزم حسن الصغير وظهور كفاءات من الأمير بير حسين سيره حسن الصغير من طرف سليمان خان بجيش كبير الى فارس وقرر لحكمه يزد وكرمان أيضا وكانتا حتى ذلك الوقت فى يد الأمير مبارز الدين محمد المظفرى •

ولما سمع الأمير مبارز الدين محمد الذى كان تربطه علاقات مودة بالأمير بير حسين بتحرك الأخير خف الى استقباله ومد جيشه وتلاقى به فى اصطخر وتحرك الأميران يرافق أحدهما الآخر الى شيراز • وهرب مسعود شاه اينجو بن محمود شاه الى كازرون لعدم قدرته على مقاومتهما فلما علم بعودة مبارز الدين الى شيراز وضرب بحصاره عليها والأمير بير حسين • وسقط من الطرفين قتلى كثيرون ولم ينته القتال بانتصار أحدهما واستقر الأمر فى النهاية على الصلح ودخل بير حسين المدينة وفوض حكم كرمان ويزد لمبارز الدين فاستولى عليهما بعون جيش بير حسين وأسر حاكمهما الذى استصرخ ملوك آل كرت قبل ذلك (٧٤١هـ) • وفى (٧٤٢هـ) فوض الأمير بير حسين الذى سيطر على فارس وأصفهان لنفسه وترك كرمان ويزد للأمير مبارز الدين لأخى مسعود شاه اينجو الذى فر الى بغداد قبل ذلك وهو شيخ أبو اسحاق حكم أصفهان لعله يرضى عليه بهذا قلوب اسرة اينجو الا أن شيخ أبا اسحق حرك الملك أشرف أخا شيخ حسن الصغير حينما كان بالعراق للسيطرة على فارس فأتها الملك أشرف ، وخان أتباع بير حسين رئيسهم فأجبر على تخلية فارس وكان يخشى فى تلك الآونة مبارز الدين أيضا مما جعله يتجه الى تبريز لدى الأمير حسن الصغير الا أن الأخير لخشيته هو الآخر استبداده بالأمر دس اليه السم بعد أن استقبله بالسلطانية وانتهت دولته القصيرة العمر •

أما ملك أشرف وقد سلمت اليه فارس بلا تعب فقد توجه الى شيراز وكان شيخ أبو اسحاق أسرع منه فى بلوغها بحجة ترتيب وسائل استقباله بها ، وجمع فيها حوله جماعة من العامة والمنتهزين للفرص فباغتوا أتباع الملك الأشرف بالهجوم بعد دخولهم شيراز فشتتوا جمعهم وجعلوا الملك

الأشرف يولى وجهه فارا واستولى شيخ أبو اسحاق على المدينة .

وفى (٧٤٣هـ) قدم مسعود شاه اينجو الذى سبق أن قدم الى بغداد لدى شيخ حسن الكبير وشرف عن طريقه بزواجه من ابنة (دمشق خواجه) وأخت دلشاد خاتون وكان أهل شيراز يعدون حكم مدينتهم حق مسعود شاه برغم تغلب أخيه شيخ أبى اسحاق عليها ولهذا ظهر النزاع بين أشياع الأخين ، ولما أن مسعود شاه فى هذه الآونة قد قتله الابن الثامن للأمير تشوبان الثائر عليه فقد كر شيخ أبو اسحاق الذى كان فى شبانكاره راجعا بعد سماعه خبر قتل أخيه راجعا الى شيراز وأعاد استيلاءه عليها .

قتل شيخ حسن التشوبانى فى السابع والعشرين من رجب (٧٤٤هـ) :

وفى عام (٧٤٤هـ) أرسل شيخ حسن التشوبانى أو الصغير جيشا مع سليمان خان والأمير يعقوب شاه أحد أمراء بلاد الروم للسيطرة على هذه البلاد فلقيا بها الهزيمة وكرا قافلين وحبس شيخ حسن يعقوب شاه وكانت زوجة شيخ حسن الصغير على علاقة بالأمير يعقوب شاه فظنت أن زوجها ألقى به فى الحبس لاخفاء أسرارهما بعد أن علم بها فتعاونت مع اثنتين أو ثلاث من الحريم وقتلنه فى ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من رجب (٧٤٤هـ) بوضع مخز مشين .

وبعد قتل رأس سلسلة الأمراء التشوبانيين أى شيخ حسن الصغير قسم سليمان خان أمواله وخزائنه التى لا حصر لها بين الأمراء وتوجه هو الى قرا باغ لما لم يأنس فيه الكفاءة لخلافته . أما ملك أشرف فقد صاحبه ياغى باستى الى آذربايجان ولحق بهما الأمير سيور غان الذى تخلص من حبسه بالروم عند بحيرة كوكتشة وجمع الأمراء التشوبانيون الثلاثة حولهم كثرة من الجنود ودخلوا تبريز .

سلطنة أنوشيروان العادل (٧٤٤ — ٧٥٦ هـ) :

احتدم النزاع بعد قتل شيخ حسن التشوبانى بين عميه وأخيه ملك أشرف ولما صار النصر فى النهاية مع ملك أشرف عين من تسمى بأنو شيروان الذى اختلف فى نسبته فذهب البعض الى أنه قبجاقى وبعضهم جعلوه من أولاد هولاكو وجماعة ثالثة اعتبروه من أصل كاويانى(١) عين فى الايلخانية ولقب بالعادل وهو آخر ايلخان عين بمنصبه عن طريق الأمراء وحدث فى نفس هذا الأوان أن زال سليمان خان الايلخان صنيعة شيخ حسن الصغير أيضا •

وبعد تملك أنو شيروان وصل ملك أشرف الذى يعد ثانى أمراء أسرة التشوبانيين الى مدينة كنجة واستولى عليها وأهلك عميه واستقل بها فى (٧٤٤هـ) تماما وحكم أربعة عشر عاما (٧٤٤ — ٧٥٩هـ) بالظلم والجور وجمع الأموال الى أن أتى هذه المدينة فى أوائل (٧٥٩هـ) جانى بيك ملك القبجاق بدعوة أهل تبريز فقتله وانتهت بقتله دولة الأمراء التشوبانيين•

ونهاية أنو سيروان الكاذب الآلة المسخرة لتنفيذ أهداف ملك أشرف غير معروفة كنهاية سليمان خان أيضا وكل ما يعرف عنه أن عملة باسمه بقيت حتى (٧٥٦هـ) وهى السنة العشرون بعد موت أبى سعيد بهادرخان آخر ايلخان شهير للأسرة الايلخانية وتعد هذه السنة أيضا التى كانت بعد قتل طغا تيمور خان بثلاثة أعوام آخر حكم هذه الأسرة •

---

(١) كاويانى نسبة الى كاوه الحداد الذى أعلن الثورة على الضحاك لظلمه وسفكه دماء الايرانيين ، بناء على شاهنامة الفردوس وغيرها . وقد جعل الايرانيون من الحرقة التى رفعها كاوه علما للثورة شعارا لايران وزادوا عليها قطعا من الجواهر كلما واتاهم نصر ، ووقع هذا العلم الثمين فى ايدى المسلمين عند استيلائهم على المدائن (١٤هـ/٦٣٦هـ) . وكام مدع للسلطة
المسلمين عند استيلائهم على المدائن (١٤هـ/٦٣٦هـ) . وكلن كل مدع للسلطة
آغازتا انقراض ساسانيان . حسن بيرنيا مشير الدولة . تهران ١٣٤٦ ش ص ٢٣٤ ، ٢٤٥) .

فهرست أسماء ايلخانات ايران

(من ٦٥١ حتى ٧٥٦هـ)

١ ـ هولاكو خان بن تولوى بن جنكيز (٦٥١ ـ ٦٦٣هـ)

٢ ـ أباقا خان بن هولاكو (٦٦٣ ـ ٦٨٠هـ)

٣ ـ السلطان أحمد تكودار بن هولاكو (٦٨٠ ـ ٦٨٣هـ)

٤ ـ أرغون خان بن أباقا (٦٨٣ ـ ٦٩٠هـ)

٥ ـ كيخاتو بن أباقا (٦٩٠ ـ ٦٩٤هـ)

٦ ـ بايدو خان بن طرغاى بن هولاكو
(جمادى الأولى ٦٩٤ ـ ذى القعدة ٦٩٤هـ)

٧ ـ غازان خان خان بن أرغون (٦٩٤ ـ ٧٠٣هـ)

٨ ـ أولجايتوخدا بنده بن أرغون (٧٠٣ ـ ٧١٦هـ)

٩ ـ أبو سعيد بهادرخان بن أولجايتو (٧١٦ ـ ٧٣٦هـ)

١٠ـ اربا كادرن ••• بن أرتوبوكا بن تولوى (٧٣٦هـ)

١١ـ موسى خان بن على بن بايدو
(من شوال حتى ذى الحجة ٧٣٦هـ)

١٢ ـ محمد خان ••• بن منكو تيمور بن هولاكو (ذى الحجة ٧٣٧هـ)

١٣ـ ساتى بيك ابنة أولجايتو (٧٣٩ ـ ٧٤١هـ)

١٤ـ شاه جهان تيمور بن آلافرنك بن كيخاتو
(٧٣٩ ـ ٧٤٠هـ)

١٥ـ سليمان خان ••• بن يشموت بن هولاكو
(٧٤١ ـ ٧٤٥هـ)

١٦ـ طغا تيمور خان (٧٣٦ ـ ٧٥٣هـ)

١٧ـ أنو شيراون العادل (٧٤٤ ـ ٧٥٦هـ)

الفصل السابع

الفترة بين العهد الايلخانى والعهد التيمورى

تجزأت البلاد الايلخانيـــة من بعد موت أبى سعيد بهادر خـــان كما ذكرنا نبذة من ذلك الى أقسام عدة بيد الأمراء الكبـــار وظهـــر فى العشرين عاما ما بين موته وفنـــاء آخر المعينين الايلخانيين فى أمـــاكن مختلفة من ايران خمس سلاسل كالتالى :

١ ــ **سلسلة الأمراء الايلخانيين أو آل جلاير** ومؤسسها شـــيخ حسن الكبير بن الأمير حسين ابن آقبوقا بن ايلكان نويان جلاير وقـــد استقل بالحكم فى (٧٤٠هـ) بعد عزله شاه جهان تيمـــور وأسس أسرة حكمت من بعده حتى عام (٨١٣هـ) فى بغداد وعراق العرب .

٢ ــ **سلسلة الأمراء التشوبانيين** أى أبناء الأمير شيخ حســـن الصغير أو الأمير شيخ حسن التشوبانى الـــذى اســـتقل بالحـــكم فى آذربايجان وأران مدة أربعة أعوام ونصف العام ، وثانيهما الأمير ملك أشرف أخوه الذى تملك آذربايجان أربعة عشر عاما (٧٤٤ ــ ٧٥٩ هـ) وقتل فى اوائل العام الأخير على يد جانى بيك ملك القفجاق وانتهت بقتله الاسرة التشوبانية .

٣ ــ **سلسلة آل المظفر** وهم أولاد الأمـــير المظفر الذى اســـتقل بيزد وكرمان بعد موت أبى سعيد وثار ابنه الأمير مبارز الدين محمـــد فى (٧٤٠هـ) وأسس من هذا الوقت سلسلة تغلبت بعد ذلك على فارس أيضا وكان لها حتى (٧٩٥هـ) استقلال وشوكة .

٤ ــ **أسرة اينجــو** أو أولاد الأمــير شرف الدين محمود شاه الذى برغم حكمه من فترة قبل موت أبى سعيد فارس ومضافاتها لــكن استقلالهم بدأ من عام (٧٤٢هـ) أى من وقت أن طــرد شيخ أبو اسحاق ابن محمود شاه ملك أشرف التشوبانى من تلك المدينة واســتقل بهــا ، وانتهت هذه الأسرة أيضا بقتل شيخ أبى اسحاق فى (٧٥٨هـ) .

٥ ــ **السربداريون** الذين رفعوا راية الاستقلال فى سبزوار فى (٧٣٨هـ) وكان لهم حكم محدود بهذه الناحية من هذه السنة حتى عــام (٧٨٨ هـ)

وغير هذه السلاسل الخمس التى ظهرت فى ايران بعد أبى سعيد خان حكم عدد من الأفــراد أيضا فى هــراة وفارس وكرمــان ويــزد ولرستان من قبل استيلاء المغول حكما محليا نصف مستقل لأنهم انقادوا لطاعة ايلخانات الاسرة الجنكيزية فلم يمحهم المغول ، وزال بعض هذه الأسر أيام حكم الايلخانات وبقى بعضها حتى فترة ما بعــد أبى ســعيد وأشهر هذه السلاسل ما يلى :

١ ــ الأتابكة السلغوريون أو أتابكة فارس .

٢ ــ أتابكــة كرســتان .

٣ ــ أتابكــة يــزد .

٤ ــ القراخطائيون بكرمــان .

٥ ــ آل كرت فى هــراة .

ويتوجب العلم بأن هذه الأسر لم تبلغ اهمية سياسية وقدرة هامة وانما غالب الاهتمام الذى يوجه اليهم بسبب تدخلهم فى تاريــخ أدب أيران وتربيتهم لاهل العلم والأدب واذا لم يصلنا آثار الفضــلاء والشعراء وتصانيفهم لا محى اسم أغلبهم وقد أزالت هذه الأسرة نفسها أو أن الأمــير تيمور كوركان قضى عليهــا .

١ ــ ملوك آل كرت

ملوك آل كرت هم طبقة من ملوك ايران الشرقية حكموا فيها من النصف الأول للقرن السابع الهجرى حتى أواخر القرن الثامن وكانت عاصمتهم دائما هراة ومع أنه لم يتبق فى التاريخ السياسى لهذه المملكة اسم كبير ولا رسم ظاهر بل اشتهرت جماعة منهم بالخيانة وعدم الوفاء الا أنهم أبقوا ذكرا طيبا فى تاريخ أدب ايران .

وأول من كان له فى التاريخ اسم ورسم معتبران من هذه الأسرة هو الملك ركن الدين بن تاج الدين الذى بنى بابنة السلطان غياث الدين محمود الغورى وعين من طرف السلطان حاكما لقعلة خيسار من القلاع التى على الحدود بين هراة والغور .

واختار الملك ركن الدين آخر عمره حفيده ابن بنته شمس الدين محمد بن أبى بكر الذى اشتهر هو أو أبوه باسم (كرت) خلفا له وشمس الدين محمد كرت فى الحقيقة هو مؤسس اسرة آل كرت .

وقد تصادفت رئاسة الملك ركن الدين لقلعة خيسار مع بداية استيلاء المغول وأدرك ركن الدين أن صلاحه فى تبعيته لجنكيز خان ولكى يثبت وفاءه الكامل له أرسل حفيده وخلفه شمس الدين محمدا كرت فى صحبة خان التتار وظل مطيعا للمغول حتى عام (٦٤٣هـ) .

ومع أن خليفة الملك ركن الدين أى شمس الدين محمد (٦٤٣ ــ ٦٧٦ هـ) وقع أوائل أمره موضع حسد بعض أمراء المغول وكان جغتاى يريد محاكمته بتهمة تعاونه مع المسلمين المهزومين الا أن لحسن حظه جغتاى مات فى نفس الأوان وبلغ شمس الدين معسكر منكو القاآن فترك خان المغول مراعاة لسابق خدماته ووفائه ووفاء أسرته له حكم هراة وجام وباخرز وبوشنج والغور وخيسار وفيروزكوه وغرجستان ومرغاب ومروالرود وفارياب حتى ضفاف سيحون واسفزار وفراه

وسيستان وكابل حتى شاطىء السند ، وصار الملك شمس الديـن مـن حـوالى (٦٤٨هـ) حاكما مستقلا لهذه البلاد المتسعة • وفى عهد هولاكو حين قدم لاستئصال الاسماعيلية كان شمس الدين كمـا سـبق الشرح أول من خف لأداء فروض الطاعة له وهو الذى أدخل بأمر هولاكو ناصر الدين عبد الرحيم محتشم قهستان فى طاعة المغول ، وعاش خادما للمغول حتى موتـه •

وفى عهد ايلخانية أباقا وهجوم براق خان على خراسان انحـاز شمس الدين الى براق فلما غلب براق اعتصم شمس الدين خوفا بقلعة خيسار وظل متحصنا بها حتى (٦٧٤هـ) وفى النهاية عفى عنه بعـون شمس الدين صاحب الديوان ورافق هارون ابن صاحـب الديـوان الى تبريـز لحضرة الايلخان لـكن أباقا لم يهتم به فأقـام شمس الديـن بتبريز حتى مات مسموما فى (٦٧٦هـ) وخلفاء الملك شمس الدين كـرت كالتالى :

١ ــ الملك ركـن الدين بن شمس الدين (٦٧٧ ــ ٧٠٥) :

أرسل أباق بعد موت شمس الدين ابيه ركن الدين لحـكم هـراة وادارة ملك آل كرت ولقبه بلقب أبيه شمس الدين وكان يسمى للتفريق بينه وبين أبيه بشمس الدين كهين أو الأصغر • وتحصن شمس الدين هذا من بعد موت أباقا بقلعة خيسار وظل بها حتى آخر عمره •

٢ ــ الملك فخـر الدين بن ركـن الدين (٧٠٥ ــ ٧٠٦هـ) :

لمـا لم يجد الملك فخـر الدين من أبيه ركـن الدين أيام حياتـه تمكينا بل ألقاه أبـوه حبيسا وظل كذلك حتى خلصه الأمير نوروز قائد جيش المغول بخراسان ثم طلب من غازان له حكم هـراة فأخذها لـه فى (٦٩٥هـ) وزوجه من ابنة أخيه ولـما أن ركن الدين قد آثر التحصن بخيسار كما سبق فقد كانت امارة ملك آل كرت فى حقيقتها لفخر الدين •

ومع كل الأيادى البيضاء التى كانت للأمـير نوروز على فخر الدين

على النحو الذى سبق تفضيله قبض الثانى على الأول لما التجأ اليه اعتمادا على أفضاله عليه وتركه لقتلغشاه وقتل قتلغشاه نوروز فى ذى الحجة (٦٩٦هـ) ..

وبعد هذه الحادثة بثلاثة أعوام امتنع فخر الدين عن ارسال المال الذى تعهد به الى ديوان خراسان وتحالف مع بعض الشعائر القاطعة للطرق السيستانية التى حل غضب غازان عليها ، فأرسل غازان أخاه أولجاتيو لتأديب فخر الدين ، لكن فخر الدين طلب الأمان لما بلغ أولجاتيو نيشابور وقبل الأخير الصلح بسبب عدم اطمئنانه للسيطرة على قلعة هراة لكنه لم يصف قلبه لفخر الدين المشهور بخيانته وقطعه المواثيق حتى صار أولجاتيو ايلخان وامتنع فخر الدين عن الذهاب اليه لتهنئته . فأرسل أولجاتيو أحد قادته بعشرة آلاف جندى لتأديبه لكن هذا الجيش لم يحقق شيئا وقتل قائد أولجاتيو فى (٧٠٦هـ) ، فسير أولجاتيو جيشا آخر الى هراة تألف من ثلاثين ألفا ، واثناء انشغال الجيش بالسيطرة على المدينة وافى فخر الدين أجله فاستولى جيش المغول على هراة فى ذى الحجة (٧٠٦هـ) وتركت الامارة بأمر أولجاتيو لابن فخر الدين الملقب بملك غياث الدين .

٣ ـ الملك غياث الدين (٧٠٧ ـ ٧٢٩هـ) :

ليس فى عهد حكم غياث الدين واقعة هامة وقد عاش وقتا فى صفاء مع أولجاتيو وأبى سعيد وفى خلاف وقتا آخر اللهم الا اقدامه على قتل الأمير تشوبان (٧٢٧هـ) الذى سبق ذكره . وفى السنة التالية لقتل تشوبان قدم غياث الدين الى بلاط أبى سعيد لعله ينال عناية أكبر من الايلخان لقاء الخدمة التى أداها اليه لكنه لم ير اهتماما بسبب نفوذ بغداد خاتون فعاد آيسا الى هراة ومات السنة التالية .

٤ـ٥ـ٦ ـ أولاد غياث الدين (٧٢٩ ـ ٧٧١هـ) : بعد موت غياث الدين أصابت امارة أسرة كرت أولاده الثلاثة على الترتيب شمس الدين محمد (٧٢٩ ـ ٧٣٠هـ) والملك حافظ (٧٣٠ ـ ٧٣٢هـ) والملك

معز الدين حسين الذى كان مربيا كبيرا لاهل العلم والأدب وألف سعد الدين التفتازانى من العلماء والفضلاء الكبار كتابه المشهور (المطول) باسمه (١) .

وزامن جلوس الملك معز الدين ظهور أسرة السربداريين فى سبزوار وانبساط رقعة استيلائهم على خراسان وتفاقم قوة الأمير قزغن فى التركستان . ولمعز الدين مع السربدارية والأمير قز عن وقائع سوف نشير اليها فى الفصول التالية .

٧ — الملك غياث الدين الثانى (٧٧١ — ٧٨٣هـ) : مات الملك معز الدين فى (٧٧١هـ) بعد حكم تسعة وثلاثين عاما وخلفه ابنه الملك غياث الدين الثانى ، لكنه ووجه آخر أمره حملة الأمير تيمور الكوركانى على خراسان وسيطر الأمير تيمور على هراة فى (٧٨٣هـ) وأسر غياث الدين وقتله مع ابنه وأخيه فى ما وراء النهر فى (٧٨٧هـ) وانهارت أسرة آل كرت .

اسماء ملوك آل كرت وأيام حكم كل منهم

١ — الملك شمس الدين بن أبى بكر كرت (٦٤٣ — ٦٧٦هـ)
٢ — الملك ركن الدين بن الملك شمس الدين (٦٧٧ — ٧٠٥هـ)
٣ — الملك فخر الدين بن الملك ركن الدين (٧٠٥ — ٧٠٦هـ)
٤ — الملك غياث الدين بن الملك فخر الدين (٧٠٦ — ٧٢٩هـ)

---

(١) هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى من علماء وحكماء العصر التيمورى ، ولد فى قريته تفتازان بالقرب من نسا بخراسان عام (٧٢٢هـ) واقام فى خوارزم مركز العلم والأب اذ ذاك . ولما سمع تيمور بمقامه استدعاه وأسند اليه مهام التدريس بسرخس ثم احضره بعد ذلك الى عاصمته سمرقند ومنحه اهتمامه ومكث التفتازانى بقية عمره بهذه المدينة . ومن آثاره المطول والمختصر . واغلب آثاره فى المنطق وانصرف والنحو العربيين والفلسفة والكلام والتفسير والفقه وكلها بالعربية . وله منظومة هى ترجمة تركية لبوستان السعدي الشيرازى .

٥ ـ الملك شمس الدين بن غياث الدين (٧٢٩ ـ ٧٣٠هـ)
٦ ـ الملك حافظ بن غياث الدين (٧٣٠ ـ ٧٣٢هـ)
٧ ـ الملك معز الدين بن غياث الدين (٧٣٢ ـ ٧٧١هـ)
٨ ـ الملك غياث الدين الثانى بن معز الدين (٧٧١ ـ ٧٨٣هـ)

أتابكة فارس

كان السلاطين السلاجقة يديرون أمور فارس بعد انتزاعها من الديالمة عن طريق حكام كانوا يرسلونهم اليها من جانبهم ودام هذا الحال نحو خمسة وثمانين عاما وحكم فارس فى خلال هذه الفترة خمسة حكام من عهد ألب أرسلان حتى عهد ملكشاه الثانى أى عام (٥٤٣هـ) من طرف السلاجقة ولقب هؤلاء الحكام وكانوا جميعا من غلماء وابناء السلاطين السلاجقة بلقب (أتابك) ٠

وكان من بين هؤلاء الحكام الأخيرين الأتابكة الذين حكموا على فارس من قبل السلاجقة بوزابه أتابك محمد محمود ابن اخى السلطان مسعود السلوقى وقد عصى السلطان فى (٥٤١هـ) وقتل فى نفس هذه السنة على يد السلطان مسعود فى أصفهان ٠ وكان لبوزابه ابن اخ اسمه سنغر (١) ابن مودودثار ليثأر لعمه وكان بوزابه ينيب أخاه وأبا سنغر مودودا فى غيابه حينما كان يقصد قتال السلطان مسعود فى شيراز ٠
ولما أصيب بوزابه بالقتل اختفى مودود وابنه سنغر وفى تلك الآونة استولى محمد بن محمود السلجوقى على فارس ، وفى (٥٤٣هـ) آب سنغر الى فارس وطرد محمدا من هناك وتسلط عليها ٠

ويقال لأبناء سنغر وهم من جماعات التركمان من نسل رجل اسمه سلغور أتابكة فارس أو الأتابكة السلغوريون وظلوا يحكمون فارس من (٥٤٣) حتى (٦٦٣هـ) تحت طاعة قواد ايران الأقوياء ابتداء

---

(١) سنقر وسنغر وسنجر كلها كلمة واحدة تركية بمعنى الصقر .

بالخوارزميين ثم المغول والايلخانات وقد حفظ قبولهم أمر السلاطين الكبار وأداؤهم الخراج اليهم فارس لمدة قرن تقريبا من الغزو والخراب الناتج عنه .

ومع أن أتابكة فارس لم يكونوا قط ثقلا سياسيا هاما الا أنهم أبقوا فى تاريخ الأدب الفارسى ذكرا طيبا واستاذ الأدب الفارسى وأعذب شعراء ايران السعدى الشيرازى مداح لهم .

الأتابك سنغر (٥٤٣ — ٥٥٨هـ) : —

وبعد أن قتل بوزابه فى (٥٤١هـ) أودع حكم فارس لملكشاه ابن محمود بن محمد السلجوقى . وفى عهد حكم ملكشاه نهض التركمان الذين كانوا تحت امرة السلاجقة ثائرين لما شاهدوا تشعث أمر أسرتهم فقامت جماعة منهم بقيادة سنغر بن مودود حوالى جبل كيلويه على ملكشاه . فى عام (٥٤٤٣ هـ) تغلب سنغر على جنود ملكشاه وأخذ شيراز وأعلن نفسه أتابك فارس متقبا بلقب مظفر الدين وأسس الأسرة السلغورية .

وفى الوقت الذى استولى فيه الأتابكة السلغوريون على فارس أصابت أسرة أخرى قدرة كبيرة فى القسم الشرقى من هذه الولاية أى فى الناحية التى على الحدود بين فارس وكرمان والخليج وتشمل بلاد دارابكرد ونيريز وآيج وفرك وطارم واصطهانات واستولوا على هذه الولايات التى تسمى فى ذلك الوقت شبانكاره .

وملوك هذا القسم المعروفون بملوك شبانكاره أو أمراء ايج كانوا بقول مشهور طبقة من الايرانيين القدماء ويصلون بنسبهم الى أردشير بابكان .

وكان ملوك شبانكاره الذين استولوا على شبانكاره من حدود عام (٤٤٨هـ) وهو وقت سقوط دولة آل بويه واستقلوا بها فى نزاع دائم

مع الأتابكة السلغورية بعد تأسيس دولتهم بسبب شبانكاره وكرمان ، فثـار النزاع مرارا بين نظام الدين يحيى منهـم مع الأتابـك سـنغرا السلغورى من أجل السيطرة على فارس سيطرة قطعية لكنه لم يستطع التغلب عليه ، وحـكم سنغر شيراز أربعة عشر عاما ونشر العدل والعمار حتى مات فى (٥٥٨هـ) .

الأتابك مظفر الدين زنكى مودود (٥٥٨ ـ ٥٧١هـ) :

بعد سنقر صارت الأتابكة لأخيه زنكى الذى كان نهب الصراع مع ملوك شبانكاره طوال مدة حكمه ولم يستطع فى النهاية القضاء عليهـم لاسيما وأنهم بلغوا تلك الأيام قوة فاقت الحدود ولم يعد ممكنا ازالتهم . ولكى يزيد الأتابك زنكى من قدرته على الحكم قدم الى السلطان أرسلان ابن طغرل السلجوقى سـلطان العراق واستصدره أمر أتابكته الرسمى وظل ملكا مـدة أربع عشرة سنة الى توفى فى (٥٧١هـ) .

سـعد بـن زنـكى (٥٩٩ ـ ٦٢٣هـ) : ـ

مظفر الدين سعد بن زنكى أحد اكبر أتابكة فارس ظل يصارعه ابن عمه طغرل بن سنغر طوال مدة حكمه حتى غلبه سعد فى (٥٩٩هـ) واستأسر طغرل وصار هو أتابك فارس ثم ضبط كرمان وقصر عنها أيدى ملـوك شبانـكاره .

وبعد أن بلغ هذه القوة زحف الأتابك فى (٦٠٠هـ) الى أصفهـان والعراق وكانتـا اذ ذاك فى يد أتابكة آذربايجان وهاجم الأتابك أوزبك بن جهان بهلوان شيراز من أجل أن يصرف سعد بن زنكى عنه وأكثر فيها القتل والنهب ، وبعد هذا بقليل أمـر السلطان محمد خوارزم شاه ابنه غياث الدين بالتوجه لتأديب الأتابك سعد أيضا ففر الأتابك من أمامه ولما قفل غياث الدين راجعا الى خوزستان عـاد سعد بن زنـكى أدراجه الى فارس وأعـاد سيطرته عليها .

وفى (٦٠٧هـ) ثار الحاكم الذى أرسله الأتابك سعد الى كرمـان واضطربت أمورها فاستولى عليها السلطان محمد خوارزم شاه وخرجت بهذا عن ملكيته أتابكة فارس .

وفى (٦١٤هـ) قصدا الأتابك سعد العراق وتقدم مهاجما حتى الرى واشتبك مع ملك قوى مثل خوارزم شاه وهاجمهم جيشه لكنه وقع أسيرا وأراد خوارزم شاه قتله لكنه عفا عنه بشفاعة أحـد أتباعـه واسـتقر الصلح على ان يترك الأتابك سعد قلعتى اسـتخر واسكنوان (١) مـع ربع مـال فارس الى خوارزم شاه وأن يخطب ابنته (ملكة خاتون)لابن خوارزم شاه أى السلطان جلال الدين المنكبرنى ويبقى ابن زنكى الأكبر فى بلاط خوارزم شاه رهينة . بعد هذا أنزل خوارزم شاه الأتابك منزل الاحترام وأرسله الى فارس وعـاد الى شيراز .

ولما علم الابن الثانى للأتابك وهو أبو بكر بقرار صلح أبيـه مـع خوارزم شاه لم يرض به ولا بتزويج أخته من جلال الدين فثار على أبيه وخف الى صده ، وجرح الأب والابن أحدهما الآخـر على مقربة مـن قلعة اصطخر وأسر أبو بكر وأودع محبس هذه القلعة وأتى الأتابك سعد فارس وأوفى بعهده مع خوارزم شاه .

ولم يقدم الأتابك من بعد عودة السلطان جلال الدين المنكبرنى الى ايران وحملاته فى العراق حتى (٦٢٣هـ) حين توفى على قتال أو حـرب وانما أمضى بقية عمره فى تشييد أبنية الخير من السوق والمسجد والرباط والحمام وشق الترع والحصون حول شيراز وتشجيع اهل العلم والأدب وقد مدحه بضعة نفـر من مشاهير شعراء الفارسية ، وما يقال ان الشيخ السعدى أخذ تخلصه من اسم هذا الأتابك قول خاطىء تماما .

---

(١) اشكنوان أو شكنوان مع اصطخر وقلعة شكسته كانت ثلاث قلاع فيما حول مدينة اصطخر ويقال لها القباب الثلاث لوقوع ثلاثتها فوق ثلاثة جبال (سـياقى) .

الأتابك أبو بكر بن سعد (٦٢٣ ــ ٦٥٨هـ) : ــ

بعد الأتابك سعد صار حكم فارس الى ابنه الأتابــك أبى بكر وهو أشهر الأتابكة السلغوريين وقد بلغت فى عهده قوتهم أوجها ولقيت فارس كثيرا من العمار والازدهار • وكان الأتابك أبو بكر رجــلا عاقــلا بعــيد النظر ، ولمــا قام بترميم ما تخرب فى فارس فى عهد أتابكة السلاجقــة وغزوات السلطان غياث الدين وملوك شبانكاره دخل طاعة أوكتاى خليفة جنكيز والانقياد له ورأى الصلاح فى التسليم لأمر المغول وان ينقذ اقليم فارس من هجومهم وكانوا فى هذا الأوان اى فى (٦٣٣هـ) قد ســووا اصفهان آخر مدينة كبرى بالعراق بالارض ولهذا ارسل ابن اخيــه الى بلاط أوكتاى وتعهد بأداء خراج فارس وبهذا التصرف الحكيم حفظ جنوب ايران من أضرار غزو جند المغول ، ولكيلا يدع فى يد المغول أى ذريعــة للاغارة على فارس وكانت فى تلك الأيام من أغنى ولايات ايران بسبب تجارتها الخارجية العامة كان يرسل سنويا ابنه سعدا وبرفقته أحد ابناء أخوته بالخراج الى حضرة الخان وكان يسمح لشحنات التتر بالاقامــة بشيراز فى (بيرون) ويهيء لهم أسباب الراحة من كل شىء ويمنع العامة من الاقتراب اليهم • والخلاصة أن فارس نعمت فى عهده بالأمان والعمار فصارت مركز تجمع الشعراء والفضلاء والعلماء الذين فروا فزعا من أمام المغول وسلموا بأرواحهم وراموا ناحية هادئة ولما كان الأتابك أبو بكر يولى هؤلاء الناس بالتربية والمراعاة ويهيىء لهم أسباب الاطمئنان فقد اجتمعوا حوله وأثبتوا اسمه ضمن أشعارهم أو تصانيفهم اثبات خير وأشهرهم السعدى الشيرازى الذى نظم كتابه (بوستان) فى (٦٥٥هـ) باسمه •

وكان الأتابك أبو بكر كأبيه فى كثرة تشييده أبنية الخير فى شيراز كان من بينها دار كبيرة للشفاء عولج فيها المرضى بالمجان وكان يصرف لهم الدواء والغذاء • وكان أبو بكر رجلا دينا زاهدا هوفى المشرب مربيــا للصالحين والزهاد والدراويش وأوقف على هؤلاء الناس أوقافا كثيرة •

وفى (٦٢٨هـ) أى فى العام الخامس من حكم الأتابك أبى بكر جــرد جيشه على الخليج الفارسى واســتولى على عمان والبحــرين (مسقط)

وكيش وشاطىء الخليج من البصرة حتى سواحل الهند وطوت شهرة قوته حتى الهند وخطب له فى بعض البلاد ولقب من يومذاك بلقب (سلطان البر والبحر) ٠

ولما وصل خبر وفاة الأتابك أبى بكر لمسمع ابنه سعد وهو فى طريقه الى مقر هولاكو ناله المرض وقبل أن يبلغ سعد شيراز ويخلف أباه وافاه أجله فى احدى قرى (تفرش) بعد موت أبيه باثنى عشر يوما أى فى السابع عشر من جمادى الأولى وكان فى حياة أبيه يلقى الاحترام ويولى أهل العلم والأدب برعايته ، والشيخ السعدى (١) من خواصه وأخذ تخلصه من اسمه ودبج كتابه (كلستان) باسمه (٢) ٠

(١) السعدى الشيرازى المتوفى نحو (٦٩١ أو ٦٩٤هـ) هو شرف الدين مصلح بن عبدالله من كبار ونوابغ الأدب الفارسى ، ولد بشيراز نحو عام (٦٠٦هـ) وبدأ تعلمه بها ثم رحل عنها الى بغداد حيث أكمل تعليمه بمدرستها النظامية . وقد أقبل السعدى على التطواف لحبه للسياحة وبسبب الصراع بين الخوارز مشاهيين وإتابكة فارس وهجوم المغول وطال سفره حتى اربى على الثلاثين عاما أو ناهز الأربعين وجاب بلاد المسلمين تقريبا . وآب سعدى الى موطنه شيراز حين استقرت امورها واخذ فى التأليف . ويعد السعدى من الشعراء الايرانيين العظام ان لم يكن اعظمهم على الاطلاق كما يعتبر استاذ النثر المسجع الموزون ومن مبرزى الكتاب . ونظم السعدى القصيدة والقطعة والرباعى والترجيع بند (مجموعات من الشعر لكل منها وزن وقافية مختلفان وآخرها بيت يتكرر بقافية مختلفة يسمى الترجيع) والتركيب بند (هو الترجيع بند الا أن البيت المسمى بالترجيع لا يتكرر) غير أنه يمكن القول ان الغزل اعتلى أنواع الشعر كلها بالسعدى الذى بلغ به ذروة لطفه وجماله حيث يجمع السلاسة والصناعة والسهولة والامتناع .

وآثار سعدى هى ديوان غزلياته من الطيبات والبدايع والخواتيم والغزليات التقليدية ثم البوستان والقصائد والملمعات والرباعيات والترجيعات .. أما كتابة الكلستان (بمعنى البوستان) فهو كتاب قيم فى النثر الممزوج بالشعر . وقد أفرغ الشاعر تجاربه وما رآه فى أسفاره وما سمعه فى أعماله فبدت حاوية للمواضيع الأخلاقية والمواعظ والحكم ومضامين العشق واللطف والجمال . وقد ترجمت آثار السعدى الى اللغات الأجنبية فصار بها شاعرا عالميا .

(٢) السعدى يقول فى هذا :

على الخصوص كه ديباجه همايونش
بنام سعد ابى بكر سعد بن زنكى است سياقى

اى : على الخصوص وديباجته المباركة
بنام سعد أبى بكر سعد بن زنكى است (سياقى)

الأتابكة السلغوريون الباقـــون :

وبعد أن حمل سعد بن أبى بكر بن زنكى الى شيراز اختير للأتابكية ابنه محمد الصغير السـن ، وبما أنه سقط مـن سقف القصر وهـو فى الثانية عشرة فى (٦٦٠هـ) أعطيت الأتابكية لأحد أحفاد سـعد بن زنكى وكان اسمه محمدا أيضا • ولما كان محمد هذا سفاكا جائرا فاسقا فأمسك به الأمـراء فى (٦٦١هـ) وأرسـلوا به الى مقر هـولاكو وبلغ أخـوه سلجوقشاه الحكم ، لكنه قتل فى (٦٦٢هـ) بيد أحد قواد هـولاكو الذى أرسله لتأديب الأتابك ولم يبق بعده رجل من الأسرة السلغورية ففوض المغول حكم شيراز لبنت الأتابك سـد بن أبى سـعد وهـى (ابش خاتون) التى زوجها هولاكو فى (٦٦٣هـ) لابنه منكو تيمور فضمت فارس رسما الى ديوان الايلخانات ، وتوفيت أبش خاتون فى (٦٨٤هـ) فى تبريز ومع أن اسـتقلال السلغوريين قد انتهى فى الحقيقة من عام (٦٦٣هـ) الا أن أبش خاتون أعاد السلطـان أحمد تكودار تنصيبها على حكومـة فارس فى العهد الايلخانى وظلت بها حتى عام (٦٨٣هـ) حين ذهبت الى تبريز لحضور محاكمة بها ثم توفيت هناك فى العام تاليه •

أسماء أتابكة فارس وأيام حكم كل منهم

١ — سنغر بن مودود (٥٤٣ — ٥٥٨هـ) •

٢ — زنكى بن مودود (٥٥٨ — ٥٧١هـ) •

٣ — تكله بن زنكى (٥٧١ — ٥٩١هـ) •

٤ — طغرل بن سنغر بن مودود (٥٩١ — ٥٩٩هـ) •

٥ — سعد بن زنكى (٥٩٩ — ٦٢٣هـ) •

٦ — أبو بكر بن سعد (٦٢٣ — ٦٥٨هـ) •

٧ — الأتابك سعد بن أبى بكر فى ٦٥٨هـ (اثنا عشر يوما) •

٨ — محمد بن سعد (٦٥٨ — ٦٦٠هـ) •

٩ — محمد بن سلغور بن سعد (٦٦٠ — ٦٦١هـ) •

١٠— سلجوقشاه بن سلغور (٦٦١ — ٦٦٢هـ) •

١١— أبش خاتون بنت سعد أبى بكر (٦٦٢ — ٦٨٤هـ) •

٣ — قراخطـائيو كرمـان

تأسيس سلسلطة القراخطائيين فى كرمان كان على نحو ما نعلم بيد براق الحاجب أحد الأمراء الكبار للسلطان غياث الدين بن السلطان محمد خـوارزم شاه ولقب براق بقتلغ خان ولذا تعـرف هذه الأسرة أيضـا بالأسرة القتلغ خانية •

وحينما وصل جنكيز الى خراسـان قدم براق الحـاجب باجـازة السلطان غياث الدين الى كرمان واستولى عليهـا فى (٦١٩هـ) ومات فى (٦٣٢هـ) وأمضى مدة حكمه مطيعا للمغول •

وظل أتبـاع براق الحاجب يحـكمون كرمـان حتى (٧٠٣هـ) ولم يستطع أحدهم الاسـتقلال بحـكمه بل كانوا دائمى الطـاعة والانقياد للايلخـانات •

وأشهرهم (سلطان حجـاج) (٦٥٦ — ٦٧٦هـ) الذى بلغ الامارة من بعد أبيه قطب الدين محمد ابن عم براق ولما كان صغـير السن وقت بلوغه الحكم أدارت امرأة أبيه (قتلغ تركان) التى كانت أولا زوجة لبراق ثم تزوجت بقطب الدين محمد بعد وفاة براق أمـور كرمان من طـرف هولاكو وشهرت هذه المرأة بالعدالة والكفاءة ومراعاة أهل العلم والأدب وبالتعمير وزوجت احدى بنتيها وهى (بادشـاه خاتون) أباقا خان لكى تحكم أساس حكمها فى كرمان وتسد الطريق أمام مطالبة سلطان حجـاج وأخيه أى ابنى زوجها •

ولما بلغ حجاج حد الرشد أساء معاملة زوجة أبيه فولت قتلغ تركان وجهها شطر معسكر أباقا زوج ابنتها وشكت اليه فحرم حجاج من تدخله فى أمور سلطنة كرمان فلاذ بالذهـاب الى سيستان والهند ومات بنفس هذه الحدود فى (٦٩٠هـ) •

واستقلت قتلغ تركان بحكم كرمان حتى (٦٨١هـ) وفى هذا العـام حصل الابن الآخر لزوجها وهو (سيور غتمش) من السلطان أحمد تكودار على أمر بامارة كرمان ولما لم تستطع قتلغ تركان الغاء الأمر ماتت حسرة فاستقل سيور غتمش بحكم كرمان •

ولى سيور غتمش كرمان مدة عشر سنوات (٦٨١ — ٦٩١هـ) الا أن اخته (بادشاه خاتون) التى تزوجها كيخاتو بعد وفاة أباقا كانت نزاعـة دائما الى توهين أمره الى أن هلك حاميه أرغون وتملك كيخـاتو فقدمت بادشاه خاتون الى كرمان متذرعة برؤية وطنها وقبضت على سيور عتمش وألقت به فى (٦٩١هـ) حبس احدى القلاد • ومع أن سيور غتمش خلص من حبسه بعد قليل بعون زوجته كردوجين ابنة منكو تيمور بن هـولاكو وابش خاتون السلغورية لكن لم يطل به الوقت حتى سقط بيد كيخـاتو الذى تركه تحت تصرف زوجته بادشاه خاتون فأوردت هذه المرأة أخاها فى (٦٩٣هـ) مورد الهلاك •

وبعد أن قتلت بادشاه خاتون أخاها سيور غتمش جعلت من نفسها واليا لكرمان فى (٦٩١هـ) وكانت كما نعرف ابنة قطب الدين محمد وقتلغ تركان واشتهرت بحسنها وفضلها وأدبها وسمت نفسها بعد الاستيلاء على منصب أخيها (حسن شاه) •

وفى (٦٩٤هـ) خرجت كرمان عن يد بادشاه خاتون عن طريق بايدو وباصرار من كردوجين وشاه عالم أخت سـيور غتمش التى تزوج بهـا الايلخان الجديد دوكان من استولى على هذه المدينة هى كردوجـين التى سلمت لها بادشاه خاتون فقتلتها انتقاما لسيور غتمش واعتلت كردوجين مقامها امارة كرمان •

وآخر ملك قرا خطائى لكرمان هو قطب الدين شـــاه جهــان بن سيورغتمش الذى ولى من جانب غــازان كــرمان فى (٧٠٢هـ) الا أن أولجايتو عزله بعد جلوسه لما رأى منه عدم الكفاءة والميل الى العزلـــة وتحولت كرمان الى حكم شحنات المغول المباشر .

وكان لقطب شاه جهان ابنة اسمها (مخدوم شاه خان قتلغ) تزوج بها الأمير مبــارز الدين محمد المظفرى وأكثر ســلاطين آل المظفر مــن أبنائهـــا .

أسماء قراخطائيو كرمان وأيام كل منهم

١ — براق الحاجب بن كلدوز (٦١٩ — ٦٣٢هـ)

٢ — ركن الدين مبارك خواجه بن براق (٦٣٢ — ٦٥٠هـ)

٣ — قطب الدين محمد ابن اخى براق (٦٥٠ — ٦٥٥هـ)

٤ — سلطان حجاج بن قطب الدين وأمه عصمة الدين قتلغ تركان زوجة قطب الدين (٦٥٥ — ٦٨١هـ)

٥ — جلال الدين سيور غتمش بن قطب الدين (٦٨١ — ٦٩١هـ)

٦ — صفوة الدين بادشاه خاتون بنت قطب الدين (٦٩١ — ٦٩٤هـ)

٧ — مظفر الدين محمد شاه بن سلطان حجاج (٦٩٤ — ٧٠٢هـ)

٨ — قطب الدين شاه جهان بن سيور غتمش (٧٠٢ — ٧٠٣هـ)

٤ ــ أسرة اينجو وآل المظفر

بعد جلوس أبى سعيد على عرش الايلخانية نظــر الى شــاهزاده خانم كردوجين ابنة ابش خاتون ومنكو تيمــور أى زوج ســيور غتمش القراخطائى نظر العناية ففوض اليها حكم فارس مراعاة لمودتها وحبهــا وكفاءتها التى أظهرتها فى وفاة أولجــايتو فى ادارة أمور السلطنــة حتى دخول أبى سعيد لسلطانية وكان حكمها لفارس من أول (٧١٩هـ) فوقعت هذه المملكة برها وبحرها تحت تصرفها ومقطعة لها مقاطعة تامة ولم يكن لها من بعد أمها ابش خاتون رئيس أو قائد معين فدخلت كردوجين أرض أجدادها تحفها مظاهر العزة وكانت امرأة عاقلة محبة للخير فأنشأت تنشر العدل وتشــيد أبنية الخير وتبســط يد البذل والجــود فأقامت نحــو اثنى عشرة مدرسة ورباطا ومستشفى ومسجدا وسدا وأوقفت عليها كثيرا من الأوقاف ، وحين أن أرسلت بهدايا وتقدمات نفسية الى أبى ســعيد أصدر لها السلطان أمرا ملكيا باعفائها من دفع الضرائب •

ولا يعرف متى ماتت كردوجين وأما ما يعرف عنها أنهــا تزوجت فى بداية حكمها بالشحنة المغولى بشيراز ، ثم الأمير تشوبان من بعده وظلت فى حكم شيراز فى (٧٢٩هـ) لأن فى هــذا العام قدم الأمير مبــارز الدين محمد بن المظفر من يزد الى كرمان اليها كما قدم ابن زوجها قطب الدين شاه جهان وبنى مبارز الدين بابنة قطب الدين وهى مخدوم شاه وعاد بها الى يزد •

وفى عهد حكم كردوجين لفارس أرسل الأمير تشوبان أحــد خاصته وكان وكيلا للأملاك الايلخانية الخاصة أو ما تسمى بأملاك الـ (اينجــو) واســمه شرف الدين محــمود الى وزارة فارس وكرمــان ويزد وكيش والبحرين ، فوضع شرف الدين محمود هذا الذى كان يعد نفسه منتسبا

لعبد الله الأنصارى(١) بلاد جنوب ايران من اصفهان حتى جزر الخليج تحت ادارته المالية وعرف بالأمير شرف الدين محمود اينجو فتجمع له مال كثير عن هذا الطريق حتى أن حاصل أملاكه الشخصية السنوى كان يبلغ فى أواخر أيام سلطنة أبى سعيد مائة تومان أى ألف ألف ذهبا . وبعد كردوجين استقل محمود شاه بهذه النواحى تماما وكان رجلا ذا كفاءة وذكاء ويسار ويتحدث بجسارة أمام أبى سعيد . وعزله أبوسعيد كما سبق من حكم فارس فى (٧٣٤هـ) لكن محمود لم ينصح لأمره وأعلن تمرده وعفا السلطان عن قتله بوساطة غياث الدين الوزير وحبسه بقلعة طبرك بأصفهان ، وبعد قليل أرضى الوزير السلطان عليه وخلصه من حبسه وأقام محمود بالمعسكر . وأمر أبو سعيد بابنه جلال الدين مسعود شاه فأرسل الى بلاد الروم لدى أمير شيخ حسن التشوبانى حاكمها فعاش فيها خلال حياة أبى سعيد .

وكان للوزير غياث الدين اهتمام بأسرة اينجو أى محمود شاه وأولاده جلال الدين مسعود شاه وغياث الدين كيخسرو وجمال الدين أبو اسحاق حسن وأدخلهم فى أعمال الديوان ، ولما أن محمود شاه غالب

---

(١) هو أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى من صوفية القرن الخامس الاشاهير عاصر السلطان الب ارسلان السلجوقى والوزير نظام الملك ، ويصل نسب عبد الله الانصارى الى المجاهد ابى ايوب الأنصارى الذى غزا مع يزيد بن معاوية القسطنطينية (٤٩ او ٥٠ هـ) واستشهد أمامها ودفن على ابوابها (أنظر الكامل لابن الأثير جج ١٩٥/٣ ، ١٩٧) . ولد عبدالله بهراة واشتهر فى شبابه بالتبحر فى العلوم الأدبية والدينية وحفظ الشعر العربى ومهر فى علم الحديث والفقه وأخذ التصوف عن الشيخ ابى الحسن الخرقانى (متوفى ٤٢٥ هـ) كما استفاد من الشيخ أبى سعيد بن أبى الخير (متوفى ٤٤٠هـ) . نظم عبد الله الشعر باللغتين والف كثيرا من بينها ترجمة طبقات الصوفية للسلمى الى اللهجة الهروية وتفسير للقرآن الكريم كان اساس تفسير الميبدى المشهور كشف الأسرار وعدة الأبرار المؤلف عام (٥٢٠هـ) . وللأنصارى رسائل فارسية اخرى مثل مناجات نامه وزاد العارفين والهى نامه وكنز السالكين ورساله دل وجان أو رسالة القلب والروح وقلندر نامه ، ويمكن اعتبار نثره رائد النثر الموزون والمسجع وتوفى الانصارى عام (٤٨١ هـ) .

اقامته بالمعسكر السلطانى فقد كان يعد قبل عصيانه لأبى سعيد مستشارا للوزير وموصولا منه •

ولما كنا شرحنا تفصيل قتل شرف الدين محمود شـاه بيد أربا كاون وفرا أولاده وقتـل اربا كاون بيد أولاد محمود شـاه فليس اعادة هذا الشرح هنا ضروريا وحسبنا القول ان على بادشاه بعد تغلبه على ارباكاون أرسل مسعود شاه اينجو وبصحبته الأمير بير حسين بن الأمير محمود بن الأمير تشوبان فى (٧٤٠هـ) الى شيراز وخول لأمر الأمير بير حسين حكم فارس ويزد وكرمان ، فاستوزر بير حسين سلطانشاه أخا مسـعود شاه لكنه بعد قليل قتل سلطانشاه • ولما استقدم بير حسـين من يزد الأمـير مبارز الدين محمدا استوحش مسعود شاه اينجو من كليهما فتركهما الى كازرون ومنها رحل الى شيخ حسن الكبير ببغداد •

وفى (٧٤٢هـ) فوض الأمير بير حسين حـكم أصفهان الى شـيخ أبى اسحاق أخى مسعود شاه وسلطان شاه ، واستدعى شيخ أبو اسحاق كما مر ملك أشرف أخا شيخ حسن الصغير لقتال بير حسين وأخذ فارس منه انتقاما لمقتله أخاه واسـتولى أشرف بيسر على شـيراز وطرد بـير حسين ، ونجح أبو اسحاق بعد قليل فى أن يخرج شيراز عن يد أشرف فى نفس ذلك العام بعون أهلها وأن يصير حاكما عليها •

أما الأمير مسعود شاه أخو شيخ أبى اسحاق الذى سبق أن هرب الى بغداد فقد أمره شيخ حسن الكبير حاكمها بالتوجه مع الأمير ياغـى باستى بن الأمير تشوبان قبل أن يعلم بوقائع بير حسين وملك أشرف الى شيراز فأتياها فى (٧٤٣هـ) وقت استيلاء شيخ أبى اسحاق عليها •

ولما ذهب أبو اسحاق الى كازرون حرك الحسد ياغى باستى الى قتل مسعود شاه فعاد أبو اسحاق بمدد من اهل كازرون الى شيراز ولم يطق ياغا مقاومته فهرب الى ملك اشرف بالعراق فاستقر أبو اسحاق فى شيراز وخطب له فيها ونقش اسمه على عملتها ونادى بنفسه ملكا رسميا عليها •

أصل آل المظفر ونسبهم : —

آل المظفر وهم أولاد الأمير مبارز الدين محمد بن المظفر من نسل واحد من أهل خواف احدى قرى خراسان واسمه غياث الدين حاجى وقد هاجر حاجى هذا عن موطنه وقت استيلاء جنكيز على خراسان وأتى الى يزد وأقام بها • وكان له ثلاثة أولاد هم أبو بكر ومحمد ومنصور ، ولحق الأولان بخدمة الأتابك علاء الدين بن قطب الدين بن محمود شاه (توفى عام ٦٦٢هـ) أتابك يزد ، وبعث بهما الأتابك عام (٦٥٥هـ) قائدين لثلاثمائة فارس الى معسكر هولاكو حينما أزمع على فتح بغداد • وأمر أبو بكر بمرافقة جيش المغول المتجه الى حدود الشام ومصر وقتل فى الطريق فى حروبهم مع أعراب البادية ورجع محمد الى يزد وظل ببلاط الأتابك حتى وفاته ولم يعقب هذا الولدان •

أما الابن الثالث لغياث الدين حاجى وهو منصور فكان مع أبيه بيزد ورزق ثلاثة أبناءهم محمد وعلى المظفر ، ولم يعقب على بن منصور الذى مات مغمورا • أما محمد والمظفر فكانت لهما ذرية تولد منها سائر ملوك آل المظفر • وكان المظفر الابن الأصغر لمنصور بن غياث الدين حاجى رجلا عاقلاً شجاعا ودخل خدمة الأتابك يوسف شاه بن الأتابك علاء الدين (٦٦٢ — ٦٩٠هـ) وأعطاه الأتابك حكم مدينة ميبد • ولما أخلى يوسف شاه يزد خوفا من المغول وتحرك الى سيستان ليلتجىء بالأمير نوروز رافقه المظفر وقد لقب بالأمير شرف الدين • ورأى الأمير شرف الدين المظفر أثناء سفره من بعض أمراء الأتابك هما بقتله ، فعرج الى كرمان وانظم الى خدمة جلال الدين سيو غتمش القراخطائى فتعهده القراخطائى بالعناية • وبعد فترة آب المظفر الى يزد وذهب منها الى المعسكر الايلخانى وتعرف الى أرغون خان ونال رتبة حارس للخان وظل بجيش الايلخانات عهد كيخاتو وغازان • ولما عصى أتابك لور كيخاتو وقت جلوسه وعزم كيخاتو تأديبه اختار الأمير المظفر ليقوم بهذه المهمة ، فيمم المظفر وجهه الى لرستان وكانت بينه وبين الأتابك افراسياب

علاقات مودة فانتهى الأمر الى المسالة ورافق افراسياب الأمير المظفر الى المعسكر الايلخانى فنزل كلاهما من الايلخان منزل العناية وخمدت فتنة لرستان •

وبعد وفاة كيخاتو صار المظفر فى غازان خان فى (٦٩٤هـ) وعاش لديه ولدى خلفه أولجاتيو مقربا محترما وتقلد أثنــاء ذلك بعض المناصــب الهامة وظل يرتقى امره حد ان أصدر أولجاتيو أمرا بأن يلى ارشــاد وحفاظ طرق الولايات بين كرمنشاه ولرستان حتى هراة ومرو وأبرقــو مع حكومة مدينة ميبد • وقضى الأمير المظفر حينا فى مبيد وأغلب الأحيان فى المعسكر الايلخانى الى أن عــاد الى وطنه فى (٧٠٧هـ) • وفى (٧١١هـ) وقتما توجه أولجاتيو الى بغداد خف المظفر ومعه ابنه مبارز الدين الى ركبه عن طريق شيراز وجبل كيلويه وبلغ المعسكر ببغداد وأذن له الايلخان بالعودة بعد أن صاحبه مدة • وفى عودة المظفر أمر بقتال المتمــردين فى شبانكاره ، ولما فرغ من تسكين فتنة هذه الناحية أصابه الوهن والتعب فى نفس شبانكاره فلاقاه أجله فيها فى الثالث عشر من ذى القعدة (٧١٣هـ) وحمل جسده الى ميبد •

وقد أعقب الأمير شرف الدين المظفر بن منصور بن غياث الديــن حاجى الخراسانى ولدا وبنتين ، وولده هو الأمير مبارز الدين محمد الذى يعتــد أول آل المظفــر •

الأمير مبارز الدين محمد (٧١٨ ـــ ٧٥٩هـ) ـــ

لم يزد مبــارز الدين حينما مات والده عن ثلاثة عشر عاما لهذا عمد أعداء اسرته الى اتهام ابيه بالظلم والتعدى أمام الوزير رشيد الديــن فضل الله وادعوا أملاكه التى احتازها وأتى الأمير مبارز الدين معســكر اولجاتيو وظل به حتى آخر عهد حكمه • ولما خلف أبو سعيد أباه أبقــاه فى نفس مقامه وأرسله فى (٧١٧هـ) الى ميبد •

وفى (٧١٨هـ) قدم من شبانكاره الى يزد أخو شيخ أبى اسحاق اينجو وهو الأمير غياث الدين كيخسرو وعقد مع الأتابك فيها أسباب المودة ثم عجل منها الى ميبد وتوثقت بينه وبين الأمير مبارز الدين عرى الصداقة ، لكنه الأمر لم يطل اذ شب نزاع بين نائب الأمير كيخسرو وأتابك يزد لأمر بسيط فقتل الأتابك وكان فظا نائب الأمير كيخسرو . فهاجم كيخسرو ومبارز الدين الأتابك بعد استئذان أبى سعيد وهزماه فى هذا النحو فى (٧١٨هـ) وانتهت حكومتها الى الأمير مبارز الدين من طرق الايلخان بعد اتصاله به .

وبنى الأمير مبار الدين كما سبق القول فى (٧٢٩هـ) بابنه قطب الدين شاه جهان الحاكم القراخطائى لكرمان وهى خان قتلغ مخدوم شاه وهذه المرأة هى أم شاه شجاع وشاه محمود وسلطان أحمد .

بعد وفاة السلطان أبى سعيد ثار فى كل جانب من الولايات الايلخانية من يطالب بالاستقلال وأخذ الأمير مبارز الدين بدوره أهبته لهذا الأمر أيضا ومهد المجال لكى يستقل أيضا لأنه لم يكن من بقية الأسرة الايلخانية الرجل القوى الذى يجعل اعداءه لا يتجاوزون حدودهم وكان الوزير الكفء غياث الدين قد لقى القتل أيضا ولما كان كل وال يدعى نصيبا له من تلك البلاد الواسعا وكان الأمير مبارز الدين قائما من عام (٧١٣هـ) حتى ذاك الوقت بالقضاء على فتن جنوب ايران وضبط طرقها فأخذ يطالب بنصيبه ويدعو الى خلافته أتابكة يزد خلافة مستقلة .

وكانت فارس كما سبق شرحه فى تلك الآونة تحت سيطرة شيخ أبى اسحاق واخوته وكان هذا الأمير يرنو ببصره الى يزد . ولهذا أتاها فى (٧٣٧هـ) بأمر أخيه جلال الدين مسعود شاه فلما تلقاه مبارز الدين بالاحترام التام ترك المدينة الى كرمان ، وبعد قليل عاد الى يزد ثانية ليسيطر عليها بحجر أنه عائد الى شيراز لكنه لم يقو على مبارز الدين وانتهى الأمر بتخليته المدينة بوساطة أحد العلماء واوبته الى شيراز .

وفى (٧٤٠) رأينا أن الأمير بير حسين التشوبانى بلغ فارس واستمد الأمير مبارز الدين فأتيا متحالفين الى شيراز ولاذ مسعود شاه بالفرار الى كازرون فطوى الأمير بير حسين فارس تحت تصرفه وترك حكم كرمان التى كانت تبعا لفارس الى مبارز الدين فاستولى عليها فى (٧٤١هـ) .

وبعد أن اطمأن شيخ أبو اسحاق من ناحية فارس وطرد عنها الأمير بير حسين وملك أشرف أزمع على فتح كرمان وقد أدعى حكمها بعد أن دانت له اصفهان وهرمز بالطاعة وخطب له فيهما وسكت عملتهما باسمه ولا سيما وأن كرمان كانت جزءا من أملاك أجداده فجرد جيشا كبيرا عليها وتقدم الى (سيرجان) لكنه فشل فى دخول قلعتها مما أجبره على تخليتها وتقدم حتى قبل كرمان بخمسة عشر فرسخا ، وسمع أن الأمير مبارز الدين قادم بجيش متأهب لصده فنصحه بعض مرافقيه بالعودة الى شيراز فانتصح وعاد .

ولما عاد شيخ أبو اسحاق قام الأمير مبارز الدين بقتال عشيرتين من قبائل المغول هما (أوغانى) و (جرمائى) بسبب عصيانهما وكانتا قد أتيتا كرمان من عهد سيور غتمس وايلخانية أرغون للمحافظة على حدودها ، ثم عهد الى شيخ أبى اسحاق آلا يدخل امير شيخ الأوغانى رئيس العشيرة الأولى شيراز الا أن ابا اسحق الذى لم يتخل عن فكرة ضم كرمان ويزد اليه نقض هذا العهد فى (٧٤٧هـ) لما رأى مبارز الدين فى عنت شديد وتظاهر بارسال خمسة آلاف فارس لمدد مبارز الدين بكرمان وأمرهم أن ينضموا الى عدو مبارز الدين حين يشرع القتال ، وزحف هو الى يزد . ومع أنه أخذ يزد لكنه لم يقو على شاه مظفر ولد مبارز الدين فى ميبد وعلم أن جنوده والأوغانيين مع ضربهم الحصار على كرمان وغلبتهم لمبارز الدين لم يتمكنوا من الاستيلاء على المدينة لهذا اضطر الى الصلح والعودة الى شيراز .

وفى (٧٤٩هـ) أرسل الأمير مبارز الدين ابنه شاه شجاع الذى لم يزد

وقتها عن السادسة عشرة لتأديب الأوغانيين والجرمائيين وغلب شـــاه شجاع هذه الجماعات فى مناطق كرمان الحارة • وبعث أبو اسحاق أحد قادته لمـــا سمع بتمرد هذه الطـــوائف الى هرمز ومكران لكى يحصــــل أموالهما ويأتى كرمان فيمد المتمردين على آل المظفر ، لكـــن هذا القائد استجاز خيانته وانضم الى آل المظفر فأدى هذا الى قوة أمـــر المظفريين ووهن أمـــر أبى اسحاق •

وفى (٧٥١هـ) عاود أبو اساق هجومه على يزد لكنه لم يحقق شـــيئا فعاد الى شيراز وفى السنتين التاليتين أيضـــا أنفذ أحد أمـــراء الـــروم الفار اليه من ملك أشرف لفتح كرمان فلم يجد نتيجة كذلك وهزمه مبـــارز الدين فعاد الى فارس مهزوما •

قتل شيخ أبى اسحاق فى (٧٥٨ هـ) :

غضب مبارز الدين لكثرة تعدى شيخ أبى اسحاق وأتباعه على كرمان ويزد فأزمع على ضم شيراز والقضاء عليه ونصب فى (٧٥٤هـ) ابنـــــه شاه شجاع وليا لعهده وتوجه معه الى شيراز ، فلما علم بذلك أبو اسحاق سير القاضى عضد الدين الايجى (١) العالم الكبير المعروف يطلب الصلح من مبارز الدين • فاستقبل مبارز القاضى عضد باحتفاء بالغ لكنه رفض طلب أبى اسحاق قائلا أنه نقض العهد سبع مرات ولا يمـــكن الوثـــوق بعهوده فعـــاد القاضى عضد الدين بغير فائدة وتقدم مبارز الدين صوب شيراز وفى صفر (٧٥٤هـ) نزل حواليها وألقى بحصاره عليها • واستغرق حصار شيراز نصف عام ولم يقنط مبارز الدين مع أنه أصيب بالمـــرض خلال مدة الحصار ولقى ابنه شرف الدين المظفر حتفه ايضا بل زاد مـــن

(١) هو عضد الدين عبد الرحمن احمد الايجى المتـــوفى (٧٥٦هـ) مـــن علماء فارس المعـــروفين ومـــن مدينة ايج ، تولى القضاء وكان شـــافعى المذهب ، وله تواليف كثيرة بالعربية فى الفلسفة والكلام والأخلاق والمذهـــب اشهرها (المواقف فى علم الكلام) الذى يعد من الكتب المعتبرة فى علم الكلام .

كفاحه حتى انتهى بالاستيلاء على المدينة فى الثالث من شوال من العـــام نفسه • وكان ابو اسحاق فى أيام الحصار يمضى غالب وقته متغافلا خميرا سكيرا لاهيا وضاق جمع من اهل المدينة بأفعاله فاتصلوا سرا بالأمير مبارز الدين وفتحوا احدى بوابات المدينة لجنوده وهرب أبو اسحاق واستصرخ شيخ حسن الايلكانى ، فقدم هذا من بغداد اليه مددا بلغ ألفى جنـــدى هزمهم أيضا شاه شجاع فاضطر أبو اسحاق الى الاعتصام باصفهان ووقع ابن له عمره عشر سنوات وجماعة من قواد جيشه أسرى لآل المظـــفر فقتلوا جميعا وصارت فارس على هذا تحت تصرف المظفريين • وبعـــث مبارز الدين شاه شجاع لحكم كرمان وأقام هو بشيراز •

وفى (٧٥٥هـ) أناب مبارز الدين ابن اخته شاه سلطان عنـــه فى شيراز وتوجه لاستئصال شأفة أبى اسحاق باصفهان واستدعى اليه شاه شجاع من كرمان •

وفى غياب مبارز الدين قام نفر من أهل شيراز واتباع أبى اســحاق بدعوة عشائر الأوغانية والجرمائية للثورة على عمال آل المظـفر الا ان شاه شجاع أوقف الجميع عند حدودهم وأمن فارس وخف الى أبيه مبارز الدين وحصر الاثنان أصفهان •

ووقع أبو اسحاق والسيد جلال الدين مير ميران كبير اصفهان الذى كان له فى اصفهان منذ وفاة أبى سعيد القوة والنفوذ فى الحصار وأخــذ كلاهما يتوسل لطلب العون بالجميع •

ولم يستطع مبارز الدين وشاه شجاع فتح المدينـــة وحل عليهمـــا الشتاء فأجبروا على رفع الحصار والعودة الى شيراز فاغتنم أبو اسحاق الفرصة وتوجه الى لرستان عله يجمع منها مددا له فأمده أتابكها وعـــاد أبو اسحاق الى اصفهان لكنه فشل فى الوصول اليها لأن شاه شجاع أعاد حصاره عليها ووقف جنود مبـــارز الديـــن حائلا بينه وبين الجنــــود المحاصرين • وعاد الأتابك الى لرستان واتجه أبو اســـحاق الى شوشتر

أما كبير اصفهان السيد جلال فآثر اطاعة آل المظفر فعفوا عنه •

وفى (٧٥٧هـ) عاد ابو اسحاق الى أصفهان وأعد جيشا بعون من السيد جلال استعاد به المدينة فاستقر على كرسى امارتها ، فعجل مبارز الدين لمحاصرتها وطال حصاره لها فترك شاه سلطان على حصارها وارتحل هو لقتال اتابك لورستان •

وصار المحصورون فى فصل الشتاء نهب قلة الطعام والضيق الشديد فضعفت مقاومتهم وهرب غالبهم أو انضموا الى شاه سلطان وفر جلال ميرميران الى كاشان وأخفى أبو اسحاق نفسه أيضا فى دار شيخ الاسلام بالمدينة وسقطت المدينة فى ربيع (٧٥٧هـ) بيد آل المظفر •

وسرعان ما أسر شاه سلطان أبا اسحاق وبدأ بحبسه فى قلعة طبرك ثم بعث به بأمر من مبارز الدين الى شيراز وسلم الأمير مبارز شيخ ابا اسحق اينجو الى ابن أحد كبار شيراز الذى كان أبو اسحاق قتله فأتى بأبى اسحق فى يوم الجمعة الحادى والعشرين من جمادى الأولى (٧٥٨هـ) الى (ميدان سعادت) بشيراز أحد أبنية أبى اسحاق وقتله •

كان شاه شيخ ابو اسحاق رجلا كريما فاضلا محبا للشعر ولكنه لاه مغرور قاس بلا تدبير ومع هذا فقد كانت فارس فى أيام حكمه وسائر أفراد اسرته عامرة وكانت تضارع فى كثرة نعمها ومالها حالها عهد الاتابكة السلغوريين • ولما أن الأمير شيخ أبا اسحاق كان يجهد فى العناية بأهل العلم والأدب فقد اجتمع حوله شعراء وعلماء معتبرون أشهرهم شمس الدين محمد حافظ الشاعر السامى الفكر الشيرازى (١) ونظام الدين

---

(١) الشاعر الايرانى الأشهر حافظ الشيرازى هو شمس الدين محمد ابن بهاء الدين المعروف بلسان الغيب اكبر شعر الغزل الفرس ، ولد أوائل القرن السادس بشيراز وحصل العلوم بها واخذ يدارس الادب ودواوين الشعراء العرب وتخلص بالحافظ لحفظه القرآن الكريم . لحق الحافظ فى شبابه ببلاط ملوك الاينجو وآل المظفر وعمل فى دواوينهم ومدحهم وتوفى فى عام (٧٩١هـ) . ويشمل ديوان الحافظ غزلياته التى شهر بها

عبيد الله الزاكانى (٢) وشمس الفخرى الأصفهانى (٣) الذين مدحوا أبا اسحق ورثوه بعد موته .

فتح الأمير مبارز الدين فى (٧٥٨هـ) تبريز وبعد مقام فيها أنبىء أن السلطان أويس الجلايرى آت لفتحها فرأى الأصلح أن يعود الى شيراز ، ولما سلك مبارز الدين فى سفره هذا مع ولديه شاه شجاع وشاه محمود مسالك التحقير وهددهم بالعقاب وحرمانهم البصر خاف ولداه على حياتهما فتحالفا مع شاه سلطان الناقم أيضا على أبيهما وتواضعوا على القبض عليه عند وصولهم أصفهان وتقييده . وفى الخامس عشر من رمضان (٧٥٩هـ) نفذ المتآمرون خطتهم فبدأوا بالقبض على مبارز الدين وحبسه

ومثنويه ساقى نامه وبضع قصائد . وقد امتاز شعره بالمتانة والقوة مع أن العهد الذى عاشه كان يتسم بالفتن والقلاقل ، ولم يغل فى مدحه . مزج الحافظ المعانى الصوفية بعد أن تشرب روح التصوف بمعانى العشق وبلغ بهذا المزج غايته . وحاز ديوانه شهرة ورواجا لم يصل اليهما ديوان شاعر غزل قط مما يجعله احب الشعراء الى الفرس ، وقد طبع ديوانه فى ايران مرارا وتكرارا .

(٢) عبيد الزاكانى المتوفى نحو عام (٧٧٢هـ) من الشعراء الهجائيين والناثرين المنتقدين فى الأدب الايرانى ، غادر قريته زاكان من أعمال قزوين الى شيراز حيث حصل العلوم والفنون وصار من فضلاء عهده وأدبائه ثم سافر الى العراق ولاقى سليمان الساوجى الذى مرثىء عنه . ومجموعة آثار الزاكانى تشمل القصيدة والغزل والرباعى والقطعة والأشعار الهزلية ورسائله عشاق نامه وأخلاق الأشراف وريش نامه (كتاب اللحى) وصد بند (المائة نصيحة) وتضمينات ورسائله دلكشا (الرسالة المبهجة) ورسالة تعريفات وموش وكربه (الفأر والقط) فالنامه وغيرها ، ويبلغ شعره الجاد نحو ثلاثة الاف بيت .

والزاكانى من كبار الأدب الفارسى وشاعر منتقد هاج انتقد فساد عصره باسلوب ساخر متهكم ويلاحظ انه لم يتخذ السخرية من أجل السخرية وانما جعل منها سوطا يلهب فيه فاسدى عصره ومطية لتنبيه الخارجين عن الصراط القويم فى عهده .

(٣) الشمس الفخرى هو شمس الدين محمد بن سعيد الفخر الأصفهانى من كتاب وشعراء القرن الثامن ، ألف عام (٧٤٥هـ) كتابا فى اللغة الفارسية هو (معيار جمالى) وقدمه الى شيخ أبى اسحق اينجو ، ويشمل أجزاء أربعة فى العروض والقافية وبدائع الصنائع والفاظ الفارسية .

فى قلعة طبرك وفى التاسع عشر من نفس الشهر سملت عيناه بأمر من شاه شجاع ثم أرسلوه من طبرك الى قلعة (سفيد فارس) احدى قلاع جبل كيلويه ٠

وبعد فترة راسل مبارز الدين الأعمى ولديه يطلب الصلح فأتى شيراز وصارت الخطة والسكة واجراء أمور الحكم باسمه ، وبعد ثلاثة ادرك شاه شجاع ان أباه ما يزال يقصده فأعاد تقييده وسيره الى مناطق فارس الحارة ومنها الى قلعة (بـم) بكرمان الا أن الأمير مبارز الدين الذى وقع فريسة المرض مات فى الطريق قبل وصوله هذه القلعة الأخيرة فى ربيع الأول (٧٦٥هـ) ودفن فى المدرسة المظفرية بميبد وكانت احدى ما بناه بها ٠

حكم الأمير مبارز الدين محمد أربعين عاما فى تبريز وكرمان والعراق وفارس ومات فى سن الخامسة والستين وسعى فى مدة حكمه لأن تأسيس أسرة قوية شهرت باسم أبيه أى بآل المظفر ٠ وكان دينا ناسكا متعصبا وفى (٧٥٢هـ) طفق يستغفر الله عن ذنوبه ويتلو القرآن الكريم وينشغل بالعبادة والطاعة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر واجتهد فى تعبده عظيم اجتهاد وبنى لتعهد أحوال السادات وعلماء الدين فى شيراز دار السيادة وفى كرمان مسجدا وأوقف عليهما وقفا خاصا ٠ وأثناء حصاره اصفهان فى (٧٥٥هـ) بايع رسول أبى بكر المعتضد بالله الذى نادى بنفسه فى مصر خلفا للخلفاء العباسيين مقتديا بشيخ أبى اسحق فى هذا وذكر اسم الخليفة فى الخطبة وعلى السكة وجعل علماء العراق وفارس ويزد يبايعونه أيضا ، لكنه كان ضيق الخلق حاد الكلمات يعاقب الناس غالبا بيده ويتجاوز الحد فى القسوة فى منعه المنكرات ولهذا لم يكن الظرفاء والمتندرون من أهل شيراز يذكرونه بالخير وكانوا يسمونه بالملك المحتسب تندرا به ٠

شاه شجاع (٧٦٠ ـ ٧٨٦هـ) :ـ

بعد أن سمل الأمير مبارز الدين تعهد ابنه الأكبر جلال الدين شاه

شجاع أمور الحكم ففوض أخاه شاه محمودا فى حكم ابرقو وعــراق العجم وأخاه سلطان عماد الدين احمد فى حكم كرمان واستورز قــوام الدين محمدا صاحب عيار وحبس شاه يحيى بن شاه مظفــر ابن اخيــه فى شــيراز •

فى بداية حكم شاه شجاع تمردت العشائر الأوغانية والجرمائيــة فارتحل لصدهم وبعد هزيمتهم قبل اعتذار رؤسائهم ودخولهم طاعتــه فعاد الى شيراز • وخــدر شاه يحيى الحبيس بقلعة قهندز حارســـها فتحصن بها ولم يستطع شاه شجاع مع حربه وقتاله أن يمســك بابــن أخيه • وانتهى الأمر بالصلح بين الطرفين على أن يبارح شــاه يحــيى القلعة ويذهب الى يزد حاكما عليها من قبل عمه وأن تخلى القلعة لسيطرة العم ، وقبل شاه هذا الاقتراح وارتحل الى يزد لينقض عهده فمــا ان وصلها حتى ثار عاصيا عمــه وأخذ يروغ من قبول حكم شــاه شــجاع بالحيل والخداع ويتصيد الأسباب لعداوته الى أن تحرك فى النهاية شاه شجاع ومعه الوزير قوام الدين صاحب عيار وجيش كبير من شيراز الى يزد فبقى فى ابرقــو وتقدم الوزير لحصار يزد فضرب بحصاره عليهــا فلما ضاق الحال بشعبها وشاه يحيى راسل عمه بأبرقو يعتذر اليه ويظهر عجزه ويلحف فى ذلك حتى عفا عنه شاه شجاع فاستقدم الوزير وعادا الى شيراز • وأصاب شاه شجاع من هذا الوزير بسعاية اعدائه فى ذى القعدة (٧٦٤هـ) مقتلا •

وفى (٧٤٤هـ) تمــرد شاه محمود حاكم ابرقو واصفهان من قبــل أخيه هادفا الاستيلاء على العراق ، فهاجم يزد واسقط اسم أخيه شــاه شجاع من الخطة مستوليا عليها فقدم أخوه الى اصفهان ووقعت الحرب بين الأخين وحصر شاه محمود فى اصفهان وتتابعت الحروب بين جنده وجيش شاه شجاع وشاه سلطان الى أن باغتت جماعة من عساكر شــاه محمود أتباع شاه سلطان فهزموهم وأتى بشاه سلطان الى شاه محمود مقيدا وكان سبب سمل أبيه مبارز الدين فعامله بنفس المعاملة •

وفى نهاية الأمر تصالح الأخوان وتقرر أن يظل شاه محمود حاكما لاصفهان كما كان ويجرى الخطبة باسم أخيه وان كان شاه محمود قد انصاع لهذا الطلب لكنه لم يكن صافى القلب لأخيه بل كان يخطب ازالته بأى وسيلة ويستولى على ملك أبيه ولهذا راسل السلطان أويس جلاير ملك آذربايجان وخوفه استيلاء شاه شجاع على تبريز وحرضه على معاداة أخيه فأمده أويس بجماعة من أمرائه فاستظهر شاه محمود بهم وببقية من أمراء أبى اسحاق وجرأ على عصيان أخيه وانضم شاه يحيى الى العصاة أيضا وبلغهم من لرستان وقم وكاشان وساوه وآوه مدد فخرجوا من اصفهان فى (٧٦٥هـ) لأزالة حكم شاه شجاع ويمموا شطر شيراز •

وخرج شاه شجاع للقاء عدوه مع أخيه الأصغر سلطان احمد وابنه سلطان أويس من شيراز وقبل أن يبلغ جنود شاه محمود استاء سلطان احمد من أخيه شاه شجاع فانضم الى جيش شاه محمود وسلك بعض جنود شاه شجاع وأتباعه كذلك طريق الخلاف فاشتد الأمر عليه ومع كل هذا لم يفقد عنان المقاومة والثبات وواجه اعداءه بارادة صلبة وكان طبيعيا أن يهزم ويعود مكسورا الى شيراز ويتحصن بها فحصره جنود شاه محمود • وطالت المحاصرة وأخذت قوة مقاومته وعدد رفاقه يتضاءلان يوما بعد يوم • واخيرا طلب شاه شجاع الصلح وتلاقى الأخوان أسفل قلعة قهندز وبعد ترتيب قرار الصلح غادر شاه شجاع الى أبرقو ودخل شاه محمود شيراز تجلله العظمة والجلال •

وفى ربيع (٧٦٦هـ) أخذ شاه شجاع كرمان وارتحل لتأديب الأوغان والجرمائيين فبعث شاه محمود بشاه يحيى لمعاونتهم الا أن شاه يحيى وأخاه شاه منصور تحولا عن شاه محمود وانضما الى عمهما شاه شجاع فقوى عزمه على استرداد شيراز عاصمته السابقة حتى أن توجه مباشرة من كرمان اليها وألحق بالقرب من جسر فسا على رأس طريق شيراز فى الرابع والعشرين من ذى القعدة (٧٦٧هـ) بشاه محمود الهزيمة وعاد الى

شيراز وركن محمود الى الفرار الى أصفهان •

وظل النزاع بين شاه شجاع وشاه محمود قائما الى عام (٧٧٦هـ) حين توفى الأخير وغزا شجاع أصفهان مرارا وبعد أن يغلب أخاه يعفو عنه ويرجع الى شيراز ولقى منه مرة الهزيمة بعد أن استظهر بمدد أويس جلاير حميه وتقدم محمود حتى شيراز لكنه لم يستطع فتحها فعاد الى أصفهان •

وتمكن شجاع بعد موت محمود من اصفهان بيسر وهاجم تبريز كذلك منتهزا فرصة موت أويس جلاير فى ذلك الوقت أيضا فغلب ابنه سلطان حسين وقر بينهما الصلح وزوج حسين أخته لزين العابدين ولد شجاع وترك الأخير لابنه زين هذا حكم أصفهان وكان موضع النزاع بين آل جلاير وآل المظفر •

وفاة شاه شجاع فى (٧٨٦هـ) :

فى عام (٧٨١هـ) قام رجل اسمه عادل آقا مشايعا سلطان حسين فى السلطانية وقصد مهاجمة بلاد آل المظفر فأتاه شاه شجاع بالسلطانية لقتاله وكانت الهزيمة عليه أول الحرب والنصر آخرها له نتيجة لثباته ووصول المدد اليه فأخذ السلطانية وعفا عن عادل وعاد الى شيراز •

وتجمعت لعادل آقا تدريجيا القوة ، ولما خرج فى (٧٨٤هـ) سلطان احمد الابن الثانى لسلطان أويس جلاير على أخيه سلطان حسين وقتله نادى عادل آقا بحكم الابن الثالث لاويس وهو سلطان أبو يزيد ودخل فى حرب مع سلطان أحمد ولما كان قد أعلن نفسه تابعا لشاه شجاع استمده فأتاه بالسلطانية فى (٧٨٠هـ) •

وقبل بلوغ السلطانية ساء ظن شجاع بابنه الشبلى وتوهم منه الخروج فأمسك به قرب اقليد من أعمال فارس وحبسه باحدى القلاع ثم سمل عينيه فى شعبان (٧٨٥هـ) • ولما وصل السلطانية قام باصلاح ذات البين لولدى أويس وخرج منها مع عادل آقا وانتهى أمر النزاع بين أبى يزيد وأحمد بوساطته نهاية طيبة •

وارتحل شجاع من قزوين الى خرم آباد وشوشتر ولقى فيهما عنتا ولأيا شديدين بسبب الشتاء والأمطار والطرق الوعرة وأتاه شاه منصور والى لرستان وبعد لقائه يمم ناحية شيراز وفى طريقه أفرط فى شرب الخمر حدا أمرضه • وأحس بدنو أجله ففرق الصدقات والعطايا واستدعى اليه ولديه سلطان أحمد زين العابدين وكان لكليهما أتباع وأشياع فخاف اقتتالهما بعد وفاته فنصحهما وأوصاهما بحفظ الوفاق والاتفاق لمنع الخلاف ، وولى زين العابدين عهده وفوض سلطان أبا يزيد أخاه الصغير السن فى حكم اصفهان وعين سلطان أحمد بكرمان ثم راسل الأمير تيمور كوركان وسلطان أحمد جلاير ليراعيا أولاده وبعد قليل أى فى يوم الأحد الثانى والعشرين من شعبان (٧٨٦هـ) لفظ أنفاسه الأخيرة ودفن بشيراز •

أمضى شاه شجاع غالب مدة حكمه الستة والعشرين عاما فى صد العصاة وكان يخرج منتصرا فى الغالب وكان كأبيه شجاعا دينا ، حفظ القرآن الكريم فى التاسعة واجتهد فى العبادة بالغ الاجتهاد وكان ملكا فاضلا محبا للشعر والشعراء مشجعا للأدب وتتلمذ الى القاضى عضد الدين الايجى وبعض علماء زمانه • وكان يمتاز بحافظة قوية حتى أنه كان يستظهر السبعة أو الثمانية الأبيات العربية بمجرد سماعها وكان ينشد الشعر العربى والفارسى وبقى عنه قطعات ورباعيات عدة بالفارسية • وراج فى عصره الشعر الفارسى ومن شعراء عهده الحافظ الشيرازى والعماد الفقيه الكرمانى(١) ومن مداحيه أيضا •

---

(١) العماد الكرمانى المتوفى (٧٧٣هـ) من فقهاء القرن الثامن وشعرائه، رآه الشاعر الحافظ الشيرازى مرائيا حينما ذكر فى شعره انه كان علم هرة تقتدى به فى صلاته وكان الشاه شجاع بعد هذا كرامة له وكان الحافظ يعتبره مكرا وتحايلا • وكان العماد من أهل كرمان ابتنى فيها مدرسة • ومن آثاره المنظومة ديوان غزليات ومثنوى محبت نامه صاحبدلان او مثنوى محبة العارفين ومثنوى مؤنس الابرار •

زين العابدين (٧٨٦ — ٧٨٩هـ) :

بعد وفاة شاه شجاع خلفه مجاهد الدين زين العابدين لكنه ووجه بخلاف سائر كبار أسرته فى بداية حكمه ، فمن ناحية قدم شاه يحيى بدعوة أهل أصفهان اليها واستولى عليها وهاجم شيراز عاصمة زين العابدين لضمها ومن ناحية ثانية ترك أبو يزيد بن الأمير مبارز الدين وأشياعه جانبه وانضم الى جيش شاه يحيى ولما رأى زين العابدين أنه لن يغلب شاه يحيى قبل مصالحته وترك حكم أبرقو لأبى يزيد • وسمع أن شاه منصور بن شاه المظفر منصرف الى غزو شوشتر فخرج الى كازرون وفر منصور من أمامه •

أما أهل اصفهان فطردوا شاه يحيى بعد عودته اليها من شيراز لامساكه وبخله فعاد الى يزد ودخل الاصفهانيون طاعة زين العابدين فلما أخذها ارتحل الى نطنز وغلب أبا يزيد بها الحاكم من طرف شاه يحيى فهرب الى لورستان وعاد زين العابدين الى شيراز •

وفى (٧٨٨هـ) جمع أبو يزيد الهارب أمام زين العابدين الى لرستان جماعة حوله فأتى بهم كرمان وهم حاكمها سلطان أحمد بدعوته اليه ولكنه لم يسمح له بدخول عند سماعه أن جنوده الناهبين أغاروا على القرى وجاروا على الناس فارتحل الى يزد لدى شاه يحيى •

وفى نفس عام (٧٨٨هـ) سير الأمير تيمور كوركان الذى كان استولى على كل بلاد ما وراء النهر والتركستان وجزء من ايران رسولا من قبله الى شيراز لدى زين العابدين يطلب اليه التعجيل الى بلاطه لأن أباه شاه شجاع أوصاه به • فلم يجبه زين العابدين ولم يسمح لرسوله بالعودة • فأتى الأمير الكوركانى فى شوال (٧٨٩هـ) من همدان الى اصفهان وأدخل حاكمها تحت طاعته وهرب من وجهه زين العابدين وأمراؤه الى بغداد وقبل شاه يحيى امرته ، وانشغل عمال الأمير تيمور بجمع المال الذى جمعه الناس لهم لكنهم أصابوهم فى نسائهم ومالهم بالظلم

وعاد الى شيراز بعد هذا الفتح منصور وأخذ أهبته وقصد أصفهان ليجلى عنهـا زين العـابدين • وانفضت غالبية جيش زين العابدن عنـه وانضمت الى منصور فخلى اصفهان بلا قتال واتجه الى خراسـان فضم منصور المدينة اليه •

ولم يكد زين العابدين يبلغ الرى حتى قبض عليه حاكمها وأرسـل به الى منصور فسمل هذا عينيه وشد رحله الى يزد فخرب أكثرها وبعد صلحه مع يحيى انقلب الى كرمان وأرسل الى أحمد يخبره بين التحالف معه وترك طاعة تيمور هو ويحيى ومدهمـا له بجيش لكى يتقـدم الى خراسان ويصد هجمات تيمور أو التهيؤ لقتاله • ولم يكن سلطان أحمـد يجرؤ على مخالفة تيمور فعصى هذا الاقتراح فخرب منصور كثرة مـن قرى يزد وكرمان وعاد الى شيراز وأثار أبا اسحق على أحمد وحرضـه على ضم ولايته وأخذ أبو اسحاق يهاجم أملاك أحمد الى أن بلغ منـه أحمد وقـت فتنة تيمور بالعـراق وفارس مقتـلا •

انهيـار آل المظفـر فى (٧٩٥هـ) :

نال الغضب من الأمير تيمور لجسارة منصور وغزواته فقصـد أول (٧٩٥هـ) شيراز من شوشتر ولما عصف بقلعة سفيد المحكمة خلص سلطان زين العابدين الأعمى المحبوس بها بأمر منصور ووعـده بالانتقـام من منصـور •

وكان شاه منصور وقتذاك بأصفهان فرحل عنها الى شيراز وبدلا من أن يأخذ أهبة الدفاع غرق فى الشراب واللهو ولم تقع عينا أحد عليه مدة أربعين يوما فى أى مكان لانصرافه بكليته الى الخمر الصافى ولما سـمع باستيلاء تيمور على قلعة سفيد وعزمه الى شيراز ولى دبره للهـروب من المدينة • وبعد مدة قليلة آب الى شيراز من فسا وجمع نحو خمسة آلاف فارس وماش وهاجم على بعد ثلاثة فراسخ من شيراز الأمير تيمور وكان

جيش تيمور يبلغ الثلاثين ألفا ، ومع أن عقد ونظام جناحى جيشه انفرط الا أنه حارب ببطولة وهاجم مرارا قلب جيش تيمور حتى حطم مقـاومة جيشه ولم يبق غير تيمور وخمسة من أتباعه وضرب منصـور بسـيفه مرتين على قلنسوة تيمور فلم يصب بسوء لتلقى أحـد أمرائـه ضرباته بدرعه وعاد منصور الى شيراز وقد اصيب بطعنات ثلاث غـير أن أحـد أتباع تيمور أنزله من على جواده وهو يجهل أمره وقتـل هذا الشـاب الشـجاع .

وبعد قتل شاه منصور خف سائر أفراد الأسرة المظفرية لطاعة تيمور فقيدهم جميعا وبعث أولا بسلطان شبلى الذى سمل بأمر والـده شـاه شجاع وزين العابدين الذى حرم بيد شاه منصور البصر الى سـمرقند ثم ترك فارس الى ابنه عمر شيخ وقصد أصفهان وبرفقته أمراء الأسرة المظفرية بيد أنه قبل بلوغه لها أمر بقتل جميع افراد هذه الأسرة صغيرها قبل كبيرها فى العاشر من رجب (٧٩٥هـ) فى قرية ماهيار من أعمال قمشه وقتل بقيتهم الحكام التيموريون فى الولايات وذكر ان عدد قتـلى هـذه الأسرة على يد عمال تيمور بلغ السبعين . والخلاصـة ان هـذه الأسرة الكبيرة التى خلد ذكرها الطيب فى تاريخ أدب ايـران وجـود الشـاعر الكبير الحافظ الشيرازى زالت من الوجود على هذا النحو المفجـع ولم يبق من آثارهم غير هذه الشهرة الطيبـة .

ومع أن سلاطين آل المظفر كانوا عقـلاء مقـاتلين ناشرين للعـلم والأدب الا أن التعصب والقسوة غلب على خلقهم خاصة الشقاق وقتـل الأخ وسمل العينين أحدهم للآخر وهذه صفات كانت لهم لم يسـلم منها حتى شاه شجاع مع علمه وفضله وكانت هـذه الصـفات من الأسـباب الأساسية لسقوط دولتهم ، ومدة حكم هذه الأسرة اثنان وسـبعون عاما من (٧٢٣هـ) حتى (٧٩٥هـ) وحوزة ملكهم هى فـارس وكرمـان ويـزد وأصفهان وبعض أجزاء من خوزسـتان .

أسماء سلاطين آل المظفر وزمان حكم كل منهم

١ ــ أمير مبارز الدين محمد بن مظفر بن منصور بن غياث الدين حاجى
(٧٢٣ ــ ٧٦٠هـ)

٢ ــ شاه محمود بن أمير مبارز الدين محمد
(٧٦٠ ــ ٧٧٧هـ)

٣ ــ سلطان عماد الدين أحمد بن أمير مبارز الدين محمد
(٧٦٠ ــ ٧٩٥هـ)

٤ ــ شاه نصرة الدين يحيى بن أمير مبارز الدين محمد
(٧٦٠ ــ ٧٩٥هـ)

٥ ــ شاه شجاع بن أمير مبارز الدين محمد
(٧٦٠ ــ ٧٨٦هـ)

٦ ــ سلطان زين العابدين بن شاه شجاع
(٧٨٦ ــ ٧٩٠هـ)

٧ ــ شاه منصور بن شاه مظفر بن أمير مبارز الدين محمد
(٧٩٠ ــ ٧٩٥هـ)

٤ ـ أمـراءلرسـتان

لرستان (أو لورســتان او بالتعريف بالألــف واللام) هى أراضى اللوريين الذين كانوا وقت الاستيلاء المغولى قسمين هم اللوريون الكبار واللوريون الصغار ، وبين مساكن اللور الكبار وشيراز بلد للوريين جماعة ثالثة منهم كانت موجودة ومعروفة باسم (شولستان) • واليوم تعــرف الشولستان بـ (ممسنى) واللور الكبار بكوه كيلويه أو جـبال كيـلويه وبختيارى ، واللور الصغار هم ما نسمى بلادهم اليوم لرســتان والتى كان يطلق عليها تلك الأيام بلرستان الصغرى ، وقد وسعت أغلب منطقة (فيــلى) أى أطراف خرم آباد وأراضى (بشــت كوه) •

وكان كل من اللور الكبار والصغار قبل استيلاء المغول حتى فــترة بعد انهيار الايلخانيين نصف مستقلين يحكمهم أمراء منهم شــهر بعضهم بوقائع مشهورة كأولئك الذين حازوا اسما فى التاريخ وصــفة بســبب ترويجهم للأدب الفارسى أو حروبهم لأسر اخرى •

ويفوق اللور الكبار وأمراؤهم فى التاريخ ذكرا على اللور الصــغار لأنهم سكنوا بين فارس وعراق العجم وعراق العرب وشولســتان وكانت لهم علاقات مع أتابكة فارس وخلفاء بغداد وكانت أهم مساكنهم تقع على رأس طريق العراق العربى ووادى نهرى قارون وكرخه بفارس وسواحل البحر • وكانت الأسرة التى بلغت قوة فى اللورستان الكبرى من حــدود منتصف القرن السادس الهجرى وسميت بالأمراء الفضلويين أو تجاوزا بأتابكة لرستان أصلا من أكراد الشام الذين أتوا الى ايران عن طــريق ميافارقين وآذربايجان والقوا برحالهم بداية القرن السادس الهجــرى ف (اشتران كوه) وسهوله الشمالية وكانت عاصمة أتابكة لرستان مدينة (ايذج) أى مال أمير أو ايذة الحالية • وأشهر أتابكة لرستان هم :

الأتابك تكلة (٦٤٩ ـ ٦٥٦هـ) :ـ

والأتابك مظفر الدين تكلة أحد أشهر اتابكة لرستان وقد ناهض أتابكة فارس وأمران اللور الصغار والشول والمغول وقضى الشطر الأعظم من عمره فى حروبه معهم ٠

اشتد الصراع ما بين أتابكة فارس وأتابكة لرستان التى كانت بدايته من عهد الأتابك هزار أسب فى أيام امارة تكلة اذ أن الأتابك سعد بن زنكى هاجم أملاكه ثلاث مرات هادفا استئصال الأمراء الفضلوية والاستيلاء على بلاد اللور الكبار لكنه لم يغز فى أى منها بل كان النصر دائما لتكلة مما زاد أهميته واعتباره ٠

وفى (٦٥٥هـ) حينما بلغ جيش هولاكو هذه المنطقة وقت مسيره للاستيلاء على بغداد وبلاد العراق سارع تكلة الى لقائه وحضر غزو المغول لبغداد لكنه لما رأى وحشية التتار فى هذه الحروب من قتل الخليفة ونكبة المسلمين أصابه التأثر فكر فى العودة الى لرستان فأعلم هولاكو قواده بهمه وهمته فأراد القبض عليه فعاد تكلة الى بلاده دون اعلامه ، وبعد أن أمنه هولاكو اصطحبه الى تبريز وقتله بها فى الخامس عشر من ذى القعدة (٦٥٦هـ) وولى أخاه شمس ألب أرغو حكم اللور ٠

وليس بعهد امارة شمس الدين ألب أرغو التى استمرت خمس عشرة سنة حادثة تذكر ٠

يوسف شاه (٦٧٢ ـ ٦٨٨هـ) :ـ

خلف ألب أرغو ولده يوسف شاه وقد أدى هذا الأتابك لأباقا الايلخان خدمات جليلة ومن ثم لقبه أباقا بلقب (بهادر) وضم الى ملكه خوزستان وكوه كيلويه ومدينة فيروزان (على بعد فراسخ من أصفهان) وكلبا يكان ٠

ولما جلس أرغون خان استمر يوسف شاه على طاعته لهـم وأمـره أرغون باصطحاب الوزير شمس الدين الجوينى صاحب الديـوان اليـه فقدم به اليه يوسف شاه وزوجه الوزير بابنته • وبعد قتل شمس الدين عاد الأتابك يوسف شاه بأمر أرغون الى بلاد اللور وظل بها حتى وفاتـه

الأتابك آفراسياب (٦٨٨ ــ ٦٩٥هـ) : ــ

كان ليوسف شاه ولدان أفراسياب وأحمد خلف الأول أباه فى الحكم وأرسل أخاه الثانى الى بلاط الايلخان • وكان أفراسياب مسـتبدا ظالما بدأ بمصادرة أفراد أسرة وزير أبيه ثم قتلهم قتلة شنيعة وخافه جمـاعة من أتباعهم ففروا الى أصفهان فأرسل عقبهم أفراسياب للقبض عليهـم أحد أقاربه وقد قارنت هـذه الحـادثة موت أرغـون (٦٩٠هـ) • ورأى أفراسياب فرقة أوضاع البلاط الايلخانى فرصة سانحة للثورة والتمـرد على المغول فأمر بقتل المغول المقيمين بأصفهان وأرسـل عنـه ولاة الى همدان وفارس حتى شاطىء البحر وصمم على مهاجمة تبريز وقدم هـو الى العراق وأهلك بالقرب من قهرود بكاشان أحد قادة المغـول واغتنـم منه كثيرا وأساء الى أسرى المغول اساءة بالغة •

وأرسل الايلخان الجديد وهو كيخاتو الذى امتلأ غضـبا لتصرفات افراسياب وجراءته جيشا كبيرا لتأديبه وتأديب قومه ، فأوسـع المغـول اللـور قتـلا وذبحا واعتصم أفراسياب الذى لـم يطـق مقاومتهـم بقلعة (منكشت) ولما رأى أنه لن ينجو منهم فر الى معسكر كيخاتو يطلب عفوه فأكرمه الايلخان وترك افراسياب أخاه أحمد بمعسكرهم وعاد الى بلاده ، وفى هذه المرة أهلك طائفة من أمراء وكبار مملكته بحجج مختلفـة لكى يسـتقل تمامـا •

وفى عهد الايلخان غازان بدأ افراسياب بداية حسنة معه فكان موضع رعايته ويحكم بلاده من جانبه وفى (٦٩٥هـ) أتى غازان همـدان فبلـغ

افراسياب موضعه وأدى له فروض الطاعة فأذن له غازان بالعودة ، لكن الأمير هرقداق والى فارس فى عودة أفراسـياب عاد به الى غازان وشرح له سوء سيرته فأمر غازان بقتله فى العشرين من ذى الحجة (٦٩٥هـ) •

نصرة الدين أحمـد (٦٩٥ ـــ ٧٣٠ هـ) : ـــ

خلف نصرة الدين أحمد أخاه افراسياب وهو أحد مشاهير الأمـراء الفضلويين لأنه فضلا عن حسن سلوكه مع رعيته كان له اختلاط بالعلماء والزهاد وأهل الأدب والشعراء فبقى عنه ذكر طيب •

أشاع الأتابك نصرة الدين أحمد مراسم المغول فى بـلاده وسـعى سعيا بليغا لترميم ما خربه أخوه ببناء المدارس والرباطات والطرق وشيد نحو مائة وستين زاوية أو خانقاة فى بلاده المختلفة من بينها أربعة وثلاثون فى اينج عاصمته • وكان يقسم عائدات بلاده السـنوية أقسـاما ثـلاثة متساوية يجعل كلا منها للانفاق على وجه خاص ، فقسـم منها للانفـاق على نفسه والأقارب والأتباع خاصته ، وثلث ثان للانفاق على عسـكره وثالث للانفاق على الزوايا والمدارس وكان هو نفسه من الصلحاء وكان أغلب لباسه الصوف ويتصدق على الفقراء بالطعام والمـال واللبـاس • ويذكر الأتابك نصرة الدين أحمد بخير فى تاريخ الأدب الفارسى فقد ألف له ثلاثة كتب فارسية أبقى مؤلفوها بها ذكرا له طيبا ، وأول هذه الكتب (تاريخ معجم فى آثار ملوك العجم) لشرف الدين فضل الله الحسـينى القزوينى(١) ثم (معيار نصرتى)(٢) فى العروض والقوافى الذى ألفـه

(١) شرف الدين الحسينى من أدباء وشعراء القرن السابع وأوائـل الثامن بلغ خدمة الجايتو عن طريق الوزير غياث الدين محمـد فألف أغلـب مؤلفاته له وللأتابك نصرة الدين أحمد شاه لرستان . أما أثره المعروف التاريخ المعجم فهو فى ذكر مآثر ملوك ايران القدامى وله كتاب آخر فى فـن الانشـاء والبيان والتعريف بأرباب الأدب وهو الترسل النصرتية وكان تابعا فى أسلوبه النثرى لوصاف صاحب تاريخ وصاف الذى سوف يشار اليه .

(٢) الكتاب اسمه الذى ذكرته المعاجم الأدبية هو معيار جمالى ومفتاح

=

شمس الفخرى الاصفهانى باسم الأتابك ثم (تجارب السف) (١) بقلم هندوشاه بن سنجر النخجوانى (٢) •

وخلف نصرة الدين أحمد ابنه الأتابك يوسفشاه الثانى (٧٣٠ — ٧٤٠) ومن بعده ابنه الثانى (الفراسياب الثانى) ولما أن أسرة اينجو وآل المظفر فى فارس بلغت شأوا ظاهرا فأعملت نفوذها فى لرستان فخربت بالتدريج أوضاع اللور ، لا سيما فى عهد مبارز الدين اذ أمد أتابك اللور نور الورد بن سليمان شاه بن الأتابك أحمد شيخ أبا اسحاق فأتى مبارز الدين لقتاله فى (٧٥٧هـ) وأسر نور الورد وسمل عينيه وترك حكم اللور لبشنك بن سلغر شاه بن أحمد وهو ابن عم وصهر نور الورد وذهب هو نفسه لشد أزر ابنه شاه شجاع فى حصاره لأصفهان •

وظل أتابكة اللور الكبار حتى النصف الأول للقرن التاسع وكان آخرهم غياث الدين كاوس الذى ذهبت دولته بيد السلطان ابراهيم بن شاهرخ التيمورى فانقرضت أسرتهم •

ابو اسحاقى وهو معجم فى الفارسية الفه الفخرى عام (٧٤٥هـ) لشيخ أبى اسحاق بن الأمير محمود اينجو حاكم فارسى ، وليس كما نكر المؤلف بهذا الاسم او انه الف للأتابك نصرة الدين أحمد . على أية حال فالكتاب قيم ويشمل اربعة فنون الأول فى العروض الفارسى والثانى فى قوافيها والثالث فى علم البديع والصناعة والاخير فى معجم اللفظ الفارسى ، وشواهد الكتاب كلها تقريبا من وضع المؤلف . وقد نهج المؤلف نهج الأسدى الطوسى ف ترتيبه الألفاظ فى الفن الرابع من كتابه اذ جعله حسب الحرف الأخير للكلمة ، وجعل كل حرف بابا ونظم الأبواب حسب ترتيبها الأبجدى .

(١) تجارب السلف الم لف عام (٧٤٤هـ) هو ترجمة لكتاب منية الفضلاء فى تاريخ الخلفاء والوزراء المعروف بالتاريخ الفخرى لابن الطقطقى الذى الفه عام (٧٠١هـ) . ولم يتقيد المترجم هندوشاه حرفيا بالاصل بل حذف اجزاء منه وزاد عليه واورد حكايات وقصصا لم ترد فيه . ونثر الكتاب سهل سلس وانشاء بليغ وعذب .

(٢) مؤلف الكتاب السابق هو محمد بن فخر الدين هندوشاه النخجو من مؤرخى القرن الثامن وان لم يذكر له كتاب غير كتابه السابق .

أسماء أتابكة اللور الكبار

الاسم	الفترة
١ ــ أبو طاهر	حدود عام (٥٥٠هـ)
٢ ــ الأتابك هزاراسب بن أبى طاهر	(حتى عام ٦٢٦هـ)
٣ ــ عماد الدين بهلوان بن هزار اسب	(٦٢٦ ــ ٦٤٦هـ)
٤ ــ نصرة الدين كلجه بن هزار اسب	(٦٤٦ ــ ٦٤٩هـ)
٥ ــ تكلة بن هزار اسب	(٦٤٩ ــ ٦٥٦هـ)
٦ ــ شمس الدين آلب أرغو بن هزار اسب	(٦٥٦ ــ ٦٧٢هـ)
٧ ــ يوسف شاه بن آلب أرغو	(٦٧٢ ــ ٦٨٨هـ)
٨ ــ افراسياب بن يوسفشاه	(٦٨٨ ــ ٦٩٥هـ)
٩ ــ نصرة الدين أحمد بن يوسف شاه	(٦٩٥ ــ ٧٣٠هـ)
١٠ ــ يوسف شاه الثانى بن نصرة الدين أحمد	(٧٣٠ ــ ٧٤٠هـ)
١١ ــ افراسياب الثانى بن نصرة الدين أحمد	(٧٤٠ ــ)
١٢ ــ نور الورد بن سليمان شاه بن الأتابك أحمد	(ــ ٧٥٧هـ)
١٣ ــ الأتابك بشنك بن سلغر شاه بن الأتابك أحمد	(٧٥٧ ــ ٧٩٢)
١٤ ــ بير أحمد بن الأتابك بشنك	(٧٩٢ ــ ٧٩٨هـ)
١٥ ــ أبو سعيد بن بير أحمد	(ــ ٨٢٠هـ)
١٦ ــ شاه حسين بن أبى سعيد	(٨٢٠ ــ ٨٢٧هـ)
١٧ ــ غياث الدين كاوس بن بشنك	

أما شعبة اللور الصغار فمع أن بضعة نفر أقوياء ظهروا فيهم ودامت امارتهم مدداً أطول لكنهم لم يبلغوا مرتبة اللور الكبار اسما أو رسما .

٥ ـ التشوبانيون

لم يزد التشوبانيون كما سبق القول عن أميرين أولهما أمير شيخ حسن بن أمير تيمور تاش بن أمير تشوبان سلدوز والذى سبق تفصيل أحواله وأعوانه ، وثانيهما أخوه ملك أشرف الذى هاجم فارس أيام قتله أخيه لأخذ شيراز فلما بلغه خبر قتل أخيه عام (٧٤٤هـ) عاد الى تبريز وخلف أخاه كما مر ونادى بمن كان اسمه انوشيروان ايلخان باسم انوشيروان العادل وبعد قليل عزل العادل واستقل بالأمر •

وحكم ملك أشرف أربعة عشر عاما (٧٤٤ ــ ٧٥٨هـ) فى آذربايجان بسفك الدماء والظلم والجهل ولم ينقض على امارته ثلاث أو أربع سنوات حتى جلى غالب أهل تبريز تماما لجوره عن بلدهم وأعقب الهجرة ظهور وباء عظيم فى (٧٤٧هـ) فيها فسقطت تبريز تماما من أهميتها وعمارها ولم يسع ملك فى هذه الحال الا لجمع المال وايذاء الناس •

وفى (٧٤٨هـ) فكر ملك أشرف أن يستولى على بغداد من أمير شيخ حسن الكبير الايلكانى فهاجمها لتحقيق قصده ، وفزع حسن من ظهور جنود أشرف المفاجىء فقرر الذهاب الى الروم ويتحصن بقلعة كماخ الا أن زوجه دلشادخاتون منعته من الفرار وأحكمت أسوار بغداد وتأهبوا لصد أشرف ، ولم يحقق جنود أشرف شيئا أمام استعداد جنود شيخ حسن وثباتهم بل لم يستطيعوا مقاومة هجماتهم فعادوا الى آذربايجان منهزمين •

ولما عاد ملك أشرف الى تبريز قسم مملكته بين أمرائه لكى يستخرجوا من بلادها أموالا يرسلون بها اليه ومع ذلك فكان يقيدهم ويستولى على ما معهم ثم يبعث بغيرهم بدلا منهم وكان كلما سمع أن أحد الناس عنده مال لم يهدأ الا حين يأخذ ماله ولم يكن يقصد فى الغالب من مهاجمة البلاد غير القتل والنهب حتى أنه هاجم شروان مرارا فلما لم

يستطع السيطرة على أميرها وقلاعها نهب قراها حتى حدود بلاد الكرج ٠

وفى (٧٥١هـ) قصد أشرف أصفهان ليضمها اليه فقاومه أهلها ولما رأى منعتها عليه قنع أن يخطب له فيها ويسك عملتها باسمه وعاد الى تبريز وقتل جماعة من الأمراء والناس وقد حبسهم قبل ويمم الى قراباغ ٠

وفاض بأهل تبريز من ظلم ملك أشرف وفسقه ولم يطق علماؤها وزهادها تحمل مظالمه فانطلقوا منها باحثين عن راحتهم منه بأى وسيلة فاستمدوا (جانى بيك خان أوزبك) الملك المغولى المسلم للقبجاق وكان رجلا دينا محبا للفضل فأعد جانى بيك جنودا فى ظرف شهر وأرسلهم الى آذربايجان فى (٧٥٨هـ) عن طريق الدربند ٠

ولما علم أشرف بوصول جند جانى بيك حمل الأموال العظيمة التى جمعها بالجور والغبن أربعمائة بغل وألف بعير ووجهها الى خوى وعسكر هو بأوجان ، وعصف جنود جانى بيك بيسر بجيش أشرف ، فعجل أشرف عقب خزائنه لكنه أسر فى خوى وأعيد الى تبريز وتجرع الكأس التى أذاقها الناس وذلك باصرار حاكم شروان وصارت خزائنه ونفائسه نصيب الغالبين(١) وزال الأمراء التشوبانيون ٠

وبعد قليل أخذ جانى بيك تيمور تاش بن ملك أشرف وسلطان بخت ابنته معه فى طريقه الى شهر غازان وترك ابنه (بردى بيك) على رأس خمسين ألف جندى فى آذربايجان الا أن بردى بيك عاد الى القبجاق بعد قليل بسبب مرض والده وبقى (اخى جوق) نائبه فى

---

(١) قيل فى ذلك : أرأيت ما فعل أشرف الحمار
نال المظالم ونال غيره المال ؟!

وبالفارسية : ديدى كه جه كرد اشرف خر
أو مظلمه برد وديكرى زر (سياقى)

وفى نص البيت الفارسى بالاصل (اشرف حر) اى اشرف الحر ولاتناسب هذه الصفة المقام فقلنا (اشرف خر) اى اشرف الحمار لقرب دلالتها .

تبـــريز (١) .

الأمـــراء التشـــوبانيان

١ ــ أمير شيخ حسن كوجك أو الصغير بن تيمور تاش بن أمير تشوبان (من ٧٣٨ حتى ٧٤٤هـ)

٢ ــ ملك أشـــرف أخو شـــيخ حســـن (من ٧٤٤ حتى ٧٥٨هـ)

٦ ــ الأمراء الايلكانيون أو آل جلاير

أشهر أسرة ظهرت فى الفترة بين انهيار ايلخانات ايـــران وظهـــور تيمور الكوركانى عن تجزىء دولة الايلخانات الكبرى هى أسرة آل جلاير أو الايلكانيين التى ذكرنا فيما سبق نبذة عن مؤسسها شيخ حســـن بن أمير حسين آقبوقا المعروف بشيخ حسن بزرك أو الكـــبير وخلاصـــة عن

---

(١) لفظ (أخى) المرادف للفتى أول من أطلق عليه من الصوفية هـــو (اخى فرج زنجانى) المتوفى (٤٥٧هـ) (انظر نفحات الأنس للجامى مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٥٦٩ فا) ورقـــة ٧٠ أ و ٦٩ ب) . وأول من استخدم لفظ (أخى) يريد به الفتى والآخيه يعنى بها الفتوة هو شـــهاب الدين السهروردى (المتوفى ٦٣٢هـ) فى كتابيه الفارسيين (رسالة الفتوة) و (كتاب فى الفتوة) . ولما زار ابن بطوطة الأناضول عام (٧٣٤هـ) وصـــادف الفتيان وأهل الفتوة بهم وجد كلا منهم يسمى نفسه بـ (أخى) بدلا من (فتى) فذكرهم فى رحلته على أنهم (الفتيان الآخية) قائلا (واحد الآخيـــة (اخى) على لفظ الأخ اذ أضافه المتكلم الى نفسه) (مهذب رحلة ابن بطوطة لأحمد العوامرى وزميله ــ مصر (١٩٣٤)) . فالكلمة عربية وليســـت كما ادعى بعض المستشرقين مثل بروكلمان ودنى وشايدر وجيزه وتاشنر ممن درسوا الفتوة انها تركية أتت من اللفظة الأويغوزية (اقى) بمعنى الســـخى . وقد تلقـــب الغزاة والمقاتلون بهذا الاسم عن أهل الفتوة والغزو كما صـــادفنا فى هـــذا الموضع (أخى جوق) أى الأخ الكبير بالتركية كما تلقب به المتصوفة وأرباب الحرف وأطلق على أسرات فى الأناضول فى القرن الحادى عـــشر وأمـــاكن مختلفة به وبالروملى . (انظر لمزيد من التفاصيل رسالة المترجم للدكتوراه (جماعات الفتوة فى الأناضول) ص ٤ ــ ٦ ، ٩٦ .

أبيه أمير حسين كوركان (بمعنى صهر أرغون خان) وجده آقبوقا • أما أبو آقبوقا فهو ايلكانويان أو الأمير ايلكا وكان من قبيلة جلاير وأحد القواد الذين صاحبوا هولاكو الى ايران ، ولذلك تسمى هذه الأسرة بالايلكانيين وآل جلاير وينبغى التفريق بين الايلكانيين هؤلاء والايلخانيين أتباع الايلخانات أعقاب هولاكو فى ايران •

حكم أمير شيخ حسن بزرك سبع سنوات (٧٤٠ – ٧٥٧هـ) فى العراق العربى مستقلا لما كان متزوجا بدلشاد خاتون زوجة أبى سعيد سابقا وكان أصلا من قبيلة جلاير المغولية وينتسب للايلخانات من ناحية أمه فقد اعتبر نفسه أحرى من غيره بخلافتهم ، ومع أنه فى نهاية الأمر أسس دولة قوية الى حد ما الا أن دولة أولاده لم تشتهر من ناحية اتساع الملك والقوة الحربية والسياسية بقدر اشتهارهم بحب الشعر وتشجيعهم لبضعة نفر من شعراء الفارسية مثل الحافظ الشيرازى ومحمد العصار(١) وشرف الدين الرامى وسلمان الساوجى(٢) وعبيد الزاكانى ، وقد أشهرتهم خاصة قصائد مدح جمال الدين سلمان الساوجى أكثر من غيرها •

---

(١) العصار المتوفى (٧٨٣هـ) هو شمس الدين محمد من الشعراء المتصوفة فى تبريز ، له مثنوى اسمه (مهر ومشترى) أى الشمس والمشترى امتدحه الشاعر المعروف عبد الرحمن الجامى من أشهر شعراء القرن التاسع الهجرى وسوف يشار اليه .

(٢) الساوجى هو جمال الدين سلمان بن علاء الدين من كبار شعراء القرن الثامن كان فى خدمة غياث الدين وزير السلطان ابى سعيد بهادر أول الأمر ثم لحق بعد موت الوزير ببلاط آل جلاير ، ويعد الساوجى أكبر شعراء القصيدة الايرانية بعد المغول وقبل العصر الصفوى ، انتهج نهج الأنورى وقلد المنوتشهرى أيضا ، وله قصائد فى حمد الله ومدح الرسول والائمة ولم يكن هذا معمولا به قبله . وكان الساوجى أستاذا فى الغزل وموضع اهتمام الحافظ الشيرازى . وفى غزليات الشاعر موضوعات طريفة وتشبيهات مبتكرة كثيرة . وله غير القصائد والغزليات ترجيعات وتركيبات وقطع ومثنويات . وفوق ديوان شعره له مثنوى اسمه جمشيد وخورشيد أى جمشيد والشمس ألفه لأويس عام (٧٦٣هـ) وفراقنامه ألفه عام (٧٧٠هـ) له أيضا .

وفى مدة حكم حسن الكبير المستقل التى بلغت سبع عشرة سـنة فى العراق كانت زوجه المدبرة تدير غالب الأمور وعملت هذه المرأة التى ظلت تعيش حتى قبل موت زوجها بعامين على تشجيع الشعراء ببغداد وتعميرها ونشر أعمال الخير والبر ، وأحد أقسام ديوان سلمان الساوجى الهـامة يتعلق بمدح هذه السيدة • وقد توفى حسن الكبير عام (٧٥٧هـ) •

معـز الدين أويـس (٧٥٧ — ٧٧٦هـ) : —

استقر فى امارة شيخ حسن بعد وفاته ابنه معز الدين أويس الذى ولدته دلشاد خاتون عام (٧٣٩هـ) وكان يناهز حين مات أبـوه التاسـعة عشرة وهذا الأمير الشاب هو أشهر أمراء جلاير بعد أبيه لأنه كان أميرا أحسنت تربيته محبا للشعر والشعراء وتتلمذ فى تعلم الأدب الى الشاعر سلمان الساوجى وقد تعلق بهذا الشاعر تعلقا جعله يصطحبه فى أغلـب أسفاره وسلك الشاعر فتوحات السلطان ومقـاماته فى عقـد النظـم فى قصـائده •

فـتح تـبريز فى (٧٥٩هـ) :

فى ربيع (٧٥٩هـ) قدم السلطان أويس بجيش كبير تبريز ليطرد عنها أخى جوق نائب بردى بيك الأوزبكى فجعل أخى جوق مع جماعة من الأمراء والبقية الباقية من جيش أمير أشرف التشوبانى لصده واحتدمت الحرب بين الفريقين فى المعابر الضيقة الواقعة بين بلاد الكرد وآذربايجان • ولم يتبين فى اليوم الأول نصر حاسم لأحدهما غير أن أخى جوق هـرب الى تبريز صباح اليوم التالى فتعقبه أويس • ولما عاد أخى جوق لم يكـف بدوره عن ظلم الناس والاضرار بهم وأخلى تبريز وفر الى نخجوان فدخل أويس تبريز فى رمضان (٧٥٩هـ) واستقر فى الربع الرشيدى وأهلك نحـو سبعة وأربعين أميرا منافقـا من أمـراء ملك أشرف وهربت البقـية الى أخى جـوق •

وأرسل أويس أحد أمرائه فى عقب أخى جوق والأمراء الفارين لكن الأمير تلكأ فى مسيره وتهاون فى الحرب فوقعت عليه الهزيمة وأجبر أويس على العودة الى بغداد فى الشتاء وترك آذربايجان مرغما لأخى جوق .

وفى السنة التالية كما سبق القول هاجم مبارز الدين المظفرى آذربايجان واستولى على تبريز لكنه ما ان سمع بأوبة أويس اليها من بغداد حتى أخلى آذربايجان وعاد الى شيراز وضم أويس تبريز اليه ثانية وصارت من هذه الواقعة آذربايجان وأران وموغان تبعا لآل جلاير وانبسطت حدودهم الى السلطانية وشاطىء بحر الخزر شرقا .

وفى (٧٦٥هـ) أمدأويس كما سبق شاه محمود المظفرى ولما طرد محمود بمدده شاه شجاع عن شيراز زادت أهمية أويس عن ذى قبل وطوى صيته حتى كرمان وسواحل الخليج الفارسى . واستخلص أويس فى (٧٦٦هـ) بعون قرا محمد التركمان بغداد من حاكمها العاصى واستحوذ أيضا على ولايتى موش والموصل من يد (بيرام خواجه) أخى قرا محمد التركمان وفتح امراؤه فى هذا الوقت نفسه شروان أيضا .

وجلب أويس بتزويجه ابنته لمحمود المظفرى الذى كان يحكم أصفهان وينافس شاه شجاع محمودا ذاك تحت نفوذه وفى (٧٧٢هـ) أخذ الرى كذلك من يد (أمير ولى) أحد أمراء طغا تيمور خان أمير جرجان .

وفاة أويس فى (٧٧٦ هـ) :

فى (٧٧٤هـ) قدم أمير ولى الى عراق العجم ثانية لاستخلاصها وأخذ مدينة ساوه وعاد الى جرجان ، فانتقل السلطان أويس لاقتلاع جذور فساده فى ربيع الثانى (٧٧٦هـ)من تبريز الى الربع الرشيدى لكنه أصيب بالمرض أثناء هذا فمات فى غرة جمادى الأولى بعد تسعة عشر عاما من الحكم .

كان شيخ أويس بهادر خان أحد الأمراء المشيدين المحبين للشعر

والشعراء المهتمين بهم وكان هو نفسه كما سبق القول ينظم الشعر ، وفى عهده أقيمت علاقات سياسية وتجارية بين بغداد وتبريز من ناحية ومصر ومدينة البندقية من ناحية أخرى • وقد أنشأ يمدح أويس شعراء من قبل سلمان الساوجى ومحمد العصار وعبيد الزاكانى وشرف الدين الرامى وقد عاشوا فى حكمه ودولته •

السلطان حسين (٧٧٦ — ٧٨٤هـ) :

أوصى أويس فى موته بتولى ابنه الأكبر (شيخ حسن) حكم بغداد وابنه الاصغر (حسين) عهده ، فقال الأمراء ان شيخ حسن هو الأكبر ولن ينقاد للأمر ، فقال أويس (أنتم عارفون) وما ان سمع الأمراء قولته هذه حتى قيدوا شيخ حسن وقتلوه بعيد موت أويس فخلف حسين أباه •

كانت طوائف التركمان المختلفة قد حظيت بالقوة فى عهد السلطان أويس فى جنوب بحيرة وان وحوالى سنجار وموش والموصل وصار أحد رؤسائهم وهو قرا محمد كما رأينا من أتباع أويس • فلما مات أويس وحد قرا محمد وأخوه بيرام خواجه التراكمة المطيعين لهم المسمين بالقرا قويونلو (أو أصحاب الخراف السوداء) تحت قيادتهما فاستولوا على عدد من القلاع الواقعة حول مساكن قبيلتهم ووضعوا من الناحيتين البلاد المجاورة لهم المتعلقة بالايلكانيين أى العراق وآذربايجان تحت تهديدهم •

وفى (٧٧٧هـ) زحف سلطان حسين الى غرب بحيرة وان لاستئصال شأفة التركمان القراقويونلو واستولى على بعض قلاعهم فطلب الأمير قرا محمد الصلح ودخل طاعته عندما قابله وأهداه ألف رأس من الخراف فعاد حسين الى آذربايجان •

وفى نفس العام الأخير تحرك شاه شجاع كما سبق شرحه بايعاز من أهل تبريز الساخطين على السلطان حسين لهوه وعدم اهتمامه الى

آذربايجان فهزم السلطان ودخل تبريز لكنه عجل بعودته عند سماعه عصيان شاه يحيى بفارس فأعاد حسين سيطرته الى تبريز وبعد صلحه مع شاه شجاع زوج ابنته لزين العابدين ولد شجاع •

وفى (٧٧٨هـ) ارتحل حسين الى (جمى أوجان) لقضاء الربيع وعجل اليه عادل آقا حاكم السلطانية ، فثار بعض امراء السلطان على عادل آقا لاحتيازه قوة ونفوذا كبيرين • وقفل عادل آقا راجعا الى السلطانية وأعطى شاه منصور بن شاه مظفر المظفرى الذى لجأ اليه قبل حكم همدان ودفعه لصد الأمراء العاصين على رأس جيشه • ولم يكن هؤلاء الأمراء العصاة على وفاء للسلطان حسين أيضا • فترك السلطان أوجان الى تبريز خوفا منهم منهم فأقبلوا الى معسكر السلطان ونهبوه وتوجهوا منه صوب بغداد وأخبر السلطان عادل آقا بما حدث • وأوقع شاه منصور بالأمراء العصاة فى بلاد الكرد هزيمة وفى أسره ثم أمنهم الا أن السلطان أمر الآقا بقتلهم فقتلهم عادل جميعا وزاد فى عين السلطان احتراما •

وفى نفس العام (٧٧٨هـ) تمرد أيضا بعض الأمراء الجلايريين فى العراق العربى على السلطان واستولوا على بغداد • فزحف السلطان حسين وعادل آقا فى (٧٨٢هـ) بجيش كبير من تبريز الى بغداد وهرب العصاة الى شوشتر وقد عجزوا عن الثبات وبقى السلطان ببغداد وذهب فى عقبهم عادل آقا الى خوزستان وأدبهم ، وعاد الى السلطانية لما كان مغاضبا من السلطان •

قتل السلطان حسين فى (٧٨٤هـ) :

عاد حسين الى تبريز وأرسل بأغلب جيشه الى السلطانية لاستمالة عادل آقا ليعاونوه فى أخذ بعض قلاع الرى من قبضة أمير ولى ، ولم يكن فى هذا الحين من أمراء السلطان وجنوده أحد تقريبا فى تبريز

مما جعل أخا السلطان أحمد يغادر المدينة خفيـة ويتجه الى أردبيـل وموغان وأران ويعد جيشا ليعود به الى تبريز • وباغت أخاه بالهجـوم فاقتاده اسيرا وفى الحادى عشر من صفر (٧٨٤هـ) أهلكه وجلس مكانه باسم السلطان احمـد •

السلطان احمـد (٧٨٤ ــ ٨١٣ هـ):

بعد مقتل السلطان حسين هرب أخ له آخر هو أبو يزيد خوفـا من تبريز الى السلطانية لدى عادل آقا فنصبه فى الملك وقدم به الى تبريـز لمقاتلة السلطان احمد • وبدأ احمد باجتذاب بعض القواد المرافقين لعادل آقا اليه فأوهن هذا من قوته وجعله يعود الى السلطانية • وبين ذلـك حرض عادل الأمراء العصاة بالعراق وبغداد على مخالفة أحمد فهـاجموا آذربايجان ونالوه بالانكسار فهرب احمد الى نحجوان عن طريق خوى ولاقى فيها قرا محمد تركمان واستمده ، فعاد ثانية الى تبريز بهزيمـة قـرا محمد للعصاة •

وبعد فترة قصيرة صالح السلطان احمد عادل آقا الا أن الأخير لم يهتم بالأمر واقترب الى تبريز وأتاه أمـراء بغداد مجتمعين على أحمـد مما أجبره على الفرار الى موغان وأران • وفى النهاية تدخل أمير الأبخاز بين الطرفين للصلح وقرر أن تكون أذربايجان للسلطان احمد على وجـه الاستقلال وعراق العجم للسـلطان أبى يزيـد محمى عادل آقا وعراق العرب لأحمد وعادل مشتركين فى ادارتهـا •

وسخط عادل آقا على السلطان احمد استبداده وسفكه فأتى بجيشه آذربايجان وواجه السلطان على مقربة من مراغة وغلب السلطان وآب عادل الى السلطانية وخلاها خوفا الى همدان ومنها راسل شاه شجاع يحرضه على فتح آذربايجان ، فقدم شجاع الى تبريز فأخفض له أحمد جناح المودة فمنع عادل آقا عن مباشرة الأمور وبعد فترة وجيزة استولى أحمد على السلطانية •

وفى نفس هذه الأيام تناهت أخبار قدوم جنـود الأمير تيمـور الكوركانى من بلاد ما وراء النهر الى خراسان وتقدمه منها الى قومس والرى وبلغ رسله تبريز لملاقاة السلطان احمد • وأرسل احمد رسـل الأمير التيمورى الى بغداد ثم تعقبهم ليلقاهم بها ويفاوضهم • وأفـاد عادل من غياب احمد فاستعاد السلطانية من عمـاله وخالفه وبقيـت السلطانية وقلعتها بيده حتى مجىء تيمور اليها •

وقضى السلطان احمد من عام (٧٨٨هـ) حتى (٨١٣هـ) حين قتل بيد قرايوسف التركمان فى تطواف حائر وقتال اعدائه ويأس وقنوط • وسيطر الأمير تيمور فى (٧٨٨هـ) على آذربايجان واخرجها تماما عـن تملك آل جلاير فانحصر ملك احمد فى عراق العرب وبعد سبعة اعـوام من هذا دخلت بغداد طاعة الأمير الكوركانى ففر احمد الى مصر ولـم يجرؤ على أمر ما بقى تيمور حيا ، وما أن سمع بموته حتى عاد الى بلاده السابقة واستعاد العراق العربى وحكم فى بغداد خمس سنين أخرى • بيـد أن عداوة برزت بينه وبين قرا يوسف التركمانى فجرت الحـرب بينهما فى تبريز وقتل احمد فى (٨١٣هـ) ويعد فى الحقيقة آخر أمـير للأسرة الايلكانية برغم ان بضعة نفـر من الأمراء الايلكانيين بعد قتله تولوا السـلطة •

الأمراء الأيلكانيون أو آل جلاير

١ ـ أمير شيخ حسن برزك أو الكبير بن أمير حسين بن آقبوقا بن ايلكان (٧٤٠ ـ ٧٥٧هـ)
٢ ـ السلطان شيخ أويس بن شيخ حسـن (٧٥٧ ـ ٧٧٦هـ)
٣ ـ السلطان حسين بن شيخ أويس (٧٧٦ ـ ٧٨٤هـ)
٤ ـ السلطان أحمد بن شيخ أويس (٧٨٤ ـ ٨١٣هـ)
٥ ـ شاه ولد بن شيخ على بن شيخ أويس (٨١٣ ـ ٨١٤هـ)
٦ ـ السلطان أويـس بن شـاه ولد (٨١٤ ـ ٨٢٤هـ)
٧ ـ السلطان محمود بن شـاه ولد (٨٢٤ ـ ٨٢٧هـ)
٨ ـ السلطان حسين بن علاء الدولة بن سلطان أحمد (٨٢٧ ـ ٨٣٦هـ)

٧ — السربداريون والطغاتيموريون

بين أسر الأمراء الذين قضوا مدة من الامارة والتسلط بعد انهيار الايلخانات فى بعض ولايات ايران كان السربداريون ومع أنهم غير محل للمقارنة بغيرهم من الأمراء من حيث اتساع الملك والقوة والشوكة ولا من ناحية دوام الحكم وعظمة الآثار ، لكن لأن لهم اعتبارا خاصا فى تاريخ ايران قبل تشكل الأسرة الصفوية يتمثل فى مناهضتهم لأهل السنة وخلافهم لهم واعلانهم المذهب الشيعى وسعيهم لنشر آدابه وأحكامه ، وكانت بداية أمرهم على شكل دعوة مذهبية لها مريدون ومشايخ على نحو عدهم روادا لمريدى الشيخ صفى الدين الأردبيلى وأولاده .

جعل أمراء هذه الأسرة من مدينة سبزوار التى اشتهرت منذ القدم بتشيع أهلها(١) مركزا لهم ووثقوا علاقاتهم مع الدراويش والشيوخ

---

(١) يضرب المثل فى الغلو فى التشيع بأهل سبزوار ، من ذلك حديث الاسفزارى (من مؤرخى القرن التاسع) فى كتابه الفارسى (روضات الجنات فى أوصاف مدينة هراة) عن أهل سبزوار ، يقول (وسبزوار ولاية متميزة بمنافعها ومزارعها المرغوبة ، ولكن اهلها اصحاب غلو تام فى الرفض كما يحكى أن السلطان ملك شاه بن الب ارسلان عاتبهم على رفضهم فأنكروا فقال اذا كان قولكم صدقا وانكم لا تدينون بالرفض فأمثلوا امامى من يسمى بأبى بكر من اهالى ولايتكم حتى اصدقكم . فأخذ هؤلاء فى البحث وجدوا فى الطلب وفى النهاية وجدوا من يسمى بأبى بكر وكان القى به تحت زرع يعتريه المرض والفقر ، قد بلغ الضعف منه مبلغه حتى سقم جسمه ونحل بدنه بسبب مرضه وجفائهم له . فحملوه على محفة واشخصوا به الى السلطان . فلما رآه سألهم : من هذا الذى ليس بميت ولا حى ؟ قالوا : اعذرنا ايها السلطان فلا يوجد فى ولايتنا (ابو بكر) افضل واصح ممن تراه ..) (راجع كتابه المذكور لمزيد من التفاصيل ص ٢٧٧ — ٢٧٩) وفى (رشحات عين الحياة) من تاليف على بن الحسين الواعظ (من أدباء القرنين التاسع والعاشر) تندر على أهل سبزوار فى رفضهم وغلوهم فى التشيع فى صورة حكايات ايضا منها أن سنيا جلس يستريح فى ظل جدار فى سبزوار ، وبعد لحظة رفع رأسه فوجد من يجلس على أعلى الجدار وقد كتب اسمى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما على كف قدمه . فلم يطق السنى واخرج مديته وضرب بها قدمه ، فصرخ الرافضى واجتمع عليه الرافضة . ولما رأى السنى انه هالك بين هذه الجموع ان لم يصطنع الحيلة قال انه لم يطق أن يرى اسماء يمقتها فوق رأسه فغضب وضرب قدمه ليبعدها من فوقه . فجعل الروافض يلثمون يديه لقوة اعتقاده ، وخلص منهم بهذه الحيلة (رشحات عين الحياة مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (١٠٥فا) ورقة ١٨٨) .

الذى شهروا بحب آل على ، وحثوا الشعراء على مدح أهل البيت وكاتبوا بعضا من علماء الشيعة خارج ايران لاسيما فى جبـل عـامل الذى كان مركزا هاما للشيعة فى ذاك الحين واستقدموهم لارشاد الناس واجـراء شعائر دين الشيعة الى خراسان ، وأسـفرت هذه الدعـوة عن تأليـف الفقيه المعروف (الشهيد الأول الشـيخ شـمس الدين محمـد المكى) المقتول فى (٧٨٦هـ) كتابه المشهور (اللمعة الدمشقية) باسم السـلطان على المؤيد السربدارى وأرسله الى خراسان حتى يعمل شيعتها طبـق الفتاوى المندرجة به ، وهذا الكتاب وشرحه كما سيمر من أشـهر الكتب الفقهية للطائفة الامامية أى الشيعة الاثنى عشرية وما يزال شرح اللمعة الدمشقية من الكتب الدراسـية المعتبرة •

كان أحد السادات الأثرياء واسمه (خواجه فضل الله) ينتسـب الى الامام الحسين من ناحية أبيه والى يحيى بن خالد البرمكى من ناحية أمه مستقرا بقرية باشتين احدى قرى سبزوار حينما كانت سوق أصحاب الشيخ حسن الجورى الداعين الناس الى الثورة على أهل السنة وقصر أيدى الظلمة فى رواجها وكان أحد أبنـائه وهو أمـين الدين عبد الرازق يعيش فى بلاط أبى سعيد خان • وقبل موت أبى سعيد كلف عبد الرازق بمأمورية ديوانية فأرسله الى كرمان ليأتى بأموالها الى الديوان • فجمع عبد الرازق أموال كرمان وكان رجـلا لاهيـا مـسرفا فأنفق كل هـذه الأموال ظلما وعدوانا وكان يفكر فى جواب يتعلل به للديوان حينما وافاه خبر موت أبى سعيد فنفخت فيه هذه البشرى روحا جديدة وأتى سبزوار فرأى أن اخوته قتلوا مبعوث وزير خراسان (خواجه علاء الدين محمد) وكان سبب قتل هذا المبعوث أنه طلب منهم خمرا وحسناء فلم يتحمـلوا جراءته وقتلوه فاستصوب عبد الرازق ما فعله اخوته وضـموا اليهـم جماعة من شجعان بيهق وتآزرت هذه الجماعة قائلة (اذا وفقنا فلسـوف نقضى على ظلم الظالمين والا نرى رؤوسنا على المشانق فلن نتحمـل ظلما

ولا جورا بعد اليوم) ولهذا عرفوا باسم السربداريين(١) .

واختارت جماعة السربداريين أمين الدين عبد الرازق فى الثانى عشر لشهر شعبان (٧٣٧هـ) رئيسا لها وبدأوا حينما لم يكن عددهم كبيرا وقوتهم شديدة عصيانهم بشكل الانقضاض على قوافل وأموال من عرفوا بالظلم والجور وجمعوا بهذه الوسيلة الأموال والأسباب التى تؤدى الى عصيان أكبر ، وزدت شوكتهم وقدرتهم تدريجا الى أن تغلب عبد الرازق على الوزير علاء الدين محمد وزير خراسان وقتله ، وفى (٧٣٨هـ) استولى على مدينة سبزوار ورفع راية الاستقلال .

وبعد هذا الانتصار الذى كان نصيب عبد الرازق تملكه الغرور والجبر وأراد أن يتزوج بابنة أحد أعيان خراسان بالقوة فلم تقبله البنت وهربت من سبزوار الى نيشابور فبعث الأمير عبد الرازق أخاه الأمير وجيه الدين مسعود ليأتى بها ، فصادفها فى نيشابور وأراد ارجاعها الى سبزوار بالعنف فالتمست منه الفتاة أن يتركها واستحلفته بحب أمير المؤمنين على ألا يمضى عزمه فأطلق مسعود سراحها وعاد الى نيشابور ، فخاطبه الأمير عبد الرازق بغضب وسبه وقبحه فلم يتحمل وجيه الدين اهاناته ووثب على أخيه بخنجره فأرداه قتيلا فى الثانى عشر من ذى الحجة (٧٣٨هـ) وانتقلت اليه رئاسة السربداريين ودامت حكومة عبد الرازق عامين وشهرا واحدا .

وجيه الدين مسعود (٧٣٨ — ٧٤٤هـ) :

امتاز الأمير وجيه الدين مسعود الباشتينى عن أخيه بحسن خلقه ومزيد شجاعته وكرمه وفتوته ولهذا علا أمره كثيرا ولما كان يود أن يقيم أساس دولته على التى هى أقوم اتصل بالشيخ حسن الجورى واستدعاه الى سبزوار وجعله امامه ومقتداه فى مناهضة الظلمة وتعهد برئاسة

(١) سربدار حرفيا من راسه على المشنقة .

طائفة الجورية الدنيوية وجمع جمعا آخر من الأئمة والمشايخ والسادات في سبزوار حوله فاتحد الأمير والشيخ واستوليا على نيشابور في (٧٣٩هـ) وأفزعوا من الفاحيتين طغاتيمور خان ملك خراسان وجرجان والملك معز الدين كرت صاحب هراة والجبال خاصة وأن ثورتهم كانت ضد أهل السنة وكان هذان الملكان يعتبران نفسيهما حاميين للسنة وكانت قوة أى طائفة شيعية لاضرار رعاياهما وضدهما على طول الخط •

قنع طغاتيمور خان كما سبق شرحه في بداية حاله بجرجان وخراسان بعد الهزائم التى لقيها وأخوه الأمير على كاون بالعراق وكان يدير خراسان عن طريق عماله ادارة سيئة حتى حين قيام السربداريين •

وبعد أن سارت الركبان بذكر قوة السربداريين في خراسان جمع طغاتيمور جيشا سيره بقيادة أخيه أمير على من جرجان الى سبزوار ، فخف الأمير مسعود والشيخ حسن الجورى في (٧٤١هـ) للقاء هذا الجيش ، وأصاب السربداريون الأمير عليا أخا طغاتيمور بالقتل في المعركة وبعد حرب شديدة تغلبوا على جنوده وهزموهم وعادوا بغنائم كثيرة الى سبزوار وقد زادهم هذا النصر شهرة في خراسان عن ذى قبل وزاد عدد التابعين لهم •

وزحف الأمير وجيه الدين مسعود والشيخ حسن الجورى بعد قتل الأمير على كاون وغلبة جيش جرجان نحو طغاتيمور فغلباه أيضا على شاطىء نهر أترك وفر طغاتيمور تجاه لار ورودبار قصران وخرجت خراسان وجرجان عن سيطرته تماما •

حرب الأمير مسعود للملك حسين كرت في (٧٤٣هـ) :

وبعد الاستيلاء على خراسان وجرجان توجه الأمير مسعود والشيخ حسن الجورى للسيطرة على هراة واستخلاص بلاد غرجستان والجبل وكانت بيد الملك معز الدين حسين كرت وكان أغلب أهدافهم من

هذا الغزو القضاء على الملك حسين الذى يجد فى ترويج المذهب السنى وتقويته جدا بليغا ، وجرت الحرب بين الطرفين على بعد فرسخين من (زاوه) من بلاد خواف فى الثالث عشر من صفر (٧٤٣هـ) وهزم السربداريون وعاد الملك معز الدين بعد قتال قصير فى خراسان الى هراة .

وكان انهزام جيش السربداريين فى واقعة زاوه مقدمة انهيار دولتهم فى خراسان لأن أمل الناس كان فى زيادة شوكة هذه الأسرة واعتبارهم ليكونوا سدا أمام هجوم أتراك ما وراء النهر وجنود تيمور الذين كانوا فى بداية ظهورهم الا أن هزيمة زاوه بدلت هذا الأمل الى يأس .

وهاجم الأمير مسعود فى أواخر (٧٤٣هـ) مازندران ليستولى عليها وبدأ بآمل لكن جيشه أصيب بضربات شديدة فى النهاية بسبب وعورة الطرق وهجمات الرعية والأمراء بمازندران وسلك الأمير السربدارى بعد مدة من الاقامة فى الطريق سبيل الفرار لكنه سقط فى يد أهل مازندران فأردوه فى آخر ربيع الأول (٧٤٠هـ) قتيلا .

وبعد مقتل وجيه الدين مسعود أشهر أمراء السربداريين تحولت قيادة هذه الجماعة الى نوابه وغلمانه فتداولوها واحدا بعد آخر بضعة أعوام ، وليس لهم اسم أو صفة يذكران حاشا آخرهم (خواجه على مؤيد) الذى شهر لمناسبات مختلفة .

خواجه على المؤيد (٧٦٦ – ٧٨٨هـ) :

كان الخواجه على المؤيد السبزوارى من أمراء وجيه الدين مسعود تحصل بين الناس على نفوذ وشهرة بسبب نسبه البارز وتدينه وقد بلغ شهرة فائقة وهو آخر السربداريين وحكم مدة أطول ممن سبقه بسبب تعلقه الكامل بالتشيع وسعيه فى نشر مناقب الأئمة واقامة مراسم هذا

المذهب واحترام السادات .

ولما غير خواجه على فى بداية حكمه اعتقاده فى اتباع الشيخ حسن الجورى الذى سبق أن قتل فى حرب زاوه ، قدم أحدهم فى (٧٧٨هـ) الى فارس واستمد شاه شجاع فأمده وعاد الى خراسان واستولى لنفسه فى (٧٧٩هـ) على سبزوار وأجرى الخطبة والعملة باسمه فقدم خواجه على الى مازندران واستعاد سبزوار بعون الأمير ولى الذى كان قد استولى على مازندران اذ ذاك وتسيطر مرة أخرى على هذه الناحية.

وضم خواجه على بلاده ولايات قاين وطبس وترشيز وقهستان أيضا واتسعت حدوده من الدامغان حتى سرخس ، وجرى صراع بينه وبين الأمير ولى مرارا وحصر الأخير سبزوار فى النهاية فاستصرخ خواجه على الأمير تيمور كوركان ، فأتى خراسان بعد أربعة شهور من هذا الوقت أى فى (٧٨٢هـ) فخف على لاستقباله وظل بركبه حتى سرخس ، ثم أصبح من هذا الأوان ملازما للأمير تيمور فى كل هجماته وكان الأمير يحبه كذلك ويحترمه ، ومكث على نحو سبعة أعوام مع أقربائه فى صحبة الأمير الكوركانى الى أن وافاه أجله فى (٧٨٨هـ) فى خرم آباد من لرستان أثناء حرب بعد أن أصيب بسهم فيها وانتهت بقتله الأسرة السربدارية .

كان على المؤيد ينصب فى ترويج العلم والأدب ويجهد كما قلنا سابقا فى احكام أصول المذهب الشيعى جهدا بليغا وكان على تراسل مع الشيخ الشهيد المكى يدعوه الى المجىء الى خراسان وألف الشيخ كتابه اللمعة الدمشقية باسمه وأرسل به اليه بخراسان .

هذا الغزو القضاء على الملك حسين الذى يجد فى ترويج المذهب السنى وتقويته جدا بليغا ، وجرت الحرب بين الطرفين على بعد فرسخين من (زاوه) من بلاد خواف فى الثالث عشر من صفر (٧٤٣هـ) وهزم السربداريون وعاد الملك معز الدين بعد قتال قصير فى خراسان الى هراة ٠

وكان انهزام جيش السربداريين فى واقعة زاوه مقدمة انهيار دولتهم فى خراسان لأن أمل الناس كان فى زيادة شوكة هذه الأسرة واعتبارهم ليكونوا سدا أمام هجوم أتراك ما وراء النهر وجنود تيمور الذين كانوا فى بداية ظهورهم الا أن هزيمة زاوه بدلت هذا الأمل الى يأس ٠

وهاجم الأمير مسعود فى أواخر (٧٤٣هـ) مازندران ليستولى عليها وبدأ بآمل لكن جيشه أصيب بضربات شديدة فى النهاية بسبب وعورة الطرق وهجمات الرعية والأمراء بمازندران وسلك الأمير السربدارى بعد مدة من الاقامة فى الطريق سبيل الفرار لكنه سقط فى يد أهل مازندران فأردوه فى آخر ربيع الأول (٧٤٠هـ) قتيلا ٠

وبعد مقتل وجيه الدين مسعود أشهر أمراء السربداريين تحولت قيادة هذه الجماعة الى نوابه وغلمانه فتداولوها واحدا بعد آخر بضعة أعوام ، وليس لهم اسم أو صفة يذكران حاشا آخرهم (خواجه على مؤيد) الذى شهر لمناسبات مختلفة ٠

خواجه على المؤيد (٧٦٦ ـ ٧٨٨هـ) :

كان الخواجه على المؤيد السبزوارى من أمراء وجيه الدين مسعود تحصل بين الناس على نفوذ وشهرة بسبب نسبه البارز وتدينه وقد بلغ شهرة فائقة وهو آخر السربداريين وحكم مدة أطول ممن سبقه بسبب تعلقه الكامل بالتشيع وسعيه فى نشر مناقب الأئمة واقامة مراسم هذا

المذهب واحترام السادات .

ولما غير خواجه على فى بداية حكمه اعتقاده فى اتباع الشيخ حسن الجورى الذى سبق أن قتل فى حرب زاوه ، قدم أحدهم فى (٧٧٨هـ) الى فارس واستمد شاه شجاع فأمده وعاد الى خراسان واستولى لنفسه فى (٧٧٩هـ) على سبزوار وأجرى الخطبة والعملة باسمه فقدم خواجه على الى مازندران واستعاد سبزوار بعون الأمير ولى الذى كان قد استولى على مازندران اذ ذاك وتسيطر مرة أخرى على هذه الناحية.

وضم خواجه على بلاده ولايات قاين وطبس وترشيز وقهستان أيضا واتسعت حدوده من الدامغان حتى سرخس ، وجرى صراع بينه وبين الأمير ولى مرارا وحصر الأخير سبزوار فى النهاية فاستصرخ خواجه على الأمير تيمور كوركان ، فأتى خراسان بعد أربعة شهور من هذا الوقت أى فى (٧٨٢هـ) فخف على لاستقباله وظل بركبه حتى سرخس ، ثم أصبح من هذا الأوان ملازما للأمير تيمور فى كل هجماته وكان الأمير يحبه كذلك ويحترمه ، ومكث على نحو سبعة أعوام مع أقربائه فى صحبة الأمير الكوركانى الى أن وافاه أجله فى (٧٨٨هـ) فى خرم آباد من لرستان أثناء حرب بعد أن أصيب بسهم فيها وانتهت بقتله الأسرة السربدارية .

كان على المؤيد ينصب فى ترويج العلم والأدب ويجهد كما قلنا سابقا فى احكام أصول المذهب الشيعى جهدا بليغا وكان على تراسل مع الشيخ الشهيد المكى يدعوه الى المجىء الى خراسان وألف الشيخ كتابه اللمعة الدمشقية باسمه وأرسل به اليه بخراسان .

أسماء الأمراء السربداريين وأيام كل منهم

١ ــ الخواجه عبد الرازق الباشتينى	(٧٣٦ ــ ٧٣٨هـ)
٢ ــ الخواجه وجيه الدين مسعود أخوه	(٧٣٨ ــ ٧٤٥هـ)
٣ ــ الآغــا محمد آيتمــور	(٧٤٥ ــ ٧٤٧هـ)
٤ ــ الخواجه شمس الدين أخو عبد الرازق	(٧٤٧ ــ ٧٤٩هـ)
٥ ــ الخواجه شمس الدين على الجشمى	(٧٤٩ ــ ٧٥٣هـ)
٦ ــ الخواجه يحيى الكــرابى	(٧٥٣ ــ ٧٥٩هـ)
٧ ــ الخواجه ظهير الكرابى أخو الخواجه يحيى	(٧٥٩ ــ ٧٦٠هـ)
٨ ــ بهــلوان حيــدر القصــاب	(٧٦٠ ــ ٧٦١هـ)
٩ ــ ميرزا لطف الله بن الخواجه مسعود	(٧٦١ ــ ٧٦٢هـ)
١٠ ــ بهــلوان حســن الدامغــانى	(٧٦٢ ــ ٧٦٦هـ)
١١ ــ الخواجه نجم الدين على المؤيد	(٧٦٦ ــ ٧٨٨هـ)

أما طائفة طغاتيمور أو طغاتيمورخان حفيد أخى جنــكيز وأبنــائه فبعد أن قتل طغاتيمور خان بيد الخواجه يحيى السربــدارى فى (٧٥٤هـ) حكموا من (٨١٢هـ) فى جرجان وما حولها لأن الأمير ولى الذى طرد بعد طغاتيمور السربداريين من جرجان أجلس لقمان ولد طغاتيمور حاكمــا على جرجان الا أنه بعد قليل عزله من منصبه لما رأى عدم كفاءته ، وفى (٧٨٦هـ) استولى الأمير تيمور على جرجــان من الأمــير ولى الذى ولى وجهه فارا الى تبريز وخلخال وقتل هناك بأمر تيمور وأعطى تيمور لقمان حكم جرجان وظل به حتى (٧٩٠هـ) وبعد موته حكم ابنه وحفيده أيضــا حتى (٨١٢هـ) تحت حماية التيموريين جرجان واستراباد مدة قليلة .

أسماء الأمراء الطغاتيموريين وأيام كل منهم

١ ــ طغاتيمور خان بن ... جوجى قسار أخى جنكيز (٧٣٧ ــ ٧٥٤هـ)

٢ ــ لقمان بادشاه بن طغاتيمور (٧٦١ ــ ٧٩٠هـ)

٣ ــ بيرك بادشاه بن لقمان بادشاه (٧٩٠ ــ ٨١٠هـ)

٤ ــ السلطان على بن بيرك بادشاه (٨١٠ ــ ٨١٣هـ)

الفصل الثامن

الحضارة والعلوم والصناعات فى عصر استيلاء المغول

عهد المائتى عام الذى شرحنا أحداثه مع أنه أسوأ العهود التاريخية للبلاد الاسلامية الا انه يعد تكملة للقـرون اللالاءة للنهضـة العلمـية والأدبية للعصر العباسى ولم تظهر حتى ذاك العهـد آثـار الاسـتيلاء المغولى السيئة كما يتوجب مما جعله من أقوى العهود فى تاريخ العـلم والحكمة والأدب الايرانى ويمتاز من وجوه كثيرة خاصة من حيث تعـدد ممثليه ذوى الدرجة الأولى الذين عايشـوا هذا العهـد عن غـيره من العهود من مثل المولوى الرومى والسعدى والحافظ وعطا ملك الجوينى ورشيد الدين فضل الله الوزير وحمد الله المستوفى والعلامة قطب الدين الشيرازى ونصر الدين الطوسى ، ويمكن القول ان بعد انقضـاء عـصر هؤلاء العظماء الذى امتدت أعقابه حتى أواخر العهد التيمورى بدأ عهد انحطاط العلوم والأدب فى ايران وبلغ فى أيـام السـلاطين الصـفويين والأفشاريين منتهى الضعف والتفاهة وفى هذه العهود الأخـيرة فقـط ظهرت آثار استيلاء المغول والتيموريين المخربة •

كبـار هـذا العهـد

كبار هذا العهد عهد الاستيلاء المغولى من الكتاب والشـعراء حتى العلماء وأهل الحكمة والعرفان كثرة كثيرة الى حد أن حـصر أسـمائهم جميعا وتفصيل أحوال سائرهم لا يتيسر لنا فى هذا الكتـاب المختـصر ولهذا نقنع بأسماء مشاهيرهم فى طى بضعة عناوين : —

١ ـ المؤرخون والكتاب

مؤرخو عهد المغول وهم الذين تقتصر مصادر معلوماتنا المتعلقة بهذا العهد على مؤلفاتهم القيمة كثيرون وتصانيفهم بعضها بالفارسية وبعضها بالعربية وأشهر المؤرخين الفارسيي اللغة هم :

منهاج السراج الجوزجانى مؤلف كتاب طبقات الناصرى الذى صنفه هذا المؤلف بين سنتى (٦٥٧هـ) و (٦٥٨هـ) فى السند باسم أحد حكامه المحليين فى التاريخ العام ، ولما كان المؤلف معاصرا لهجوم المغول فى ايران الشرقية وفر من أمامهم الى الهند فقد أوسع القسم الأخير من كتابه المتعلق بهذا العهد كثيرا من المعلومات القيمة(١) •

علاء الدين عطا ملك الجوينى (٦٢٣ ـ ٦٨١هـ) أخو شمس الدين محمد صاحب الديوان مؤلف كتاب تاريخ جهانكشاى الذى أتمه فى (٦٥٥هـ) والذى يعد أحد الأعمال السامقة فى الفارسية فى تاريخ الجنكيزيين حتى عهد المؤلف فضلا عن تاريخ الخوارزمشاهيين والاسماعيلية مع كثير من الفوائد الأخرى •

شهاب الدين عبد الله الوصاف الشيرازى والذى صنف كتابه التاريخى تذييلا لتاريخ جهانكشاى الجوينى حتى عام (٧٢٨هـ) وان كان تعبيره متكلفا ومصنوعا الا ان موضوعاته فى غاية الأهمية

---

(١) هو منهاج الدين عثمان بن محمد سراج الدين الجوزجانى المتوفى (٦٩٨هـ) من علماء خراسان هاجر الى الهند اثناء الهجوم المغولى واقام فى بلاط ناصر الدين قباجه الذى نصبه فى رئاسة المدرسة الفيروزية . ولما اغرق قباجه نفسه فى السند وسقطت بلاده فى يد التتمش أتى المنهاج الأخير غرقى فى بلاطه وألف كتابه طبقات الناصرى باسم ناصر الدين محمود شاه ولد التتمش •

أما كتابه فهو تاريخ العالم آنذاك خاصة تاريخ الغزنويين والغوريين وخلفائهم فى غزنة والهند فضلا عن احتوائه فى الفصل الأخير منه وقائع شاهدها المؤلف تخص المغول وخاناتهم حتى عهد هولاكو .

والاعتبـــار (١) •

الخواجه رشيد الدين فضل الله (٦٤٥ — ٧١٨هـ) وزير غـــازان المشهور وأولجايتو وأبى سعيد مؤلف الكتاب العـــديم النظـــير جـــامع التواريخ فى التاريخ العام وتاريخ المغول والذى أنهاه المؤلف فى (٧١٠هـ) ويعد خاصة جزؤه الدائر على تاريخ المغول والمسمى (تاريخ غازانى) أكثر المصادر اعتبارا وعظما فى أسانيده المتصلة بهذه الفترة •

حمد الله المستوفى القزوينى مؤلف كتابين أولهما تاريخ كزيده وهو خلاصة جامع التواريخ لرشيد الدين وثانيهما نزهة القلوب فى الجغرافيا والأول ألفه المستوفى سنة (٧٣٠هـ) والثانى عام (٧٤٠هـ) •

محمد بن على الشبانكارى مؤلف مجمع الأنساب باسم غياث الدين محمـــد (٢) •

الفخر البناكتى صاحب تاريخ روضة أولى الألباب الذى ألفـــه فى (٧١٧هـ) •

---

(١) وشهرته وصاف الحضرة توفى (٧٣٠هـ) ولد بشيراز حيث حصـــل العلم والأدب ثم لقى القربى عند غازان خان وأولجاتيو بوساطة الوزير رشيد الدين فضل الله . وقد قدم كتابه تاريخ وصاف أو تجزية الأمصار وتزجيـــة الأعصار عام (٧١٢هـ) الى أولجاتيو عن طريق وزيره أيضا وهو تذييل لتاريخ عطا ملك الجوينى يقع فى خمسة أجزاء ويشمل تاريخ ايلخانات ايران ويبدأ من حيث انتهى جهانكشا أى من عام (٦٥٦هـ) وينتهى الى أواسط عهـــد أبى سعيد بهادر وان عيب على الكتاب تكلفه لكنه ينفرد باثبات مراسلات الملوك أثناء قصة الوقائع فضلا عن ذكره الشعراء وحديثه عن شعرهم ، وأبحـــاث الفلســـفية والدينيـــة .

(٢) الف محمد بن على بن محمد الشـــبانكاره كتابه التاريخى مجمـــع الانساب مرتين احداهما عام (٧٣٣هـ) والثانية (٧٤٣هـ) لأن الكتاب فقد وقت الاغارة على منزل الوزير غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضـــل الله ، فلجأ المؤلف الى اعادة تصنيفه من حافظته . والكتاب تاريخ عـــام من بدء الخليقة حتى وقت تأليفه ، وقسم المؤلف الملوك الى بضـــع طبقـــات والطبقات الى بضع مجموعات والمجموعات الى بضع طوائف وزاوج بـــين التفصيل والايجاز فى قص الوقائع وبين السهولة والصنعة فى أسلوبه .

شرف الدين فضل الله الحسينى القزوينى مؤلف التاريخ المعجـم باسم الأتابك نصرة الدين أحمد اللورى •

هندوشاه النخجوانى صاحب كتاب تجـارب السـلف فى تـاريخ الخلفاء والوزراء الذى صنفه فى (٧٢٤هـ) باسم الأتابك نصرة الدين أحمد أيضا وهو أحد الكتب الكثيرة العذوبة والفصاحة الفارسية •

معين الدين اليزدى (توفى عام ٧٨٩هـ) مؤلف تـاريخ آل المظفـر باسـم (مواهـب الهيـة)(١) •

ابن البيبى صاحب كتاب سلجوقنامه أو تاريخ سلاجقة الروم(٣) •

ضياء البرنى وله كتابان الأول (أخبار برمكيان) والثانى (تـاريخ فيروزشاهى) أو تاريخ الأسرة التغلقية من سلاطين دهلى •

ابن البزاز مصنف كتاب (صفوة الصفا) فى مناقب الشيخ صـفى الدين الأردبيـلى (٢) •

---

(١) معين الدين اليزدى المتوفى (٧٨٩هـ) الف كتابه مواهـب الهـى او مواهب الهية عام (٧٥٧هـ) والذى يبدأ من بداية حكم الأسرة المظفرية حتى قتال الشاه شجاع والشاه محمود وانهاه المؤلف عام عام (٧٦٧هـ) بناء على تشجيع الشاه الشجاع وأبيه مبارز الدين . وهذا الكتاب يماثـل تاريخ وصاف فى انشائه المتكلف المصنوع والاستعارات الغريبة لكنه مفيـد من الناحية التاريخية .

(٣) ابن بيبى هو نصير الدين يحيى عمل فى دواوين سلاجقة الروم من عهد مسعود الذى حكم من عام (٦٨١هـ / ١٢٨٢م) فصاعدا ، وشـغل رئاسة ديوان الطغراء ، وقد بلغ شأوا كبيرا أبوه نجم الدين فى حكم كيقبـادا (٦١٦–٦٣٤هـ) حيث كان سفيره الى حكام بغداد ودمشق والحشاشين بالموت والمغول ، ومات ابن بيبى عام (٦٨٤هـ) ودفن بقونية .

وكتابه يعد من احدى الوثائق الهامة فى تاريخ آل سجلوق وهو تلخيص لكتابه التركى المفصل فى تاريخهم أيضا ، وقد قام بايجازه بناء عن شـكوى احد اصدقائه ضخامة الاصل التركى .

(٢) ابن البزاز هو توكل بن اسماعيل احد الصوفية الف كتـابه هذا بتشجيع من شيخ صدر الدين ولد صفى الدين الاردبيلى بعـد ان خلفـه فى منصب الارشاد . ويحوى الكتاب مقدمة واثنى عشر بابا يشمل كل منهـا بضعة فصول فى ذكر نسب واصل وكرامات الشيخ واحواله وتاويلاته للقران وجذباته وسماعه وكراماته بعد موته . وهذا الكتاب اقدم المصادر التى أفاد منها مؤرخو العهد الصفوى .

أحمد بن زركوب من معاصرى شاه شيخ أبى اسحاق مصنف كتاب (شيراز نامه)(١) وغيرهم كثيرون .

ومن الكتاب المشاهير لهذا العهد يتعين ذكر بضعة نفر منهم أبو نصر الفراهى مؤلف المعجم البالغ الشهرة (نصاب الصبيان)(٢) الذى كان يعيش فى تاريخ الشعراء الفرس وجوامع الحكايات فى القصص الخلقى والتاريخ والروايات(٣) ، ثم شمس قيس الرازى مؤلف كتاب المعجم فى معايير أشعار العجم فى العروض والقافية والبديع الذى أنشأه المؤلف فى حدود (٦٣٠هـ) باسم الأتابك أبى بكر سعد بن زنكى(٤) ، ثم

---

(١) أبو العباس بن ابى الخير زركوب الشيرازى الف كتابه شيرازنامه فى تاريخ وجغرافية شيراز نحو عام (٧٣٤هـ) باسم الوزير حاج قوام الدولة . ويشمل الكتاب مقدمة وبضعة فصول فى جغرافية شيراز وتاريخ ملوك وأمراء فارس ومشايخ المدينة وفضلائها . ونثره خال من التصنيع حين يقص التاريخ والوقائع التاريخية لكنه حين يمدح أو يصف يزدان بالبيان والبديع .

(٢) أبو نصر محمد بن أبى بكر الفراهى نسبة الى قرية فراهة من سيستان المتوفى (٦٤٠هـ) أو (٦٤٦هـ) الف كتابه نصاب الصبيان الفارسى فى الشعر العربى شاملا مائتى بيت ، ولأن عدد المائتين درهما هو حد نصاب زكاة الفضة سمى المؤلف كتابه بالنصاب .

(٣) العوفى (متوفى ٦٣٥هـ) هو سديد الدين أو نور الدين محمد وينتسب الى عبد الرحمن بن عوف الصحابى المشهور ولد فى النصف الثانى من القرن السادس فى بخارى حيث تعلم ثم هاجر الى ما وراء النهر وخراسان وسيستان ولاقى علماءها ثم الى السند وقت الهجوم المغولى واتصل بقباجة وظل فى خدمته حتى (٦٢٥هـ) حين لحق بخدمة التتمش . وكان العوفى أديبا ناثرا وشاعرا بقى عنه القصائد والقطعات ، وكتابه لباب الألباب فى سير الشعراء الفرس من البداية حتى عهد تأليفه . وجزؤه الأول فى شعر الملوك والأمراء والوزراء العلماء والثانى للشعراء غيرهم البالغين مائة وتسعة وستين

(٤) توفى شمس الرازى أواسط القرن السابع وولد بالرى وأقام بما وراء النهر وبلاد العراق الى ان صار من ندماء سعد بن زنكى وأبى بكر ابنه ، ومن آثاره (كتاب الكافى فى العروضين والقوافى) لعله أصل كتابيه المعجم فى معايير اشعار العجم والمعرب فى معايير اشعار العرب . والمعجم من أجمع الكتب الفارسية فى العروض والقافية ونقد الشعر قيم من ناحية الشواهد الشعرية وذكره كثرة من الشعراء قبل المغول .

شمس الفخرى صاحب كتاب (معيار جمالى ومفتاح أبو اسحاقى) الذى حرره فى (٧٤٤هـ) فى العروض والقافية والبديع واللغة باسم شاه شيخ أبى اسحاق ، ثم محمد بن محمود الآملى من مدرسى المدرسة السلطانية فى عهد أولجايتو ومؤلف كتاب نفايس الفنون الذى يشبه دائرة المعارف فى العلوم المتداولة باسم شيخ أبى اسحاق(١) فى (٧٤٢هـ) وجماعة أخرى .

٢ ــ العلماء والعارفون والحكماء

أبو يعقوب السكاكى (٥٥٥ ــ ٦٢٦هـ) من علماء الأدب ومؤلف الكتاب المشهور (مفتاح العلوم) فى الصرف والنحو والمعانى البيان والشعر وغير ذلك ــ شهاب الدين السهروردى (٥٣٩ ــ ٦٣٢هـ) من كبار العارفين مؤلف عوارف المعارف فى التصوف(٢) ــ نجم الدين الداية الرازى (توفى فى ٦٤٥هـ) صاحب كتاب مرصاد العباد(٣) ــ أثير الدين الأبهرى (توفى ٦٦٠هـ) من الحكماء مؤلف كتاب (هداية الحكمة)

(١) الآملى هو شمس الدين محمد بن محمود المتوفى (٧٥٣هـ) كان شيعى المذهب فيلسوفا وعالما . وكتابه (نفائس الفنون فى عرائس العيون) فى بيان شرف العلوم وتقسيمها الى علوم الأوائل والأواخر ويشمل العلوم الأدبية فى خمسة عشر فنا كعلم اللغة والبيان والمعانى والصرف والنحو والعروض والقوافى وغيرها . وتشمل العلوم الشرعية فيه تسعة فنون كعلم الكلام والتفسير والحديث والحكم والأخلاق واصول الفقه .

(٢) السهرودى هو شهاب الدين ابو حفص عمر (٥٣٩.٦٣٢هـ) له تاليف متعددة فى التصوف والفتوة مثل عوارف المعارف ورسالة الفتوة وكتاب فى الفتوة . وكتاباه الأخيران بالفارسية . وكان السهر وردى من مقربى الخليفة الناصر لدين الله العباسى (٥٧٥ ــ ٦٢٢هـ) .

(٣) نجم الدين ابو بكر عبد الله بن محمد الرازى المتوفى (٦٤٥هـ) من الصوفية المعروفين ، فر أمام المغول من الرى الى العراق ثم الى الأناضول ولاقى السهروردى السابق فى ملاطية ثم لحق بخدمة علاء الدين كيقباد والف كتابه مرصاد العباد فى سيواس بالفارسية عام (٦٢٥هـ) لهذا السلطان فى التصوف والاخلاق وآداب المعاش والمعاد ويختلف نثره بين السهولة والموازنة والسجع ويزدان بالشعر الفارسى والعربى له ولآخرين غيره .

وأعظمهم جميعا الخواجه نصير الدين محمد بن محمد الطوسى (٥٩٧ — ٦٧٢هـ) أحد النجوم اللامعة فى تاريخ ايران ومن العلماء الجامعين ذوى الفنون وهو كما نعرف بدأ حياته فى خدمة الاسماعيلية ثم دخل بلاط هولاكو وأشهر مؤلفاته الفارسية (أخلاق ناصرى) الذى حرره باسم ناصر الدين عبد الرحيم بن أبى منصور محتشم قهستان ، ثم (أساس الاقتباس) فى المنطق و (أوصاف الأشراف) فى التصوف و (معيار الأشعار) فى العروض والقافية • أما أشهر كتب نصير الدين فهى بالعربية ومنها (تحرير أوقليدس) فى الهندسة و (تحرير المجسطى) فى الهيئة و (شرح الاشارات) فى الحكمة و (تجريد الكلام) فى اثبات عقائد الشيعة الامامية أشهر من أى شىء • وقام نصير الدين كما سبق بأمر هولاكو وأباقا فى مراغة فترات بوضع زيج ورصد الكواكب يعاونه جماعة من الفضلاء وكتابه (زيج ايلخانى) نتيجة هذه الأعمال والأرصاد وخلاصتها •

ومن علماء عصر المغول الكاتبى القزوينى أو نجم الدين دبيران (توفى ٦٧٥هـ) من معاونى نصير الدين فى زيج مراغة ومؤلف الكتاب المشهور (شمسيه) فى المنطق باسم شمس الدين الجوينى ، وزكريا القزوينى (٦٠٠ — ٦٨٢هـ) مؤلف كتابى (عجايب المخلوقات) و (آثار البلاد) (٤) ، وجمال القرشى الذى ترجم صحاح اللغة للجوهرى الفارابى من العربية الى الفارسية وأنشأ منه كتابه (صراح)(٥) ثم

---

(٤) عماد الدين زكريا بن محمد القزوينى المتوفى (٦٨٢هـ) من علماء ايران قد أحاط بعلم الجغرافية احاطة كاملة له عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات بالعربية فى العلوم الطبيعية وترجمته الفارسية موجودة ثم آثار البلاد بالعربية أيضا ساق فيه سير بعض شعراء ايران المعروفين وهو أقدم المصادر عن الشعراء والبلاد التى ولدوا أو توطنوا فيها .

(٥) الجوهرى المتوفى (٣٩٨) هو اسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى من علماء اللغة العربية صرف وقتا بين القبائل العربية يجمع الفاظا وبعد ذلك اتى نيشابور وعمل بالتدريس بها و (الصحاح فى اللغة) يعد من كتب اللغة الهامة .

القاضي ناصر الدين البيضاوي (توفى ٦٨٦هـ) من معاصرى أرغون خان صاحب تفسير (أنوار التنزيل) أو التفسير البيضاوى بالعربية ثم نظام التواريخ بالفارسية(١) ، ثم العلامة قطب الدين محمود الشيرازى (٦٣٤ — ٧١٠هـ) من كبار العلماء الجامعين لعهد المغول مؤلف (شرح كليات قانون ابن سينا) فى الطب و (درة التاج) بالفارسية فى العلوم المختلفة و (شرح حكمة الاشراق) وغيرها (٢) — العلامة الحلى (٦٤٨ — ٧٢٦هـ) من كبار علماء الشيعة ومن المروجين لهذا المذهب وصاحب كتب عديدة فى الفقه والأصول والكلام — القاضى عضد الدين الايجى (٧٠١ — ٧٥٦هـ) من معاصرى شيخ شاه أبى اسحاق صاحب كتاب (مواقف) فى علم الكلام — العلامة قطب الدين الرازى(٣)

---

(١) البيضاوى المتوفى (٦٨٥هـ) هو أبو الخير ناصر الدين عبد الله أبو سعيد من اهل بيضاء فارس عمل بالقضاء فى شيراز وكان هذا المنصب لأبيه فى عهد الاتابك أبى بكر بن سعد الزنكى ، والبيضاوى يشتهر لفقهه وتفسيره المعروف بأسرار التنزيل بالعربية وطوالع الأنوار فى التوحيد ومنهاج الوصول فى علم الاصول بالعربية كذلك .

(٢) قطب الدين محمود بن ضياء الدين مسعود الشيرازى المعروف بالعلامة الشيرازى (المتوفى ٧١٠هـ) تلقى الطب عن ابيه وكان من الاطباء المعروفين ومشايخ الصوفية ثم تصوف فى العاشرة وخلف والده فى التطبيب ، ثم لحق بنصير الدين الطوسى وقرأ عليه الهيئة وكتاب اشارات ابن سيناء . وبعد ذلك رحل الى بغداد والروم ولاقى جلال الدين الرومى ومكث وقتا بقونية وتعرف الى معين الدين بروانه فولاه قضاء سيواس وملاطية .

وفى (٦٨١هـ) بعثه احمد تكودار الى مصر فذهب منها الى الشام حيث درس كتاب القانون والشفاء لابن سيناء ثم اعتزل فى تبريز أربعة عشر عاما وعمل بالتأليف . ومن آثاره العربية الادراك فى دراية الأفلاك والتحفة الشاهية وشرح حكمة الاشراق للسهروودى المقتول وفتح المنان فى تفسير القرآن وحاشية على كشاف الزمخشرى .

(٣) قطب الدين محمد الرازى المتوفى (٧٦٦هـ) من تلامذة عضد الدين الايجى كان من أهل الرى لكنه صرف الجزء الأخير من حياته بالشام ، الف كتبا فى الحكمة والمنطق منها شرح الرسالة الشمسية المعروف بشرح شمسيه فى المنطق الفه للوزير غياث الدين محمد وفى شرح كتاب الكاتبى القزوينى ثم لوامع الأسرار فى شرح مطالع الانوار فكتاب المحاكمات قضى فيه بين الامام الفخر الرازى ونصير الدين الطوسى فى خلافاتها على شرح اشارات ابن سيناء .

(وفاته ٧٦٦هـ) صاحب شرح شمسيه وشرح مطالع فى المنطق .

وعارفو هذه الفترة المشهورون هم الشيخ صفى الدين الأردبيلى (٦٥٠ — ٧٣٥هـ) جد السلاطين الصفويين وسوف نذكر حاله بعد ذلك وكمال الدين عبد الرزاق الكاشانى[1] (توفى ٧٣١هـ) من كبار عهد أبى سعيد وعلاء الدولة السمنانى (٦٥٩ — ٧٣٦هـ) وغيرهم .

٣ — الشعراء

وأشهر شعراء العصر المغولى هم :

١ — الشيخ فريد الدين العطار (توفى ٦٢٧هـ) ثالث الشعراء الصوفية بين شعرائهم بعد السنائى[2] والمولوى الرومى وله كتاب بالنثر فضلا عن منظوماته العديدة وكتابه باسم (تذكرة الأولياء) فى أحوال العارفين وأشهر منظوماته منطق الطير والهى نامه وأسرار نامه .

٢ — كمال الدين اسماعيل الاصفهانى ولد الشاعر المشهور جمال الدين محمد بن عبد الرزاق من كبار الشعراء الناظمين للقصيدة بالعراق وقتل فى فتح أصفهان (٦٣٥هـ) بيد المغول .

٣ — أثير الدين عبد الله الأومانى الهمدانى (توفى ٦٦٥هـ) من

---

(١) لقب كمال الدين اسماعيل بن جمال الدين محمد بن عبد الرزاق الاصفهانى (متوفى ٦٣٥هـ) بخلاق المعانى مدح كأبيه جمال الدين عبد الرازق اسرة آل صاعد وآل خجند ثم الخوارز مشاهيين واتابكة فارس وحكام طبرستان السبهبذات . عاش فظائع المغول واختفى فى واقعة القتل العام بأصفهان بيد المغول ثم قتل فى النهاية عام (٦٣٥هـ) . وكان كمال الدين استاذا فى القصيدة وكان يبدأها من غير تغزل وله فى وصف أصفهان وعهد عمارها وخرابها قصائد كثيرة .

(٢) فريد الدين العطار الشاعر الفارسى ذو التاليفات الثرة ، بدأ حياته كأبيه عطارا ثم اعتزل عمله واقبل على التصوف وجلى أفكاره الدقيقة فيه بالشعر القوى . ولم يمنعه اعتزاله من السفر ولقاء مشايخ التصوف . الف كتبا ورسائل فى الشعر والنثر بعدد سور القرآن الكريم . ويتميز العطار فى ايضاح موضوعات التصوف العميقة بالشعر والنثر بالسهولة والسلاسة وضرب الأمثلة المختلفة وقص الحكايات المتنوعة وكان استاذا فى هذا الأمر . وله أيضا فضلا عن ديوانه مثنويات مختار نامه ومصيبت نامه ووصيت نامه وبلبل نامه وحيدر نامه وخسرو نامه وشرف نامه .

مداحى الأتابك مظفر الدين بن الأوزبك .

٤ ـ سيف اسفرنك (٥٨١ ـ ٦٦٦هـ) من شعراء ما وراء النهر قرض الشعر فى عهد السلطان محمد خوارزم شاه وظل حيا بعد استيلاء المغول بفترات .

٥ ـ جلال الدين محمد البلخى أو المولوى الرومى (٦٠٤ ـ ٦٧٢هـ) صاحب الكتاب البالغ الشهرة (مثنوى) من السوامق العديمة النظير ، وهو أكبر الشعراء الصوفية الفرس ومن مفاخر ايران الجليلين وله غير المثنوى أشعار كثيرة كذلك نظمها باسم شيخه شمس الدين التبريزى وتسمى مجموعها بكليات شمس(٣) .

٦، ٧، ٨ ـ امامى الهروى(٤) ومجد همكر(٥) وبدر الجاجرمى وقد

---

(٣) المولوى هو جلال الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن الحسين الخطيبى من كبار شعراء الصوفية فى القرن السابع ، ولد فى بلخ لكنه لقب بالرومى لطول اقامته بقونيه . ووالد المولوى لقب بهاء الدين ولد وهو ينتسب من ناحية امه الى الأسرة الخواز مشاهية لذلك كان من المقربين فى بلاط محمد خوارزم شاه ، لكنه رحل عنه ولاقى العطار فاهدى الى ابنه جلال الدين كتابه اسرار نامه وهو لا يزال طفلا (٦١٠هـ) . واستقر المقام ببهاء الدين فى قونية بدعوة من سلطانها كيقباد فظل بها حتى موته (٦٢٨هـ) . وخلف جلال الدين والده فى ارشاد الناس صوفيا وتعليم المريدين كما أخذ عن برهان الدين المحقق الترمذى ممن رباهم والده . وفى (٦٤٢هـ) لاقى جلال الدين الصوفى الكبير شمس الدين محمد التبريزى فاثر فيه تأثيرا جعله يعتزل الناس ويلحق به . وفى (٦٤٥هـ) رحل شمس الدين عن قونية بلا عودة فحزن جلال الدين وجعله ينصرف الى تأليف الشعر حتى موته . ومن آثار مثنويه الكبير فى ستة مجلدات ومجموعة رباعياته وديوان غزليات معروف بديوان شمس . ومن آثاره المنثورة كتاب فيه ما فيه والمجالس السبعة المكاتيب . بلغ المولوى بالشعر الصوفى درجة عليا ليس فى ايران والهند والأناضول فحسب بل اسرى نفوذه الى الغرب ، كما ترجمت آثاره الى لغات مختلفة .

(٤) الهروى هو ابو عبد الله محمد بن ابى بكر بن عثمان ، كان له مع مجد همكر وغيره مطارحات شعرية ومدائح فى امراء كرمان ووزرائها . وقد اعترف همكر بسبقه فى الشعر الذى لم يبق له منه غير ديوان مخطوط وقطع فى كتب السير .

(٥) اما مجد همكر فهو من شعراء القصيد ومن مداحى الأتابك سعد ابن ابى بكر وبهاء الدين الجوينى حاكم فارس وغيرهما . وله فوق المدح هجاء وغزل عاطفى ويصادف حينا فى اشعاره موضوعات اجتماعية وحكمية .

ماتوا جميعا فى (٦٨٦هـ) •

٩ ــ فخر الدين العراقى الهمدانى (توفى ٦٨٨هـ) من الشــــعراء العارفين والناظمين الشعر البالغ اللطف وقد قضى الشــــطر الأعظم من عمـــره فى الشـــام والروم ودفــن بدمشــق(١) •

١٠ ــ أكبر شعراء هذا العهد بل وأستاذ جـــميع شـــعراء ايران أبو عبد الله شرف بن مصلح الشيرازى أو السعدى الذى لم يقـــرض حتى اليوم أحد الشعر بالفارسية بفصاحة بيانه وعذوبته ولم ينثر نثرا بسلاسته وجزالته وهو أشهر من أن يعرف ولد أوائل القرن الســـابع وتوفى فى (٦٩١هـ) وأول سوامقه كتابة (بوستان) أو (سعدى نامه) الذى أنشأه هذا الشـــاعر المتمـــكن فى (٦٥٥هـ) للأتـــابك أبى بكـــر بن سعد وباسمه والذى كان السعدى من خواصه وتخلصه بالسعدى مأخوذ من اسمه ، وغزليات سعدى وقصائده لا نظير لكل منها أيضا خاصـــة وأن السعدى استاذ الغزل الفارسى وقل أن استطاع شاعر الوصول فى هذا الأسلوب درجته •

١١ ــ همام الدين التبريزى (٥٩٨ ــ ٧١٤هـ) من خاصة الاسرة الجوينية وأشهر شـــعراء آذربايجان(٢) •

١٢ ــ الشيخ محمود الشبسترى (توفى ٧٢٠هـ) مـــن العارفين

---

(١) فخر الدين ابراهيم الهمدانى المتخلص بالعـــراقى من الصـــوفية وشعراء الغزل ، ولد بهمدان ورحل الى الهند وخلف شيخه بهاء الدين زكريا بها فى الارشاد ، غير انه تركها الى بغداد فلقى شهاب الدين السهرودى . وبعد ذلك قصد الأناضول فدرس على الشيخ صدر الدين القونيوى أحـــد مشاهير صوفية قونية وألف له كتابه اللمعات . وتنقل الشاعر بعد ذلك فى مصر والشام حيث توفى . والعراقى من شعراء الغزل والصوفية المشبوبى العاطفة يبلغ شعره نحـــو ستة آلاف بيت ، وله مثنوى عشاق نامه المنظوم على نسق حديقة الحقيقة لسنائى .

(٢) من شعراء آذربايجان ومداحى شمس الدين محمد صاحب الديوان كان له مع السعدى مصاحبة ومداعبة وتأسى به فى الغزل ، نظم اشعـــارا باسم صحبت نامه لشرف الدين هارون ولد شمس الدين صاحب الديوان .

والشعراء المعروفين بآذربايجان وهو ناظم المثنوى المعروف (كلشن راز) أو روضة الأسرار وهو جواب منظوم لخمسة عشر سؤالا صوفيا من الأمير الحسيني الهروى من العارفين والشعراء الهرويين الذى توفى عام (٧١٨هـ) (١) .

١٣ — النزارى القهستانى (توفى ٧٢٠هـ) من الشعراء الفصحاء بقهستان وكان اسماعيلى المعتقد(٢) .

١٤ — الأمير خسرو الدهلوى (٦٥١ — ٧٢٥هـ) أشهر شعراء الفارسية بالهند ويشتهر بعذوبة الشعر وكثرته وله خمسة دواوين من الغزليات والقصائد وخمس منظومات على غرار خمسة النظامى(٣) .

١٥ — الأمير حسن الدهلوى (توفى ٧٢٧هـ) من رفاق أمير خسرو وأتباع أسلوب السعدى(٤) .

(١) هو سعد الدين محمود بن عبد الكريم من كبار الصوفية كان مقصد المتسائلين عن المسائل الفلسفية والصوفية . له غير كلشن راز رسالتا حق اليقين وشاهد وينسب اليه رسالتا سعادت نامه ومرآة المحققين فى التصوف .

(٢) من الشعراء المنتسبين الى الاسماعيلية اخذ تخلصه من اسم نزار الابن الثانى للمستنصر بالله ثامن خليفة فاطمى فى مصر . ويشمل ديوانه غزليات يقترب اسلوبها الى اسلوب السعدى ، خلف مثنوى دستور نامه .

(٣) يمكن اعتباره رائد السبك الهندى او اسلوب التعبير بالفارسية فى الهند ، وديوان اشعاره على خمسة اقسام : تحفة الصغر نظمه فى شبابه ويحوى القصائد والغزليات والترجيع بند — واسطة الحياة — غرة الكمال وساق فى مقدمته حديثا عن الشعر ومحسناته وكبار الشعراء — بقية النقية — نهاية الكمال . وتتميز قصائد الشاعر بطولها والتأسى فيها بالخاقانى . أما خمسته المذكورة فهى : مطلع الأنوار — شيرين وخسرو ومجنون وليلى وايينه اسكندرى (المرآة السكندرية) — هشت بهشت (الثمانى جنات) . وله أيضا منظومات مثل قران السعدين و (نه سيهر) أو التسعة أفلاك ومفتاح الفتوح فى سير ملوك الهند . ومن كتبه المنثورة خزائن الفتوح ورسائل الاعجاز فى فن الانشاء . ويمكن عد أمير خسرو أكبر شاعر فارسى فى الهند .

(٤) هو خواجه حسن شيخ نجم الدين بن على السنجرى الدهلوى من شعراء الهند الفارسيى اللغة ومن معروفى الصوفية فى القرن الثامن ، أخذ عن الشيخ نظام الدين أولياء من كبار الصوفية الهنود والذى راده خسرو الدهلوى أيضا . اقتدى حسن الدهلوى بالسعدى فى غزله وأشار الى ذلك فسمى سعدى الهند .

١٦ ـــ الأوحدى المراغى الاصفهانى (توفى ٧٣٨هـ) من الشعراء العارفين المولود بأصفهان وعاش فى مراغة وهو صاحب مثنوى (جـــام جم) باسم غيات الدين محمد الرشيدى الوزير(١) •

١٧ ـــ الخواجوى الكرمانى (٦٧٩ ـــ ٧٥٣هـ) أكبر شعراء كرمان ومن مداحى أبى سعيد بهادرخان والوزير غياث الدين محمد وله فضلا عن قصائده وغزلياته خمسة يقـــلد خمسة النظامى(٢) •

١٨ ـــ ابن يمين (توفى ٧٦٩هـ) من اهل فريو مـــد بجـــوين من مداحى ملوك الكرت والسربدارية والطغا تيمورية وأفضل شعره مقطعاته التى تشمل المواعظ والنصح والحكم (٣) •

١٩ ـــ نظام الدين عبيد الزاكانى (توفى ٧٧٢هـ) من الفضــــــلاء والشعراء ذوى الذوق العالى فى عهد أبى سعيد وشاه شيخ أبى اسحاق

---

(١) من الشعراء المتصوفة كان مريدا للشيخ ابى حامد أوحـــد الدين الكرمانى (توفى ٦٣٥هـ) فأخذ تخلصه من اسمه . يتألف ديوانه من القصائد والغزليات والقطعات والترجيعات والرباعيات والغزليات الصوفية . لــــه ايضا مثنوى منطق العشاق نظمه (عام ٧٠٦هـ) لوجيه الدين حفيد نصير الدين الطوسى ثم مثنويه المعروف (جام جم) او كأس جمشيد التى تقص الشاهنامه أن جمشيد ملك ايران الاسطورى كان يرى فيها سائر الدنيا .

(٢) هو كمال الدين ابو العطاء محمود بن على لاقى فى سفره الشـــيخ علاء الدولة السمنانى الصوفى المعروف واخذ عنه . وأقام فى شـــيراز فـــترة وصاحب شاعرها الكبير الحافظ الشيرازى . من آثاره ديوان غزليــــات وقصائد ثم مثنويات تقلد النظامى وهى روضة الأنوار وكمال نامه وسام نامه وجوهر نامه وكل ونوروز أو الزاهور والبروز . وكان الخـــواجوى محتــذيا حذو السعدى فى غزله .

(٣) هو أمير محمود بن أمير يمين الدولة الطغرائى ، كان ابوه شاعرا ويعمل فى ديوان الايلخانات فى خراسان وعمل ابن يمين ايضا بهذا العمـــل فترة . ومن حوادث حياته أسره فى الحرب التى جرت فى زاوه بين وجيـــه الدين السربدارى وملك معز الدين كرت ونهب ديوانه ثم جمعه له ثانيـــة . وكان ابن يمين شيعيا صوفيا ، أنشأ شعرا ذا فائدة اخلاقية واجتماعيـــة بسبب كثرة تجاريبه ، ويصل شعرة الى خمسة عشر الف بيت ، وترجـــع أغلب شهرته الى شعره الخلقى .

وشاه شجاع وكان استاذا فى النثر والنظم خاصة فى النثر فهو تابـع وتال للشيخ السعدى وترجع أغلب شهرته الى مطايباته المنعدمة النظير وقصته المنظومة (موش وكربه) أو القط والفأر •

٢٠ ـ سلمان الساوجى (توفى ٧٧٩هـ) من مشاهير شعراء عهد آل جلاير صاحب ديوان قصائد وغزليات وعدة مثنويات وأشعار أخرى •

الصناعات والأبنية والآثار

وفى عهد سيطرة المغول خاصة بعد هجوم هولاكو وتأسيس أسرة الايلخانات واهتمام الايلخانات المسلمين منهم بتشييد الأبنية والعمائر ، وقع الجانب الصناعى خاصة النقش والتصوير تحت التأثير المباشر للفن الصينى ، والسبب الأساسى لهذا الأمر هو جلب الفنانين الصـينيين من الصين لايران بأمر الايلخانات ، ثم اهتمامهم بل قل تعلـقهم باحـياء السنن المغولية فقد ظلوا مع قبولهم الاسلام واقامتهم فى ايران ينظرون الى الياسا الجنكيزية بعين الاحترام ويحفظون مجدين فى ذلك بكل مـا يتصل بالمغول وماضيهم التاريخى وآدابهم ورسومهم لدى أجـدادهم ولذلك دأبوا دأبا شديدا على تخليد تاريخهـم وشـجعوا على تأليـف المصنفات فى هذا التاريخ بكل نصب وانفاق مـال •

ونتيجة لهذين الأمرين واختلاف اهل ايران الى الصـين انتشر النقش بالاسلوب الصينى فى ايران بالتدريج ، والأمـر الذى آزر رواج هذا الأسلوب الاسلامى الخاص ببنى العباسى والسلاجقة ، حتى فى بلاد ما وراء النهر هو انتشار النسخ من الكتاب الكبير جامـع التواريـخ تصنيف رشيد الدين الذى كان يتابع نشره حتى فى تلك البـلاد بأمـر أولجاتيو وباصرار مؤلفه الوزير الذى استمد فى تأليف بعض أقسامـه علماء الصين والمغول والأويغور ودفع بفنانى ورسامى هؤلاء الناس الى رسم الصور فى نسخة أيضا الا ان هذه النسخ المتميزة برسومها ونهاية دقتها ونفاستها وجمالها قلدت رسومها بعد وقوعها فى أيدى النـاس •

أما النسخ لهذا الكتاب الموجودة فى مكتبات أوربا وألفت فى عصر رشيد الدين بعد قليل من وفاته فهى أول النماذج لفن التصوير فى عهد المغول الذى امتزج فيه الفن الاسلامى الموجود قبل العهد الايلخانى بالفن الصينى فصار ممثلا لبداية رواج فن وأسلوب خاصين .

وعلى أثر نفوذ المصورين الصينيين والأقلام والأحبار الصينية وطرق التلوين ورسم الخطوط وصور بعض الحيوانات التى لم تسبق بين المسلمين كالأفاعى وبعض الحيوانات الأسطورية دخل بالتدريج عناصر جديدة فى التصوير الايرانى وصار رسم الوجوه المغولية ذات العيون اللوزية والخدود البارزة أمرا شائعا فى هذا التصوير ووصل هذا الامتزاج بين الفنين الصينى والايرانى أوجه فى عهد التيموريين .

وشاعت فى عهد المغول بالاضافة الى التصوير بعض الصناعات الأخرى اتضحت فيها آثار الفنانين الايرانيين اتضاحا كاملا ويمكن الوقوف بيسر عند مشاهدتها على كمال الاهتمام لدى هؤلاء الفنانين بالابداع واظهار جوانب الجمال والذوق ، وأهم هذه الصناعات صناعة القاشانى والأطباق الخزفية والنقش البارز على الأبواب والأخشاب وتفضيض المعادن ونسج الأقمشة العادية والمنسوجات المقصبة بالذهب وصناعة الأسلحة وغير ذلك .

وبقى نسج المنسوجات النفيسة الذى راج كليا فى ايران قبل استيلاء المغول أيضا على حال ارتقائه فى عهد الايلخانات بل زاد رواجا وازدهارا عن ذى قبل لأنه كان يتعين على الأمراء والعمال والوزراء كل سنة أن يتحفوا ويهدوا الايلخانات بأشياء من هذه المنسوجات وكانوا يشجعون على نسج المنسوجات المذهبة خاصة فى مراكز حكمهم وامارات ملكهم فوجدت مصانع عديدة لهذه المنسوجات فى تبريز والكرج وبغداد ومرو وطوس وشوشتر وشيراز ونيسابور وكان المغول يختارون فى بداية فتوحاتهم من بين أرباب الحرف الذين كانوا يرسلون بهم الى

أرض المغول وقراقروم جماعة من الأساتذة النساجين خاصـــة ، والذين حازوا المهارة فى نسج المنسوجات المذهبة والمقصبة بالذهب .

وكان لنسج المنسوجات الحريرية فى ذياك العهد فى ايران خاصـــة فى جيلان وخراسان ويزد وكرمان أهمـــية فائقـــة وكان الحـــرير فى ذلك الحين من الثروات النفيسة حتى أن جزءا من الضرائب العينيـــة لهـــذه الولايات كان يدفع حريرا وكان الحرير فى الغالب هو الخراج المعهـــود تأديته الى دافعى هذه الولايات ، وبعد أن فتح أولجاتيو جيـــلان حـــث أمراءها المحليين على تأدية مقدار من الحرير فى العام ما وسعهم دفعه . وفى خراسان أيضا عهد السربداريين منع بهـــلوان حســـن الدامغـــانى (درويش عزيز مجدى) من مخالفته بأن أعطاه بضـــعة خـــربارات من الحرير(١) وسيره الى أصفهان وكان الحرير كما سوف نذكر أحد أهـــم البضائع التجارية فى الشرق عهد استيلاء المغـــول وكان تجـــار الغـــرب يحرصون على شرائه وجلبـــه حرصـــا شـــديدا .

وازدهر شديد الازدهار أيضا نسج الطنافس والسجادات والأكلمة العالية عهد ايلخانات ايران وسائر البلاد الاســـلامية فى الـــشرق وكان يحمل كثير منها الى الهند عن طريق موانىء الخليج الفارسى والى أوربـــا عن طريق تجار البندقية وجنـــوه .

وكانت صناعة آلات الرصد والآلات الفلكية وأنـــواع الســـاعات وآلات معرفة أوقات الصلاة وتحديد وقت الظهر رائجة فى سائر البـــلاد الاسلامية ، وجد قبل غزو المغول الاسماعيلية والخلفـــاء العباســـيين فى جمع هذه الآلات واستقدام أساتذة هذه الصـــناعات الى أكـــبر مركزى الشرق فى بلاد المسلمين وهما ألموت وبغداد ولهذا شهرت خزائن بغـــداد وألموت من هذه الناحية شهرة عالية فى دنيا تلك الأيـــام ، ولما اســـتولى

---

(١) الخربار أو الخروار وزن قديم يساوى مائة من تبريزى والمـــن يعـــادل ثلاثة كيلوجرامات تقريبا .

هولاكو على هاتين المدينتين وضع القسم الأكبر لهذه الآلات القيمة تحت اختيار نصير الدين الطوسى ليفيد بها فى رصده بمراغه ، وجمع نصير نفسه فى أسفاره الى بغداد مقدارا آخر من تلك الآلات لتحقيق عمله واستصحب معه العارفين بصناعة الآلات الفلكية والرصدية .

واحدى شعب الصناعات الجميلة الأساسية التى لقيت خاصة أهمية تفوق المعتاد وقت الغزو المغولى فى البلاد الاسلامية هى تجويد الخط وقد أنفق المستنصر والمستعصم ووزراؤهما أموالا باهظة فى استجلاب الخطاطين واستخدامهم فى خزائن الكتب والمكاتب فى دار الخلافة . وأشهر خطاطى هذه الفترة اثنان أولهما صفى الدين عبد المؤمن الأرموى (مات ٦٩٣هـ) الذى مر ذكره ، وثانيهما تلميذه الذى زاد شهرة فى فن الخط عن أستاذه ومرتبة وهو جمال الدين ياقوت المستعصمى (توفى ٦٩٨هـ) وكان كلاهما من الخطاطين الخاصين للمستعصم آخر خلفاء بنى العباس ، وبعد انهيار دولتهم لحقا بخدمة الأسرة الجوينية . وكان ياقوت الذى يعد أستاذ خط النسخ بداية أمره أحد الغلمان الذين اشتراهم المستعصم لنفسه ودفعه ليتتلمذ الى صفى الدين عبد المؤمن ، فسرعان ما مهر فى الأدب وحسن الخط وفاق فى هذا الفن الأخير أستاذه .

المعمار والأبنية

يبدو للوهلة الأولى غريبا اهتمام المغول بالبناء والتعمير والبحث فى هذا الموضوع عهد استيلائهم لأن التتار أولا كما قلنا لم يكن لهم تقيد بمكان ثابت كأى طائفة بدوية وكان مستقرهم هى المخيمات القبلية ومساكنهم الخاصة التى تكون بحكم المدينة وقت الحل ولا يتخلف عنها أثر عند الترحال كما أن التتار وأتباع جنكيز وقواده وخلفاءه كانوا ثانيا آية التخريب وحينما كانوا يضعون أقدامهم كانوا يقلبون كل ما هو قائم وعامر رأسا على عقب ، وكانوا أحيانا يسوون أعظم البلاد بغير مبالغة منا بالصحارى والفلوات . الا أن هذه الحالة خاصة بهم أوائل حالهم

ولما أصبح المغول أرادوا أم أبو محكومين بآداب رعاياهم المطلوبة أجبروا على قبول الاقامة فى العواصم مثلهم وتأسيس الادارات وجمع الوزراء والعمال الديوانيين حولهم • ولما لم يستطيعوا التخلى عن عادتهم القبلية وهى الارتحال للاقامة فى الشتاء أو الصيف أو من التنقل من المشتى الى المصيف وبالعكس ، فكان لهم غالبا محلان للاقامة أحدهما — للصيف — فى عراق العجم وآذربايجان (تبريز ، موغان ، أران ، السلطانية) وثانيهما — للشتاء — فى عراق العرب (بغداد) وبنى فى كل واحد من هذه المراكز الايلخانات والأمراء والوزراء قصورا وأبنية لهم • فضلا عن أن خلفاء جنكيز وقادته بعد الاستيلاء والتخريب على بلاد أيران ما ان تبقى لهم حتى يسمحوا للناس بتجديد ابنيتها وعمائرها وكانوا هم أنفسهم بعض الأحيان السابقين فى هذا التعمير ولهذا رممت كثير مما خربوه قبل ذلك •

كان المغول حتى قبول الايلخانات الاسلام دينا يدفنون أجساد سلاطينهم بعيدا عن أنظار الناس فى أماكن خافية ولهذا فان مكان قبر الايلخان غير المسلم منهم لا يعرف على وجه الدقة ، لكنهم بعد أن أسلموا خاصة من عهد غازان فصاعدا حين قوى الاسلام فى قلوبهم وزادت مدة سلطنة الايلخانات المسلمين عن أسلافهم الكفار ، أقدموا على بناء المقابر والقباب الخاصة كما يقتضى قانون المسلمين(1) وعلاوة على ذلك قاموا بتشييد وتعمير أبنية الخير لابداء تعلقهم بالاسلام من مثل المساجد والجوامع والمدارس •

---

(1) ربما يقتضى هذا قانون المسلمين ولا يقضى به قانون الاسلام ، لان الله تعالى حرم اقامة الأنصاب التى تتخذ بعد ذلك بعد نسيان صاحب النصب أوثانا واضرحة يعتقد فيها ويتقرب الى أصحابها الزائرون والمتشفعون بالنذور والأضاحى من دون الله تعالى ، من حيث ان النفع والضر والشفاعة والأمر لله تعالى دون غيره ، وكان العرب فى جاهليتهم يتقربون ويستشفعون بالأنصاب والأوثان ، ثم انتهوا عن ذلك بعد الاسلام فترة ، لكنهم وغيرهم عادوا اليها فى صورة مقابر الكبار والأولياء والصالحين وكل من هب ودب بشرط أن يكون له ضريح أو قبة .

وصار متداولا من عهد غازان فما بعده بناء ثلاثة أنواع من الأبنية بيـد الايلخانات والأمـراء والوزراء :

١ ـ بناء القرى ومدن التشتية والتصييف أو تعمير القرى والمدن السابقة مثل تعميرهم أوجان وتسميتها بمدينة الاسلام ، وبناء (محمود آبـاد) بموغان وتجديد قسم من عمائر الرى وتشييد سـور تبـريز واقامة (شنب غازان) عن طريق غازان وبناء السلطانية وسلطان آبـاد تشمتشال بأمر أولجاتيو وتشييد قسم من السلطانية والربع الرشـيدى بأمر رشيد الدين فضل الله الوزير وجزء من أبنية تبريز بواسطة عليشاه الوزير وغـير ذلك .

٢ ـ الأبنية الدينية والمدارس ودور الخير كبنـاء دار السـيادة وخانقاه النجف والأبنية الخيرية بشنب غازان بأمر هذا الايلخان واقامة مسجد (ذو الكفل) والدور الخيرية التى شـيدها عطـا ملك فى عـراق العرب ورشيد الدين فى السلطانية والربع الرشيدى .

٣ ـ المقابر والقباب أى قبة شنب غازان مقـبرة هذا الايلخـان وقبتا السلطانية مقبرتا أولجايتو وأبى سعيد .

ومن عهد هولاكو فصـاعدا حـين زادت العـلاقات بين البـلاد الاسلامية فى وسط وغرب آسيا بالصين وتردد المتحـضرون الصينيـون والايرانيون الى بلديهما فاختلط الفريقان ونتج عن ذلك أن تعـلم كـل منهما علوم الآخر وفنونه ، حدث أن نفذت العمـارة الاسـلامية لعهـد السلاجقة والعباسيين عن طريق الايرانيين الى الصين وكذلك المعمـار الصينى الى البلاد الاسـلامية . وقد تـأثر المسـلمون من الأسـلوب المعمارى الصينى خاصة بشكل القباب التى قـلد نظـائرها فى المقـابر والمساجد تقليدا كاملا لما فى المعابد الصينيـة والبوذيـة ثم اسـتخدام اللون السماوى الشفاف فى أعمال القاشانى وتغطـية أسـطح القـباب بالقاشانى الأزرق البـراق .

أما الذى لا يزال باقيا حتى الآن من آثار عهد الايلخانات وأبنيتهم ومع أنه بحال خربة ومحى الجزء الأعظم منها فلا يزال محل الاهتمام كالتالى : —

١ — المقبرة المعروفة بمقبرة ابنة هولاكو فى مراغة .

٢ — بقايا مرصد مراغة .

٣ — مسجد ورامين عن أولجاتيو .

٤ — قسم من المسجد الجامع فى أصفهان عن أولجاتيو أيضا .

٥ — قبة السلطانية عن أولجاتيو كذلك .

٦ — بناء عن أبى سعيد فى مراغة .

ومن بين هذه الأبنية الأكبر أهمية من غيره ولقى شهرة فائقة فى عصر الايلخانات وما يزال قسم هام منه قائما هو قبة السلطانية أى مقبرة السلطان محمد أولجايتو الذى شيده كما سبق قوله أثناء حياته ضمن بناء مدينة السلطانية التى استغرقت ما بين عامى (٧٠٥هـ) و (٧١٣هـ) .

الفصل التاسع

ظهور الأمير تيمور وتأسيس أسرة الكوركانيين

أوضاع ما وراء النهر وقت ظهور الأمير تيمور :

فى تقسيم البلاد التى استولى عليهـا جنكيز ، كما ذكرنا فى آخـر الفصل الثانى ، صارت بلاد القراخطائيين السابقة وما وراء النهر نصيب جغتاى ، ولم يعص جغتاى أوكتاى وقت خانيته للمغول رغم أنه الأكـبر سنا بل كان يصدق دائما على خانية أوكتاى عليه وعلى بلاده وكان يدير بلاده بعون من أحد رؤساء قبيلة البرلاس وهو قراجار نويان • ويصـل مؤرخو تيمور نسب هذا الفاتح الى الأمير قراجـار نويان البرلاسى من ناحية الأب ويعتبرون قراجار الجد الخامس لتيمـور •

حكم أولاد جغتاى الذين تسمى أسرتهـم بالخانات الجغتـائيين أو حكام البلاد (أولوس) الجغتائية مدة ستة وثلاثين ومائة عام (من ٦٢٤ حتى ٧٦٠هـ) على بلاد ما وراء النهر وقسم من خوارزم وكاشغر ، وكانت عدتهم نحو الثلاثين كان من بينهم خانان من أولاد أوكتاى تصادف حكمهم للبلاد الجغتائية وليس لهم ذكر خاص فى تاريخ ايـران اللهـم الا بضعة نفر منهم هاجموا ايران فى أيام الايلخانات عن طريق الدربند أو خراسان من مثل براق (٦٦٣ ــ ٦٦٨هـ) الذى أغار عليهـا أباقـا • وبراق هو أول خان للبلاد الجغتائية آثر الاسلام دينا لكن رعـاياه لـم تحبذ عمله هذا فعادت أكثريتهم للتهم السابقة بعد موته •

ودخل الاسلام أحد خلفاء بـراق وهو (ترمشـيرين) (٧٢٢ —

٧٢٧هـ) فدخل على عقبه هذه المرة خلاف السابقة أكثر الرعايا الجغتائية الاسلام ، وأصبح الاسلام من هذا الوقت فما بعــده الدين الرســمى لخانات ما وراء النهر ومغولها .

وفى أوائل النصف الأول للقرن الثامن أصاب خــانات الجغتــائيين شديد الوهن وسقطت أزمة أمورهم من حدود (٧٤٦هـ) بيد أحد رؤســاء قبيلة البرلاس واسمه الأمير قزغن وكان الأمير قزغن هذا يولى ويعــزل من يشاء من خانات الجغتائيين وكان لابنه الأمير عبد الله من بعده نفس النفوذ والمنصب الى أن تمكن من قتل الأمير حــاجى برلاس من أحفــاد قراجار نويان والأمير بيان سلدوز يعاونه الخان تحت حمايته واستحوذا على الأمر لكنهما لم يستطيعا ادارة الأمور كما ينبغى فصــارت ما وراء النهر رهن الهرج والمرج وثارت فى كل ناحية الثورات والقلاقل .

وقد حرض وصول أبناء ثورات ما وراء النهر الى كاشــغر حــيث كانت شعبة أخرى من خانات البــلاد الجغتائيــة تباشر أمــور الحــكم (تغلق تيمور)(١) حاكمها وكان من أحفاد براق خان على غــزو ما وراء النهر وهاجمها تغلق تيمور مرتين احداهما فى عام (٧٦١هـ) والأخــرى فى (٧٦٣هـ) وقتل فى المرة الثانية الأمير بيان سلدوز(٢) وسيطر على بــلاد ما وراء النهر وأناب ابنه الياس خواجه فى ادارة أمورها ، فظل يحكمهــا حتى (٧٦٥هـ) حين طرده عنها تيمور الكوركانى والأمــير حســين حفــيد الأمير قزغــن .

أصــل تيمــور ونســبه : ــ

تيمور ولد الأمير ترغاى(٣) وأوصل المؤرخــون نســبه الى أسرة

---

(١) تغلق كلمة تركية بمعنى حامل الرايــة و (تــق) تعــنى العــلم والراية (تاريخ بخارى ص ٢٠٨ ح ٢) .

(٢) آنفا ذكر المؤلف ان قاتله هو الأمير عبد اللــه والخــان الواقــع تحــت حمــايته .

(٣) أبوه تورغاى وليس ترغاى أو تارغاى ، وتورغاى تركية بمعنى =

جنكيز وصحة هذا الادعاء غير معلومة حتى ان هناك شكا فى أن الأمير قراجارنويان البرلاسى جده الخامس(١) • ولد تيمور فى شعبان (٧٣٦هـ) أى بعد موت السلطان أبى سعيد بنحو خمسة أشهر فى احدى قرى مدينة كش (مدينة سبز)(٢) الحالية جنوب سمرقند على مفترق الطرق بين هذه المدينة وبلخ) وعاش أيام صباه بين قبيلة البرلاس التى كانت أقرباء لأجداده ، وأتقن فنون الحرب الشائعة عند القبائل الصحراوية وبين أفرادها وهى عملهم الرئيسى من رسوم الصيد والفروسية ورمى السهام حتى غدا فارسا ماهرا وراميا للسهام بطلا ، وكان عالى الهمة طموحا فلم يقنع بذلك وخطا فى طريق العلو والرئاسة •

ذكر أن جد الأمير تيمور كان يظهر كامل اخلاصه للصالحين والفقراء وظل هذا الميل لهذه الطائفة فيه وفى أسرته فكان من أول أمره يبدى الاخلاص للزهاد ومشايخ التصوف وكان يأتيهم ويطلب منهم المدد •

وأوائل حياة الأمير تيمور غير معروفة على وجه الدقة وما يقرب الى اليقين أنه لم يحدث فى هذه الفترة المبكرة من حياته شىء ذو بال

طير الدج ، أما (تيمور) فهى من (تمر) أو (دمر) تركية بمعنى الحديد ، وينسب الى (كركان) وصحتها (ككن) وليست هذه الكلمة من كوركان أو كورخان بمعنى الخان العظيم كما ذهب بعض الباحثين وانما بمعنى (المليح) فى التركية وكانت اسم أسرة تيمور (تاريخ بخارى ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ٢٠٨ وحواشيها) •

(١) ان ما يقال من أن تيمور من أصل مغولى اعتمادا على ميرخواند صاحب (روضة الصفا) وشرف الدين على يزدى صاحب (ظفرنامه تيمورى) — وكلاهما من مؤرخى العهد التيمورى — وقد ادعى كل منهما أن تيمور منحدر من نسل قراجه نويان (قراجارنويان) المغولى خطأ كبير من ناحيتين الأولى ان هذا الأمير قراجه لم يشر اليه الجوينى صاحب جهان كشا ادنى اشارة ، كما ان تيمور خالص النسب الى بيت برلاس التركى لا المغولى • راجع فى ذلك الكتاب السابق ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ وحواشيهما) •

(٢) اسمها الفارسى (شهر سبز) أى المدينة الخضراء لفرط اخضرار نبتها •

لأنه كان اذ ذاك مغمورا ويحيا حياة أفراد قبيلتـه العـادية لكى يهتـم باثباتها مؤرخ ، وانما بدأت أحداثه التاريخية فى التقييد والذكر من حدود عام (٧٦١هـ) وحسب وتوالت السنوات بعد ذلك مقيدة مضبوطة .

ففى (٧٦٢هـ) حين قام تغلق خان الأول مرة بغزو مـا وراء النهـر كان الأمير تيمور فى خدمة الأمير حاجى برلاس فلما هرب الأمير حـاجى أمام تغلق الى خراسان كان تيمور برفقته أيضا وبعد مدة وجـيزة آب تيمور الى ما وراء النهر ولحق بخدمة تغلق تيمـورخان ، وتـرك خـان الكاشغر حكم مدينة كش التى كان رؤساء البرلاس يتوارثونه الى تيمور وحينما عاد تغلق تيمور الى كاشغر استقل تيمور بحكمه وبعد قليل بسط سلطانه على أغلب بلاد ما وراء النهـر .

وفى هذه الأيام استعان الأمير حسين القزغنى بجماعة من أمـراء ما وراء النهر الأقوياء فهزم الأمير بيان سلدوز وكان ينقم عليه قتله عمه الذى أصابه بالحزن فانهزم بيان الى بدخشان فاختارت هـذه الجمـاعة من الأمراء الأمير حسينا لامارة ما وراء النهر ونصب كل منهم على حكم ناحية منها تحت امرته واستقر من ضمنهم الأمير تيمور على حكم كش مقر أجداده . وفى هذا الحين زوج الأمير حسين أخته بتيمـور مؤثـره لمصاهرته فسمى تيمور من هذا الأوان تيمور كوركان أى تيمور الصهر ، ويذهب البعض الى أن تيمور قد أضيف الى اسـمه لقـب كـوركان أى الصهر من بعد أن بنى بابنه تغلق تيمور(١) .

وبما أن أوضاع ما وراء النهر اقترنت بعدم الأمن وكان الأمـراء المتمردون دائمى الخلافات أحدهم مع الآخر غزا تغلق تيمورخان هـذه البلاد مرة أخرى فى (٧٦٣هـ) وقتل الأمير بيان وجعل الأمير حسين يفـر وترك حكم ما وراء النهر الى ابنه الياس خواجـه وبقى تيمـور عـلى حـال حكمـه لكـش .

---

(١) سبق التنبيه الى ان معنى كركن اصل (كوركان) بالتركيـة هى المليح عن فامبرى صاحب تاريخ بخارى (ص ٢٠٦ حاشية ١) .

وبعد فترة تحالف الأمير تيمور مع الأمير حسين المتوارى بقصد الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر متعللا بمظالم التابعين لالياس خواجه وهاجم خوارزم لكنه غلب على أمره فركن الى الفرار الى خراسان وبعد أن أسره التركمان ساكنو أبيورد وعودته الى سمرقند وحياته متخفيا بها عاد أخيرا الى خراسان وانضم ومعه الأمير حسين الى خدمة الملك معز الدين حسين كرت •

ولما طلب تغلق تيمور الى معز الدين كرت تسليمه هذين الأميرين هربا الى قندهار ومنها الى سيستان فاحتال واليها وهاجمهما وأثناء قتالهما أصيب تيمور بعدة طعنات منها فى عقب قدمه وكتفه الأيمن وفقد الأصبعين الآخرين من كفه اليمنى وأصيبت قدمه اليمنى بضربة لم ترجعها بعد ذلك الى حالتها الطبيعية فكان يمشى طوال عمره عارجا فسمى لذلك بتيمور الأعرج (لنك) •

وبعد أن التأمت جراح تيمور أخذ هذا الأمير وحسين القزغنى بعد أن جمعا الجنود والأتباع بلاد دركز وترمذ وبلخ وبدخشان وكش من أيدى عمال الياس خواجه ، وتقوى قلباهما بعد أن تناهت اليهما أنباء موت تغلق تيمور وعزم الياس خواجه ابنه على العودة الى كاشغر فهاجما الأخير وهزماه وسيطر على ما وراء النهر • ومع أن الياس انتقم منهما لهذه الهزيمة فى (٧٦٥هـ) وأجبرهما على الفرار الى بلخ الا أنهما عادا فى (٧٦٦هـ) فاستوليا على ما وراء النهر وقطعت يد الأتراك الجغتائيين تماما عن هذه البلاد •

وبعد الاستيلاء الأخير على ما وراء النهر وقع الخلف بين الأمير حسين وتيمور ووافى زوجة تيمور وأخت الأمير حسين فى ذلك التاريخ أجلها فانبتت قرابة النسب بينهما فأعلن تيمور مناهضته لحسين وجرد جنده يهاجمه فخانه بعضهم مما أجبره على الفرار الى أبيورد وظل الصراع بين الأميرين قائمة حتى (٧٦٩هـ) الى أن طمأن بعض علماء

طاشقند وخجند الأمير تيمور من ناحية حسين فاصطلحا • ولم يدم هذا الصلح اذ بدأ أحدهما يسيء الظن بالآخر حتى سلم الأمير حسين تماما الى تيمور فتخلى عن الرئاسة والقيادة بشرط الابقاء على حياته • فتظاهر تيمور بتأمينه وانقض أمراؤه فى أطراف بلخ فى أوائل رمضان من ذاك العام على حسين وولديه فأهلكوهم وصارت ما وراء النهر من حين ذاك تحت سيطرة تيمور بلا منازع • ودخل تيمور فى الثانى عشر من رمضان سمرقند (٧٧١هـ) وكون مجلس شورى من الأمراء والكبار والعلماء ، ومع أنه لم يلقب بالسلطان فى هذا الحين ولقب أحد أمراء البلاد الجغتائية وهو سيور غتمش بالسلطان لكن رمضان (٧٧١هـ) يعد بداية استقلال الأمير تيمور •

غزو خوارزم (٧٧٣ — ٧٨١هـ) : —

كانت خوارزم فى تقسيم البلاد الجنكيزية نصيب جوجى وخلفه عليها أولاده واستولى الحكام الجغتائيون عليها بعد ذلك وضموها الى أملاكهم •

ووقت استقلال تيمور وجلوس سيورغتمش خان استولى من يسمى حسين الصوفى من قبيلة القنقرات على خوارزم • فأرسل تيمور له ليترك هذا البلد التابع لديوان الحكام الجغتائيين الى وارثهم سيورغتمش فلم يقبل الصوفى فاضطر تيمور الى مهاجمة خوارزم •

وغزا تيمور خوارزم أربع مرات بين عامى (٧٧٣هـ) و (٧٨١هـ) وغلب فى الأولى حسين على أمره ومات حسرة فترك تيمور حكمها الى ابن حسين فعصى الابن بعد مدة وقدم تيمور اليه وأدخله طاعته • والمرة الثالثة وقعت (٧٧٧هـ) والرابعة (٧٨٠هـ) وفى الأخيرة أخذ تيمور خوارزم بعد حصار ثلاثة أشهر ونصف شهر أوائل (٧٨١هـ) وخربها ثم ضمها الى بلاده•

غزو أرض المغول وصحراء القبجاق فى (٧٧٦ ــ ٧٧٩هـ) : ــ

غزا تيمور بين غزواتـه لخـوارزم شرق ما وراء النهـر وشـمالها الشرقى أى كاشغر وأرض المغول وصحراء القبجاق مرارا فلما مات تغلق تيمور تسلط أحد أمرائه الأقوياء وهو قمر الدين دوغـلات على الأمـور واستبد بالحكم فى كاشغر فأفاد تيمور من هذا وأخـذ يغـير من (٧٧٦هـ) حتى (٧٧٩هـ) على جنود قمر الدين وملكه كلما أمن جانب خوارزم وهـزم قمر الدين بضع مرات وألجأه الى صحراء القبجاق • وفى (٧٨٧هـ) سيطر على صحراء القبجاق أى المنطقة بين سيحون وبحيرة خوارزم وبحر الخزر وأناب عليها أميرا من أسرة باتو اسمه (توقتمش)(١) وعاد الى سمرقند •

غزوات تيمور على خراسان فى (٧٨٢ ــ ٣) و (٧٨٤ ــ ٥ هـ) : ــ

ولما مات الملك معز الدين كرت الذى كان على مودة دائمـة وصـفاء بتيمور غير ابنه غياث الدين بير على سيرة أبيه ولم يحضر مجلس الشورى الذى عقده تيمور فى رمضان (٧٧١هـ) بسمرقند • وفى (٧٧٨هـ) أرسـل تيمور الى غياث الدين بينما كان يغزو خوارزم ليذكره بالمـودة القديمـة بينه وبين أبيه ، فاستقبل غياث الدين رسوله هذه المرة بترحاب وأحـكم تيمور أساس المودة بين الأسرتين بتزويج غياث الدين ابنة أخته •

وفى (٧٨٢هـ) اضطربت أوضاع خراسان على نحو ما رأينـا فى تاريخ السربداريين شديد الاضطراب وأخذ شاه شجاع وشاه منصور والأمـير ولى وغياث الدين والخواجه على المؤيد فى الكر والفر فى هذا البلد ،فاهتبل تيمور هذه الفرصة لضمه • ولما اطمأن قلبه من ناحية خوارزم نهائيا سير أول صيف (٧٨٢هـ) ابنه ميرانشاه ذا الأربع عشرة سنة بعـدة من كبـار أمرائه الى خراسان ولحق بهم وبعد أن غلبوا جنود غياث الدين كـرت فى

---

(١) **ليس توقتمش كما ذكر اقبال المؤلف وغيره وانما صحة الكلمـة هى (تختمش) لفظ جغتائى حديث يقابل لفظ منكو القـديم ومعناه الخـالد والباقى . (تاريخ بخارى ص ٢٢٢ وحاشية ٢) .**

نيشابور توجه الى هراة عن طريق خواف ۰ وبدأ فى منتصف ذى الحجة بحصار فوشنج (غوريان الحالية) ففتحها ثم فتح هراة أيضا بعد حصار دام أربعة أيام وأسر غياث الدين وعفا عنه وبعد اغتنامه خزائن ملوك الكرت أتى الى نيشابور وسبزوار ۰ وفى هذا المكان أتى على المؤيد السربدارى خدمة تيمور وقدم الأمير ولى المستولى على جرجان فى تلك الأيام اليه مطيعا أيضا فعاد الى بخارى وبهذا انتهت الغزوة الأولى له لخراسان ۰

وبينما كان الأمير تيمور فى مصيفه على حدود بخارى أتاه أتباع لعلى السربدارى وأخبروه أن الأمير ولى ورئيس التركمان فى أبيورد ونسا مع قبولهم طاعته اتفقوا على مهاجمة سبزوار فنهض تيمور فى آخر شتاء (٧٨٤هـ) لعون على السربدارى الى خراسان وغافل قلعة كلات معقل رئيس التركمان وفتحها ثم ألحق بها قلعة ترشيز التى استولى عليها أحد عمال بنى كرت عاصيا بناء على طلب غياث الدين الذى كان فى ركب تيمور ، وفى هذا المكان وصل كتاب من شاه شجاع فحواه ايداع أولاده اليه فأجابه تيمور جوابا مطمئنا ۰

وارتحل تيمور من ترشيز الى مازندران فطلب الأمير ولى الأمان منه فعاد الى خراسان واحتفظ بغياث الدين وأخيه وابنه من ذلك المكان حبيسين أمام ناظريه فلم يسمح لهم بالعودة الى هراة ، واصطحبهم معه الى سمرقند وأناب فى هراة عمالا من قبله ۰

وفى (٧٨٥هـ) تمرد أهل هراة على نواب تيمور فبعث ابنه ميرانشاه من خراسان لقتالهم وجاء بنفسه فى عقبه وأعمل التيموريون الذبح فى الهراتيين وأقاموا من جماجمهم منارات ۰ وعند سماع تيمور بثورة أهل هراة أخذ الغضب منه مبلغه حتى انه أمر بقتل غياث الدين وأخيه وابنه فى سمرقند وفى خريف (٧٨٥هـ) قصد هراة وأقام يقتل فى أهلها ثانية ويصادر أموال هؤلاء المساكين وبعد أن سكن نار غضبه سلمت له سيستان وبست أيضا حتى حدود سيستان فعاد الى سمرقند ۰

الاستيلاء على مازندران واستراباد فى (٧٨٦ – ٧٨٧هـ) :

كانت مازندران حتى عام (٧٥٠هـ) فى يد طبقة من ملوك باوند من الأمراء القدامى الايرانيين ، وفى هذا الوقت أردى شخص اسمه (أفراسياب التشلاوى) آخر أمير لهم قتيلا وجعل من نفسه حاكما لها •

وفى أيام ظهور أفراسياب التشلاوى كان أحد السادات الحسينيين وهو السيد قوام الدين المرعشى (من أولاد السيد على مرعش من أحفاد الامام على زين العابدين) موضع احترام الناس التام فى مازندران ، ودخل أفراسياب هذا ضمن مريديه حلقته لعله يزيل من أذهان الناس قبيح فعله بقتل آخر ملك باوندى •

ولم يدم اتصال أفراسياب بقوام الدين لأنه بعد قليل ألقى به فى الحبس ولما أطلق سراحه زاد مريدو الشيخ عن ذى قبل • وفى النهاية هلك أفراسياب فى الحرب التى ثارت بينه وبين قوام الدين فى (٧٦٠هـ) وصار قوام الدين حاكم مازندران وأسس أسرة تسمى بالسادات العلوية القوامية • وقد طوع قوام الدين بيد أولاده من علم (٧٦٠هـ) حتى (٧٨١هـ) سنة وفاته شطرا هاما من جيلان وفيروزكوه وكلارستاق ونور وكجور حتى هزار جريب وقزوين •

كان لقوام الدين أربعة عشر ولدا ولما مات هاجم ابنه الأكبر السيد كمال الدين وخليفته استراباد وجرجان وهما ملك الأمير ولى وغلب الأخير فى (٧٨٢هـ) وهزمه الى خراسان •

وفى الغزوة الثانية لتيمور فى خراسان زين ابن أفراسياب التشلاوى لتيمور فتح مازندران انتقاما لدم أبيه ، وكان تيمور مستاء أيضا من الأمير ولى فزحف الى خراسان من بلاد ما وراء النهر للقضاء عليه والسادات القوامية فى (٧٨٦هـ) وأتى منها كبودجامه (فيما حول أشرف أو بهشهر الحالية) • وغلب تيمور الأمير وليا فى أحراش كبود جامه – وتعقبه الى الرى • وفى ربيع (٧٨٦هـ) بلغ السلطانية لضمها وكانت لابن

السلطان أحمد الجلايرى ، وفى أواخر هذه السنة استحوذ على قلعتهـا •
وفى بدايات (٧٨٧هـ) تحرك تيمور الى آمل وسارى فقدم كمال الدين مطيعا اليه فأبقى مازندران لأولاد قوام الدين وعاد الى سمرقند •

هجــوم الســنين الثــلاث (٧٨٨ ــ ٧٩٠هـ) : ــ

لاذ الأمير ولى بعد هجوم تيمور على جرجان والرى بالفــرار الى آذربايجان ودخل طاعة السلطان أحمد جلاير ، وبعد فترة أتى من طرفه الى عادل آقا حاكم السلطانية يدعوه الى طاعة السلطان الجلايرى ويغزو خراسان بعونه ، لكنه لم يخرج بشىء من مهمته هذه فعــاد الى تبــريز ونصب عليها من قبل الجلايرى •

وموافق هذه الأيام حمل توقتمش خان الذى أبلغه تيمور ســلطنة صحراء القبجاق فيما سبق على تبريز عن طريق الدربند فاستخلصها من يد الأمير ولى ونهبها وعاد الى صحرائه بعد فترة من التقتيل والنهب ومات السـلطان أحمد أثنــاء ذلك •

وحثت هذه الأنباء الأمير تيمور الى التحرك الى ايران فعبر جيحون (٧٨٨هـ) وقضى ثلاثة أعوام يقاتل ويذبح وينهب فى الولايات بعد شاطىء النهر المواجه لايران وقد سمى المؤرخون المعاصرون هذه الغــزوة التــى طالت ثلاث سنين بهجوم الســنين الثــلا ث •

وقبل بلوغ تيمور خراسان استصفى عاد آقا بعون أمراء ميرانشاه ابن تيمور وجنوده همدان والحق بها تبريز من يد أتباع أحمد جلاير وأسر (أمير ولى) فى كرمرود بآذربايجان وأهلكه • فوصل تيمور الى مازندران على عجل ، وبعد أن جدد طاعته كمال الدين القوامى وعلى الســربدارى قصد لصد الملك عز الدين اللورى (٧٥٠ ــ ٨٠٤هـ) وأصيب فى الهجــوم الذى قام به على خرم آباد على المؤيد آخر الأمراء السربداريين وهلك •
ولما سمع تيمور بعد أن أسر عز الدين أن أحمد جلاير آت من بغــداد الى

تبريز وجه ابنه ميرانشاه اليها ثم توجه هو نفسه اليها كـذلك • وخـلى السلطان أحمد تبريز وكر راجعا الى بغداد فتملكها تيمور بلا منازع ثـم ألحق بها فى ملكيته آخر صيف (٧٨٨هـ) أرمنية واسـتولى على تفليس بهجمة واحدة ودعا ملكها لقبول الاسلام وجلب شروان أيضا تحت تبعيته بادخال أمـيرها طاعتـه •

وفى أوائل ربيع (٧٨٩هـ) أرسل توقتمش خان ثانية بجنـد لـه الى أران وآذربايجان ، فتعقبهم ميرانشاه بأمر من أبيه الى الدربند واستأسر منهم كثيرا ، وخلع تيمور عليهم جميعا وأعادهم الى توقتمش وذكـره عن طريقهم بسوابق فضله عليه ودعاه الى ترك الخلاف •

وبعد فتح آذربايجان والكرج وشروان أخذ تيمـور مثل بايزيـد العثمانى بلاد أرمنية وأرزنة الروم وارزنجان أيضـا وبعـث ميرانشـاه يتعقب قرا محمد القراقويونلو رئيس تراكمة وان وبايزيد فهرب قرا محمد وفتح تيمور مدينة وان أيضا بعد حصار سبعة وعشرين يومـا وعـاد الى آذربايجان •

وفى بداية هجوم السنين الثلاث راسل تيمور سلطان زين العـابدين ولد شاه شجاع وخلفه يستدعيه اليه بموجب الوصية الـتى أودع بهـا شاه شجاع أولاده اليه ، فلم يأبه زين العابدين بطلبه ولم يدع مبعـوث تيمور يعود ، فغضب تيمور لهذا وقدم أصفهان لتأديبه عن طريق همـدان وكلبايكان • وطلب علماء أصفهان أمان تيمور وتعهدوا بأداء مال اليـه • فقبل تيمور وأرسل بعض أمرائه الى داخل المدينة لتحصيل المال ، فأنزل هؤلاء الأمراء فى جمعهم المال أذى كثيرا بأهل أصفهان ولم يرعـووا عن انتهاك حرمات أهلها • فثار الناس وقتلوا محصلى تيمور ونوابه فى جمـع المال بأسوأ حال وقامت ثورة عظيمة بالمدينة • وهاجم تيمـور أصـفهان وقت الغروب وظل يقاتل أهلها حتى صباح اليوم التالى فلما دخل أصـدر أمره بذبح أهلها وأمر فجمع له سبعون ألف جمجمـة فأقام منهـا هـذا

السفاك منارات من الجماجم فى المدينة بحيث أقيمت فى نصف قلعة أصفهان ثمان وعشرون منارة من ألف وخمسمائة رأس وفى النصف الآخر أقل قليلا خلاف المنارات خارج القلعة .

وبعد واقعة أصفهان الأليمة عزم الأمير السفاك الكوركانى الى شيراز وهرب زين العابدين المظفرى كما مر منها فزعا واعتصم بشوشتر لدى شاه منصور فحبسه بها . وفى أواخر (٧٨٩هـ) دخل تيمور شيراز بلاأى ، ولما وصلت مسامعه أخبار عصيان توقتمش خان فى هذا الوقت قام بتقسيم البلاد المظفرية بين شاه يحيى وعماد الدين أحمد أبى اسحاق حفيد شاه شجاع وعجل الى سمرقند .

الصراع بين تيمور وتوقتمش (٧٩٠ ـــ ٣هـ) :

فى أيام هجوم السنين الثلاث قصد قمر الدين دوغلات الى توقتمش لينتقم لهزائمة السابقة فأوعز اليه أن يجعلا بلاد تيمور من الناحيتين موضع هجومها .

وهاجم قمر الدين من ناحية فرغانه وتوقتمش من جهة بخارى بلاد ما وراء النهر فى (٧٩٠هـ) وثار أهل حوارزم بتحريض توقتمش على اتباع تيمور . أما قمر الدين فقد لقى الهزيمة من عمر شيخ ولد تيمور ولما سمع توقتمش برجوع تيمور هرب الى صحراء القبجان ، فبلغ تيمور خوارزم ، وقام بتخريب هذه المدينة الى حد أنه لم يسكن فيها حائط يستراح تحت ظله وزرعوا الشعير فوق أطلالها ، ولم يسكنها واحد الى عام (٧٩٣هـ) حين أمر تيمور باعادة تعميرها . وفى أواخر نفس عام (٧٩٠هـ) مات سيور غتمش خان الذى اختاره تيمور فى (٧٧١هـ) على سلطنة ما وراء النهر وجعل الأمير الكوركانى محمود خان ولد سيور غتمش حاكما بعد أبيه مراعاة فيما يبدو لحقوق أولاد جغتاى .

وفى شتاء (٧٩١هـ) هاجم توقتمش خان مرة أخرى ما وراء النهر

لكنه هزم أيضا من عمر شيخ وتعقبه تيمور حتى أرض المغول وصحراء القبجان وعاد الى سمر قند بعد غزو وقتال فيهما وتحرك فى منتصف صفر (٧٩٣هـ) الى صحراء القبجاق بعد الاستعداد لهجوم قاطع ، وفى الخامس عشر من رجب لنفس العام أنزل على شاطىء اتل (الفولجا) الأيسر بتوقتمش هزيمة فادحة وعاد الى عاصمته بغنائم وأسرى كثيرين •

هجوم السنين الخمس (٧٩٤ ـ ٧٩٨هـ) :

ولما عاد تيمور من صحراء القبجاق أناب ابنه ميرانشاه فى حكم خراسان وحفيده « بير محمد » فى حكم غزنة وكابل ، وبعد خلاصه من مرض شديد أصابه قصد ايران فى رمضان (٧٩٤ هـ) لاخماد الثورات التى شبت بها وظل يقاتل فيها خمسة أعوام وتسمى حروبه هذه بهجوم السنين الخمس • وأتى تيمور أولا الى جرجان ومازندان وكان السيد كمال الدين القوامى قد آثر العصيان فغلب تيمور جنده وأرسل بالسيد فى سفينة الى خوارزم • وبعد قضاء الشتاء بمازندران اتجه فى صفر (٧٩٥هـ) الى شوشتر عن طريق الرى والسلطانية وكرهرود (سلطان آباد العراق) وفرشاه منصور المظفرى من أمامه وكان استقل بشوشتر فى ذلك الوقت صوب شيراز فذهب تيمور فى اثره اليها •

وأورد تيمور كما مر بنا فى تاريخ شاه منصور بالأمير الشجاع المظفرى فى حرب ضروس قرب شيراز مورد الهلاك وأدرك أسرة آل المظفر وترك فارس الى عمر شيخ وعاد الى أصفهان • وبعد عدة أيام من اقامته بها توجه الى آذربايجان وعراق العرب لمقاتلة السلطان احمد جلاير وقراقويونلو •

وتمكن تيمور من قرا محمد والآق قويونلوية فهزمه بشدة وفى شوال (٧٩٥هـ) تحرك تجاه بغداد •

وأخلى السلطان أحمد بغداد ولم يك يطيق مقاومة تيمور وهرب الى

الشام ويمم تيمور الى فتح قلعة تكريت التى صارت وقتها عش فساد لعابرى السبيل والقوافل ففتحها بعد لأى شديد وجعل من رؤوس المدافعين عنها منارات ، وبعد أن أدخل طاعته واسطا والبصرة سلك طريق الجزيرة • وفى هذا السفر أصاب سهم قاتل فى ربيع الأول (٧٩٦هـ) عمر الشيخ اثناء قدومه لملاقاة أبيه على بعد أربعة منازل من بغداد من سهام أهل هذا المكان ، فأرسل تيمور بابنه بير محمد خلفا لأبيه الى حكومة فارس •

وأمضى تيمور بقية عام (٧٩٦هـ) فى فتح بلاد أرمنية والكرج وضرب التركمان وبلغ العراق العربى بقضاء الشتاء ، وفى هذا الحين بلغه خبر هجوم توقتمش خان على الدربند وأران مجددا فخف تيمور اليهما على جناح السرعة وهاجم صحراء القبجاق منهما •

وفى هذا السفر الذى بدأ فى ربيع الثانى (٧٩٧هـ) أنزل على ضفاف نهر (ترك) فى شمال القفقازنة بتوقتمش هزيمة ثانية وترك فى عقبه ولايتى الشركس والقزاق ودخل روسيا واستولى أيضا على مدينة (موسكو) وبعد اغارته عليها رجع الى آذربايجان • ثم عمل على اخماد الفتن التى شبت فى غيابه فى نهاوند وسيرجان ويزد وآذربايجان وحين ذاك ترك حكم آذربايجان الى ميران شاه وقصد الى سمر قند فى شوال (٧٩٨هـ) وحول فى السنة التالية حكم خراسان وهراة كذلك الى شاهرخ ابنه الثانى •

فتح الهند فى (٨٠١هـ) : —

عاد تيمور من هجوم السنين الخمس وكان أول ما فكر فيه بعد ذلك أن يغزو الخطا والختن أى ما وراء كاشغر والصين الأصلية ، لكن لا يعرف لماذا قدم على هذا الغزو فتح الهند فى هذا الآن ، ووصل الى كابل بنية جهاد كفار ذلك البلد فى غرة ذى الحجة (٨٠٠هـ) وبعد

قتال مع الأفغانيين فى جبال سليمان عبر وادى خيبر ثم عبر السند أوائل (٨٠١هـ) •

وكان حكم السند والبنجاب فى هذا الحين للسلطان محمود الثانى من ملوك التغلقيين أو أسرة أبناء محمد تغلق وكان مقره مدينة دهلى •

لما عبر تيمور نهر السند بدأ بحصار قلعة (بطنير) من قلاع البنجاب الهامة وبعد ستة أيام اجتاحها فى السابع والعشرين من صفر وقتل نحو عشرة آلاف من الهنود ثم اتخذ سبيله الى دهلى •

وتواجه جيش تيمور والسلطان محمود فى السابع من ربيع الثانى (٨٠١هـ) فى (بانى بت) على مقربة من دهلى ، وفى هذه المعركة التى كان النصر الكلى فيها لتيمور قتل نحو مائة ألف من أهل الهند بيد جنودهم وهرب السلطان محمود الى دهلى ودخلها تيمور فى العاشر من ذلك الشهر وأخذ جنوده ينهبون المدينة ومكثوا بها خمسة عشر يوما • وحين بلغ تيمور أنباء ثورات نشبت بايران عجل يترك دهلى فقسم بلاد آل تغلق بين قواد جيشه وعاد الى سمرقند عن طريق أفغانستان •

هجوم السنوات السبع (٨٠٢ـ ٨٠٨هـ) :

حينما انقلب تيمور الى سمرقند أنبىء أن ابنه سقط من على جواده فأصيب بارتجاج شديد فى مخه فصار يصدر عنه أمور شاذه (١) ولهذا سلك الرعايا المغلوبون فى الكرج وآذربايجان والعراق طريق العصيان ، فتأهب تيمور بحملة جديدة على ايران وبلادها الغربية وزحف اليها • وغزواته هذه التى تسمى بهجوم السنوات السبع هى آخر حروب له •

---

(١) يميل فامبرى الى ان ميران شاه كان يعانى من الهذيان وأن مؤرخيه بررو سلوكه الشاذ باصابته فى مخه اثر سقوطه من فوق فرسه ، وقد روى عنه أنه أمر يوما بهدم دور كثيرة ومساجد وغيرها من المنشآت لا لشىء الا لأن يذكره الناس بتدمير كل شىء باعتباره ابن أعظم رجل فى الدنيا ولابد أن يشتهر باى شىء . راجع تاريخ بخارى ص (٢٣٣) حاشية (١) .

وكانت الخطوة الأولى فى هجوم الأعوام السبعة وصوله الى تبريز وبعد تنبيه حاشية ميرانشاه وندمائه وتنظيم أوضاعها قصد الكرج لقتال اهلها الذين استفادوا من الظروف التى جدت فهاجموا آذربايجان • وبعد أن أوقف الكرجيين على حدودهم وهاجم بلادهم أخبر من آذربايجان ان السلطان العثمانى (بايزيد خان الأول) (٧٩٢ – ٨٠٨٥ هـ) طلب من والى هذا البلد المال والخراج • وتبادل الجانبان مراسلات يهدد فيها كل منهما الآخر وانتهت بتقدم تيمور أوائل المحرم (٨٠٣هـ) الى سيواس من بلاد الروم ، وبعد حصار عشرة أيام عصف بها واستولى على مدينة ملطية والسواحل الجنوبية للبحر الأسود أيضا وترك هذه البلاد لجد التركمان الآق قويونلو وهو قرا عثمان البايندرى وعرج على الشام •

فى (٧٩٥هـ) أثناء هجوم السنوات الخمس حينما كان تيمور فى ايران وجه سفيرا من لدنه الى سلطان مصر الملك الظاهر برقوق من المماليك البرجية يظهر له مودته ، فأردى الملك الظاهر مبعوث تيمور قتيلا واستأسر حارس احد قلاع أرمنية عن عريق قرا يوسف بن قرا محمد وأتى به الى مصر وألقاه بالسجن •

فلما فتح تيمور ملطية أرسل الى ولد وخلف الملك الظاهر الملك الناصر فرج (٨٠١ – ٨٠٨هـ) رسلا يطلبون اطلاق سراح قائد القلعة المحبوس، فلم يبال الملك الناصر بدعوة تيمور كما فعل أبوه من قبل بل أودع رسله السجن ، فلما بلغ تيمور هذا الخبر ركبه الغضب حتى أنه عد الحملة على الشام ومصر أهم من تعقب السلطان العثمانى ، فتقدم من الجزيرة الى حلب مباشرة وفى التاسع من ربيع الأول (٨٠٣هـ) بلغ قلعة هذه المدينة وفتحها فى الحادى عشر منه وأغار على المدينة ونهبها وسلك طريق دمشق بعد مكث خمسة عشر يوما •

وكانت دمشق اذ ذاك مركز معسكر الملك الناصر وبلغ هذا السلطان بجيش كثيف من مصر دمشق بطلب أهل الشام • ولم يكن بالغد للأمير

تيمور فبعد حرب قصيرة هرب من الشام الى مصر فسلم أهل دمشق لتيمور خوفا من الذبح ، فأمنهم تيمور ، وبعد قليل أمر بنهب دمشق مركز النفائس وسوق الثروة والأمتعة القيمة متذرعا بأسباب غير وجيهة فقامت فيها فتنة عظمى أصاب في نتيجتها هذه المدينة الجميلة وأهلها ضربات شديدة •

وبعد فتح الشام عاد تيمور الى العراق ليقتلع جذور فساد السلطان احمد جلاير الذى لم ينغلب اليه تماما وكان دائم الظلم والجور لرعاياه وليضم عاصمته بغداد الى بلاده •

في أيام انشغال تيمور في الهند وغزواته في بلاد الكرج وسيواس والشام وفق أحمد جلاير بمؤازرة قرا يوسف التركمانى في أن يستعيد الجزيرة وبغداد لكنه كان كثير الظلم فطرده رعاياه عن بغداد فارتحل السلطان احمد الى الموصل وعاش بها مع قرا يوسف تحت حماية السلطان العثمانى بايزيد خان •

هاجم تيمور بغداد مع مقاومة واليها الشديدة في السابع والعشرين من ذى القعدة (٨٠٣هـ) وأمر انتقاما لقتل بضعة نفر من قواده كانوا قد قتلوا اثناء حصارها باعمال الذبح فيها اذ جعل كل جندى في جيشه البالغ عشرين ألفا يضرب عنق بغدادى ويعطيها اليه ففعلوا كما أمر وفي هذه الواقعة خرب كثير من الأبنية والمدارس والمساجد ببغداد •

ولما فرغ تيمور من فتح بغداد وسائر بلاد العراق شد رحاله الى قرا باغ لتمضية الشتاء بها وهناك هيأ أموره للحملة على بلاد الروم وقتال بايزيد خان •

حرب أنكورية في التاسع عشر من ذى الحجة (٨٠٤هـ) :

بعد أن عاد تيمور من العراق هاجم قرا يوسف التركمانى بغداد لكنه هزم من أبى بكر حفيد تيمور ووالى العراق فلاذ بالسلطان بايزيد خان

وحرض السلطان على ايذاء الأمراء الأناضوليين الذين رضوا بحماية تيمور وتبعيتهم له • ولم يلق السلطان بايزيد فكرا لتقوية جيشه ولا بالا لمنع تيمور لاغتراره بفتوحاته السابقة فى الأناضول مع هزيمته فى سيواس والفرصة التى لاحت له عندما كان تيمور منشغلا بحروب الشام والعراق ، وكان منهمكا فى الصيد والقنص حتى قبل المعركة بثلاثة أيام ولما انتوى الاسراع لصد تيمور هلك من جنوده نحو خمسة آلاف عطشا نتيجة ما دبره تيمور اذ قطع عليهم طريق الماء •

وشبت الحرب فى التاسع عشر من ذى الحجة (٨٠٤هـ) جنوب غربى مدينة انكورية أو انقرة (عاصمة تركيا الحالية) ودامت من الصباح حتى المساء فى حرارة الصيف • وأجبر السلطان بايزيد على الفرار مع استبساله فى المقاومة بسبب القيظ وهلاك جميع جيشه لكنه وقع فى الأسر فتلقاه تيمور بالاحترام واحتفظ به معه وظل السلطان فى جيش تيمور الى ان وافاه أجله فى شعبان (٨٠٥هـ) •

وبعد فتح ولايات الأناضول وصل تيمور حتى أزمير وشاطىء البحر المتوسط وهناك أتاه مبعوث الملك الناصر فرج الذى حل به الفزع لفتوحات تيمور وأظهر له تبعية ملكة للأمير صاحب العراق وقبل الملك الناصر من هذا الوقت أن يخطب لتيمور ويسك عملته باسمه •

وعاد الأمير تيمور بعد هذه الانتصارات الى قرا باغ وبعد تمضية الشتاء فيها توجه الى مازندران فحطم ثوارها وفى المحرم من (٨٠٧هـ) بعد سبعة أعوام عاد أدراجه الى سمرقند •

وفى (٨٠٥هـ) أى فى الهجوم على بلاد الروم مات السلطان محمود خان بن سيورغتمش آخر بقية الحكام الجغتائيين والذى رفعه تيمور قبل ذلك الى السلطة وكان يجالد بسيفه — أى تيمور — باسمه فى الظاهر أو قتل فى رواية اخرى بأمر تيمور • ولم يختر تيمور خانا فى محله وأمر أن تجرى الخطبة والسكة باسمه ، ومن هذا الأوان أصاب تيمور فى الحقيقة مقام السلطنة •

موت تيمور فى السابع عشر من شعبان (٨٠٧هـ) :

ولما عاد تيمور الى سمرقند زوج بضعة نفر من أحفاده واحتفل سرورا بهذا الأمر وبالفتوحات التى صارت نصيبه احتفالات طويلة وتأهب لمهاجمة الصين والتى كان فكرة فتحها تراوده قبل غزوه الهند •

وبعد اعداد مائتى ألف رجل ومثلهم فرسان زحف تيمور ومعه بضعة من قواده وأحفاده فى الثالث والعشرين من جمادى الأولى (٨٠٧هـ) صوب شاطىء سيحون • واتفق أن كان الشتاء فى ذلك العام شديد البرودة حين قام تيمور قبله بقليل من مرض ألم به ، فأصيب بالبرد فى (أترار) (فاراب القديمة) على شاطىء سيجون ولما كان أفرط فى شرب العراق سقط مريضا فى حالة خطيرة ، وهناك حل بل المنون فى السابع عشر من شعبان (٨٠٧هـ) فى سن الحادية والسبعين ودفن بها •

مع أن الأمير تيمور أحد أعاظم الفاتحين والغزاة ومن القواد المحنكين المتدبرين وليس فى هذا ريب الا انه يقل نظيره فى القسوة والعنف والفظاظة والدهاء • ولا تصح مقارنته بجنكيز لأن جنكيز كما نعلم فضلا عن جمعه الصفات اللازمة لتملك البلاد وفتحها يمتاز بصفتين الأمير تيمور خلو تماما منهما الأولى صفة ادارة البلاد المفتوحة ورعاية العدالة والقانون والنظام والترتيب والثانية خلوه من التعصب الدينى وحياده فى مسألة الأديان والمذاهب عند الرعايا المهزومين فى حين أن أعذار تيمور فى غزوه الهند والصين ونهب دمشق كانت أعذارا دينية وكان يفرق فى تذبيحه للمهزومين بين المسلم والمسيحى (١) •

---

(١) القول ان تيمور كان يتذرع لحروبه بتذرعات دينية ينقصه الدقة لأن مثل هذا السفاك كان يهمه اولا وقبل كل شىء لغزو البلاد ما فيها من خيرات وما يجره فتحها من تمكن سياسى يدفعه حبه للسفك المعهود فيه ولم يأخذ فى اعتباره وقت الغزو أو الذبح اى دين او مذهب فقد قاتل فى الهند المسلمين وغير المسلمين ولم يفرق بين مسلم او بوذى وأغار على دمشق ونهبها ولكن لم تبلغ مآسى ولا فظائع بغداد فلم يفرق بين سنى أو شيعى ولم تر بلاد الكرج دارمنية المسيحية ما رأت اصفهان او هراة المسلمتان فأنى لتيمور مراعاته الدين والمذهب فى غزوه وسفكه ؟ .

وبعثت هاتان الصفتان الموجودتان فى جنكيز والمنعدمتان فى تيمور على أن تدوم دولة الأول خلاف دولة الثانى فترات بعد موت مؤسسها ، وأن يحفظ أولاد جنكيز البلاد الواسعة التى فتحها وامتدت من المحيط الهادى حتى البحر المتوسط فى كمال انتظام ونظام وترتيب تحت أمرهم نحو قرن فى حين أن دولة تيمور كانت كدولة نادر الأفشارى فى سرعة تفسخها مرة واحدة بعد وفاة مؤسسها ولم يستطع واحد من بعد تيمور ممن خلفوه أن يحافظ على هذه البلاد تحت نظام وادارة سليمين .

قل اتساع البلاد التيمورية عن الجنكيزية بقليل لأنه اذا كان تيمور قد زاد عن بلاد جنكيز ضمه للهند وجزءا من روسية لكنه لعدم تمكنه من فتح الصين لم يصل اتساع ملكه الى درجة وسعة البلاد الجنكيزية .

ولم يدع استبداد تيمور بالأمر وعدم اعتنائه بالأمور الادارية لبلاده أن يبرز فى عهده وزراء عظام كأيام السلاجقة والايلخانات . أما من شغلوا فى أيام تيمور الوزارة أو الأعمال الديوانية الأخرى فقد كانوا أناسا مجهولين عد أغلبهم منشئين خاصين بهذا الأمير ولم يشاهد منهم أى نوع من الكفاءة فى ادارة البلاد وقد أهلك أغلبهم تيمور نتيجة لأقل خلاف كان يصدر منهم (١) .

---

(١) فى قول المؤلف تجانف الى حد كبير لأن تيمور معروف أنه له مجموعة من القوانين هى المسماه (توزوكات تيمور) أى مراسيمه (توزوك فى التركية تعنى المرسوم والقانون) فوق أنه ضمنها سيرته وهى تتصل بالياسا المغولية . ومن هنا نقل قوانين جنكيز خان الخاصة بالنظم العسكرية فى البلاد واحتفظ بالرتب العسكرية المغولية كرتبة تومان أغاسى (قائد العشرة آلاف) ويوزباشى (قائد المائة) وأونباشى (قائد العشرة) . وبقى نظام الحكومة على حاله اللهم الا قوانين المكوس فقد عدلت وفق الشرع الاسلامى . واقتبس تيمور قواعد السلاجقة والخوارزميين لمنح الرتب فأخذ عن الأخيرين رتبة بكلربكى أو أمير الأمراء . ولم تكن الادارة المدنية على ما ورد فى توزوكات تيمور بأقل نظاما من الادارة العسكرية التى يرجع اليها الفضل فى فتوحات تيمور الواسعة ، فكان على رأس هذه الادارة ديوان بيكى (كبير الحجاب) يعاونه ارزبيكى (الحاجب) وأربعة من الحجاب وكان احد هؤلاء الوزراء يوكل به شئون الخراج والمكوس والشرطة .

=

مادة تاريخ ولادة وخروج وموت الأمير تيمـــور

السلطان تيمور الذى كان نسـيج وحـده
ولـــد فى ســـت وثلاثين وســـبعمائة
وخرج فى الواحـدة والسبعين والسبعمائة
وودع العالم فى السابعة بعد الثمانمائة (١)

= أما الثانى فكان يناط به أمر مدفوعات الجند وتموينهم ، فى حين كـان يختص الثالث بسجلات واحصائيات الجيش والمواريث والرابـــع بنفقات البــلاط السلطانى . وكان كبار الموظفين يوكل لهم تنفيذ القوانين وجمع الخــراج فى رفق بالناس ما وسعهم ذلك . والمفروض أن استخدام السوط كان ممنوعـــا منعا باتا حتى لدى تيمور يقول ان الحاكم الذى يهاب الناس سوطه اكثر من شخصه غير جدير بمنصبه . انظر تاريخ بخارى ص ٢٠٧ وحاشيـة ٣ ، ص ٢١٥ ــ ٢١٦) .

(١) اصل الأبيات بالفارسية : ــ
سلطان تمرآنكه مثـل او شـــاه نبـــود
درهفتصد وسى وشش آمـد بوجــود
در هفتصد وهفتاد ويكى كرد خـــروج
در هشتصد وهفت كرد عـــالم بـــدرود

الفصل العاشر

خلفاء تيمور

(٨٠٧ ـ ٩١١ هـ)

كان للأمير تيمور أربعة أولاد هم :

١ ـ الأمير غياث الدين جهانكير وقد مات فى أوائل ظهور أبيه بسمرقند وأعقب ولدين هما السلطان محمد ولى عهد تيمور ومات فى هجوم السنين السبع أى فى شعبان (٨٠٥) والثانى بير محمد الذى فوض اليه حكم غزنة والهند وولاية عهد تيمور وقد قتله أحد أمرائه بعد موت جده .

٢ ـ الأمير معز الدين عمر شيخ حاكم فارس وقد مات أيضا فى حياة أبيه كما مر بنا اذ قتل فى (٧٩٦هـ) على بعد أربعة منازل من بغداد .

٣ ـ الأمير جلال الدين ميرانشاه حاكم آذربايجان والعراق والجزيرة الذى أصيب فى أواخر أمر تيمور باختلال فى مخه واستمر يحكم فى ملكه بعد أبيه حتى (٨١٠هـ) مع وجود هذا المرض به وفى النهاية كما سيمر قتله فى العام الأخير قرا يوسف التركمانى .

٤ ـ الأمير معين الدين شاهرخ أفضل وأشهر أولاد الأمير الكوركانى الأربعة وهو الذى جلس بعد موت أبيه على سلطنته رسما (٣)

---

(٣) مع أن تيمور وابناءه كانوا من الترك وكانت التركية شائعة جدا =

ولما مات تيمور كان له ستة وثلاثون عقبا ذكرا من أولاده وأحفاده ، ولكى يحول بين أعقابه والنزاع على حكم البلاد قسم بلاده بينهم فى حياته الا أن تدبيره لم يؤثر لأن الحرب احتدمت ما بين ولديه الباقين ميرانشاه وشاهرخ وأحفاده الكثيرين بعد موته مباشرة واستولى كل من الولدين بالتدريج على أجزاء من أملاك أولاد أخويهما ، وتألفت من البلاد التيمورية الواسعة دولتان كبيرتان احداهما دولة ميرانشاه وابنيه أبى بكر ومحمد عمر فى ايران الغربية والعراق والجزيرة وأران والكرج وأرمنية ، وثانيهما دولة شاهرخ فى خراسان وهراة وما وراء النهر • وأسرعت الأيام بزوال دولة ميرانشاه بعلة سفاهته وثورات ولديه وقوة آل جلاير وتراكمة القراقويونلو فى حين أن دولة شاهرخ دامت فترات نتيجة لكفاءته وعقله وخبرته الأمور وغدا بلاطه وبلاط خلفائه من أفضل مراكز العلم والأدب والفنون وبرزت فترة لألاءة أخرى على اثر وجوده ووجود ابنائه فى تاريخ حضارة ايران •

١ و ٢ ـ السلطان خليل وشاهرخ

(٨٠٧ ـ ٨٥٠ هـ)

مع أن شاهرخ اختاره أبوه فى (٧٩٩هـ) لحكم خراسان وسيستان ومازندران فقد أقل الاقامة فى حوزة حكمه وكان أكثر أوقاته مرافقا لأبيه فى غزواته الا حين سيره الى هراة لادارة حكومتها فى رجوعه من غزو الأناضول ، ولما مات تيمور كان شاهرخ مقيما بهراة • ولما علم بموت

فى بلاطهم بقول فامبرى الا انهم لم يستطيعوا التخلص من الفارسية حتى فى أسمائهم ، فالابن الاول لتيمور (جهانكير) يعنى اسمه الفارسى هذا المستولى على الدنيا) والابن الثالث (ميران شاه) يعنى اسمه (ملك الامراء) والرابع (شاهرخ) يعنى اسمه الشاه الرخ ، وابن الولد الأول له وهو (بير محمد) يعنى اسمه الشيخ محمد وغير ذلك من اسماء الامراء والقواد .

أبيه بقى فى بلاده ولم يفكر لسلامة نفسه وحبه السلام فى منافسة أخيه وابنـاء أخويه .

ورشح الأمراء التيموريون المقيمون باترار بعيد موت سيدهـم (ميرزا خليل) ولد ميران شاه حاضرهم بالمعسكر للسلطنة مع أن تيمـور عين بير محمد ولد جهانكير لولاية عهده وأجلس فى الرابع من رمضـان (٨٠٧هـ) فى سمرقند على عرش السلطنة التيمورية وكانوا يعتقدون أنه سوف يمضى غزو الصين وهم معه تحت امرته .

وقد دفع انتخاب ميرزا خليل للسلطنة بير محمـدا لمناهضة ابـن عمه ، وكان حاكم فارس وأخوه ميرزا رستم حاكـم اصفهان وأخـوه الثانى ميرزا اسكندر مالك همذان ، فقرر بعد مشاورة أمرائه أن يتجـه رغم أنف ميرزا خليل وأبيه ميرانشاه الى شاهرخ عمه وزوج أمه ليدعوه الى السلطنة . وقبل شاهرخ هذا الطلب وأبقى بير محمدا من جانبه على حكم فارس وقام بنهاية الكفاءة والعدالة بتصريف أمور ذلك الجزء من ايران ونشر الأمن والعدل فيه .

وواجهت سلطنة ميرزا خليل فيما وراء النهر مشاكل كثيرة لأن فئة من الأمراء والناهضين لتحكيم وصية تيمور رفعوا رؤوس العصيان وكان مسلك ميرزا خليل غير مرض مما جعل شاهرخ يزحف الى ما وراء النهـر لتأديب ميرزا خليل والاستحواذ على خزائن أبيه التى استلبها خليـل . وأرسل خليل سفراء الى شاهرخ حينما كان ببلخ يظهر له الطاعة وسير له جزءا من خزائن تيمور . فصدق شاهرخ على سلطنة خليل عـلى ما وراء النهر وعـاد الى خراسان . أما بير محمد فلم يكف عن دعـواه وجرد جيشه لمهاجمة ما وراء النهر لكنه غلب وهرب الى قندهـار وكـان بصدد هجوم آخر حين أصاب منه أحد أمرائه وكان وزيرا له مقتـلا فى (٨٠٩هـ) .

وعزل خليل بعد فترة بيد أحد أمرائه الأقوياء ثم حبس واستولى

خان كاشغر على ما وراء النهر . وقصد شاهرخ هذا الطرف لاصـلاح أموره وأرسل ميرزا خليلا لحكومة العراق وأناب ابنه ميرزا ألغ بيك فى حكم ما وراء النهر فى (٨١٢ هـ) وظل خليل بحكم العراق الى أن مات فى (٨١٤هـ) .

كان تيمور قد ولى فى حياته فى حكومة ايران الغربيـة والجـزيرة والعراق وأران وأرمنية والكرج كما ذكرنا جلال الدين ميرانشاه فلمـا اختلط أشرك ولديه أبا بكر ومحمدا عمر فى الحكم مع أبيهما وترك اختيار جميع الأمور لمحمد عمر ابن ميرانشاه الأصغر . وبعد قليل قيد محمد عمر أخاه أبا بكر وأرسله لسجن السلطانية ولاذ ميرانشاه بخراسان .

وبعد فترة هرب أبو بكر من السلطانية وأتى أباه وحثه على العودة الى آذربايجان وهناك فى الحرب التى اشتعلت فى الرابع والعشرين من ذى القعدة (٨١٠هـ) بينهم وبين قرا يوسف التركمانى أصيب ميرانشاه بالقتل واستدعى اهل تبريز أبا بكر على رغم أنف محمد عمر اليها .

وثار محمد عمر الذى طرد من عام قبل حكمه واعتصم بشاهرخ على عمه فلما غلب فى الحرب وجرح وافاه أجـله فى ذى الحجـة (٨٠٩هـ) وهرب أبو بكر أيضا بعد هزيمتين من قرا يوسف الى كرمان وقتل فيها فى (٨١٠هـ) . وبهذا زال ميرانشاه وولداه أبو بكر ومحمد عمر ثلاثتهم فى سنوات متقاربة ومات الابن الثالث لميرانشاه وهو ميرزا خليل على نحو ما سبق فى (٨١٤هـ) فى حكمه العراق بعد أن أخلى من سلطنة مـا وراء النهـر .

وفى (٨١٠هـ) أوقع شاهرخ ببير بادشاه الطغا تيمورى هزيمـة شديدة ، ولما وقع الخلف بين أولاد أخيه عمر شيخ ميرزا اسكندر وميرزا رستم وميرزا بايقرا الذين حكموا على فارس وهمدان واصفهان ذهـب شاهرخ لتهدئتهم وفى (٨١٧هـ) أخذ اصفهان من ميرزا اصفهان وأعطاها لميزا رستم . وبدأ رستم مع وصاية شاهرخ بسمل أخيه ثـم قتلـه فى

(٨١٨هـ) ، وبما أن ميرزا بايقرا عصى شاهرخ بدوره فى شيراز فقد قام شاهرخ بطرده عنها وترك فارس لابن له اسمه ابراهيم سلطان ٠

وبعد أن خلصت ما وراء النهر وجرجان وسيستان وكرمان وفارس وعراق العجم قصد شاهرخ الى آذربايجان للانتقام لقتل أخيه ميران شاه من التراكمة القراقويو نلو فى (٨٢٣هـ) فتقدم اليه قرا يوسف لكن قبل احتدام الوغى مات قرا يوسف فجاءة فأمضى والداه الاسكندر وجهانشاه الحرب مع شاهرخ فغلبا وفقدا الرى ٠ وفى الحرب الثانية التى جرت فى (٨٣٢هـ) والثالثة التى وقعت فى (٨٣٨هـ) كانت الغلبة فى اثنتيهما لشاهرخ ، وبعد الحرب الثالثة قبل جهانشاه طاعة شاهرخ وولاه من طرفه حكم آذربايجان وهرب الاسكندر ٠

وبعد انتهاء أمر التراكمة القراقويونلو لم يقم شاهرخ بغزو هام بعد ذلك وأمضى بقية أيامه فى التعمير والحفاظ على العلاقات الودية مع بلاد الأطراف كالصين والهند والتبت ٠

وشاهرخ أحد أفضل الملوك الذين تسلطنوا على ايران فقد اتصف فوق تدينه وتقواه وعدالته ومسالمته ببالغ كرمه وحبه للعلم وطلبه للأدب وتشجيعه الفنون وتعميره فقد رمم كثيرا من الخرائب التى وقعت من أبيه تيمور ٠ وفى مدة ثلاثة وأربعين عاما من الحكم مع أنه لم يقدم على الحرب فى وقت ما بقصد التملك الا انه كان يخوض الحرب كلما وقعت بتعقل شديد وكان يخرج ظافرا فى كل حروبه تقريبا ٠

وكان ينظم الشعر ويخط حسن الخط وكانت هراة فى عصره مركزا تجمع العلماء والأدباء والشعراء والخطاطين والرسامين فوق أنه أسس بها مكتبة ضخمة لاسيما وأنه أمر بتأليف عدد من أفضل الكتب التاريخية الفارسية وبتشجيع من هذا الملك المحب للفضل والفن وقد تتابع هذا العمل فى عهد أولاده وأكمل أوائل العصر الصفوى ٠

وكانت احدى نسوة شاهرخ وهى جوهر شاد آغا مشهورة بانشاء

الآثار الخيرية وأقامت في هراة ومشهد طوس بضعة مبان أشهرها مسجد جوهر شاد (أرض أقدش) .

٣ و٤ ميرزا علاء الدولة وميرزا الغ بيك
(٨٥٠ - ٨٥٣هـ)

لم يبق بعد شاهرخ من أولاده الخمسة غير ميرزا ألغ بيك ومات بقيتهم في حياته . وأشهر هؤلاء الأولاد غير ألغ بيك غياث الدين بايسنقر (٧٩٩ - ٨٣٧هـ) الذي تخلى عن الملك وحكم تبريز واستراباد بسبب أنه كان صاحب ذوق فاضلا محبا للأدب والجمال وصرف عمره في جمع الكتب والاختلاط بأهل الفضل والأدب وكان بلاطه محل تجمع الرسامين والخطاطين والموسيقيين والشعراء واهل الأدب والفضل وكان نفسه ماهرا في القريض وأنواع الخط الجميل خاصة ، وهو الذي جمع شاهنامه الفردوس ثانية ونظم منها الشاهنامة البايسنقرية . توفي بايسنقر في السابع من جمادي الأولى (٨٣٧هـ) ودفن بمسجد جوهر شاد بمشهد .

وبعد أن وصل خبر وفاة شاهرخ الي سمرقند جلس ألغ بيك مكان أبيه على العرش ومع أنه لم يطل في سلطنته لكنه أنشأ طوال مدة حكمه على ما وراء النهر التي بلغت ثمانية وثلاثين عاما (٨١٢ - ٨٥٠هـ) في سمرقند بلاطا ضارع بلاط أبيه وأخيه بايسنقر وكان على علم دقيق بأقسام العلوم الرياضية وكان يقضي الشطر الأعظم من أوقاته في المرصد الذي شيده بسمرقند ، وفي (٨٢٣هـ) نظم بعون جماعة من فحول العلماء الرياضيين وعلماء الهيئة على عهده من مثل صلاح الدين موسى قاضي زاده الرومي ومولانا علي القوشجي وغياث الدين جمشيد الكاشاني الزيج المعروف بالألغبيكي الذي انبنى على أصوله استخراج التقاويم حتى عهد قريب (١) ، هذا فضلا عن تشجيعه أهل الفضل والأدب والفن .

---

(١) تنقسم جداول زيج الغ بيك إلى اقسام اربعة وتتناول : مختلف العصور والمناطق ، المواقيت ، مسالك النجوم ، ثم مواقع الأجرام الثابتة (تاريخ بخارى ص ٢٦٨ ح ١) .

لكنه خلافا لذلك لم يرمنه كفاءة جمة حتى انه لقى هزيمة فى زمـن حياة أبيه أى فى (٨٢٨هـ) من المغول الأوزبك ، ولم يوفق أيضا فى وقائع عهد حكمه .

وبمجرد وصول خبر موت شاهرخ وقد لقى منيته حول الرى أعلن حفيده ميرزا علاء الدولة ولـد بايسنقر سلطانا فى هراة وقبض على ابن ألغ بيك وهو ميرزا عبد اللطيف وألقى به فى السجن . وأنفذ ألغ بيـك رسلا الى ابن أخيه ليخلصوا عبد اللطيف . وعقد الصلح بين الطـرفين ببقـاء ميرزا علاء الدولة فى حكم هراة وبعودة عبد اللطيف الى سمرقند لدى أبيـه .

وفى (٨٥٢هـ) طرد ألغ بيك بعون أولاده علاء الدولـة عن هـراة فاعتصم بأخيه ميرزا بابر بشيراز وعاد بعونه الى خراسان ..

وبعد أن قتل ألغ بيك أهل هراة لاتهامهم بعدائه وانحيازهـم الى التراكمة القوا قويونلو تقدم لجد الأوزبك الى سمرقند فأتى ميرزا بابر الى هراة ورقى عرش شاهرخ وسمل علاء الدولة الذى بقـى بقيـة حياته ولم يكن فى عمى كامل حتى عام وفاته (٨٦٥هـ) يطرق هذا الباب وذاك الباب الى أن لقى حتفه على ضفاف الخزر .

وثار ميرزا عبد اللطيف على أبيه فى (٨٥٣هـ) فى بلخ وكانـت لـه الغلبة فى الحرب التى جرت بينهما بل سقط ألغ بيك أسيرا فى يد ابنه ، وأمر عبد اللطيف بأبيه فقتل بيد أحد خـدمه فى العـاشر من رمضـان (٨٥٣هـ) بعد حكم عامين وثمانية أشهر . وعام قتل ألغ بيك هو عـام التفسخ التام لبلاد تيمور لأن قبله طـرد اخوه ميرزا بابر أخاهم بابـر من هراة ، وصار أحفاد تيمور يقاتل أحدهم الآخر فى ناحية من نواحـى ايران وما وراء النهر ولم يكن لأحدهم لياقة أو جدارة لكى يدير دولـة بهذا الاتساع ويفرض قوته على أعدائه .

٥ — عبد اللطيف

(رمضان ٨٥٣هـ — ربيع الأول ٨٥٤هـ)

لم يحكم ميرزا عبد اللطيف بعد قتله أباه أكثر من ستة شهور فقد كان مشهورا بالفظاظة وسوء الخلق واساءة الظن مع انه لم يكن خلوا من تذوق للأدب وهيبة وسياسة فقد حانت لخدم والده فرصة فقتلوه فى السادس والعشرين من ربيع الأول خارج سمرقند رميا بالسهام وعلق رأسه بمدخل مدرسة ألغ بيك وقيل فى هذه الحادثة شعر :

ان قاتل أبيه لا يليق بالملك

واذا لاق به لا يبقى غير ستة شهور (١)

٦ — ميرزا عبد الله

(٨٥٤ — ٨٥٥هـ)

ميرزا عبدالله هو ابن ميرزا ابراهيم سلطان بن شاهرخ وقد وصل الملك من بعد قتل عبد اللطيف فيما وراء النهر وابتلى أول حكمه بعصيان أبى سعيد حفيد ميرانشاه لكنه غلبه فى فترة وجيزة ، فولى أبو سعيد وجهه لاجئا لأبى الخير خان ملك الأوزبك واستمده ، وفى جمادى الأولى (٨٥٥هـ) تمكن من ميرزا عبد الله على بعد فراسخ أربعة من سمرقند وأرداه قتيلا .

٧ — ميرزا بابر

(٨٥٣ — ٨٦١هـ)

وبعد أن فر ميرزا بابر بن ميرزا بايسنغر من هراة أمام أخيه ميرزا سلطان محمد وقضى مدة من الانتقال والقتال غلب فى النهاية وعاد ثانية

(١) البيت بالفارسية : بدركش بادشاهى رانشايد .. اكرشايد بجز ششمه نپايد .

الى سلطنة هراة وفى هذه المرة قتل أخاه بعد لقاء ثان بينهما وظل يحكم مستقلا فى خراسان وهراة مدة سبعة أعوام الا أن جهان شاه قرا قويونلو أخرج عن يده فى (٨٥٧هـ) العراق وفارس وكرمان • وقد توفى ميرزا بابر عام (٨٦١هـ) •

٨ ـ السلطان أبو سعيد

(٨٥٥ ـ ٨٧٣ هـ)

ميرزا سلطان أبو سعيد هو ابن ميرزا سلطان محمد بن ميرانشاه وقد اعتلى عرش ما وراء النهر بعد قتل ميرزا عبد الله بعون من أبى الخير خان الأوزبك فى (٨٥٥هـ) وهو ـ وقد بنى باحدى بنات ألغ بيك ـ الملك الوحيد بعد شاهرخ من أسرة تيمور الذى ضم بضعة أجزاء هامة من بلاد تيمور زمانا تحت ادارة واحدة وقيامه كذلك بفتوحات عظيمة •

بعد أن تغلب أبو سعيد على أحفاد شاهرخ استصفى هراة وغزنة وكابل وسيستان ثم خوارزم بعد قليل وفى (٨٧٢هـ) لما قتل أوزون حسن الآق قويونلو جهانشاه القرا قويونلو واضطربت أوضاع بلاد الأخير استدعى أمراء العراق وكرمان وآذربايجان أبا سعيد لحكمهم فبلغ (ميانج) بهدف الاستيلاء على آذربايجان وخطب أوزون مصالحته الا أن أبا سعيد لم يقبل وقد أخذ منه الغرور وهاجم أران عن طريق أردبيل • فقطع حسن بيك طريق المؤونة على جنوده ففشا الجوع فيهم والعطش ثم انتصر حسن بيك فى حربه لأبى سعيد ، وقبض على أبى سعيد أثناء فراره ، وفى الخامس والعشرين من رجب (٨٧٣هـ) تجرع كأس القتل بعد ثمانية عشر عاما من الحكم •

بعد أن قتل أبو سعيد عادت ايران وما وراء النهر الى حــال مــن الفوضى والهرج والمرج فقد اعلن ميرزا سلطان أحمد (٨٧٣ ــ ٨٩٩هـ) نفسه ملكا فيما وراء النهر من ناحيــة وطــوى تراكمــة الآق قويونلــو آذربايجان والعراق من ناحية أخرى تحت أمرتهم وحرض حسن بيــك مؤسس هذه الأسرة ميرزا يادكار محمــد بن مــيرزا سلطان محمد بــن بايسنقر على استخلاص خراسان واشتبك مع سلطان حسين ميرزا حفيد بايقرا بن عمر شيخ ابن الأمير تيمور الذى كان مستوليا فى هذه الآونــة على خراسان لكنه هزم فى (٨٧٤هـ) . فأعاد أوزون حسن معاونته وكان النصر هذه المرة له وفــر أمامه سلطان حسين ميرزا بن بايقرا ودخــل يادكار محمد هراة . وبعد قليل باغت سلطان حسين مــيرزا فى المحــرم (٨٧٥هـ) يادكار محمدا بالهجوم وقتله فى صفر من هذا العام وانهــارت أسرة شاهرخ بقتل يادكار محمد . ومقارن هذه الأيام على نحو ما سوف نبين ضمن تاريخ الصفويين بلغ الأوزبك ببلاد ما وراء النهر قــوة كبيرة ، وبعد أن قضوا على الحكم التيمورى فى هذه الناحية شرعوا فى مهاجمــة خراسان ولهذا صار سلطان حسين ميرزا الذى طال حكمه من (٨٧٥هـ) حتى (٩١١هـ) فريسة هجومهم على خراسان آخر حكمه وتحرك هــذا السلطان فى (٩١١هـ) من هراة لدفعهم ، لكن أجله وافاه ولما يسر بضعة منازل فى السادس عشر من ذى الحجة من هذا العام وسقط أولاده الذين انهزموا من الأوزبك فى خراسان وآذربايجان وفارس وانتهــت الاسرة التيمورية بهزيمتهم .

والسلطان حسين ميرزا بن بايقرا أحد أشهر الأمراء التيموريين لأنه فضلا عن حال الأمن والراحة النسبية التى نعم بهما أهل خراسان وهراة مدة حكمه فان عصره هو ألمع عصور الحضارة فى عهد تملك التيموريين ، فقد كان هو نفسه فاضلا شاعرا واجتهد فى جمع الفضلاء وأهل الفنــون

فى بلاطه اجتهادا بليغا وكان أقام مدرسة ومكتبة كبيرة فى هراة لطلاب العلوم لم ير نظيرها حتى ذاك العهد وكان يدرس فيها نحو عشرة آلاف طالب على نفقته أنواع علوم العصر وشيد هو وأمراؤه فى هراة الأبنية والعمائر الكثيرة والتى تعد أفضل الأعمال الضخمة المعمارية والمتصفة بالجمال الفنى للمعمار الاسلامى • وصنف باسمه المؤرخون الكتب التاريخية المتعددة ونظم الشعراء كثير قريضهم له ، ومن كان معاون السلطان حسين ميراز ومؤازره فى هذا الأمر وزيره المحب للعلوم الأمير نظام الدين عليشير (٨٤٤ — ٩٠٦ هـ) الذى تخلص فى الشعر الفارسى والتركى بالنوائى • ومن مفاخر عهد السلطان حسين ميرزا ووزيره الشهير وجود عظام مثل مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامى الشاعر الكبير والفاضل العالى القدر وأمير خوند المؤرخ مؤلف كتاب (روضة الصفا) و (بهزاد) الرسام الأستاذ وعدد غيرهم كثير (١) •

---

(١) كان حريا بالمؤلف ان يفصل فى نهضة ايران العلمية والأدبية والفنية عهد التيموريين ، اذ شهدت البلاد عهد تيمور وخلفائه رواجا فى العلوم العقلية اثر تشجيعهم لعلمائها خاصة النجوم والرياضة والجغرافيا والحكمة والطبيعة والتاريخ . وقد كان من بين الحكام انفسهم العالم ذو الفهم والبصيرة . ومن من لم يسمع بألغ بيك ومرصده المشهور ؟ وقد أورد الاديب والوزير الشهير على شير النوائى وزير حسين بايقرا فى كتابه مجالس النفائس أن الغ بيك كان يحفظ القرآن كله بالسبع قراءات وليس كما ظن فامبرى حين ذهب الى انه كان يتميز بملكة حفظ قوية حتى انه كان يحفظ سبع سور من القرآن ، وما حفظ ألغ بيك لسبع سور بدليل على قوة حافظته . وكان الغ بيك عالما بالنجوم وقد بدأ فى اقامة مرصده الشهير عام (٨٣٢هـ) . ويصف عبد الرازق السمرقندى صاحب « مطلع السعدين » الآلات التى شاهدها فيه كما دهش عندما شاهد الكرات السماوية وعليها النجوم والكواكب وكذا الخرائط التى تبين صورة كل اقليم فى دقة تامة . ويدل بناء مثل هذا المرصد على تقديم علوم الفلك والرياضة والجغرافية . وكان تيمور كما ذكر السمرقندى يهتم اكثر بعلوم الدين والتصوف يقول (كان يراعى تعظيم السادات والعلماء ويكرم الائمة والصالحين ويبالغ فى تقوية الدين والشرع المبين ، ولم يشرع احد فى زمانه فى التاليف فى علم الحكمة والمنطق) فكان أن الحق الغ بيك رعايته بالعلم التطبيقية بعلوم الدين والتصوف .
ومن العلماء الذين الفوا بالفارسية فى هذه العلوم غياث الدين

الحسينى الأصفهانى الذى ألف كتابه (دانشامه جهان) فى علم الحكمة الطبيعية (٨٧٩هـ) باسم الامير محمود بن ابى سعيد ، وكمال الدين الخوارزمى (متوفى ٨٤٠) وسيد صاين الدين تركة وقد أثرى العربية والفارسية بمزيد مؤلفاته التى انبسخت على علوم الدين والتصوف والحكمة وبلغت مؤلفاته العربية اثنى عشر كتابا والفارسية سبعة عشر كتابا ورسالة . ولا ينبغى اغفال العلامة جلال الدين الدوانى الذى عاش بين التركمان الآق قوينلو والف باللغتين ما يربو على عشرة كتب فى علوم التوحيد والتصوف والحكمة والأخلاق . هذا ويشيد خواندمير بالسلطان حسين بايقرا ويمدح فيه حبه للعلماء ورجال الدين وكان يدعوهم لمجالسته يومى الاثنين والخميس من كل اسبوع يغترف من علومهم اذ يتناظرون لديه . وقد التحق بمعيته أو وزيره على شير جمع كبير من العلماء والفقهاء والمتصوفة منهم (مولانا حسامى الخيوى) احد تلامذة عبيد الله احرار شيخ الطريقة النقشبندية ، ومولانا فصيح الدين وكان ذا حظوة لدى على شير وله شروع مفيدة على أهم كتب المذاهب فى عصره (متوفى ٩١٩ (وكان للشاعر الشهير نور الدين عبد الرحمن الجامى فوق شعره ونثره مؤلفات فى علوم الدين والتصوف والحكمة والفلسفة . ومن تلاميذه ومشهورى الفقهاء الملا عبد الله جعفر (م٩١٦) ومولانا معين الدين الفرائى صاحب المؤلفات فى سيرة النبى الأكرم وأركان الاسلام ، والحسين الواعظ الكاشفى (م ٩١٠) الذى قاربت مؤلفاته اربعين فى التفسير والتصوف والنجوم والأدب والأخلاق . ثم مولانا محمد القاضى صاحب (سلسلة العارفين) ، وعلاء الدولة الغازى السمرقندى الشهير بدولتشاه صاحب تذكرة الشعراء التى الفها عام (٨٩٢هـ) فضلا عن شيخ الاسلام احمد التفتازانى صاحب المؤلفات فى الفقه ومولانا الشيخ حسين وكان فذا فى علوم الحكمة والكلام ولم يكن السلطان ابو سعيد يبرم أمرا دون مشورته وكان ضليعا فى الحكميات والمنقولات والمحدث مير جلال والفقيه القاضى اختيار وغيرهم .

أما علم التاريخ فقد راج بدوره فى هذا العصر ومن اسباب رواجه فضلا على تشجيع الحكام لتخليد مآثرهم هذه السفارات التى أوردها صاحب مطلع السعدين فقد ذكر وصفا لرحلتين تجاريتين بدأت اولها من هراة ووصلت الصين وأطلقت الثانية من ميناء هرمز وكان المؤلف أحد أعضائها قاصدة الهند . ويصف السمرقندى ذاك الميناء وصفا دقيقا ويذكر ما كان يعج فيه من خلق وفدوا من كل حدب وصوب مصطحبين طرائف ما تنتج بلادهم . وأقدم مؤرخى هذا العهد هو نظام الدين الشامى او شنب غازانى صاحب (ظفر نامه) الذى الفه بناء على أمر تيمور (٨٠٤) وقد وضع تيمور بنفسه تحت تصرف المؤلف ما احتاجه من أسناد ووثائق . ثم ذيل هذا الكتاب فى عهد شاهرخ وبناء على أمره مؤرخ شهير هو حافظ آبرو (٨٣٤) الذى اكمل

لقصه باثبات أحداث آخر عهد تيمور . وصار هذا الكتاب أساسا لكتاب شرف الدين اليزدى (م ٨٥٨) (ظفر نامه تيموري) . ولآبرو كتابا هامان احدهما فى التاريخ وهو (زيدة التواريخ) الفه لبايسنقر فى أربعة مجلدات منهيا حوادثه عند عام (٨٢٩٠) وثانيهما فى جغرافية ولايات ايران وقد طعمه بكثير من المعلومات التاريخية القيمة . اما كتاب اليزدى الآنف لذكر فقد وضع لابراهيم سلطان بن شاهرخ على غرار جهانكشا الجوينى عام ٨٢٨ وقد قبس منه ميرخواند صاحب روضة الصفا وخواند مير مؤلف جيب السير . وكتاب مطلع السعدين لكمال الدين عبد الرزاق السمرقندى (م٨٨٧) المشار اليه آنفا ذكر مؤلفه الوقائع التى حدثت بين عصرى أبى سعيد الايلخانى = (٧١٦ — ٧٣٦) وأبى سعيد التيمورى (٨٥٥ — ٨٧٣) . ومحمد خاوند شاه المشتهر بميرخواند (٩٠٣) وضع كتابه روضة الصفا على سبعة اجزاء لم يتم منها لمرضه الا الستة الأولى وقد بدأت بتواريخ الانبياء وانتهت الى عهد اخلاف تيمور اى عام (٨٧٣) . وقد كتب السابع ابن اخته غياث الدين بن همام خواندمير (م ٩٢٤) واشتهر بحبيب السير وقد شمل تاريخ عهد حسين بايقرا ثم ذيله رضا قلى خان هدايت فى عهد القاجاريين بالمجلدات الثامن حتى العاشر فى تاريخ الصفوية والزندية وبعض القاجارية أى حتى عام (١٢٧٤هـ) ولخواندمير كتب اخرى مثل (نامه نامى) او الكتاب الشهير ودستور الوزراء وخاصة الأخبار فى أحوال الأخيار . واخيرا يعد كتاب (روضات الجنات فى أوصاف مدينة هراة) لمؤلفه معين الدين الزمجى الاسفزارى (م ٨٩٩) من اهم الكتب فى تاريخ مدن هراة خاصة ومدن خراسان عامة . وقد تتبع فيه تاريخ هذه المدن من الفتح العربى حتى العام الخامس والعشرين من حكم السلطان بايقرا الذى أهدى والف الكتاب له .

اما من الآداب فقد عمل بها طائفة من السلاطين التيموريين ومن اول من قال شعرا منهم هو شاهرخ الذى نظم بالفارسية والتركية ولا يزال غزله فى زوجته (جوهر شاد) مشهورا فى الفوكلور الهروى . وقبله ترك خليل ميرزا شعرا فى زوجة (شاد ملك) حينما فرقت بينهما الأيام وذكر له دولتشاه السمرقندى بعضا من اشعاره . اما بايسنقر فبقى عنه شعر فضلا عن حبه الأدب وجمعه لشاهنامة الفردوسى . وكان السلطان اسكندر بن عمر شيخ قرض الشعر بالتركية والفارسية . وترك احمد بن شاه ديوانا ومثنويا بعنوان (لطافت نامه) . أما ابو سعيد فقد مدحه خواندمير بحماية للأدب والأدباء وظهير الدين بابر مؤسس الدولة المغولية بالهند غنى عن التعريف فكتابه « بابر نامه » بالجغتائية الذى ضمنه سيرته وآبائه ووصف فيه مغامراته والبلاد التى زارها يعد بحق أصدق المراجع التى يرجع اليها للاطلاع على أحوال العصر وشخصياته . والسلطان حسين ميرزا بدوره

شهير فى هذا المضمار ، فقد عرف بقرضه الشعر بالفارسية والتركية واورد وزيره على شير فى المجلس الخاص بهذا السلطان من كتابه شعره التركى ، كما اثبت له شعر فارسى . كما نشأ على غراره من اولاده من قال شعرا ذكر منهم على شير بديع الزمان ومحمد مؤمن وفريدون ميرزا واورد شعرا لكل . وقد زاد على شير فى مجالسه على مدن ذكرهم من السلاطين وابنائهم ابا بكر ميرزا حفيد تيمور والسلطان احمد ميرزا وبايقرا ميرزا شقيق حسين بن بايقرا وكيجيك ميرزا ومحمود ميرزا بن السلطان ابى سعيد . كما احصى امراء هؤلاء السلاطين الأدباء من قبيل شيوخهم السهيلى ممدوح الكاشفى وله مثنوى ليلى والمجنون وميرزا مقيم كيخسروى وهما من أمراء بايقرا وكذلك ميرزا قاسم ولدي ، ناهيك عن الشراء الوزراء واشهرهم على شير الذى اشتهر سياسيا وقائدا ووزيرا ثم أديبا . وترجع شهرة على شير بالأدب الى نظمه خمسة دواوين اربعة منها بالتركية وهى (غرائب الصغر – نوادر الشباب – بدائع الوسط – فوائد الكبر) والخامس بالفارسية وتعدى ستة الاف بيت ، هذا فضلا عن مثنوياته الخمسة وهى حيرة الأبرار وفرهاد وشيرين وسد سكندرى وقصة الشيخ صنعان وسبعة سيارة . وكتبه الأخرى للشعرية والنثرية باللغتين منها مثنوى لسان الطير وسراج المسلمين ونظم الجواهر ومحبوب القلوب وتاريخ انبياء ونسائم المحبة ورسالة عروضيه وخمسة المتحيرين فى احوال جامى الشاعر ومحاكمات اللغتين الذى سعى فيه أن يثبت أسبقية التركية على الفارسية ثم كتابه الشهير مجالس النفائس . وقد ألف هذا الكتاب بالتركية واورد فيه تراجم الشعراء عصره وجعله فى ثمانية مجالس : الأول لشعراء أدرك على شير آخر عمرهم والثانى لشعراء عاصرهم فى صباه وشبابه والثالث لشعراء اتصلوا به زمن شهرته والرابع لشعراء لم يشتهروا بالشعر وقالوه مصادفة والخامس لشعراء خراسان المقلين والسادس لغيرهم من اصحاب الدواوين والسابع للسلاطين الشعراء والثامن والأخير فى لطائف السلطان حسين بايقرا . وقد ترجمه فخرى الهراتى الى الفارسية عام (٩٢٨) والحق به الفصل التاسع فى احوال على شير وآخرين .

اما الشعراء غير الحكام فهم كثيرون ولكن من اشتهر منهم بشعر جيد قليل منهم نعمة الله ولى (م ٨٣٧) شاعر شاهرخ وسمرقند وخواجه عبد الله الهاتفى ناظم سيرة تيمور شعرا وعصمت البخارى شاعر خليل والغ بيك (م ٨٤٥) وحسين كبرى حفيد نجم الدين كبرى . وعد فامبرى من شعراء تيمور وكتابه سيد على الهمدانى ولطف الله النيشابورى وكمال الدين الخجندى وأحمد الكرمانى . أما شعراء عهد بايقرا فأشهرهم عبد الرحمن الجامى آخر الشعراء العظام وكان مبرزا فى النظم والنثر وعلوم الدين والفلسفة وسائر علوم العصر . نظم ديوانا ومثنويات سبعة (هفت اورنك)

كسبحة الابرار وتحفة الاحرار ويوسف وزليخا وليلى والمجنـون وسـلامان وابسال وسلسلة الذهب وغيرها (*) وكتبه النثرية كثيرة منها نفحات الانس وبهارستان ونقد النصوص وأشعة اللمعات وغيرها كثير . وبعد الجامى ذكر بابر حسين على طفيلى جلاير وبنـائى الهروى وسيفى بخـارى وابن اخت الجامى عبد الله مثنوى كوى ومير حسين معمارى ويوسف بديعى وغيرهم .
والجدير بالذكر ان الأدب فى تركيا والهنـد وما وراء النهـر يدين فى بعض أسباب ظهوره لهذا العصر ، فالأدب التركى شاع على يد على شير وبابـر ثم أخذ يقرض فى اسلامبول بعد ذلك ولم يتأت قبل هذا العصر هذا النفـوذ الادبى للغة الفارسية فى تلك البلاد سـواء فى تأثيرهـا فى لغـاتها المحـلية أو فى رواجها فيها . هذه النهضة فى الآداب والعلوم جعـلت لفظ ميـرزا لقبـا أولاد تيمور يطلق حتى عهد قريب فى ايران علما على المثقف الأديب وصـاحب القريحة والعقل وذلك لاقترانه بالأمراء التيموريين أصحاب الفضل والعلم من قبيل شـاهرخ والغ بيك وبايسنقر وحسين بايقرا ومن اليهم .

جمع تيمور كنوزا وثروات طائلة من غزواته فى مختلف أجزاء آسيا انفق جزءا عظيما منها فى اقامة المنشآت الفخمة التى رام بها تزيـين حاضرتـه هى ومسقط رأسه ، وحرص تيمور على ان يخلد ذكر كل نصر باهر احـرزه وكل حادث قد وقع له بتذكار من المنشآت وجلب لذلك مئات من البنائين من الهنـد وأمهر رجال المعمار من بلاد ايران ودمشق . ولقد أمر تيمور باقامة منشـآت كثيرة فى أجزاء مختلفة من دولته من بينها مسجد فى تبريز وقـصر فى شـيراز ومدرسة فى بغداد وضريح على قبر الولى المشهور احمد اليسـوى بمدينـة التركستان وأجمل هذه المنشآت التى يتجلى فيها ذوق تيمور الرفيع ما اقيـم بكش وسمرقند . ففى الأولى بنى الأضرحـة والمـدارس وقـصر آق سراى (القصر الأبيض) الذى استغرق بناؤه عشر سنوات ، وفى الثانيـة أضـوا ما يتألق فيها قصر دلكشا أو المبهج الصيفى وقصر باغ بهشت أو روضة الجنة وقصرا باغ شمال أو روضة الشمال وباغ نو أو الروضة الجديدة . وقد تعددت المساجد التى بناها تيمور فى سمرقند وأصفهان وغيرهما . ويتميز عهد تيمور خاصة باقامة المدارس الكثيرة واجراء الأرزاق عليها .
وقد أصلح شـاهرخ ما دمر ابوه وعمر ابراج هراة ومرو ولم يترك بلدا فى نطاق حكمه الا واعاد بناءه . وما تخلف من آثار زوجته جوهرشـاد شاهد على اهتمامها — متأسية بزوجها — بالتشييد فى مشهد وهراة اللتـين ما يزالـتـان تحتفظان الى اليوم ببعض آثارها . واورد براون عن دولتشـاه صـورة من الحياة الفنية فى بلاط شـاهرخ وذكر أربعة من مشاهير الفن فيه وهم عبد القادر المراغى استاذ الموسيقى (م٨٣٨) ويوسف الأندكانى المطـرب وقـوام الدين الشيرازى المهندس المعمارى ومولانا خليل المصور الذى عد ثـانى مـانى . وورث بايسنقر والغ بيك عن والديهما حب الفن واهله ، فأولهما كان يجمـع

حوله الرسامين وأهل الطرب والخطاطين والمذهبين والكتبة من كل ولاية وكان بايسنقر نفسه فنانا موهوبا فى الخط اذ أثر عنه مصحف شريف كتبه بخط الثلث وكذا نقشه بهذا الخط فى مسجد والدته فى مشهد . والغ بيك غنى عن التعريف ومن منشآته خانقاه ومدرسة ومسجد مقطع وقصر جهل ستون او قصر الاربعين عمودا . ويعتبر عهد بايقرا العصر الذهبى لارتقاء الفنون والتعمير والآداب والعلوم جميعا . وحسبنا دليلا قول بابر فى فنون هذا العصر (وكان ببلاط بايقرا كذلك طائفة من الخطاطين كان سلطان على شهيد يبزهم جميعا . اما الرسامون فقد كان بهزاد أرفعهم قدرا وكان يتقن رسوم الوجوه الملتحية ، ثم شاه مظفر وكان يتقن ابراز الملامح . أما الموسيقيون فلم يكن منهم يجيد العزف مثل خواجه عبد الله مزوايد ومنهم كذلك محمد العودى وشيخى النائى وشاه قلى العجلى ثم حسين العودى الذى كان يؤدى لحنا كاملا على وتر واحد . أما مير غزو فكان ملحنا ممتازا لا عازفا ومثله البنائى . وكان البهلوان محمد ابو سعيد فردا فى فنه نبغ فى مختلف ألعاب القوى) .

وفى باب التعمير فى عهد بايقرا ، أنشأ وزيره على شير سبعين وثلاثمائة بناء من مساجد ومدارس وخانقاوات بقى منها حتى اليوم سبعة أبنية فى ايران خلاف ما هو موجود فى أفغانستان وجنوب روسيا . وبلغت هراة فى عهد بايقرا اقصى درجة اتساعها الى حد تعسر السير فى طرقاتها وأسواقها لكثرة الخلق وتعذر الخروج والدخول فى طرقها . ويحمد خواندمير دأب بايقرا على تعمير البلاد فكان يبتاع من ماله الخاص مناطق يوقفها لأعمال الخير كما كان يشارك بنفسه فى زرع الحدائق والأشجار . وقد أصبحت العمائر السلطانية وشوامخ البنيان موضوعات لشعر الشعراء واشهرهم الجامى . ويفيض الاسفزارى فى وصف مسجد هراة الجامع وقلاعها ولواحقها ودروبها وأبوابها الخمسة وأسواقها الأربع وبروجها المائة والاربعين وخندقها وقاس محيطها وقطرها وسمى نهرين يجريان بها . ولم يصب هذا السلطان اهتمامه على هراة وحدها وانما عمر فى طول البلاد وعرضها البوادى والاماكن المهجورة حتى اتصلت المسافة المهجورة بين مرغاب ومروشاه جهان وكان طولها ثلاثين فرسخا وكذلك بين سرخس ومرو وكانت تقرب من خمسة وعشرين فرسخا .

راجع فى ذلك المصادر الفارسية الآتية : (١) مجالس النفائس لعلى شير النوائى ترجمة فخرى هراتى . تحقيق على اصغر حكمت . تهران (١٣٣٨) ص ١٠٨ — ١٣٠ ، ١٥٠ — ١٧٢ ، ٩٩ (٢) حبيب السير لخواندمير ص٢٠٢ ، ٣٤٤ — ٣٥١ (٣) سبكشناسى يا تاريخ تطور نثر فارسى : محمد تقى بهار (تهران /١٣٣٧ش) ج ٣ ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢١٢ (٤) از سعدى تاجامى . ادوارد براون . ترجمة على أصغر حكمت (تهران / ٢٥٣٥ شاهنشاهى) ص ٥٣٢ — ٥٣٦ ، حاشية ٥٣٨ ، ٥٤٢ ، ٦٣٧ — ٦٣٩ ، ٦٧٣ — ٦٧٧ ، ٥٥٧ — ٥٥٨ (٥) جامى : على أصغر حكمت (تهران / ١٣٢٠ ش) ص ١٣٢ ،

اسماء الأمراء التيموريين وزمان كل منهم

١ ـ الأمير صاحب القران تيمور (٧٧١ ـ ٨٠٧هـ)

٢ ـ ميرزا خليل سلطان بن ميرانشاه بن تيمور (٨٠٧ ـ ٨١٢هـ)

٣ ـ ميرزا شاهرخ بن تيمـور (٨٠٧ ـ ٨٥٠هـ)

٤ ـ ميرزا ألـغ بيك بن شاهرخ (٨٥٠ ـ ٨٥٣هـ)

٥ ـ ميرزا عبد اللطيف بن ألغ بيك (٨٥٣ ـ ٨٥٤هـ)

٦ ـ ميرزا عبد الله بن ابراهيم بن شاهرخ (٨٥٤ ـ ٨٥٤هـ)

٧ ـ ميرزا بابر بن ميرزا بايسنقر بن شاهرخ (٨٥٢ ـ ٨٦١هـ)

٨ ـ أبو سعيد بن سلطان محمد بن ميرانشاه (٨٥٥ ـ ٨٧٣هـ)

٩ ـ سلطان احمد بن أبى سعيد (٨٧٣ ـ ٨٩٩هـ)

١٠ ـ سلطان محمود بن أبى سعيد (٨٠٩ ـ ٩٠٠هـ)

١١ ـ سلطان حسين بن بايقـرا (٨٧٥ ـ ٩١١هـ)

=

١٣٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢ (٦) روضات الجنات للاسفزارى ص٢٢، ٣٠، ٣٦، ٧٧ـ٨٠ والمقدمة ص (يح) . فضلا عن (تاريخ بخارى) ص ٢٤٩ ـ ٢٩٤ وحواشيها .

وعن رحلة الطالب العملية من الكتاب حتى الانتهاء من التعلم والاجازة بالتدريس انظر رسالة المترجم للماجستير (الكاشفى وكتابه أخلاق محسنى) بمكتبة جامعة القاهرة من ص ١٤ حتى ص ١٨

الفصل الحادي عشر

التركمان القراقويونلو

(٨١٠ — ٨٧٣هـ)

و

الآق قويونلو

(٨٧٣ — ٩٢٠هـ)

منذ أواخر عهد سلطنة الايلخانات بلغ فى ايران القوة بالتدريج جماعة من التركمان الذين هاجروا أثناء غزوات المغول من خوارزم وأطراف بحيرة آرال وشرقى بحر الخزر الى آسيا الغربية وألقوا برحالهم فى شمالها الغربى وشمال الجزيرة ، واستفادوا من الضعف الذى حدث بعد موت أبى سعيد بهادر خان فأخذوا يغيرون على الأطراف ويستصفون البلاد • وأشهر هذه الطوائف البدوية للتركمان اثنتان أولاهما جماعة القرا قويونلو أى أصحاب الخراف السوداء التى سكنت شمال بحيرة (وان) وثانيتهما جماعة الآق قويونلو أى أصحاب الخراف البيضاء الساكنة ديار بكر • وسبب تسمية هاتين الجماعتين بهذين الاسمين بقول البعض هو لون أعلامهم وبقول بعض آخر لون خرافهم • وقد ظهر التركمان القراقويونلو قبل الآق قويونلو بنحو نصف قرن وظلوا فى صراع دائم مع تيمور قبل نجاحهم فى تأليف سلطنة لاعتقادهم المذهب الشيعى بينما كان الآق قويونلو خلافا لهم اتباعا للمذهب السنى وكانوا يمدون تيمور فى غزواته •

أ ــ أمــراء القراقويونــلو

١ ــ قرا يوسف بن قرا محمد

(٨١٠ ــ ٨٢٣هـ)

أمراء القرا قويونلو هم ابناء من يسمى قرا يوسف بن قرا محمــد وكان قرا محمد من أمراء السلطان احمد الجلايرى وأبا زوجته وقــد سبق ذكره وذكر ابنــه قرا يوسف ضمن تاريخ السلطان احمد الجلايرى والأمير تيمور وأولاده فى الفصول السابقة ٠

استولى قرا يوسف كما سبق القــول أثنــاء هجوم تيمــور على الأناضول على عراق العرب وطرد منها السلطان أحمد الجلايرى فأرســل الأمير تيمور بميرزا أبى بكر بن ميرانشاه وميرزا رستم ابن عمر شــيخ حفيدية لصد قرا يوسف هذا فهزماه فولى فارا الى مصر وألقى السلطان المصرى الملك الناصر فرح به وبالسلطان احمد الجلايرى الــذى كــان كان التجأ اليه قبل ذلك فى سجنه خوفا من الأمير تيمور ٠

وبعد ذيوع نبأ موت تيمور أتى قــرا يوســف آذربايجــان وفى جمادى الأولي (٨٠٩هـ) فى ما حول نخجوان هزم الأمير أبا بكر ميرزا وأخذ منه تبريز ٠ وفى الحرب التالية التى جرت فى الرابع والعشرين من ذى القعدة (٨١٠هـ) بينه وبين أبى بكر وابنه ميرانشاه قتل الأخير ومــد قرا يوسف سيطرته على كامل آذربايجان ورقى ابنه (بير بــداق) فى نفس العام السلطة وقام باسم أبيه بالقتال وفتح البلاد ، فبدأ بهزيمة قرا عثمان البايندرى رئيس الآق قويونلو فى ديار بكر ثــم أصــــاب بالقرب من تبريز السلطان أحمد الجلايرى بالهزيمة والقــتل وضــم اليه العراق العربى ، وفى (٨١٥هـ) أنزل بأمير شروان وملك الكرج الهزيمــة ، وفى (٨١٦هـ) استخلص السلطانية وساوة وقزوين وطارم وتقدم مــن

ناحية الغرب أيضا حتى حلب • لكنه فى (٨٢٣هـ) حين أتى لصد شاهرخ مات فى أوجان بآذربايجان موت الفجاءة فتفرق جنوده • ومع أن قرا يوسف أعلن فى البداية سلطنة ابنه بيربداق لكن ابنه بما أنه مات حول اليه وباسمه السلطة • ومجموع امارة الابن والأب أربعة عشر عاما •

٢ ـ اسكندر بن قرا يوسف

(٨٢٣ ـ ٨٣٩هـ)

بعد موت قرا يوسف رفع القرا قويونلو الأمير اسكندر ابنه الى الامارة وتقاتل فى السابع والعشرين من رجب (٨٢٤هـ) مع شاهرخ وغلب على أمره الا انه لما عاد شاهرخ الى خراسان أعاد آذربايجان الى امرته وحاز انتصارات فى أرمنية وأران وبلاد الأكراد كذلك • وفى (٨٣٢هـ) استصفى السلطانية من أيدى أتباع شاهرخ ولهذا جرد شاهرخ جيوشه ثانية على آذربايجان قاصدا القرا قويونلو وفى ذى الحجة (٨٣٢هـ) تقاتل فى (سلماس) مع الاسكندر وأخيه جهانشاه • ومع ان الاسكندر أظهر فى الحرب مقاومة مستبسلة لكنه لم يصبر على القتال فهرب الى الأناضول وعاد شاهرخ الى خراسان ، وفى السنة التالية استخلص الاسكندر آذربايجان اليه فأجبر شاهرخ على أن يعود لصده • وفى هذه المرة أخذ جهانشاه وجماعة اخرى من رؤوس القرا قويونلو جانب شاهرخ فاضطر اسكندر الى الهروب ، وأثناء هروبه قطع قرا عثمان البايندرى عليه الطريق فأرداه اسكندر قتيلا فى أرزنة الروم (٨٣٩هـ) • وبعد قليل عاد الى آذربايجان لكنه هذه المرة لقى الهزيمة من أخيه جهانشاه التابع لشاهرخ وفر الى نخجوان وبها قتل بيد ابنه فى الخامس والعشرين من شوال (٨٤١هـ) •

٣ ــ جهانشاه بــن قرا يوسف
(٨٣٩ ــ ٨٧٢هـ)

نصب جهانشاه أميرا فى (٨٣٩هـ) أى حينما أتى شاهرخ للمــرة الثالثة الى آذربايجان وفر الاسكندر وهو أشهر أمراء القرا قويونلو من كل ناحية وأفضلهم لانه كان شاعرا محبا للفضــل والأدب ذواقالهمــا وبلغت دولته فى عهده أوج عظمتهــا واتســاعها فقــد غلب فى (٨٤٤هـ) الكرجيين واستولى على العراق من يد أحد اخوته وألحق به (٨٥٠هـ) العراق العجمى وفارس وكرمان ، وفى (٨٦٢هـ) هاجم هــراة لضمهــا واستولى عليها بعد هزيمته لميرزا علاء الدولة التيمورى • وفى النهاية لما علم بثورة ابنه فى آذربايجان صالح غريمه ميرزا سلطان أبا سعيد وترك له خراسان وعاد الى تبريز وأخمــد نيران الفتنــة التى اشتعلــت فى آذربايجان وبغداد وفارس قبل ، وبقيت أجزاء كبرى من ايران والعراق فترة تحت ادارته فشاع الأمن والهدوء فيها • الا أن هذا الصــلح لــم يدم لأن رجلا أقوى منه ظهر بين قبيلة الآق قويونلو واسمه حسن بيك كان يضمر الشنئان له للاحنــة القديمــة بين القبــلتين • ولما توجــه فى (٨٧٢هـ) جهانشاه اليه لقتاله بديار بكر بوغت بالهجوم وهــزم وقتــل بــين فــراره •

ومن آثار جهانشاه القرا قويونلو الخيرية مسجد فى غاية الابداع اسمه المسجد الأزرق أو (كوى مسجد) والذى لا يزال بعضــه باقيا الى الآن مع اصابته بزلزال حدث بتبريز يعد من أفضل أعمــال القاشــانى والمعمار الاسلامى •

٤ ــ حسنعلى ميرزا
(٨٧٢ ــ ٨٧٣هـ)

آخر أمراء هذه الأسرة هو حسنعلى ميرزا ولد جهانشاه الذى ظل حبيسا فى قلعة (باكويه) أو (باكــو) فى عهد والده مدة خمس وعشرين

سنة ولهذا لما أخرج من حبسه وجلس محل أبيه لم يكن فيه بقية عقـل ، فأتلف خزائن أبيه وقتل كثرة من أمرائه وأتباعه ولقى هزيمة من حسن بيك الآق قويونلو وأخـرى فى (٨٧٣هـ) من ابنه وانتهـت أسرة الأمـراء القرا قويونلو فى نفس هذا العام (٨٧٣هـ) .

اسماء امراء القراقويونلو وزمان كل منهم

١ ـ قرا يوسف بن قرا محمد	(٨١٠ ـ ٨٢٣هـ)
٢ ـ اسكندر بن قرا يوسف	(٨٢٣ ـ ٨٣٩هـ)
٣ ـ جهانشاه بن قرا يوسف	(٨٣٩ ـ ٨٧٢هـ)
٤ ـ حسنعلى ميرزا بن جهانشاه	(٨٧٢ ـ ٨٧٣هـ)

ب ـ أمـراء الآق قويونلو

١ ـ الأمير حسن بيك بن على بن قرا عثمان
(٨٧٢ ـ ٨٨٢هـ)

مؤسس أسرة أمراء الآق قويونلو هو أبو النصر حسن بيك الذى سمى بسبب طول قامته بالتركية (اوزون حسن) أى حسن الطويل وهو حفيد قرا عثمان البايندرى الذى سبق ذكره . وكان قرا عثمان هذا كمـا رأينا دائم الانحياز للأمير تيمور وكان بركبه فى غزوة الأناضول .

وبعد أن أخذ الأمير حسن بالغلبة رئاسة القبيلة من يد أخيه الأكبر تسلط على أرمنية الغربية والوادى الأعلى لنهر دجلة وأدخل طاعتـه الأكراد فى هذه المنطقة . وكانت أمه احدى الأميرات المسيحية من أسـرة الحاكم اليونانى لطرابزون ولهذا دخل فى اتحاد مع آخر حـاكم لهـذه الناحية ، وتزوج أيضا ابنة أخ هذا الحاكم ، وأولد هذه المرأة واسـمها

كاترينا ولدا وبنتين ، وتزوج الشيخ حيدر الصفوى احدى هاتين البنتين والتى سميت (مارتـا) أو (علمشاه خاتون) ومارتا هذه هى أم الشاه اسماعيل وجدة السلاطين الصفويين • وفى نفس هذه الأيام أى فى (٨٥٧هـ) فتح السلطان محمد الثانى العثمانى مدينة استانبول (القسطنطينية) وأدال دولة الروم الشرقية وبسبب قرابة أسرة امبراطور طرابزون لأباطرة الروم الشرقية ومجاورة طرابزون لحدود أملاك محمد العثمانى أراد هذا السلطان الفاتح ضم هذا البلد كذلك فراسل حسن بيك السلطان لكى يمتنع عن الاستيلاء على هذه المنطقة لأنها تحت حمايته • فلم يأبه السلطان لطلبه وضم طرابزون الى أملاكه ، فأخذوا أوزون حسن يغير على الأناضول مدة الى ان قر بينه وبين السلطان شبه الصلح •

وبعد استقرار الأوضاع فى الغرب اتجه الأمير حسن الى الحدود الشرقية لبلاده أى بلاد جهانشاه القراقويونلو ، ووقع فى مخالب هذا الغريم القوى جهانشاه الذى كانت كل حواسه هذه الأوقات منصرفة الى عراق العجم وفارس وخراسان وقد غفل عن حدوده الغربية ، ونتيجة لهذا الفتح الذى تيسر له فى (٨٧٢هـ) والنصر الثانى الذى حازه أمام السلطان أبى سعيد التيمورى فى (قراباغ) بأران وأزال عدويه الكبيرين بيسر بلغ الأمير حسن شوكه كبرى واعتبارا عظيما ، وانضمت اليه بمحو هذين الخصمين جميع العراق العربى والعجمى وفارس وكرمان حتى سواحل الخليج ونجح أبو النصر حسن بيك فى تأسيس مملكة واسعة الأرجاء امتدت من حدود الأناضول حتى عمان •

ولم يبق حسن على علاقاته مع السلطان محمد الثانى مدة طويلة ، لأنه كان يرنو الى توجيه ضربة انتقامية له لقاء فتح السلطان لطرابزون وقد عده حسن انتهاكا لاعتباره هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان الأمراء المسيحيون الغربيون خاصة دولة البندقية يدفعونه دوما لمهاجمة

الأناضول بسبب خوفهم من السلطان العثمانى الذى أخذ يهاجم الجزر المتعلقة بأهل البندقية فى شرق البحر المتوسط وكانوا يغرونه بالهجوم بالمال والسلاح وعقد المعاهدات ، من أجل هذا لم يعد أوزون حسن يلقى بالا للسلطان بل أخذ يحط من شأنه بألقاب دون قدره ينبذ بها فى مراسلاته معه • وفى النهاية أرسل السلطان محمد أواخر (٨٧٦هـ) جيشا لجبا الى الأناضول شتت التركمان الذين كانوا أتوا اليه فى معركة جنوب قونية • وبعد أشهر عدة أى فى ربيع الأول (٨٧٧هـ) تقدم السلطان بنحو مائة ألف جندى حتى أرزنجان وتواجه مع جيش أوزون حسن غرب هذه المدينة • ومع أن النصر كان فى بداية القتال مع أوزون حسن وقتل على يديه والى الأناضول ونحو اثنى عشر الف جندى من الجيش التركى ، الا أن السلطان محمدا تدارك الأمر فأعاد فى نفس هزيمته ترتيب جنده المتشعثين بتدابيره العسكرية وهاجم الجيش الآق قويونلو من جديد فأنزل بهم هزيمة مرة وقتل أحد أبناء حسن بيك فى المعركة وهرب هو الى تبريز ، ولم يقدم بعد هذا حتى آخر عمره على مهاجمة الأناضول مع أنه لم يتخل عن فكرة غزوه •

وآخر واقعة هامة فى حكم الأمير حسن بيك غزوه تفليس فى (٨٨١هـ) وفتحه لها واغتنامه منها اسرى كثيرين وغنائم ضخمة ، ولما فرغ من هذا الأمر وعاد الى تبريز وافته المنية فى آخر رمضان (٨٨٢هـ) بها •

٢ و ٣ — سلطان خليل ويعقوب بيك

(٨٨٢ — ٨٩٦هـ)

بعد موت أمير حسن بيك خلفه ابنه سلطان خليل وأناب أخاه يعقوب بك فى امارة ديار بكر • وبعد ستة أشهر عصى يعقوب بك أخاه الذى كان لاهيا عابثا بغير كفاءة وفى الحرب التى جرت بينهما بالقرب

من خوى قتل خليل فى الرابع عشر من ربيع الآخر (٨٨٣هـ) وغدا يعقوب ملكا .

حكم يعقوب اثنى عشر عاما وشهرين ومضى أغلب وقته فى هذه المدة فى انبساط ومعاشرة لأهل الأدب والشعر . والواقعة الهامة لحكمه هى حربه السلطان حيدر الصفوى والد الشاه اسماعيل ممدا ومساعدا فرخ يسار أمير شروان فى (٨٩٣هـ) . وفى هذه الواقعة كما سنرى قتل حيدر وحبس يعقوب أولاده فى قلعة اصطخر بفارس . وسلطان حيدر كان ابن خال يعقوب بك وزوج أخته لأبيه .

أمراء الآق قويونلو الباقون

بعد موت يعقوب بك فى الحادى عشر من صفر (٨٩٦هـ) رقى ابنه ذو العشرة أعوام بايسنقر بمساعى (صوفى خليل موصلو) أحد الأمراء الأقوياء للآق قويونلو ورفض الأمراء الباقون هذا الترتيب ونادوا بأخى يعقوب (مسيح) سلطانا . ودارت الحرب بين الجانبين وقتل مسيح وبعض أمراء الآق قويونلو ولم يرحموا غير رستم حفيد الأمير حسن فاقتادوه ليحبس باحدى القلاع . وقتل صوفى خليل فى آخر (٨٩٦هـ) فى حرب مع أحد الأمراء المخالفين فصار بايسنقر فريسة المشايعين حكم رستم ولما لم يكن يستطيع مقاومتهم هرب الى فرخ يسار فى شروان .

دامت سلطنة رستم (٨٩٧ — ٩٠٢هـ) خمس سنوات ونصف سنة وأطلق فى بداية حكمه سراح أولاد الشيخ حيدر الصفوى وهم (سلطان على) واسماعيل وابراهيم الذين كان يعقوب بيك حبسهم بقلعة اصطخر وأبقاهم معه . وقد تمكن بعون أخيهم الأكبر سلطا نعلى من قتل بايسنقر فى (٨٩٧هـ) الذى استمد شروانشاه يسار لكنه أساء الظن بعد قليل بسلطا نعلى ففر هذا وأخوه ومريدوهم الى أردبيل ، وأرسل رستم جيشا يتعقبهم قتل سلطان على فى حربهم لهم فى أردبيل .

وفى ذى القعدة (٩٠٢هـ) قبض على رستم ابن عمه (أحمد بيك) الذى تمرد عليه قبل ذلك وقتله وجعل من نفسه الأمير الحاكم • ولم يطل حكم أحمد بيك الذى اتصف بالعدل والتدين وحب العلم لأنه فى ربيع الثانى (٩٠٣هـ) أهلك على يد والى كرمان العاصى ، فانقسم بعد قتله أمراء الآق قويونلو الى ثلاث عشائر رفع كل منها أحد الأمراء للحكم ودخلوا فى منازعات بينهم فصارت سائر ايران بسبب هذه المنازعات فى اضطراب وخراب وكانت هذه الحوادث حينما قام الشاه اسماعيل الصفوى ليأخذ بثأر أبيه وأخيه وتجمع حوله أتباع وأشياع فى جيلان وأردبيل • وأشهر الأمراء الأخيرين للآق قويونلو (سلطان مراد) ولد يعقوب بيك بن أوزون حسن و (الوند بيك) ولد يوسف بن أوزون حسن • وغلب الشاه اسماعيل الوند بيك فى أوائل (٩٠٧هـ) فى حوالى نخجوان ، واستخلص من يده آذربايجان ، وهزم اسماعيل أيضا سلطان مراد فى السنة بعدها بالقرب من همدان وهرب مراد الى بغداد ومنها الى الأناضول الى أن قتل بيد جنود مؤسس الدولة الصفوية فى (٩٢٠هـ) فى دياربكر •

أسماء الأمراء الآق قويونلو وأيام كل منهم

١ — أمير حسن بيك	(٨٧٢ — ٨٨٢هـ)
٢ — سلطان خليل بن أمير حسن	(٨٨٢ — ٨٨٣هـ)
٣ — يعقوب بيك بن حسن بيك	(٨٨٣ — ٨٩٦هـ)
٤ — بايسنقر بن يعقوب	(٨٩٦ — ٨٩٧هـ)
٥ — رستم بن مقصود بن حسن بيك	(٨٩٧ — ٩٠٢هـ)
٦ — أحمد بن أغورلو محمد بن حسن بيك	(٩٠٢ — ٩٠٣هـ)
٧ — الوند بيك بن يوسف بن حسن بيك	(٩٠٣ — ٩٠٧هـ)
٨ — سلطان مراد بن يعقوب بن حسن بيك	(٩٠٣ — ٩٠٨هـ)

الفصل الثاني عشر

أصل الصفويين ونسبهم وابتداء أمرهم

ترجع نسبة (الصفوى) فى أسماء سلاطين الأسرة التى تشكلت بهمة الشاه اسماعيل فى عام (٩٠٥هـ) كما نعلم من اسم جد ملوك هذه الأسرة . وهو الشيخ صفى الدين أبو اسحاق الأردبيلى الذى ولد عـام (٦٥٠هـ) وتوفى عام (٧٣٥هـ) ودفن فى مدينة أردبيل حيث تقوم مقبرته اليوم .

كان الشيخ صفى الدين من عارفى عهـده المشـاهير راده كـثير من المريدين والأتباع . وكان فى بداية أمره مريدا للشيخ تاج الدين الزاهد الجيلانى وتزوج ابنته ، فلما مات شيخه وحموه عـام (٧٠٠هـ) خلفـه فى مقام الارشاد والتف جميع مريدى الشيخ زاهد حول صفى الدين وأزجى كبار العهد الاحترام اليه وكان من ضمنهم الوزير رشيد الدين فضل اللـه وابنـه الوزير غيـاث الدين محمـد .

وبعد أن مات الشيخ صفى الدين خلفه ابنه الشـيخ صـدر الدين موسى (٧٠٤ ــ ٧٩٤هـ) فى مقام الارشاد ومكـث فـترة فى حبـس الملك الأشرف التشوبانى ، وبعد أن نجا منه هاجر من أردبيل الى جيلان . ولما قتل الملك الأشرف بيد جانى بيك فى (٧٥٨هـ) عاد الشيخ صـدر الدين الى آذربايجان بدعوة هذا الملك وأقام مرة أخرى فى أردبيل .

وبعد موت الشيخ صدر الدين خلفه أحد أبنائه بناء على وصيته منه وهو سلطان خواجه على وظل فى مقام الارشـاد حتى عام (٨٣٠هـ) وقـد لاقاه الأمير تيمور الجورجانى ثلاث مرات خلال خلافته لوالده .

والشاه اسماعيل مؤسس الأسرة الصفوية هو ابن سلطان حيدر بن سلطان جنيد بن صدر الدين ابراهيم ، وصدر الدين ابراهيم المتوفى عـام (٨٥١هـ) هو ولد سلطان خواجه على السابق الذكر .

كان سلطان جنيد معاصرا لأوزون حسن وقد لاقاه فى ديار بكر ، وقد زوج الأمير حسن أخته خديجة بيكم لسلطان جنيد فأولدها ابنا هو سلطان حيدر والد الشاه اسماعيل . أما حيدر فقد بنى كما مر فى سـيرة أمـراء الآق قويونلو بابنة خاله أوزون حسن وكانت من أسرة أمراء يونان واسمها مارتا أو علمشاه خاتون أو (بكى آغا) ، فولد الشاه اسـماعيل من هذه المرأة اليونانية وعلى هذا فنسب السلاطين الصفويين من ناحية الأم يتصل بالأمراء اليونان بطرابزون وبأمـراء التركمـان الآق قويونلو من ناحـية الجـدة .

وقد نسب مؤرخو العصر الصفوى هؤلاء السلاطين الى الامام موسى الكاظم من ناحية آبائهم وأنشأوا لهم شجرة هذا النسـب ، الا أن هـذه النسبة كاذبة ولم ترد فى المؤلفات التى ألفت قبل عهد الشـاه طهماسـب الأول وفى أيـام الشاه اسماعيل وأجـداده .

وقتل الجنيد فى (٨٦٠هـ) فى حربه أمير شروان فخلفه سـلطان حيدر وتقدم الى شروان كما سبق يطلب ثأر أبيه وعلا فى أول الأمر على أمـير شروان لكن الأمير استمد الأمير يعقوب التركمانى فأمده يعقـوب برغـم نسبته لسلطان حيدر ، وقتل حيدر فى تلك الواقعة فى عام (٨٩٣هـ) .

كان لسلطان حيدر أولاد ثلاثة هم على وابراهيم واسماعيل وأرسل الأمير يعقوب هؤلاء الثلاثة لحبسهم بقلعة اصطخر بفارس فظلوا بها الى أن أمر الأمير رستم بيك فى عام (٨٩٨هـ) باحضارهم . وقتل على فى حوالى أردبيل وهاجر ابراهيم واسماعيل الى جيلان وأصاب القتل ابراهيم أيضا فى هذا الأوان وبقى اسماعيل وأمضى نحو سـتة أعوام بين السـادات القوامـيين بجيـلان .

وفى أوائل (٩٠٥هـ) قدم اسماعيل الى أردبيل عن طريق آستارا بعون مريدين كثرة كانوا يسلكون طريقة آبائه وقد انبثت جماعاتهم باسم (الصوفية) فى جميع بلاد آذربايجان وأران وأرمنية والجزيرة، وبعد ستة شهور قصد أرزنجان وفيها التف حوله نحو سبعة آلاف منهم وكانوا من الترك من طوائف مختلفة مثل الشاملو والأستاجلو والقاجار والتكلو وذى القدر والأفشار • وكان كل واحد منهم يضع على رأسه قلنسوة من (السقرلاط) وهو قماش أحمر لذا عرفوا باسم القزلباش أى ذوو الرؤوس الحمراء ولهذا السبب أيضا سموا من هذا الوقت بالقزلباش والقزلباشية وشملت التسمية أتباعهم وجنودهم حتى ملوك الصفويين •

لم يزد الشاه اسماعيل الذى ولد فى الخامس والعشرين من رجب (٨٩٢هـ) عن الثالثة عشرة من عمره حين انبعث للثأر لوالده وتأسيس أسرة حاكمة، ولما اتصل به القزلباشية بدأ بموافاة أردبيل لزيارة مقابر أجداده ورؤية أمه، ثم سلك منها طريقه الى شروان، وغلب فى ولاية شماخى فى قرية (كلستان) أمير شروان قاتل أبيه وقتله واستولى على مدينة (باكو) أيضا • وسمع اذ ذاك أن ألوند بيك التركمانى قد جرد جيوشه لقصده فتقدم اليه واحتاز فتحا باهرا فى المعركة التى جرت بينهما فى (شرور) قرب نخجوان أوائل (٩٠٧هـ) وقتل نحو ثمانية آلاف من التركمان الآق قويونلو فى هذ الواقعة ولاذ ألوند بالفرار الى دياربكر • ودخل الشاه اسماعيل تبريز مظفرا موفقا وآثر هذه المدينة عاصمة له واعتلى عرش السلطنة رسما وسك العملة باسمه وأقر مذهب الشيعة الاثنى عشرية مذهبا رسميا لدولته وارتدى علامة هذا الرسم تاجا من السقرلاط الأحمر •

وبعد هذا النصر جرد الشاه اسماعيل جيوشه على عراق العجم وقاتل مراد بيك الآق قويونلو خلف ألوند بيك على مقربة من همدان وألحق به الهزيمة فلما فر مراد الى شيراز أتاها الشاه اسماعيل يتعقبه وفى ربيع الأول (٩٠٩هـ) دخل هذه المدينة، وسقطت نتيجة هذا الفتح أسرة الآق

قوينلو تماما من ايران وضمت عراق العجم وفارس وكرمان الى بلاد الشاه اسماعيل .

ومع أن التراكمة الآق قوينلو قد زالوا عن ايران الا أنهم ظلوا يدعون السلطة فى عراق العرب ، وفر مراد بيك من فارس وأتى بغداد وتمكن من الأمور بها . فقصد الشاه اسماعيل بغداد بعد أن أدخل ايران فى طاعته وفتح دياربكر وقضى على من بقى من الآق قوينلو فيها وفى (٩١٤هـ) سيطر على جميع العراق العربى بلا قتال أو اراقة دماء تذكر وتقدم بعد ذاك لفتح قلاع شوشتر والحويزة وسخر أيضا خوزستان وعاد الى آذربايجان عن طريق أصفهان وأمضى الشتاء فى قراباغ والدربند وباكو وبعد حصوله على بعض الفتوحات آب الى تبريز .

فتح خراسان فى (٩١٦هـ) : —

كانت خراسان هى البلد الوحيدة التى لم تدخل حتى ذاك الوقت طاعة الشاه اسماعيل وكانت تحت سيطرة أولاد تيمور أولا ثم استولى عليها الأوزبك أثناء نهضة الشاه اسماعيل . ونقصد بالأوزبك الذين سوف يأتى ذكرهم خلال كل عهد سيطرة الصفويين أنهم جماعة من أخلاف المغول أخرجوا فى حدود عام (٩٠٤هـ) سلطنة ما وراء النهر عن قبضة أخلاف تيمور ووفقوا فى انشاء دولة بها ويسمون بالأمراء الشيبانيين نسبة الى شيبغان أو شيبان أحد أولاد جوجى بن جنكيز وكانوا من نسله ، وشيبان بكسر الشين وسكون النون لا تتصل قط بقبيلة بنى شيبان العرب(١) .

(١) تعنى كلمة اوزبك سيد نفسه والمستقل وكانت نفس هذه الكلمة شائعة بين المجريين بوصفها من القاب الشرف وهى ترى فى الوثائق التى يرجع الى علم (١١٥٠م) . وكان أوزبك هو تاسع الحكام من بيت جوجى حمل قومه على الدخول فى الاسلام وليس اسمه شيبغان كما يدعى المؤلف . فأصل الأوزبك اذن تركى مغولى وعاشت قبائلهم ما بين الفولجا وبحر آرال . وكان اسم الجغتائيين يطلق فيما سلف من الأيام على الترك المستقرين المتحضرين ، فى حين كان لفظ الأوزبك اذ ذاك مدلولا على البرابرة الذين يقطنون منطقة السهوب الشمالية الغربية حتى تبدل الحال بعد اسلامهم واتصالهم بالحضارة الاسلامية ببلاد ما وراء النهر فأصبح للفظ الأوزبك المدلول الذى كان للفظ جغتائى من قبل ، وبات الترك البرابرة غير المتحضرين يعرفون باسم القرغيز أو القازاق (ومعناها الرحل البرابرة) .

(انظر تاريخ بخارى ٢٩٥ — ٢٩٨ وحواشيها)

وكان مؤسس أسرة الأوزبك هو (محمد شاهى بيك) أو (شيبك خان) الذى استصفى فى (٩١٣هـ) خراسان من أولاد السلطان حسين ميرزا بايقرا ، وكان شديد التعصب للمذهب السنى لذا فقد آذى الشيعة(١) ، فضلا عن أنه أرسل الى الشاه اسماعيل رسالة جريئة دعاه فيها الى ترك التشيع وهدده أنه اذا لم يقبل دعوته فسوف يتقدم الى آذربايجان ويدخله المذهب السنى بقوة السيف • ولم يأبه اسماعيل برسالته فأخذ الأوزبك يهاجمون حدود كرمان فقصد اسماعيل هذه المرة فى أواسط عام (٩١٦هـ) الى خراسان وبعد أن استولى على مشهد تعقب الأوزبك الذين لاذوا بمرو • وهاجم اسماعيل فى السادس والعشرين من شعبان (٩١٦هـ) قلعة مرو وعلى اثر حرب ضروس قتل فيها نحو عشرة آلاف من الأوزبك فتح على اسماعيل فتح مبين ولفظ شيبك خان آخر أنفاسه فى المعركة •

ويعد فتح مرو من الوقائع الهامة لآسيا الوسطى لأن من هذا الوقت فما بعده أمحت فتنة عظمى كانت تتهدد ايران والهند من جانب الأتراك ونجا مذهب التشيع من خطر عظيم اذ كان لم يشب عن الطوق فى ايران بعد وكان شيبك خان لا يألو جهدا فى محوه ، كما نجا الشاه اسماعيل وظهير الدين بابر الذى كان أسس فى نفس الوقت دولة كبرى فى الهند من شر خصم قوى ولهذا السبب قامت من هذا الوقت فصاعدا بين السلاطين الصفويين بايران والملوك الجورجانيين بالهند المودة والألفة ، ولكى يحكم

---

(١) سمى الأوزبك بالشيبانيين نسبة الى شيبانى تحريف شاهى بك والتى حرفت أيضا الى شابيك وهو الأمير محمد شاهى بك حفيد الأمير أبى الخير الذى استقل بالأوزبك وبلغ شأوا كبيرا ، وكان الأمير محمد شاهى بيك قد نجح فى لم شعث قومه بعد قتل جده ليقيم دولة على حساب التيموريين ببلاد ما وراء النهر كما سبق لذلك نسب اليه الأوزبك . ولم يكن الشيبانيون شديدى التعصب للمذهب السنى عن علم وتحر وانما اعتنقوا الاسلام اسما وبقيت رسومهم وعاداتهم مثلهم مزيجا من رسوم الترك والمغول ، وكان المظهر الملحوظ للحياة الدينية عندهم هو تمجيدهم لوليهم القومى الزاهد خواجه احمد اليسوى الولى الاثير عند بدو سهوب آسيا الوسطى وكان الأوزبك والقرغيز يقدسون اشعاره ومواعظه تقديسهم للقرآن الكريم (راجع تاريخ بخارى ٢٩٧ – ٨)

الشاه اسماعيل أواصر هذه الصداقة أرسل أخت بابر باحترام عظيم الى أخيها بالهند وكانت قد وقعت أسيرة بقبضة الأوزبك وأطلق سراحها نتيجة لفتح مرو •

وبعد هذا الفتح الكبير أتى اسماعيل الى هراة وأمضى الشــتاء بها هانئا ثم أعد جيوشه لضم ما وراء النهر وفى ربيع عام (٩١٧هـ) وجــه عنان عــزمه اليها فتقدم حتى حــدود جيحون لكنه لم يتجاوزها وكــر راجعا الى أذربايجان •

غزو مــا وراء النهــر فى (٩١٨هـ) : —

ونتيجة للمودة التى قرت بين ظهير الدين بابر والشاه اسماعيل قرر الطرفان مهاجمة ما وراء النهر بيعاون أحدهما الآخر فيجتثا جرثومة تسلط الأوزبك كلية من هذه الاصقاع فأنفذ الشاه اسماعيل أمير أمرائه المسمى احمد يار أحمد الاصفهانى والملقب النجم الثانى بجيش اليها وقدم بابر معينا بدوره الا انه بعد عبورهما جيحون وبخارى لحقت بهما الهزيمة على يد خليفة شيبك خان وقتل النجم الثانى وعاد الاثنــان من هذه الغــزوة بخفى حنين (١) •

وتساقط الأوزبك بعد هذا الفتح على خراسان وهــراة وســببوا

(١) هذا يخالف ما ذكره فامبرى فى تاريخ بخارى ، اذ ذكر ان بابــر انتهز فرصة موت شيبانى ليستخلص وطنه القديم ما وراء النهــر من أيــدى الشيبانيين فاستولى على سمرقند عام ٩١٧ ساعده على ذلك انقسام اعدائه ، بيد انهم لما وحدوا كلمتهم هزموا بابر فترك سمرقند بعد حكم نصف عام . فلما بلغ الشاه اسماعيل هزيمة بابر بعث الى نجم ثانى حاكم خراسان لانجــاده ضمن اجراءات حماية خراسان من الاوزبك فلحق الجيش الفارسى ببابر عند ترمذ وهاجم الاثنان قارشى واستوليا عليها وادى بنجم ثانى تعصبه الشــديد للمذهب الشيعى الى قتله كل حامية المكان . فأثار هذا ثائرة بابر حــتى آثر ان يضحى باسترداد ما وراء النهر ، فقطع علاقته بفارس وتــرك نجــم ثانى يتجه الى بخارى منفردا ليلاقى الاوزبك وجزاء ما اقترفت يداه (تاريخ بخارى ٢٢٧ — ٢٣١) .

انشقاقات بالغة فى الحقيقة لاسماعيل ولم يعـد فتح مرو بعد هزيمـته شيئا الا ان اسماعيل وصل معجلا الى خراسان ، وكان أن اطلع الأوزبك بتحرك اســماعيل فأخلوا هراة وخراســان وهربوا الى ما وراء النهــر فأمنت هذه البلاد ثانية حتى حدود جيحون وعادت الى ملكية اسماعيل •

حرب تشالدران فى (٩٢٠هـ) :ــ

وفى حين تأسس الدولة الصفوية فى ايران بلغــت دولــة الأتــراك العثمــانيين فى الأناضــول والبلقــان ذروة القــوة والعظمــة ، وكان هؤلاء الأتراك الذين اعتنقوا المذهــب الســنى خــلافا لمؤسس الاسرة الصفوية ويجالدون بسيوفهم لنشر الاسلام كانوا يرقمون تشكل دولــة كبرى فى شرق ممتلكاتهم بعين العداء خاصة أن الصفويين كانوا على عداء معهم من الناحية الدينية وكان الشاه اسماعيل لا يألو أدنى جهده لاجتثاث شأفة المذهب السنى من ايران •

وفى (٩١٨هـ) صارت السلطنة العثمانية من نصيب السلطان سليم خان الأول (٩١٨ ــ ٩٢٦هـ) أحد أقوى السلاطين العثمانيين وأكثرهــم فتحا • وبدأ هذا السلطان فأظهر بغضه للشيعة بأن أمر بقتل كل شــيعى يسكن الأناضول فقتل نتيجة تنفيذ هذه النية القبيحة نحــو أربعين ألفــا من شيعة الأناضول ، ثم لما سمع أن الشاه اسماعيل دخل فى علاقات مــع أعــداء السلاطين العثمانيين أى مــلوك المجــر ومماليك مصــر الذين كانوا يألبون شاه ايــران على العثمــانيين أنفذ جيشــا الى الجــزيرة وآذربايجان ، فخف الشاه اسماعيل فى أوائل شهر رجب (٩٢٠هـ) مــن اصفهان الى آذربايجان وتقدم محمد خان استاجلو حاكم ديار بكر أيضا بجيش لعون الملك الصفوى واصطف جنود الفريقين فى صحراء تشالدران فى مشــرق بحــيرة أورميــة (الرضــائية) •

وكان جيش الشاه اسماعيل يتألف من ستين ألف فارس فى حين أن السلطان سليم بلغ جيشه مائة وعشرين ألف جندى مسلح ببنادق جديدة

ومدافع قوية • ومع أن الشاه اسماعيل والقواد الايرانيين قد أبلغوا فى هذه الحرب بلاء حسنا وضارب الملك الشاب الصفوى بسيفه مدافع الأعداء الا انه بسبب كثرة جيش الخصم وقوة أسلحتهم النارية حاقت به الهزيمة وقتل محمد خان استاجلو وجماعة كبيرة من قواد ايران فى هذه الواقعة وتقهقر الشاه اسماعيل الى تبريز •

وبعد فترة قدم الشاه اسماعيل الى همدان واستولى السلطان سليم على تبريز لكنه لم يستطع المكث بها لمقاومة أهلها وكفاح جنود ايران فأخلاها بعد أسبوعين وعاد اليها الشاه اسماعيل •

ومع أن موقعة تشالدران كانت ضربة شديدة لقوة الشاه اسماعيل العسكرية وكان من نتائجها ضم السلطان سليم له ديار بكر وبلاد الأكراد الا أن أثرا آخر لها لم يبد على تزلزل أساس الدولة الصفوية ووفق اسماعيل بعد قليل فى احكام أساس أمره • وكان يبدى اهتمامه الخاص بخراسان بسبب خطر الأوزبك عليها لذلك عين لحكمها ابنه الصغير طهماسب الذى لم يكن يبلغ وقتها الثلاثة أعوام يعاونه أحد أمرائه وقضى بقية أيام ملكه جائلا فى ولايات ايران المختلفة ولم يقم بعد ذلك بغزو أو قتال هام •

وفاة الشاه اسماعيل فى التاسع عشر من رجب (٩٣٠هـ) : —

مرض الشاه اسماعيل فى شهر رجب (٩٣٠هـ) حينما كان فى قنصه باحدى الولايات ومات فى التاسع عشر من هذا الشهر على مقربة من (سراب) ولم يتجاوز الخامسة والثلاثين ولم يحكم أكثر من أربعة وعشرين عاما فحمل نعشه الى أردبيل ودفن بمقبره الشيخ صفى الدين •

يعد الشاه اسماعيل بلا شبهة أحد أرشدو أكبر ملوك ايران ومع أنه تخطى جادة الانصاف والمروءة فى تحميل مذهب التشيع على شعب ايران وكان أغلبهم حتى ذاك الوقت من السنة ، سفك دماء كثير من

الأبرياء بقسوة الا أن سياسته فى هذا السبيل أى ايجاد الوحدة المذهبية فى ايران وجعل المذهب الشيعى رسميا والختيار السيرة التى سار عليها خلفاؤه قد أفضت الى نتيجة هامة جدا هى حفظ المجتمع الايرانى من شر هجمات السلاطين العثمانيين المتعصبين الذين كانوا يسمون أنفسهم من أواخر عهد السلطان سليم أمراء المؤمنين وخلفاء جميع المسلمين وادعوا أن كافة المسلمين لابد أن يطيعوهم بحافز الايمان كعهد الناس فى زمن العباسيين وأن يعترفوا بأن اجراء أوامر السلطان فيهم فريضة دينية بعد حكم الله ورسوله • وقد حالت سياسة الملوك الصفويين بعداوتهم الدينية للسلاطين العثمانيين دون انخداع أهل ايران بهذه الدعوة وانخراطهم بفقد استقلالهم فى المجتمع السنى بل انهم خلافا لذلك كانوا دائما يتوددون ويرتبطون ببلاد المسيحيين الأوربيين وهم أعداء السلاطين العثمانيين فى دفاع عن أنفسهم ، وكانوا يستقبلون سفراءهم ويبعثون اليهم بمبعوثيهم ، وقد تعرفت ايران الى حد ما بهذه الطريقة كما سوف نشير الى أحوال أوربا التى كانت فى حالة من الرقى ، كما صارت مقدمات لانتقال بعض وسائل الحضارة الجديدة الى ايران (١) •

---

(١) هكذا يبين المؤلف عن عقيدته وعقيدة أسلافه الصفويين ، فهم يرون موالاة الذين كفروا من النصارى أحل من موالاة المؤمنين من الاتراك العثمانيين المحاربين لنشر الاسلام فى أوربا . والصفويون بذلك وبحكم الله تعالى خارجون عن الاسلام يقول تعالى فى سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين) الآية (٥١) ، ويقول تعالى فى نفس السورة الآية (٥٥) (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) .

سلطنة الشاه طهماسب الأول

(٩٣٠ ــ ٩٨٤هـ)

بقى عن الشاه اسماعيل مؤسس الاسرة الصفوية أربعة ابناء : أولهم طهماسب الذى ولد فى الرابع والعشرين من رجب (٩١٩هـ) وكان عمره حين توفى أبوه أحد عشر عاما وكان يحكم أولا خراسان ثم استدعى الى مقر أبيه وقت وفاته ، وثانيهم القاص ميرزا الذى صغر طهماسب بنحو ثلاثة أعوام وثالثهم سام ميرزا الذى صنف كتابا اسمه (تحفه سامى) عام (٩٥٧هـ) فى تراجم الشعراء وبلغ حكومة خراسان بعد طهماسب ، ورابعهم بهرام ميرزا .

ورفع الأمراء والاعيان بالدولة طهماسب الى السلطة بعد وفاة الشاه اسماعيل ، ولما كان الشاه الجديد لا يزال طفلا استقرت مهام الأمور فى حقيقتها فى أيدى الأمراء الأقوياء فجنحت الأمور الى الفساد بسبب تنافسهم واستبدادهم خاصة وأحد عدوى الصفويين الدينيين أى الأوزبك فى الشمال الشرقى والأتراك العثمانيين فى الشمال الغربى لايران كان كلاهما قويا ويتحسسون فرصة مواتية للعصف بما بناه الشاه اسماعيل .

الحرب مع الأوزبك : ــ

استحوذ عبيد الله خان الأوزبك فى عام (٩٣٢هـ) على خراسان ولقى أمراء الشاه طهماسب الذين تقدموا لصده الهزيمة منه فى فيروز كوه بهراة فى (٩٣٣ هـ) فتحرك الشاه طهماسب فى العام التالى بنفسه الى خراسان وفى المحرم من (٩٣٥هـ) ألحق هزيمة فادحة بعبيد الله خان وأمراء الأوزبك الآخرين فى (زور آباد) على كثب من مدينة (جام) ولاذ الاوزبك بالفرار الى ما وراء النهر وخلصت خراسان وهراة من أيديهم مؤقتا ونصب حسين خان شاملوى على حكومتهما من جانب

طهماسب • وفى نفس العام عاود الأوزبك هجومهم على خراسان فتولى الأمر طهما سب لصدهم ، وأناب هذه المرة فى حكم خراسان بعد دفع الأوزبك عنها أخاه الأصغر بهرام ميرزا •

وفى عام (٩٣٧هـ) أتى عبيد الله خان خراسان ثالثة وحاصر هذه المرة هراة ودام حصاره عاما ونصف العام الى أن ذاع خبر قدوم طهما سب الى خراسان ففر عبيد الله خان • وترك طهما سب حكم خراسان بعد استتباب الأمن بها الى سام ميرزا أخ له آخر مزمعا مهاجمة ما وراء النهر لكنه عندما علم بهجوم السلطان سليمان خان العثمانى على غرب ايران تخلى عن ارادته •

بلغ سليمان خان السلطنة العثمانية فى عام (٩٢٦هـ) بعد موت السلطان سليم الأول وحاز فتوحات عظيمة فى أوربا وحصل لهذا شهرة واسعة وفى عام (٩٣٩هـ) حينما كان طهما سب بخراسان هاجم آذربايجان بتأليب بعض من أمراء ايران ، لكنه قفل عائدا الى العراق العربى قبل وصول طهما سب لما حل بجيشه من خسائر كبيرة بسبب البرد والثلوج ، واستولى على بغداد وعاد فى السنة التالية الى آذربايجان لكنه لم يطل اذ عاد الى بلده الاصلى فأدخل طهما سب آذربايجان طاعته وعاقب الأمراء المتمردين المعاونين للسلطان سليمان خان •

وفى عام (٩٤٠هـ) عصى سام ميرزا طهماسب وهاجم قندهار فلما سمع عبيد الله خان الأوزبك أن هراة خالية تقدم اليها بجيشه ، فقدم طهماسب من تبريز الى خراسان وسمع عبيد الله خان بقدومه فنهب فى (٩٤٢هـ) هراة وعاد الى ما وراء النهر • وأقر طهماسب الأحوال بخراسان واستولى على هراة وعاد فى (٩٤٣هـ) الى آذربايجان (١) •

---

(١) يختلف غامبرى مع اقبال فى تاريخ غزوات الشيبانيين الخمس لايران انتقاما مما حل بزعيمهم شيبانى فيذكر ان غزوات عبيد الله سبع لاخمس ، الأوليان حدثتا آخر عهد الشاه اسماعيل ، أما الثالثة فقد حدثت عام (١٥٢٤/٩٣١) ولم يحز الشيبانيون فى الغزوات الثلاثة انتصارات حاسمة •

ثورة القاص ميرزا :ـ

وفى عام (٩٤٤هـ) علم الشاه طهماسب بثورة والى شروان فأرسل أخاه القاص ميرزا للاستيلاء على شروان لكن أهلها أبوا أن يسلموا قلعتها الا الى الشاه نفسه فشخص اليها بنفسه وبعد أن فتح تلك الديار أناب أخاه القاص فى حكمها • وظل القاص ميرزا حتى عام (٩٥١هـ) مطيعا لأخيه فى حكمه لشروان لكنه رفع علم الثورة فى هذه السنة عليه • ولم يفد الشاه طهماسب كثرة نصحه أخاه بترك عصيانه فأرغم على التحرك اليه لصده • وفى النهاية خاف القاص ميرزا فأرسل أمه وابنه الى طهماسب حتى استرضياه فعفا عنه • لكن القاص اتجه عام (٩٥٣هـ) الى استانبول فارا ولاذ بالسلطان سليمان خان وحرضه على مهاجمة آذربايجان • فدخل سليمان خان تبريز وتقدم القاص ميرزا بستة آلاف فارس الى همدان وتوجه منها قاصدا دخول أصفهان • لكن أهل أصفهان لم يمكنوه منها فعاد عن طريق فارس الى بغداد • وفى النهاية ساء ما بينه وبين السلطان سليمان ، وأسره فى بلاد الأكراد قادة جيش طهماسب ، وبعد عام وافاه أجله فى حبس أخيه •.

علاقات الشاه طهماسب بالعثمانيين :ـ

دانت للشاه طهماسب بلاد الكرج فى (٩٥٦هـ) وشروان فى (٩٥٧هـ)

وقام عبيد الله بغزو خراسان للمرة الرابعة عام ٩٣٥ (١٥٢٨) ولم يتمكن الاوزبك من الفرس لان الاخيرين استخدموا البنادق فى حربهم للترك الذين كانوا يقاتلون بالسهام وسقط فى هذه الغزوة خمسون الفا من الاوزبك وعشرون الفا من الايرانيين . والغزوة الخامسة وقعت عام (١٥٣١/٩٣٨) حينما كان طهماسب منهمكا فى القتال مع السلطان العثمانى وظل الاوزبك بخراسان حتى عاد الشاه بعد حربه اليه •. ولما رقى عبيد الله عرش الاوزبك عام (٩٤٠) عاود غزوه لايران فغزاها عام (١٥٣٥/٩٤٢) وعام (٩٤٦/ ١٥٣٩) غزوته السادسة والسابعة وانتزع حصن هراة من سام ميرزا لكنه لم يستطع الاحتفاظ به (تاريخ بخارى ٣٣٢ ـ ٣٣٦) •.

بالطاعة وكانتا قد خلعتا طاعته قبل وأخذ طهماسب فى (٩٥٨هـ) يهاجم بلاد الروم فبعث بابنه اسماعيل ميرزا لفتح أرزنة الروم وأدخل تحت امرتـه من بلاد الأكراد وأرمنية جميع ما كان السلطان سليمان قد استولى عليه . وقد دفع وصول هذه الأخبار للسلطان سليمان خان للتحـرك الى ايران فبلغ فى ربيع (٩٦٠هـ) نخجوان ، لكنه عاد بعد يومين ، فأعاد طهماسـب أمراء شروان والكرج الذين انبعثوا يسـاعدون السـلطان الى طاعتـه ثم آب الى قـزوين .

وفى عام (٩٦٦هـ) لاذ أحد أبناء السـلطان سـليمان وهو بايزيـد بطهماسب بسـبب الخلاف الذى نشـب بين السـلطان وأولاده ، فأمر طهماسب بأن يقام له الاستقبال الملكى حيثما حل ، ودخل قزوين مجـللا بالاحترام التام وعاش فترة معززا فى دار السلطنة الصفوية . لكن الشاه طهماسب حنق عليه فى عاقبة الأمر بسبب ما ارتكبه وأصحابه من أمور غير مرضية فألقى به فى حبسه وقتل جماعة من أصحابه .

وأرسل السلطان سليمان فى عام (٩٦٧هـ) بضعة نفر من السـفراء محملين بالتحف والهدايا القيمة الى مقر طهماسب يطلب الصلح . وتصالح الطرفان فى عام (٩٦٨هـ) بعد تبادل السفراء وأعاد طهماسـب بايزيد الى أبيه واستمر هذا الصلح حتى آخر سلطنة السلطان سليمان أى حتى عام (٩٧٤هـ) ولما تولى سليم خان الثانى السلطنة العثمانية سلك كذلك طريق المودة مع طهماسب وأرسل سفيرا الى قزوين لهذا الأمر .

وفـاة الشاه طهماسب فى (٩٨٤هـ) : —

واقعات السنين الأخيرة لسلطنة الشاه طهماسب الأول هى وقائـع داخلية عامة من قبيل ضرب العصاة ودفع الأوزبك . وأصاب المرض والعلل الشاه طهماسب من حدود عام (٩٨١هـ) ومع أنه تحسن لكنـه فى النهـاية توفى فى الخامس عشر من صفر (٩٨٤هـ) بعد حكم أربعة وخمسـين عاما .

وقد حكم مدة أطول من أى حاكم صفوى ومع أنه لا يمكن أن يقـاس من ناحية كفايته وادارته وفتوحاته بمثل الشاه اسماعيل والشاه عباس الكبير بحال قط الا أنه على أية حال لم ينقص فى عهـده شىء من أرض ايـران وأبقى الشـاه طهماسب واخوته وقواده أعـداء ايران الخارجيين عـلى حدودهم بأى نحو كان وصدوا هجماتهم .

وقد ظلت علاقات ايران بالدول الأجنبية الغربية التى بدأت عـلى عهد الشاه اسماعيل الأول بسبب استيلاء البرتغاليين على جزاير خليـج فارس وسواحله ، ظلت على حالها على عهد الشاه طهماسب ، خاصة وأن أحد الرحالة الانجليز واسمه (آنتونى جنكنسن) (Anthony Jenkinson) قدم الى روسيا من طرف الشركة التجارية التى أسست فى لندن باسـم شركة التجارة مع دولة موسكو (روسيا الأصلية) بهدف فتـح طـريق التجارة مع الشرق ، فأرسله قيصر موسكو (ايفانمخوف) سـفيرا الى بخارى ، ثم أتى فى سفر ثان عام (٩٦٧م) الى بحر الخرز عن طريق شاطىء الفولجا ونزل ميناء باكو ووصل مقر طهماسب بقزوين عن طريق أردبيـل وقدم الى الشاه ما بعثته الملكة اليزابيث الكبرى اليه من هـدايا ، لـكن الشاه طهماسب لم يهتم كثيرا بشأن الرحالة الانجليز الذين كانوا مبعوثين من ملكة مسيحية ، وعاد الانجليز بقدر من الحرير والقمـاش النفيس الايرانى الى بلادهم، فجذبت هذه البضائع اهتمام أولياء شركة تجـارة موسكو تجاه ايران،وتجلت أهمية الحرير الخام الايرانى لدى تجار المغرب فقدم بضعة نفر من مبعوثى الشركة المذكورة من نفس طريق موسـكو ـــ ايران على رحلات ست . لكنه اتضح بعد ذاك أن طريق موسكو بسـبب طوله وأخطاره طريق بغير فائدة ، ولهذا فقد تركته شركة موسكو ، وبعد هذا كما سوف نقول اتجه الانجليز الى طرق آخرى للتجارة مع ايران .

سلطنة الشاه اسماعيل الثانى

(٩٨٤ ــ ٩٨٥هـ)

كان للشاه طهماسب أولاد عديدون لهذا دب النزاع بين القواد والأمراء بعد موته فى اختيارهم خليفة الشاه ، فنادت جماعة من الأمراء الاستاجلو بحيدر ميرزا ملكا ورفضت سائر القزلباشية هذا الاختيار ونهضت ثائرة وقتلت حيدر ميرزا وأتوا باسماعيل ميرزا وكان أبوه قد حبسه فى قراباغ وجعلوه ملكا باسم الشاه اسماعيل الثانى •

كان اسماعيل ميرزا رجلا فاسقا سفاكا سفيها وكان قد تربى فى شبابه على يد معلم سنى فى هراة فصمم على طرح المذهب الشيعى واجراء الخطبة والسكة باسم الخلفاء الراشدين ، فضلا عن أنه انبعث لقتل أولاد عمه وأعمامه فقتل أكثرهم ، ولم ينج غير أخيه (سلطان محمد ميرزا) الذى كان بشيراز وأولاده ومن بينهم عباس ميرزا وكان يعيش بهراة فقبل أن يتم تنفيذ أمر الشاه اسماعيل بقتلهم وجد الشاه مقتولا فى قزوين ليلا فى أحد المنازل فنجا سلطان محمد ميرزا وأولاده من القتل • وقد حدثت وفاة الشاه اسماعيل الثانى فى الثالث عشر من رمضان (٩٨٥هـ) ودام حكمه سنة وثلاثة شهور وتسعة عشر يوما •

سلطان محمد خدا بنده

(٩٨٥ ــ ٩٩٦هـ)

بعد أن ذاع خبر موت الشاه اسماعيل الثانى جلس سلطان محمد ميرزا الذى كان بشيراز مكان أخيه بها بتاريخ الخامس والعشرين من رمضان وفى الثانى من شوال دخل قزوين ولقب خدابنده أى عبد الله •

أرسل السلطان العثمانى مراد خان الثالث (٩٨٢ ــ ١٠٠٣هـ) بعد علمه بوفاة الشاه اسماعيل الثانى عثمان باشا أحد قادته المشهورين عام

(٩٨٦هـ) الى شروان وقراباغ ففتح هذا القائد تلك النواحى مما جعل محمدا خدابنده يسير ابنه الأكبر حمزه ميرزا بجيش لجب لدفع العثمانيين فاستعاد حمزة البلاد المسيطر عليها وانهزم الجيش العثمانى .

وفى عام (٩٨٩هـ) تمردت عن طاعة الشاه قادة جماعة الشاملو التى كانت تعيش فى خراسان تحت امرة عباس ميرزا ولد الشاه وانبعث منهم (على قلى خان) لكى يجرى الخطبة والسكة باسم عباس ميرزا . فسير سلطان محمد حمزة ميرزا الى خراسان فعلم العثمانيون بنبأ تحركه فعاودوا هجومهم على شروان وأعاد عثمان باشا سيطرته عليها .

ولم تخمد فتنة خراسان برغم مهاجمة حمزة ميرزا لها ، ولكى تدفع فتنة على قلى خان الشاملو الذى كان يتولى رئاسة خراسان أمر وزير خدا بنده (سلمان اعتماد الدولة) بعزله عن منصبه هذا واضطر خدا بنده فى النهاية أن يشخص بنفسه فى عام (٩٩١هـ) الى هراة لاستخلاصها من يد ابنه عباس ميرزا . ولم يسلم له أهل هراة بل هددوه بألا يمكنوا عباس ميرزا من حكمهم اذا لم يسلمهم الوزير ميرزا سلمان . وأبى عجز خدا بنده أن يترك الوزير المسكين الى قزلباشية هراة فقتلوه وعاد الشاه الى آذربايجان لصد عثمان باشا دون أن يتمكن من استعادة هراة . وشدد حمزة ميرزا ضغطه فى حصاره لهراة ولما أدرك عباس ميرزا أنه لن يتخلص من حصار أخيه جنح الى الموادعة والصلح وقرر الأخوان أن يتجنبا كل ادعاء للسلطنة ما بقى أبوهما حيا وأن تكون خراسان وهراة تحت حكم عباس ميرزا وأن تبقى العراق فى يد حمزة ميرزا . وسكنت فتنة خراسان بهذا الترتيب مؤقتا وقفل حمزة ميرزا عائدا الى قزوين لكى يمد أباه فى صده عثمان باشا .

ودارت رحى المعركة بين حمزة ميرزا وعثمان باشا فى (٩٩٣هـ) فى تبريز وانهزم عثمان باشا وتقهقر الى بلاد الأكراد .

وكان حمزة ميرزا ابن خدا بنده الأكبر وفى عام (٩٩٤هـ) قتل اثر

مؤامرة فى الثامن من ذى الحجة من هذا العام على بعد منزل من كنجة بيد جماعة من أمراء التركمان والأفشار فلما بلغ خراسان هذا الخبر تحـرك أمراء خراسان بصحبة عباس ميرزا من مشهد الى قـزوين لكى يؤدبـوا الأمراء المتمردين وينفذوا ارادتهم التى كانوا ينتوونها من قديم وهى أن يجلسوا رئيسهم عباس ميرزا على كرسى السـلطنة .

وانتخب الأمراء قتلة حمزة ميرزا بعد قتل هذا الأمير الكفء أخـاه أبا طالب ميرزا للسلطنة وقدموا من كنجة يحملون جثة حمزة الى أردبيل ثم ساروا على عجل من قزوين ومنها الى أصفهان ولما سـمعوا أن عباس ميرزا يصحبه على قلى خان الشاملو ومرشد قلى خان الاستاجلو الحاكم السابق لخواف وباخرز قد تحركوا الى قزوين عادوا اليها لمنعهم عنها .

ودخل عباس ميرزا فى ذى الحجـة (٩٩٦هـ) قـزوين وكان محمـد خدا بنده فى هذا الوقت فى شيراز ورفع مرشد قلى خان وعـلى قلى خان عباس ميرزا رسما الى سلطنة ايران بلقب الشـاه عباس وبهـادر خـان وصدق خدا بنده على سلطنة ابنه أيضا وظل حيا حتى عام (١٠٠٣هـ) .

الفصل الثالث عشر

سلطنة الشاه عباس الكبير
(٩٩٦ - ١٠٣٨هـ)

ولد الشاه عباس الكبير فى غرة رمضان (٩٧٨هـ) بمدينة هراة حينما كان أبوه محمد خدا بنده واليا لها من طرف الشاه طهماسب ، ولم تتجاوز سن عباس الثامنة عشرة حينما خلف أباه فى السلطنة فى قزوين .

ومع أن عباس ميرزا طالب بالسلطنة فى خراسان من حدود عام (٩٨٢هـ) يسانده مرشد قلى خان الاستاجلو وعلى قلى خان الشاملو الا أنه تخلى عن ادعائه هذا بعد مصالحته لحمزة ميرزا فى هراة مؤقتا الى أن قتل حمزة فأتى كما رأينا الى قزوين واعتلى رسما سلطنة الصفويين .

وقد دفعت القلاقل التى حدثت آخر عهد سلطان محمد خدا بنده فى جميع نقاط ايران خاصة فى طرفى البلاد الشرقى والغربى بجارتى ايران العدوتين اللتين كانتا تحفظان على الصفويين الحقد الدينى وهما الأوزبك والعثمانيون بالتطاول على حدودهم حتى أن مشاكل عظمى واجهت الشاه عباس بسبب هذين الخصمين .

دفع الأوزبك : -

بعد أن تحرك الشاه عباس من هراة الى قزوين هاجم ملك الأوزبك عبد الله خان الثانى (٩٩١ - ١٠٠٦هـ) - وهو أحد أشهر خانات الأوزبك ومن ملوكهم الغزاة الفاتحين - مدينة هراة وبعد ستة شهور قتل حاكمها القزلباشى واستحوذ عليها . ولم يجد الشاه عباس الذى كان مصمما على

قتال العثمانيين مناصا غير أن يصالح عدوا ويدفع الآخر فصـالح لهـذا العثمانيين وأرسل حيدر ميرزا ابن أخيه حمزة ميرزا الى السلطان وصالحه على أن يتخلى له عن تبـريز وشروان والكـرج ولرسـتان أى القسـم الأساسى لغرب وشمال غرب ايران ، وسلك طريقـه الى مشـهد لصـد عبد المؤمن خان بن عبد الله خان الذى أتاها وألقى بحصاره عليها •

ومرض الشاه عباس فى طهـران ودام مرضـه نحو خمسـين يوما واستولى عبد المؤمن خان على مشهد فى أثناء هذه الفترة وأردى جمـاعة كثيرة من أهلها صرعى ونهب نفائس عتبة القدس (ضريح الامام الرضا) ومن بينها مكتبتها القيمة ثم استولى على نيشابور والدامغـان وولى من جانبـه واليـا على كل مدينـة •

ولما تحسنت صحة الشاه أخلى عبد المؤمن خان خراسـان وبـادر الشاه عباس الى مدافعة المتمردين بالداخـل الذين أفـادوا من مرضـه وأعلنوا تمردهم فأدخل يزد وكرمان وجيلان طاعته وقضى فـترة أيضا فى أصفهان وقراباغ يتفقد أحوالها وينظم أمورها • ولم يصدر عن الشـاه عباس حتى عام (١٠٠٦هـ) حركة هامة لدفع الأوزبك الذين كـانوا دائمى الاغارة على بلاد خراسان والعراق العجمى ثم يعودون الى التركسـتان بالأسلاب وانصرف وقته الى الاستيلاء على بعض ولايات ايران التى لـم تكن قد أطاعته وقتها مثل لرستان التى كانت حـتى ذاك الوقـت فى يـد أتابكة اللور الصغار وكولايتى رستمدار وكجور اللتين كانتا تحت امـرة الأمـراء المحليـين •

وفى أواخر عام (١٠٠٥هـ) قصد الشاه عباس مشهد وفى السادس من المحرم (١٠٠٦هـ) غلـب فى هراة ابن أخت عبد اللـه خان وهزم الأوزبك هزيمة شديدة حتى أن هذه النواحى اتقت شرهم لفـترة لا سـيما وأن عبد الله خان توفى فى هذه الآونة وأن ابنه عبد المؤمن خان قتل بيد أمرائه

بعـد أبيـه بسـتة شـهور(١) ٠

فتح اللار والبحرين فى (١٠٠٩هـ) :—

أناب الشاه عباس وردى خان زركر باشى(٢) فى حكومة فارس عام (١٠٠٣هـ) وكان ولاية اللار اذ ذاك تحت حـكم مجمـوعة من الخـوانين المحليين الذين كانوا يصلون بنسبهم ادعاء الى جرجـين ميـلاد بطـل الشاهنامة المشهور وكانت موانىء هذه الولايات من قبيل ميناب وجرون (المكان القديم لبندر عباس الحالية) اسما تحت أمر أمراء هرموز ورسما تحت طاعة الحاكم البرتغالى للهنـد ٠

كان البرتغاليون قد اسـتولوا عام (٩١٢هـ) على جزيرة هرمـوز وأدخلوا أمراءها الذين كانوا يؤدون الجزية لسلاطين ايران تحت طاعتهم وسيطروا أيضا على عمان ومسقط وجزر الخليج الأخـرى ٠ وفى عـام (٩٢٠هـ) أرسل الشاه اسماعيل سفيرا الى آلبوكرك الحاكم البرتغالى للهند حين كان فى الخليج واحتفى بمقدمة آلبوكرك كما كانت تقتضى الظـروف وقتها ، لكنه بعد قليل حينما سمع أن أمير هرموز قبـل تبعيتـه للشـاه الصفوى تحرك لتأديب هذا الأمير وفى نهاية الأمـر عقـد فى مينـاب مع مبعوث الشاه اسماعيل معاهدة وقبل أن يمـد ايران فى اخمـادها فـتن بلوجستان وغزوها للبحرين ازاء صرف الشاه الصفوى نظره عن مطـالبة طاعة أمير هرموز اليه وأن تتحد ايران والبرتغال ضد العثمانيين وبالرغم من وجود هذه المعاهدة فقد أخرج البرتغاليون عام (٩٢٦هـ) البحرين أى

(١) راجع للتفصيلات وللوقوف على الجدال الـدينى حول التسـنن والتشيع والذى أثاره علماء مشهد مع علماء الأوزبك بقصد تحويل هجمـات عبد الله خان عنهم تاريخ بخارى (٣٤١ — ٣٤٦ ، ٣٥٤) ٠

(٢) اسمه فى الأصل (الله وردى خان) ولا يصح اسلاما ان يسـمى عبد من عباد الله باسم الله ، لهذا فقد سميناه وردى خان وحسب ، أما زركر **باشى فتعنى رئيس الصائغين (زركر فارسية تعنى صائغ وباشى تركية تعنى** رأس ورئيس) ٠

ساحل الأحساء والجزر المجاورة لها عن سيطرة الشـاه اسـماعيل ولـم يتمكن الشاه اسماعيل من أن يحول دون تحقيق أهداف البرتغاليين بسبب عدم توفر أسطول لديه ثم لمشاكله الداخلية ، حتى انه لم يقـدم على أى تحرك فى الثورة العظمى التى شبت فى جميع جزر وسواحل الخليج ضـد البرتغاليين من قبـل الايرانيـين من عـام (٩٢٥هـ) حـتى (٩٢٨هـ) وكان البرتغاليون على وشك أن ينتهى أمرهم فيها تماما اثر هذه الثورة •

وفى عام (١٠٠٩هـ) بدأ وردى خان بخانات اللار فأزالهم لأنهم كانوا حائلا دون ارتباط فارس المباشر من ناحية الجنوب الشرقى بسـواحل الخليج كما كانوا يساعدون البرتغاليين ثم أنفـد جيشـا الى البحـرين للسيطرة عليها لأنها كانت دائما تتبع فارس(١) • وهاجـم البرتغـاليون البحرين ، فجعل وردى خان من ميناء جرون مصب هجماته لكى يخـفف من ضغط البرتغاليين عليها فمنع بهذا من اعادة اسـتيلائهم عليها ، وقـد ظلت البحرين تحت سيطرة الصـفويين وكانت أول ولايـة من ولايـات سواحل الخليج تخرج عن قبضة البرتغال اذ ظلت هذه الولايات لمدة قرن تحـت سـيطرتهم •

الحـرب مـع العثمـانيين :

استقدم الشاه عباس فى عام (١٠١١هـ) جنـود ولاياته وأذاع أنـه ينوى التحرك الى شيراز ثم قدم قزوين من أصفهان وهناك علم صـحبه أن الشاه ينتوى فى الحقيقة مهاجمة آذربايجان واستخلاص ولايات شمال غرب ايران وغربها التى اضطر الى اخلائها للعثمانيين فى بداية حكمه•وبدأ الشاه عباس بحملته بجيشه المتأهب على تبريز ففتحها فى الخامـس عشر من جمادى الأولى (١٠١١هـ) ثم سقط منها على ايروان وأمر ضـمن ذلك

(١) فى قول اقبال ان البحرين كانت دائما تاريخها تبعا لفارس والفرس تعاقب كبير ، فالعرب سكنوها وعمروها قبل ظهور الجنس الآرى على مسرح الحياة وهذه بدهية لا تحتاج الى اثبات .

وردی خان أن يهاجم بغداد من ناحية خوزستان • فاتجه وردی خان الى بغداد وألقى حصاره عليها لكنه استقدم قبل فتحها بأمر الشاه الى ايروان وفتح الشـــاه ايروان في أوائل عام (١٠١٣هـ) •

وقد تجاسر قائد الجيش العثمانى فى بغداد وهو أوزون احمد بعــد أن فصل وردی خان عنها فظهر أمام همدان لكن قادة الجيش الصفوى استأسروه هناك ولكى يتم ما أنجزه الجنود سير الشاه عباس وردی خان لفتح وان (فان) وآخر لقارص فحاصراهما • ووجه السـلطان العثمانى قائده المشهور جغال أوغلى بجيش ضخم لاستخلاص وان وقارص فأسرع الشاه لمواجهته وكان فى تبريز ولم يكن معه أكثر من اثنين وستين ألفـا بينما تجاوز جنود جغال أوغلى المائة ألف •

وقد استعمل الشاه عباس الحيلة فى هذه الحرب فقسم جنده فئتين وبدأ بدفع قسم من فرسانه لتكثيف حملاتهم على جيش جغـال أوغلى ، فأنعطف الترك بقوتهم الرئيسية اليهم على ظن انهم الجزء الهـام مـن جيش ايران فلما اشتعلت الحرب على هذه الحال سقط الجيش الاساسى على الترك وكانوا يتوقفون لهذه الفرصة فقتل فى هذه الحرب نحو عشرين ألف تركى من الجيش العثمانى ولاذ جغال أوغلى بالفرار ثم مـات بعـد قليل حزنا وحاز الشاه الصفوى هذا الفتح الكبير فى الرابع والعشرين من جمادى الثانية (١٠١٣هـ) وفتح الشاه عباس فى السنة التالية كنجــه وتفليس وباكو والدر بند وشروان وشماخى وديار بكر والموصل ، وعاد الى قزوين أوائل عام (١٥١٠هـ) بعد أن استعاد سـائر الولايـات التى استولى عليها العثمانيون ونال شوكة واعتبار يفوقان العادة •

وفى عام (١٠١٧هـ) أرسل السلطان احمـد خان رئيس وزرائـه (الصدر الاعظم) مراد باشا بجيش ثان لقتال ايران واستولى مراد باشا على تبريز بسهولة لكنه لقى هزيمة مرة فيها وعاد الى الأرض العثمانية منهزما وفى النهاية استقر الصلح بين ايران والعثمانيين فى عام (١٠٢٠هـ)

واعترفت الدولة العثمانية رسما باعادة الولايات السابقة الايرانية الى الشاه عباس وقبل شاه ايران أيضا أن يرسل سنويا مائتى حمل من الحرير الخام الى استانبول •

وأنبىء الشاه عباس فى عام (١٠٢١هـ) ان طهمورث خان الكرجى هاجم حاكم قراباغ بلمة من أتباعه النصارى وأردوه صريعا فتحرك الشاه من اصفهان متجها الى بلاد الكرج فوصلها آخر العام وفر طهمورث ولم يفد الشاه كثرة استمالته له لكى يدخل طاعته بل ان طهمورث توسل بالسلطان العثمانى فحطم هذا الصلح الذى قام بين ايران وتركيا منذ فترة قليلة •

وفى أوائل عام (١٠٢٤هـ) لما سمع الشاه عباس بعودة طهمورث الى الكرج وهزيمته للحاكم الايرانى اتجه اليها ونزل ذبحا فى اهلها حتى أنه اهلك منهم نحو سبعين ألفا خلال عشرين يوما واستأثر مائة وثلاثين ألفا ثم دخل تفليس فى منتصف جمادى الآخرة ، وسلك طريقه منها الى بحيرة كوكجة لصد محمد باشا قائد السلطان احمد خان وصدره الأعظم الذى قدم يعين طهمورث ، فحاصر محمد باشا ايران لكنه صار تحت حصار جنود الشاه فصالح الشاه بعد أن فقد أربعة آلاف جندى وتعهد أن يتوسط بين الدولتين عند وصوله استانبول •

وتوفى السلطان احمد خان فى عام (١٠٢٧هـ) وخلفه مصطفى خان الأول ولم يمكث على العرش غير عام فخلفه عثمان خان الثانى الذى بعث الصدر الأعظم خليل باشا بجيش كبير الى تبريز فلقى الهزيمة الكبيرة وبصحبته ستون ألفا على بعد ثلاثة فراسخ من كدوك شبلى من القائد الايرانى (قرتشغاى خان) فى نفس عام (١٠٢٧هـ) وبلغ قرتشغاى خان بالأسرى قزوين حيث الشاه فعينه على حكومة آذربايجان •

وبعد هزيمة خليل باشا عقدت فى عام (١٠٢٨هـ) معاهدة صلح ثانية

بين الطرفين وتقرر ان تكون حدود البلدين هـى نفس حـدود عهـد الشاه طهما سب وأن يرسل ملك ايران سنويا مائة حمل من الحرير الخام الى السلطان العثمانى •

وجرت آخر حرب للشاه عباس مع العثمانيين بين سنتى (١٠٣٢هـ) و (١٠٣٤هـ) وكانت بسبب الاستيلاء على بغداد لان بغداد مـع أنهـا كانت تبعا لايران فى عهد الشاه اسماعيل الا أن السـلطان سليمان خـان أخذها من ايران ، وعاد وردى خان بأمر الشاه عباس قبل فتحها كمـا سبق الى ايروان فظلت تتبع السلاطين العثمانيين •

وفى عام (١٠٣٢هـ) هاجم الشاه عباس العراق العربى من أصفهان ففتحه فى الحادى والعشرين من ربيع الأول ثم ضم الى ايران (العتبات العاليات) وشخص هو بنفسه لزيارة هذه الاماكن المشرفة وقام بتعمـير أبنيتها •

وفى أوائل عام (١٠٣٣هـ) قدم حافظ أحمد باشا من طرف السلطان مراد خان الرابع لاسترداد بغداد وحاصرها فى التاسع من صفر فبعـث الشاه عباس اليها زينل بيك الشاملو فغلب زينل حافظا وبعد حصار سبعة أشهر أنقذ بغداد وأتى الشاه بنفسه اليها فى (١٠٣٤هـ) وعلى اثر بضع حروب انهزم جنود حافظ أحمد باشا تماما ولم تقع من هذا الوقت حتى نهاية حكم الشاه عباس حرب أخرى ذات أهمية اللهـم الا أن هجمـات الولاة العثمانيين للحدود على بلاد الكرج وأرمنية لم تنقطع وقتا •

الاستيلاء على قشم وهرموز فى (١٠٤١هـ) : —

بعد فتح البحرين على يد جنود ايران وحصار ميناء جرون أرسـل ملك أسبانيا فيلب الثالث الذى استولى فى هذه الآونة عـلى البرتغـال وحكمها أيضا سفيرا بتحف وهدايا كثيرة الى مقر الشاه عباس والتمس منه أن يعطيه البحرين ليستولى عليها عمال شركة الهند البرتغالية وأن

يرفع حصـــاره عن جرون • واستقبل الشاه الصفوى رســل فيليب فى (١٠١١هـ) فاحتفى الشاه لمقدمهم احتفاء عظيما لأنه كان يود محالفـــة البلاد المسيحية ضد العثمانيين وأمر وردى خان أن يرفع الحصـــار عــن جرون ويضع البحرين تحت تصرف البرتغاليين لكنه لم يصر كـثيرا على الأمر الثانى كما لم يمكن حاكم البحرين البرتغاليين منها •

وفى (١٠١٧هـ) أعاد فيليب الثالث سفيره السابق الى ايران وشكا من أن نواب الشاه رفضوا تمكين البرتغاليين من البحرين وهنأ شاه ايران وهو يتملقه على فتوحاته فى حروبه مع العثمانيين ، فأرسل الشاه عباس رسالة ودية لملك اسبانيا مع مخصوص من قبله وسفير أسبانيا لكنه لـــم يذكر حرفا عن البحرين • وفى عام (١٠٠٩هـ) حين كانت البحرين بيـــد الايرانيين وحين كان وردى خان مدركا ان البرتغاليين لـــم يتخلوا عـــن استعادتها طفق يتعرض الى ميناء جرون والقلاع والموانىء الأخرى على أطراف باب هرموز وكانت جميعا فى قبضة البرتغـــاليين وذلك لكى يصرف اهتمامهم اليها ولكى يكون مركزا لجنوده بجوار قلعة جرون المحكمـــة ، فيهيىء بهذا أسبابا لمضايقة البرتغاليين على الدوام وابتنى قلعة باســـم (قلعـــه عباسى) على مقربـــة من جـــرون •

وفى (١٠٢١هـ) أرسل وردى خان ابنه امام قلى خان للسيطرة على جرون لكنه فشل فى أخذها فى ذاك الوقت وكان أن مات وردى خان أيضا فى نفس العام فصار امام قلى خان خلفا لأبيه فى رئاســـة فارس • الا أن امام قلى خان فتح جرون فى عام (١٠٢٣هـ) وخرب قلعتهـــا البرتغـــالية وأنشأ مكانها بندر عباس الحالية على مقربة من قلعة عباس السابقة •

اتجـــه ســـــفير فيليب الثالث المســـــمى أنطونيو ديكوفيــــــا (Antonio de Gouvéa) ودنكـــيز بيـــك الرومـــلو ســـفير الشـــــاه عباس الى أوربا لجلب مساعدة اســـــبانيا الى ايـــران فى حربها مـــع العثمانيين فى (١٠١٧هـ) وعادا الى ايران فى (١٠٢١هـ) ولم ينتج عن هـــذه

السفارة ما كان ينتظره شاه ايران لذا عامل أنطونيو بخشونة وقتل دنكيز بيك أيضا لارتكابه أيام سفره حركات بذيئة وصمم بجدية على أن يقطع أيدى البرتغاليين عن جزر الخليج وسواحله وكانت حملة امام قلى خان على جرون على اثر هذا التصميم •

وفى أوائل عام (١٠٢٣هـ) أرسل فيليب الثالث سفيره مرة أخرى الى ايران يطلب من الشاه ضم البحرين الى جرون على وعد بمساعدته فى حملته على العثمانيين فى الغرب ، فرد الشاه عليه وقد أيس من تحقيق وعوده أن جرون جزء من أرض ايران وأن البحرين قد استولى عليها جنوده من أمير هرموز • وكان الشاه عباس فى هذا الأوان منشغلا بمفاوضاته مع مبعوث شركة التجارة الانجليزية فى الهند لاعطائهم امتيازات تجارية نظير حصوله على عونها البحرى لهذا أعاد سفير فيليب صفر اليدين وكان هذا فى حكم قطع العلاقة ما بين ايران واسبانيا •

وأنزل أسطول شركة الهند الشرقية الانجليزية فى عام (١٠٣٠ هـ) بالبرتغاليين فى ميناء جاسك هزيمة عظمى وقد أحلت هذه الهزيمة وهنا كبيرا بعظمة البرتغال البحرية فى الخليج •

وفى هذه الأيام دخل امام قلى خان بأمر الشاه فى مفاوضات مع ممثلى الشركة الانجليزية لكى يستمد بأسطولهم فى حملاته على جزيرتى قشم وهرموز وأبى ممثلو الشركة المطلب لمدة عام اذ انهم كانوا يخشون ألا يكونوا أندادا للبرتغاليين فى هرموز من ناحية ومن ناحية أخرى لم يحبوا أن يقدموا على هذه الخطوة بغير اجازة من بلاط لندن لإن فيليب الثالث كانت علاقاته بملك انجلترا ودية • وفى النهاية هددهم امام قلى فى حالة عدم استجابتهم لطلبه بالاستيلاء على جميع السلع التى تتبع الشركة فى سواحل الخليج ، وأخيرا عقد ممثلو الشركة فى ميناب معه معاهدة قرر بمقتضاها ان يحمل الايرانيون على قشم وهرمز من ناحية البر ويهاجمها الانجليز من البحر ويقتسم الطرفان الغنائم بالتساوى بعد

الفتح ويتحمل الطرفان أيضا نفقات الأسطول والذخيرة وأن يعود الاسرى المسلمون الى الايرانيين والمسيحيون الى الانجليز (باستثناء حاكم هرمز البرتغالى الذى قرر أن يترك الى ايران) كما يصير دخل جمرك هرمز قسمة بين الجانبين وأن تعفى البضائع التى يصدرها الانجليز للشاه ووالى فارس من دفع الرسوم الجمركية •

وبعد عقد هذه المعاهدة بدأ امام قلى بحملته على قشم وباستيلائه عليها قطع طريق مياه الشرب عن برتغاليى هرمز ثم أثار عمان عاملها على البرتغاليين •

ولما فتحت قشم القت القوات المتحدة الايرانية والانجليزية فى السابع والعشرين من ربيع الثانى عام (١٠٣١ھ) بحصارها على قلعة هرمز وفتحتها فى النهاية فى العاشر من جمادى الآخرة وسقط ثلاثة آلاف أسير برتغالى فى أيدى الانجليز وعدد من العرب بقبضة الايرانيين ، وقتل الأسرى العرب بأمر امام قلى وأرسلت رؤوسهم الى بندر عباس •

وبفتح هرمز فقد البرتغاليون أكبر معاقلهم وأشدها تحصينا فى الخليج بعد قرن وبعض قرن كما زالت اسرة أمراء هرمز القديمة فى عام (١٠٣١ھ) التى حكمت من بضعة قرون فى هرمز القديمة (ميناب الحالية) وهرمز الجديدة (جزيرة هرمز الحالية) وسواحل موغستان وعمان مستقلين حينا وتحت أمر أمراء ايران وأخيرا تحت حكم ملوك البرتغال وأسبانيا أحيانا أخرى •

وبعد فتح قشم وهرمز كان امام قلى يود اخراج عمان ومسقط أيضا عن قبضة البرتغاليين وتخليص مسلميهما من شرور اعتداءاتهم الغاشمة ولهذه النية دخل فى مفاوضات مع نواب شركة الهند الشرقية لجلب مساعدة الانجليز • لكن الانجليز ولما يستفيدوا بشىء من فتح هرمز وكانوا يودون أن يتلافوا ما خسروه هذه المرة اقترحوا لامام قلى أن يترك لهم جميع جزيرة هرمز ونصف العائدات الجمركية لها وان

يكون لهم الحق فى الاحتفاظ بأربعة سفن حربية فى الخليج • ورفض امام قلى هذا الاقتراح لانه لم يكن يقبل أن تسقط هرمز فى أيد مسيحية مرة أخرى ، ولم يصادف تنفيذ خطة الاستيلاء على مسقط وعمـان برغم مهاجمة امام قلى لهما بسبب ضعف قوة ايران البحرية توفيقا كما فشل البرتغاليون فى استعادة هرمز برغم محاولاتهم الى ان تصالحوا مع الشاه عباس فى (١٠٣٤هـ) وتنازلوا عن جميع ما كان لهم فيها سبق • وكان الشاه لايريد أن يفقد صداقة ملك أسبانيا والبرتغال لكيلا يبقى وحيدا فى حالة حدوث حرب له مع الانجليز لهذا سمح للبرتغاليين أن يقوموا بصيد اللؤلؤ فى البحرين ويؤسسوا لهم فى ميناء كنك شمال شرقى لنكة قلعة ودار للتجارة

موت الشاه عباس فى الثالث والعشرين من جمادى الأولى عام (١٠٣٨هـ)

أصدر الشاه عباس فى العام الأخير من سلطنته أوامره لامام قلى خان والى فارس أن يهاجم ومعه أمراء خوزستان البصرة فيستولوا على هذا الميناء عن طريق دجلة وجزيرة العرب وقصد الشاه نفسه أيضا مازندران • وفيها زاد المرض على الشاه الى أن وافاه أجله ليلة الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام (١٠٣٨هـ) فى بلدة أشرف (بهشهر الحالية) وقد عمر تسعة وخمسين عاما وثمانية شهور وثلاثة وعشرين يوما وحمل جسده من مازندران الى كاشان ثم دفن بعد فترة فى قم •

وقد حال وصول خبر موت الشاه عباس دون يستولى امام قلى على البصرة وكان يحاصرها فأتى أصفهان ليقابل الشاه الجديد •

يعد الشاه عباس الكبير الذى حكم ايران تسعة وأربعين عاما من بداية اعلانه السلطة وثلاثة وأربعين عاما من خلع أبيه أعظم ملوك ايران بعد الاسلام — بلا شبهة — نظرا لأعماله الكبيرة التى تبدت فى فتوحاته والآثار الخيرية التى ظهرت فى ادارته الملك ويجوز أن أحدا من ملوكنا

ليس فى نظر العوام الايرانيين فى شهرته وطيب ذكره ، وتشهد الحكايات والأساطير الجارية عنه على ألسنة الناس بهذا ولم يكن اطلاق لقب (الكبير) الذى أطلقه عليه الفرنج عبثا .

وللأسف فان اعمالا ارتكبها الشاه عباس فى مجال حياته الخاصة تبلغه الى الدرجة النهائية لقسوة القلب والفظاظة والتعصب من قبيل قتله لابنه الأرشد (صفى ميرزا) عام (١٠٢٢هـ) بتهمة التفكير فى عصيانه وسمل ولدين آخرين وانزال الذبح العام للكرجيين وقتل التابعين والمتهمين بأدنى مظنة أو ذنب . أما غير هذا فان الشاه عباس فضلا عن غلبته لأعداء ايران السابقين وكسب المآثر الكثيرة فى فتوحاته قد جاهد أكثر من أى ملك فى مضمار رفاهية الشعب وتعمير البلاد وشق الطرق وتشييد الأبنية والعمائر ولا يزال الى اليوم آثار عديدة من آثاره الخيرية فى كل ايران .

نقل الشاه عباس فى حدود العام الألف الهجرى عاصمة الدولة الصفوية من قزوين الى اصفهان فولت هذه المدينة وجهها مرة اخرى الى العمران والعظمة بفضل اهتمام هذا الشاه وكانت قد نزلت من عهد السلاجقة عن اعتبارها وعمارها ، وطفق الشاه وأعيان دولته يشيدون بها العمائر والمساجد والطرق والحدائق . وبدأ الشاه عباس فى عام (١٠١١هـ) بتأسيس سوق (تشهار بازار) وميدان (نقش جهان) وفى عام (١٠١٩هـ) ابتنى مسجد شاه واختط لاقامته قصر (عالى قابو) والجنان على حافتى نهر زاينده رود والمنازل الملحقة بها .

وخلافا لاصفهان أقام الشاه عباس أبنية عدة فى ولايات ايران الأخرى خاصة مازندران التى كانت من أماكن سياحة الشاه وصيده الدائمة ، ومن بين ذلك اقامته لميناء فرح آباد فى (١٠٢٠هـ) وأشرف فى (١٠٢١هـ) وجادة سنكفرش فى (١٠٣١هـ) لمازندران بطول خمسة وأربعين فرسخا من فرح آباد حتى خوار الرى وطريق أخرى من نفس

الولاية بين جاجرم فى خراسان حتى صحراء موغان .

وفى عراق العرب عمر كما أثر الشاه عباس مدينة النجف ومقابر الأئمة ـ ثم أوقف عام (١٠١٧هـ) جميع أملاكه الخاصة للأئمة الأربعة عشر المعصومين وأمر أن يعود ريعها الى السادات(١) .

وفى عام (١٠٢٨هـ) أمر امام قلى أن يزيل جزءا من جبل (زرد كوه بختيارى) الذى ينبع من سفوحه نهرا قارون وزاينده رود أى الجزء المسمى كوه رنك الذى أقدم الشاه طهما سب على حفره قبل ذلك ، لكى يدخل قسما من ماء نهر قارون فى نهر زاينده رود بهدف تعمير أصفهان ، فبادر امام قلى لتنفيذ الأمر لكنه لم يستطع تحقيقه بسبب صعوبته .

وكان الشاه عباس رجلا يحب السياحة والتطواف وكثرت زياراته أغلب سنيه لمشهد أو مقبرة جده الشيخ صفى الدين بأردبيل لذا فانه يرى عنه منازل للقوافل ابتناها من الحجر لا حصر لها على كل الطرق

---

(١) المعروف ان الأئمة اثنا عشر اماما فى المذهب الاثنى عشر الامامى وليسوا اربعة عشر اللهم الا اذا ادخل غرضا الشاه عباس اسماعيل بن جعفر الصادق امام الاسماعيلية واخت الرضا (المعصومة) التى لازال قبرها بقم الى اليوم مزارا يحج اليه الشيعة فصار عدد الأئمة اربعة عشر . وليس يعنينا فى هذه المسألة عدتهم فان كانوا يقلون او يزيدون لا ينقص الأمر او يزيد بقدر ما نعنى به من وصفهم بالعصمة التى لا يتصف بها الا الله تعالى ، فالعصمة باطلاق لله وحده ، والرسول صلوات الله عليه ليس معصوما من الخطأ وحده الا فى حالة نزول الوحى عليه وتبليغه للناس أما غير ذلك فهو كسائر البشر يجرى عليه ما يجرى عليهم من النسيان والخطأ ، وهذا واضح من قوله تعالى للرسول (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين) المائدة / ٦٧ . اما دون الوحى وتبليغه فالرسول معرض للخطأ كما حدث منه وحدث به القرآن الكريم فى أكثر من حادثة كاعراضه عن الأعمى لشغله بكبار قريش وتحريمه ما احل الله له ابتغاء مرضاة ازواجه وغير ذلك وكان الوحى يرفد الرسول دائما فيقره على اجتهاده بغير وحى او يعدله او يعلمه بشىء جديد . واذا كان الرسول الموحى اليه تنتفى عنه العصمة الا حين الوحى وتبليغه فمن الضلال البين اعتقاد العصمة على اطلاقها او جزء منها على بشر قط والله تعالى أعلم .

الرئيسية فى ايران وتقول العامة أن تسعة وتسعين وتسعمائة منزل للقوافل أنشأها الشاه عباس الكبير ويوضح هذا العدد كثرة ما بناه من هذه المنازل (١) .

وفى عام (١٠٠٩هـ) قصد الشاه زيارة مشهد من اصفهان راجلا فأمر بقياس المسافة ما بين اصفهان ومشهد عن طريق صحراء باطناب فبلغ مائتى فرسخ الا واحدا .

وفى عام (١٠١٧هـ) حين أتى الشاه عباس مراغة ورأى بها مرصد هولاكو صمم أن يعمره وأرسل لاعداء مشروع تعميره الشيخ بهاء الدين محمد العاملى والملا جلال المنجم وعلى رضا الخطاط فعرضوا تقريرهم لتجديد المرصد ، لكنه لا يعلم لأى سبب لم تطبق هذه النية عملا واقعا .

سياسة الشاه عباس الادارية :

سعى الشاه عباس قدر استطاعته والى الحد الذى كان يسمح به عصره فى تعمير البلاد واصلاح ما يتعلق بالتجارة والجيش والزراعة من أمر ولم يغفل كذلك عن استجلاب الأجانب والافادة بهم فى هذه الميادين .

ولم يكن الشاه عباس فظا على غير أهل السنة من دون أتباع سائر المذاهب لذا فقد جلب أثناء غزواته لأرمنية والكرج نحو ثلاثين ألف اسرة من مسيحيى هذه الولايات الى مازندران وأسكنهم بها كما رحل الى

---

(١) ليس من الدقة الاعتماد على مأثور العامة والجفلى فيما ينسبونه الى سلطان أو غيره من فعل خاصة اذا كان البطل سلطانا عندهم ، ولعل نفس العدد المذكور (٩٩٩) يوضح كذب الخبر لضخامته اولا ولا يثاره دون غيره ثانيا لان من يبنى الف منزل الا واحدا يستطيع اتمامها الى الألف اذا فرض استطاعته بناء مثل العدد الضخم . ويبدو أن العامة اختاروا هذا العدد دون غيره فى رواياتهم لقربه فى أذهانهم من الألف ليلة وليلة واحدة وحكاياتها وأبطالها الخالدين عند العوام وربما هدفوا الى أن يعلوا منزلة بطلهم الصفوى على بطل الف ليلة وليلة الأسطورى ، فواحد أمضى عمره يشيد الف بناء وآخر قضاه يسمح الف حكاية فشتان اذن بين البطلين ..

أصفهان خمسين ألف أسرة من أرامنة جلفا وايروان وبنى لهم مدينة جلفا على شاطىء نهر زاينده رود وأنشأ لهم فيها الكنائس وشجعهم على التجارة مع الهند والبلاد الخارجية بأن أعطاهم الحرية الكاملة •

وفى عام (١٠٠٦هـ) حينما كان الشاه عباس فى خراسان يدفع الاوزبك قدم أحد النجباء الانجليز كان متصفا بالحنكة والخبرة بالحرب يصحبه أخوه وستة وعشرون رجلا من بلاد الانجليز ليقابل الملك الصفوى بايران وكان يغرض الى اكتساب امتيازات تجارية من ناحية والى ادخال الشاه عباس فى تحالف مع السلاطين المسيحيين فى أوربا ضد الأتراك العثمانيين من ناحية أخرى •

وبلغ هذا للرجل واسمه أنتونى شرلى (Antony Sherly) ومعه أخوه روبرت (Robert Sherly) والبعثة المرافقة لهما مقر الشاه عباس بقزوين وقدما التحف والهدايا التى اصطحباها ، فلقيهم الشاه بحفاوة واصطحبهم الى أصفهان •

وفى أصفهان أدرك الشاه ووردى خان أن من بين رفقة شرلى من يعرف بفنون المدافع والأمور الأخرى العسكرية ، وكان الشاه وقائد جيشه يفكران فى تنظيم جيش جديد على نظير الجيوش المنظمة لبلاد أوربا لاخراج الاتراك العثمانيين ودفعهم وكان الجيش الصفوى حتى هذا الوقت مؤلفا من فرسان جماعات القزلباس التى كانت تدين بالولاء فى الحقيقة الى رؤسائها أكثر من الشاه حتى أنهم كما رأينا كانوا يتدخلون فى عزل الملوك وتنصيبهم حسب أهوائهم ، وقد ثار الشاه عباس نفسه على أبيه عن طريقهم فوصل الى السلطة •

وكان الشاه الصفوى يعلم بما لديه من معرفة بأحوال الجيش العثمانى أن جنده القذلباش ليس بمكنتهم مجابهة العثمانين وأنه يلزم جيش متدرب مطيع للشاه اطاعة مباشرة لهذا بدأ بتخفيض عدد الفرسان القزلباشية الى ثلاثين ألفا وأحل محل المبعدين عشرة آلاف فارس وعشرين

ألفا من الشاه لقوا حظا من التدريب والتعليم بعـون أصـحاب شرلى واخوته وكانوا يتلقون من الدولة الجراية والرواتب وجهزت لهم مدفعية حديثة وأنيطت قيادتهم العامة بوردى خان ٠

وقد ألف الشاه عباس طائفة جديدة من الطوائف المختلفة لحراسته الخاصة لتوقعه الأخطار المحتملة من القزلباشية وسماها (شاهيسـون) أى أحباب الشاه وأدخلت هذه الطائفة فضلا عن حراستها للشاه بين فرق جيشه ٠

وفى أواخر عام (١٠٠٧هـ) حين نجح الشاه عباس فى تأليف هـذا الجيش وقرر مهاجمة العثمانيين أرسل أنتونى شرلى ومعه حسين عـلى بيك بيات الى ملوك أوربا لكى يعقد معهم صفقات رابحة فيما يتعلق ببيع حرير ايران وكان فى هذا الوقـت من نفائـس البضـائع المطلوبة عند الأوربيين كما يبنى معهم أساس تحالف ضد العثمانيين قائم على مقـام محـكم ٠

واثناء السفر وقع الخلاف بين شرلى وحسين على بيك فخلاه شرلى وقدم الى اسبانيا لدى فيليب الثالث ولم يعد الى ايران ثانية ٠ ووصـل حسين على بعد سفر طويل الى بلاط أسبانيا وعاد الى ايران بسفينة كان فيليب وضعها تحت تصرفه وقد استغرقت عودته نحو أربعة أعـوام ٠ وسير ملك اسبانيا فى نفس ذاك الوقت ديكوفيا بسفارة الى ايران وكان الشاه عباس كما رأينا على أهبة أن يرفع حصاره عن جرون لكى يكتسب مودة فيليب وان يعيد البحرين أيضا الى البرتغاليين ٠

وعاود ديكوفيا زيارة ايران (١٠١٧هـ) وعاد هذه المرة يصحبه زنجير بيك سفير ايران بأسبانيا الى بلده ثم آب ثالثـة الى ايـران فى عـام (١٠٢١هـ) ٠ لكن هذه السفارات لم تسفر عن نتيجـة هامة كما سـبق لأن الشاه لم يكن مستعدا أن يعيد البحرين ولم يساعد فيليب شـاه ايران فى هجومه على العثمانيين من الغرب ٠ وقطع الهجوم على هرمز سلسلة هذه

المفاوضات الودية وقصرت البرتغاليين رعايا فيليب الثالث تماما عن جزر الخـليج وسـواحله .

وفى (١٠١٦هـ) حين لم يعد أنتونى شرلى من أوربا ولم تؤد سفارة حسين على بيك الى نتيجتها المطلوبة أرسل الشاه عباس روبرت أخـا أنتونى شرلى — وكان أسدى خدمات جليلة فى الحـروب مع العثمـانيين وأصبح محط نظر الشاه — بسفارة الى أوربا ، فتفاوض باسم الشـاه من عام (١٠١٦هـ) حتى (١٠٢٤) فى الهند وألمانيا وايطاليا واسبانيـا وانجلترا وروما مع ملوك هذه الدول والبابا ، وكان من ضمن ذلك وصوله عام (١٠١٩هـ) لقصر فيليب الثالث لكنه وقع فيه فريسة دسائس أخيـه أنتونى الذى كان ينفس عليه مكانته فاتهم روبرت باساءة العلاقات بـين ملك الانجليز والسلطان العثمانى وتوليد الحروب .

وعاقبة الأمر قابل روبرت ملك انجلترا فى (١٠٢٠هـ) وأطلعه على اقتراحات الشاه عباس وفحواها ترك مينائين من مواناء ايران للانجليز واعطاؤهم حرية التجارة مع ايران ومنح عمال شركة الهنـد الشرقيـة الانجليزية الحرية أيضا لقاء قطع التجارة مع العثمانيين لكن الملك رفض هذه المقترحات بسبب رفض جماعة من تجار الانجليز كانت لهم تجـارة هامة فى موانىء الشام والعثمانيين وكانت ترى منافعها فى اثارة المشاكل ، لكنه سمح لروبرت ان يعقد فى عودته لاصفهان معاهدة مع ايران ودخل روبرت أصفهان أخيرا بعد تحمـل مشقات بالغة فى سـفره فى عـام (١٠٢٤هـ) .

أرسلت شركة الهند الشرقية الانجليزيـة نفسها فى نفس الوقـت مبعوثا الى ايران لكى يحصل على اذن الشاه ببيع بعض بضائعها التى لم تبع فى الهند ولها مشترون فى ايران . وقد كسب المبعوث اذن الشـاه بالرغم من ممانعة روبرت شرلى ووضع الشاه عباس ميناء جاسك تحت تصرف الشركة لاقامة تجارها ولتسويق تجارتهم وفتح بهذا العمل الباب لمنافس قوى للتجار البرتغاليين فى الخليج .

وقدم روبرت شرلى مرة أخرى فى (١٠٢٤هـ) الى فيليب الثالث بسفارة له فرد فيليب بسفير فى (١٠٢٣هـ) الى ايران • وبقى شرلى حتى (١٠٣١هـ) فى البرتغال وظل سفير فيليب أيضا بايران حتى (١٠٢٨هـ) لكن أحدا منهم لم يحصل نتيجة من مهمته بسبب ما ذكرناه سابقا من أسباب •

الفصل الرابع عشر

سلاطين الصفويين المتأخرون

لسوء حظ ايران أن الشاه عباس كان يسيء معاملة أولاده ولم يهتم بتربية وتنشئة خلف جدير له فلا جرم أن وقع بعد موت هذا الشاه الكبير مباشرة التاج والتخت الصفويان فى أيدى ملوك بغير أهبة أو ضعاف فأخذت عظمة الدولة واحترامها يقلان يوما بعد يوم وخطا ثانية أعداء ايران الخارجيون فى طريق هجومهم عليها .

ولد للشاه عباس أربعة ابناء أولهم صفى ميرزا الذى قتل كما قلنا بأمر الشاه ، وثانيهم طهما سب ميرزا الذى مات فى حياة أبيه ، وثالثهم ورابعهم سلطان محمد ميرزا وامام قلى ميرزا اللذان سمل الشاه عينيهما .

وحينما كان الشاه عباس يحتضر فى مازندران أوصى أن يخلفه سام ميرزا ولد صفى ميرزا وكان مقيما بأصفهان ، وجلس سام ميرزا فى أصفهان بعد سماعه خبر موت جده باسم الشاه صفى ليلة الاثنين الموافق العشرين من جمادى الثانية (١٠٣٨هـ) على عرش السلطة ولم تتجاوز سنه فى هذا الوقت السبعة عشر عاما .

سلطنة الشاه صفى

(١٠٣٨ ــ ١٠٥٢هـ)

فتح موت الشاه عابس وجلوس ملك شاب غر مكانه الميدان ثانية لهجوم الاوزبك والاتراك العثمانيين فهاجم الأوزبك فى شوال عام

(١٠٣٨هـ) مشهد لكنهم هزموا على يد حاكمها منوتشهر خان فهربوا الى التركستان وخوارزم •

لكن الواقعات الهامة التى جرت على الحدود الشمالية الغربية لايران لم تدفع بهذه السهولة بل ظل الشاه صفى فريسة لها طوال مدة سلطنته الأربعة عشر عاما وكان أن ظهر أثناء هذه الحروب عجز الشاه كاملا • وما أن سمع السلطان مراد الرابع (١٠٣٢ — ١٠٤٩هـ) أحد آخر سلاطين تركيا الأكفاء الفاتحين بخبر موت الشاه عباس حتى قرر أن يعوض هزائم عهد هذا الشاه فجعل من اعادة السيطرة على بغداد منظور نظره •

وكان أحد أبناء أسرة كرجية يعيش فى خدمة الشاه عباس وأسدى خدمات كبيرة فى حروبه معه ويدعى جورجى سكذيه (Giorgi Sakadzé) ويلقب بمورافى (Mouravi) لكنه أعلن عصيان الشاه فى عام (١٠٣٢هـ) وأخذ يؤلب الكرجيين عليه وبعد مدة من الكر والفر لم يطق المقاومة فلاذ بالسلطان مراد خان وأخذ يكرر دعوته له بمهاجمة ايران •

ولم يجرؤ السلطان مراد على الاقدام على هذا الهجوم ما بقى الشاه عباس حيا وفى السنة الأولى من حكم الشاه صفى أرسل الصدر الأعظم خسرو باشا بجيش الى بغداد وسير مورافى الكرجى الى الموصل وفان وآذربايجان ، فحفظ رستم بيك آذربايجان عن الهجوم وقتل خسرو باشا مورافى الا ان أمير عراق العرب وبغداد لم يدفع بيسر لأن خسرو باشا هاجم هذه النواحى بجيش كبير فأنفذ الشاه زينل خان الشاملو قائد الجيش لدفعه وتحرك هو بنفسه من أصفهان تجاه العراق ، وحاصر خسرو بغداد وسير بعضا من جيشه لفتح بلاد الأكراد • ووصل زينل خان على عجل الى قلعة مريفان لكنه أصيب بالهزيمة المرة بها فى الثانى والعشرين من رمضان عام (١٠٣٨هـ) فتقدم الترك عن هذا الطريق الى همدان بينما كان صفى قلى خان الحاكم اليرانى لبغداد مستبسلا فى

الدفاع عنها وتقدم ولاة آذربايجان فى كل مكان منها لمواجهة الترك •

فتحت هزيمة مريفان طريق ايران الغربية أمام عساكر خسرو باشا ولاذ الشاه صفى بالهرب عنها لما سمع بقدومهم وتقدم الأتراك حتى جزين لكنهم عادوا عنها الى بغداد • وأورد الشاه زينل خان مورد الهلكة من شدة غضبه وتوجه فى بداية عام (١٠٣٩هـ) لانقاذ بغداد • وقد تمكن صفى فى دفاعه عن بغداد من قتل اثنى عشر ألفا من الترك ولما سمع خسرو باشا وصحبه بتحرك الشاه الى بغداد رفعوا حصارهم عنها ، وعاد الشاه الى أصفهان بعد زيارة النجف •

وفى عام (١٠٤١هـ) سمع الشاه صفى أن طهمورث خان ملك الكرج سلك سبيل العصيان وتحالف مع داود خان والى قرا باغ وأخى امام قلى خان فاتح هرمز • فأرسل الشاه صفى رستم خان القائد لدفع طهمورث وتحرك بنفسه فى عقبه ، وهزم رستم طهمورث وداود وأجبرهما على الفرار • وامر الشاه بتنصيب خسرو ميرزا أحد الأمراء الكرجيين على سلطنة بلاد الكرج وكان قبل رئيس الحرس بأصفهان وصار خسرو ميرزا ملكا لهم تابعا للشاه صفى باسم رستم الأول •

وفى عام (١٠٤٣هـ) اشتعلت الحرب مرة اخرى بين ايران والعثمانيين واتجه السلطان مراد بنفسه الى ايران لكنه عاد بسبب القلاقل التى ثارت فى الشام بينما كان الشاه صفى قد توجه بعساكره الى بلاد الأكراد لمواجهة الترك • وفى (١٠٤٥) أعمل السلطان مراد نيته بمهاجمة ايران فبلغ فى بداية هذا العام أرزنة الروم وبعد أهبته هاجم آذربايجان وحاصر فى صفر من نفس العام ايروان فاستولى عليها نتيجة خيانة الأمير كونه خان قاجار حاكمها وأرسل السلطان هذا الأمير الخائن لحكومة حلب • وبعد ذلك استولى السلطان على تبريز وخرب كثيرا من عمائرها ومبانيها وحرقها لكنه خلاها بسبب البرودة الشديدة فاتجه الى ديار بكر • ولم يحرك الشاه صفى حتى ذلك الوقت ساكنا فلما عاد

السلطان استعاد ايروان وعاد الى اصفهان •

وفى عام (١٠٤٨هـ) أتى السلطان مراد مرة أخرى مهاجما ايـروان وحاصر هـذه المرة بغداد يصحبه محمد باشا الصدر الأعظم ، ومع أن الايرانيين المدافعين ظلوا يقاومون مدة خمسين يوما ، وقتل محمد باشـا أثناء هذه الحروب الا أنهم سلموا المدينة بسبب قلة المؤن فأغار عليهـا الاتراك • وسمع الشاه صفى بهمدان بأخبار استسلام المدينة وكان قد تحرك من أصفهان لانقاذها فأرغم على طلب الصلح وتـرك بغـداد للعثمانيين وقنع بالاحتفاظ بايروان •

موت الشاه صفى فى الثانى عشر من صفر (١٠٥٢هـ)

مات الشاه صفى فى عودته من مشهد فى كاشان فى الثانى عشر من صفر (١٠٥٢هـ) على اثر الافراط فى الشرب وحمل جسده منها الى قـم حيث دفـن •

لم تمر سنة فى مدة حكم هذا الملك اللاهى العاجز القاسى ، وكانت قصيرة الى حد ما ، من دون أن يقتل جماعة أو يحرمها من حلية البصر ولم يكف فى فعله هذا حتى عن قتل المحارم والنساء وكان سادرا فى هذا الفعل القبيح الى حد أن اكثر كبار البلاد من القواعد والـوزراء والمستوفين وأمراء الاسرة الحاكمة قد قتلوا على يده •

وفى العام الأول من حكمه قتل عمه الأعمى امام قلى ميرزا بحجـة أن جماعة كانت تفكر فى جعله سلطانا ، وحينما كان خسرو باشا مستحوذا على همدان والخطر الكبير متجها الى المملكة أهلك زينل خان الشـاملو قائد الجيوش ، واستدعى اليه امام قلى خان فاتح هرمز الذى اتحـد أخوه داود خان حاكم قرا باغ مع طهمورث خان الكرجى متهما امام قلى أنه يفكر مثل أخيه بالاستقلال بفارس ، فقتله وأولاده الثلاثة فى قزوين فى عام (١٠٤٢هـ) ووصم بقتله هذا الأمير الكفء المحب للأدب جبينـه بعـار كبير •

سلطنة الشاه عباس الثانى

(١٠٥٢هـ ــ ١٠٧٧هـ)

وبعد موت الشاه صفى جلس ابنه ذو التسع سنوات عباس ميرزا على عرش سلطنة ايران باسم الشاه عباس الثانى عشر من صفر (١٠٥٢هـ) ، وبما أنه كان طفلا فى ذاك الوقت فقد وقعت مقاليد الأمور فى أيدى الأمراء وجمع ميرزا تقى اعتماد الدولة الوزير السابق لمازندران وكان الصدر الاعظم زمام جميع الأمور فى يده كنائب للسلطة ، الا أن الامراء الآخرين وقعوا فى خلاف معه وفى النهاية فى (١٠٥٥هـ) دفعوا الشاه الشاب الى قتله •

وفى بداية سلطنة الشاه عباس الثانى اعتزل ملك الأوزبك امام قلى خان الحكم لضعف بصره وأخلف أخاه ندر محمد خان ورحل من التركستان عازما زيارة مكة مارا بخراسان • فأمر الشاه ان يحتفى به فى كل مكان وقدم هو نفسه لاستقباله حتى فرسخين من قزوين وأرسله الى مكة باحترام تام •

ومن أعمال الشاه عباس الثانى الحسنة فى بداية ملكة تخفيضه ضرائب الشعب نحو خمسمائة ألف فجعل هذا العمل هذا الشاه الشاب بعد مظالم عهد الشاه صفى أثيرا لدى العامة • وعمل آخر هو اصداره أمرا بمنع شرب الخمر والشدة فيه الا أن هذا المنع لم يدم لأن الشاه نفسه قطع توبته أسرع من غيره وسقط فى شراب المدام الى حد أنه غفل أغلب وقته بسبب ذلك عن الاهتمام بأمور الملك وأخذ يجانس فى معاقرة الخمر كل من هب ودب •

وكانت علاقات السلاطين الصفويين والملوك الكوركانيين للهند حتى عهد هذا الشاه قائمة دائما على أساس المودة والصفاء ، وكانت هاتان الجماعتان من الملوك يتحد احداهما مع الأخرى غالب الوقت ضد المعتدين

من الأوزبك ولم يكن يفصل بين ايران والهند غير ولاية قندهار ، كمـــا سبق أن أشرنا الى العلاقات الطيبة فى عهد الشاه اسـماعيل الأول بـين هذا الملك وظهير الدين محمد بابر مؤسس أسرة الكوركانيين فى الهنـد • وفى عهد خلفه هذا الشاه أى الشاه طهما سب الأول لاذ همايـون ولـد بابر الى ايران عام (٩٥١هـ) نتيجة للهزيمة التى منى بها من شيرخـان أفغان وحرم لذلك من التاج والعرش • وأصدر الشاه طهما سب الى عامة الحكام على طول الطريق أوامره بأن يستقبل همايون الاستقبال الملكى وأن يعاملوه معاملة تنسيه الهزيمة المرة التى ذاقها من الأفغان • وكـان الشاه طهما سب يتلقاه بكل اعزاز واجلال طوال المـدة التى قضـاها فى ايران ، ثم أمده الشاه وأعاده الى الحكم • وفى عهد الشاه عباس الكبير كانت علاقــة المودة والصداقة قائمة بينه وبين أكبر شاه وابنه جهانكير •

وفى السنة الأولى من حكم الشاه عباس الثانى قرر شاه جهان خلف جهانكير الذى تملك فى (١٠٣٧هـ) أن يضم الى الهند ولاية قندهار التى تفصلها عن ايران والتى كانت من عهد الشاه عباس الكبير فى يد الصفويين دائما ، وأرسل شاه جهان ابنه لها لهذا العزم • وأمر الشاه عباس قائد الجيوش رستم خان بجمع جيوشه وصد جنود شاه جهان الا أن رستم خان لم يهتم بالأمر لعل سبب ذلك أن الشاه كان لا يزال وقتها صـغير السن ففقد الشاه قندهار ، وكان أن أمر الشاه قورتشـــغاى خـان والى خراسان بقتل رستم خان فقتله وأخوته أيضا •

وبعد أن حاز شاه شاه جهان هذا النصر توجه الى التركســتان ، وهاجم بلخ بحجة مد ندر محمد خان الذى أصيب بالهزيمة بيد ابنــه وأمرائه بينما كان يخطط فى الحقيقة للاستيلاء على التركستان • فبلـغ ندر محمد خان خراسان واستمد الشاه عباس الثانى • فاستدعاه الشاه لمقابلته وعاجل الى لقائه فيما بعد أصفهان بفوسخين ، ثـم أرسـل فى (١٠٥٥هـ) جيشا الى التركستان لمعاونته وبرفقته • وسمع شاه جهـان

بهذا الخبر فتراجع عن التركستان واستعاد نــدر محمد خان سلطانــه السابق ، وبعث شاه جهان فى السنة التالية سفيرا الى العاصمة الصفوية وصالح الشاه عباس •

وفى عام (١٠٥٧هـ) نصب الشاه عباس (مرتضى قلى خان قاجار) قائدا عاما على جيش ايران وأمره بجمع جنوده لاستعادة قندهار ، ثــم تحرك هو بنفسه فى العام التالى قاصدا زيارة مشهد واللحــوق بمرتضى قلى خان من اصفهان الى مشهد وقندهلو وألقى بحصاره على المدينــة الأخيرة •

وعجز فى النهاية جنود شاه جهان عن المقاومة فسلموا فى (١٠٥٩هـ) قندهار لشاه ايران • فأنفذ شاه جهان ابنه (اورنــك زيــب) لاستعادة المدينة وقدم هو الى كابل الا أن الأب والابن لم يستطيعا التغلب عــلى جنود ايران ، فبقيت قنــدهار تحت ســـيطرة ايران حتى ايام فتنــة الأفغان ، ومع أن شاه جهان هاجم المدينة بجنوده فى أعوام (١٠٦١هـ) و (١٠٦٢هـ) و (١٠٦٤هـ) الا أن جنود الشاه عباس حافظــوا عليهــا وألحقوا بالكوركانيين الهزيمة فى كل مرة •

وفى عهد الشاه عباس الثانى كانت غرجستان دائما فى طاعة ايران ، وبرغم شروع الروس فى مهاجمتها على نحو ما سوف نشير اليه فقد كان خسرو ميرزا أو رستم خان الأول يصد هجماتهم باسم شاه ايران ، كمــا أن طهمورث خان أتى غرجستان فى بداية حكم الشاه عباس الثانى ثانية قاصدا اخراج رستم خان عنها غير أن رستم خان غلبه قبل وصول مــدد الشاه فلاذ طهمورث بالفرار الى روسيا وأثار الروس وحركهم للاستيلاء على غرجستان فقدموا فى (١٠٦٣هـ) الى منطقة داغستان وبنوا لهم فيها بضع قلاع ، فقام ولاة غرجســتان وداغســتان وشروان بتخريبها فبقى طهمورث طريدا فى روسيا الى أن عاد فى (١٠٧١هـ) الى ايران يخطــب عفو الشاه فعفا عنه •

وفاة الشاه عباس الثانى فى الرابع والعشرين من ربيع الأول (١٠٧٧هـ)

مرض الشاه عام (١٠٧٦هـ) فنصحه الأطباء بالاقامة فى مازندران فأتى الشاه الى أشرف وأقام بها نحو العام ثم رحل عنها الى مشهد لكنه لفظ أنفاسه الأخيرة ليلة الثالث والعشرين من ربيع الأول على مقربة من الدامغان ونقل جسده الى قم وكان عمره أربعة وثلاثين عاما وتسعة شهور ونصف ، ودامت سلطنته خمسة وعشرين عاما وخمسة عشر يوما .

والشاه عباس الثانى عامة من ملوك الصفويين الأخيار فقد كان عادلا ، الى حد ما ، محسنا للرعاية رحيما بهم بناء ، وخلف كجده آثارا خيرية كثيرة ، كما قام بتشييد قصر (عالى قابو) (١) عام (١٠٥٤هـ) و (باغ سعادت) أى جنة السعادة عام (١٠٥٦هـ) على ضفاف زاينده رود ، وبنى قصر (تشهل ستون) أى ذى الأربعين عمودا فى (١٠٥٧هـ) فى أصفهان ، كما أنشأ قنطرة نهر زاينده رود فى (١٠٦٨هـ) والمسجد الجامع باصفهان فى (١٠٧١هـ) . ومن العلماء المشهورين عهد هذا الشاه الشاه لابد أن نذكر (الملا محمد تقى المجلس الأول) (١) (والملا محمد فيض) (٣) و (آغا حسين الخوانسارى) و (الملا خليل القزوينى) .

---

(١) تعنى فى التركية (القصر العالى) .

(٢) كان من متعصبى المذهب الشيعى ويعرف بالمجلس الأول تميزا له عن ابنه المجلس الثانى الذى فاقه تعصبا وهو من كبار علماء الشيعة فى العهد الصفوى . وكان الابن يدعو للمذهب فى العامة ويسىء معاملة اهل التصوف . من آثار الابن بالعربية بحار الأنوار فى الحديث ، وبالفارسية عين الحياة كتاب فى النصح والوعظ ومشكاة الأنوار ، حلية المتقين ، حياة القلوب ، جلاء العيون ثم حق اليقيين .

(٣) وهو المعروف بفيض الكاشانى من فقهاء العهد الصفوى وينسب اليه تاليف كثيرة فى المذهب الشيعى منها اصول المعارف والكلمات المكنونة فى الحكمة والتفسير والصافى والوافى فى الحديث والتفسير وكلها بالعربية . ومن آثاره الفارسية ابواب الجنان فى آداب صلاة الجمعة . وله ديوان يبلغ نحو ستة آلاف او سبعة آلاف بيت ، توفى (١٠٩١هـ) .

سلطنة الشـاه سليمان

(١٠٧٧ ــ ١١٠٦هـ)

كان للشاه عباس الثانى ولدان أولهما صفى ميرزا من أم شركسـية وثانيهما حمزه ميرزا ابن زوجه كرجى شاه • وكان الشاه عباس لا يميل الى صفى ميرزا مع انه كان ابنه الأكبر وأمر فى أواخر عمره بأن يحبس فى أحد القصور الملكية •

وبعد موت الشاه اجتمع امراؤه فى الدامغان ، وقـرروا طالما أن الشاه لم يبد رأيا فى تحديد خلفه أن يخلفه حمزة ميرزا ابن الثمانيـة أعوام ، ولكى ينجح اختيارهم أشاعوا أن الشاه قد سمل عينى صـفى ميرزا فلا يمكنه النهوض بالحكم • فأنبعث رئيس خصيان حريم الشاه وهو (آغا مبارك) مخالفا هذا الاختيار وقال ان صفى ميرزا صـحيح وسالم وهددهم انهم اذا لم ينصرفوا عن فكرتهم فلسوف يقدم على قتل حمزه ميرزا • ولم ير الأمراء أمام هذا فوتا من أن ينصبوا صفى ميرزا وعمره عشرون عاما سلطانا وسمى الشاه صفى الثانى ثم الشاه سليمان بعـد ذلك •

ويعد صفى ميرزا من أسوأ السلاطين الصفويين فقد كان قضى عمره مع النساء فى دار الحريم والخصيان ورقى السلطة بغير تربية أو تعـليم وبأخلاق النساء ، فكان من ناحية ضعيف النفس فاسقا وكان يؤثـر مـن ناحية اخرى صحبة النساء والخصيان ومشاورتهم على ادارة أمور الملـك والاستماع لنصح الرجال المحنكين • بيد أن صارت وزارته مـن نصـيب شيخ على خان زنكنه الذى كان يدير أمور كرمانشاه على عهد أبيه وكان أمير الأصطبل الملكى فى آخره • وكان الشاه يشكو من عدم اعتناء الوزير الاعظم لأبيه فأرداه قتيلا فى (١٠٧٩ هـ) بيد شيخ على خان ورفع القاتل مكان المقتول الى رئاسة الوزارة فظل بها شيخ على حتى عام (١١٠١هـ)

وهو يدير بكفاءة ورعاية للناس وعدل وبذل لأمور الملك ، ولم يكن الشـاه الذى وقع نهب آلام القدمين والنقرس ويعيش فى دار الحريم غالبا يهتم كثيرا بأمور السلطنة بسبب يقظة شيخ على وحنكة .

ومن الوقائع الشبه الهامة فى حكم الشاه سليمان هجوم التركمـان عام (١٠٨٦هـ) بقيادة (آدينه سلطان) على استراباد والدمغان وسمنان وقتلهم ونهبهم بها . وقد هزم (كلب على خان الشاملو) هذه الجماعة فى السنة التالية وقتل آدينه سلطان وان كلب قلب على جرح فى الحـرب ومات متأثرا بجراحه بعد انهاء هذه الفتنة .

من احسن حظوظ الشاه سليمان أنه لم يكن فى عصره لأحـد مـن جيران ايران الخارجيين قدرة أو قوة تجعلهم يقصدون مهاجمة البـلاد ولتشغل كل منهم اما بضعفه أو بأمور أخرى ، ولهذا فلم تحدث طـوال فترة حكم هذا الشاه وهى طويلة الى حد ما (ثمانية وعشرون عاما وبعض عام) واقعة خارجية هامة ضد ايران ، فانصرمت فترة حكمـه مطمئنـة بالنسبة له .

وفى عهد الشاه سليمان بسبب الامن والراحة راجت تجارة ايران مع البلاد الأجنبية وأنشأت فى بلاد ايران المختلفة خاصة اصفهان منشـئات كثيرة عن طريق الشاه وأعيان بلاطـه من بينهـا قصر (هشت بهشـت) أو الجنان الثمانى الذى أنهى الشاه بناءه فى (١١٠٢هـ) بأصفهان .

ومن الرحالة المشهورين الذين أتوا فى عهد هذا الشاه ايران وألفوا كتب رحلات معتبرة حاوية لمعلومات قيمة عن تلك الأيام ، (شـاردان الفرنسـى (Chardin) الذى خلف أفضل وصف لاصفهان ، ثم تافـرنيـه (Tavernier) الفرنسى أيضا الذى قام بست رحلات الى ايران من عهد الشاه صـفى الى عهد الشاه سـليمان ، ويعد كتاب أسفاره وكتاب شرح تتويج الشاه سليمان من الوثائق الهامة لتاريخ ايران فى هذا العهد .

سلطنة الشاه سلطان حسين

(١١٠٦ ــ ١١٢٥هـ)

كان للشاه سليمان سبعة أولاد أكبرهم سلطان حسين ميرزا ، فرفع الأمراء بعد موت الشاه ذلك الأمير بسبب ضعف نفسه ورقته وميله للاحتجاب لكي يركبوا كل مركب حسب أهوائهم في ظل عدم كفاءته ، ولم ينصاعوا لوصية الشاه سليمان بخلافة ولده الثاني مرتضى ميرزا الذي كان شابا عاقلا قادرا •

واعتلى سلطان حسين ميرزا باسم الشاه سلطان حسين عرش أبيه عام (١١٠٦هـ) وكان أول فعل قبيح ارتكبه تنصيبه لشاهنواز خان الغرجي على حكم قندهار وهذا الحاكم السيء السيرة هو من عرف بلقب كركين خان أو الذئبي والذي كان سبب عصيان الأفاغنة وانقراض الأسرة الصفوية •

علاقات ايران بروسيا :ــ

في أواسط حكم الشاه طهماسب الأول شرع قيصر موسكو ايفان الرابع بعد فتحه لمدينة هشترخان وبلوغه سواحل بحر الخزر وحدود الداغستان في مهاجمة شمال القفقاز ، ووقع الجزء الشرقي لغرجستان تحت تهديد الروس والقازاق ، وهزم حكام داغستان المعتدين الروس مرارا ومنعوا تقدمهم من هذه الناحية •

وبعد موت الشاه طهماسب أي في أيام حكم الشاه اسماعيل الثاني والسلطان محمد خدا بنده أخذ الروس يتدخلون في أمور غرجستان الشرقية بسبب ضعف ايران فأرسل خدا بنده سفيرا الى موسكو للاحتجاج على هذا التدخل • ولما أدخل الشاه عباس الكبير غرجستان تماما تحت طاعته ، لم يقدم الروس على حركة للهجوم عليها ما بقى هذا الشاه على قيد الحياة •

وفى عهد الشاه عباس أى حينما كان أبو بطرس الكبير قيصرا لموسكو ، وصلت بعثة مؤلفة من ثمانمائة شخص الى قزوين بهدف فتح طريق التجارة مع ايران ، ولكن بعد أن فهم الشاه أنهم اعتبروا اعفاءهم من دفع الرسوم الجمركية انضواء سياسيا لهم أقدم على طردهم من ايران وأعادهم الى الدربند • فغضب قيصر روسيا لهذا وأرسل سفنا الى مازندران ، فأحرق جنودهم فرح آباد ونزلوا على ضفاف (مرداب) باستراباد فحصرهم الايرانيون فى شبه جزيرة ميانكالة وقبضوا على أكثرهم ولم يجد عمل القيصر شيئا •

وبدأ بطرس الكبير بالسلام لأنه كان يرنو الى ان ينفذ عن طريق ايران الى الخليج الفارسى والهند فأرسل أرمنيا اسمه افرى الى اصفهان فى عهد الشاه سلطان حسين • فاستقبله الشاه ومن معه بحفاوة وقبل منح التجار الروس امتيازات تجارية • وبعد سبع سنوات أرسل بطرس سفيرا آخر الى ايران شكا من الاعتداءات على التجار الروس فى بخارى وطلب لذلك تغريما • وكان مسلك هذا السفير جائرا مغترا كما كانت أحوال ايران سيئة لهذا لم تثمر المفاوضات بينهما وعاد سفير بطرس معتديا عليه ، فأوجد هذا ذريعة لبطرس للتدخل فى أمور ايران ، فبدأ بحزب الشاه سلطان حسين ثم تذرع بعونه ثم شرع من حدود عام (١١٣٤هـ) يهاجم القفقاز محتجا بانحيازه للشاه طهماسب الثانى ، واستولى كما سوف نشير على جميع سواحل بحر الخزر من دربند حتى استراباد لنفس تلك الذرائع ، وعقد الشاه طهماسب الثانى فى عام (١١٣٥هـ) مع بطرس معاهدة تخلى فيها رسميا عن دربند وباكو والسواحل الجنوبية لبحر مازندران حتى آخر استراباد لقاء المعاونة التى تمده روسيا بها وذلك بسبب أن الشاه كان يتلمس أى عون من أى شخص لطرد الأفغان وحصوله على التاج والعرش وبهذا العمل وضعت روسيا قدمها فى هذه المناطق وظل هذا الحال قائما حتى أوان بزوغ نجم نادر شاه الأفشارى •

ثــورة الأفغــان الغلجــيين :

بعد أن ولى كوركين خان هراة ضاق أهلها الأفغان الغلجائيــون أو الغلجيون الساكنون فى حدود قندهار ذرعا به مع أن كان خلــوا من كــل كفاءة بسبب ظلمه لهم ، وتعاقبت شكاياتهم لتعديه وأتباعه الغرجــيين للشاه سلطان حسين ، لكنهم عجزوا عن أن يصلوا الى الشاه الذى يمضى كل وقته داخل دور الحريم معاشرا لهن وللمخصيان ولــم يكن الخواص الغرجيون أيضا يسمحون ببلوغ تظلم اهل قندهار له لهذا أخــذ غضــب اهل قندهار يتزايد يوما بعد يوم وظل نطاق اعتداءات كركين خان وجوره يتسع أيضا • وفى النهاية أتى ميرويس أو الأمير أويس الغلحجى رئيس شرطة قندهار أصفهان لكى يطلع الشاه على حقائق الأمر لكنه عجز بايعاز كركين خان وأعوانه الغرجيين عن مقابلة الشاه واحتجزوا مدة أيضــا فى أصفهان الى ان سمح له بالسفر الى مكة فخــرج من اصفهان بعــــزم الزيارة •

وبعد أن عاد ميرويس من مكة الى أصفهان رأى أن أوضاع البــلاط الصفوى قد زادت اضطرابا ، ولمــا كان عدد من تجار بطرس الكــــبير ومبعوثيه يقيمون فى هذه الآونة فى اصفهان دخل ميرويس فى مفاوضــات معهم فحرضته هذه الجماعة على آثارة أفغان قندهار ضد ايران • وأشاع ميرويس أيضا فى اصفهان أن بطرس الكبير عازم الاستيلاء على غرجستان وأرمنية وأن كركين خان متألب معه ، ونجح بهذه الحيلة بأن يعود الى رئاســة شرطة قندهار ويراقب أفعال كركين خان •

---

(١) يبدو ان هؤلاء الافغان الخلجيين هم اصلا ترك من قبيلة خلــج او خلخ أو قلج التى سكنت فى أزمان متقدمة على شواطىء هلمند . ولعلهــم كانوا من بقايا السك أو السيث الذى أطلق اسمهم على سكستان او ســجتان وهى سيستان الحالية . وينسب اليهم بعض المؤرخــين بيت الخلجيين الذى حكم بالهند فى القرنين السابع والثامن الهجريين وكان لهم فتوحات عظيمـــة بها . (راجع : تاريخ بخارى ص ٤٨ وحاشية ٢ بها) .

وفى عودة ميرويس الى قندهار أراد كركين خان ايذاءه واضعاف أمره فخطب منه ابنته فأرسل اليه بنتا أخرى على أنها ابنته ، فأرضاه بهذا بعض الشيء ، وفى (١١١٣هـ) دعاه الى وليمة باحدى الحدائق ثم قتله بها ، وأثار الغلجيين على شاه ايران عن طريق فتاوى استصدرها أثناء حجه من العلماء السنة مفادها وجوب الثورة على الشيعة وقتالهم ، وكان اورنك زيب سلطان الهند يحرضه على هذا أيضا .

وبعد وصول مقتل كركين الى الشاه سلطان حسين أرسل ابن أخيه كيخسرو خان لدفع ميرويس فألقى بحصاره على قندهار وظل محاصرا لها عاما ومع أن المحاصرين كانوا على استعداد للتسليم فرد عليهم لسفاهة رأيه ردا غير مناسب حتى غلب على أمره ثم قتل مع وجود خمسة وعشرين ألف جندى تحت امرته فزادت هذه الواقعة ميرويس والغلجيين شجاعة حتى أنهم هزموا القواد الصفويين الآخرين الذين أتوا الى قندهار للاستيلاء عليها ، واستقل ميرويس بهذه المدينة .

ثورة الأفغان الأبداليين :

حينما كان كيخسرو خان الغرجى ابن أخى كركين قاصدا قندهار نصب عبد الله خان الأبدالى الذى كانت قبيلته على عداء مع الأفغان الغلجيين حاكما لهراة فلما قتل كيخسرو خان وانهزم الجنود الايرانيون من الغلجيين ثار الأفغان الأبداليون بدورهم فى عام (١١١٨هـ) واجتزأوا هراة من ايران .

وتحرك الشاه من اصفهان لدفعهم لكنه لم يتقدم عن طهران وأرسل قائدا ليتم الأمر ، فقتله الأبداليون فى (١١١٩هـ) وأعلنوا الثورة .

وفى (١١٣٠هـ) هزم الأفغان الأبداليون بيد محمود ولد ميرويس وقد رأس الغلجيين بعد موت أبيه وقتل عمه عبد الله ، وصرع أسد الله خان ولدا لعبد الله خان الأبدالى قائدهم وأظهر محمود هذا العمل أمام رجال البلاط بأصفهان على أنه خدمة مسداة لهم ، فلقب رجال البلاط

الحمقى محمودا بلقب (حسين قلى خان) ونصبوه على قندهار بارسـال سـيف مرصع له .

وفوق قندهار وهراة اتسعت بالتدريج شقة الثورات فى سائر ولايات ايران فمن ناحية أخرج عمان عن تبعية ايران عربها الخوارج ، ومن ناحية اخرى هاجم مشهد فى (١١٢٢هـ) الحاكم السابق لمدينة تون (ملك محمود السيستانى) الذى عد نفسه من أعقاب الصفاريين وحـكم خراسـان مستقبلا .

استيلاء الأفغان (١١٣٥ ــ ١١٤٢هـ) :

وفى عام (١١٣٢هـ) وصل محمود عن طريق سيستان ليستولى على ايران الى كرمان ففتحها بمساعدة الزردشتيين بها ، لكنه منى بهزيمـة شديدة فيها على يد لطف على خان والى فارس وعم فتح على خان الوزير الأعظم فهرب الى هندهار .

وكان أعيان البلاد يخشون رقى أمر لطف على خان فانبعثوا يتآمرون على الوزير الأعظم فتح على خان حينما كان يعمل على تسيير لطف على الى قندهار وحرضوا الشاه الجاهل على سمله واقصاء لطف على فأعاق هذا الفعل النهوض الى قندهار وأتاح الفرصة لمحمود لكى يقوم بهجوم آخـر .

وفى (١١٣٤هـ) هاجم محمود كرمان عن طريق سيستان كرة ثانيـة ومعه صحبة قلة من الأفغان ، وبعد أن استولوا عليها تقدم عن طريق يزد الى اصفهان وتغلب على جيش ايران فى (كلون آباد) على بعد أربعـة فراسخ شرق أصفهان واغتنم مدفعيتهم واستحوذ على جلفا وفرح آباد .

وانحصر الشاه وجنوده فى اصفهان ومع أن الدفاع عن اصفهان لـم يكن أمرا شاقا بسبب كثرة الجند ووفرة ماء نهر زاينده رود فى هذا الوقت وكان ربيعا وسهولة منع الأفغان من عبور قناطر النهر الا أن الخـوف

والضعف قد استوليا على الشاه ورجال بلاطه البلهاء الى حد أنهم لم يكونوا يفكرون فى غير التسليم بالقضاء والقدر واظهار ايمانهم بأن نجم اقبال محمود فى تصاعد وأن زوال السرة الصفوية أمر محتم • وبين ذلك استولى الأفغان على أحد معابر نهر زاينده رود فحاصروا العاصمة ولما كان سبق لهم قطع طريق المؤونة عنها فسرعان ما بدا القحط فى المدينة ولم ير الشاه سلطان حسين مناصا من الشخوص الى محمود فى فرح آباد يوم الجمعة الثانى عشر من محرم عام (١١٣٥هـ) ويسلم له التاج والعرش • ودخل محمود اصفهان فى الرابع عشر من هذا الشهر ، وجلس فى قصر (تشهل ستون) على عرش ايران مكان الشاه سلطان حسين •

والشاه سلطان حسين أحد أسوأ ملوك ايران مسلكا وذكرا فقد كان رجلا شديد العجز وضعف النفس خلوا من كل رأى وتدبير ، ومثل أبيه مغلوبا لرأى النساء والخصيان معاشرا لهم وكان يتبع الشعوذة والسحر والخزعبلات أكثر من اتباعه نصح العقلاء المجربين وعزمهم • وفترة حكمه هى فترة ذروة تحكم رجال الدين الجهلاء بأمور الملك ورواج سوق الخرافات والعقائد الباطلة • من أبنية عهد هذا الشاه الهامة مدرسة تشهار باغ أو مدرسة الأربع جنان من بين ما بنته أم هذا الشاه والتى تعد من سوامق آثار العهد الصفوى •

سلطنة الشاه طهماسب الثانى

(١١٣٥ ـ ١١٤٥هـ)

فى عام (١١٣٤هـ) حين اقترب محمود الأفغانى الى اصفهان أرسلت جماعة من أركان الدولة طهماسب ميرزا ولى عهد الدولة الى قزوين لكى يجمع جنودا لعون أبيه وانقاذ أصفهان ويقوم بحرب الأفغان •

وبعد أن استولى محمود على اصفهان دفع بعدد من الأفغان لقتال طهماسب ميرزا بقزوين فتركها طهماسب وسلك طريقه الى تبريز املا فى

ان يجد معينا ورفيقا وبعد ان سلم اهل قزوين أولا لمبعوثى محمــود ، قاموا بقتل أغلبهم بعد فترة وجيزه ولم ينجح غير قليل منهم بالفرار الى أصـــفهان •

وكان محمود حتى هذا الوقت يعامل أهل أصفهان بالحسنى وأبقى كثيرا من العمال السابقين فى أعمالهم فغضب لما بلغه خبر تمرد اهل قزوين وعلم أن الايرانيين غير راضين باستيلائه فغير من مسلكه معهم من هــذا الوقت وأنزل سفكه برؤساء القزلباش وبقية الاسرة الصفوية وقتــل فى يوم واحد أربعة عشر ومائة أمير ايرانى وواحدا وثلاثين رجـــلا مــن الصفويين وأهلك كل من كان له عمل فى خدمة الشاه سلطان حسين ، وتفرق أهل أصفهان الى أطراف البلاد لظلمه وظلم صحبه السنة ، وخربت هذه المدينة التى كانت أشد البلاد فى عصر الصفويين ازدحاما بالســـلطان واحدى أبهى مدن العالم •

ولما ان الولايات الأخرى قد سلكت سبيل الثورة بعد قيام اهـــل قزوين أرسل محمود جنوده لاخماد هذه الثورات فاستعاد كاشان وشيراز بعد مدة من الحصار لكنه عجز عن فتح بختيارى وبندر عباس فأثر كل ذلك عليه وفى (١١٣٦هـ) أصيب بورم فى مخه أو بمرض « الرســـام » وزاد الأمر عليه حتى انتهى به الى الجنون فارتكب أمورا نفرت منه أتباعه الأفغان ، وفى نهاية الأمر قتله ابن عمه أشرف فى اصفهان انتقاما لقتلــه أباه عبد الله وخلفه على عرش ايران •

هجوم الروس والعثمانيين على ايران :

كان بطرس الكبير كما سبق القول مهتما من عهد الشاه سلطان حسين بالاستيلاء على البلاد فى شمالى ايران ، وبعد سفارتين أرسلهما الى ايران قدم بنفسه فى صيف عام (١١٣٤هـ) بجيش عن طريق وادى الفولجا الى دربنــد فاستولى عليها وتقدم حتى داغستان لكنه اصطدم فيها بمعاداة العثمانيين ، ولم يكن يود أن يدخل معهم فى حرب بسبب الاستيلاء على

داغستان فعاد الى روسيا •

وبعد فترة أرسل الأفغان جنودهم لضم رشت فاستمد حاكمها لعدم استطاعته مقاومتهم بطرس بروسيا ، فانتهز القيصر الفرصة للتدخل فاستولى فى السنة التالية على باكو أيضا •

وكان طهما سب يدق الأبواب لاستجلاب العون فقبل لكسب عون بطرس أن يترك له الايالات الشمالية لايران على شريطة أن يمده بطرس بجيش ، لكن بطرس لم يصدر عنه تحرك لمساعدته حتى فترة ، فظل طهما سب على حاله من التجوال حتى سمع أن أشرف قتل محمودا الأفغانى ، فدخل قزوين وأعلن نفسه فيها شاها خلفا لأبيه •

وكان بطرس يتظاهر بمؤازرة طهما سب وهو فى الحق لا يسعى الا الى الاستيلاء على الولايات التى تركها له ، فتمكن من سواحل بحر الخزر من دربند حتى مازندران وانتظر يرقب فرصا لهجمات أخرى • وأقدمت الدولة العثمانية هى الأخرى على مهاجمة بلاد الكرج أملا فى الافادة باختلال أمور ايران ، وحاصرت تفليس ، وأصبحت القفقاز مرة أخرى ميدانا للمنافسة بين العثمانيين والروس • وفى النهاية قسمت الدولتان شمال ايران وغربها بينهما مقررتين أن الولايات الساحلية لبحر الخزر تكون نصيب روسيا وأن آذربايجان وكرمانشاه وهمدان تبعا للعثمانيين ، ونتيجة لهذا التقسيم حاصر العثمانيون تبريز غير أن أهلها استبسلوا فى الدفاع عنها فعجز الأتراك عن الاستيلاء عليها •

قتال أشرف للدولة العثمانية :

مع أن الدولة العثمانية وفق معاهدتها مع بطرس كان يتبعها الكرج وايالات ايران الغربية ان أن ضم هذه المناطق كان لابد أن يتم بالحروب، ولم يكن هذا الأمر ميسورا بسبب مقاومة ولاة هذه الولايات واهل ايران ووجود أشرف خاصة أن أشرف كان كالسلطان العثمانى تابعا للمذهب

السنى وان اقـدام السلطان العثمانى على مثل هذا باتحاده مع ملـك مسيحى ضد قائد سنى قضى على أعداء السنة وهم الشيعة بايران كـان يبدو فى أعين رعية السلطان أمرا قبيحا ، وبهذا كان تحقيق مقصد السلطان أمرا مشكلا •

ولكى يقضى السلطان على هذه المشكلة استفتى علماءه فأفتوه بضع فتاوى مفادها أن ليس لامام وملك آخر فى وجوده حق ادعاء الامانـة والسلطة فى بلاد المسلمين ، وهاجم ايران مستظهرا بهذه الفتاوى وتقدمت عساكره حتى اصفهان ، لكنه فى حربه مع أشرف أبت أغلب جنوده قتـال السنة الأفغان فانهـزم الـترك • وصـالح أشرف فى عـام (١١٣٩هـ) السلطان ، وغض طرفه عن جميع ولايات ايران الغربية بالرغم من النصر العظيم الذى صار له ، واعترف بالسلطان العثمانى أمـيرا له وللمؤمنين وقنع بأن يعترف السلطان به ملكا لايران •

أما الشاه طهما سب الثانى فبعد جلوسه مكان أبيه وجمعه جنودا فى القفقاز فقد بدأ بتهران فدخلها واستدعى بها رئيس قبيلة قاجار قوانلو وهو فتح على خان من استرباد لمساعدته ، ولما سمع بقدوم أشرف لحصار طهران رحل عنها الى مازندران وبعد أن لحق بجيشه رئيس القاجاريـة اختاره الشاه نائبا للسلطنة وأميرا للأمراء ، ثم اتجه الى مشهد قاصـدا الاستيلاء على خراسان • وسوف نذكر بقية سلطنة الشاه طهما سب الثانى ضمن الفصل التالى •

اسماء الملوك الصفويين وأيام كل منهم

١ ــ الشاه اسماعيل الأول (٩٠٥ ــ ٩٣٠هـ)
٢ ــ الشاه طهماسب الأول ابن الشاه اسماعيل الأول (٩٣٠ ــ ٩٨٤هـ)
٣ ــ الشاه اسماعيل الثانى ابن الشاه طهما سب الأول (٩٨٤ ــ ٩٨٥هـ)
٤ ــ سلطان محمد خدا بنده ولد الشاه اسماعيل الثانى (٩٨٥ ــ ٩٨٦هـ)

٥ ـ الشاه عباس الأول بن سلطان محمد خدا بنده (٩٨٦ ـ ١٠٣٨هـ)

٦ ـ الشاه صفى بن صفى ميرزا بن الشاه عباس الكبير
الكبـــير (١٠٣٨ ـ ١٠٥٢هـ)

٧ ـ الشاه عباس الثانى بن الشاه صفى (١٠٥٢ ـ ١٠٧٧هـ)

٨ ـ الشاه سليمان بن الشاه عبـــاس الثانى (١٠٧٧ ـ ١١٠٥هـ)

٩ ـ الشاه سلطان حسين بن الشاه سليمان (١١٠٥ ـ ١١٣٥هـ)

١٠ ـ الشاه طهما سب الثانى بن الشاه سلطان حسين (١١٣٥ ـ ١١٤٤هـ)

١١ ـ الشاه عباس الثالث بن الشاه طهما سب الثانى (١١٤٤ ـ ١١٤٨هـ)

الفصل الخامس عشر

سلسلة الأفشاريين

(١١٤٨ ـ ١٢١٨هـ)

ظهور نادر : ـ

نادر من طائفة (القرخلو) الصغيرة من قبيلة أفشار ، والأفشاريون جماعة من التركمان هاجروا من التركستان أوان استيلاء المغول عليها واستوطنوا آذربايجان وظلوا بها الى أن رحلهم الشاه اسماعيل الأول عنها وأسكنهم فى ابيورد بخراسان • وكانت قبيلة الأفشار تقضى الصيف فى ابيورد والشتاء فى دستجرد من أماكن وادى الكز حيث ولد نادر فى المحرم من عام (١١٠٠هـ) ولهذا شيد بها بعد ذلك قصورا وسميت دستجرد (مولودخانه) أى مسقط رأس المولود •

وكان اسم والد نادر (أمام قلى) مات فى طفولة ابنه ، واسم نادر الأصلى هو ندر قلى ، وكان يعيش فى بداية أمره مع أمه وسط قبيلته حياة بائسة ، فلما بلغ سن الثامنة عشرة دخل فى خدمة أحد رؤساء الأفشارية وكان فى حكومة أبيورد وتزوج من ابنته ، ومن هذا الوقت أخذ يخطو مرحلة الارتقاء ، لأن نادرا بعد موت رئيسه بلغ حكومة ابيورد ورئاسة قبيلته ، ولما توفيت زوجته الأولى وهى أم رضا ميرزا أكبر أولاد نادر تزوج باختها التى ولت له نصر الله ميرزا وامام قلى ميرزا •

وبداية اهمية نادر تقترن بالوقت الذى استولى فيه ملك محمود السيستانى على خراسان كما سبق القول ، فقد أمر نادر بدفع الأوزبك من

قبل ملك محمود ، لكنه بعد قليل ترك خدمة مخدومه الجديد تمردا واستبدادا بالأمر وأخذ فى السلب والنهب بخراسان .

وأوان ظهور هذه الوقائع أرسل الشاه طهما سب الثانى الذى كان يقيم فى فرح آباد بمازندان أحد قادته وهو رضا قلى خان لفتح مشهد وصد ملك محمود السيستانى فاستمد نادرا . ومع أن نادرا أجاب دعوته لكن هذين الرفيقين لم يتوافقا اذ لم يكن أحدهما راضيا بانتصار الآخر وكان كلاهما يحارب ملك محمود لحسابه الخاص ولهذا فقد هربا كلاهما واستولى ملك محمود على نيشابور أيضا وأعلن نفسه ملكا وسك باسمه العملة .

وأخذ نادر يعد جيشا آخر بعد هزيمته من ملك محمود وانتصر عليه فى النهاية على بعد فرسخين من مشهد ، ولاذ محمود بالفرار بعد أن تكبد كثيرا من القتلى والأسرى .

وبعد أن سار بذكر هذا الفتح الركبان أرسل الشاه طهما سب رسولا لنادر وهو بخراسان يستدعيه لخدمته ، فأحتفى نادر بقدوم سفير الملك الصفوى ودعا الشاه الى موافاته بخراسان بعد أن تعهد بخدمته .

وسلك الشاه طهما سب من مازندران طريق خراسان يصحبه قائد جيشه فتح على خان قاجار القوانلو ، ولما فشا اتحاده مع نادر لحقت جماعات كثيرة من عشائر خراسان وقبائلها لعون الشاه طهما سب بجيش نادر وكان من ضمن هذه الجماعات عدد من أكراد خبوشان .

وغضب فتح على قاجار الذى كان يريد أن يكون الشاه مطيعا له وتحت حمايته لزيادة أتباعه من غير القاجاريين الذين كانوا سبب قلة أهمية الدور القاجارى ، فأخذ يعمل على تشتيت اجتماع الأكراد الخبوشانيين ، ولما ضرب عنق أحد رؤسائهم باحدى الحجج ثار الأكراد واشتعلت الحرب بينهم وبين القاجاريين وقتل أتباع فتح على كثيرا منهم ، فلجأت هذه الطائفة الى الاستنجاد بنادر ، فتوسط للصلح بين الفريقين

وطلب من الشاه العفو عنهم لأنهم اعتبروا متمردين بسبب اغواء فتح على خان لهم • فعفا الشاه عنهم ولقب نادرا طهما سب قلى أى تابع طهما سب •

وتحرك طهما سب قلى خان فى الثانى والعشرين من المحرم عام (١١٣٩هـ) من خبوشان الى مشهد بعد أن رفض ملك محمود قبول طاعة الشاه طهما سب وحاصر فى الثانى من صفر مشهدا • وفى أثناء حصار مشهد طلب فتح على خان ، وكان قلقا لزيادة قوة نادر مشفقا على حياته ، اجازة الشاه لكى يعود الى استراباد محتجا بجمع جيش له ، فلم يرض الشاه بذلك بل وحرص هو وطهماسب قلى خان أحد القاجارية كان موتورا من فتح على بقتله سرا ، وقتل فتح على خان رئيس قبيلة القاجاريين بهذا فى الرابع عشر من صفر عام (١١٣٩هـ) ، فخلفه طهما سب قلى خان فى القيادة العامة للجيش الصفوى •

واستغرق حصار مشهد شهرين ونصف شهر ، وكان ملك محمود مستبسلا فى الدفاع عنها بأسلحته ومدفعيته القوية ، وفى النهاية خانه أحد قواده فى السادس عشر من ربيع الثانى (١١٣٩هـ) وفتح آخر أبواب المدينة أمام جيش الشاه طهما سب واشتعلت الحرب بين الطرفين فى مشهد • ولما ضاقت الأرض على ملك محمود بما رحبت سلم تاجه وعرشه الى الشاه طهما سب وأقام زاهدا باحدى زوايا المدينة • وبعد أن فتح طهما سب قلى خان مشهدا شغل نفسه لاستمالة الشيعة بتذهيب صفة (العتبة الرضوية) ومنارتها وبناء منارة أخرى معها وأبقى ابنه رضا قلى ميرزا فيها ، وتوجه هو الى خبوشان ليتزوج بابنة أحد رؤساء الأكراد وكانت مخطوبة له ، وكان الشاه طهما سب قد خطب هذه الفتاه قبل هذا فأوجد بهذا حائلا دون تحقيق مقصد طهما سب قلى خان •

وقد ولد هذا الأمر الخصومة بين الشاه وقائد جيشه وأسرع كل

منهما الى خبوشان لكى يسبق الى طلب يد هذه الفتاة ، فامتنع الأكراد عن تزويج ابنتهم لكل منهما فحاصرا قلعتهم ولما استشكل الاستيلاء على القلعة عاد طهماسب قلى خان الى مشهد ورفع الشاه طهماسب حصاره بسبب نهب بعض خزائن السلطنة فى جاجرم • واستعاد طهماسب قلى خان من المغيرين ما نهبوه وأرسله الى الشاه فتقرب ثانية اليه ، ثم انتهز فرصة وتغلب على أكراد خبوشان العصاة ونال أخيرا هدفه فى التزوج بابنة أحد رؤسائهم • وعثر أثناء ذلك بمراسلات كتبها ملك محمود لاثارة الأكراد عليهم فاستصدر من الشاه حكما بقتله فقتله فى مشهد •

وبعد أن قضى طهماسب قلى خان على منافسيه القويين فتح على خان وملك محمود السيستانى عزم على القضاء على الأفاغنة الأبداليين الذين كانوا قد استولوا على هراة من عام (١١٢٩هـ) خاصة وأنهم مدوا نطاق هجومهم حتى حدود قائنات ومشهد أيضا • وبدأ طهماسب قلى خان فاستصفى قائنات منهم فى (١١٣٩هـ) ثم دخل فى حرب مع (الله يارخان) (١) الحاكم الابدالى لهراة فى (١١٤١هـ) فى (كافرقلعة) من محال جام • ولاذ (الله يار) بالفرار وبعد بضع هزائم من طهماسب قلى خان استأمنه فعفا خان الأفشار عنه وأبقاه كما كان على حكومة هراة •

صد أشرف الأفغانى :

كان الشاه طهماسب يصر خلافا لرأى طهماسب قلى خان على أن تفتح أصفهان قبل أى خطوة وتقصر أيدى الأفغان الغلجائيين عن أهلها وقبل أن يتوجه طهماسب قلى الى دفع الأفغان الأبداليين اختار الشاه طهماسب أحد أمرائه واسمه محمد على خان نائبا للسلطة وقائدا للعراق وآذربايجان ، فثقل هذا الأمر على طهماسب قلى واشتعل النزاع ثانية

(١) الله يار ، وان كتبها الفرس (اللهيار) ، تعنى حبيب الله .

بينه وبين الشاه • وأزال طهما سب قلى محمدا على خان وأتى بالشـــاه الى مازندران وكان ينوى أن يطهر المناطق الساحلية لبحر الخــزر مــن الروس والعراق العجمى من الأفغان الغلجيين ، لكنه بما أن فتنة الأفغان الأبداليين قد تأججت كما رأينا اعتبر ان التحرك الى هراة أهم فتوجــه اليهـــا •

وحينما كان طهما سب قلى منشغلا بالحرب مع (اللـــه يارخـــان) الأبدالى ، بادر أشرف الغلجي وكان يقف على ما ينتويه طهماسب قـــلى ازاءه ، فتحرك الى خراسان بجيش متأهب ولما اقترب من سمنان كـــان طهماسب قلى قد رجع من هراة واسرع لصده ، ووقعت الحـــرب بين الطرفين على ضفاف نهـــر (مهمان دوست) الصغير فى منطقة الدامغان فى السادس من ربيع الأول (١١٤٢هـ) ، وكان أشرف واثقا من جيشـــه الذى هزم الجيش العثمانى قبل ذلك بأربع سنوات ، لكنه منى بهزيمة فادحة فتقهقر الى طهران • وقدم طهماسب قلى خـــان الى طهـــران فى عقب الأفغان ، ولقى أشرف هزيمة أخرى فى وادى خوار ولما لم يأنس فى نفسه ثباتا عـــاد معجلا الى أصفهان وأنزل نقمته بكبار القزلباس وأعيان الصفويين فقتل منهم فيها نحو ثلاثة آلف ، ولم يطل الأمر بطهما سب قلى فاقترب بجيوشه من اصفهان ، وفى الحرب الثانية التى وقعت فى ســـهل (مورتشه خورت) فى العشرين من ربيـــع الثـــانى (١١٤٢هـ) انتصر طهماسب قلى مرة أخرى ودخل اصفهان بعد ثلاثة أيام فتقهقر الأفغان بسرعة عظيمة الى فارس واشترك فى حرب مورتشه خورت عـــدد مـــن الجنود العثمانيين بمدفعيتهم كانوا أتوا لعـــون أشرف ، فلمـــا انتصر طهما سب قلى تلطف بالأسرى العثمانيين وأعادهم الى أوطانهم •

وبعد دخول طهماسب قلى أصفهان أسرع طهماسب الثانى الشاه الصفوى وكان بطهران الى عاصمة أجداده فوصلها فى الثامن من جمادى الأولى ورأى أمـــه العجوز وقد ظلت تتخفى لمدة سبع سنوات فى ثياب الجوارى •

وكان طهماسب قلى بعد فتحه لأصفهان يود العودة الى خراسان ليعمل على الدفاع عنها الا أن الشاه طهماسب لم يرض بهذا ، وفى النهاية لاصرار الشاه مكث أربعين يوما باصفهان للراحة متمتعا بكافة الامتيازات ثم قصد فارس متعقبا أشرف فوصل الى صحراء زرقان على بعد خمسة فراسخ من شيراز •

وتقهقر أشرف من شيراز أمام طهماسب قلى لكنه أصيب بهزيمة ثالثة فى هذه المنطقة ففر الى اللاروفسا ، وكان معجلا فى فراره الى حد أن كثرة من الأفغان ماتوا فى الطريق أو تخطفهم الناس • وأرسل أشرف من اللار أخاه وجواهره ونفائسه التى سلبها الى العثمانيين بطريق اللجوء وعمل هو على احكام قلعة اللار ، الا أن الناس قبضوا على أخيه وقتلوه ، فلما سمع بمجىء طهماسب قلى ورأى قلة عدد أتباعه ، قصد بعد مكث تسعة أيام فى اللار قندهار ، الا انه لقى حتفه على يد واحد من أسر البلوج فى بلوجستان ، وارسل القاتل رأس أشرف ومعها قطعة من الألماس الثمين كان يعلقها على ساعده الى الشاه طهماسب بأصفهان فمنح الشاه الألماس الى الرسول وأرسل اليه خلعة قيمة أيضا ، وبهذا انتهت فتنة الأفغان الغلجيين تماما من ايران •

دفع الروس والعثمانيين : ـ

قبل أن يبادر طهماسب قلى بالقضاء على الأفغان طلب الى روسيا تخلية ولايات بحر الخزر الساحلية اذ كانت استولت عليها كما سبق ، وكانت روسيا مائلة الى ترك هذه الولايات فى ذلك الوقت بسبب الخسائر التى تكبدتها فى الجنود الروس بسبب سوء طقس سواحل بحر الخزر وبلغ عدد قتلى الطقس طوال اثنى عشر عاما من السيطرة الروسية من مائة وثلاثين ألفا الى مائتى ألف ، لكنها لم تكن ترغب فى أن يستولى العثمانيون على هذه النواحى فأرسلت الى الشاه طهماسب أن يقدم لاستعادتها •

وفى عام (١١٤٥هـ) تعاهد مبعوثو ايران وروسيا فى الصحراء على أن تعيد روسيا فورا كل أراضى ايران اليها التى كانــت جنوب مدينــة (سليان) ونهر كورا لكن تخلية دربند دوباكو جعلت موكولة الى حين أن تسترد ايران ايروان والقفقاز من العثمانيين ويقفل طريق ســيطرتهم على سواحل بحر الخزر ، واستعادت ايران هاتين الولايتين أيضا عــام (١١٤٧هـ) بعد أن فتح طهما سب قلى شماخى وداغستان نتيجة لمعاهدة أخــرى •

أما فيما يتعلق بالعثمانيين ، فبعد أن اطمأن طهما سب قــلى مــن ناحية اجتثاث شأفة الأفغان الغلجيين أتى رامهرمز عــن طــريق كــوه كيلويه ، وبها وافاه حسن على بيك معير الممالك من طرف الشاه طهماسب بتاج من الجواهر وثلاثمائة خلعه لقواد الجيش مكافأة له لفتحه شيراز • فأرسل طهما سب قلى ابنه رضا قلى ميرزا الى الشاه طهماسب باصفهان ليزجى امتنانه وليطلب منه أن يزوجه احدى بنات الشاه سلطان حسين ويجعل نيابة سلطنة خراسان لرضا قلى ابنــه •

وفى دزفول وافى طهما سب قلى محمد خان بلوج الذى أرسله أشرف قبل ذلك الى العثمانيين فعرض عليه رسائلهم ومكاتباتهم لأشرف فنصبه بسبب هذه الخدمة حاكما على كوه كيلويه •

وفى خرم آبــاد قدم معير الماليك من جانب الشاه طهماسب بفرمان سلطنة خراسان لطهما سب قلى خان وأمر أن تسك العملة باسمه فى هذه المنطقــة •

وفى بروجرد أنبىء طهما سب قلى الذى كان قد أنفد رضا قلى خان الشاملو الى استانبول ليطالب العثمانيين باخلاء بلاد ايران الا أن الاتراك لم يحسنوا اجابته فهاجم الجنود العثمانيين على الفور واستعاد منهم نهاوند وهمدان واستصفى بهذا الولايات الغربية منهم اذ أن بقية الجيش

العثمانى ولت هاربة من لرستان وبلاد الأكراد الى بغداد • ولم يصب بالهزيمة من قواد طهما سب قلى غير قائده الذى كان بكرمانشاه ، لكنه بعد وصوله اليها استعادها بسهولة •

وفى غرة المحرم (١١٤٣هـ) قصد طهما سب قلى آذربايجان ، وبعد فتحه ساو جبلاغ ومراغه ودهخوار قان وهزيمة الجيش العثمانى دخل تبريز فى السابع والعشرين من المحرم وتقدم لحصار ايروان لكنه سمع بهـا أن الأفغان الأبداليين هاجموا مشهدا ، لهذا ترك مشكلة العثمانيين وهى شبه منتهية وخف لعون ابنه ذى الاثنى عشر عاما رضا قلى ميرزا حاكم مشهد •

وبعد تحرك طهما سب قلى الى الشرق أتى الشـاه طهما سـب فى جمادى الأولى (١١٤٣هـ) من أصفهان الى تبريز وبرفقته ثمانيـة عشر ألف جندى على أساس أنه مستقل تماما بأمور ايران الغربية بعـد أن ترك الشرق لطهماسب قلى وأنزل بالعثمانيين هزيمة شديدة على مقربة من ايروان وصرع منهم فى هذه الحرب نحو تسعة آلاف وألقى بحصاره على ايروان •

ولكى يصرف العثمانيون الشاه أرسلوا بعلى باشـا رئيس عساكر ايروان وأحمد باشا حاكم بغداد للسيطرة على عراق العجم وكان فى هذا الوقت بغيروال ، فوصل الشاه طهما سب على عجل الى همدان وتواجه فى قرية كردخان والجيش التركى ، وشغل أحمد باشا الشاه فترة بمفاوضات الصلح ثم باغت الجيش الايرانى بالهجوم فلقى الشاه وقائـده محمـد خان بلوج هزيمة مرة ، واستولى احمد باشا على كرمانشاه وهمدان وعلى باشا على مراغة وتبريز ولاذ الشاه طهما سب بالهرب الى اصفهان •

وكان احمد باشا يخشى طهما سب قلى لهذا دخل على الفور فى صلح معه ، ونتيجة لهذا عقدت بينه وبين الشاه طهما سب معاهدة فى بغداد ، وقبل الشاه ان يترك للعثمانيين الولايات الواقعة على الضفة الشـمالية

لنهر أرس وهى كنجه وتفليس وايروان ونخجوان وداغستان مع احتفاظه بتبريز وأردلان ولرستان وهمدان وكرمانشاه لكنه لم يتحدث قط عـــن استعادة الأسرى الايرانيين فظلوا فى أسر العثمانيين •

عزل الشاه طهما سب فى (١١٤٥هـ) : —

وبعد أن دخل طهما سب قلى مشهد بدأ فســير (الله يارخـــان) الأبدالى من مشهد للسيطرة على هراة بعد أن فر هاربا أمام ثوار هراة • وبعد أن فرغ من اقامة احتفالات عرس رضا قلى ابنه بفاطمة ســلطان بيكم أخت الشاه طهما سب توجه لنصرة أخيه ابراهيم خان ظهير الدولة حيث كان قائما على دفع تركمان التجن ولـــا انتصر عليهـــم عـــاد الى مشـــهد •

وفى غياب طهما سب قلى عن خراسان طرد حسين الغلجى أخـــو محمود الأفغانى بعون حاكم فراه الله يار خان من هـــراة وتقدم حتى مشهد وهزم ابراهيم خان ظهير الدولـــة • وقضى طهما ســب قلى من رمضان (١١٤٣هـ) حتى رمضان من العام تاليه يقر الأمور بأفغانستان المغربية وترك هراة الى الله يار خان أول الأمر ثم الى شخص آخر بعد عصيانه • وفى نفس هذه الحرب أتى معير الممالك نص معـــاهدة الشـــاه طما سب مع أحمد باشا الى طهما سب قلى فلم يوقع عليها حانقا وأرسل الى الباب العالى عن طريق السفير العثمانى الذى كان بمعسكره رســالة يخبره فيها رد جميع ولايات ايران والحرب ، وبعد فتح هراة سلك طريقه الى بغداد •

وبعد أن أطلع طهما سب قلى جميع ولاة ايران بالغـــاء معـــاهدة الشاه مع العثمانيين وقبح مشكلة عدم استرداد الأسرى الايرانيين بكـــل ما لديه من وسيلة توجه الى بغداد مع اصرار الشاه على تحركه المباشر اليها ، فبدأ بدخول اصفهان وطمأن الشاه وحينما كان الشاه عازما قصد

العراق العربى وجه دعوته اليه فى معسكره حيث استقبل الشاه استقبالا فاترا وخلع على أركان دولته خلعا نفيســـة • وأمضى الشـــاه الليـــل فى المعسكر بناء على رغبة طهما سب قلى وانشغل بشرب الخمـــر والســـكر وارتكب فى حاله هذه أمورا قبيحة فكشـــف طهما سب قلى هذه القبائح لهؤلاء الأركان الذين رأوا منه قبل ذلك الخلع والاكرام ، وبحجة أن مثل هذا الشاه لا يليق بالسلطنة أعلن عزل الشاه طهما سب الثانى عن العرش فى الخامس من ربيع الأول (١١٤٥هـ) واختار طفله الرضيع عباس ميرزا أو الشاه عباس الثالث للسلطة • وأرسل طهما سب قلى بالشاه الى مشهد لكى يحبس بها والشاه عباس الثالث أيضا الى قزوين ، وتوجه هو لصد البختياريين كنائب عام لسلطنة ايران ولما تخلص من مشكلتهم عـــاد الى كرمانشاه •

حصار بغداد وهزيمة جيش ايران (١١٤٥ ـــ ٤٦هـ) : ـــ

وبعد أن ترك طهما سب قلى كرمانشاه توجـــه أولا الى كركـــوك فانضم اليه فيها جيش آذربايجان • وكانت خطة طهما سب قلى هى أن يستدرج احمد باشا للقائه فى الصحراء فلا يضطر الى حصار قلعة بغداد المحكمة ، لكن خطته لم تتم فأجبر بعد فتحه للنجـــف على أن يحـــاصر بغـــداد •

وحاصر طهما سب قلى بغداد نحو عام ومع أن القحط عم اهلهـــــا الا أن احمد باشا ظل يقاوم بشجاعة ولم تنجح محاولاته المتكررة لارضاء طهما سب قلى للصلح • وفى النهاية أرسل السلطان العثمـــانى قائـــده الشهير توبال عثمان باشا الذى خبر الحروب لقتاله المسيحيين فترات فى أوربا وحيازته انتصارات بها وبرفقته مائة ألف جندى لمدد احمد باشا • وترك طهما سب قلى نحو اثنى عشر ألف جندى لحصار بغداد وتوجـــه

بالباقى ليقطع الطريق أمام عثمان باشا الى كركوك ، ومع أن النصر كان له فى البداية وفر الأتراك امام الايرانيين الا أن المشاه الايرانيين عجزوا عن القتال بسبب شدة حرارة الصيف والعطش الشديد ، ولم يستطع الفرسان أيضا أن يستمروا فى القتال لاصابة أغلب خيولهم بالجروح ، خاصة وأن جواد طهما سب قلى سقط صريعا لنفس السبب وظن الايرانيون أن قائدهم لقى حتفه ، فانفرط بهذا عقد انتظام الجيش النادرى فتقهقروا منهزمين الى كرمانشاه ، ووفق احمد باشا أيضا فى تخليص بغداد فى عام (١١٤٦هـ) ولم يفقد طهما سب قلى مع هذه الهزيمة عزمه وارادته ، فلما بلغ مندليج كتب الى الولايات فرمانات وطلب منهم العون وجعل من همدان محل اجتماع الجيوش ثم استرضى قواد جيشه المنهزمين وبكل هذه التدابير تجمع له فى همدان جيش متأهب بعد ثلاثة شهور من تاريخ هزيمة كركوك وتأهب طهما سب قلى لخوض حرب مع العثمانيين .

قتل عثمان باشا وانتصار جيش ايران فى (١١٤٦هـ) :ـ

توجه طهما سب قلى فى الثانى والعشرين من ربيع الثانى (١١٤٦هـ) من همدان الى العراق العربى وهزم على ضفة نهر دياله عشرين ألف جندى عثمانى كانوا مقيمين هناك وفرقهم أشتاتا ومع أنه سمع هناك أن محمد خان بلوج حاكم كوه كيلويه وخوزستان ركن الى العصيان فلم يأبه بذلك وأخذ طريقه الى كركوك وفى قرية ليلان على بعد ثلاثة فراسخ من كركوك الحق الهزيمة بجيش توبال عثمان باشا ثم عاد الى نهر دياله لكى يجتمع به جيوش خراسان وكرمان وأردلان وكرمانشاه فيتحرك بهم لأخذ بغداد .

وقد أوهم عودة طهما سب قلى الى دياله توبال عثمان باشا بأن القائد الايرانى تقهقر بسبب ضعف قواته ، فاقتفى أثره بهذا الوهم الا أنه هزم حين لقى الجيش الايرانى وعرف أحد الجنود الايرانيين

توبال عثمان باشا الذى كان يتحرك على محفة ، وحينما كان يعتلى جوادا للهروب اغتاله وأتى برأسه طهما سب قلى •

ونتيجة لهذا الفتح المبين الذى كان من نصيب جيش ايران فى أوائل جمادى الثانية (١١٤٦هـ) جنح أحمد باشا والى بغداد الى مسـالمة طهما سب قلى باسم الدولة العثمانية وتقرر أن يحرر الطـرفان الأسرى وأن تكون حدود الدولتين نفس حدودهما زمن سلطة الشـاه حسـين • ورضى طهما سب قلى بهذا الصلح مع أن فتح بغداد كان موشكا لتعجله لصد محمد خان البلوجى ، فقصد مسرعا شوشتر •

وقد أذاع محمد خان أن طهما سب قلى فى غزوته الثانية للعـراق العربى قد أصيب مرة ثانية بالهزيمة من الترك وأن أثره مفقود ولما كان اهل الجنوب ساخطين أيضا لمسلك موظفى المالية النادرية الظالم فقـد انحازوا اليه ، وقامت فى شوشتر على وجه الخصوص ثورة ضد طهما سب قلى ، وشارك فى الثورة أتباع الصفويين تصديقا منهم بادعاء محمد خان المشار اليـه •

وأتى طهما سب قلى شوشتر وهو يتأجج غضبا وأطـلق لجنـوده الذين لا يخافون الله الحرية فى نهب المدينة وانتهاك حرمة أهلها فارتكبوا بهـا فجائع لم تقل عما فعله المغول ببلاد المسلمين المهزومين •

ومع أن محمد خان البلوجى قد أحكم فى كوه كيلويه سد الطـريق أمام جنود طهما سب قلى الا أنه هابه وخلفه ففـر الى الـلار ، فأتى طهما سب قلى بنفسه الى شيراز وأرسل طهما سب قلى خان الجلايرى من جانبه الى اللارفقبض على محمد خان البلوجى فى (١١٤٧هـ) وأرسله الى رئيسه فى أصفهان وسمل بأمره ولم يستطع محمد خان تحمل هـذه الحالة فقتل نفسه فى محبسه •

مهاجمة القفقاز وداغستان (١١٤٦ ــ ١١٤٨هـ) :

ولما اطمأن بال طهما سب قلى من ناحية محمد خان البلوجى تــرك اصفهان الى آذربايجان وعلم فى اردبيل أن الباشـــــوات العثمـــانيين يستكفون عن قبول الصلح الذى عقده مع احمد باشا وأن الدولة العثمانية سيرت عبد الله باشا كوبر يلى زاده والى مصر بجيش جديد الى ايــران وتركت له الخيار بين الحرب والصلح •

وكان عبد الله باشا قد طلب من طهما سب قلى مهلة عامين لاخلاء ولايات ايران الغربية فكر طهما سب قلى بغير ترو من أردبيل على شروان وكانت تحت سيطرة سرخاى خان لكزى التابع للسلطان العثمـــانى وفى الخامس والعشرين من ربيع الأول (١١٤٧هـ) عبر نهر كورا ودخـــل شماخى وهرب سرخاى واستمد الباشوات المقيمين بتفليس وكنجــه •
وأرسل طهما سب قلى قائده المعروف طهما سب قلى خان جلاير الذى كان قد فرغ من مشكلة فارس والقضاء على محمد خان البلوجى ليتعقب سرخاى ، وهرب سرخاى بعد بضع هزائم من يد الجند الايرانيين الى بلاد الشركس ، فاستولى خان الافشارى أو طهما سب قلى على داغستان وبعث منها الجلايرى لحكم قندهار وتوجه هو الى فتح كنجه وأرســـــل صفى خان البغايرى لحصار تفليس •

وأتعب جنود على باشا المقيمين بكنجه فى دفاعهم الايرانيين كــثيرا فشدد طهما سب قلى خان الحصار مستعينا بنصائح سفير الروس وعون مهندسيهم الذين أتوا من باكو بدعوة منه ، ولـــا أقدم العثمانيون عــلى تحريض سلطان شبه جزيرة القرم (كريمة) على مهاجمــة داغســـتان واستلزم هذا عبور جنود القرم أرض روسية ، ثارت الحرب بســـبب هذا الأمر بين الروس والعثمانيين ، ولكيلا يحرم الروس من عـــون طهما سب قلى فى حربهم مع العثمانيين عقدوا مــع ايران فى ربيع عــام (١١٤٨هـ) بكنجه معاهدة تحالف ضد الأتراك •

ومن بلاد ايران التى استولى عليها العثمانيون فى الفترة ما بـين استيلاء الأفغان وظهور نادر الأفشارى قلاع ايروان الأربـع وكنجـه وقارص وتفليس حيث يرابط العثمانيون ولم يكن بوسع طهما سب قـلى بدون ضمه هذه النواحى الأربع المحكمة أن يطرد جنود العدو من هـذا الجزء من ايـران •

وحينما كان طهما سب قلى وقواده فى شغل بحصار قلاع ايـروان الأربع قدم اليها عبد الله باشا بسبعة آلاف فارس وخمسـين ألفا مـن المشاة لمهاجمة جيش نادر وتواجه الفريقان فى سـهول باغـاورد أو (مراد تبه) ، وفى هذا المكان ألحق طهما سب قلى بالجيش العثمـانى هزيمة شديدة فى السادس والعشرين من المحرم عام (١١٤٨هـ) وقتـل منهم خمسون ألفا ومعهم عبد الله باشا وباشوات آخرون ، واستسلمت نتيجة لهذا النصر كنجة وتفليس غير أن ايروان وقارص ظلتا تقاومان • وأمر ولاة الأمر العثمانيون أحمد باشا والى بغداد بأن يعقد صلحا مـع طهما سب قلى خان ، وقبلوا أن يسلموا ايـروان بشرط ان تبقى قارص لهم ، وبهذا صوب الباب العالى فى أوائل عام (١١٤٨هـ) الصلح السابق بينه وبين طهما سب خان وعادت ولايات ايران الغربية •

وبعد القضاء على هذه الغائلة بادر نادر بضرب ملك الكرج العاصى وثوار داغستان ولزك ، وبعد أن فوض من جانبه فى هذه البلاد ولاة قدم فى الثامن من رمضان (١١٤٨هـ) الى ساحل نهر أرس وعسكر بجيشه فى صحراء موغـان •

تتويج نادر وانقراض الأسرة الصـفوية :

وبعد أن وصل طهما سب فى هذا المكان استدعى اليه من كافة بلاد ايران أعيانها ورؤساء القـرى والقضاه والمشايخ وسير نوابا خاصـين للاتيان بهم الى معسكره اجبارا وأمر بأن يجتمعوا فى صحراء موغان فى

منتصف شهر بهمن وكان هدفه من جمعه لهم تصويبهم لرقيه السلطة •

وأقام طهما سب قلى مجلس اجتماع مع قواده وجميع أفراد الجيش وعلى باشا المدافع السابق لكنجة ومبعوث الدولة العثمانية والممثلين الذين أتوا عن بلاد ايران وبدأ بقتل بعض أتباعه لسبب ما لكى يرى قوته وبطشه ، ثم أخذ يتحدث فى أمر السلطة وقال قد قمت بما لزمه الكفاح وأنقذت ايران من قبضة الأفغان والأتراك والروس ، والشاه طهما سب وابنه عباس ميرزا كلاهما فى سلام ، وولوا السلطة من تحبون منهما ، وانى أفكر أن اعتزل فترة للراحة وأجلس فى زاوية بخراسان مطمئنا • فقال الحاضرون وكانوا على علم بسبب كلامه وفهم لمقتضى حاله : لا يليق بالسلطة غير خان الأفشار •

فرفض طهما سب قلى خان أولا الى أن قبل فى النهاية السلطة بشرط قبول الحاضرين بشروطه • وكانت شروط طهما سب قلى خان الخمسة هكذا :

١ — أن يكف الايرانيون عن عقيدتهم السابقة بالنسبة لأهل السنة طالما أن أهل السنة عدوا المذهب الجعفرى كمذاهب أهل السنة الأربعة وعدوه خامسهم •

٢ — أن يشرك الايرانيون أهل السنة فى أحد أركان الكعبة الأربعة التى تتعلق بمذاهبهم الأربعة السنية وأن يصلوا بها بالمذهب الجعفرى •

٣ — يعين كل عام أمير للحجاج من طرف ايران يحمل حجاج ايران الى الكعبة مثل امراء حج الشام ومصر وأن تعامله الدولة العثمانية نفس معاملة الحجاج الآخرين •

٤ — يطلق سراح أسرى الطرفين ويقف بيعهم وشراؤهم •

٥ — يقيم وكيل عن كلتا الدولتين فى عاصمة كل منهما ويفصلان أمور المملكتين وفق الصالح •

وبعد أن حصل على موافقة لهذه الشروط من جميع الحاضرين لبس تاج السلطة فى الرابع والعشرين من شوال (١١٤٨هـ) أى لاثنى عشر يوما بقين على أول العام الفارسى (النوروز) وسمى نادر شاه وانتهت الأسرة الصفوية تماما بعزل الشاه عباس الثالث وان كان انقراضها الحقيقى فى عام (١١٤٥هـ) حينما خلع طهما سب الثانى .

وعين نادر شاه بعد جلوسه ابنه رضا قلى ميرزا حاكما على خراسان يعاونه طهما سب قلى خان الجلايرى وأخاه ابراهيم خان ظهير الدولة على حكومة آذربايجان وفوض كلا من الولايات الأخرى الى قائد وأنفد سفراء الى قيصر روسيا والخليفة العثمانى ليعلنهما بجلوسه على العرش ومنهم عبد الباقى خان زنكنه الذى توجه الى استانبول لهذا الأمر ولحمل شروط نادر الخمسة .

فتح البحرين وتأديب البختياريين فى (١١٤٨هـ) :

كان من بين من عاد الى عمله السابق بعد انتهاء اجتماع موغان محمد تقى خان والى فارس الذى حصل على موافقة بفتح البحرين وكانت وقعت فى يد جماعة من العرب منذ عهد الشاه سلطان حسين ، وقد تمكن محمد تقى خان من البحرين بيسر بسبب الخلاف الذى كان فاشيا فى سكانها من العرب .

وتقدم نادر شاه الى أصفهان بعد فض اجتماع موغان لتأديب قبيلة بختيارى التى كانت دائمة التمرد ، وتغلب بعون جنود اصفهان وكوه كيلويه على مزاد خان تشهارلنك رئيس هذه القبيلة واستأسره وقطع يديه وقدميه وفقأ عينيه ، وعاد الى اصفهان بعد شهر من القتال فى جبال بختيارى الصعبة فى جمادى الآخرة (١١٤٨هـ) ، وأرسل عددا من قواده بمدفعية واستعداد كامل الى بلوجستان وشغل نفسه بالاستعداد والسفر الى قندهار .

حصار قندهار وفتحها (١١٤٩ — ٥٠هـ) :

وبعد أن اطمأن خاطر نادر شاه من ناحية شمال ايران وغربها اتجه الى الشرق وكان أول ما فكر فيه هو القضاء على وكر الأفغان الغلجيين أى قندهار والتى كان يتحرك منها أيضا الى أراضى ايران كوركانيو الهند على الدوام ، وكانت هذه المدينة فى هذا الوقت بيد حسين الغلجى أخى محمود الأفغانى •

ولما وصل نادر الى قلعة قندهار لما علم أن فتحها ليس أمرا ميسورا فقـــرر أن يقضـــى على المحاصرين باطـــالة الحصـــار لهـــذا بنـــى مقابل قندهار مدينة جديدة سماها نادر آباد ، وقطع اتصالات قندهار مع الخارج وحاصرها عاما كاملا وفى النهـــاية رأى أن الأفغـــان لا يـــزال باستطاعتهم المقاومة فترة أخرى بسبب وفرة المؤن لديهم ، فكان أن أمر بالهجوم على القلعة وحمل البختياريون المرافقون لنادر على أحد أبراجها فسقطت قندهار فى الثالث والعشرين من ذى الحجة (١١٥٠هـ)

وبعد فتح قندهار عامل نادر الأفغـــان برأفة وأرسل (حســـين) لكى يحبس بمازندران ورحل جماعة منهم الى نيشابور وأتى بأكثر سكان قندهار القديمة الى نادر آباد فحلت هذه المدينه بالتدريج محل قندهار القـــديمة •

وأثناء حصار قندهار فتح رضا قلى ميرزا بلخ وغندوز وبدخشان أيضا وتغلب على أبى الفيض خان أمير بخارى وايلبارس خان أمـــير خوارزم لكنه لم يتعرض لأسرة أمراء بخارى لأمر من نادر وعـــاد الى مقر أبيه • وترك نادر سلطنة ايران الى رضا قلى ميرزا وتوجه بنفســـه لفتح الهند •

غـــزو الهند : ـــ

وفى وقت تحرك نادر قاصدا فتح الهند كان حكم الهند الشماليـــة

الغربية ودهلى بيد محمد شاه من سلاطين الهند الكوركانيين ، وكان رجلا لاهيا فاسقا وخلف في (١١٣١هـ) « فرخ سير » على السلطنة ، ويصدق عليه قولهم (لم تكن يداه قط بغير كاس ولا صدره بغير حسناء » (١) • وكان جنوده على نفس سيرته من الانغماس فى اللذائذ وامتلأ بلاطه بالخائنين والفاسقين •

وكان نادر قد أرسل من حين فتحه لاصفهان حتى ذلك التاريخ سفراء مرارا الى دهلى يطلب من محمد شاه تجديد العلاقات الحسنة السابقة ومنعه دخول الأفغان الغلجيين أرض ايران وكان يسمع منه كل مره اجابة غير المطلوب حتى انه فى المرة الأخيرة أى فى (١١٥٠هـ) لم يسمح لسفير نادر بالعودة وعطله نحو عام عبثا بدهلى •

وفى أوائل عام (١١٥١هـ) أرسل نادر أمرا مؤكدا الى دهلى يطلب عودة السفير بعجلة الى ايران فقد كان غاضبا لعدم ارسال سفيره ، وتحرك لفتح غزنة وكابل وابنه نصر الله ميرزا للاستيلاء على شمال افغانستان • وبعد سيطرة نادر على هذه البلاد واقامة سبعة شهور فى كابل لما رأى عدم مبالاة محمد شاه فى جوابه على رسائله تحرك الى جلال آباد ، وتمكن من الاستيلاء على معابر الهند الشمالية الغربية ثم دخل فى رمضان سهول البنجاب ، وكان أن بلغه فى بيشاور خبر مقتل أخيه ابراهيم خان ظهير الدولة بيد لزكيى داغستان ، فسير نادر اصلان خان قر خلو مكانه وصفى خان البغايرى لقيادة داغستان وتقدم هو الى دهلى •

معركة كرنال فى الخامس عشر من ذى القعدة (١١٥١هـ) :

بعد عبور السند وفتح لاهور راسل نادر محمد شاه وذكره بالاصل المشترك لأسرة أفشار وأسرة بابر ولامه على تعطيل سفرائه

---

(١) المثل بالفارسية : (هركز دستش بى جام وكنارش بى دلارام نبوده)

وقال ان سفره للهند من أجل تأديب الأشرار الذين دفعوا بالشاه الى هذا التصرف ٠

وفى (سرهند) سمع نادر أن محمد شاه تحرك بثلاثمائة ألف مقاتل وألفى عربة مدفع من دهلى وأتى (كرنال) الواقعة على ساحل نهر جمنا وعلى بعد عشرين فرسخا شمال دهلى ٠

وكان تصريف امور محمد شاه فى هذه الأيام بيد ثلاثة أولهم نواب نظام الملك بهادر حاكم الدكن الذى لم يرسل جنوده بسبب نزاع نشب بنه وبين الشاه وكان حليفا لنادر فى الخفاء بعقيدة البعض ، وثانيهم خان دوران صمصام الدولة أمير الأمراء والقائد العام لجيش محمد شاه والثالث قمر الدين خان اعتماد الدولة صدر المملكة الأعظم ولم يكن أحد هؤلاء الثلاثة على صفاء بالآخر ويسعى كل منهم لتحطيم الآخر فى السر، واستطاع نادر بسهولة فى منتصف ذى القعدة أن يوقع بجنود محمد الذين لا حصر لهم فى سهول كرنال مستعينا بقوة حاملى البنادق الماهرين فى جيشه ، وقتل خان دوران وأخوه ، وذكر أن عدد قتلى الهند بلغ عشرين ألفا بينما بلغ عدد قتلى نادر اثنين وأربعين وجرحاه مائتين وكان أغلب أسباب هذا الأمر أن الهنود كانوا يحاربون بالأقواس والسهام بينما كان الايرانيون يقاتلون بالبنادق ٠

بعد هذا الفتح العظيم قدم نظام الملك الى معسكر نادر معتذرا وقرر أن لا يتعرض نادر الى روح محمد شاه وأمواله وحريمه ويسرح محمد شاه جيشه وأن يأتى الى مقر نادر بألف من أتباعه ، وبعد ثلاثة أيام يدخل نادر دهلى ويمكث أربعين يوما ضيفا على محمد ، وبعد هذه الفترة يدع سلطنة الهند الى محمد شاه ويعود الى ايران ٠

وفى دخول محمد شاه خيمة نادر أرسل نصر الله ميرزا لاستقباله وأتى هو أيضا ليلاقيه وأجلسه على مسنده وأدى شروط الاحترام والاستقبال بما يليق ٠

وتحرك نادر شاه برفقة محمد شاه من كرنال الى دهلى فدخلها فى التاسع من ذى الحجة (١١٥١هـ) واستقبله الملك الكوركانى بعد أن سبقه الى دهلى لاستقباله باجلال عظيم • وترك نادر فى مجلس ضيافته كما وعد سلطنة الهند الى محمد شاه ، ونثر محمد شاه جميع نفائس أجداده وخزائنهم احتفاء بمقدم ملك ايران •

ولم يصدر عن هندى حركة عداء لمدة ثلاثة أيام من دخول جنود نادر دهلى بسبب الأحكام القاسية التى أصدرها الا أن فى الحادى عشر من ذى الحجة وقع النزاع بين عدد من أهالى المدينة وبضعة جنود من جيش نادر ، وسرت فى الأهالى شائعة أن محمد شاه دس السم لنادر فى طعامه ، فدفع انتشار هذا الخبر أهالى دهلى الى الثورة وقتل فيها جمع من جنود نادر •

وفى صباح اليوم التالى لما فهم نادر أن نحو سبعمائة من أتباعه قد لقوا حتفهم ولم يقدم واحد من أمراء الهند على اخماد الثورة أصدر أمره بقتل عامة أهل دهلى فشغل جنوده أنفسهم من قبل أن ينقضى هذا اليوم بثلاث ساعات حتى الرابعة من بعد ظهر اليوم التالى بتنفيذ هذا الأمر القبيح فاحترق القسم الأهم من المدينة وقتل نحو عشرين ألفا ، وفى النهاية أمر نادر بوقف المذبحة بشفاعة محمد شاه ونظام الملك وقمر الدين خان وعفا عن بقية الشعب •

وبعد بضعة أيام من هذه الواقعة زوج نادر احدى حفيدات اورنك زيب بنصر الله ميرزا وأمر محمد شاه بأن يخطب لنادر فى جميع بلاده وتسك باسمه العملة وأن يقدم الأمراء والأعيان هدية تليق بنادر اليه من الجواهر والنقد فأطاعوا طوعا أو كرها فنال نادرا من هذا ما يزيد عن سبعة ملايين ونصف مليون • وقدرت قيمة النفائس التى غنمها نادر من الهند من ثلاثين مليون ليرة انجليزية الى سبعة وثمانين مليونا ونصف مليون وكان من ضمنها (تخت الطاووس) والألماسة المعروفة

(كـوه نـور)(١) •

وأنعم نادر على كافة قواد جيشه وأمراء الهند بهدايا لائقة وتجاوز عن ضرائب ايران لثلاث سنوات (وان كان استعاد هذه الضرائب بالقوة من الايرانيين بعد ذلك) ووضع بيده تاج السلطنة على رأس محمد شاه ، وأخلى محمد شاه البلاد فى غرب السند وهى غزنة وكـابل وقسـم من البنجاب لنادر ، وتحرك ملك ايران فى السـابع من صـفر (١١٥٢هـ) من دهلى الى السند وقد مكث بها سبعة وخمسين يومـا •

وحينما شاع خبر قتل نادر حرض رضا قلى ميرزا محمدا حسـين خان قاجار على قتل الشاه طهماسب الثانى الذى كان بسبزوار خشية أن ينحاز الناس الى الصفويين وقتل كذلك ولديـه الشـاه عبـاس الثالث وسليمان ميرزا فلم يبق حيا من الأسرة الصفوية من يـدعى السـلطنة ، ولم يستقبح نادر فعلة رضا قلى بعد اطلاعه بها بل أن هذا الأمـر تـم كما يعتقد البعض باشارة من نادر •

سفر نادر الى بخارى وخيوه وداغستان : —

حين عاد نادر الى كابل سمع أن خدا يار خان(٢) عبـاسى حـاكم السند حانق لضم بلده الى ايران وأن عاص للأوامر ، فتوجه نـادر من كابل الى صحراء (تار) فى عقـب خدايار فـلم ير خـدايار بـدا من الاستسلام ، فعفا عنه نادر وأقره على حكمه السابق وأرسل من السـند جماعة الى بلخ تعد له على ساحل نهر جيحون أسطولا لمهاجمة بخارى •

ووافى نادرا رضا قلى ميرزا فى هراة وعلى قلى خان ولد ابراهـيم خان ظهير الدولة بالجيش الذى كان نادر طلبه ، ففوض حكم هـراة الى شاهرخ ولد رضا قلى وتوجه الى بلخ فبلغها فى الثانى عشر من جمـادى

(١) اى جبل النور (فارسية) •
(٢) اى حبيب الله (فارسية) •

الأولى (١١٥٢م) فتقدم أبو الفيض خان أمير بخارى لمقر نادر فاستقبله بحفاوة وزوجه احدى بناته وشاهرخ حفيده بواحدة أخرى وجعل جيحون حدا بين ايران وبخارى واتجه الى خيوه بألف ومائة سفينة لكى يؤدب ايلبارس خان الذى تخطى الى (تجن) أيام مقامه بالهند .

واستأسر نادر فى هجومه على خيوه ايلبارس خان وحكم بقتله واستحوذ فى شعبان (١١٥٣م) على خيوه وأناب عليها أحد أحفاد جنكيز ، ثم أتى مشهد وأخذ يهيىء جيشه لضرب اللزك الذين قتلوا أخاه ظهير الدولة .

وتحرك نادر فى الثانى من المحرم (١١٥٤م) من مشهد الى داغستان وبينما كان يمر من طريق بين أدغال سواد كوه ، رمى بسهم فى الثامن والعشرين من صفر من خلف شجرة فانطلق السهم يحف به أسفل ساعده الأيمن فصادف ابهام يده اليسرى واستقر بعنق جواده فانقلب به .

وأصابت هذه الضربة القاسية عقل نادر بالتشتت فترك رضا قلى الذى كان بركبه فى طهران واتجه بنفسه الى داغستان . وفى سفره هذا مع أن بعض رؤساء قبائل اللزك دخلوا طاعته الا أن سكان داغستان كانوا يتحصنون بقلل الجبال الشاهقة ويشنون الغارات من كل ناحية على جيش نادر وأنزلوا به ضربات شديدة حتى أن نادرا تعرض لهجومهم وهو بخيمته .

وكانت روسيا على علم بغزو نادر لداغستان وخططه لاعداد أسطول فى بحر الخزر ومهاجمة شبه جزيرة القرم لهذا جمعت قوات فى هشترخان وصار هذا سبب مقاومة اللزك القوية . وأجبر نادر على العودة الى الدربند واشتعل غضبا لفشله فى هذا السفر الذى استمر عاما ونصف عام خاصة أن أخبار الثورات كانت تصله من ولايات ايران ، ولم تجبه الدولة العثمانية اجابات شافية على طلباته ، فانحرفت هذه الأحداث بسه عن الاعتدال وأفضت به الى اختلال حواسه .

وفى رمضان (١١٥٤هـ) حينما كان نادر لايزال بداغستان أتى بالغلام الذى رماه بالسهم فى أدغال سوادكوه ، فسمل نادر عينيه ولما كان يعتبر هذه الحادثة بتحريض من رضا قلى ميزا استدعاه من طهران وأمر أن يخرجوا عينيه من حدقتيهما بالخنجر •

علاقات نادر بالعثمانيين :-

وافق العثمانيون بعد اطلاعهم على شروط نادر على شروط أربعة ورفضوا قبول المذهب الجعفرى على أنه خامس المذاهب واعتبروه بدعة فى الدين ، وتبودلت الرسائل والسفراء بين نادر والباب العالى بهذا الخصوص وكان الباب العالى مصرا على رأيه فى اجابته لنادر فى كل مرة • فغضب نادر لهذا ولما كان يظهر نفسه المعين على الاتحاد بين المسلمين فقد أمر ألا يسب الخلفاء الثلاثة فى أى مكان من ايران وكتب فى رسالة مهذبة الى السلطان العثمانى يذكره بهذا الأمر وأفهمه ضمنها انه اذا تعلل أكثر من هذا فى قبول شروطه جميعا فلسوف يهاجم البلاد العثمانية ويجعله يقبل شروطه بالقوة • أما الثورات التى شبت بايران فى هذا الوقت فقد كان أولها ثورة محمد تقى خان حاكم فارس فى (١١٥٦هـ) حين اختلف مع القاد المرافقين له فى حملته على عمان فأعلن استقلاله ، فأرسل نادر محمد حسين خان القرخلو لتأديبه فسيطر هذا القائد على شيراز وقبض على محمد تقى فأعمى بصره وقطع احليله •

والثانية ثورة شروان فى نفس العام أشعلها من يسمى سام ميزا طالبا السلطة مدعيا أنه ابن للشاه سلطان حسين ونهض فى آذربايجان ثائرا وضم اليه محمد خان ولد سرخاى خان اللزكى وخانات الدربند وداغستان ، وأخمد نادر عن طريق نصر الله ميزا وبضعة نفر من قواده هذه الثورة فى النهاية وقبض على سام ميزا فى ذى القعدة (١١٥٦هـ) •

والثالثة ثورة القاجاريين باستراباد بيد محمد حسن خان القاجار

ولد فتح على خان نائب سلطنة الشاه طهماسب الثانى • وهزم نادر محمد حسن خان فى أواخر (١١٥٦هـ) فى صحراء التركمن عن طريق الشعبة الأخرى من القاجاريين التى كانت على عداء مع قبيلة فتح على خان ، وخرب استراباد وقتل جماعة كثيرة بذنب وبغير ذنب •

وقدم نادر فى أوائل عام (١١٥٦هـ) الى صحراء موغان وأرسل منها مدفعيته الى كرمانشاه لمهاجمة العثمانيين ، فتقدم أحمد باشا والى بغداد اليه بالصلح لكن نادرا وكان ينتوى فرض شروطه على الباب العالى استولى على النجف وكركوك والموصل ، فطلبت الدولة العثمانية فى أواخر عام (١١٥٦هـ) من نادر أن يكف عن الحرب لكى يدخل الطرفان فى تفاوض مرة أخرى لحل المشاكل المذهبية فعاد نادر الى مدينة وان وتقرر أن تحل الخلافات بالطريق السياسى •

وفى أوائل عام (١١٥٧هـ) أعلن رئيس عسكر قارص أحمد باشا حمال أوغلى عن رجل من أهل رفسنجان بكرمان أنه هو صفى ميرزا وأنه وارث سلطنة ايران وأرسل الى نادر أنه مأمور بأن يبلغ صفى ميرزا السلطة ، فأخرج نادر سام ميرزا المدعى السابق الذكر من معسكر وأتلف له عينا وأرسله الى أحمد باشا وأرسل يقول له (أرسلت لك سام ميرزا لرؤية أخيه المجهول) وقصد هو الى قارص •

وتقدم نادر فى جمادى الآخرة (١١٥٧هـ) ومعه نصر الله ميرزا الى قارص فحاصرها ولما كان أحمد باشا مستعدا أن يجعل سلطانه يقبل شروط نادر ترك قارص الى داغستان فأحاط باللزك من كافة الجهات وبعد تأديبهم وادخال رؤسائهم طاعته عاد الى ضفاف نهر أرس •

وفى أوائل (١١٥٨هـ) أنبىء نادر أن محمد يكن باشا يقصد مهاجمة ايران ومعه بضعة قواد وجيش كبير من ناحية ارزنة الروم وقارص ودياربكر والموصل فأنفذ نادر نصر الله ميرزا الى دياربكر والموصل وتوجه هو الى ايروان وكان يقصد الى أن يجرى الحرب فى (مراد تبه)

بالقرب من ذاك المكان الذى هزم فيه منذ عشرة أعوام من قبل عبد الله باشا • وبلغ يكن باشا مراد تبه بمائة وخمسين ألف فارس وأرذعين ألفـا من المشاة وبدأت الحرب فى الحادى عشر من رجـب (١١٥٨هـ) وحـصر نادر يكن باشا وجنوده وقطع عليهم طريق المؤونة وبلغه فى هذه الأثناء خبر نيل نصر الله ميرزا فتحا عظيما أيضا بالقرب من الموصل ، فمـات يكن باشا فى الحصار وانفرط عقد جنوده وقتل منهم فى المعركة اثنا عشر ألفا ووقع فى يد جيش نادر مدفعية الجيش وخمسة آلاف أسير منه •

وبعد هذا الفتح اقترح نادر نفسه الصلح على السلطان العثمانى وترك آذربايجان الى أصـفهان وبقى بهـا حـتى العاشر من المحـرم (١١٥٩هـ) ولما كانت حالته المعنوية قد ساءت كثيرا أنزل وجنوده ضربات بأهل هذه المدينة المظلومة ، ثم سلك طريقه منها الى مشهد وأرسـل من طرفه ميرزا مهدى خان منشى الماليك الاسترابادى مؤلف (جهانكشـاى نادرى)(١) ومصطفى خان الشاملو الى استانبول فعقدا فى العاشر من المحرم (١١٦٠هـ) بين الدولتين معاهدة بالشروط الآتية : —

١ — حدود المملكتين هى نفس الحدود التى قـررت فى (١٠٤٩هـ) بين السلطان مراد الرابع وشاه صفى •

٢ — يتجنب الطرفان من هذا الوقت فصاعدا العداء والاقـدام على أمور تنافى الصـلح •

٣ — يصل الولاة العثمانيون بالحجاج الايرانيين سالمين من مكان الى آخـر •

٤ — يرسل الطرفان سفراء لمدة ثلاثة أعوام الى عاصمتيهما على نفقـة الطـرف الآخـر •

٥ — يكف الحكام فى الولايات التى على الحـدود عن الأفعـال

---

(١) هذا الكتاب اوثق الكتب تأريخا لعهد نادر لأن المؤلف كان منشىء نادر وصاحبه فى أسفاره . حوى احداث نادر وحروبه حتى عام موته واهتـم المؤلف فى هذا الكتاب بالمعنى والمادة التاريخية اكثر من اهتمامه باللفظ ، وان يرى فيـه كلمات تركية .

المنافية للمودة وأن يتجنب الايرانيون سب الخلفاء وألا يطالب ولاة الطرفين من تجارهما جزية أو خراجا خلاف القاعدة .

تغير حال نادر وقتله : —

مع كل ما أسداه نادر لشعب ايران من خدمات وما وفر لهذا الشعب من اسم واعتبار فان الايرانيين لم يكونوا من أول الأمر على صفاء معه بسبب اصرار نادر على القضاء على المذهب الشيعى ونشر المذهب السنى والغاء الآداب الدينية الخاصة بالشيعة وحجز الأوقاف ثم بسبب سعيه لمحو اسم الصفويين وأثرهم وحث الناس على نسيان هذه الأسرة وآثارهم الخيرية .

ولما كان نادر يسعى الى أن يجعل سلطنة ايران وراثية فى أسرته ويقضى على المذهب الشيعى فقد كان على عناد خاص للصفويين لأن السلطنة الحقة ارثهم ويدين رواج المذهب الشيعى لهم بالفضل ، الا أن الايرانيين لم يكونوا راضين بهذا الأمر باطنا ولهذا كانوا يخفون عداوتهم لنادر لا سيما وقد اتصف بالقسوة والفظاظة وارتكب عماله ومحصلو الضرائب الظلم والتعدى فوق المعتاد ، فلم يطلب أحد منهم دوام دولته لكره فى نفسه .

وقد انحرف غزوه لداغستان ودفاع أهلها المستبسل واعماء رضا قلى ميرزا والثورات التى شبت وقتها فى ايران بخلقه الذى لم يكن يعاب فى البداية بغير قسوته وشدته واصراره على اقامة المذهب السنى انحرف به عن حالة الاستقامة ولما رفضت الدولة العثمانية شروطه زاد قسوة ووحشية وكان الأمر الذى يزيده غيظا تألمه لاعماء رضا قلى خان ، ولما شعر بالندم مما فعل ، قتل خمسين من أمرائه بحجة أنهم لم يشفعوا له يوم الحادثة .

وكان هذا الملك أول أمره كريما معطاء لكنه بعد غارته لدهلى

وحصوله على غنائم الهند صار أداة للؤم الطبع وحب المـال والحرص ، فطالب بضرائب الثلاث سنوات بقسوة والتى سبق أن ضرب صفحا عنها، وكان كل ما يحصل عليه يرسله الى قلعة كلات •خاصة فى الثلاث أوالأربع سنوات الأخيرة من حكمه أنزل بشعب ايران ضربات كـثيرة فى جمعـه الضرائب من غير وجه حق وارتكابه الجرائم فى حقهم هو وعماله •

وكانت قسوته وغيظه وغضبه بالنسبة الى الأقاليم والرعيـة بهـا بلا حد ، فمسلكه مع أهل شوشتر وشيراز واللار عقب ثورة محمد خان البلوجى ومحمد تقى خان والى فارس واقامته منارات من الجمـاجم فى فارس وكرمان أمر مشهور خاصة وأن عادة الاعماء القبيحة كانت من بين معاقباته الرائجة وكان فى الغالب يرافقه فى معسكره عدد كبير من هؤلاء المكفوفين • وقد ولدت هذه الأسباب سوء الظن الشـديد بين رؤسـاء القزلباش ونادر حتى أن الأمر أفضى شيئا فشيئا الى أن نـادرا أما أن يزيل رؤساء القزلباشية أو هم يزيلوه •

وتحرك نادر فى العاشر من المحرم (١١٦٠هـ) من أصفهان الى مشهد ووصل فى الثالث والعشرين من صفر الى عاصمته ولما أن شعب سيستان قد أعلنوا ثورتهم لجور عماله فقد أرسـل على قـلى خـان ابن أخيـه وطهماسب قلى خان جلاير قائد كابل لتأديبهم • وتحالف على قلى خان وكان محكوما بأمر نادر بتنفيذ جريمة فظيعة مع ثوار سيسـتان فزادت الثورة اشتعالا • وبدأ نادر بالتوجه الى ضرب أكراد خبوشـان الذين ثاروا هم أيضا ، وزاد فى هذه الآونة جنونه فصمم على ارسال نصر الله ميرزا وامام قلى ميرزا والأمراء الباقين الى كلات وعلى أن يقضى عـلى رؤساء القزلباش وقر مع رؤساء الأفغان وكانوا أعداء ايران أن يهـلك القزلباشية بعونهم اليوم التالى وقتذاك • وعلم رؤساء القزلباشية بهذه النية فدخلوا ليلة الأحد الحادى عشر من جمادى الآخرة (١١٦٠هـ) مخيم نادر بفتح آباد بخبوشان واغتالوه ونجوا من شر أفكاره السوء •

وطالت مدة سلطنة نادر ما يقرب من اثنى عشر عاما من عام (١١٤٨هـ) حتى (١١٦٠هـ) وكانت عاصمته مشهد وان قل أن أقام فى مكان واحد •

ومما شيده نادر غير (مولود خانه) فى دستجرد ومقبرته بمشهد ونادر آباد بقندهار تلك التى قام بها فى حرم الرضا فى مشهد والحديقة والقصر اللذين بناهما بقزوين • وما يجدر بالاهتمام فى حكم نادر بناؤه بحرية حربية فى بحر مازندران للهجوم على داغستان وفى الخليج الفارسى للاستيلاء على عمان وجزر الخليج •

قدم فى عام (١١٥١هـ) أحد الرحالة الانجليز واسمه (جان التون) (John Elton) كان سابقا يخدم روسيا ، الى رشت ومعه بعض البضائع وحاز فرمانا من رضا قلى ميرزا يسمح له بالتجارة مع ايران وعاد الى انجلترا وشجع الناس بها على تجارة ايران ، وبعد عودته وحصوله على سماح من روسيا بنى سفينتين فى مدينة غازان قدم بهما الى شاطىء جيلان ، فأفاد نادر بوجود التون وأعلن هذا اسلامه فنال منصب الرئاسة البحرية وأمر أن يبنى لايران سفنا فى عام (١١٥٦هـ) فى مشهد على نهر ولنكرود •

وأقدم التون على عمله بهمة مع مخالفته لروسيا ولابناء وطنه الذين كانوا يخشون عداء روسيا للتجار الانجليز ونجح بعزمه الراسخ وعون بضعة نفر من الروس والهنود فى أن يطرح سفينة فى الماء ، واستمر فى عمله حتى بعد قتل نادر لكنه قتل عام (١١٦٥هـ) فى احدى ثورات جيلان المحلية فوقف موضوع ملاحة بحر الخزر •

وفى عام (١١٤٩هـ) حينما كان محمد تقى خان والى فارس يهاجم عمان والبحرين ولم يكن لديه سفن فضغط على الهولنديين لنقل جنوده وبهذا استولى على عمان ومسقط ، ولما أن الانجليز لم يقدموا عونا فى هذه الحرب لايران بل على النقيض أمدوا العثمانيين فى دفاعهم عن

البصرة استاء منهم وعمل على بناء سفن فى الخليج وأمر أن تعـد هـذه السفن فى بوشهر ، لكنه بسبب أن الخشب كان يحمل من غابات مازندران الى سواحل الخليج وعلى الأهالى فى البلاد الواقعة فى الطريق أن يحملوا هذه الأخشاب بلا أجر من بلد الى أخرى فـلم يسـفر هذا الأمـر عن النتيجة المتوقعة فظلت ايران بغير سفن فى ساحل الخليج •

سلطنة على شاه وابراهيم شاه وشاهرخ

(١١٦٠ ـ ١٢٦٠ هـ)

لما شاع خبر قتل نادر نهب الأفغان والاوزبك الذين كان اعتمادهم على خان الأفشار ويخشون الايرانيين معسكر نادر بقيادة أحمـد خـان الأبدالى وهربوا الى قندهار وأعلمت الأفشارية بالواقعة على قلى خان ابن أخى نادر وكان فى هذا الوقت موجودا بهراة ، فأتى على قلى عـلى عجل الى مشهد وأرسل أحد غلمانه للاستيلاء على كلات وضبط خـزائن نادر ثم قبض على جميع أمراء أسرته وقتل رضا قلى مـيرزا الأعـمى ونصر الله ميرزا وامام قلى ميرزا وسائر الأمراء ما عدا شـاهرخ ولـد رضا قلى الذى أخفاه وأذاع خبر قتله بهدف أن يجعله سلطانا اذا عجز عن الوصول الى السلطنة فيقبض على أزمة الأمور باسمه ، واذا أصاب التوفيـق يجهـز عليـه •

وجلس على قلى خان فى السابع والعشرين من جمـادى الآخـرة (١١٦٠هـ) فى مشهد بلقب على شاه وعادل شاه مكان عمه وفتح يد البـذل والاسراف والبذخ فى الملذات وأمر أخاه الأصغر ابراهـيم خان بقيـادة العراق وأصفهان واختار مير سيد محمد حفيد الشاه سليمان الصـفوى لأمه للوزارة ورئاسة مشهد (عتبة القدس) •

وأعلن ابراهيم خان فى السنة التالية أنه ابراهيم شـاه فى أصفهان وطالب بالسلطة من أخيه وغلب على شاه وأسر فى الحرب التى جرت بين

هذين المتنافسين فى زنجان وسمل بأمـر أخيـه .

واستدعى ابراهيم شــاه الذى كان يدين انتصــاره بالفضـل الى الأمير أصلان خان القرخلو الأفشارى قائد آذربايجان شاهرخ من مشهد لكى يجعل السلطنة له ، فظن أهل مشهد هذه الدعوة حيـلة منه فأعلنـوا سلطنة شاهرخ فى التاسع من شوال (١٠٦١هـ) فى مشهد ، وجعل ابراهيم شاه بدوره من نفسه سلطانا فى السابع عشر من ذى الحجـة من نفـس العـام فى العـراق وتأهب لصـد شاهرخ .

وفى عام (١١٦٢هـ) قام أشياع شاهرخ شاه بسمل عينى ابراهيـم شاه واستدعى على شاه الأعمى الذى كان بمعسكر ابراهيم الى شـاهرخ بمشهد لكى يقتله ، فلم يبق واحد من الأمراء النادريين منافسا لشاهرخ ، بيد أن الأمير سيد محمد والى مشهد الذى كان يعد حكم ايـران من حق الصفويين وحدهم قبض على شاهرخ وأعماه وجلس بمشهد ملكا باسـم الشاه سليمان الثانى . فقام أهل مشهد على الشاه سليمان بعد أربعـين يوما وأعموه هو الآخر واعترفوا بسلطنة شاهرخ الأعمى عليهم ، فـلم يكن له من السلطنة على حاله هذه غير اسمها فى مشهد الى أن وافاه أجله فى (١٢١٠هـ) وخلفه ابنه نادر ميرزا وقضى على نـادر ميرزا هـذا عـام (١٢١٨هـ) فتح على شاه وأزاله من خراسان فزالـت الأسرة الأفشـارية بهـذا النحـو تمـاما .

أسماء السلاطين الأفشارية ومدة حكم كل منهم

١ ــ نـادر شـاه	(١١٤٨ ــ ١١٦٠هـ)
٢ ــ عادل شاه وابراهيم شاه ولدا أخى نادر	(١١٦٠ ــ ١١٦١هـ)
٣ ــ شـاهرخ شـاه	(١١٦١ ــ ١٢١٠هـ)
٤ ــ نـادر مـيرزا	(١٢١٠ ــ ١٢١٨هـ)

الفصل السادس عشر

الـزنـديـون
(١١٦٣ — ١٢٠٩هـ)

أوضاع ايران حـال ظهور كريم خان : —

حينما توافق قواد الجنود القزلباش على قتل نـادر عزموا أيضـا مهاجمة الأفغان والأربك حالما يتم قتله فيفنوهم عن بكرة أبيهم • وعـلم الأفغان بهذا الأمر فجمع أحد رؤسائهم وكان أحد قادة نادر وهو أحمـد خان الأبدالى الأفغان برفقته واتجه الجمـيع الى قنـدهار وسرعان من تمكنوا من هراة ومشهد وجزء من الهند والبنجاب وكشمير • وأحمد خان الأبدالى الذى يسمى أيضا باسـمه القـبلى أحمـد خـان الدرانى هو مؤسس استقلال أفغانستان كما سنرى بعد • وأحـد القـادة الأفغـان الآخرين لنادر من طائفة الغلجيين واسمه آزادخان أعلن عصيانه فى بلاد الكرد ، وبعد زوال دولة ابراهيم شاه استحوذ على قلعة أورميـة وهاجم الكرج وبعد مصالحته لملك هذه البلاد تقرر أن يكون نهر أرس بين أملاك ملك الكرج والحد الفاصل بينه وبين آزادخان الأفغانى •

ومنح شاهرخ عهد سلطنته حكم أصفهان لأحد الخانات البختياريين وهو أبو الفتح خان فنفس خان آخر من نفس الطائفة اسمه على مردان خان على أبى الفتح خان حكمه لكنه لقى منه الهزيمة وفر أمامه وانهمـك فى جمع قوات لمهاجمة أصفهان للانتقام منه •

وكان ثائر آخر أعلن عصيانه وقت ضعف الأفشـارية طـالبا الملك

والسلطنة وهو محمد حسن خان قاجار ولد فتح على خان الذى قتل طهماسب الثانى والده بالتواطؤ مع نادر شاه • وأتى محمد حسن خان الى سواحل بحر الخزر بعد قتل نادر وكان يعيش طوال مدة تسلط نادر فى صحراء التركستان وهاجم استراباد مرارا بعون التركمان ، ومد قوته فى مناطق بحر الخزر وقام بجمع أعوان له فاجتمع عليه عدد لا حصر له من التركمان والقاجار •

ظهور كريم خان زند :ـ

كانت قبيلة الزند احدى طوائف اللور ولم يكن لها قبل ظهور كريم خان اسم أو صفة يعتد بهما فى التاريخ • وكانت قبيلة الزند فى الأصل تقيم فى أحد مضافات ملاير وكانوا يقومون بالاغارة أيام تسلط العثمانيين على غرب ايران فى عهد حكم الأفغان حينا على الأتراك وحينا آخر على الأفغان • وبعد طرد نادر للترك والأفغان من ايران أدب الزنديين وهجر جماعة كبيرة منهم الى الدركز بخراسان وأسكنهم حوالى ابيورد ازاء مساكن التركمان •

وفى عهد عادل شاه صرف الزنديون أحد قواد نادر القدامى وكان يدعى كريم توشمال فى شئونهم لكى يعود بهم الى أوطانهم الأصلية ، فأعادهم كريم يعاونه أخوه صادق الى منطقة ملاير برغم هجمات جيش على شاه ، ومن هذا الوقت عهد الى كريم برئاسة قبيلة الزنديين •

وفى الوقت الذى عصى فيه ابراهيم شاه أخاه عادل شاه دعا كريم خان لتأديب بعض القبائل المتمردة بالعراق ، ولقاء هذه الخدمة نال من ابراهيم شاه التحف والهدايا وزاد شهرة عن ذى قبل •

وتوسل على مردان خان الذى أشرنا الى هزيمته من أبى الفتح خان بكريم خان للقضاء على منافسه ، فطرد كريم خان وعلى مردان أبا الفتح خان عن أصفهان ودخلا المدينة فلم ير أبو الفتح خان مناصا من

الاستسلام لطاعة منافسيه المنتصرين ، وتشاور الخانات الثلاثة اللوريون عام (١١٦٣م) بشأن سلطنة ايران واستقر قرارهم أخيرا على أن يرفعوا الى السلطنة أحد أحفاد الشاه السلطان حسين من بنته واسمه اسماعيل الثالث وينوب على مردان خان عنه ، ويقود كريم خان الجيش ويتولى أبو الفتح خان أصفهان • وأقسم هؤلاء الثلاثة على الحفاظ معا على سلطنة الشاه اسماعيل الثالث واذا نقض أحدهم عهده قام الآخران بقتاله •

والذى نقض عهده وميثاقه منهم كان على مردان خان لأنه كان يحقد على كريم خان حين توجه الناس اليه وكان يود أن يكون تصريف جميع الأمر بيده ، فقتل أبا الفتح فى غياب كريم خان وصب أذاه على نصارى جلفا ، فعاد كريم خان الى أصفهان وكان قد رحل هذا الوقت لوضع حد لفتنة فى الكرد فاستولى على أصفهان ولاذ على مردان بالبختياريين •

وبعد أن غلب كريم خان على مردان تقدم للاجهاز على المدعى الكبير لسلطنة ايران وهو محمد حسن خان القاجار ، وأخرج فى المرحلة الأولى جيلان عن سيطرته ثم أسرع منها لحصار قلعة استراباد وشغل بهذا الأمر بعون شيخ على خان الزندى •

وفى هذه الحملة لم يستطع شيخ على خان الثبات فهرب ، ولما سمع كريم خان بدوره أن الشاه اسماعيل الثالث قد لجأ الى محمد حسن خان لم يتمكن من فتح استراباد وعاد مهزوما الى طهران ، وعلم أن على مردان تحالف مع آزاد خان الافغانى ضده فوجدت له مشكلة أخرى عن طريقهما •

وقدم كريم خان الى كرمانشاه وأنزل بعلى مردان الذى كان بها هزيمة عظيمة وطلب آزاد خان منه الأمان فلم يجب كريم سؤله وعجل

الى حربه لكنه غلب على أمره ولاذ بالفرار واستأسر آزاد خان والدتى كريم وشيخ على وأتى بهما الى أصفهان ، وهزم فى قمشه كريما ثانية فعاد خان الزند مهزوما الى لورستان لكن الأمر لم يطل حتى رحل عنها الى فارس بعد جمع جنود آخرين ، وحدث فى هذه الأيام أن قتل على مردان بيد أحد أتباعه •

ولكى يدفع آزاد خان كريم خان ترك أصفهان الى فارس ولاقاه فى كتل كمارج على رأس طريق بوشهر ، ودارت الدائرة على آزاد خان وغلبه كريم فعاد آزاد بهزيمته الى أصفهان عام (١١٦٦هـ) ولما علم أن محمد حسن القاجارى قاصد من الشمال أصفهان أجبر على تركها الى آذربايجان •

ولما حاز كريم هذا الفتح دخلت طاعته اللار ومناطق فارس الحارة وحينما سمع خبر تحرك محمد حسن أرسل شيخ على الى أصفهان لواجهته وعمل هو على تنظيم أمور فارس ولقى شيخ على من محمد حسن الهزيمة فاضطر كريم أن يتوجه بنفسه الى أصفهان لكنه غلب هذه المرة من خان القاجار فلاذ بالفرار من أصفهان الى فارس •

وبعد فتح محمد حسن لأصفهان انتوى الاستيلاء على فارس وتعقب كريم لكنه اذ سمع أن آزاد خان متوجه اليه من آذربايجان تقهقر الى جيلان حيث هاجم جنود آزاد خان مرارا وفى آذربايجان فاستأصل جنده وأجبره على اللجوء الى كريم ، وسقط آزاد من هذا الوقت من كل أهمية واعتبار •

وفى تقهقر محمد حسن سيطر شيخ على الزندى على أصفهان بيد أن محمد حسن بعد قهره لآزاد طرد ثانية الزنديين عنها واستعادها •

هزيمة محمد حسن خان القاجارى فى (١١٧١هـ) :

ولما زال على مردان وآزاد خان لم يعد لتاج ايران وعرشها أكثر

من طالبين قويين أولهما محمد حسن القاجارى الذى كان مسيطرا علـى سواحل بحر الخزر وشمال ايران حتى أصفهان وثانيهما خان الزند الذى حكم على فارس وجزء من ايران الغربية •

وفى عام (١١٧١هـ) هاجم محمد حسن خان شـيراز للقضـاء على منافسه وألقى بحصاره عليها ، وتمكن كريم فى نهـاية الأمر من هزيمـة الجند القاجاريين بسبب مساعدة الشعب وبلاء شيخ على الحسن فعـاد محمد حسن مغلوبا الى أصفهان ، ولما استشكل عليه المقـام بها بسـبب سوء مسلك أتباعه مع أهلها تركها الى مازندران فدخل كـريم أصـفهان بانتصار تام ، وكان يود انهاء سيطرة محمد حسن تماما لذا ترك فارس لأخيه صادق وتحرك عن أصفهان لطهـران وسـير منها شـيخ على الى مازنـدران •

ولما دخل شيخ على مازندران تحالف مع طائفة أخرى من القـاجار كانت على عداء قديم مع قبيلة محمد حسن وألحق منهم حسين خان دولو حاكم أصفهان السابق من قبل محمد حسن بخدمته ولاقى بعونهم محمـد حسن بالقرب من أشرف لكنه لم يحز بنتيجة من هذه الحرب فتوجه منـها لفـتح اسـتراباد •

ووصل محمد حسن على عجل الى استراباد لكنه هزم بها وهـرب الى مازندران وحينما كان يريد عبور أحد المعابر عثر به جواده فحمـل عليه أخو حسين خان الدولو وكان خلفه من القاجار المخالفين له فاجـتز عنقه وأرسلها الى شيخ على فبعث بها بدوره الى كريم بطهران •

وبعد قتل محمد حسن خان لاذ أتباعه من القاجاريين وابنه الأكـبر آغا محمد خوفا من أعداء قبيلتهم بصحراء (يموت) عنـد التركمـان ، لكنهم عادوا بعد أربعة شهور لاجئين بكريم خان فشملهم خـان الزنـد فى كنف حمايتـه •

سـطنة كـريم خـان

(١١٦٣ – ١١٩٣هـ)

بعد قتل محمد حسن قاجار استقل تقريبا كريم خان الذى ظهر عام (١١٦٣هـ) بجميع بلاد ايران ما عدا خراسان وظل حتى سنة موته حاله على هذا ، اذ لم يتعرض كريم خان لخراسان قط مراعاة لحقوق النعمة وظلت بيد شاهرخ ميرزا الأعمى وكان شاهرخ يحكمها حتى آخر حياته اسميا •

ومن انبعث ثائرا بعد محمد حسن خان القاجارى على كريم خان كان فتح على خان الأفشارى من أتباع آزاد خان ، فتوجه كريم وشيخ على الى أورمية لصده وان هرب الأخير من المعركة الا أن كريما ظل يقاوم حتى تقدم فتح على يعتذر اليه فعفا عنه ، ثم قتل بعد فترة قليلة بيد أحد أتباع كريم لسوء مسلكه • ولا يعرف بالضبط لماذا أعمى كريم خان فى هذا الوقت شيخ على ويبدو أن سبب ذلك هو غرور هذا القائد بانتصاراته فتدخل فى مؤامرة لقتل كريم حين كان يحاصر أورمية •

وبعد القضاء على فتح على الأفشارى واستسلام آذربايجان تأمر الزنديون أيضا على كرمان ويزد وجنوب خراسان ، ولم يقدم كريم من هذا الوقت حتى آخر عمره على غزو هام وانما قضى أغلب أوقاته فى شيراز حيث اختار مقر عرشه فى هناء وترفيه أحوال الرعية والتعمير ، وقد جعلت تهيئة أسباب العيش والراحة للناس ودفع الظلم والتعدى عنهم من كريم خان أكثر من كل شىء محبوبا لرعيته أثيرا طيب الذكر عند كل منهم •

أوضاع سواحل الخليج وجزره فى عهد الزنديين : –

استولى كما رأينا فى أحوال الأفشاريين نادر شاه على عمان ومسقط عام (١١٥٦هـ) تماما بيد محمد تقى خان والى فارس وكلب على خان أخى

زوجه ، لكن ساء ما بين هذين القائدين مبكرا فقتل الأول الثاني وعصى نادرا وقام نادر بصده •

وقد أغفلت هذه الأوضاع التى صادفت اختلال حال نادر ومشاكله فى حروبه الأخيرة مع العثمانيين وأفضت الى قتله ايران عن الاهتمام بأمور جزر الخليج وسواحله وأقر شيخ عمان بالتدريج قوته على القسم الأعظم من سواحل الخليج الجنوبية •

ولم يبد كريم خان اهتماما كبيرا بجزر الخليج وسواحله مع قرب عاصمته اليه بسبب انشغاله بمقاتلة الثوار عليه وخلوه من دوافع الفتح والغزو فيما عدا مرة أو مرتين حين صد هجمات القراصنة •

وكانت تجارة الخليج البحرية اذ ذاك يتداولها الانجليز والهولنديون وكان الفرنسيون يزاحمون أعداءهم الانجليز فقد كانوا وقتذاك فى حرب معهم فى الخليج ، كما حدث فى المحرم (١١٧٣هـ) حين قدموا الى بندر عباس بسفن أربع وقصفوا دور تجارة الانجليز بها ورحلوا عنها بعد حرق مبانيهم ونهب ما فيها من بضائع بعد خمسة عشر يوما •

وبعد هذه الواقعة بسنوات أربع نقل الانجليز مركز تجارتهم من بندر عباس الى البصرة وسبب هذا العمل الذى تم بعد أن نقل الهولنديون دور تجارتهم أيضا من ايران الى الأرض العثمانية صدمة قوية لتجارة ايران الخارجية • ولكى يتلافى كريم خان هذه الخسارة أعاد الانجليز فى عام (١١٧٧هـ) الى بوشهر وحث بفرمان منه ممثلى شركة الهند الشرقية الانجليزية على افتتاح دار للتجارة فى هذا الميناء ومنحهم حق احتكار تجارة بوشهر ، فتحمس الانجليز لهذا الفرمان ففتحوا تجارتهم فى بوشهر وظلوا بها حتى (١١٨٣هـ) اذ رحلوا عنها بسبب انعدام الأمن الداخلى واعتداء شيوخ الأطراف عليهم الى البصرة •

كنيبهاوزن (Kniphausen) على جزيرة (خرج) الصغيرة
وفى عام (١١٦٧هـ) استولى رئيس المركز التجارى الهولندى بالبصرة

وجعلها مركزا للصيد والتجارة باللؤلؤ وبنى فيها قلعة حربية .

ومع أن شيخ ميناء (ريك) وهو الأمير مهنا من العرب رعية ايران عصى مرارا كريم خان وعفا خان الزند عن قتله مراعاة لصهره الذى كان يعيش فى سلك العمال الزنديين الا انه قام ثائرا فى تلك الأيام على صادق خان والى فارس وأخى كريم خان فأرسل صادق خان جماعة للقبض على الأمير مهنا الى ميناء ريك فهرب مهنا الى جزيرة (خارجو) ثم هاجم خرج بسبب خلو الجزيرة من ماء الشرب وبعد قتله أو أسره الجنود الهولنديين بها ضمها اليه فى (١١٧٩هـ) وهذا العام هو نهاية عهد سيطرة الهولنديين فى خليج فارس وسواحله وجزره .

وأصاب هذا النصر مهنا بالغرور والاعتداء فأخذ فى القرصنة والنهب فى البحر وأرسل كريم زكى خان وهو أخ له من أمه لدفعه فهرب مهنا أمامه الى البصرة حيث قتل وضمت جزيرتا خرج وخارجو الى كريم.

وفى عام (١١٨٠هـ) قرر كريم أن يهاجم عمان ومسقط وأرسل لهذا زكى خان الى بندر عباس وحرك والى هرمز لعون أخيه ، فرحل زكى خان من بندر عباس الى هرمز وارتكب بها اعتداء خلقيا فى حق واليها فألقى به فى السجن وأطلع أخاه كريما بما حدث فلم يتم غزو عمان لهذا السبب ولما انتقل مركز الانجليز التجارى مرة ثانية الى البصرة صمم كريم أن يستولى عليها لكى ينتقم من الانجليز ويسقط البصرة من ازدهارها ومكانتها التجاريين ، وتذرع لهذا بسوء معاملة العثمانيين للحجاج الايرانيين وبعض أمور ثانوية أخرى لكى يتدخل فى الأملاك العثمانية .
وكان بداية الصراع بين ايران والعثمانيين فى أواخر عهد كريم خان بسبب الحماية التى كان يسبغها خان الزند على ولاة البلاد الكردية التابعة للعثمانيين ، ولما عزل عمر باشا والى بغداد باشا بلاد الكراد الذى تحميه ايران أرسل كريم على مراد خان الزندى ابن أخته الى بلاد الكرد ، وكان النصر أولا مع الزنديين غير أن على مراد لما وقع فى يد

الترك أثناء المعركة وهو فى حال من السكر انهزم الجنود بغير قائدهم • وأنفد عمر باشا على مراد الى ايران خشية من كريم ، وأراد كريم قتله لكنه عفا عنه أخيرا بشفاعة صادق خان •

ولكى يتلافى وهن هذه الهزيمة بعث كريم قائدا آخر من الزنـديين لبلاد الأكراد فغلب العثمانيين فى تلك المنطقـة وطالب أوليـاء الدولـة العثمانية برأس عمر باشا والى بغداد وقبل أن يصل جواب طلبه أرسل أواخر عام (١١٨٨هـ) أخاه صادقا بثلاثين ألفا لتأديب سليمان آغا حـاكم البصرة الذى كان يؤازر شيخ عمان ضد ايـران ، وكان ناصر خـان بن مذكور حاكم بوشهر والبحرين يعاون صادقا من البحر فى حملته هذه •

وحاصر جيش ايران البصرة فى شهر صفر (١١٨٩هـ) برا وبحـرا ، وكان الانجليز على علم بأن الغرض الأساسى لكريم من غـزوه البصرة هو معاداتهم فوضعوا سفينتين حربيتين تحت تصرف سـليمان آغـا ، وانحاز بعض عرب خوزستان للعثمانيين وسعى الأعداء فى البر والبحـر ألا يدعوا قوات صادق تتصل بقوات ناصر ، غير أن هذه المحاولات لـم تسفر عن شىء فعبر جنود صادق بعد نصر هام شط العرب وحـاصروا البصرة • واستمرت محاصرة البصرة ثلاثة عشر شهرا وضاق الأمـر فى هذه الفترة على سليمان آغا وعمر باشا والدولة العثمانية وفشل البـاب العالى أن ينقذ البصرة من حصارها سواء من البر أو البحـر مع سـعيه لارساله لباشوات ديار بكر ووان والموصل ودعوته لشـيخ عمان ، وفى النهاية أرسل السلطان العثمانى رأس عمر باشـا كما طلب كـريم الى شيراز حيث خان الزند وطلب الصـلح •

وأخذ كريم فى تعطيل سفير السلطان فى شيراز فلربما يفتح صادق أثناء ذلك البصرة الى أن استسلم أخيرا سـليمان آغـا فى ربيع عـام (١١٩٠هـ) وفتحت البصرة بيد صادق خان وناصر خان آل مذكور • وترك صادق بعد مقام أربعة شهور بالبصرة على محمد خان الزندى بها وعـاد الى أخيه بشـيراز مع سـليمان آغا •

وفى غياب صادق ثار بعض من عرب خوزستان على محمد خان حاكم البصرة وقتلوا جماعة من جنود ايران عن طريق اغراق طريقهم بالماء وقتل الحاكم الزندى أيضا بيد غلام له • فأرسل كريم خان مرة أخرى صادق خان فى (١١٩٢هـ) لتأديب العرب المتمردين وضبط أمور البصرة • وضرب صادق الثوار وأتى البصرة وظل بها حتى صفر (١١٩٣هـ) وفى هذا التاريخ بلغه خبر موت كريم عاد الى شيراز ولما خلت البصرة سهل على الأتراك العثمانيين استعادتها •

موت كريم خان فى الثالث عشر من صفر (١١٩٣هـ) : ــ

أصيبكريم خان أواخر عمره بالسل ولما كان سنه آنذاك نحو الثمانين أخذ فى الضعف والاعتلال يوما بعد يوم ، وقد زادته حادثة قتل على محمد خان وثورة العرب وبعض ثورات أخرى شبت فى بعض الولايات اثر انتشار خبر موته الكاذب نحالة ووهنا الى أن وقع فريسة لقولنج حاد فى الثالث عشر من صفر فمات هذا الملك البعيد النظر بنفس المرض فى نفس التاريخ السابق بشيراز • وتبلغ مدة كر كريم خان وفره وحكمه ثلاثين عاما وثمانية شهور •

وكريم خان عامة أحد ملوك ايران المحمودين الطيبى الذكر فكان رجلا محبا لرعيته طيب المسلك خلوا من الحقد والقسوة يعيش فى بساطة شديدة لا يكلف كثيرا ببهارج الحياة والبلاط وجلال الحكم ورعيته حتى كان يتجنب قبول لقب الملك والسلطان فسمى نفسه فى كل حياته بوكيل الرعايا • ومن أبنيته فى طهران بناء اسمه (خلوت كريم خانى) أو مختلى كريم خان ، وفى شيراز سوق ومسجد و «حمام الوكيل» وبعض القصور الحكومية والتى تعد من ناحية العظمة واستحكام البنيان هامة لكنها ليست بذات قيمة فنية وتمثل عهد انحدار فن أعمال الكاشانى والمعمار فى ذلك العصر • ولا يزال جاريا على ألسنة الناس حكايات وأساطير كثيرة تحكى بساطة حياة كريم وحسن معاملته وسعيه لتحسين أحوال الشعب •

أعقاب كريم خان

لم يودع كريم خان الثرى وقد ثار نزاع عائلى بين أقاربه بسبب خلافته بمعنى أن زكى خان أخا كريم لأمه المعروف بالقسوة والفظاظة لما كان يدرك أن كبار الاسرة الزندية لن ينصاعوا لحكمه مع وجود صادق خان وأولاد كريم ، فلكى يجبرهم على اختياره حاصر مقر أولئك الناس ومنزلهم وهو القصر الملكى والحرم الخانى ، وقاوم المحصورون ثلاثة أيام حتى استقرت الأمور على الصلح • وأوقع زكى خان بهذه الحيلة خمسة عشر من كبار الزنديين فى شراكه فأجهز عليهم وكان جسد كريم طوال هذه المدة لا يزال خارج قبره وأخيرا دفن زكى خان وأطلق اسم السلطنة على أبى الفتح خان ابن كريم الأكبر وبعد بضعة أيام أشرك أخاه محمدا على خان فى الحكم وكان صهر زكى وكان هو فى الحقيقة مالكا لأزمة الأمور وأخذ ينهب أموال قتلاه ويقسمها على جنوده •

وممن لم يقع فى أسر زكى خان من كبار الزندية صادق خان أخو كريم الشقيق الملقب باستظهار الدولة وكان يعيش بالبصرة مع ابنه جعفر خان ، ثم على مراد خان الزندى قائد كريم خان الذى ولاه الخان قبل موته أصفهان •

ولما علم زكى خان بتحرك صادق الى شيراز أرسل اليه بموافاة العاصمة على عجل لينظم أمور السلطنة على نحو ما يريد وكان غرضه أن يوقع بصادق أيضا فى شركه بأى طريقة • وما أن اقترب الى شيراز وعلم بحقيقة نية زكى ، ولأن أتباعه تفرقوا على أثر مشقات الطريق وتهديدات زكى ، لم يجد فوتا من الفرار الى كرمان •

ورفع على مراد راية الثورة فى أصفهان فقصد زكى بأربعين ألفا لصده• وفى منزل ايزدخواست قامت جماعة من جنوده بقتله لفسقه وحركاته السيئة التى ضاقوا بها ذرعا فاعلم أبو الفتح خان على مراد بالقضية

وعاد هو الى شيراز وجلس مستقلا على عرش الملكية .

وبمجرد وصول خبر قتل زكى لصادق وابنه جعفر ترك رفسنجان كرمان الى شيراز وقبل طاعة أبى الفتح خان . بيـد أن أبا الفتح الذى تعود معاقرة الخمر ولم يقلع عن هذه العادة برغم نصائح أبيه ومعاقباته لمـا رأى نفسه مطمئنا مستريحا سار فى طريق الملذات وعجز صادق عن اعادته الى الطريق المستقيم رغم محاولاته . وفى النهاية ألزم صـادق أبا الفتح بيته وعمل هو فى تسيير أمور الملك .

ولما سمع على مراد خان خبر عزل أبى الفتح وكان لا يزال حتى ذاك الوقت على طاعته وقام تحت خدمته بقتل ذى الفقار خان الأفشارى والى « خمسة » العاصى واسماعيل خان القشقائى من العصاة المخالفين وأرسل برأسيهما الى شيراز ، ثار على صـادق وأعلن نفسه ملـكا بأصفهان . ولكى يفرق صادق قواد الجيش الذين اجتمعوا حول عـلى مراد أقدم على زجر أتباعهم وايذائهم فأثار بعمله هذا معاداة قـادة الجيش المقيم باصفهان له وظل هذا الحال عامين . وفى عاقبة الأمـر أرسل على مراد عام (١١٩٥ هـ) أحد قادته لمقاتلة صادق بشيراز .

وتمكن على نقى خان ولد صادق من دحر هذا الجيش خارج شيراز وأمسك بكثير من قادة جيش عـلى مـراد فولى هذا وجهـه شـطر كرمانشاهان وحمل على شيراز بعد جمعه جندا آخرين فخان جعفر خان هذه المرة أباه صادقا وكان أخا لعلى مـراد من أمه وانحاز مع أكبر خان ولد زكى خان الى على مراد وانحصر صادق وابنه الآخر على نقى فى شيراز .

وبعد تسعة شهور من الحصار استولى على مراد فى المحرم عـام (١١٩٦هـ) على شيراز وأهلك صادقا وابنه عليا وأعمى أبا الفتح وأبناء كريم خان الباقين وجلس على عرش السلطنة وترك لجعفر خان جـزاء الخدمة التى أسداها له حكم بلاد الأكراد .

ولما اطمأن خاطر على مراد من ناحية الزنديين أعد بأصفهان نحو أربعين ألفا بقصد السيطرة على مازندران واستراباد ودفع القاجاريين فتحرك الى طهران ومنها أرسل ابنه لفتح مازندران عن طريق اللار .

وفتح شيخ ويس خان ولد على مراد — الذى لحق به والده بعد فترة قصيرة والقواد الزنديون الباقون — فى عام (١١٩٨هـ) ســارى وطرد منها آغا محمد خان القاجارى فركن الى الفرار من مازندران الى استراباد .

فأرسل فى عقبه شيخ ويس أحد قادته لحصار استراباد لكن هذا القائد لم يحقق شيئا بسبب معونة التركمان لآغا محمد خان وحدوث القحط بين جنوده ، بل وقع فى الأسر وقتل . فترك شــيخ ويس بعــد سماعه هذا سارى ولاقى أباه بطهران ونال غضبه . وسير على مــراد جيشا آخر الى مازندران لكنه سرعان ما تشتت ، وعاد على مراد الى اصفهان وقد صار وقتها فريسة ثورة جعفر خان وبعض المتمردين غيره ، وما أن بلغ (مورتشه خورت) حتى وافته منيته عام (١١٩٩هـ) .

ولما مات على مراد قدم الى اصفهان جعفر ابن صادق وأخو على مراد الأمــة والذى كوفىء لخيانته أباه بحــكم بلاد الأكراد و « خمسة » من طرف على مراد ، وكان قد ثار على على مراد فى غزوه لمازندران ، وأمسك فى خطوته الأولى بشيخ ويس وأعماه ، ثم أنفذ نجــف خــان الزندى بجيش الى طهران للقضاء على القاجاريين . وتغلب آغــا محمد خان على جند جعفر خان مرة بقم وأخرى بكاشان فأضاع جعفر أصفهان اشفاقا منه وهرب الى شيراز ، وأدخل آغا محمد خان طهران وقــــم وكاشان واصفهان وبلاد الأكراد تحت طاعته .

واستعاد جعفر خان بعد عودة آغا محمــد خان أصــفهان مــن القاجارية ، لكنه أضاع المدينة فى السنة التالية (١٢٠٠هـ) ثانية وعــاد مهزوما الى فارس ، وظل النزاع من هذا العام حتى عام (١٢٠٢هـ)

مستمرا بين أتباع القاجاريين والزنديين الى أن دس السم فى العـام الأخير لجعفر خان بمؤامرة احد امراء الزنديين فمات به وخلفه صـيد مراد خـان .

ولمـا سمع ابن جعفر الرشيدى لطف على خان بقتل والده وكـان يجالد بسيفه فى ركاب والده وهو شاب وكان وقتها واليا لموانىء الخليج وسواحله وصل معجلا الى شيراز واستخلص العاصمة من صيد مراد وقتل المتواطئين فى مقتل أبيه وجلس على عرش المملكة عام (١٢٠٣ هـ)

سلطنة لطف على خـان (١٢٠٣ ـ ١٢٠٩هـ) :ـ

حاز لطف على خان آخر ملك فى أسرة الزند وولد جعفر خـان وحفيد أخى كريم خان فى المدة القصيرة التى تملك فيها مع صغر سنه فتوحات هامة وأبدى ضروبا من الشجاعة والتجلد ، ولم يطمئن اغـا محمد خان القاجارى على حياته ودولته ما بقى حيـا ، لكن لسوء حظ لطف على أنه بسبب حداثة سنه وعدم تجربته كان خلوا من السياسة وقيادة الشعب وتدبير أمور الملك وكان يشيح عن نصيحة الصـادقين بسبب غروره وجهله ، فلم تدعه معايبه من أن يحصل نتيجة دائمة من فتوحاته وسرعان ما زال وانقرضت بقتله الدولة الزندية .

فى عام (١٢٠٤هـ) تقدم آغا محمد القاجارى الى شيراز لازالة لطف على فلم يأنس هذا من نفسه الثبات فأخلى شيراز ويمم صوب دشتى ودشتستان فسقطت شيراز بيد القاجاريين وعاد اغا محمد خان الى طهران . وفى السنة بعدها أتى لطف على بما جمعه من اعدادات الى شيراز فاستولى عليها بعون حاجى ابراهيم رئيس شرطتها ، وقرر فتح أصفهان لكنه لقى الهزيمة ولما أراد العودة الى شيراز أقفل حاجى ابراهيم أبوابها أمامه لأنه كان قد انحاز الى القاجاريين أثنـاء غيـاب الخان الزندى وفشلت مساعى لطف على فى الاستيلاء على العاصـمة فانهزم الى زرقان ، وحفظ حاجى ابراهيم المدينة بعون قـادة الجيش

القاجارى من استيلاء الزنديين .

ومكث لطف على شاب الزندى الشجاع فى جلاد وصراع مع خان القاجار من عام (١٢٠٦هـ) حتى (١٢٠٩هـ) حين أسره محمد خان وقتله فى قلعة (بـم) بكرمان ، وكان الغالب أغلب مواقعه ، الا انه فى النهاية على نحو ما سوف نرى ضمن تاريخ آغا محمد خان انقطعت على يـد هذا القاجارى سلسلة حياته وانتهت بموته سلطنة الزنديين التى دامت ستة وأربعين عاما من عام (١١٦٣هـ) حتى (١٢٠٩هـ) .

اسماء ملوك الزنـد ومدة كل منهم

١ ــ كريم خان	(١١٦٣ ــ ١١٩٣هـ)
٢ ــ أبو الفتح خان بن كريم خان	(١١٩٣هـ)
٣ ــ على مراد خان	(١١٩٣هـ ــ المرة الأولى)
٤ ــ محمد على خان ولد كريم خان	(١١٩٣هـ)
٥ ــ صادق خان أخو كريم خان	(١١٩٣ ــ ١١٩٦هـ)
٦ ــ على مراد خان	(١١٩٦ ــ ١١٩٩هـ ــ المرة الثانية)
٧ ــ جعفر خان بن صادق خان	(١١٩٩ ــ ١٢٠٢هـ)
٨ ــ صيد مراد خان	(١٢٠٢ ــ ١٢٠٣هـ)
٩ ــ لطف على خان بن جعفر خان	(١٢٠٣ ــ ١٢٠٩هـ)

الفصل السابع عشر

الأسرة القاجارية

بداية أمر القاجاريين :-

القاجاريون أصلا طائفة من الجنس المغولى وظاهرا من القبائل التى انتشرت من بلاد المغول مع الغزاة التتار والمغول فى عهد جنكيز وأخلافه الى البلاد الاسلامية ، وكان مقامهم اذ ذاك فى الجزء ما بين الشام وايران خاصة فى أرمنية •

ولا يذكر كثيرا حتى تأسيس الدولة الصفوية شىء فى التاريخ عن قبيلة القاجاريين وفى هذا العصر أى فى قيام الشاه اسماعيل الأول كان القاجاريون المقيمون بأرمنية بدورهم من الجماعات التى انبعثت لعون الصفويين ، وبلغ بعض رؤسائهم من هذا الوقت الامارة حينا والسفارة والمناصب الحكومية الأخرى • وقام الشاه عباس الكبير بتهجير قبيلة القاجاريين عن مقامهم الأصلى الى مكان مختلف لكى يؤلف منهم لزاء القبائل المهاجمة سدا ، فأسكن جماعة منهم فى قرا باغ فى مواجهة اللزكيين وأقر جماعة أخرى فى جرجان واستراباد لمواجهة التركمان وثبت جماعة ثالثة بمرو لصد الأوزبك •

وفى هذه الأثناء أصاب قاجاريو جرجان واستراباد من أواخر العهد الصفوى أهمية وشوكة مخصوصين وان كان النزاع قائما بين طائفتى جرجان القارجاريتين أى سكان ساحل نهر جرجان الأيسر والمقيمين على ساحله الأيمن ، كأى نزاع يدور بين أغلب القبائل بسبب المراعى والمياه وغيرهما فلا ينقطع ، فكانت الطائفتان تقضيان غالب الوقت تهاجم احداهما الأخرى •

وكانت الطائفة القاجارية الساكنة على ساحل نهر جرجان الأيمن تدعى (يوخارى باش) أى سكنة رأس النهر الأقصى بينما كانت الطائفة المقيمة على الساحل الأيسر من النهر يطلق عليها (اشاقه باش) أى سكان رأس النهر الأدنى وانشعبت الجماعتان الى عشائر مختلفة فيما بينهما .

وفى حين سيطرة الأفغان على ايران ، توجه رئيس عشيرة القوانلو من قبيلة الأشاقة باش وهو فتح على خان القاجارى لمعاونة الشاه سلطان حسين بأصفهان ، لكنه لما رأى أوضاع البلاط يسودها التشتت الكبير وأن الشاه عاجز عاد الى استراباد وظل بها كما مضى الشرح الى أن أنضم الى جيش طهما سب ميرزا ولد الشاه سلطان حسين ، ولم يطل الأمر — كما مر — حتى لقى حتفه فى الرابع عشر من صفر (١١٣٩هـ) بتحريض من نادر على يد أحد القاجاريين اليوخارى باش .

وكان لفتح على خان القوانلو ولدان هما محمد حسين خان الذى مات فى طفولته ومحمد حسن خان الذى ولد عام (١١٢٧هـ) وكان فى نحو الثانية عشرة من عمره وقت قتل أبيه .

وكان نادر كما قلنا هو السبب فى الحقيقة فى قتل فتح على خان الاشاقة باش والذى استولى على منصبه فى بلاط الشاه طهماسب الثانى ولذا أنزل معاداة للأشاق باش القبيلة الثانية القاجارية اليوخارى باش باش مورد عنايته فأرسل منهم محمد حسين خان لحكومة جرجان واستراباد ، ومحمد حسين خان هو الذى اغتال بأمر من رضا قلى ميرزا الشاه طهما سب الثانى وولديه الصغيرين عباس ميرزا (الشاه عباس الثالث) وسليمان ميرزا .

وفى عهد حكم محمد حسين خان اليوخارى باش لاستراباد وعهد قوة نادر كان محمد حسن خان ولد فتح على خان يعيش متخفيا بين التركمان طوال هذه الفترة .

وفى عام (١١٥٦هـ) حين كان نادر مشغولا بالحرب مع العثمانيين

هاجم محمد حسن خان بعون بعض تركمان « يموت » استراباد واستولى عليها فسير نادر محمد حسين خان اليوخارى باش لصده ففر محمد حسن ثانية الى صحراء التركمان ولم يتمكن نادر من القبض عليه طوال حياته •

وبعد قتل نادر عاد محمد حسن خان الى استراباد فاستولى عليها وأقام بها وطفق يجمع الجنود ، ولما كانت ايران فى هذه الايام فريسة الهرج والمرج وكان بمكنة كل دعى أن يدعى سلطنتها ، انبعث محمد حسن خان هو الآخر يدعو لنفسه بالسلطة فى استراباد لكنه واجه من الخطوة الأولى ندين قويين هما أحمد خان الأبدالى وكريم خان الزندى • واستطاع محمد حسن أن يهزم أحمد خان فى النهاية بعد أن توجه ــ هذا الأخير ــ مهاجما خراسان واستراباد بقصد السيطرة عليهما ، لكنه فى صراعه مع الزنديين مع أنه كان المنتصر فى الأغلب ، لقى القتل فى جمادى الآخرة (١١٧٢هـ) فى مازندران ووقع أولاده أسرى قبضته الزنديين •

وكان كريم خان رجلا رحيما كريما فحمل معه الى شيراز من بين أولاد محمد حسن التسعة آغا محمد خان وحسين قلى خان جهانسوز وأحلهم بلاطه وأرسل بقيتهم الى قزوين ولم يقصر فى حسن معاملته بهم أدنى تقصير ، الى أن نصب حسين قلى خان فى عام (١١٨٤هـ) على حكم الدامغان ، لكن حسينا هذا وقد سمى جهانسوز أى (محرق الدنيا) بسبب قسوته وظلمه وفظاظته سرعان ما عصى ولى نعمته وظل بعصيانه حتى قتلته التركمان فى (١١٨٨هـ) فى استراباد •

أما آغا محمد خان فقد كان يعيش حتى موت كريم خان أى حتى (١١٩٣هـ) فى شيراز فى بلاط الزنديين ولما كانت احدى أقارب زوجه بعصمة كريم خان كان معزز الجانب محترما لديهم وله الحرية فى التردد على حرم خان الزنديين •

وأدرك آغا محمد خان عن طريق هذا التردد أن ساعات عمر خان الزندى معدودة فتذرع بذريعة ما وغادر مدينة شيراز ووصل معجلا الى

طهران ومعه عدد من القاجارية وأتباع أخر •

وفى طهران وقف علم آغا محمد خان على أن من بين اخوته السبعةمن لا يميل الى ترپسه لقبيلة الشاقة باش وسطنته للدولة خاصة مرتضى قلى خان ورضا قلى خان ومصطفى قلى خان الذين وقفوا فى مازندران لصده • وأرسل الآغا محمد خان أخا له آخر هو جعفر قلى خان لازالتهم فغلبهم ومن هنا وضع آغا محمد قدمه بمازندران وفيها انضم الى عسكره باباخان ولد حسين قلى خان جهانسوز أخيه ومعه أمه ودخل أيضا مصطفى قلى خان فى طاعته •

وكان حكم جيلان اذ ذاك بيد رجل اسمه هدايت خان بن حاجى جمال فومنى الذى أسدى وأبوه الى محمد حسين خان خدمات فوقعا منه موقع القبول • وفى نحو (١١٧٢٥هـ) دخل هدايت خان تبعية كريم خان الزندى ، وكان — هدايت خان — يتصف بتذوق الأدب وحبه وبالشهامة ولذا مدحه بعض شعراء العهد الزندى وأوائل القاجارى — وأقبل فأقر أمور جيلان وروج من تجارتها مستعينا بالتجار الأجانب • فلما توفى كريم خان ساءت علاقة هدايت خان بالزنديين فدفع على مراد خان بجيش لتأديبه وألجأه الى الفرار وان عاد بعد مدة وجيزة وصالح على مراد • وعندما أفل نجم على مراد وبزغ نجم آغا محمد ، قبل هدايت تسيير أموال جيلان الى خان القاجاريين •

وفى (١١٩٥هـ) استنكف هدايت خان ان يرسل بمال جيلان الى آغا خان فأرغم هذا على توجيه أخويه جعفر قلى خان ومصطفى قلى خان لضربه بجيلان • وحينما كان آغا محمد مقبلا الى تأديب هدايت خان ثار عليه أخوه رضا قلى خان وهاجم (بار فروش) فأسر آغا محمد وكان مقيما بها مع بابا خان وأخيه الأصغر المسمى باسم أبيهما (حسين قلى خان) ، وأم الجميع ، وبعث وصول هذه الانباء الى جيلان على أوبة جعفر ومصطفى ، فظل أمر دفع هدايت خان بعد فراره الى شروان منقوصا •

ونجح آغا محمد فى النجاة سريعا من قيد رضا قلى الذى كان يخشى بأس اخوته لا سيما جعفر مما جعله يتجه الى اصفهان ثم يتركهـا الى مشهد ثم يوافيه أجله بعد قليل •

وبعد فرار الرضا قام المرتضى قلى أخو محمد الذى كان يتظاهر مرة بطاعته وأخرى بخلافه بالاستيلاء على مدينة سـارى ومن ثـم رفض سلطنة أخيه • وقابله أخوه محمد فهزمه ثم رضاه بحكومـة جرجـان واستراباد وهزارجريب •

وقدم هدايت خان بعد مقام أربعة أعوام خارج جيلان الى رشت يعاونه بعض اللزكيين فاستعادها ، فسير آغا محمد مصطفى خان قاجار دولو قائده لطرده عنها ، وقتل هدايت خان هذه المرة أثناء فراره عـلى شاطىء نهـرها ودخلت جيلان كلها تحت طوع القاجاريين •

وفى عام (١١٩٨هـ) حين سير على مراد الخان الزندى ابنه شيخ ويس خان الى مازندران لقتال القاجارية تألب مرتضى قلى مع الزنديين معاديا لأخيه ، فلما انتصر القاجاريون وفر عسكر الزنديين فر مرتضى الى شروان واستمد بها خانات باكو وشروان وقرا باغ وطالش فاسـتحوذ على جيلان •

وفى عام (١٢٠٣هـ) تغلب آغا محمد بعون جعفـر قـلى وقـواده الآخرين على مرتضى قلى فتوجه هاربا الى طالش ثم عاد بعد قليـل • وأمـر أخوه مصطفى هذه المرة بفتح جيلان فهزم مرتضى ودفعه هاربا الى باكـو ، فتركها مرتضى الى روسيا ولم يعد ثانية الى ايران •

جلوس آغا محمـد خان فى (١٢٠٠هـ) : —

بعد زوال خطر الاخوة الثائرين والتغلب على الزنديين وادخـال شمال ايران ووسطها الطاعة توج آغا محمد خان فى النيروز من عـام (١٢٠٠هـ) أى فى الحادى عشر من جمادى الآخرة من هذا العام فى طهران،

ولما لم يكن ولد له بسبب انقطاع نسله بيد عادل شاه آثر بابا خان الأبن الأكبر لجيش قلى جهانسوز أخاه لولاية عهده ونيابة سلطنته ، كما فضل طهران عاصمة له بسبب قربها الى استراباد مقـر قبيلـة القاجـاريين وهيمنتها على الولايات الجنوبية التى كانت لا تزال بيـــد الزنديين ، وقسم حكم ولاية على رؤساء القاجاريين وكبارهم ، وتأهب لاستئصال جعفر خان .

وفى عام (١٢٠٢هـ) قصد آغا محمد فارس بهدف القضاء على جعفر خان لكنه لما سمع أن جعفر لن يبرح قلعة شيراز للقائه وأن ليس أمـل فى النجاح وراء مهاجمة شيراز عاد الى العراق ، وحدث أن توفى جعفر فى نفس العام فخلفه على عرش الزنديين ابنه الشاب الرشيد لطف على خان وقرر مصارعة آغا محمد .

وفى العام التالى (١٢٠٣هـ) سير آغا محمد أخاه جعفر وقائـــده مصطفى دولو الى شيراز وشخص بنفسه فى عقبهم وحاصروا المدينة ، فلما أبـــدى لطف على شديد المقاومة عـــاد آغا محمد الى طهران . وفى أوائل (١٢٠٤هـ) سار لطف على الى دشتى ودشتستان لاستجماع قواه بعد أن رأى عجز جنـــده عن المقاومة ، فدعـــا أعيان شيراز آغا محمـــد للاستيلاء على مدينتهم . ولما عاد لطف على من دشتستان سلمت له شيراز ثانية فتركها الى اصفهان لمقاتلة الخان القاجارى وأناب فى شيراز رئيس شرطتها حاجى ابراهيم ، واستصحب ابنه رهينة معه حتى لا يصدر عنه أثنـــاء غيابه حركة عدائية .

وما أن آلت أمور شيراز الى حاجى ابراهيم ولأنـــه كان يعـــلم أن لطف على مطلع على نيته الباطنة ألقى القبض على كبار الأسرة الزندية بالمدينة من ناحية وحرض أخاه عبد الرحيم خان وكان بعسكر لطف عـــلى على اثارة الجنود من ناحية أخرى ، وبهذا تفرق أكثر جنود لطف على ليلا عن المعسكر بقمشة بسبب أن أسرهم وقعوا تحت تهديد رئيس الشرطة

بشيراز وهجومه ، فانهزم لهذا السبب لطف على أمام آغا محمد وعاد الى شيراز • بيد أن رئيس الشرطة وأتباعه أقفلوا عليه أبوابها فلم يجد مناصا من أن يتوجه الى بوشهر • ووافى مصطفى قاجار دولو شيراز وترك حكمها الى رئيس شرطتها نائبا عن آغا محمد •

وقبل واقعة قمشة طالب جعفر قلى أخو آغا محمد الشجاع الذى أكسب أخاه بعض انتصاراته بحكم أصفهان فأمتنع أخوه آغا محمد عن تحقيق مطلبه فارتحل جعفر مغاضبا الى بسطام • واحتال آغا محمد عليه حتى استدعاه اليه وقتله وتنكر بهذا اليه وهو صاحب حق عظيم فى عنقه •

ومكث لطف على طوال عام (١٢٠٥هـ) ومعه قواته الضئيلة التى جمعها فى نزاع وصراع على حدود كازرون وشيراز مع مصطفى قاجار وحاجى ابراهيم رئيس الشرطة لكنه لم يصب توفيقا لقلة استعداد جنوده • وفى ربيع عام (١٢٠٦هـ) قرر آغا محمد أن يقصد بنفسه فارس لانهاء أمر لطف على ، فأتى لهذه النية بجيش متأهب اصفهان ، فترك حكمها الى حسين قلى الابن الآخر لحسن قلى جهانسوز وسلك طريقه الى زرقان حيث كان لطف على وهو فى حيطة شديدة • وكان لطف على علـى علم بتحرك آغا محمد عن أصفهان فسابق الى مجابهته وهجم بجراءة على جيشه على مقربة من (أبرج) على بعد خمسة عشر فرسخا شمال شيراز ، ففرق جمعهم وتقدم حتى مخيم آغا محمد وكان على وشك افنائه لولا أن أحد الموجودين أفهمه أن آغا محمد قدولى دبره فارا والفتح صار يسيرا فمن الافضل أن يتصبر على اغتنام مخيمه حتى الصباح فيحترز من وقوع نفائسه بيد جنده • فلما أسفر الصباح وعلم لطف على أن آغامحمد لايزال بمخيمه وأن انتظام جنوده الكثيرين لايزال قائما أدرك أنه لن يستطيع الثبات مع جنوده القلة فاضطر أن يفر الى خراسان • ودخل آغا محمد شيراز بيسر فأعمى عددا من كبار الزنديين واستولى على اموالهم ثم استدعى حسين قلى من أصفهان اليه واختاره

لحكم فارس مع نيابه رئيس الشرطة السابق الذكر وخرب قلعة شيراز .

وبعد أن فر لطف على من ابرج ظل فى أخـذ وجـذب مع أتبـاع القاجاريين بعون بعض الفرسان الذين أمده حاكم طبس بهم مدة مـن الزمن فى يزد وابرقو ونيريز الى أن رحل الى كرمان فى (١٢٠٨هـ) بدعوة اهلها فجعل منها مركز اقامته وعاصمته .

وحث وصول خبر استيلاء لطف على على كرمان الى آغا محمد على أن ينصرف عن عزمه للسيطرة على خراسان ويسلك طريقه الى كرمان . ولما وصل الى كثب منها تحصن لطف على بعد مناوشات وهزيمة بالمدينة فحاصرها خان القاجاريين وأدام حصاره أربعة أشهر . وفى نهاية الأمـر لمـا تيقن أنه لن يدخل المدينة كما أن البرودة انهكت قوى جنوده قـرر أن يرفع الحصار . وفى هذه الأثناء أبدى حراس بعض بوابات المدينـة خيانة للطف على وفتحوها أمام القاجاريين . وتدارك لطف على الأمـر فهزم المهاجمين وسد البوابة المفتوحة ، لكنه وقع فريسة خيانة أخـرى كالأولى ، وفاضت المدينة فى هذه المرة باثنى عشر ألفا من جنـود آغـا محمد . وظل لطف على يقاتله مادامت فيه قوة لكنه ما ان رأى انه لـم يتبق معه مدافع آخر حتى تسلل بجواده من أحد خنادق المدينة من بـين المحاصرين وتحصن بمدينة (بـم) .

ولما ضبط آغا محمد كرمان أصدر أمره بتخريبها وقتل من فيهـا وتأديبهم وأمر بأن يؤتى اليه من أهلها بأعين عشرين ألفا ، وأصاب وجنوده هذه المدينة بفظائع تجل عن الوصف .

ولما رأى حاكم بم أن لطف على لا يصاحبه أخوه وكان من أتباعه ظن أن أخاه وقع أسيرا لآغا محمد فصمم على القبض على لطف على لكى يفتدى أخاه من آغا محمد به . وعلم لطف على بنيته فأراد الفرار لكنه جرح حين فراره بفعل أتباع حاكم بـم فسلم أسيرا الى خان القاجار .

وبدأ آغا محمد بأن اقتلع بيده عينى هذا الشاب الجميل الرشـيد

الزندى ، ثم استولى على ألماستى (دريای نور) أو بحر النور و (تـاج مـاه) أو تاج القمر وكانتا معلقتين على ساعد لطف على وأرسل فى ربيع الآخر (١٢٠٩) بهذا الوضع المؤلم الى طهران واتجه هو الى شيراز ، ثم أصدر أمره من شيراز الى حاكم طهران بقتل لطف على ويبدو أن هذا الأمر تم باغواء حاجى ابراهيم رئيس الشرطة . وبعد انتهاء أمر لطـف على وسائر الزنديين ضم آغا محمد حكومة فارس وكرمـان ويـزد الى بابا خان ولى عهده ونصب حاجى ابراهيم وزيرا له بلقب اعتماد الدولة .

غزو الكرج فى (١٢٠٩ ــ ١٢١٠هـ) : ـ

ولما هدأ بال آغا محمد من ناحية جنوب ايران اهتم بشمالها وفكر فى أن يدخل طاعته ثانية شروان والكرج اللتين أطاعتا ايران طوال العهد الصفوى وخرجتا عنها فى حكم الزنديين . وكان حكم الكرج فى هذا الوقت لأركلى جان أو هرقل الثانى وكان فى معاهدة منذ (١١٩٧هـ) مع كاترين الثانية امبراطورة روسيا ، وقد وضع من نفسه وبلاده تحت حمايتها بعد الانتصارات التى صارت من نصيب قواد روسيا فى شبه جزيرة كريمـة (القرم) وشمال القفقاز .

وفى عام (١٢٠٧هـ) قام أركلى ليسيطر على كنجة فاقترح آغا محمد فى هذا الوقت عليه أن يترك له ايروان وقرا باغ وشكى وشروان وحكومة آذربايجان بشرط أن يخرج عن تبعية روسيا ويعلن تبعية الكرج لايران كما كان حالها أيام الصفوية . فرفض اركلى لعجزه أو عدم قبوله التخلى عن حماية روسـيا .

وتحرك آغا محمد فى ربيع عام (١٢٠٩هـ) صوب آذربايجان ، وعـبر فى غرة ذى الحجة من هذا العام جسر (خدا آفرين) على نهر أرس على رأس طريق أردبيل متوجها الى شوشى فحصرها ومعه سـتون ألفا وثبت ابراهيم خليل خان جوان شير والى شوشى يقاوم بشـدة ، فلمـا طـال ثباته ، ترك آغا محمد بغتة حصار المدينة وهاجم تفليس ، وكان أركـلى

خان عجوزا وغافلا معا فلم ير غير الفرار فوتا فانصب آغا محمد وجنوده المنتصرون فى تفليس فى السابع والعشرين من صفر (١٢١٠هـ) ونهبوا المدينة ولم يألوا جهدا فى ذبح أهلها وانتهاك حرمتهم وارتكاب الفظائع الأخرى وكرروا فى أفعالهم القبيحة هذه ما فعله السلطان جلال الدين المنكبرنى بتفليس •

وكان آغا محمد بعد فتحه لتفليس على يقين من أن روسيا سوف تنهض لحماية أركلى خان فاقترح عليه الصلح ، لكن أركلى رفضه مع اصرار حاشيته على قبوله ، حتى أتى جنود روسيا الى القفقاز فى أواخر عام (١٢١٠هـ) لحمايته ، وبعد أن استولوا على الدربند وباكو وشكى وصلوا الى قرا باغ واستولوا على كنجة أيضا • وكان من حسن حظ آغا محمد اذ ذاك أن توفيت كاترين الثانية وأمر خليفتها بعودة الجنود الروس ، وكان آغا محمد فى ذلك الوقت أسير السيطرة على خراسان •

ولما انتهى أمر خراسان ، توجه آغا محمد فى الربيع أى أواخر عام (١٢١١هـ) مرة ثانية الى شوشى لاستعادة البلاد التى استولى عليها الروس فى القفقاز فى السنة الماضية لكى يؤدب ابراهيم خليل خان الذى كان يعلن طاعته حينا وعصيانه حينا آخر ، لكنه أصيب بالقتل حين الحصار كما سنرى بعد قليل •

الاستيلاء على خراسان فى (١٢١٥هـ) : ــ

بعد عودة آغا محمد من سفره الأول الى القفقاز تحرك متذرعا بزيارة مشهد بينما كان يبطن استيلاءه على باقى جواهر نادر التى كانت بحوزة حفيده شاهرخ شاه الأعمى ، وكان شاهرخ كما أسلفنا يحكم على خراسان فيما يشبه السلطان طوال الحكم الزندى بالرغم من كف بصره ولم يرض الزنديون بالهجوم عليه •

ولما ورد آغا محمد مشهد استقبله شاهرخ شاه وابنه نادر ميرزا وجماعة من العلماء والأعيان المشهديين فاحتفى بالجميع خان القاجار ،

لكنه بعد قليل أخذ الجواهر النادرية من شاهرخ بحجة أنها تتعلق بسلطان الوقت • وكان يظن أن شاهرخ لا يزال يحتفظ بجزء منها ويرفض تسليمها لذلك كان يقوم بتعذيبه فى كل يوم تعذيبا خاصا من بين ذلك أنه أمر بصب الرصاص المذاب عليه ثم سيره الى مازندران وكان عمره ثلاثة وستين عاما فمات هذا المسكين بعد أن وسعته تلك المصائب أثناء السفر •

قتل آغا محمد خان فى الحادى والعشرين من ذى الحجة (١٢١١هـ)

حينما استولى آغا محمد على احدى قلاع شوشى وهرب ابراهيم خليل الى داغستان صب جام غضبه على ثلاثة من خدم محرمه لأسباب واهية وتهددهم بالقتل ، فاتفق الثلاثة سرا على قتله لأنهم كانوا على علم بطبعه ومن أنه لابد أن ينفذ تهديده فينجون من شرور عذابه • وبينما كان آغا محمد يغط فى نومه وقت السحر ليلة الحادى والعشرين من ذى الحجة (١٢١١هـ) سقطوا عليه فقتلوه وحملوا تاجه وحزامه وصندوق الجواهر النفيسة الذى كان يحتفظ به معه الى صادق خان الشقاقى من قواده وكان معنى هذه الحركة أنه يجب أن يقوم بالثورة على القاجاريين وطلب السلطنة •

كان آغا محمد خان الذى استغرقت مدة جلاده من عام (١١٩٣هـ) حتى (١٢١١هـ) أى نحو ثمانية عشر عاما ملكا ذا تدبير ورشادة وشجاعة لكنه ، ازاء ذلك ، كان يغلب على طبعه الشدة والقسوة وعبادة المال والحرص الشديد ، وارتكب أفعالا قبيحة تنم عن نكرانه الجميل ، كسوء فعلته بلطف على وسائر الزنديين مع تلك الرأفة والرحمة التى عامله بها كريم خان ، واصطدامه المتكرر مع اخوته وقتله أخاه جعفر قلى ، كل أولئك من الأعمال التى تجعله يقع موضع لوم كل رجل منصف •

سلطنة فتح على شاه

(١٢١٢ ـ ١٢٥٠هـ)

بعد أن أسفر صباح يوم الحادى والعشرين من ذى الحجة (١٢١١هـ) عن انتشار خبر مقتل آغا محمد فى المعسكر ثارت الثائرة فى الجيش حدا جعل كل واحد يغفل تماما عن دفنه وسلك كل قائد جماعة طريقا ، فقد ارتحل حاجى ابراهيم اعتماد الدولة مثلا الذى كان بالمعسكر الى طهران على عجل واتجه صادق خان الشقاقى الى آذربايجان وأعلن بها سلطنته •

وبعد أن سمع ولى العهد وهو بابا خان بن حسن قلى خان جهانسوز ابن أخى آغا محمد وكان مقيما يومذاك فى شيراز بخبر قتل عمه وافى طهران متعجلا وأتى العاصمة فى العشرين من صفر (١٢١٢هـ) ، وأبدى اعتماد الدولة كفاءة ممتازة فى ابلاغه العاصمة وقبضه على أزمة السلطنة بالرغم من وجود أعداء متعددين للشاه الشاب ولهذا نصب وزيرا •

وأمسك بابا خان الذى توج رسميا يوم عيد الفطر (١٢١٢هـ) باسم فتح على شاه فى طهران بأحد أعمامه فى بداية حكمه وكان يدعى الملك وسمله ثم خف للقضاء على صادق خان الشقاقى الذى أتى قزوين فهزمه فى ربيع الأول بآذربايجان • وبعد قليل عفا عن صادق بعد أن سلم الجواهر السلطانية وولاه حكم سراب • كما آثر ابراهيم خليل خان الطاعة بدوره • ثم أمر فتح على بنقل جثمان آغا محمد من شوشى ودفنه بالنجف الأشرف •

الثورات الداخلية :ـ

لما كان آغا محمد طوال حكمه منصرفا بكليته الى الغزو لم يهتم بادارة البلاد كبير اهتمام ولم يرعه عناية بتأسيس بناء يدوم من بعده فما أن مات حتى رفع من كل جانب واحد رأسه بالعصيان بسبب تزلزل بنيان

حكمه الذى أسسه خاصة وأنه قل من كان سعيدا بآغا محمد وبأعماله ، وبمجرد زوال قوته وهيبته حتى تنفست الجسارة والجرأة فى أبدان العصاة ، ونتج عن هذا أن صار فتح على شاه فريسة لثوار كثيرين .

وكان هؤلاء الثوار ضربين ، أعقاب الأسرة الصفوية والأفشارية والزندية الذين كانوا يفكرون فى استعادة السلطة السالفة ، ثم بضعة من قواد آغا محمد أو قرابته .

وقد ذكرنا انتصار فتح على شاه فى بداية دخوله طهران على عمه على قلى وصادق الشقاقى ونذكر هنا أنه بعد قليل من جلوسه الرسمى جمع محمد خان الزندى ابن زكى خان حوله جمعا استولى بهم على أصفهان ، فأرسل فتح على شاه بعجلة بعض خانات القاجار لصده فغلبوه وألجأوه الى الفرار وأدخلوا أصفهان مرة أخرى طاعتهم .

وبعد فرار محمد خان عاود صادق خان الشقاقى العصيان واستقطب بضعة نفر من رؤساء القبائل وكبار آذربايجان لكنه لم يفعل شيئا بل انهزم وطلب العفو من فتح على شاه حتى لا يقتل فعفا عنه .

ومدع آخر ثار فى (١٢١٣هـ) هو أخو الشاه حسين قلى خان الثانى الذى كان والى أصفهان من طرف فتح على ثم ولى فارس بعد ذاك . بدأ حسين قلى فى ثورته على أخيه بأسر أتباع الشاه بفارس وهم الوزير ورئيس حراس قلعة فارس ورئيس شرطتها (وهو أخى حاجى ابراهيم اعتماد الدولة) ثم سملهم وهاجم أصفهان فأدخلها طاعته .

وكان فتح على شاه يومئذ بآذربايجان يخطط لمهاجمة شروان وقراباغ ، فلما علم بثورة أخيه عاد الى طهران وأتى له أثناء الطريق بمحمد خان الزندى الذى وقع أسيرا فى يد قواده فسمل بأمره بالقرب من تبريز .

ولكى يتهيأ حسين قلى للقاء أخيه فتح على أتى الى فراهان عن طريق كراز لكن قبل أن تجرى بينهما الحرب تصالح الأخوان بناء على رغبة أمهما ووساطتها .

وفى نفس عام (١٢١٣هـ) اختار فتح على بناء عن وصية آغا محمد خان ابنه الرابع عباس ميرزا الذى ولد فى ذى الحجة (١٢٠٣هـ) وليا لعهده رسميا وعينه حاكما لآذربايجان وجعل من سليمان خان اعتضاد الدولة قاجار أخى احدى نسائه أتابكه ونصب ميرزا عيسى الفراهانى أو (ميرزا بزرك القائم مقام الأول) وزيرا له .

وأحد من ثاروا على فتح على نادر ميرزا ولد شاهرخ شاه الأفشارى الذى تمرد فى خراسان . ولما وصل فتح على الى مشهد ولم يكن نادر ميرزا يقوى على الثبات ولج باب الاعتذار فعفا عنه الشاه وزوج نادر ابنته بأحد أمراء القاجاريين وبهذا زال آخر دعى باق من أسرة الأفشار .

قتل اعتماد الدولة فى (١٢١٥هـ) :-

فى أواخر عام (١٢١٥هـ) ساء ظن فتح على شاه بحاجى ابراهيم الذى تقلد الأمور نحو أربعة عشر عاما فى بلاط جعفر خان ولطف على خان وآغا محمد خان وفتح على شاه بقوة تامة وأقر فى هذه المدة اخوته والمتعلقين به فى حكم الولايات وأعمال الديوان . فمن ناحية خوفت جماعة من أقارب الشاه الشاب هذا الشاه من نفوذ الصدر الأعظم وأتباعه ومن ناحية أخرى بعثت مظالم أتباع هذا الصدر واجحافهم الذى حل بالناس فى الولايات على كثرة شكاواهم .

ولكى يقطع الشاه يد تسلط اعتماد الدولة وأشياعه أصدر أوامره بالقبض على الوزير وكافة من يتعلق به فى يوم واحد وقتل بعضهم وسمل آخرون ، وأعمى اعتماد الدولة أيضا بأمر الشاه مع كفاءته البالغة التى أبداها ابلاغ فتح على شاه للسلطة ، ثم قطع لسانه وأرسل بهذا الوضع المزرى الى قزوين فظل بها حتى وفاته .

وبعد عزل اعتماد الدولة عهد فتح على الى ميرزا محمد شفيع المازندرانى بوزارته وكان من المستوفين بالبلاط قبل . وفى عام (١٢١٦)

أى فى بداية وزارة ميرزا شفيع تمرد اثنان من العصاة السابقين همـا حسين قلى أخو فتح على الذى كان له يومذاك حكم كاشان ، فهاجم منها أصفهان وسك عملتها باسمه وأعلن نفسه سلطانا ، فقدم فتح على بنفسه لصده وهرب حسين الى لرستان وقبض عليه أثناء فراره الى العـراق وأتى به الى قم عند الشاه • وعفا فتح على عنه لاصرار والدته وأقامه فى قم ، لكنه لم يكن مطمئنا اليه لذلك استدعاه الى طهران بعد قليل وسمله وأسكنه فى شميران فيها • والثانى هو نادر ميرزا ولد شاهرخ شـــاه الأفشارى الذى لم يرتدع بوجود أخيــه رهينة عند فتح عــلى فعصى فى خراسان وادعى السلطنة أواخر عام (١٢١٦هـ) فى مشهد ثانية •

وفى المحرم (١٢١٧هـ) ترك فتح على طهران الى مشهد لاستئصاله وحاصرها فى التاسع من ربيع الأول ، فلما طال الحصار وفشـا القحـط بالمدينة طلب كبارها الى الشاه التخلى عن حصارها على أن يقبض أهلها على نادر ميرزا ويسلموه اليه • وترك فتح على اتمام أمـر مشــهد الى أحد قادته وانصرف هو الى طهران • وتمكن جنود الشاه أخيرا فى الليلة الأولى من رمضان (١٢١٨هـ) من مشهد وهرب نادر ميرزا لكنه ســقط سريعا أسيرا فأرسل الى طهران وقتل فيها وسمل أولاده وأتباعه أو نفوا الى مازندران •

علاقـة ايران بالهند وأفغانســتان :ـ

دخلت ايران أيام سلطنة فتح على شاه طوعا أو كرها فى السياسة الدولية بسبب اشتداد التنافس الاستعمارى بين الدول الأوربية واتساع نطاقه الى حدود ايران ، وصار للعلاقات الايرانية ببعض دول أوربا أهمية خاصـة •

ففى العام الثانى لسلطنة فتح على شاه أى فى (١٢١٣هـ) فكر أمير أفغانستان زمان شاه (١٢٠٧ ـ ١٢١٦) حفيد أحمد خان الدرانى الذى

كان على علاقة مودة دائمة مع شاه ايران أن يهاجم من كابل السند والبنجاب ويقاتل قبائل المهرطة القوية التى كانت حائلا فى الهند المركزية وشمال الدكن دون تقدم سياسة الانجليز وكانت فى حرب مع حاكم الهند اللورد ولسلى (Lord Wellesely) أخى ولنجتون القائد الانجليزى الأشهر ، وأطلع اللورد ولسلى على مقصده هذا • وكان اللورد اذ ذاك نهب ضائقة أخرى فى الهند اذ أن تيبو صاحب سلطان ميسور قد قام ضد قوة الانجليز ودخل فى حرب شجاعة مع جنود ولسلى •

وكان ولسلى يخشى قدرة زمان شاه واستيلاء الأفغان على الهند ولهذا رفض اقتراحه ولكى يمنعه من تنفيذ فكرته فكر فى تحريض فتح على شاه عليه ، لهذا أنفذ فى عام (١٢١٤هـ) مهدى على خان ممثل شركة الانجليز التجارية والمقيم ببوشهر الى بلاط ايران ، وأرسل تيمور صاحب بدوره سفيرا الى فتح على لأنه كان يميل الى صداقة ايران ضد الانجليز ، ولكن لحسن حظ ولسلى أن تيبو لقى حتفه فى تلك الأيام فى فى احدى الحروب فقرت بلابل الانجليز من ناحية هذا الغريم القوى •

وكانت مهمة مهدى على أن يحرض ايران بدون اجبارها على دخول حرب مع زمان شاه على توليد مشقات لأمير كابل حتى لا يستطيع الاقدام على غزو الهند مطمئن البال • وأرسل زمان شاه الواقع فى مثل هذا الخطر رسولا الى فتح على يطلب اليه عن سفاهة رأى أن يخلى له خراسان لتضم لأفغانستان • فغضب فتح على لهذه الجراءة وأرسل اليه يقول ان جنود ايران سوف يسيطرون على كل أفغانستان قريبا قريبا ويصلون بحدود ايران ايران الشرقية الى نفس حدودها أيام الصفويين •

وأصبحت هذه الحادثة لصالح الانجليز التام ووفق مهدى على بانفاق الأموال الباهظة فى بلاط طهران أن يجعل خطة ولسلى عملية وأن يشعل نار الحرب بين ايران وأفغانستان • فضلا عن أن الفرصة قد سنحت للانجليز من هذا الوقت لاقامة سفير لهم فى طهران لأن ايران لم

تسمح لهم حتى ذاك الوقت بتعيين ممثل لهم فيها .

وبعد دخول مهدى على طهران بعثت ايران بسفير أيضا هو حاجى خليل خان القزوينى الى الهند فأقام فى بمباى ، وفى نزاع اشتعل فى (١٢١٩هـ) بين الحراس الهنود والايرانيين خر قتيلا ، فكتب ولسلى الى فتح على رسالة يعتزر فيها عن هذه الحادثة ، فنصب الشاه ابن أخت حاجى خليل خان مكان خاله فى سفارة ايران بالهند ولم يقطع علاقة المودة مع حكومة الهند .

أما فيما يختص أفغانستان ، فقد أحل فتح على بعد عقد معاهدة مع حكومة الهند أخوى زمان شاه محمودا وفيروزا على رغم أنفه محل الاحترام وكانا لجئا الى ايران خوفا من أخيهما فأفاد بهما فى توليد ضيق لزمان شاه بمعنى أن شاه ايران أمد محمودا بجنود فأخرج فى (١٢١٦هـ) قندهار وكابل عن أخيه وقبض عليه وأعماه وصار أميرا لأفغانستان .

وفى الفترة التى كان الانجليز فى الهند نهب أتباع تيبو صاحب والمهرطة من ناحية وكانوا فى خوف من استيلاء الأفغان على شمال غرب الهند من ناحية أخرى ، لاح لهم خطر عظيم ثالث فى آسيا صار سبب اضطراب فكرهم ، بمعنى أن نابليون بونابرت بعد أن رأى أنه ليس الند للانجليز فى أوربا وأنه عاجز عن انزال جنوده بجزر بريطانيا الكبرى عطف اهتمامه الى الهند وحدودها الغربية وكانت خطته أن يهاجم الهند باستجلاب مساعدة العثمانيين وايران عن طريق هذين البلدين وباستيلائه على هذا البلد الغنى الذى كان فى ذلك الوقت منبع عظمة انجلترا وتجارتها وصناعتها يقضى على بريطانيا .

وبدأ نابليون بتحريض وعون تيبو صاحب فى ميسور لكنه اذ لم يستطع معاونته بالقدر المطلوب وقتل تيبو كذلك لم يحصل على فائدة عن هذا الطريق لهذا أقدم أولا على تكوين صداقة مع الدولة العثمانية ثم توجه بعد ذلك الى ايران .

وفى المدة التى كان بونابرت منشغلا بالحروب مع الانجليز وحلفائهم فى أوروبا والبحر المتوسط كما سنرى قريبا بدأ الدور الأول من حـروب ايران وروسيا عام (١٢١٨هـ) الموافق (١٨٠٤ م) وصارت ايران بدون صديق أو معين يمكنه مساعدتها فى صراعها مع احدى كبريات دول أوربا فريسة سلسلة من الحروب المشئومة ٠

وقد التمس فتح على بعد شروع حروب الروس وايران توسـط مبعوث الانجليز فى بغداد أولا لاستجلاب عونهم وكان هذا وقت أن قدم مبعوثون الى ايران من جانب نابليون بونابرت يقترحون على الشاه عقد حلف ضد روسـيا ٠

وكان فتح على على جهل تام بأحوال فرنسا ونابليون فحاز اثنـاء حصاره لايروان من خليفة الأرمن بها معلومات عن فرنسا ونابليون وعمل على افتتاح علاقات المودة بفرنسا بارسـال رسـالة الى سـفيرها فى استانبول ٠

ولم يكن يدور فى خلد نابليون وقتذاك غير استئصال الانجليز عـن طريق مهاجمة الهند ففكر فى مهاجمتها عن طريق ايران بجلب صـداقة فتح على ، فسير لتنفيذ نيته أحد كتابه وهو جوبرت (Jaubert) الى ايران قبل أن تصله رسالة الشاه ، الا أن جوبرت عطله عمال الدولة العثمانية ، فوصل طهران الرسول الثـانى لنابليون وهـو « روميـو » (Romieu) فى اكتوبر (١٨٠٥م) (رجب ١٢٢٠هـ) وأبلـغ رسالة نابليون ومفادها الدعوة الى الصداقة والتحالف مع ايران ، لكنـه مات بعد فترة فتابع مأموريته جوبرت الذى نجا وقتئذ من العثمانيين وبلغ طهـران ٠

ومرض جوبرت فى طهران وخوفا من أن يلقى نفس مصير روميـو أذن له فتح على سريعا فى الرحيل ٠ وبعد ذلك سير الشاه ميرزا رضـا خان القزوينى حاكم قزوين سفيرا الى معسكر نابليون وكان بفينكنشتاين

فى بولندا (Fin Kenstein) لكى يعقد بين الدولتين معاهدة بنـــاء على مقترحات نابليون •

وعقد ميرزا رضا خان عن فتح على شاه فى الخامس والعشرين من صفر (١٢٢٢هـ) فى فينكنشتاين معاهدة مع نابليون شملت ست عشرة مادة تعهد نابليون بموجب هذه المعاهدة بأن يسعى الى استرجاع الكرج الى ايران واجبار روسيا على تخليتها وارسال الأسلحة والمدافع والبنـــادق والمهندسين والمعلمين لاصلاح الجيش الايرانى وتقويته وقبلت ازاء ذلك ايران أن تحالف فرنسا فى حربها ضد الانجليز وروسيا وأن تعلن فـــورا الحرب على انجلترا وأن تحرض رعاياها الأفغان على مهاجمة الهند وأن يسمح الشاه لنابليون بعبور ايران اذا أراد غزو الهند عن طريقها ويضع موانىء الخليــج الفارسى وسواحله تحت اختيار البحرية الفرنسية اذا اقتضى الأمـــر •

وأرسل الانجليز ستة مبعوثين عن شركة الهند الشرقيـــة التجارية برئاسة جون ملكلم (John Malcolm) الى ايران قبل عقد معـــاهدة فينكنشتاين لأنهم كانوا يرقبون خطوات نابليون من بداية توجهــه الى الشرق • ونجح جـــون ملكلم وكان ماهرا ذكيا فى عقد معاهدة تجاريـــة وسياسية مع ايران بازجاء هدايا قيمة الى فتح على شـــاه والرشـــاوى الجزيلة لرجال البلاد ، وتعهد فتح على أن لا يصالح زمان شاه مـــادام لم يرفع يد التعدى عن الهند الانجليزية وأن لا يسمح للفرنسيين بدخول ايران ، ويمـــد الانجليز مقابل ذلك ايران بالأسلحة فى حالة وقوعها تحت تهديد الروس أو الأفغان •

والسبب الأساسى لاهتمام الشاه بفرنسا مع وجود معاهدتـــه مـــع الانجليز هو عدم مساعدة الانجليز ، كما سبق الشرح ، لايران فى حربها مع روسيا لأن الانجليز كانوا يقاتلون فى هذا الوقت مع الروس فى حلف واحد ضد نابليون فى أوربا وكانت مساعدتهم لايران خطوة تخالف صالح حلفائهم الروس •

وبعد عقد معاهدة فينكنشتاين قدم بأمر نابليون الى ايران الجنرال جـــاردان (Gardanne) بعدد من المهندسين والخبراء العسكريين والمعلمين فقاموا بنصب المدافع فى أصفهان وتعليم الجنــود اليرانــيين ورسم الخرائط وتمهيد الطرق ، فنشأت ردود فعل لهذا الأمر فى ايــران مدة من الوقت ، وكان فتح على يأمل بكل سذاجــة فى أنه سوف يلحــق الهزيمة بالروس فى نهاية الأمــر بعون الفرنسيين وينجح فى الاستيلاء على الكرج .

ولكى يحطم الانجليز خطة نابليون ويرجعوا فتح على عن تحالفــه معه أرسلوا ثانية بملكلم فى صيف عــام (١٨٠٨م) (١٢٢٣هـ) بابهــة وجلال تامين الى بوشهر ، فامتنع الشاه عن استقباله بطهران وأرســل اليه أن يتحدث الى حاكم فارس بشأن طلباته .

وتلقى ملكلم هذا الأمــر احتقارا لشأنه فاضطر الى الرجــوع الى الى الهند وحث حاكم الهند ردا على ذلك على الاستيلاء على جزيرة خرج ومهاجمة سواحل ايران ، لكن فى ذلك الوقت خطر الأفغان على الهند قد زال وخان نابليون ايران وصالح روسيا بدون علم الشاه واستدعى هيئة الموظفين الفرنسيين من ايران لذا رأى الانجليز خلافا لذلك أن الصــلاح لهم فى تجديد علاقتهم الودية بفتح على فتقدموا بالصلح والتصافى .

وفى عام ١٨٠٧ (١٢٢٢ هـ) التقى الكساندر الأول امبراطور روسيا بعد هزائمه فى أوربا على يد نابليون به فى مدينة تيلسيت (Tilsit) من بلاد بروسيا الشرقية وتحالف الامبراطوران ضد انجلترا ولم يذكــر نابليون شيئا عن ايران ومشكلة الكــرج بالرغم من وجود معـــاهدة فينكنشتاين ، وتخلى عن حليفه السابق فتح على شاه الــذى ادخــله فى اتحاد معه بكل نفاق وتملق فيما سبق وتركه وحيدا أمام روسيا ، بــل انه اصر على تصالح ايران روسيا عدوها مع قبول شروطها من أجل صالح فرنسا .

وبعد أن علم فتح على بمعاهدة تيلسيت أرسل الى نابليــون عــن

طريق سفير ايران عسكر خان أفشار رسائل عدة يذكره فيها بتعهداتـه التى قطعها على نفسه ، فلم يسمع منه غير اجابات واهية مما جعله يميل الى تجديد صداقته مع الانجليز •

وفى خريف عام (١٨٠٨م / ١٢٢٣هـ) قصد ممثـل الانجلـيز فى البصرة السير هارفورد جونز (Sir Harford Jones) من طرف بلاط لندن الى ايران فلما بلغ شيراز غادر جـاردان طهران لمجـىء السـفير الانجليز وكان لا يزال بايران ويسعى الى عقد صلح بين روسيا وايران ، فانقطعت بهذا العلاقات بين فرنسا وايران •

وفى الثالث من المحرم (١٢٢٤هـ) استقبل فتح على هارفورد جونز وقدم اليه الأخير قطعة من الألماس القيم هدية من جورج الثالث ملـك انجلترا ثم ذهب الى معسكر عباس ميرزا وتوسط فى عقد معاهدة بـين ايران وانجلترا • وتعهدت انجلترا بموجب هذه المعاهدة أن تمنح ايران سنويا مادامت الحرب بينها وبين روسيا مشتعلة مائة وعشرين ألف ليرة انجليزية وأن تتحد البلدان ضد روسيا •

ولما أن هارفورد قد أتى ايران مبعوثا عن ملك انجلترا وليس مـن طرف شركة الهند الشرقية والحاكم العام للهند ، لهذا لم يذكر خيرا عن حاكم الهنـد والشركة الشرقية ، فاستاء حاكم الهند وبرز عداء بينـــه وبين هذا المبعوث • وقرر فى النهاية أن يؤمر هارفورد بحفظ العلاقـات السياسية فى بلاط ايران وان يأتى جون ملكلم لعقده معاهـدة تجاريـة وانهاء المفاوضات التى بدأها هارفورد فى هذا الشأن • فأتى السير جون ملكلم فى نفس هذا العام (١٢٢٤هـ / ١٨١٠م) للثالث مرة ومعه عدد من الخبراء العسـكريين ، وكان من ضمن هؤلاء العسكريين ليند سـاى (Lindsay) كانت قامته تزيد عن المترين فلقبه الايرانيون لهذا برستم ، وبوتينجر (Pottinger) وكريسـتى (Christie) فقد مهم ملكلم الى عباس وانخرطت هذه الجماعة فى اصلاح أمر الجيش

الايرانى والحرب فى عداد جنود عباس ميرزا ، ورقى ليندساى الى منصب قيادة الجيش .

وبعد مجىء هارفورد بعث فتح على شاه ابن أخت اعتماد الدولة حاجى ابراهيم وهو ميرزا أبو الحسن خان الايلتشى يصحبه جيمس موربيه (James Morrier) سكرتير السفير الانجليزى الى لندن لكى ينفذ ما توجبه البروتوكولات السياسية كما يطمئن على وعد السفير الانجليزى باعطاء ايران مائة وعشرين ألف ليرة سنويا .

ولا يخلو شرح سفر ميرزا أبى الحسن خان الايلتشى ومسلكه المضحك وما بدر منه من نوادر أثناء سفره من العجائب والمضحكات ؛ وقد حث هذا جيمس موربيه على تأليف رواية باسم (حاجى بابا) ، ومع أن هذا الكتاب ألف بعذوبة شديدة غير أنه عامة لم يخل من الأغراض والتغريض (١) .

---

(١) كان اول ظهور رواية (مغامرات حاجى بابا اصفهانى :
(The adventure of Haji Baba of Isphan)
بالانجليزية عام ١٢٣٩هـ / ١٨٢٤ م تاليف جيمس موربيه (J. Morrier) السكرتير الأول للسفارة البريطانية فى عهد فتح على . وكان المؤلف فرنسى الاصل تجنس بالجنسية الانجليزية وولد بأزمير فتعرف الى التقاليد الشرقية وتعلم التركية والفارسية والحقه ابوه قنصل انجلترا باستانبول بوزارة الخارجية البريطانية فأتى ايران عام ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م سكرتيرا أولا للسفارة البريطانية . وقد وقف موربيه خلال اقامته بايران على طبائع الفرس وتقاليدهم من خلال علاقاته بكبار رجال الدولة فانتقدهم وأبرز الجوانب السيئة فى عاداتهم . وتضاربت الآراء حين نشرت هذه الرواية بسبب ما رسمه المؤلف الاجنبى للشخصية الايرانية ووصفه دقائق حياتهم ، كما دار الجدل حول ما اذا كان حاجى بابا بطل الرواية شخصية حقيقية ام بطلا خياليا من ابتداع المؤلف ، وهل كتب موربيه الرواية بنفسه ام عاونه بعض اصدقائه الايرانيين . وكما ثار الجدل حول البطل والمؤلف ثار ايضا حول ترجمة الرواية للفارسية فيمن يكون المترجم أهو الشيخ احمد روحى كرمانى المعارض لناصر الدين شاه أم هو ميرزا حبيب الاصفهانى الكاتب المعروف اذ ذاك وقد اخرج (فيلوت) (Phillott) هذه الترجمة الفارسية وعليها اسم روحى كرمانى عام (١٩٢٤) طبع كلكتا . وقد سلطت الرواية الضوء على الفساد الذى انتشر فى ايران عهد القاجاريين وابرزت المساوىء

=

وفى سنة عودة حاجى ميرزا أبى الحسن خان الايلتشى الى طهران أى (١٢٢٥ / ١٨١١) أرسلت انجلترا السير جور أوزلى (Sir Gore Ouseley) لعقد معاهدة جديدة مع ايران فدخل هذا المبعوث الجديد فى مفاوضات مع البلاط منطلقا من الأساس الذى وضعه هارفورد جونز وملكلم لعقد معاهدة حاسمة ، واستمرت هذه المفاوضات ثلاثة أعوام .

وفى النهاية عام (١٢٢٨هـ) عقد السيرجود أوزلى معاهدة مع ايران وذهب الى لندن بصورة منها ، وأتى بهـا فى السنة التالية جيمس موريبه مؤلف كتاب (حاجى بابا) ومعه السفير الجـديد الانجلـيزى وهـو (اليس) (Ellis) بعد الموافقة عليها لكى يوقع الشاه عليهـا أيضا ، فوقع عليها فى ذى الحجة (١٢٢٩هـ) وهى من أكثر المعـاهدات سوءا لايران .

تعهدت ايران وفق هذه المعاهدة بالغاء كافة المعاهدات والقـرارات التى عقدتها مع الدول الأوروبية المعادية لانجلترا وألا تسمح للـدول التى فى حرب مع انجلترا بأن يعبر جنودها أرض ايران الى الهند ويحث كذلك عمال ايران بمنع عبور جيش عدو انجلترا من خوارزم وبلاد التتار وبخارى وسمرقند وغيرهما . وقبلت انجلترا أن تسعى لازالة الخـلاف بين ايران والدول الأوربية اذا وقـع عداء بينهما وأن لم ينتـه الأمـر بالسلام فاما أن يمد ايران من الهند بعون عسكرى أو تساعدها طوال مدة

الأخلاقية والاجتماعية من استبداد ورشوة وجهل وتملق وكأن مترجمها كـان يوجهها الى المستنيرين الايرانيين المشوقين الى تبديل الأوضاع الفاسـدة . وأضفى المترجم على الترجمة مسحة محلية ايرانية فبدت وكأنها عمل اصلى متميز ممـا أعـد الأذهان الى الثورة التى تحققت أواخر حكم ناصر الديـن شـاه كما سيلى . للتفضيل انظر رسالة الماجستير للزميل الأسـتاذ عبـد عبد الوهاب علوب بمكتبة جامعة القاهرة : التيار القومى فى النثر الفارسى من منتصف القرن التاسع عشر حتى الثورة الدستورية ص ١٢٢ وما بعدها .

الحرب بمائتى ألف تومان سنويا (مائة وخمسين ألف ليرة) • واذا حدث خلاف بين ايران وأفغانستان تتعهد انجلترا بالحياد واذا هاجم أمـير أفغانستان الهند يجب على ايران أن تشن الحرب عليه •

وقد وقع هذه المعاهدة من جانب انجلترا جيمس موريه وعن ايران ميرزا محمد شفيع الصدر الأعظم المازندرانى وميرزا بزرك القائم مقام الأول الوزير عباس ميرزا وميرزا عبد الوهاب معتمد الدولـة نشـاط الاصفهانى منشىء ممالك فتح على شاه •

وقد وضعت معاهدة عام (١٢٢٩هـ) وهى احدى أسوأ معـاهدات تاريخ ايران هذا البلد من ناحية العلاقات السياسية تحت رقابة انجلترا تماما ، ومع توقيعها سلمت ايران استقلالها السياسى للانجليز فى حقيقة الأمـر •

الدور الأول لحروب روسيا وايران

(١٢١٩ — ١٢٢٨هـ)

الحاق الكرج بروسـيا فى عام (١٢١٥هـ) :

مات هرقل ملك الكرج العجوز بعد قتل آغا محمد خـان فى شوشى بستة شهور وخلفه ابنه جورجى الثانى عشر (جرجين خان) ملكا ولكى يأمن جانب أعدائه وضع نفسه تماما تحت تبعية روسيا وعقد معها بهـذا الصدد ، وفشل فتح على شاه رغـم محـاولاته الدائبة أن يحول دون جورجى وهذه المعاهدة أو أن يجعله تحت حماية ايران •

وثار اخوه جورجى عليه لقصر يده عن السلطة فهيأت هذه الفعلـة ذريعة للروس ، فقدم جنودهم الى تفليس لحماية جورجى وهـزموا أعداءه • ومات جورجى فى شعبان (١٢١٥هـ) وأعلن الروس رسميا بعد موته بشهرين ضم الكرج الى روسيا وأخذوا يديرونها تحت اشرافهـم

ووارو‌ا اخوة جورجى ، ولم يكف منهم أرشدهم وهو آلكساندر عن قتالهم وبعد أن رأى انه لن يستطيع غلبة حاكم القفقاز الروسى الجديد أى (سيسيانوف (Tzitzianov) ــ الذى قدم الى تفليس فى ذى القعدة (١٢١٧هـ) ــ استنجد وأتباعه بفتح على شاه •

وهو سيسيانوف المشهور عند عامة ايران بلقب (اشبخدر) (١) بالاستيلاء على كنجة وشوشى أوائل عام (١٢١٨هـ) ، ونجح فى شوال نفس العام فى السيطرة على كنجة مع استبسال حاكمها الايرانى فى الدفاع عنها بسبب خيانة الأرمن ، وبعد فتحها ، أدخل طاعته بالتهديد حكام ايروان وقرا باغ بعد أن يأسوا من مساعدة فتح على وانقطعت عنهم المقررات الديوانية لفترات ، وبهذا دخل تحت تبعية روسيا حتى حدود أرس ، وكان هذا العمل بمثابة البداية الرسمية للحرب بين ايران وروسيا •

حرب اتشميازين فى (١٢١٩هـ) :

ولما بلغت أنباء الاستيلاء على كنجة واستسلام ايروان وقرا باغ مسامع فتح على أمر هذا الشاه عباس ميرزا ومعه ميرزا شفيع الصدر الأعظم بصد الروس واستعادة قلعة ايروان • وتحرك عباس ميرزا صوب ايروان بعد تنظيم صفوف جيش آذربايجان لتأديب محمد خان قاجار حاكم ايروان لاستسلامه لسيسيانوف ، فأسرع الأخير لعون محمد خان بجيشه الى حوالى اتشميازين مركز خليفة أرمن ايروان فصب نيرانه على جيش عباس ميرزا لمدة أيام ثلاثة ، لكنه لم يتغلب عليهم فتحاشى الحرب المباشرة معهم وتحرك الى قلعة ايروان • ولما رأى محمد خان تفادى سيسيانوف الحرب مع عباس ميرزا لم يمكنه من ايروان وطلب العفو من ولى عهد ايران فعفا عنه عباس ميرزا •

---

(١) هذه الكلمة تحريف للكلمة (Inspector) (سپاقى) وهى كلمة انجليزية بمعنى المراقب والمفتش •

وقرر سيسيانوف أخيرا مباغتة الجيش الايرانى بالهجوم فيشيع به الاضطراب بالحملة المفاجئة ، فباغت لهذا فى صباح السادس من ربيع الثانى (١٢١٩هـ) فى اتشميازين جيش عباس ميرزا فتفرق الجنود الايرانيون عن هذا المكان بددا .

وبعد هذا النصر الأولى الذى كان من نصيب سيسيانوف أرسل فتح على امدادات كثيرة الى عباس ميرزا وقدم هو نفسه الى آذربايجان لتعضيد الجيش الايرانى ، فتجمعت لسيسيانوف من كل جانب بمجىء الأمداد الجديدة وبوجود عباس ميرزا أسباب المشقة فقطع طريق اتصاله بتفليس ، ولما فشل فى السيطرة على ايروان وحجزه محمد خان موافقا عباس ميرزا اضطر الى الانسحاب الى تفليس وانتهت حرب اتشميازين بنصر ايران . وترك فتح على ايروان لمحمد خان كما كانت وعاد مع نائب السلطنة الى طهران فى رجب (١٢١٩هـ) .

قتل سيسيانوف فى (١٢٢٠هـ) :

ولما قنط سيسيانوف من تقدمه صوب آذربايجان فكر فى مهاجمة سواحل جيلان فان استطاع ذلك سيطر على طهران عن طريقها ودفع ايران الى قبول الشروط الروسية . وأثناء هذه الأحوال وصل فتح على أنباء تسليم ابراهيم خليل جوان شير حاكم شوشى وقرا باغ — ولم يكن على صفاء قط مع ايران فى أى وقت — لسيسيانوف تسليما كاملا وبتسليمه دخلت هاتان الولايتان طاعة روسيا ، فبعث الشاه بنائب السلطة باصرار منه الى آذربايجان يرافقه ميرزا بزرك القائم مقام وأحال اليه تأديب ابراهيم خليل خان وعند وصول عباس ميرزا الى جسر (خدا آفرين) على نهر أرس وهو طريق اتصال اردبيل بشوشى لاذ ابراهيم خليل بالفرار لعدم تحمله المقاومة واستمد سيسيانوف فأرسل اليه بعض الجنود وتحرك هو الى جيلان بقصد الاستيلاء عليها .

وبسبب أن جيلان فى ذاك الوقت لم تكن ميناء ولا مرسى صالحا ،

ولم يكن بمقدور السفن الكبيرة أن تتقدم حتى ساحلها ، صار سيسيانوف فريسة المشقات البالغة فى انزال جيشه بانزلى وبيره زار ، وبعد أن أنزل بعضهم اليابسة مع تحمله كل هذه الصعوبات الكبيرة أنزل أهل جيلان المختبئون بالأدغال والمروج بهم الأضرار ، فأجبر سيسيانوف بعد خسارة وتلف لا حد لهما على أن يتخلى عن جزء من تموين الجيش ولوازمه ويخلى جيلان •

وبعد عودة سيسيانوف من جيلان ويأسه من ايروان قرر أن يهاجم ايران هذه المرة من ناحية موغان وشاطىء بحر الخزر ، فوصل عباس ميرزا على عجل الى كنجة فأدخلها طاعته وكان سيسيانوف قد عزم الاستيلاء عليها بناء على دعوة الأرمن بها ، وتوجه عباس لفتح شوشى والقضاء على ابراهيم خليل وأمر جنوده بقصد باكو وطالش وشروان •

واستمد حاكم باكو حسين قلى خان عباس ميرزا وكان حسين يصد هجوم الروس على هذه المدينة بشجاعة ، وفى هذه الأثناء وصل سيسيانوف ، بعد أن هزمه جيش ايران من كل طرف فخاف أن يحصر ، الى باكو لعله يخدع حسين قلى ويدخله حلفه ، فتظاهر حسين بالموافقة وطلب هذا الروسى الى قلعة باكو لكى يسلمها له ، وحينما كان فى تفاوض معه أطلق ابن عم حسين قلى النار على هذا القائد الروسى فأرداه صريعا ونهض أهل باكو يهاجمون جيشه وينهبونه ، وهربت بقيته بعضها عن طريق اليابسة وأخرى عن طريق البحر ودخل كل ما وراء القفقاز ثانية حتى حدود شاطئ كورا تحت أمر ايران •

حرب خانشين فى (١٢٢٢هـ) :-

وبعد هلكة سيسيانوف تأهب ابراهيم خليل بدعوة ابنته التى كانت فى عصمة فتح على شاه وابنه الذى كان يعمل فى جيش نائب السلطنة لكى يطلب عفو الأخير وأطلع أمراءه على قراره هذا ، فعفا عنه عباس ميرزا وتحرك بنفسه الى شوشى لكى يخلص نفسه من شرور هجمات

للروس بها ، لكن قبل أن يبلغ ولى العهد شوشى سبق اعلام القائد الروسى لها عن طريق حفيد ابراهيم خليل بتحركه ، فهاجمه ليلا وقتله وواحدا وثلاثين من قرابته • وواجه عباس ميرزا قوات الروس فى (خانشين) احدى مجال قراباغ فهزم هزيمة شديدة ، وبعد وصول امدادات للروس من تفليس تغلب عليهم أيضا وأسفر ذلك عن طاعة شوشى وشروان أيضا لأمر نائب السلطنة •

حرب أصلاندوز فى (١٢٢٨هـ) : —

بعد مقتل سيسيانوف أنيطت القيادة العامة للجيش الروسى بالقفقاز بكودوفيتش (Goudowitch) ، ففكر القائد الجديد فى الدخول فى مفاوضات صلح مع عباس ميرزا ، وكان هذا وقت أن قدم المبعوثون الفرنسيون الى طهران ، وسعى جاردان لكى يجعل خطط نابليون عملية فى أن يكون واسطة الصلح بين ايران وروسيا •

ولم تؤثر مساعى جاردان فى الصلح لأن كودوفيتش لم يكن ينتوى غير خداع عباس ميرزا ، وهاجم مرة ايروان فى عام (١٢٢٣هـ) مباغتا لكنه لقى الهزيمة فعاد مهزوما الى تفليس • وتقدم نائب السلطنة لتأديب كودوفيتش من تبريز بنفسه الى نخجوان وهزم فى هذه المدينة وايروان وبحيرة كوكتشه الجنود الروس مرارا ، ومن أهم معارك هذه الأيام المعركة التى دارت رحاها بين حسين خان قاجار فى (١٢٢٥هـ) قائد ايروان والروس وانتصر حسين خان انتصارا مبينا وأسر جماعة كبيرة من الجنود الروس وأرسلهم الى طهران •

وفى نفس الآونة التى كانت الحرب مشتعلة كما سبق الشرح بين ايران والروس غادر جاردان وصحبه الفرنسيون ايران وأتاها السيرجون ملكلم فى سفره الثالث ، وعمل كريستى وليندساى من بين الخبراء العسكريين الذين كانوا بخدمته على اصلاح مدفعية عباس ميرزا ، فنظم وأعد نائب السلطنة بعونهم جيشه ومدفعيته من (١٢٢٥هـ) حتى (١٢٢٨هـ)

وأرسل الروس خلال هذه الفترة مبعوثين لأكثر من مرة لعقـد صلح الى ولى العهد ، لكن المفاوضات لم تسفر عن نتيجة بسبب اصرار الروس على الاحتفاظ بالولايات التى استولوا عليها حتى ذلك الوقت ورغبتهم عبور أرض ايران لمهاجمة العثمانيين •

وبعد زيارة السير أوزلى طهـران مع أن كل أمـل ايـران كان فى مساعدة الانجليز الا أن السفير الجديد الانجليزى سعى خلافا للسـابق بسبب الاتفاق الذى حدث حين وصوله ايران بين الروس والانجـليز فى أوربا فى أن يتوسط فى الصلح بين ايران وروسيا وأمر الموظفين الانجليز فى جيش عباس ميرزا أن يمتنعوا عن قتال روسيا ، لكن عباس ميرزا لمـا أصر بشدة قبل أوزلى أخيرا أن يستمر كريستى وليندساى وثلاثة عـشر من العسكريين الأقل رتبة فى عملهم مع ولى عهد ايران بمحض ارادتهـم دون أن يتحمل مســئولية أعمالهم •

وكان جيش ايران مقيما بأمر ولى العهد فى أصلاندوز على شاطىء نهر أرس ، وهاجم الروس مباغته جيش عباس ميرزا وكان وقتهـا قـد انفصل عنه للصيد • وعلى اثر هذا الهجوم المباغت انفرط عقد انتظـام الجيش ، فلما بلغ الخبر عباس ميرزا قرر التقهقر لشـدة خـوفه الا أن كريستى قائد جزء من سلاح المشاة وكان على علم بقلة عدد الروس منعـه من هذا القرار ، كما صب ليندساى بمدفعيته وابل نيرانه على المهاجـمين الروس فمنع تقدمهم • وفى الاجتماع الذى عقده عباس ميرزا لتحـديد قرار الحرب مع قواده العسكريين والمدنيين ، ظهر فيهم اختلاف فى الآراء الى حد أنه استحال اختيار أى قرار ولم يكن ولى العهـد نفســه قادرا على أن يحسم شيئا ، ولهذا حينما بادر الروس فى اليوم التالى بالهجوم ، بلغ الهرج والمرج ذروته فى الجيش الى حد أن جماعة منهم أخذت تتبادل النيران خطأ مع اخوانها ، وأصيب كريستى الذى كان يقـاوم بشـجاعة فائقة ثم قتل ، وانسحب عباس ميرزا ومن بقى من القتل من جيشـه الى تبريز • وهاجم القائد الروسى فى حرب أصلاندوز بعد هذا النصر مينـاء

لنكران وسيطر عليه ، فوقعت آذربايجــان تحــت التهــديد الروسى من ناحيتـــين .

وكان فتح على شاه يتأهب للتحرك الى آذربايجان والقيام بخطـــوة حربية جديدة مع روسيا لولا أن ثورة التركمان فى خراسان صرفتـــه عن عزمه ، فأرسل يطلب الصلح حاجى ميرزا أبا الحسن خان الايلتـــشى الى سان بطر سبرج وتوسط السير أوزلى أيضا فغادر طــهران الى تفليـــس والعاصـــمة الروســـية .

وسرت روسيا بقدوم السفير الايرانى وطلبه الصلح كثيرا لأنهـــا فى هذا الوقت كانت فريسة صراعها مع نابليون بونابرت ، وسيرت لعقد هذا الصلح الجنرال يرملوف (Iermoloff) الى طهران .

معاهدة كلستان فى التاسع والعشرين من شوال (١٢٢٨هـ) : ـ

وقعت المعاهدة التى انهت الدور الأول لحروب ايران وروســـيا فى قرية كلستان من أعمال قراباغ بتوسط من السير جور أوزلى وبتمثيـــل حاجى ميرزا أبى الحسن خان من طرف ايران وهى بفصولها الأحد عـــشر من أسوأ المعاهدات التى أبرمت فى تاريخ ايران الحديث بل أنها ولـــدت أسبابا لشقاء عظيم لمستقبل ايران بسبب أنها أول معاهدة مضرة عقـــدها أولياء أمور ايران وقد بلغ بهم الجهل مبلغه مع دولة أوربية ولم يدركوا أنهم استسلموا لقبول كل مطالب هذه الدولة فى وقت كانت فيه فريســـة أكـــبر المصـــائب فى أوربـــا .

فقد قبلت ايران وفق هذه المعاهدة أن تكون جميع الولايـــات التى استولى عليها الروس حتى ذاك الوقت ملكا لهم ، وبهذا انضمـــت بـــلاد الكرج والولايات الساحلية على البحر الأسود وباكو والدربند وشروان وقراباغ وشكى وكنجة وموغان والجزء الأعلى من طالش الى روسيا فضلا عن أن حق الملاحة فى بحر الخزر قد سلب من ايران . وفى لقاء هذا كـــله

تعهدت روسيا أن تعترف رسميا نيابة السلطنة لعباس مـيزا وتتعهـد بابلاغــه السـلطة .

وقد بلغت هزيمة أصلاندوز وعقد معاهدة كلستان والثـورات التى شبت بايران فى هذه الفترة بضعف الدولة ذروة درجتـه ، وتبـع هـذه الأوضاع طرح السير أوزلى معاهدة سيئة أخرى أشرنا اليها سابقا بـين ايران وانجلترا وقعها فى السنة التالية أى فى (١٢٢٩هـ) فتـح على شـاه بسعى سفير انجلترا الجديد « أليس » فجعلت هذه المعاهدة من ايـران ألعوبة فى يد بلاط لندن من الناحية السياسية .

ثـورات خراسـان وافغانسـتان : —

أثناء الحروب بين الروس وايران بسبب انشغال أولياء الدولة صار الجزء الشرقى بأكمله لايران من بلوجستان حتى صحراء التركمان نهـب الثورات ، فقد رفع الرؤساء المحليون ورؤساء قبائل التركمان رؤوسـهم ثائرين لغضبهم من حكام ولاياتهم ، وأهم هذه الثورات هى التالية :

كان محمد خان الأفغان الغلجيين قد التجأ الى ايران بسبب المنافسة بين أسرته والأفغان الأبداليين وأقام بكرمان فلما نزل بساحة هذه الولاية القحط وحملت اليها الغلال من البلاد الأخرى بأمر فتح على شـاه نهض بالاستيلاء عليها واستحوذ فى (١٢٢٠هـ) على قلعة بم ، فأنفذ فتح عـلى أحد قواده القاجاريين لدفعه فغلب محمد خان وهزم وقتل فى بلوجستان .

وفى عام (١٢٢٢هـ) عصى فيروز ميرزا الذى يحكم هراة والغور تحت حماية ايران محمدا ولى ميرزا ولد الشاه وحاكم خراسان فاستولى محمد ميرزا على هراة وهزم فيروزا فهرب عنها . وفى عـام (١٢٢٩هـ) تحـرك فيروز ميرزا ثانية الى الغور وكان حكمها أنيط بوالى خراسان محمد خان ولد اسحاق خان القرائى من خانات (تربت حيدرية) . فأفـاد ابن أخى فيروز وهو كامران ميرزا أمير قندهار من هذه السانحة بقصد اسـتئصال عمه ومهاجمة خراسان فتحرك الى هراة وحاصرها . ورأى فيروز مـيرزا

نفسه وقد أحدق به الخطر من كل جانب فلاذ بقائد جيش فتح على بخراسان وهو اسماعيل الدامغانى وقبل أن يكون تحت حماية ايران بأدائه خمسين ألف تومان نقدا وخراجا سنويا وأن يجعل الخطبة والسكة باسم فتح على • فلما قبل فيروز هذه الشروط تقدم لطرد كامران ، ففر الأخير الى قندهار واستقر فيروز ثانية تحت تبعية ايران على امارته •

وفى (١٢٢٨هـ) قدم فى نهاية المطاف الى السليمانية وشهرزور أحد دراويش التركستان واسمه خواجه محمد الكاشغرى الذى كان ينسب نفسه الى أمراء الصين واتصف بالرياء وطلب الجاه وجمع فى الصين والهند ومصر مريدين له وكان يخدع الناس حيثما حل فترة ثم يجبر على الفرار فى النهاية ، وقد أدخل والى السليمانية ضمن مريديه وحثه كما سنرى بعد على الدخول فى حرب مع ايران ، ثم هرب منها الى استراباد وجمع حوله جماعة من التركمان السذج وأقام فى مازندران واستراباد فتنة وفسادا عظيمين • فأرسل الشاه محمد ولى ميرزا حاكم مازندران للقضاء على التركمان فأدبوا تلك الجماعة وفر أمامهم خواجه محمد ثم قتل بعد قليل وخمدت فتنته •

وفى عام (١٢٣٠هـ) طالب اسحاق خان القرائى صاحب النفوذ العظيم بتربت حيدريه والساخط على مسلك محمد ولى ميرزا بخراسان البلاط الملكى بعزل الأخير وأظهر أولاده عدم مبالاتهم بالوالى أيضا ، فصرع محمد ولى اسحاق خان وأحد أولاده فى مشهد انتقاما منهم ، فأفضى عمله هذا الى ثورة أبناء اسحاق الباقين ، فلما عجز محمد والى عن هزيمتهم عصى خانات خراسان الآخرون الحانقون على محمد ولى وطلبوا عزله من الشاه • فاستدعى الشاه محمدا الى طهران وأمر اسماعيل خان الدامغانى باقرار أمور خراسان الى حين أن يتم تعيين حاكم جديد •

وفى العام التالى سير حسين على ميرزا شجاع السلطنة ولد الشاه عن طريقه الى حكومة خراسان وأخمد شجاع السلطنة بمعونة اسماعيل الدامغانى ثورات خراسان ، وأرسل فيروز ميرزا حاكم هراة اليه بعض

الهدايا فى مشهد قابلا طاعته ، لكنه فى (١٢٣٢هـ) عاود ثورته • فشخص هذه المرة شجاع السلطنة الى هراة مهاجما فاستصفاها ، وعفى عن فيروز بعد تغريمه خمسين ألف تومان وقرر أن تسك العملة ويخطب باسم شـاه ايران كما كان الحال سابقا • وبعد أوبة جيش ايران عن هـراة انبعـث محمود شاه أخو فيروز ميرزا ، وكان حديث الخلاص من سجنه وتأمر على قندهار وكابل ثانية ، يحرضه وزيره فتح خان الباركزائى ، ويدعوه أمراء خراسان العصاة خاصة محمد خان القرائى ولد اسحاق خان ، انبعـث للاغارة على خراسان ، وبـلغ فـتح خـان فى (١٢٣٣هـ) بجيـش كـبير (كافر قلعه) وكان يؤازره ويحالفه فى هجومه هذا رحيم خـان الأوزبكى والى خوارزم وأمير بخارى وكانت خطتهم أن يطبق الاثنان بالهجوم على خراسان من الناحيتين •

وخف شجاع السلطنة الى هراة وقدم الشاه بنفسه الى خراسـان وأنزل ذو الفقار الدامغانى بفتح خان على كثب من (كافر قلعه) هزيمـة مرة ووقع نحو اثنى عشر ألف أفغانى أسيرا لجيش ايران • وبعد هـذا الفتح قدم والى خوارزم اعتذاره وعاد الى خيوه وبقى خانات خراسـان أيضا فى مناصبهم كلهم غير محمد خان القـرائى ، والذى أصـاب منـه شجاع السلطنة مقتلا بعد تخريب قلعة تربت حيدرية والامساك به •

وبعد فرار فتح خان الى هراة أرسل معتمد الدولة نشاط الذى أسر فى حربه مع الأفغان تصحبه جماعة من مشايخ هراة الى الشـاه يطـلب العفو ، كما أرسل محمود شاه رسولا الى الشاه وأعـرب عن أن حـركة وزيره المستبد كانت خلاف ارادته ، فقبل الشاه العـذر بشرط أن يعـاقب محمـود شـاه فـتح خـان •

وسملت عينا فتح خان آخر الأمر فى عام (١٢٣٤هـ) بيد كامران ميرزا ولد محمود شاه فأفضى هذا الفعل الى ثورة أخوته الكثيرين الذين ولاهم فتح حكومات الولايات فأصابوا مبلغا من القوة ، ورفع هـؤلاء الاخـوة المتمردون كل منهم واحدا من الأمراء الدرانيين على رغم أنـف محمـود

وكامران ، فشبت فتنة عظمى فى أفغانستان .

وكان من بين أخوة فتح خان التسعة عشر من له أهمية واعتبار أكثر هو دوست محمد خان الذى هاجم كابل من بيشاور وهزم كامران ميرزا بين بيشاور وغزنة ، ومكث ما بين (١٢٣٤) حتى (١٢٤٢م) فى صراع وقتال دائمين يعاونه اخوته مع بقية الأسرة الدرانية الى أن قضى على هذه الأسرة وأزالها من كابل وقندهار فى السنة الأخيرة ، واستقل بأفغانستان كلها غير هراة التى كانت تبعا لخراسان ، وأسس الأسرة الحالية لأمراء أفغانستان أى السلسلة الباركزائية .

أما محمود شاه وابنه كامران ميرزا بعد أن طردا عن كابل وقندهار فقد قنعا بامارة هراة تحت طاعة ايران ، وان كانا لم يتخليا عن فكرة الاستقلال وكانا يتمردان كلما سنحت لهما الفرصة فيهزمان ويعودان الى الطاعة .

وفى عام (١٢٤١م) ساء ما بين هذا الأب وابنه فطرد الابن أباه عن هراة وقدم اليها شجاع السلطنة بنفسه فأقر كامران على كرسى امارتها وظل هذا الحال حتى وقت غزو ولى العهد لهراة .

حرب ايران مع العثمانيين (١٢٣٦ ــ ٣٨هـ) : ــ

فى بداية حرب ايران مع روسيا فى عام (١٢٢١م) لجأ باشا حدود شهرزور عبد الرحمن باشا الى ايران فأعاده الشاه حاكما على هذه المدينة ورئيسا لقبيلة بابان تحت حمايته فصارت هذه المسألة سببا لاستياء أولياء الدولة العثمانية .

واختار الشاه ولده الكفء محمد على ميرزا دولتشاه من أجل الحفاظ على حدود ايران الغربية وحمايتها فى نفس تلك الأيام لحكومة كرمانشاه وولاية ولايات العراقين التى على الحدود ، فدخل عبد الرحمن باشا تحت تبعية دولتشاه .

ولكى يطرد على باشا والى بغداد عبد الرحمن وجه جيشا من بغداد

الى شهرزور ، فغلبه دولتشاه وأسر قائده وبعث به الى طهران ، وأرسلت الدولة العثمانية سفيرا الى طهران يعتذر ويطلب خلاص القائد الأسير فأعاده الشاه الى بلاده مكرما وأرسل أيضا الى استانبول سفيراً •

وكان يبرز كل وقت اختلاف بين دولتي ايران والعثمانيين بسبب سكن الأتراك السنة في سائر أقاليم البلدين وتنقلهم من بلد الى آخر وما ينشأ عنه من جدال حول أي قبيلة تكون رعية ايران وأيها تتبع العثمانيين ، وفضلا عن هذا الموضوع فقد كانت اعتداءات الباشوات السنوية على الحجاج والزوار الايرانيين تثير غالبا القلاقل •

ولم يجد فتح على شاه حتى عام (١٢٣٦هـ) فرصة لكي يهتم بأمور غرب البلاد بسبب مشاكل ايران في حروبها مع الروس وثورات خراسان وأفغانستان ، حتى أن الجنرال يرملوف قائد القفقاز أتى عام (١٢٣٢هـ) طهران لكي يحرض ايران على مهاجمة العثمانيين بعون روسيا ولتسمح ايران للجيش الروسي بعبور أراضيها لمهاجمة العثمانيين ، فرفض الشاه قبول هذه الاقتراحات مراعاة للناحية الاسلامية ، خاصة وأن يرملوف لم يكن مستعدا بأي حال أن يدخل مفاوضات بشأن استعادة ايران للولايات المفقودة عكس ما كان يود البلاط ، لأن فتح علي وولي العهد كانا يأملان أن تستعيد ايران جزءا من هذه الولايات من روسيا عن طريق المفاوضات الودية ، ولهذا الهدف أرسل حاجي ميرزا أبو الحسن خان الايلتشي عام (١٢٣٢هـ) الى سان بطرسبرج ، فقنع الروس وكانوا اذ ذاك رهينة الحرب مع العثمانيين وفي متاعب شديدة أيضا في خيوه بتعطيل المبعوث الايراني واستغفاله وأرسلوا يرملوف كذلك الى طهران لتبادل الصداقة واستمداد ايران في حروبها مع العثمانيين وخان خيوه ، ومع حاجتهم الملحة الى ايران فانهم لم يقبلوا باعادة جزء من الولايات السابقة الايرانية •

وفي عام (١٢٣٦هـ) وقع جمع من خدم الشاه الايراني الشخصي وبعض حريمه كان يتجه للحج عن طريق أرزنة الروم من حافظ على باشا

رئيس عسكرها موقع الاهمال والتهجم ونهبت أمتعتهم ، فضــلا عن أن رئيس العسكر هذا رحل جماعة من قبائل حدود ايروان بحجة أنهم رعايا عثمانيون الى منطقة نفوذه ، فاعترضت ايران على هــذه الأعمال وعـزل حافظ على باشا ، الا أن خلفه ارتكب مثل هذه الأفعال ، فاضطر فتح على أن يأمر عباس ميرزا بمهاجمة العثمانيين •

وفى ذى الحجة (١٢٣٦م) دخــل عباس مــيرزا عن طـريق خــوى وتشالدران كردستان العثمانية وسيطر فى الهجوم الأول له عــلى موش وأخلاط ووان وبتليس وحاصر أرزنة الروم • وضم قــواد ولى العهــد المجربون للحروب مثل حسين خان قاجار وأخيه حسن خان وعسكر خان أفشار وأمير خان القائد على جناح السرعة أرمنية والكردستان العثمانية حتى دياربكر ، لكنهم عادوا جميعا الى تبريز بسبب حلول الشتاء •

وفى عام (١٢٣٧م) رفض رئيس قبيلة بابان قبول حمــاية ايــران فأرسل على باشا والى بغداد قوات لمساعدته الى السليمانية وشهرزور •

وتحرك محمد على ميرزا دولتشاه لصد جنود على باشا عن كرمانشاه ناحية العراق العربى وبلغ بغداد فى هجمة واحدة لكنــه آب الى ايــران بناء عن رغبة علماء النجف ، وسلك طريق الكردستان لذا صادف جيشــه أضرارا بالغة • وعلى حدود آذربايجان فكر باشــوات تلك الحــدود فى الاســتيلاء ثانيــة على الولايــات التى فتحــها قــواد ايــران ظانين أنه يمكن الافادة من وجود عباس ميرزا فى تبريز ، وحاصر منهم حافــظ على الباشا السابق الذكر قلعة طوبراق الواقعة على رأس طريق بايزيــد الى ايروان • فوجه عباس ميرزا حسين خان وأخــاه حسن خان لعــون المحاصرين بالقلعة فأنقذ هذان الأخوان القلعة من حصارها بالرغــم من قلة ما معهما من جند ، وانهزم حافظ على باشا بعد تكبده للخسائر الكبيرة وركــن الى الفــرار •

وبعد الهزائم التى تلقاها القواد العثمانيون فى الكردستان وأرمنية

والعراق العربى من ايران طلب العثمانيون الصلح فوقعت معاهدة فى أرزنة الروم فى ذى القعدة (١٢٣٨هـ) بين ممثلى الطرفين وشملت هذه المعاهدة مواد سبعا ردت بموجبها ايران الولايات التى أخذتها من العثمانيين وصارت الحدود بين الدولتين نفس الحدود السابقة ، وتعهد أولياء أمور الدولة العثمانية بعدم التعرض للزوار والحجاج الايرانيين وألا يطالبوهم وتجار ايران بغير الرسوم الجمركية وأن يرسل الطرفان سفيرا الى عاصمة كل منهما وممثلا ٠

الدور الثانى لحروب ايران وروسيا

(١٢٤١ ـ ١٢٤٣هـ)

كانت معاهدة كلستان مبهمة بشأن تحديد خطوط الحدود بين ايران وروسيا بمعنى أن موقعيها كفاهم أن اشترطوا أن كل ما استولى عليه الروس حتى تاريخ توقيع المعاهدة يكون ملكا لهم ، كما لم يتضح أيضا كثير من الأراضى التى على الحدود وكانت مراتع لعشائر قبائل الحدود ، وكان بعض الخانات يسعى الى اشعال نار الخلاف بين ايران وروسيا لمنفعته الشخصية ، ومن ذلك أن حسين خان قاجار رئيس ايروان الذى لم يكن راغبا فى دفع بقايا أموال عليه الى الموظفين الايرانيين ولكى لا يقوم عباس ميرزا بتأديبه كان يميل الى اشعال نار الحرب بين البلدين وشغل ولى العهد بذلك ٠

وكان على مقربة من ايروان وبحيرة كوكتشه قسم من أراضى الحدود يعد مراعى للقبائل رعايا ايران الا أن الروس ادعوا ملكيتهم له فأخذ حسين خان قاجار متذرعا بأن الروس لو تملكوا هذه المنطقة فلن يتيسر له الحفاظ على قلعة ايروان يوصى عباس ميرزا بمنع هجمات الروس عن طريق القوة القاهرة وبعدم السماح بأن يظهر خلل بسبب هذا فى أوكلان دفاع ايروان ٠

وكانت تحدث مثل هذه الخلافات على حدود آذربايجان بين العمال الايرانيين والروس على سبيل الدوام وكان أهمها الخلاف الذى نشب بين ابراهيم خليل خان جوان شير المسبب قتل سيسانوف والذى كان يحكم يومذاك أردبيل والقائمين على الحدود من الروس فى طالش .

وحرض خانات طالش الحانقين على الاستعمار الروسى ابراهيم خليل بعداء الروس العلنى واعتبر ابراهيم خليل اعتداءات الروس دليلا على نقض معاهدة كلستان من جانبهم فأطلع فتح على على الأمر وشجع الشاه على تجديد الحرب مع الروس ، وكان ذلك مقترنا بوصول التماسات المسلمين بالقفقاز وتظلماتهم المتعاقبة من ظلم الروس الى البلاط الايرانى ، وأخذت أذهان الناس وعلماء الدين تتهيأ رويدا رويدا الى تجديد الجهاد فى الحرب ، لكن عباس ميرزا صاحب التجارب بالحروب فى دورها الأول لم يكن ميالا الى هذه الخطوة .

وكان الروس اتفاقا يتحاشون تهيئة ذريعة لايران لتجديد الحرب بسبب موت الكساندر الأول وما يشاهدونه من جلبة وحماس عند الايرانيين ، لهذا أرسلوا سفيرا الى طهران لنفس النية لحل الخلافات ، وسير عباس ميرزا أيضا مبعوثا لنفس الأمر الى تفليس لدى يرملوف وذهب هو بنفسه الى طالش وقابل بها يرملوف ، وانتهت هذه الخلافات حول هذه الحدود بالصلح الى حد ما .

لكن اقدام عباس ميرزا هذا لم يرض خانات طالش ولا العلماء المتحمسين للجهاد ، واتهم عباس ميرزا بمصانعة روسيا وامتناعه عن تنفيذ أمر الجهاد ، وتحركت جموع من العراق العربى واصفهان وطهران صوب آذربايجان للجهاد ، وكان قيامها مصادفا لقدوم سفير روسيا الى السلطانية لانهاء خلافات حدود طالش وموغان لصالح ايران فى مأمورية خاصة .

ولم يسمح فتح على شاه لهذا السفير بمقابلته متأثرا بتحريض أصحاب الاغراض ضد سفير روسيا وكان من أمراء الأسرة الحاكمة

المحترمين ، فعاد الى بلاده بدون أن يسمح له بالكلام ، وكان هذا التصرف بمنزلة اعلان الحرب وبداية الدور الثانى للحروب بين ايران وروسيا .

فتوحات جيش ايران : ـــ

جعل فتح على من عباس ميرزا مع أنه لم يكن مائلا الى الحرب جدا قائدا عاما للجيش المأمور بقتال الروس ، وأصدر كذلك أوامره الى الخانات المحليين ورؤساء المسلمين الذين تستعمر بلادهم روسيا بمعاونة عباس من كل ناحية .

ونجح الجيش الايرانى فى المرحلة الأولى فى تحقيق انتصارات سريعة بسبب أن الروس كانوا فى الحقيقة غافلين عن الحرب لم يتأهبوا لها فضلا عن معاونة مسلمى الولايات المضيعة ، بمعنى أن أملاك روسيا من النواحى الثلاثة فيما وراء القفقاز صارت هدفا للهجوم : من ناحية ايروان وبحيرة كوكشته ، ومن ناحية قراباغ والجزء الأوسط ثم من ناحية طالش . وفى جبهة طالش الأخيرة طرد حسن خان الطالشى الروس عن طالش وموغان بمؤازرة الجنود الذين أمده بهم عباس ميرزا ، وفى التاسع من المحرم (١٢٤٢هـ) أخذ ميناء لنكران ثم ساليان . وثار أهل باكو أيضا على اثر هذه الفتوحات على الروس فطردوهم منها وسلك اهل شكى وشروان نفس الطريق أيضا . وفى داغستان بدورها قتل مسلموها عامة الروس بها ، وفى هذه الناحية استعاد جنود ايران كافة الأراضى الضائعة .

وفى جبهة ايروان أصاب حسين خان وأخوه حسن خان أحد قادة الروس المشاهير بهزيمة شديدة ، وأغار حسين خان بعون الكساندر ميرزا ابن آخر ملك كرجى على جميع الأراضى الواقعة بين ايروان وتفليس ، واستولى على كنجة أيضا محمد ميرزا ولد ولى العهد ومعه أمير خان وهرب الروس منها الى الشمال .

وفى جبهة قرا باغ كانت قيادة الجيش لعباس ميرزا ، ولما أن فتح على أصر على أن يتقدم جيش ايران من هذه الناحية ويصل الى تفليس بعد الاستيلاء على قلعة شوشى الحصينة فقد أرسل الصدر الأعظم الجديد الله يار خان آصف الدولة ولد ميرزا محمد خان قاجار دولو بخمسة عشر ألف فارس عراقى الى قراباغ لعون عباس ميرزا • وأنزل عباس ميرزا بالقرب من شوشى بمددوف حاكم قراباغ هزيمة ساحقة وألقى حصاره على قلعة شوشى •

وطال حصار شوشى واغتنم الروس الفرصة ليعززوا جيشهم فى تفليس ، وكان من حسن طالعهم هذه الأيام أن انتهت معاركهم مع العثمانيين وعين أحد قادة الروس المعروفين وهو باسكيفتش (Paskiewitch) الذى حصل أثناء تلك المعارك تجارب كثيرة وحاز فيها انتصارات باهرة فى منصب القيادة العامة لجيش روسيا فى القفقاز •

حرب شمكور فى صفر (١٢٤٢هـ) :

انسحب الجنرال مددوف بعد هزيمته فى شوشى بما بقى من قواته الى شمال كنجة وبعد ضمه أمداد من تفليس هاجم كنجة وكانت مدفعيته قوية فدخل فى شمكور بالقرب من كنجة فى حرب مع أمير خان ومحمد ميرزا • وأبدى أمير خان مقاومة دامت حتى قتله لكن محمد ميرزا آثر الفرار فأسر الا أن أحد رؤساء شاهسون أنقذه وأوصله حتى ضفاف نهر أرس • وأخلى حاكم قلعة كنجة هذه المدينة المحكمة خوفا فتركها مسلموها الشجعان الذين قاتلوا الروس لأجل ايران حتى هذا الحد اشفاقا وعبروا نهر أرس فاستولى مددوف على المدينة •

حرب كنجة فى الثالث والعشرين من ربيع الأول (١٢٤٢هـ) :

ولما وصل خبر قتل أمير خان وهزيمة محمد ميرزا ترك نائب السلطنة بعض جنوده لحصار شوشى واتجه صوب كنجة على رأس ثلاثين ألفا لكنه

قبل أن يبلغها كان باسكيفنتش قد وصلها وحصن جميع المواقع الهامة بها .

وفى وصول جنود ايران كنجة لم يكن باسكيفنتش بأى حال مستعدا لبدء الهجوم ، مما حمل عباس ميرزا امطار مواقع الجيش الروسى بوابل الرصاص على اصدار الأمر بالهجوم وكان على وشك أن يصير النصر نصيب الجيش الايرانى ، الا انه لسوء الحظ لم يتقدم الجزء الأعظم من جيش عباس ميرزا خطورة واحدة لا سيما وأن آصف الدولة قاجار ماطل فى ايصال مدده لولى العهد ، فحدث هرج ومرج فى صفوف الجيش ، على نحو أن محمد ميرزا وغيره من الأمراء لم يفهموا جيدا رسالة نائب السلطنة لهم ألا يتحولوا عن المعركة الا بناء على أمر ولى العهد ولو أصيبوا بالقتل ، فهربوا جميعهم ومعهم جنودهم نحو نهر أرس ، وفشل عباس ميرزا رغم محاولاته العديدة أن يصدهم عن تحركهم الذى لا أساس ولا سبب له ، فاضطر هو نفسه الى التراجع الى أصلاندوز ، ونال باسكيفنتش هذا الفتح الهام بتلك السهولة ، ونتج عن ذلك أن انتصارات الجيش الايرانى الهامة التى أصابها فى الأسابيع الثلاثة الأولى لم تعد بذى بال .

لم يتكبد الجيش الايرانى فى حرب كنجة التى دارت رحاها بالقرب من مقبرة الشاعر المشهور نظامى الكنجوى فى الثالث والعشرين من ربيع الأول (١٢٤٢هـ) خسائر جسيمة لأن مجموعها لم يتجاوز الألف والخمسمائة قتيل ، الا أنها أثرت مقابل ذلك فى معنوياته تأثيرا شديد السوء الى حد أنه لم يتيسر رباطه الجأس وتولد روح الجسارة فيهم ، ويمكن استخلاص الأسباب التى بعثت أكثر من غيرها على خراب أمر الجيش الايرانى فى هذا الوقت على النحو التالى :

١ — عجز عباس ميرزا فى ادارة الجيش وتوحيده القيادة وحفظه النظام مع أنه كان رجلا فى نفسه شجاعا جادا .

٢ — تنافس الأمراء القاجاريين أحدهم مع الآخر وعصيان غالبهم

ولي العهد واستقلال كل منهم بالقيادة .

٣ ــ عجز الاستعدادات المادية وقلة مصانع السلاح الى حد أن الرصاص المطلوب لصنع طلقاته لم يكن موجودا في تبريز بأسرها ، ولم تزد ذخيرته عن ألفي رصاصة فضلا عن نقصه للمهام الأخرى .

٤ ــ عدم وجود المال الكافي لدفع الرواتب والأرزاق للجنود الذين تجمعوا في آذربايجان ولم يكن فتح على المشهور بعبادته للمال مستعدا لأن يرسل من طهران مالا لآذربايجان وكان يقول أن ولي العهد يجب أن يدفع كافة نفقاتهم من أموال آذربايجان .

وضمن هذه المشاكل أن الروس استعادوا كل النواحي السابقة على سواحل بحر الخزر وتقدموا حتى طالش وموغان ، وطلب عباس ميرزا من باسكيفتش الصلح ولكنه كان يعلم أن القائد الروسي اشترط لهذا الأمر التخلي عن ايروان ونخجوان فاضطر الى متابعة الحرب باعداد قوات جديدة وقام بازالة نقط الضعف ما أمكنه ذلك .

وكانت خطة باسكيفتش هذه المرة أن يهاجم عن طريق أردبيل ووسط أرس قلب آذربايجان وبالاستيلاء على تبريز يجبر ايران على قبول شروطه ، لهذا وجه أغلب قواته الى جسر (خدا آفرين) عن طريق شوشتي ، وحدث في هذه النقطة الحرب الأولى للصدام بين جنود عباس ميرزا وباسكيفتش هذه المرة .

وأجبر الجيش الايراني الروس مع عبورهم نهر أرس بقيادة ملادوف نتيجة لهزيمة شديدة على التقهقر الى قراباغ ، وفي ايروان بهم هزيمة أخرى . واضطر باسكيفتش على اثر هاتين الهزيمتين أن يتحرك بنفسه من تفليس الى ايروان ، لكنه فشل رغم مساعيه في الاستيلاء عليها أمام بلاء حسن خان الحسن وأخيه العجوز حسين خان فعاد الى تفليس .

وفى السنة التالية أى فى الســـادس والعشرين مـــن ذى الحجـــة (١٢٤٣هـ) اتجه باسكيفتش بقوات عظيمة الى نخجوان وللاستيلاء على قلعة عباس آباد على ساحل أرس الشمالى • فأرسل ولى العهد حسن خان وآصف الدولة اليها ، وألحق حسن حسن خان نتيجة هجومه عـــلى الروس بهم خسائر كثيرة ، لكن آصــف الدولة لم يثبــت كما ينبغـــى فاستولى الروس على عباس آباد ، واتجه باسكيفتش منها الى خوى •

وبعد انتصار باسكيفتش فى عباس آباد ، بالغ فى شروطه • بشأن الصلح مع ايران حتى أنه اجاب على طلب عباس ميرزا الصلح أنـــه اذا كانت ايران مستعدة لأن تسلم روسيا سائر ولايات جنوب أرس وسبعمائة ألف تومان غرامة فانه من الممكن قبول الصلح • ولما لم يقبل عباس ميرزا بدأت الحرب من جـــديد •

وهاجم هذه المرة عباس ميرزا وحسن خان الجيش الروسى فى الجزء الواقع بين قرا باغ وطالش وبعد هزيمتهم فى هـــذه المنطقة تقدمـــا الى ايروان واتشميازين •

هزيمـــة ايـــران :ـــ

فى غرة شوال (١٢٤٤هـ) ألقى باسكيفتش حصاره على قلعة سردار آباد من قلاع ايروان ومما بناه حسين خان السردار ، وبعـــد مدة مـــن اطلاق النار عليها استولى عليها بحملة واحدة وبعد هذا على اثر حـــرب شديدة استولى كذلك على اتشميازين وايروان ، وقد حطم الاســـتيلاء على هذه النقاط الثلاثة الحصينة خط مقاومة الجيش الايرانى فى الطرف الغربى تماما ، وبعد فتح عباس آباد لم يعد هناك حائل آخر دون ضـــم آذربايجان من ناحية الشمال الغربى ، ولهذا فقد انقلب الجيش الروسى صوب خوى ومرند وتبريز وانسحب عباس ميرزا الى تبريز لانقاذها •

وكان الحفاظ على تبريز فى تلك الآونة موكولا من طرف الشاه الى

آصف الدولة ، وبدلا من أن يبذل هذا الرجل الجبان الضعيف النفس الذى كان سبب بعض فشل غزو عباس ميرزا مقاومة اختفى خوفا فى منزل أحد الرعايا فدخل قائد جزء من الجيش الروسى تبريز بدعوة بعض أهلها ، فاستحوذ على كافة الذخائر والمهمات الأميرية • وسعى عباس ميرزا فى مرة أخرى أن يسد الطريق أمام تقدم باسكيفتش الى تركمانتشاى ودهخوارقان وديلمقان ، لكنه هزم فى هذه النقاط الثلاثة أيضا • فاضطر الى أرسال أحد خاصته الى باسكيفتش يطلب اليه مقابلته •

معاهدات تركمانتشاى فى الخامس من شعبان (١٢٤٣هـ) :ـ

بعد أن أطلع رسول عباس ميرزا باسكيفتش طلب ولى العهد ترك الحرب ، أوكل القائد الروسى هذا الامر الى الشروط الآتية :

١ ـ تتخلى ايران عن ايروان ونخجوان وأردوباد التى تستولى عليها روسيا اليها ويكون نهر أرس الحد بين الدولتين •

٢ ـ يخلى الجيش الايرانى طالش وموغان التى تؤول الى روسيا بموجب معاهدة كلستان •

٣ ـ تدفع ايروان عشرة ملايين تومان ذهبا الى روسيا غرامة حرب •

٤ ـ بعد تنفيذ الصلح يبعث بنائب السلطنة وولده محمد ميرزا من طرف ايران الى عاصمة روسيا لكى يعتذر رسميا لنقض معاهدة كلستان•

وقبل عباس ميرزا هذه الشروط وأوقف الحرب وذهب الى دهخوارقان للقاء باسكيفتش وكان عباس يصر على فتح على بعقد الصلح وارسال مبعوث رسمى بسبب أن القائد الروسى كان يهدد فى كل يوم بعد أن تقدمت جيوشه حتى قافلان كوه أنه سوف يتوجه الى طهران اذا رفضت شروطه وبعد تردد كبير أرسل أخيرا الشاه وزير الخارجية حاجى ميرزا أبا الحسن خان الى آذربايجان ومعه خطاب اعتماد وأرسل الى

عباس أن يصر ما أمكنه على تخفيض مبلغ غرامة الحرب حتى ينقصها الى مليونين ونصف مليون •

وبعد مفاوضات طويلة بين باسكيفتش وعباس ميرزا خفض فى النهاية القائد الروسى مليونين ونصف مليون من المبلغ المقترح وقرر أن يذكر أن معدل الخسارة سبعة ملايين ونصف مليون ، وكان الأمر على وشك أن ينتهى بالصلح لولا ظهور أحداث فى طهران تطلبت أسبابها ضرورة تأخيرها ، وتوضيح ذلك أن الشاه طوال مدة حروب الروس وايران لم يسمح لابنه الرشيد الكفء حسين على ميرزا شجاع السلطنة والى خراسان بسبب التنافس القائم بينه وبين عباس ميرزا بالتدخل فى الأمور ولم يستفد من وجوده بآذربايجان بأى شكل •

وحينما بلغت أنباء هزائم عباس ميرزا الى خراسان ، تقدم شجاع السلطنة — ومعه مجموعة من جنوده بأعلام سوداء الى طهران ، وقصد آذربايجان على أنه مأمور من جانب الامام الرضا بطرد الروس • وكان الشاه ساخطا على دفع الغرامة الى الروس واغتنم حركة شجاع السلطنة وسيره الى قزوين لارهاب الروس كما كان يعتقد •

ولما سمع باسكيفتش هذا النبأ حنق الى حد أنه قطع مفاوضاته مع عباس ميرزا وقال له اذا لم يتحدد أمر الصلح فى ظرف خمسة أيام فسوف يأتى تبريز ويتهيأ بجيشه للمسير الى طهران • فأرسل عباس رسولا الى طهران على جناح السرعة وحذر الشاه وخامة العاقبة فأرسل الشاه مجبرا ثلاثة ملايين ذهبا الى عباس قدمها الى باسكفيتش فى مقابلة أخرى معه بقرية تركمانتشاى ، وعقدت معاهدات تركمانتشاى — التى استمرت مفاوضاتها واعداد بنودها من أواسط جمادى الأولى (١٢٤٢هـ) حتى أوائل شعبان (١٢٤٣هـ) — فى الخامس من شعبان من السنة الأخيرة ووقعها عن ايران حاج ميرزا أبو الحسن خان وزير الخارجية والله يار

خان آصف الدولة الذى كان يعيش فى معسكر باسكيفتش من حين أن فتح الروس تبريز أسـيرا •

وتشمل المعاهدات التى أبرمت فى تركمانتشاى معاهدتين سياسـية وتجارية ولكل منهما ملحق كذلك • وهذه المعاهدات أهـم معـاهدات فى تاريخ ايران بينها وبين دولة خارجية قبل ثورة ايران ونهضتها الأخيرة ، لأنها فضلا عن اشتمالها على شروط وحدود صارت أساسـا للمعـاملات السياسية والاقتصادية بين ايران وأكبر جاراتها أضحت نموذجا لكافـة الدولة الخارجية الأخرى التى عقدت بعد ذلك مع ايران معاهدات مثـل هذا القبيل ، لا سيما القسم المتعلق منها بحق نفوذ قناصل روسـيا فى ايران (الامتيازات الأجنبية) الذى صار بالتدريج موضع التصويب من طرف ايران فى شأن قناصل كافة الدول الأجنبية أيضا ، وظـل لفـترة الأساس الذى يقوم عليه اجراء النفوذ السياسى للموظفين الأجانب فى بلادنـا •

وكانت الشروط الهامة لمعاهدات تركمانتشاى كالتالى :

١ ــ بموجب المادة (٤) للمعاهدة السياسية فقدت ايران فضـلا عن الولايات التى تخلت عنها لروسيا بمعاهدة كلستان ايروان ونخجوان واردوباد أيضا وتحددت خطوط الحدود الحالية وهى مـن قلعة أرارات حتى مصب نهر أستارا •

٢ ــ وبناء على المادة (٦) من نفس المعاهدة تعهدت ايران بدفـع خمسة ملايين تومان نقدا ذهبا غرامة حربية •

٣ ــ أكدت المادة (٧) ولاية عهد عباس ميرزا وتعهد روسيا بابلاغه العـرش •

٤ ــ بموجب المادة (٨) حرمت ايران من حق الملاحة فى بحر الخزر •

٥ ــ وبناء على المادة (١٠) نالت روسيا اذنا بارسال قنصل أو موظف

تجارى فى كل نقطة تراها صالحة لذلك على ألا يتجاوز عـدد بعثتـه عن عشـرة أشـخاص •

٦ — وبموجب المادة (١٣) تعهد الطرفان تبادل الأسرى فى ظـرف أربعة أشهر وفى حالة عدم حدوث التبادل وانقضت هذه المدة ، يحق لكل طرف أن يطالب باطلاق سراح أسراه ويضم كل طرف برعاياه الأسرى اليـه حيثما وجـدهم •

٧ — وبموجب المادة (١٥) تعهد فتح على شاه بالعفو عن خـانات آذربايجان الذين أظهروا عصيان ايـران •

ويتعلق ملحقا معاهدات تركمانشاى بكيفية دفع غرامة الحرب وكافة الحقوق التى كانت للروس فى حالة تأخر ايران عن دفـع أقسـاطها فى موعدها ، فضلا عن ذكر تفصيلات نظام استقبال السفير فوق العـادة الذى تقرر أن يأتى من طرف روسيا الى ايران بعد عقد المعاهدة •

وأجبرت ايران وفق المعاهدة التجارية لتركمانتشاى على أن تعطى التجار الروس نفس الحق الممنوح لرعايا الدول ذات العلاقات الوديـة الكاملة بايران وأن تكتفى بتحصيل رسوم جمركية بنسبة خمسة فى المائة من قيمتها عن البضائع الروسية ، علاوة على أنه يسمح للرعـايا الروس الذين يودون الاقامة بايران بشراء المنازل والمحـلات والمخـازن اذا أرادو التجارة وغير ذلك •

قتـل كريبايدف فى (١٢٤٤هـ) : —

لما اقتضت معاهدة تركمانتشاى من الدولتين ارسـال سـفير فوق العادة كل الى بلاط الأخرى أرسلت روسيا الى تبريز وطـهران لهـذا المنصـب (كريبـايدف) (Griebaidev) ابن أخت باسكيفتش وكان أحد الشـعراء والكتاب الشـبان الروس وقدم كريبـايدف وكان ذا أصل ونسب عاليين ولذا اتصف بشديد الغرور والأنانيـة الى تبريز

ومعه زوجه الحبيبة ابنة خان ايروان ، ولما تركها بتبريز اتجه الى طهران • ولما أتى طهران ، وكان كل فكره فى زوجته بتبريز ويود انهاء مأموريتـه سريعا ، لم يهتم كثيرا بسبب شـدة انشـغال عقله بالمفاوضات بشـأن فرعيات تنفيذ معاهدة الصلح ، والتف حوله أيضا فى طهران جمـاعة من الأرمن والكرجيين المغرضـين • وكان منهم آغا يعقـوب من خصـيان الشاه الذى جعل نفسه أحد الرعايا الروس لكى يتهرب من دفع بقـايا ضرائب عليه ولاذ بكريبايدف ، وحرضه على طلب اطلاق سراح جمـاعة من الأسرى القدامى والجند الكرجـيين وكانوا فى خـدمة شـاه ايران بموجب معاهدة الصلح ، وحدد من بين القابلين الجنسية الروسية احدى زوجات الشاه وزوجه الله يارخان آصف الدولة الصدر الأعظم •

وأرسل كريبايدف جماعة من الأرمن والكرجيين يتقدمهم آغا يعقوب الى منازل رجال ايران وحقق مع النسوة الكرجيات لكى يعرف من منهن تريد الجنسية الروسية وحمل جماعة منهن من بينهن زوجة آصف الدولة الى السفارة الروسية • فتظلم آصف الدولة لدى علماء طهران وثارت فتنة غريبة • ولما حرض آغا يعقوب الموظفين المسلحين فى السـفارة الروسية على اطلاق النار على الايرانيين وقتل منهم ثلاثـة ، انصـب الناس أيضا بفتوى من ميرزا مسيح المجتهد على سفارة الروس فقتلوا كريبا يدف وثمانين من أتباعه •

وقد أصاب حدوث هذه الواقعة الهائلة الشاه بالاضطراب الشـديد كما طالب عباس ميرزا لما حدث لأنه لم يأنس فى نفسه القدرة على حرب روسيا ورأى مقام سلطنته القادمة التى ضمنتها روسيا تتزلزل ، لهذا مع أنه كان المقرر أن يتوجه عباس الى بطرسبرج ليقدم اعتذاره الا أنه سير بعجلة ابنه خسرو ميرزا ومعه محمد خان الأمير العسكرى وسكرتيره (كاتبه) ميرزا تقى الفراهانى الذى بلغ رتبة الأمير العسكرى بعد ذلك الى العاصمة الروسية ، وفى هذه المأمورية بذل عباس ميرزا الذى لم يكن

يفكر فى غير احكام أساس سلطنته القادمة ذروة ضـعف النفس وكـان غرضه فى الحقيقة فى الأغلب من ارسال خسرو ميرزا التوسل بباسكيفتش والاستنارة برأيه فيما هو الصالح له ، حتى انه أذاع امام اخوته المطالبين بالسلطنة انهم لو ثاروا عليه فلسوف يلوذ بباسكيفتش ويطلب امداده •

واتفق أن كانت روسيا فى تلك الأيام مرتهنة بالحرب مع العثمانيين وثورات البالقان وقضية استقلال اليونان وهجوم ابراهيم باشا ابـن محمد باشا فلم يكن فيها ولا فى القفقاز جيش واحد •

لهذا السبب وأخذا بشهادة سكرتير السفارة الروسية بطهران الذى كان قد هرب الى تفليس أثناء ثورة الشعب وأقر بخطأ كريبايدف ، رأى باسكيفتش صلاح أمره فى المسالمة ، لكنه خشية أن تهاجم ايران فى هـذا الظرف الخطير القفقاز بتشجيع من انجلترا والعثمانيين أفاد من ضعف نفس عباس ميرزا فهدده بالاستيلاء على ولايتى خـوى وتبريز وعـدم اعادتها ثانية الى ايران لو فكر فى مهاجمة القفقاز ، وحدد أن صـلاح عباس ميرزا هو أن يتقدم معتذرا على الفور لامبراطور روسيا ويرسل ابنه لهذا الاعتذار الى العاصمة الروسية •

ووافى خسرو ميرزا ورفاقه بناء على أمر عباس ميرزا بطرسبرج ونجحوا فى مهمتهم مع أن الخوف على حياتهم كان قائما • وقد شهد سفير انجلترا ببراءة ساحة ايران أيضا ، وقد استقبل امبراطور روسيا خسرو وميرزا باحترام تام بسبب قلقه البالغ على مشاكل البالقان ، حتى أنه تسامح لأجل خسرو فى أداء خمسمائة ألف ترمان من بين المليون التى كانت ايران لا تزال مدينة بها لروسيا وهى القسط الأخير من الغرامة الحربية ولـم يطلب غير أن يبعد الشاه ميرزا مسيح المجتهد عن طهران • وعاد خسرو ميرزا من العاصمة الروسية بعد ثلاثة أشهر الى طهران ، وأرسل الشاه مع عدم قبول شعب طهران ميرزا مسيح الى مشهد وخمدت الفتنة بهذا النحـو •

مأمورية نائـــب السلطنة الى خراسان ويزد وكرمان :

ولما اطمأن فتح على شاه من جانب روسيا استدعى ولى العهـــــد وخسرو ميرزا وبعد ارضائهم أمر ولى العهد بدفع المتمردين فى خمسة ، وقصد هو نفسه الى فارس لكى يدخل ابنا له آخر هو حسين على ميرزا الفرمان فرمان (الآمر) ـــ الذى انقضت فترة وهو رافض أن يدفـــع الضرائب الديوانية وطاعة الدولة ـــ طاعته • وسرعان ما أطاع الابن فعاد الشاه عن طريق خوزستان ولرستان وهمدان الى طهران •

وفى هذا الوقت وصلت الشاه أنباء أن أحد ذوى النفوذ بيزد واسمه عبد الرضا خان قد رفع علم الثورة وأن حسن على ميرزا شجاع السلطنة والى خراسان والابن الآخر للشاه وطالب ولاية العهد لا يبذل فى القضاء على فتنته ما ينبغى ، فضلا عن أن بلاد خراسان أثناء مشاكل الشاه وولى العهد فى حروب الروس قد صـــارت بفعل عصـــيان الخانـــات المحليين واغارات التركمان والأفغان ميدانا لاستيلاء الثوار من أولها لآخرها •

واستدعى الشاه ولى العهد من آذربايجان لصد المتمردين واقـــرار الأمور فى القسم الشرقى لايران وتحرك نائب السلطنة فى عام (١٢٤٦هـ) وبرفقته ابناؤه محمد ميرزا وخسرو وميرزا وبهمن ميرزا ووزيره مـــيرزا أبو القاسم القائم الثانى من طهران مبتدئا عن طريق قم صوب يـــزد ، وفى (١٢٤٧هـ) أخذ يزد من عبد الرضا خان وقبض عليـــه ، فلمـــا فـــر شجاع السلطنة أمام أخيه الى كرمان تعقبه نائب السلطنة الى تلك المدينة وأرسله بعد أن أمسك به الى أبيه بطهران فظل حتى آخر سلطنة فتـــح على شاه تحت المراقبة فى طهران ولم يعهد اليه بمهمة بعد ذلك •

وأبدى غير عبد الرضا خان وشجاع السلطنة مدعون آخــــرون عصيانهم للدولة فى خراسان وكانوا دائمى التعـــرض لأمـــوال النـــاس وأرواحهم وأولهم محمد خان القرائى من خانات تربت حيدرية ثم رضا

قلى خان ايلخان أكراد قوشان وجماعة من رؤســـاء التركمان هـــول سرخس • فأرسل ولى العهد خسرو ميرزا بمدفعية عن طريق كوير لصد محمد خان القرائى والاستيلاء على قلاع قهستان وقاينات واتجه هــو عن طريق استراباد لضرب رضا قلى خان الى قوشان • وأصر أهل مشهد على الا يدخلوا ولى العهد مدينتهم ، لكنهم لما سمعوا بفتوحــات خسرو ميرزا فى قائنات وانتصارات ولى العهد فى استيلائه على قلاع رضا قلى خان دخلوا الطاعة فورد نائب السلطنة بيسر (الأرض القدسى) ، ولحق خسرو ميرزا بوالده بمشهد بعد استعادة طبس وترشيز وفرار محمد خان وانتهت فتنة هذين الثائرين على هذا النحو • ومع أن محمد خان آثــر الفرار الا أن رضا قلى خان طلب عفو ولى العهد لما لم يرفيه قدرة على الثبات فعفا عنه نائب السلطنة •

ولما كان خطر التركمان لا يزال قائما ومحمد خان لا يزال هاربــا أرسل نائب السلطنة خسرو ميرزا الى آذربايجان لكى يأتى بقوات كافية منها الى خراسان ، وكان الذى يدير فى هذه الآونة أمور آذربايجان باسم ولى العهد هو محمد خان زنكنة أمير الشرطة وكبير شيوخ آذربايجان • وأعد خسرو وزنكنة جيشا جديدا وسيراه الى خراسان ، فهاجــم نائــب السلطنة بعونهم مدينة سرخس وبعد ذبح عام فى التركمان أمنهم ودفع بهذا فتنتهم •

وكان آخر ثائر لا يزال بثورته فى خراسان هو محمد خان القرائى الذى كان يمد كلما سنحت له الفرصة المتمردين الآخرين فبعــث نائــب السلطنة بمحمد ميرزا لدفعه وأمنه محمد ميرزا وأرسله مكرما الى والده فظل يعيش بنفس هذا الوضع فى خدمة نائب السلطنة •

حصــار هراة فى (١٢٤٩هـ) :

ولما قرت أمور خراسان استدعى الشاه نائب سلطنته الى طهــران

وكان استدعاؤه الذى حدث فى ربيع عام (١٢٤٩هـ) لكى يظهر تقديره لخدماته ثم ليدفع به الى الحملة على أفغانستان والاستيلاء على هـراة ، وكان هذه الخطوة نتيجة لتحريك الروس لبلاط ايران لأن روسيا قد قام جنودها بالاستيلاء وبسط قوتهم على الأراضى فى التركستان وآسـيا المركزية ، وبدفع ايران الى غزو أفغانستان كانوا يهدفون الى توليـد الخوف فى الانجليز منافسيهم فى آسيا بتهديد أفغانستان ومعابر الهنـد التى كانت مدينة هراة مفتاحا لها هذا من ناحية • ومن ناحية أخرى صرف تفكير ايران عن آذربايجان واستعادة الولايات المفقودة • وكان الانجليز لكى يمنعوا تنفيذ خطة الروس ويسدوا تقدم الجيش الايرانى فى الشرق يسعون دائما الى توليد الثورات والمشقـات فى خراسـان ، وبتسليح الأفغان وتقويتهم • ولا يدعون يد ايران التى بعد توقيعهـا معاهـدة تركمانتشاى دخلت تحت النفوذ الروسى كاملا تنبسط على هذا الجـزء الأفغانى •

وكان قرار الشاه بارسال ولى عهده لحصار هراة فى الحـق قيامـا بمعاداة سياسة الانجليز ، فظهر عهد من مشاكل جديدة لايران أفضى فى النهاية كما سنرى فى أوائل سلطنة ناصر الدين شاه الى الحرب الرسمية بين ايران وانجلترا •

وبعد أن تلقى عباس ميرزا أوامر أبيه بمهاجمة هراة ومع أن صحته أخذت تعتل وتنحرف فقد أرسل خسرو ميرزا ومحمد ميرزا لحصارها من الناحيتين وعاد هو ومعه قائم المقام الى خراسان •

وكانت هراة وقتذاك بيد كامران ميرزا الذى يتبع اسما ايران وباطنا لم يكن لها صفاء بل كان يهاجم سيستان كلما سنحت له الفرصة • وهدد نائب السلطنة عن طريق يار محمد خان وزيره وكـان بالجيش كامـران ميرزا شديد التهديد ، وكان كامران مستعدا أن يرضى أولياء ايران بأى وسيلة يريدون ، الا أن الروس المصرين على الحرب دفعوا ولى العهـد

الى الحملة على هراة فأناب محمد ميرزا على حكم خراسان وقام بهذا الأمر بصحبة جماعة من الأمراء القاجاريين ، لكنه استدعى الى طهران فى هذا الوقت عن طريق الشاه الذى كان فى فترة نقاهة من مرضه ويخشى أن يموت فى غياب ولى العهد فتضطرب أوضاع السلطنة . فاضطر ولى العهد الى ارسال محمد ميرزا مكانه الى هراة وترك قائم المقام فى خراسان على رأس ثمانية آلاف لكى ينطلق بهم لمعاونة محاصرى هراة اذا اقتضى الأمر وتوجه هو الى طهران .

ولما رأى قائم المقام أن حصار هراة أمر صعب بعد تحرك عباس ميرزا توجه اليها وأمر كل أمير بالاستيلاء على القلاع الواقعة على الطريق الى هراة ، فوقعت المدينة تحت الحصار من أطرافها .

موت عباس ميرزا ليلة العاشر من جمادى الثانية (١٢٤٩هـ) :

ولما وصل نائب السلطنة الى قصر والده بطهران وكان عليلا ويشكو المرض من نحو عشرة أعوام وتحت علاج أحد الاطباء الانجليز طلب الى والده باصرار أن يسمح له بالعودة الى مشهد حتى يودع ثراها اذا وافاه الأجل ، فتحرك لهذا من طهران الى مشهد واشتد عليه المرض أثناء السفر ، وشاء الله أن يموت طبيبه الانجليزى أثناء عودته الى تبريز لاعداد دوائه فهد هذا الخبر من قوى ولى العهد أكثر من ذى قبل ، حتى وافته منيته بعد قليل من وصوله الى مشهد أى ليلة العاشر من جمادى الثانية (١٢٤٩هـ) ودفن فيها حين كان عمره لم يزد عن السابعة والأربعين .

وكان عباس يعد أعز أولاد فتح على الكثيرين لديه ، وكان عامة من أحسن القاجاريين لأنه ، علاوة على شجاعته ومهارته فى الأمور العسكرية ، كان ذا اهتمام يفوق اخوته بالأمور الادارية وتصريف أمور الملك ، وقام أيام حكمه لآذربايجان بتعريف الايرانيين بالحضارة الجديدة والشئون

العسكرية والمدنية الأوربية ، وفضلا عن ذلك عمل على بنـــاء المدفعيـــة والقلاع وصنع الأسلحة وانشاء مصانع عدة لنسج البطاطـــين واعداد البارود وطبع الكتب فى تبريز وخوى على أحدث نظام بعون الأوربيين ، كما أرسل عددا من الطلبة الى لندن والحرفيين الى روسيا ، وهو أول من أشاع فى ايران الطباعة بحروف الرصاص • ولا ينبغى اغفال هذا الأمر عن الانظار وهو أن الشطر الأعظم من الازدهار عهد حكم عباس ميرزا وولايته يعود الى كفاءة ووجود رجال كانوا يعملون تحت امرته من قبيل محمد خان الأمير العسكرى ومربى ميرزا تقى خان الأمير الكبير ومـــيرزا بزرك قائم المقام الأول ووالده ميرزا أبو القاسم قائم المقام الثـــانى وميرزا محمد صادق هماى المروزى كاتب (الوقائع) وميرزا محمد على المستوفى الآشتيانى وغيرهم •

ولما وصل خبر وفاة ولى العهد رأى قائم المقـــام الذى كان عـــلى وشك الاستيلاء على هراة أن الصلاح فى الصلح مع كامران خان خاصة وأن محمد ميرزا كان يخشى مع وجود أعمامه واخوته الكثيرين أن يحرم ولاية العهد ، فصالح كامران على عجل بشرط أن يرسل سنويا قدرا من الخراج الى طهران وأتى الجميع مشهدا ومنها الى طهران •

وطالب بعض من أولاد فتح على شاه مثل حسين على ميرزا قائـــد القواد وعلى ميرزا ظل السلطان وابن دولتشاه محمد حسين ميرزا حشمة الدولة بولاية العهد الى شاه أفشار ، وأسكتهم الشاه بتدابير كثيرة وأصدر فرمان ولاية العهد وحكومة آذربايجان باسم محمد ميرزا وأرسله بمنصب قائم المقـــام الى تبريز •

وممن اتهم بعدائه لمحمد ميرزا أيضا خسرو ميرزا أخوه الأكـــبر والأكثر فضلا الذى خلى معسكر آذربايجان خوفا من قائم المقام وركن الى الفرار ، ثم أخوه جهانكير ميرزا حاكم أردبيل ، فأمسك محمد ميرزا بهذين الأخوين وحبسهم بأردبيل • وخسرو مـــيرزا مؤلف كتـــاب فى

التاريخ هو (نامة خسروان) بالفارسية السهلة ، وجهانكير ميرزا بدوره صاحب كتاب آخر تاريخى اسمه (تاريخ نو) وهو تذليل لكتاب (مآثر سلطانية) تأليف عبد الرزاق الدنبلى المفتون (٢) ويشمل حوادث ما بين سنتى (١٢٤١هـ) و (١٢٦٧) •

وفاة فتح على شاه فى التاسع عشر من جمادى الآخرة (١٢٥٠هـ) :

وبعد أن سير فتح على شاه محمد ميرزا الى آذربايجان تحرك هو من طهران الى الجنوب لكى يقضى على الشائعات القائلة ان الشاه مات عقب ولى العهد فى نفس السنة ولكى يوصل بما بقى من خراج فارس الذى رفض حاكمها دفعه ، ولهذين الأمرين أتى كاشان من العاصمة على رأس ثلاثين ألف فارس وماش ، فوصل حسين على ميرزا الحاكم (الآمر) الى والده يفين فى كاشان ، لكنه بدلا من أن يسلمه كل ما بقى عليه قدم وحسب ثلاثة عشر ألف تومان فزادت هذه المسألة الشاه الذى كان مريضا مرضا أكثر مما سبق وأمر بحبسه وتوجيه موظفين ومستوفين خاصين لايصال بقية المال الى فارس ، ومع اشتداد المرض على الشاه فقد فرق جماعة من الخصيان والأعيان بصحبته على الأطراف لجمع الضرائب • وبعد يوم أو اثنين من انفصال هذه الجماعة عن اصفهان أى فى التاسع عشر من جمادى الآخرة (١٢٥٠هـ) توفى فتح على شاه فى سن الثامنة والستين فى اصفهان بعد حكم دام سبعة وثلاثين عاما ، وحمل جسده منها ليدفن بقم •

---

(١) عبد الرزاق بيك الدنبلى المتوفى فى (١٢٤٣هـ) ولد عام ١١٧٦هـ فى خوى لكنه رحل الى شيراز وتردد على محافل العلم والأدب وصار اديبا عالما. وبقى الدنبلى حتى وفاة كريم خان الزندى بشيراز وانتقل الى اصفهان من بعده وبلغ خدمة فتح على شاه فتقرب اليه والف تاريخ القاجارية وآثار خاقانى . ومن آثاره الأخرى حدائق الجنان فى سير العلماء والفضلاء المعاصرين له وقد أعاد المؤلف تنقيحه وسماه تجربة الاحرار وتسلية الأبرار وتأسى فى انشائه بتاريخ وصاف وكلستان السعدى . وكان الدنبلى شاعرا يتخلص بالمفتون فوق انه ناثر ومؤرخ .

كان فتح على شاه طوال فترة سلطنته على الدوام فى تحـــرك وانشغال بمصارعة الثوار بالداخل والأعداء بالخارج ، ومع أنه لم يكن يميل الى القتال ويفضل عليه الدعة والتلذذ الا أن أوضاع عهده ألجأته الى الحرب ، لكن الشاه قل أن حضر الحرب خاصة حروب الأجانب التى لم يأتها قط بشخصه ، اللهم الا مرة وصل فيها آذربايجان لتشـــجيع الجيش على جهاد الروس وما أن سمع بهزائم جنود ولى عهده حتى آب الى السلطانية .

ويدين أغلب الانتصارات التى صارت نصب فتح على شاه لابنائـــه الاكفاء وقواده الأقوياء منهم الذين قضوا طوال مدة سلطنته التى دامت سبعة وثلاثين عاما على الثوار الكثيرين على الحكم وحفظوا ايران تحت أمر وحكم واحد بالرغم من سياسة الأجانب العدائية وهجماتهم عليها .

وتعود شهرة فتح على شاه الخاصة فى الداخل والخارج الى حبــه للمتعة والمال وكثرة أولاده وزوجاته وأوضاع بلاطـــه وبعض أفعـــاله الساذجة البلهاء . فقد ولد لهذا الملك مدة عمره نحو ألفى ولد أبناء وبنات وأحفاد وحين مات بقى عنه سبعة وخمسون ولدا وست وأربعون ابنـــة ومائتان وستة وتسعون حفيدا من ابنائه ومائتان واثنان وتسعون حفيدا من بناته ومائة وست وخمسون امرأة كن ذات أولاد منه . وكان فتح على الشاه يقول الشعر ويتخلص بلقب (خاقان) وفترة سلطنته فتح عـــلى شاه من ناحية ازدهار الأدب الفارسى استمرار للنهضة الأدبية التى بدأت فى عصر الزنديين ، لا سيما وقد بلغ فى هذا العصر تقليد أساليب نظـــم قدماء الشعر الفرس أوجـــه ، وقد تربـــى فى أيامه طبقة من المؤرخـــين والمنشئين الذين أخرجوا النثر الفارسى عن حال الانحطاط عهد الصفويين ووضعوه فى مساره الصحيح .

سـلطنة محمود شـاه

(١٢٥٠هـ ـ ١٢٦٤ هـ)

لما بلغ خبر وفـاة فتح على محمد ميرزا ابن عباس ميرزا الذى ولى العهد من بعد أبيه جلس على عرش السلطنة فى السـادس من رجـب (١٢٥٠هـ) فى تبريز بعون ميرزا أبى القاسم الفراهانى قائم المقـام الثانى ، وتوجه فى الرابع عشر من هذا الشهر يصحبه سـفيرا انجلترا وروسيا والمدفعية وجيش كبير يترأسه لندساى من القادة الانجليز مـن آذربايجان الى طهران • وقبل بلوغه لها عزم بعض أعمامه مثل على ميرزا ظل السلطان وحسين على ميرزا فرمان فرما (الآمر) وحسن على ميرزا شجاع السلطنة خلافة أبيهم،فاستولى من بينهم ظل السلطان على العاصمة وأعلن نفسه عادلشاه وعلى شاه وسك العملة باسمه وشغل مدة أربعين يوما حتى قدوم محمد شاه بانفاق أموال الخـزانة الملكيـة والاسراف والتبذير الى أن وافى محمد شاه طهران فى التاسع عشر مـن شـعبان فاستسلم ظل السلطان وعفا عنه الشاه •

وسلك حسين على ميرزا فرمان فرما (الآمر) وأخوه شجاع السلطنة حسن على ميرزا سبيل الثورة فى شيراز وأرسل الأول أخاه للسيطرة على العراق ، ولما كان الشاه يخشى جانب أخويه جهانكير ميرزا وخسرو ميرزا كذلك ويخاف أن ينضما الى الثوار غيرهم أمر بسملهما فى أردبيل •

وحين بلغ محمد شاه طهران اختار قائم المقام الثانى لوزارتـه فأرسل بتدبير منه وقيادة لندساى ومنوتشهر خان الكرجى معتمد الدولة قوات متأهبة لدفع شجاع السلطنة فألحقت به الهزيمة بالقرب من قمشة، واستعاد معتمد الدولة شيراز من الأخوين الآمر وشـجاع السـلطنة وتمكن من أسرهما ، فسمل شجاع السلطنة وألقى فى السـجن ، ولقى الآمر حتفه فى وباء عام بطهران •

قتل قائم المقـام فى الليلة الأخيرة من صفر (١٢٥١هـ) :

ولما تغلب محمد شاه مستعينا بقائم المقام وبتدبيره عـلى أكـثر طالبى السلطية واستقر على كرسى الملك هرع على أثر أبيه فى قتله اعتماد الدولة حاجى ميرزا ابراهيم فاقتفاه فى قتله لميرزا تقى خـان الأمـير الكبير وهو قائم المقام الثانى مدبر الأمور ومؤسس اساس سلطنته ، وكان سبب ذلك فوق الاصلاحات المالية التى أقدم عليها قـائم المقـام على تنفيذها وكانت على كره من أغلب أعيان البلاط ، أنه كان متصـفا بالغرور والاستبداد بالرأى الى حد ما ولم يكن يراعى فى تصريف الأمور رأى محمد شاه الضعيف النفس العاجز .

وتألب أعداء قائم المقام مع حاجى ميرزا عباس أو حاجى ميرزا الآغاسى الذى كان يعد نفسه عارفا ومرشدا ولهذا وبسـبب سـابقة تعليمه كان اذا نفوذا على الشاه ، وعن طريقه أحنقوا الشاه على من له حقوق مسلم بها عليه وعلى أبيـه . وفى الخامس والعشرين من صـفر (١٢٥١هـ) استدعى الشاه قائم المقام من قصر (باغ لالـه زار) (١) (بجوار شارع لاله زار الحالى بطهران) وكانت وقتـذاك تقع خـارج المدينة الى قصر (باغ نكارستان) (٢) (مكان دار العلوم العالية) فحبس فيها قائم المقام من غير أن يقابل الشاه حتى الليلة الأخيرة لشـهر صفر حين مات فيها خنقا بحكم محمد شاه فى احدى غرف قصر نكارسـتان العليا ، ثم دفن جسد هذا الرجل الفاضل الفذ بجوار ضريـح (حضرة عبد العظـيم) .

وقائم المقام الثانى هو ابن ميرزا عيسى أو ميرزا بزرك قائـم المقام الأول — كما أسلفنا — ومن السادات الحسينيين بمهر آباد مـن فراهان ، وقد نصب بعد وفاة أبيه قائم المقام الأول عام (١٢٣٧هـ) فى

---

(١) أى حديقة الشقائق
(٢) أى روضـة الزينة (المعرض)

وباء تبريز وزيرا لعباسى ميرزا نائب السلطنة خلفا لوالده ، ومن عـام (١٢٤٩هـ) حين مات نائب السلطنة فى مشهد احتفظ بهـذا المنصـب فى خدمة محمد ميرزا وتزوج باحدى بنات فتح على شاه وكانت أخت عباس ميرزا الشقيق ، أو بعبارة أخرى كانت عمة محمد شـاه زوجة لقائـم المقـام .

وكان قائم المقام الثانى فضـلا عن كفـاءته وخبرته رجـلا كبـير الفضل مشق ونموذج زمانه فى حسن الخط وسلاسة الانشاء وجزالته وفن الاستيفاء والسياق ومبتكر لأسلوب جديد فى النثر الفارسى ينعـدم نظيره فى السلاسة والعذوبة والمتانة على وجه الخصوص ، وكان من يعمل تحت امرته فضلا منشئين جميعا . وقد أفضى وجـود قائم المقـام فى تبريز الى تجمع جمع كثير من أهل الفضل والانشاء بهـا والى بعـث نهضة جديدة فى انشاء النثر الفارسى (٣) .

وبعد قتل قائم المقام فوض محمد شاه وزارته الى حاجى ميرزا الآغاسى وظل هذا الرجل المشهور بالجهل والبلاهة والعجز فى الصدارة حتى نهاية سلطنة محمد شاه وكان هذا يبـدى عـن احـترام وحـب خاصين له .

غزو هـراة (١٢٥٣ ـ ١٢٥٤هـ) :

سبق القول أن جنود ايران بعد ولى العهد فى (١٢٤٩هـ) وكانوا فى

(٣) ولد قائم المقام عام (١١٩٣هـ) ، وكان استاذا فى علوم الحكمـة والادب والنظم والنثر الفارسى والعربى ومنشئاته وتآليفه نموذج فصيح للعصر القاجارى وتنهج نهج الكلستان . أما فى الشعر فكان قائم المقـام يقتفى الاسلوب الخراسانى ومع هذا فله ابتكار فيه وتجديد . ومن آثاره المعروفة المثنوى الفكاهى (جلاير نامه) على لسان احد خدمه المسمى (جلاير) والذى صار موضع تقليد الشاعر المعروف ايرج ميرزا (متوفى ١٣٠٤ ش) فى كتابه (عارف نامه) . وفى جلاير نامه ينتقد قائم المقام أوضاع الجيش والدولة بأسلوب ساخر . وكان لقائم المقام اشعار شكوى حزينة يظهر فيها واضحا آثـار الحوادث الدموية التى حدثت فى حياته .

شغل بحصار هراة بقيادة محمد ميرزا وقائم المقام الثانى رفعوا أيديهم عن متابعة الحرب فى هذه المرحلة لترتيب خلافة ولى العهد وتعزيز مقام محمد ميرزا وصالحوا كامران محمد وقنع محمد ميرزا أن يؤدى كامران خرجا سنويا الى ايران ويعد نفسه تبعا لايران .

وفى أوائل حكم محمد شاه نقض كامران العهد بل هاجم سيستان ، وكان محمد شاه لا تبرح فكره فكرة الاستيلاء على هراة وكان الروس يودون النفوذ الى هراة بسبب استعمارهم لما حول بخارى وخيوة واقترابهم الى حدود أفغانستان فكانوا يشجعون الشاه على هذا الغزو ، ولذلك لم يبد الشاه كبير اهتمام بالمستشارين والموظفين العسكريين الانجليز الذى أتوا الى العاصمة طهران وكان من بينهم هنرى راولينس (Henry Rawlinson) العالم المعروف وقارىء نقوش بيستون المسمارية ، بل سرح القواد العسكريين الانجليز الباقين الذين كانوا يعملون فى خدمته وقصد هراة فى التاسع عشر من ربيع الثانى (١٢٥٣هـ).

ولما لم تجد انجلترا التى تعهدت فى معاهدتها مع ايران ألا تتدخل فى خلافات ايران وأفغانستان نتيجة لمساعيها الى صرف الشاه عن غزو هراة قامت باثارة الأمراء الأفغان على ايران ، ومن ذلك أرسلت رسولا الى دوست محمد خان أمير كابل يدعوه الى عون كامران ميرزا . وقبل دوست محمد معاونة كامران مقترحا شروطا لذلك فلما رفضها نائب السلطنة الهندى وسعى الروس كذلك سعيا حثيثا فى اجتذاب دوست محمد وأخيه أمير قندهار كهندل خان اليهم انتهى بهذين الأخوين الى أن انحازوا الى جانب الشاه ولم يفد الانجليز بشىء من وراء مساعيهم .

وكان كامران ميرزا معاقرا للأفيون والخمر عاجزا فأقبل وزيره يار محمد خان على جمع الجند واحكام قلعة هراة وأمده مهندس المدفعية الانجليزى (بوتينجر) (Pottinger) خير امداد فى عمله هذا ، ولهذا ظل محمد شاه وقواته عشرة شهور خلف قلعة هراة عاجزين

عن تسخيرها ، أما فى شمال أفغانستان فقد نجح اللـه يار آصف الدولة فى تحقيق انتصارات هامة •

وأثناء حصار هـراة قدم السفير الانجليزى جون مكنيل (John Mcneill) الى معسكر الشاه وبعد ذهابه الى هـراة ومقابلته كامران ميرزا ويار محمد خان قرر أن ينهى الحرب بالصلح ، لكن بقدوم السفير الروسى آنذاك سيمونيتش (Simonitch) الى الشاه بدوره وتقويته بعون موظف كبير روسى طلب الشاه من السفير الانجليزى دفع غرامة مالية نظير تركه حصار هراة ، ولما يستطع السفير قبول الطلب أمر الشاه بالاستمرار فى الحصار وعاد جون مكنيل الى طهران فى أشد الحنق وهدد الشاه انه لو أقدم على السيطرة على هـراة فلسوف تعتبر انجلترا عمله هذا عملا عدائيا لها ، وبعد فترة قام الأسطول الانجليزى بالاستيلاء على جزيرة خرج لكى تمنع الشاه عن قصده •

وفى النهاية حين أدرك الشاه فى الثامن من جمادى الآخرة (١٢٥٤هـ) أنه عاجز عن الاستيلاء على هراة ولن يتحاشى العداء العلنى للانجليز رفع حصاره عن المدينة بعد تكبد خسائر فادحة وعاد الى طهـران دون أن يقرر شيئا أو يرتب أمرا مع كامران ميرزا وكان هذه الحادثة لطمة قوية لحيثية أيران فى الداخل والخارج •

حكاية آغا خان المحلاتى : —

فى عام (١٢٣٣هـ) قتل شاه خليل الله من السادات الحسينيين فى يزد بيد العصاة وكان الرئيس الروحى لبقية الاسماعيلية فى ايران والهند كما وصل بعد ذلك الى حكم كرمان ، ولكى يسترضى فتح على شاه أنصاره زوج ابنه الأكبر آغاخان احدى بناته وجعله حاكما لقم ومحلات • وظل آغاخان محترما فى بلاط القاجاريين وفوض اليه محمد شاه فى (١٢٥١هـ) حكومة كرمان • وفى (١٢٥٥هـ) آثر آغاخان الثورة لاستيائه

من مسلك حاجى ميرزا الآغاسى معه ، فلم يستطع لقاء جنود الدولة فلاذ بقلعة بم ، وأقام بعد اتيانه طهران فى (محلات) بأمر من الشاه .

وبعد فترة أتى آغاخان الى يزد متذرعا بالحج فالتف حوله فيهـا المريدون وسلك آغاخان ثانية طريق العصيان . وتوجه لقتاله هذه المـرة ولد فتح على شاه المحب للفضل بهاء الدولة بهمن ميرزا الذى كان يحكم يزد واضطر آغاخان الى التحصن بكرمان ولما غلب على أمره فيها أيضـا رحل فى (١٢٥٧هـ) الى الهند عن طريق قندهار ودخل حماية الانجـليز . وما تزال أسرته على نفس حاله بالهند تترأس الاسماعيلية بها وبايران .

خلافات ايران والعثمانيين : ـــ

التجأ فى عام (١٢٥٨هـ) محمود باشا والى السليمانية بعد عزله الى ايران ، فأرسل محمد شاه رسالة يتوسط فيها له لدى الباب العالى طالبا منه اعادته الى عمله الأول ، فلما أغفل الباب العالى قبول طلب الشـاه أمر الشاه والى كردستان بمهاجمة العثمانيين لمساعدة محمود باشـا ، فعجز الوالى عن تنفيذ مهمته ولقى الهزيمة فأصدر الشـاه أمره بجمـع قوات همدان لقتـال العثمانيين .

وخلاف هذه المسألة فقد كان يحدث دائما ما بين ايران والعثمانيين خلاف حول مشاكل الحدود وهجوم قبائل الطرفين احداها على الأخرى وسوء معاملة العثمانيين للحجاج والتجار الايرانيين فى العراق ، من ذلك وقت انشغال محمد شاه بحصار هراة أى فى عام (١٢٥٣هـ) ، جرد والى بغداد جيوشه لمهاجمة المحمرة فى مقابل البصرة لحسده ازدهار التجـارة فيها فخرب قسما هاما منها وأصاب تجارها بأضرار بالغة .

ولازالة هذه الخلافات وتحديد خط الحدود تقرر فى النهاية بوساطة سفراء انجلترا وروسيا فى طهران واستانبول تشكيل لجنـة من ممثلى الدول الأربع ، فتألفت هذه اللجنة ولكن حل مشكلات الدولتين كان صعبا

والمفاوضات طويلة الى حد أنه صعب الوصول الى نتيجة ثابتة ٠

وفى (١٢٥٨هـ) أرسل والى بغداد الجديد قواته الى كربلاء بحجـة أنها ومشاهد الشيعة المقدسة فى العراق تعصى أوامره ويتحصن بهـا كل من يريد عصيان أمره وقام بقتل أهلها فقتل بغلظة نحو ألف من أبريائها كان كلهم من الشيعة وأكثرهم رعايا لايران ٠

وحنق الشاه وكان مريضا لما سمع هذا الخبر فأصر على تحرك قواته الى العراق العربى لينتقم لهذا الفعل وحادثة المحمـرة من العثمانيين ، لكن ممثلى روسيا وانجلترا تدخلوا ثانية وتقرر تأليف لجنـة فى أرزنـة الـروم من مبعوثى الدول الأربع ٠

وكان يمثل ايران فى هذه اللجنة ميرزا تقى خان الفراهـانى الذى يخدم فى تبريز تحت امرة ميرزا محمد زنكنة الأمير العسكرى وفى بلاط ولـى العهـد ٠

ومكث ميرزا تقى خان نحو ثلاثة أعوام وبضع العـام (من ١٢٥٨ حتى ١٢٦٢هـ) فى أرضروم (أرزنـة الروم) يتفاوض مع ممـثلى الدول المجاورة لازالة الخلافات بين ايران والعثمانيين ، وكان على شفا القتـل أثناء هذه المدة أيضا نتيجة لثورة العامة وتحريك الأعداء ٠ وفى النهـاية بتاريخ السادس عشر من جمادى الثانية (١٢٦٣هـ) عقدت معاهدة ثانيـة وتبودلت بين ممثلى ايران والعثمانيين بأرضروم تشمل تسع مواد ٠

وبموجب المعاهدة الثانية لأرضروم المكملة للمعـاهدة الأولى بهـا (المنعقدة فى ١٢٣٨هـ) صرفت ايـران نظـرا عن مطالبتها بالسـليمانية والقسم الغربى لولاية زهاب ، واعترفت الدولة العثمانية ازاء هذا بحق تملك ايران لميناء المحمرة وجزيرة الخضر والساحل الأيسر لشـط العرب وحق ملاحتها فى هذه الأجزاء ، وقرر أن يتخلى العثمـانيون عن معاملتها السيئة السابقة للحجاج والتجار الايرانيين ، وأن يعامل الطرفان رعـايا الطرف الآخر وفق القواعد الدولية ٠

فتنــة ســالار فى (١٢٦٢هـ) :

كان الله يار آصف الدولة قاجار دولو الصدر الأعظم السابق لفتح على شاه وخال محمد شاه قد نصب من أوائل سلطنة محمد شــاه عــلى حكومة خراسان ، ولما كان دائم الميل الى بلوغ منصب صدارته الســابق ويتذرع دائما بأى وسيلة لهذا الأمر ساءت العلاقات ما بينه وأتباعه وبين حاجى ميرزا الآغاسى ، وكان الأخير يجهد فى اقصاء آصــف الدولــة عن البلاط بسبب استيلائه التام على عقل الشاه والاقلال من شأنه وشــأن أولاده بكل طريقــة .

وفى عام (١٢٦٢م) عصى حسن خان سالار ولد آصف الدولــة وكان ينوب عن والده فى حكم خراسان بعلة كبر سن أبيه أوامر حاجى الآغاسى يدفعه مرض محمد شاه الدائم وخراب أوضاع البلاط ، وظهر بينه وبين بلاط طهران الصراع . وارتحــل آصف الدولــة الى طهران متظــاهرا بالاصلاح ومبطنا تعزيز مكانته ومكانة أبيه والتأثير على الشــاه ، ومع أنه أخذ أمر ولاية مشهد لسالار وخراسان لابنه الثانى ، سقط من نظــر قبول الشاه لنفوذ حاجى وأجبر على السفر الى مكة والاقامة بالنجف .

أما سالار فقد بدأ بضم قلعة كلات اليه مستعينا بأكراد قوشان ثم اتجه ناحية العاصمة بالقوات التى جمعها وتقدم حتى سبزوار . فأرسل الشاه أخاه حمزة ميرزا حشمة الدولة لحكم خراسان ودفع الســالار . وأوقع حشمة الدولة الهزيمة بسالار فيما بين سبزوار وشاهرود فهــرب الى قبائل التركمان . وأراد حشمة الدولة تعقب سالار لولا أن شــبت بمشهد فتن فأتاها . وفى نفس الوقت تقدم بهمن ميرزا بهاء الدولة الذى كان له حكم آذربايجان وتمرد بتحريض آصف الدولة معتذرا واضــطر الى الهجرة الى روسيا وترك ايــران .

ظهــور مذهــب البابيــة : ــ

فى أوائل عهد سلطنة فتح على شاه قام أحد علماء الشيعة من أهل

ساحل البحرين أو الأحساء واسمه الشيخ أحمد بن زين الدين ، وكان فصيحا فاضلا لكن مفرطا مغاليا فى تشيعه ، بنشر عقائده فى أصول الدين بعد مقامه فى النجف والتى كانت تخالف عقائد علماء الشيعة الامامية السابقين ، بمعنى أنه قبل من أصول الدين الخمسة التوحيد والنبوة والامامة وأنكر العدل والمعاد (أى البعث الجسمانى) وقال ان العدل مثله مثل سائر صفات الله الثبوتية وليس من علة بأن يوضع بالاختصاص ركنا من أركان أصول الدين ، وأنكر المعاد الجسمانى لأن الجسم يفنى بعد الموت ، وكان يقول انه لا يبقى من الانسان غير مادة لطيفة ، وفى هذه الحالة لا يمكن بعث الجسم فى القيامة •

وازاء ذلك عد الشيخ أحمد الاحسائى الاعتقاد بركن آخر يسميه أتباعه الركن الرابع أمرا لازما ومن جملة أصول الدين وهذه العقيدة الاعتقاد برجل وكيل أو نائب من بين الشيعة الكاملين يكون واسطة بين سائر الشعية والامام الغائب وكان الشيخ أحمد الأحسائى يعد نفسه آنذاك شيعيا كاملا ويسمى أشياع أحمد الأحسائى بالشيخية •

وبعد الشيخ أحمد انتهت رئاسة الفرقة الشيخية أو مقام الشيعى الكامل الى أحد تلامذته وكان حاج سيد كاظم الرشتى وكان سيد هذا يعترف له بهذه المكانة من قبل الشيخية حتى سنة وفاته (١٢٥٩هـ) وكان كثرة من التلاميذ يفيدون من مجلس دروسه •

وبعد وفاة الحاج سيد الكاظم اشتعلت المنافسة بين تلميذين له بسبب خلافته وعد كل منهما هذا المنصب حقا له وهما الحاج محمد كريم خان القاجار والسيد على محمد الشيرازى • وسمى السيد على محمد نفسه الباب بدلا من لقب الشيعى الكامل والركن الرابع ، وكان غرضه من ايثار هذه الكلمة التى كانت تطلق على وكلاء الامام الغائب من زمان الغيبة الكبرى هو أن يكون وسيلة الاتصال بالامام الغائب وطريق الوصول الى هذا الفيض • وقد ظل الحاج محمد كريم على رئاسة الشيخية أصحاب الشيخ أحمد والسيد كاظم بينما قام السيد على محمد

بالتدريج بتأسيس مذهب جديد سمى البابية ٠ وكان ظهور دعوى السيد على محمد عام (١٢٦٠هـ) سنة الألف القمرية من تاريخ غيبة الامام الثانى عشر التى حدثت عام (٢٦٠هـ) فى عقيدة الشـيعة ٠

وبعد قليل من قيام السيد على محمد وسـع من نطاق دعواه فعـد نفسه الامام الغائب الذى انتظر ظهوره الشيعة طوال الألف عـام وأتى بكتاب سماه (البيان) الذى كان يعتقد زاعما أنه ناسخ للقرآن الكريم ٠

وقد أوجدت دعوة السيد على محمد أشياعا لها فى بوشهر وشيراز وبعض بلاد ايران الأخرى ، من ذلك أن منوتشهر خان معتمد الدولـة استدعى الباب لأصفهان وجعله تحت حمايته ، الا أن بعد وفاة معتمـد الدولة فى (١٢٦٣هـ) لما أخذ الباب يدعو لنفسه فى اصفهان ، سيق بأمـر من محمد شاه منها الى آذربايجان وحبس بقلعة (تشهريق) وفى شعبان (١٢٦٦هـ) كما سنرى أطلق عليه النار بناء على فتوى علماء تبريز ٠

وفاة محمد شاه ليلة السادس من شوال (١٢٦٤هـ) : ـــ

اشتد فى أواخر عام (١٢٦٤هـ) مرض النقرس على الشاه وكـان يؤلمه دائما وكان محمد شاه مريضا بأمراض أخرى ، وفى النهاية مـات ليلة السادس من شوال فى قصره الجديد فى غرب (تجريش) وهـو فى نحو الثانية والأربعين ، وقد استغرق حكمه أربعة عشر عـاما وثلاثـة شهور ٠ ولم يكن محمد شاه بوجه عام ملكا حميدا فهو معروف بضعف النفس والعجز ، وقد خرب حبه الخارق الذى كان يبديه للحاج مـيرزا الآغاسى أغلب الأمور لأن قوة نفوذ هذا الحاج بلغت ذروتها فى طـول مدة حكمه ، ولم يكن يهتم بشكوى تصله منه أو أتباعه ، بـل ان هـذا الشاه الضعيف كان معتقدا فى كرامات للحاج وكان يقابل قوله ورأيـه بالاحترام والقبول من كل جهة ٠ وكان للحاج أيضا سياسة فى التعـمير والدفاع عن المملكة ، ولهذا أنفق أكثر أموال البـلاد باسراف فى بنـاء المدافع وشق الترع ولم يثمر فعله غير اضاعة المال سدى ٠

الفصل الثامن عشر

سلطنة ناصر الدين شـاه

(١٢٦٤ ــ ١٣١٣هـ)

زادت أوضاع ايران بعد موت محمد شاه والتى ساءت بسبب عجز الشاه والحاج ميرزا الآغاسى سوءا على سوء خاصة وأن أكثر كبار البلد قد أظهروا عصيان الحاج الآغاسى لسخطهم على أفعاله وحنقهم عليـه وكانوا يترقبون سانحة للقيام عليه وطرده • فقد ركـن سالار ولـد آصف الدولة للثورة فى خراسان من ناحية ومن ناحية أخرى بعث انتشار مذهب البابية والشقاق الذى أوجده بين الناس والمشاحنات التى جـرت فى الولايات الى تزلزل الأوضاع •

ولما رأى حاجى ميرزا الآغاسى أن الوزراء وغيرهم لا ينصاعون الى أمره وانهم ينتظرون مقدم ولى العهد ليطلبوا اليه عزله عـن رئاسـة الوزراء ، بدأ فجمع عددا من الجنود فى طهران حوله حتى سمع منـه همهمة بطلب السلطنة ، لكنه فى النهاية لما رأى أنه لن يستطيع تحقيق فعل اضطر الى التحصن بـ (حضرة عبد العظيم) اشفاقا واحتمى بضريحه•

وأفضى ذيوع خبر موت محمد شاه وحركة الآغاسى لا الى انحلال الأمور عن نظامها وترتيبها فى طهران وحسب وانما الى اشتعال الفتـن والاضطرابات فى غالب الولايات أيضا ، وأخذ كل من الكبار يأخذ برأيه وفقط فى العاصمة ، وطفق الجميع يدعى أن ولى العهـد بعـد قدومـه سيعطيه الصـدارة أو رئاسـة الوزارة •

أما من أمسك بأزمة الأمور بكفاءة وخبرة بالأمور الى حد مـا فى

العاصمة حتى قـدم الشاه الجديد فقد كانت (مهد عليا) أم ولى العهد وأدارت دفة الأمور بعون قلى ميرزا الذى لقب باعتضاد الدولة بعد ذلك وكانت له وزارتها بعد مفاوضات مع ممثلى روسيا وانجلترا السياسيين • واستدعى ولى عهد الدولة ناصر الدين ميرزا وكان يومذاك لا يزيد عـن السادسة عشرة ويقيم بتبريز من طرف مهد عليا وممثلى روسيا وانجلترا الى طهران •

وكانت ادارة أمور آذربايجان العسكرية كما قلنا سابقا فى ذاك الوقت بيد محمد خان زنكنة الأمير العسكرى وكاتبه ميرزا تقى خان الفراهانى الوزير العسكرى ، فلما كان تحرك الشاه الجديد الى طهران وقد اقترن به اشتعال الاضطرابات بالعاصمة وفى الطرق لا يمكن بغير قوات كافية فقد تكفل الأمير العسكرى بالأمر فبذل أقصى كفاءته وتدبـيره فى هـذا الشأن • ولما لقى هذا الأمير بين ذلك حتفه ، منح ناصر الدين شاه لقبه لميرزا تقى خان وأوصل الأمير العسكرى الجديد الشاه الذى سـبق أن جلس مكان أبيه فى تبريز فى الرابع عشر من شوال (١٢٦٤هـ) الى طهران العاصمة ، ولقب الشاه قبل دخوله لها ميرزا تقى خان الأمير العسكرى بلقب الأتابك الأعظم واختاره لرئاسة الوزارة فبدل هذا الاختيار آمال كثير من الطامحين الى هذا المنصب الى يأس فأخذوا من هذا الوقت فى معاداة تقى خان وتحطيم أمره وكان أكبر هذه الجماعة ميرزا آغا خـان النورى وزير الجيش الذى سبق أن نفاه الحاج الآغاسى الى كاشـان وقدم الى طهران بعد احتمائه بضريح عبد العظيم ودخل المدينة تحفـه مظاهر الاحترام تحت حماية السفير الانجليزى ويبدو أن الانجليز كانوا يخططون لابلاغه الصدارة رغم أنف تقى خان الذى ظنوا أنه يميـل الى السياسة الروسية • وأمر ناصر الدين شاه آغا خان بالعودة من حيـث أتى لأنه دخل طهران بدون اذنه ، لكنه بقى بالعاصمة بوساطة الانجليز وتقرر أن يمارس عمله السابق تحت امرة تقى خان •

القضاء على فتنة سالار فى (١٢٦٦ هـ) : ـ

بعد أن فر حسن خان سالار الى التركمان ، ظهر عن حمزة ميرزا حشمة الدولة وأتباعه على غير ما يجب عجز وتقصير فنهبوا أموال الناس وأرتكبوا فيهم أفعالا مرذولة فأخذ محمد خان أخو سالار وكان متحصنا بمشهد مع جماعة من رفاقه يؤلب الناس ضد حشمة الدولة الى أن انحاز أهل هذه المدينة الى سالار وثاروا مؤيدين له ، واتجه سالا بدوره بمعونة التركمان نحو المدينة فأنزلوا بجند حشمة الدولة الهزيمة وحاصروه بهـا الى وقت شيوع نبـأ وفاة محمد شاه •

وفى تلك الأنباء هاجم مدينة جام يار محمد خان الأفغانى الوزيـر السابق لكامران ميرزا حاكم هراة الذى سبق أن قتل أميره فى (١٢٥٦هـ) واستقل بها وألقى فى روع حشمة الدولة وسالار كليهما أنه قادم لعـون كل منهما ، فلما بلغ مشهد انحاز الى حشمة الدولة وأنجاه من الحصار ، لكنه لم يستطع التغلب على سالار بسبب نقص المؤونـة فانسحـب الى هراة وجد سالار فى اثره حتى جام وصارت خراسان فى حالة عجيبة من الهرج والفوضى •

ولكى يقضى الأمير الكبير على فتنة سالار ويقر أمور خراسان أمر أخا حشمة الدولة سلطان مراد ميرزا بالتوجه من طهران ومعه مدفعيته وسبعة آلاف من المشاة الى خراسان فغلب سلطان حشمة الدولة عـلى مقربة من جوين ، وبعد أن ضم اليه سبزوار وترشيز ونيشابور استدعى حشمة الدولة وكان يعيش فى حوالى هراة فى حماية يار محمد خـان ، وأرسله الى طهران بأمر من الأمير وولى هو خراسان •

وبقى سلطان مراد كل عام (١٢٦٥هـ) يحاصر مشهد ويحارب أتباع سالار وكان الأمير يمده من طهران دائمـا الى أن ضـاق الأمر عـلى المحاصرين أوائل عام (١٢٦٦هـ) ودخل سلطان مراد مشهد ، فاحـتمى سالار وأخواه وولداه بضريح الرضا وخطب الى سلطان عفوه ، لكن هذا الأمير وقد شهر بغلظته وشـدته أورد سـالار ومن معه ليـلة الاثنين

السادس عشر من جمادى الآخرة (١٢٦٦هـ) مورد التلف وانتهت بهـذا فتن خراسان ولقب سلطان مراد ميرزا بلقب حسـام السـلطنة

ثورة البابيـة : ـ

أثناء حبس السيد على محمد بشيراز واقامته باصـفهان دعا مـن اعتنقوا مذهبه الناس فى غالب ولايات ايران الى هـذا الدين الجـديد وساروا فى تبليغه والدعوة اليه وارتفع أمرهم خاصة فى يزد وخراسان ومازندران وزنجان ، وكان علماء الدين والحكام يتعقبونهم بشدة فانتهى الأمر بينهم بالتدريج الى التنازع والفتن والقتل وبدلا من أن ينتهى ذلك الى القضاء عليهم كان يؤدى على النقيض الى توليد المصاعب ومضاعفة تعصب البابية فى نشرهم دينهم الجديد وفى تفانيهم فيه ، وكانت هـذه الطائفة تعد الأمير الكبير مسئولا عن عدم تقدم أمرهم ، لذا تآمرت على قتله فانكشفت مؤامرتهم ولقى المتآمرون عذابا شـديدا .

وأرسل الأمير الكبير جنودا من الخاصة للقضاء على البابية بعد أن صاروا مبعث اختلال الأمن فى غالب الولايات ، فغلبوا وقتـلوا فى كـل مكان رؤساءهم ، لكنهم ووجهوا فى مازندران وزنجان مقاومة شـديدة منهم . وفى النهاية تمكن الأمير الكبير من هزيمـة البابيـة فى هاتـين الولايتين فى عام (١٢٦٥هـ) وكانوا مستبسلين فى الدفـاع عنهمـا ، واستصفى قلاعهم .

وبين كان القتال مستعرا مع البابية ، كان السيد على محمد سجين قلعة تشهريق بآذربايجان ، فلما قضى على مجاهدى البابية تقرر قتـل امامهم ، فأتى بالسيد على محمد من تشهريق الى تبريز ، وبعد عقـد مجلس مناظرة بينه وبين علماء تبريز قتل بالرصاص يوم الاثنين السابع والعشرين من شعبان (١٢٦٦هـ) .

ولما قتل السيد على محمد ثار الخلاف بين أتباعـه عـلى خلافتـه ، فانحازت جماعة قليلة الى ميرزا يحيى المعروف (بصبح الأزل) وتبعـت الأكثرية ميرزا حسين على بهاء اللـه وكان هذان الرجلان من أهل قرية

(نور) بمازندران وأخوين من ناحية الأب ، وعلى اتفاق فى البداية ، لكن التنافس شب بينهما بعد ذلك بقليل ، فقام اتباع بهاء الله وهم البهائيـــة بمعاداة أشياع صبح الأزل وهم الأزلية وكان الأزلية هم القلة ٠

وفى عام (١٢٦٨هـ) أى بعد قتل الأمير الكبير أطلق البابية النار فى طهران فى الثامن والعشرين من شوال على ناصر الدين شاه ، لكنهـــم أخطأوه ، وبسبب ذلك قبض على جماعة من رؤسائهم وقتلوا أشنع قتلة٠

عهد صدارة الأمير الكبير والانجازات الهامة لهذا الرجل العظيم : —

كان ميرزا تقى خان الأمير العسكرى وهو بلا شبهة من كبار رجال الدور الأخير لتاريخ ايران من أهل هزاوه أصلا وهى من قرى فراهان ، وكان أبوه (كربلائى قربان) فى بداية حاله فى خدمة ميرزا أبى القاســم قائم المقام الثانى يعمل طباخا ثم ناظرا ، وتربى الأمير أيضا منذ عهــد شبابه فى معية قائم المقــام ، وصار من كتاب هذا الرجــل الكفء ، ثم بلغ منصب مساعد ميرزا محمد خان زنكنه الأمير العسكرى ولقب بلقب الوزير العسكرى ٠ وقد بدأت شهرة ميرزا تقى خان من وقت مأموريته مع خسرو ميرزا الى بطر سبرج ، وأثناء سفارته الى الدولة العثمـــانية وعقده معاهدة أرزنة الروم الثانية ونتيجة للكفاءة التى ظهرت منه أيـــام اقامته فى هذه المدينة ، بلغت شهرة تقى خان الوزير العسكرى الى كـــل الأسماع واعترف القاصى والدانى بمهارته رأملوا فى مستقبله الوضاء ٠

وكما سبق الشرح ، ورث ميرزا تقى خان منصب ميرزا محمد خان زنكنه بعد موته ولقبه فى آذربايجان ، وبذل فى ابلاغ ناصر الدين شاه الى طهران واجلاسه عرش السلطنة غاية كفاءته ، ونصب فى رئاســة وزارة ايران (صدارتها) مع وجود كثير من الطامحين بلقــب الأتابــك الأعظم (الحادى والعشرين من ذى القعدة عام ١٢٦٤هـ) ، وتزوج فى السنة التالية بأمر الشاه من أخته ، فزاد عن ذى قبل قوة ونفوذا ٠

وحينما قبض الأمير الكبير على أزمة الأمور كانت أوضاع ايــران

مختلفة من كل ناحية ، ففوق فتنة سالار والبابية وقف الطامعون فى السلطنة والصدارة فى كل جانب يترقبون فرصة ويثيرون القلاقل ، وكان نظام الجيش متضعضعا وكانت الخزانة خاوية وعدد المتطفلين الذين احتازوا من محمد شاه وحاجى ميرزا الآغاسى أنواعا مختلفة من الاقطاع والموهبات لا حصر له ، وكان الموظفون الأجانب يتدخلون فى شئون البلاد الداخلية على أى نحو يشاؤون ، ولم تكن ايران تشابه البلاد الراقية من حيث الادارة والنظم التى رأى الأمير بعضها وسمع وصف بعضها الآخر فى شيء ، ولم تكن لديها من العلم والصناعة أساس يمكنها به أن تؤمن مستقبلها ازاء البلاد المتحضرة • وبدلا من أن يظهر هذا الرجل المخلص ذو العزم العجز أمام كل هذه الموانع والمشاكل أقبل بقوة عظيمة على اصلاح ما تخرب وازالة نواحى العجز واستجلاب أسباب التعمير وانتاج الثروة وتهيئة أسباب تعليم الشعب واصلاح المالية والجيش والنهضة بالبلد ، لكن للأسف كان هذا الرجل وحده وله فى البلاط والداخل والخارج أعداء أقوياء وغرماء متسلطون يقفون سدا فى طريقه ويحولون دون تقدم أعماله الاصلاحية •

ومع أن فترة رئاسة الأمير الكبأ للوزارة كانت قصيرة (ثلاث سنوات وثلاثة شهور) ومع وجود عظم المشاكل وسعاية السعاة وعداء خصومه المستمر ، فقد خلف آثار الخير فى تنظيم ادارة كل شيء بايران وتمهيد طريق رقى هذا البلد ونهضته بحيث تجعل المرء حين يلحظ فهرسها يدين بالاعجاب بهذا الرجل ويقر بعظم مكانته وكانت هذه الأعمال الخيرة عن حبه لوطنه وعزة نفسه واستقامته فضلا عن مهارته وخبرته وقوته المتميزة ، وهاك خلاصة انجازات الأمير الكبير واصلاحاته :

١ — أمر الأمير فى أول عهده بحذف الألقاب وصفات التشريف التى لا معنى لها والتى كان الكتاب جارين عليها حسب عادة العهد

الصفوى وأوائل القاجارى فى مراسلاتهم وأن يكتفى فى خطابه بلفظ (جناب) عن لقب (الصدر الأعظم) .

٢ ــ سد طريق كافة العائدات غير المشروعة التى كان موظفو الدولة يأخذونها عنفا من هذا وذاك تحت اسم (المداخل) ومنع الارتشاء تماما وجعل لكل مأمور وموظف راتبا حسب كفاءته وعمله .

٣ ــ وبعد وصوله الى طهران بفترة وجيزة عين هيئة لتحديد ميزان الدخل القومى والمنصرف واتضح فى الحال أن وضع المالية ليس سيئا الى الحد الذى كان متصورا ، لأنه مع وجود النفقات الضائعة سدى فلم يكن رصيد الخزانة دينارا واحدا وكان يلزم فوق ذلك أموال على وجه السرعة للقضاء على فتنة خراسان وثورة سالار وتجييش الجيوش لذلك .

وعلاجا لذلك أسقط الأمير الكبير فى الخطوة الأولى أغلب الاقطاعات والهبات الضائعة التى كان رجال الدين والأمراء والمتملقين يحصلونها بغير استحقاق ، ولم يأبه اذ ذاك بقول أحد لأنه لم يكن هو نفسه قابلا للرشوة أو يسير طريقه بالتهديد أو الترغيب ، وبهذا النحو خفض مبالغ عظمى من نفقات الدولة وجعل وصول الضرائب تحت نظام عادل ، وروج التجارة الداخلية والخارجية بمده ظل الأمن لها وبحمايته للتجار رواجا تاما ، وشجع الصناعة المحلية وحث الصناع على احتذاء الصناعة الخارجية ، وبعث بفريق منهم لتعلم الحرف والصناعات الى بلاد الغرب ، وبذل كبير مساعيه للاستزراع وتعمير البلاد ، ونتج عن ذلك أنه لم يعتدل ميزان الدخل والمنصرف وحسب بل توفر مال فى الخزانة أيضا عندما أخلى الأمير الكبير عن الأمور .

٤ ــ ولكى يعلم الأمير الكبير الشعب ويوقظه أقدم على نشر الصحف وترجمة الكتب وتأسيس (المدرسة العالية) بطهران فضلا عن

ارساله بعض الطلبة الى البلاد الأوربية واستخدام المعلمين والأساتذة الأوربيين ، وأسس مدرسة دار الفنون لتعليم الطب والفنون الحربية واللغات الأجنبية ، وان كان افتتاحها قد حدث بعد عزل الأمير بمدة قليلة .

وقد أمر الأمير الكبير ببناء مدرسة مناسبة لانشاء دار الفنون ، واستقدم عددا من المعلمين والمستشارين من النمسا ، وقد تم بناء المدرسة ووصول المعلمين الأجانب بعد اعتزال الأمير بنحو ثلاثة شهور ، وافتتحت دار الفنون رسما فى الخامس من ربيع الأول (١٢٦٨هـ) ، ودخلها للتعليم بها أول أمرها مائة من الأمراء والأعيان ورجالات الدولة بلبس خاص لتحصيل فنون المشاة والفروسية والمدفعية والهندسة وأفرع الطب واللغات الأجنبية .

٥ — وحين بلغ الأمير طهران ، لم يكن جيش ايران النظامى يزيد عدد الموجودين به عن الثلاثمائة جندى مع انه كان اسما يضم أربعة آلاف ، فتوجه الأمير من فوره وقد كان القائد العام لجيش ايران أو الأمير العسكرى (أمير العسكر) وله معرفة كاملة بالفنون العسكرية أيام عباس ميرزا وهو بآذربايجان الى اصلاح أمور الجيش فنظم جيشا متدربا على يد المعلمين الأوروبيين (١) تغلب بهم على ثورات الولايات فضلا عن أن البنادق وبعض الآلات الحربية الأخرى رمهمات الجيش

---

(١) يقول القاءانى فى مدح الأمير :

زدت عدد الجيش بمقر عرش الشاه

حد أن مشاته وفرسانه غطوا طريقا مسيرته شهران (سياقى)

والقاءانى هو ميرزا حبيب الله المتوفى (١٢٧٠هـ) شاعر كبير ابن شاعر ايضا ، ولد عام (١٢٢٢) بشيراز وتعلم بخراسان وتقرب الى حسن على شجاع السلطنة فتخلص باسم ابنه أوكتاى قا آن وعن طريقه اتصل بفتح على ومحمد شاه وناصر الدين ومدحهم . والقاءانى من أشهر شعراء القصيدة فى العصر القاجارى نسج على منوال شعراء خراسان خاصة العنصرى والفرخى ومنوتشهرى . وله فوق ديوان شعره كتاب باسم (بريشان) أى المتفرق والمضطرب نثره يحاكى الكلستان . ومع انه أول شاعر ايرانى تعلم الفرنسية الا انه لم يتأثر بمعرفته بها فى شعره .

قد صار أمرا متداولا بايران ، وقد شجع الأساتذة الايرانيين على تقليد الأوربيين فى هذا المجال بمدهم بالمساعدات والحوافز •

٦ — قبل صدارة الأمير الكبير خاصة بعد تحميل ايران معاهـدة تركمانتشاى كان سفيرا روسيا وانجلترا يتدخلان فى أمـور البـلاد الداخلية كيفما يشاءان وكان الشاه ووزراؤه فى حقيقة الأمر آله لتنفيـذ مطالب أحدهما حينا وألعوبة فى يد الآخر حينا آخر • فحـدد الأمـير الكبير من نفوذ هذين السفيرين فى طهران بحسم وقال ان تدخل الأجانب فى الأمور الداخلية يكون معقولا ومسموحا به الى الحد الذى لا يصدم فيه كرامة الأمة ومنعتها ، وفى حين تحرك ناصر الدين شاه عن تبريز لم يسمح للقنصل الانجليزى أن يتعهد بحماية الأرمن بها ، لأنه كان يعد هذا الأمر من واجبات دولة ايران • ولما طلب سفيرا روسيا وانجلـترا أثناء فتنة سالار وحصار مشهد التوسط للصلح بين الدولة وثوار مشهد أجاب الأمير بصراحة أن أهل مشهد يفضلون أن يسقط منهم عشرون ألفا صرعى على أن يستولى الشاه على مدينتهم بوساطة الأجانب •

٧ — بدأ الأمير الكبير كذلك بانجازات لتجميل طهران ورفـع مستوى حال اهلها والارتقاء بالعاصمة ، فأنشأ لهم سوقا ومنزلا للقوافل (خانا) سمى باسمه وبناء خاصا جديدا يضم بضعة دكاكين لم يكن لها مثيل من حيث الجمال والجدة فى طهران ، وخطط لجلب بعض مياه نهـر الكرج لشرب الناس وتعمير المدينة وأمر بتنظيف الحمامات وكانت له فى هذا المجال خطط أخرى لم يوفق فى انجازها بسبب قصر فترة صدارته •

عـزل الأمـير وقتـله : —

مع أن انجازات الأمير الاصلاحية كانت كلها تتضمن الخير والنفع العامين وفى حالة درام صدارته كانت ايران تقترن بالسـعادة والرقى

والرفعة الا أنها كانت تحرك ازاء ذلك حسد المغرضين وعداء الطفيليين يوما عن يوم بسبب أنه أبعدهم عن الأمور لفسادهم وعجزهم وأقفـن طرق نفوذهم ومنافعهم ، وكانت هذه الشرذمة تأمل فى وسيلتين لطرح الأمير أرضا هما صغر سن الشاب وعدم حنكته ونفوذ أمه مهـد عليـا الخارق والتى لم تكن من البداية على نظرة حسنة للأمير وكانت تحتج فى الظاهر فى عدائها له بأنه من عائلة متواضعة ولهذا قطع باستبداد تام رواتب الأمراء والأعيان والنجباء ورجال الدين وما كان يجرى عليهم من أموال وقصر أيديهم عن سائر الأمور بينما كانت حقيقة الأمر أن الامير قد قطع على مهد عليا طريق أفعالها ونفوذها الباطل وسد على بعـض أعمال لهوها ، لهذا كانت على عناد تام له وتريد بكل وسيلة أن تجلس فى مكانه ميرزا آغا خان النورى وزير الجيش .

وأول حركة معادية علنية صدرت عن أعدائه ضده حدثت بعد توليه الصدارة بنحو خمسة شهور أى بعد مرور عشرة أيام من زواجه بأخت الشاه رغم رفض مهد عليا ، فقد حرض أعداء الأمير فى الثامن عشر من ربيع الثانى (١٢٦٥هـ) خمسة أفواج (ألفى جندى وخمسمائة) مـــن الجنود الآذربايجانيين المقيمين بالعاصمة وكانت رواتبهم قد تأخـرت على الثورة على الأمير الكبير وطلب تغييره . فالتف الثوار حول منزل الأمير وتهتكوا فى أفعالهم وأفسدوا وقتل اثنان من خدم الأمير فى هــذه الحادثة ، ولم يجد الشاه وقد عجز عن اخماد هذه الفتنة بدا من قبول طلب عزل الأمير . وأتى الأمير منزل ميرزا آغا خان ، وتمكن آغا خـان وجمع آخر من أخماد ثورة الجنود بمشقة وعاد الأمير الى عمله ولقب آغا خان بلقب اعتماد الدولة .

ومع أن ناصر الدين شاه كان لا يزال اذ ذاك حدثا فقد ظل فـترة يقاوم ايعازات أعداء الأمير وتحريضات أمه وكان يدافع عن أعمال هـذا الأمير وانجازاته ، لكنه صار بالتدريج مغلوب مكرهم ، وبدأ من أواخـر

عام (١٢٦٧هـ) يغير نظره شيئا فشيئا الى هذا الأمير المحنك خاصـــة وأنه كان أثيرا جدا عند الجنود وأفهم المغرضون الشاه أن الأمـــير يفـــكر فى السلطنة ، وبسبب أن الأمير كان يستخدم بعض الاســـتبداد فى تنفـــيذ أعماله وكان غالبا لا يهتم بأوامر الشاه الشاب ، اشتد سوء ظن الشـــاه به ، الى أن حدث أن استدعى الأمير فى رجوعه من سفر لأصفهان أحـــد اخوة الشاه الى طهران وكان الشاه قد نصبه على حكم قم مخالفا بذلك أمره ، وأقر الشاه أخاه مرة ثانية على حكم هذه المدينة من الأمـــير لما فعل ، ولما أتى الى طهران ، لم يعد يستدعيه من العـــشرين من المحـــرم (١٢٦٨هـ) الى البلاط وأصدر فرمان عزله عن الصدارة ، لكنه ترك منصب امارته للعسكر له ، وجعل ميرزا آغاخان اعتماد الدولـــة النـــورى وزير الجيش الســـابق رئيسا لوزرائـــه .

وبعد عزل أمير العسكر ، خافت مهد عليا واعتماد الدولة من بقـــاء الأمير فى طهران وخشيا أن يعطف الشاه عليه بعد قليل فيدعوه ثانية الى الصدارة فحثا الشاه أن يكلف الأمير بحكم فارس أو قم أو أصفهان ، ولم يقبل الأمير الأمر بداية ، لكنه انتهى الى الرضا بحكم كاشان . وفى هذه الأثناء أرسل السفير الروسى والذى كان يبدى اهتماما خاصا بالمحافظة على حياة الأمير ولم يكن راضيا بصدارة اعتماد الدولة ، جماعة لحراسته جهلا منه أحاطت بمنزله . فأغضب هذا العمل الطائش الشاه ورجـــاله وبعث على أن يبعد الأمير الى حديقة (فين) بكاشان . ولما خشى رجال البلاط خطوات السفير الروسى وأعمال نفوذه لارجاع الأمير حرضـــوا الشاه فى النهاية على اصدار أمر قتل هذا الرجل الذى ليس له نظير ، وأرسلوا الى كاشان جلادا خاصا شاء الله أن يكون ممن رباهم الأمـــير ونشأهم ، فحرض فى الثامن عشر من ربيع الأول (١٢٦٨هـ) الدلاك على قطع عروقه وهو بالحمام ، ولفظ الأمير الكبير آخر أنفاسه فى حمام فـــين بكاشان بهذه الطريقة المؤلمة دون أن يبدى عجزا أو اســـتغاثة وحمـــل جســـده منها ليدفن بمشـــهد .

الاستيلاء على هراة فى (١٢٧٣هـ) : ـ

لم يكن ميرزا آغاخان النورى الذى ولى الصدارة بعد عزل الأمير الكبير وكان لقبه اعتماد الدولة فى كفاءة هذا الأمير ولا حنكته فى أى شىء وكان غير جدير لأفكار هذا الرجل الماهر البعيد النظر العالية ولا انجازاته الصالحة ، فبدأ فى أول خطوة له بعزل أغلب حكام الولايات والعمال الذين نصبهم الأمير وأحل محلهم معارفه والمتعلقين به وأعاد قدرا من الرواتب التى بغير حق والمجريات التى قطعها الأمير لاصلاح وضع الخزانة وأمحت أكثر اصلاحات الأمير الكبير بسببه ولأسباب أخرى أو توقفت .

وتزامن القسم الأخير لصدارة اعتماد الدولة النورى التى استمرت من (١٢٦٨هـ) حتى (١٢٧٥هـ) مع وقائع عظمى مثل حروب القرم (الكريمة) فى شبه جزيرة البالقان وسواحل البحر الأسود الأوربية ما بين روسيا من ناحية والعثمانيين وروسيا وفرنسا من ناحية أخرى ، ولما كان العثمانيون والانجليز من كبار جيران ايران يتقاتلون فى هذه الحروب ضد روسيا جارتها الأخرى فقد سعت الدول الثلاث الى أن تجتذب ايران الى كل منها ، وكانت روسيا تؤمل ايران بوعود لمهاجمة العثمانيين وأفغانستان من ناحية وكان الانجليز والعثمانيون يوعدونها من ناحية أخرى بوعود لاكتساب وحدتها معهما أو حيادها . ولسوء الحظ بدلا من أن تستفيد ايران من هذه الفرصة السانحة جرت اليها بسبب صغر سن الشاه وجهل الصدر الأعظم ضررا كبيرا بمعنى أن الشاه غير رأيه مرارا فى انحيازه لأحد الطرفين ، وارتفع الخلاف بينه وبين الصدر الأعظم لأن كلا منهما كانت له سياسة خاصة وفى النهاية حينما أراد الشاه أن يدخل الحرب مساعدا الانجليز والعثمانيين وفرنسا ضد روسيا رفض الحلفاء اقتراحه لأنهم كانوا على شفا هزيمة روسيا ولأنهم كانوا يرون أنه سوف يتوجب عليهم بعد ذلك الحفاظ على ايران من انتقام

روسيا بامداداتهم العسكرية وكان هذا الأمر يعنى أخطارا عظيمة لهـم ولهذا فقد رضوا بحيـاد ايـران .

وكان اعتماد الدولة حتى هذا التاريخ قد أظهر انحيازه التـام الى الانجليز لكنه غير رأيه بسبب عداء شخصى مع سـفير بريطانيا بسـبب مسائل واهية ، وبسبب رسالة شديدة كتبها الى السـفير الانجـليزى . غادر هذا السفير وأعضاء سفارته العاصمة فى الخـامس والعشرين من ربيع الأول (١٢٧٢هـ) وانقطعت العلاقات السياسية بين ايران وانجلترا مع مساعى سفير فرنسـا البالغة لازالة الخـلاف بين الصدر الأعظـم والسـفير الانجـليزى .

ومات يار محمد خان عام (١٢٦٨هـ) وكان أولا وزير كامران مـيرزا ثم استولى على هراة بعد قتل أميره وظل حاكما لها وذلك بسبب اظهاره الطاعة لايران ولوالى خراسان ، وخلفه ابنه صيد محمد خان وسار سيره أبيه أيضا فى طاعة ايران ، لكنه بما أنه كان عتلا قبيح المسلك دعا أهـل هراة فى غيابه محمد يوسف ميرزا حفيد فيروز ميرزا وكان مقيما بمشهد اليهم فوليها فى المحرم (١٢٧٢هـ) وأرسل الى بلاط ايـران عهد تبعيتـه واستقر فى حقيقة الأمر على حكم هراة تابعا لها وقبض على صيد محمد خـان وقتـل .

وتقدم دوست محمد خان حاكم كابل وقنـدهار بعد تحـالفه مع الانجليز للاستيلاء على هراة فاستمد محمد يوسف حسام السلطنة والى خراسان ، لكنه بعد وصول الجيش الايرانى سلك طريق الخيانة وأخذ فى نهب الجيش الذى قدم لمساعدته . وتحرك هذه المرة حسام السـلطنة بنفسه الى هراة وألقى بحصاره عليها وبقت هراة من رمضان (١٢٧٢هـ) حتى الخامس والعشرين من صفر (١٢٧٣هـ) تحت حصار الجيش الايرانى ولم يكف طوال هذه المدة حسام السلطنة عن حربه بالرغم من تهديدات الانجليز ومساعى دوست محمد الى أن فتـح فى النهـاية فى الخامس

والعشرين من صفر (١٢٧٣هـ) قلعتها المحكمة عن طريق مهندس فرنسى ، ودخلت هذه المدينـــة تحـــت تصرف ايـــران المباشر وهى من المعـــابر الأســـاسية للهنـــد .

وفى أثناء حصار هراة أرسل اعتماد الدولة فرخ خان أمين الدولـــة الكاشانى ، وقد فوض اليه كافة التـــصرف ، الى اســـتانبول وباريس لاصلاح ما حدث بينه وبين السفير الانجليزى من خصام انتهى الى قطع العلاقات بين الدولتين ، وذلك بمقابلة ســـفيرى انجلترا فى هذين البلدين ويعيد العلاقات الحسنة ثانية بين ايران وبريطانيا . واقترح الســـفير الانجليزى فى استانبول أخيرا بعد اصرار أمين الدولة على لقائه مـــرات ورفضه لقاءه شروطا قاسية لكى يجدد علاقـــات البلدين كان من بينهـــا طلبه عزل اعتماد الدولة عن الصدارة . ورفـــض أمـــين الدولـــة قبولها بسبب شدتها وبلوغه خبر فتح هراة ، وعاجل الى باريس لعـــل نابليون الثالث امبراطور فرنسا بتوسطه يفصل فى الخلاف بين ايران وانجـــلترا الى وضـــع أفضـــل .

وقررت انجلترا بعد رفض شروط سفيرها فى استانبول من طـــرف أمين الدولة أن تجبر ايران على اخلاء هراة بارسال سفن حربية وجيش لايران ، واحتلت السفن الانجليزية لهذا القصد فى الســـادس من ربيع الثانى (١٢٧٣هـ) جزيرة خرج ونزل جيشها فى بوشهر واحتلوها بدورهم .

وأنفذ ناصر الدين شاه ميرزا محمد خان قاجار الذى ولى الصدارة كذلك بعد هذا لطرد الانجليز فى الجنوب ، لكنه لم يستطع ولا خـــانلر ميرزا احتشام الدولة والى خوزستان ايقاف تقدم الانجليز فى بوشـــهر والمحمرة برغم شجاعة جنود ايران ، وتقدم الانجليز حتى الأهراز .

وكان فرخ خان أمين الدولة أثناء هذا داخلا فى باريس فى مفاوضات مع السفير الانجليزى بوساطة امبراطور فرنسا الى أن عقدت فى السابع من رجب (١٢٧٣هـ) معاهدة باريس بينهما وتقرر أن يخلى الانجليز جزر

ايران وموانيها وأن تسحب ايران جنودها من هراة وأفغانستان وتعترف باستقلالهما وأن تصرف نظرها عن أى ادعاء لها خاص بهمـا وأن ترضى بحكم الانجليز فى حل الخلافات التى تنشأ بين ايران وأفغانستان وقـد زادت معاهدة باريس التى بموجبها خرجت أفغانستان كلية عن تبعـية ايران ودفعت بايران الى الاعتذار للسفير الانجليزى من قـوة نفـوذ انجلترا فى البلاط الايرانى وتقبل اعتماد الدولة شروطها باغتباط تـام لأنه كان يخشى ما هو أسوأ منها وحمد الله على أن الانجليز لا يصرون على عزله ، ولكن صدارته لم تدم طويلا بعد انتهاء الحرب مع انجـلترا لأن ناصر الدين شاه عزله عنها بعد أن اطلع على فساد الأمور فى عهـد رئاسته للوزارة وذلك فى المحرم (١٢٧٥هـ) وأمسك بنفسه أزمة الأمـور وأمر بتشكيل أكثر من وزارة فى ايران متأسيا ببـلاد أوربا مثـل وزارة الأمور الخارجية ووزارة المالية ووزارة الأمور الداخلية ووزارة الحربية ووزارة توظيف العاملين ووزارة العلوم • وفـوض وزارة الماليـة الى ميرزا يوسف مستوفى الممالك الآشتيانى الذى سبق أن نفاه اعتماد الدولة الى آشيتان كما استوزر على قلى ميرزا اعتماد السلطنة للعلوم وميرزا محمد خان قاجار الذى لقب بلقب (سبهسالار) أى قائد الجيـوش فى الحربية ، وظل هذا الحال حتى عام (١٢٨١هـ) حين تصدر ميرزا محمـد خان قاجـار الـوزارة •

حرب سرخس فى (١٢٧١) ومرو فى (١٢٧٦هـ) : —

قبل غزو هراة وحكومة حسام السلطنة الثانية على خراسـان أى فى (١٢٧١هـ) وعهد حكومة فريدون ميرزا الآمر (فرمـانفرما) أتى والى خوارزم محمد أمين خان الذى لقى فيما سبق هزيمة على يـد حسـام السلطنة الى مرو مرة أخرى وهاجم خراسـان وتقدم حـتى سرخس • فتقدم اليه فريدون ميرزا وفى رجب (١٢٧١هـ) أصـاب خان خيـوه فى سرخس بهزيمة شديدة وقتل محمد أمين خان فى المعركة وأرسل رأسـه

الى طهران وعاد فريدون ميرزا بعد طرد التركمان على حدود مـرو الى مشـهد •

لكن مهاجمة التركمان لأهل مدن خراسـان لم يكن بالأمـر الذى يزول بهذه السهولة لأن هذه الجماعة الناهبة المتنقلة بالصـحراء كانت دائما سبب الاضرار بأهالى خراسان واستراباد وندر أنهم نجـوا من أذاهـم •

وفى أواخر عام (١٢٧٦هـ) سير ناصر الدين شـاه لاقتلاع شـأفة تركمان تكه وسالور حشمة الدولة حمزة ميرزا يصحبه ميرزا محمد قوام الدولة الآشتيانى على رأس أربعين ألفا الى حدود مرو • ولقى جنـود ايران بسبب عدم احتياطهم والخلافات التى شبت بين حشمة الدولـة وقوام الدولة هزيمة مرة من التركمان فى السابع عشر من ربيع الأول . وقتل أو أسر نحو ثلثيهم بسبب انعدام المؤون وسوء وضع معترك الحرب ومياه (تجن) التى أطلقها التركمان تحت أقدامهم ، وعاد حشمة الدولة وقوام الدولة الى مشهد يجللها الفضح فعزلهما الشاه وأحضرهـما الى طهران ، وأمر حسام السلطنة ثانية بتولى خراسان فأقر أمورها • وفى هذه الأوقات بدأ الروس باحتلال التركستان الشرقية والغربية ووديان سيحون وجيحون فيما بين شمال بحيرة آرال وشرق بحر الخزر واجتاحوا هذه الأراضى واحدة بعد الأخرى فاسـتولوا من بينهـا على خيـوه فى (١٢٧٠هـ) وطاشـقند وسـمرقند وبخـارى فى (١٢٨١هـ) و (١٢٨٥هـ) وباستيلائهم على هذه المناطق اقتربوا الى وادى أترك وصحراء التركمان ولكى يفتح الروس طريقهم الى أفغانستان وخراسـان قـرروا ازالـة التركمان ومع أنهم لقوا منهم الهزيمة فى عام (١٢٩٦هـ) الا أنهم قضـوا على تركمان تكه تماما فى (١٢٩٨هـ) فى كوك تبه ، وزال خطر هذه الجماعة عن أهل خراسان واستراباد ، الا أن خطرا أفدح حل محله نشأ بمجاورة روسـيا لايران فى هـذا الاتجـاه •

تحـديد حـدود ايـران : ـ

باستثناء حدود ايران الشمالية الغربية أى الحدود بين آذربايجان والأملاك الروسية فيما وراء القفقاز التى حددتها معاهدة تركمانتشـاى وحدود ايران مع الدولة العثمانية التى قررتها معاهدة أرزنة الروم فقد كانت سائر حدود ايران الباقية غير ثابتة الملامح حتى أواسط عهد ناصر الدين شاه لأن القبائل والبدو (التركمان والأفغان والبلـوج) كانـوا يسكنون غالب هذه الحدود ، ولم يكن ممكنا تحديد خطوط الحدود فيهـا بسبب هجماتهم الدائمة على بلاط ايران الشمالية الشرقية والشرقيـة وعدم ثبات طوائفهم فى أماكن بعينها • وكانت هذه الحال موجـوده بصورة ما فى الحدود الغربية لآذربايجان والكردستان وخوزستان بالرغم من وجود معاهدة أرزنة الروم ، اذ كانت هجرات القبائـل الكرديـة والعربية من ناحية لأخرى تولـد المشـاكل دوما بين ايران والدولـة العثمانية •

وبعد اعلان استقلال أفغانستان واستقطاع هـراة من ايـران واحتلال الانجليز لقسم من بلوجستان وبلوغ حدود أملاك الروس الى استراباد وخراسان ، أصبح أمر تحديد حدود ايران فى الناحية الشمالية الشرقية والشرقية من ايران مع جيرانها الجدد موضع الاهتمام •

كانت بلوجستان حتى أوائل عهد ناصر الدين شاه بتمامها تحت طوع ايران وكان خانها يؤدى الخراج لها عهد الأمير الكبير ، الا أن ضـعف الدولة فى عهد خلفائه وثورات خراسان وأفغانستان قد أدى بالقسـم الشرقى لهذه الولاية التى تبعد أكثر عن كرمان الى القلاقل والثورات ، وبعد أن أنهى الانجليز خطهم البرقى الدائرى فى ايران فى عام (١٢٨٠هـ) وانتهوا الى ميناء كوادر دخلوا فى مفاوضات لتحديد الحـدود بينهـا وبين امبراطوريتهم فى الهند فى هذه الناحية ، وكان المفوض من جانـب الانجليز لهذا الامر من اسمه (جولد سميد) (Goldcmid) .

وبعد مدة من المفاوضات قبل أخيرا ناصر الدين شاه مقترحات جولد سميد وقرت الحدود الحالية من شرق ميناء كوادر حتى شرق كوهك ٠

وحددت هيئة كانت برئاسة جولد سميد أيضا بين عامى (١٢٨٨) و (١٢٨٩هـ) القسم الشمالى للحدود بين بلوجستان الانجليزية وايران أى الخط ما بين كوهك وجبل الملك الأسود والحدود بين سيستان الايرانية والأفغانية ، وبعد سلسلتين من المفاوضات الأخرى التى تمت بين عامى (١٣١٤هـ) و (١٣١٧هـ) بين ممثلى ايران والانجليز حددت قطعا الحدود الحالية لبلوجستان وسيستان ٠

أما الحدود ما بين مقدمة جبال ذى الفقار وصحراء سيستان وهى الحدود بين خراسان وولايات هراة السابقة فقد كانت غير محددة على وجه الدقة وكان ينشب فى الغالب بين الأفغان واهل خراسان النزاع بسبب تقسيم الماء والمواقع وغيرهما وظل هذا الحال من الاختلاف حتى عام (١٣١٤ هجرية شمسية) (١) حين ثبتت الحدود الحالية بين ايران وافغانستان بوساطة تركيا ٠

وفى المحرم من عام (١٢٩٩ هـ) عقد معاهدة بين ايران وروسيا تقرر بموجبها خط الحدود الحالية بين خراسان والتركستان ، الا أن الروس لم يكونوا يحترمون شروط هذه المعاهدة كثيرا لخططهم السيئة لبسط نفوذهم فى سواحل بحر الخزر واستراباد وخراسان ، وكانوا يحتجون دائما بأوهى الحجج للهجوم على تلك المناطق كما حدث عام (١٣٠١هـ) حينما استولوا على سرخس القديمة على الساحل الأيمن لتجن واحتلوا جزائر آشورآده ازاء ميناء كز متذرعين بضرب القاتشاق التراكمة ودفعهم ٠ وفى (١٣١٠هـ) استقطعوا قصبة فيروزة بضغط على ايران ٠ وقد زالت الخلافات بين ايران وروسيا بموجب المعاهدة التى

---

(١) تقويم هجرى يبدأ من الهجرة على أساس السنة الشمسية وهو يقل عن التقويم الهجرى القمرى المعمول به بنحو اثنين واربعين عاما بحكم قصر السنة القمرية عن الشمسية وقد استخدم التقويمان الهجريان فى ايران ٠

عقدت بين ايران والحكم الجديد فى روسيا فى السابع عشر من جمادى الآخرة عام (١٣٣٩هـ) (السادس والعشرين من فبراير عام ١٩٢١م) بمعنى أن الدولة البلشفية أخلت جزائر آشور آده وفيروزه لايـران واعترفت ايران أيضا بتملك روسيا سرخس القديمة •

اما الحدود الغربية لايران فمع أنها لم يطرأ عليها تغيير فـادح بعد عقد معاهدة أرزنة الروم الثانية ، فقد كانت تنشأ خلافات بين ايران والعثمانيين بسبب بعض الأجزاء خاصة مناطق القبائل التى على الحدود بينهما ، وكان الخلاف الأساسى فى هذه النواحى بسبب قطور من بلاد خوى التى احتلها العثمانيون أثناء ثورة سالار وانشغال ايران بأمـور خراسان • وكانت جارتا ايران والعثمانيين أعنـى الانجليز والـروس يحكمون غالبا فى حل هذه الخلافات ، كما حدث مرة عام (١٢٨٢هـ) ومرة ثانية أثناء عقد معاهدة برلين بعد هزيمة العثمانيين مـن الروس أى فى عام (١٢٩٦هـ) اذ توسطتا فى الاصلاح بين الدولتين فى هذا الخصوص ، الى أن انتهى الأمر بعودة قطور الى ايران بموجب المادة (٦٠) من تلك المعاهدة • ولكن مع هذا لم تزل الخلافات على الحـدود بين الايرانيين والعثمانيين ، الى أن حل عام (١٣٣٢) حين أرسلت الدول الأربع ممثليها لتحديد الخط القطعى لحدود غرب ايران اليها ، وقد أنهت هذه الهيئـة مهمتها قبل أن تشتعل الحرب بين العثمانيين والروس ومعهم الانجليز أيام الحرب العالمية الأولى بيوم واحد فقط ، وتحددت الحدود النهائية بين ايران والدولة العثمانية الا أن ايران لم تعترف رسميا بهذه الحدود واعترضت على جزء منها خاصة الجزء المجاور لشط العـرب وبعـد أن أنقسمت الدولة العثمانية وتأسست دولة العراق الجديدة تحت سيادة انجلترا وأصبحت جارة ايران فى هذا الجزء جددت ايران اعتراضهـا ، وتحول حل الخلافات على الحدود بين ايران والعراق الى عصبة الأمم ، وبعد بضع جولات من المفاوضات ، حلت أخيرا الدولتان خلافاتهما على الحدود بينهما فى عام (١٣١٥هـ • شمسية) بالمفاوضات المباشرة وانتهى الأمـر لصـالح ايـران •

صدارة حاجى ميرزا حسين خان السبهسالار : ـ

كما سبق أن أشرنا لم يختر ناصر الدين شاه بعد عزله اعتمـاد الدولة النورى واحدا غيره للصدارة حتى عام (١٢٨١هـ) وانما ألـف هيئة وزارية كانت رئاستها فى الحقيقة للشاه . وفى عام (١٢٨١هـ) فى الرابع والعشرين من شوال منه اختار ناصر الدين شاه ميرزا محمد خان قاجار وزير الحربية وقائد الجيوش (سبهسالار) ـ الذى بذل فى السنة السابقة لهذا العام فى تأديبه تركمان استراباد كفاءة ولقب بالسبهسالار الأعظم ـ للصدارة وترك له الشاه أيضا وزارات الحربية والماليـة والخارجية التى كان الشاه يديرها مباشرة .

ولبثت صدارة ميرزا محمد خان قاجار حتى عـام (١٢٨٤هـ) وفى هذا العام أعطى الشاه لميرزا يوسف مستوفى الممالك وزير المالية عمـل محمد قاجار فظـل مسـتوفى الممالك يدير أمور الصـدارة حتى عـام (١٢٨٨هـ) بغير لقب الصدارة .

وفى الرحلة التى قام بها الشاه الى مشهد عام (١٢٨٧هـ) استرعى نظره الخدمات التى قام بها حاجى ميرزا حسين خان القزوينى الملقـب بمشير الدولة السفير الكبير لايران فى البلاط العثمانى ، فاستدعاه الى طهران ونصبه وزيرا للعدل وتوظيف العاملين والأوقاف . وبعد اعتزال مستوفى الممالك اختار الشاه ميرزا حسين خان مشير الدولة أولا بلقـب قائد الجيوش (سبهسالار) وزيرا للحربية وقيادة الجيش ثم للصدارة فى التاسع والعشرين من شعبان (١٢٨٨ هـ) .

وكان حاجى ميرزا حسين خان رجلا متعلما محبا للاصلاح والارتقاء ففكر فى متابعة اصلاحات الأمير الكبير وبدأ فاستصدر من الشاه أمـرا باصلاح وضع البلاط وهيئة الوزراء ثم نظم أمور الجيش وكان كل دأبه هو أن تكون ايران مملكة يحكمها القانون تعرج فى مدرج الرقى والعدل والمساواة ولكى يعرف الشاه على رقى البلاد المتحضرة صاحبه فى عـام (١٢٩٠هـ) الى بلاد أوربا بالرغم من مخالفة رجال الدين .

وقبل تحرك الشاه الأول الى أوربا بعام منح السبهسالار امتياز انشاء خط حديدى فى ايران يبدأ من طهران الى رشت ومن العاصمة الى خليج فارس لمدة سبعين عاما لأحد الرعاياالانجليزواسمه «البارونرويتر» (Baron de Reuter) وتقرر أنه اذا لم يبدأ صاحب الامتيــاز فى العمل حتى خمسة عشر شهرا من أول عام (١٢٩١هـ) يدفع الى ايران أربعين ألف ليرة انجليزية •

ولم يتفق هذا الامتياز ومصالح ايران اذ أنه وضع تقريبا جميع التصرف فى الأمور الاقتصادية الايرانية فى مدة سبعين عاما لأحد الأجانب وكان يعطيه الحق فى استخراج كافة معادن البلاد (باستثناء الذهــب والفضة والأحجار الكريمة) والافادة بجميع الغابات والترع وقنــوات المياه وحق تصدير جميع المحاصيل الوطنية وتأســيس بنك والبريــد والبرق والمصانع وغيرها ، وصار تنفيذ هذا الامتياز أمرا مشكلا لرويتر الى حد أن الطرفين المتعاهدتين سرعان ما أدركا أن هذا الأمر قد تــم بدون دراسة من الجانبين • فضلا عن أن انتشار شروطه صار ســبب جدال كثير فى أوربا ودفع بالروس الى الغضب وتهديد ايران • ولهــذا أدرك ناصر الدين شاه فى سفره لأوربا تخبط دولته السياسى • وتجمعت فى طريق مشروع رويتر من طرف ايران مشاكل جعلته لا يبدأ عمله فى الموعد المحدد ولهذا ألغى الامتياز وجمدت ايران أربعين ألفا هى وديعة رويتر ، الا أن البارون لم يكتب عن طلب استردادها الى أن منحت ايران فى السابع والعشرين من جمادى الأولى عام (١٣٠٦هـ) البارون المذكور لاسترضائه امتيازا بتأسيس البنك الشاهنشاهى الايرانى لمدة ستين عاما وحصرت حق نشر أوراق النقد لهذا البنك •

وفى عودة الشــاه من أوربا أى فى رجب (١٢٩٠هـ) دفــع حــاجى ميرزا حسين خان الى اعتزال الصدارة والاقامة برشت بسبب الخلاف الشديد الذى نشأ بين البلاط ورجال الدين وصدارته ، ولما وصل الشاه الى العاصمة نصب مستوفى الممالك فيها ، ثم استوزر ميرزا حسين خان

للخارجية ومنحه فى عام (١٢٩١م) لقب السبهسالار الأعظم ووزارة الحربية أيضا .

ومع أنه لم يعد للسبهسالار نفس حماسه السابق فى عهد وزارته الثانية حين تعهد وزارتى الخارجية والحربية ، الا أنه جاهد لتفتيح أعين الشعب الايرانى وأسماعه ، من ذلك تشجيعه الشاه على تأسيس صحيفة بالفرنسية والفارسية واستقدم أحد البلجيكيين لادارتها بطهران . لكنه بمجرد أن صدر العدد الأول من هذه الصحيفة فى المحرم (١٢٩٣م) وهو لا يوافق أهواء الشاه ولا رجاله ولحديثه عن الحرية والمساواة والعدل وسيادة القانون وعداء التملق حتى أصدر الأمر بتوقفها .

وقد صاحب حسين خان ناصر الدين شاه أيضا فى سفره الثانى لأوربا فى (١٢٩٥م) وبعد عودة الشاه من سفره هذا أشركه مع مستوفى الممالك فى ادارة كافة أمور البلاد وظل هذا الحال الى أن أزاله عام (١٢٩٧م) عن وزارتى الخارجية والحربية ولقب السبهسالار ووجهه الى حكم قزوين ، ثم حكومة آذربايجان بعد هذا بقليل . وأثناء مهمته هذه ذهب الى روسيا سفيرا فوق العادة ، وبعد عودته توجه لحكم خراسان وسيستان وتولى أمور مشهد ، وكان هذا المنصب فى حقيقته بمثابة ابعاده عن العاصمة . وتوفى السبهسالار فى منصبه هذا فى مشهد فى الهادى والعشرين من ذى الحجة (١٢٩٨م) فى سن السابعة والخمسين .

وحاجى ميرزا حسين خان مشير الدولة السبهسالار القزوينى أكبر رجال العهد القاجارى بعد الأمير الكبير ، ومن آثار هذا الرجل الجليل مسجد سبهسالار بطهران وقصر دار الشورى الوطنية الايرانية .

تعرف ايران الى الحضارة الغربيـــة : ـــ

مع أن ايران دخلت منذ العهد الصفوى فى علاقة كلية مع البلاد المتحضرة والغربية وظهر بها بعض وسائل الحضارة الجديدة ومقتضياتها

من قبيل الأسلحة النارية والعسكرية الأوربية وصناعة السفن وغير ذلك تقليدا لأصحاب الحضارة الغربيين ، واستمر ذلك أيام نادر أيضا ، الا أن اتساع نطاق تقليد الحضارة الأوربية لم يكن قط مثلما كان عهـــد سلطنة ناصر الدين شاه الطويلة نوعا . والسبب الباعث الى ذلك فضلا عن اتساع العلاقات بين ايران وأوربا وانبساط حدود مستعمرات بعض من الدول الأوربية حتى حدود ايران هو اهتمام عــدد من الرجــال الايرانيين ذوى الفطنة وحب الارتقاء كانوا قد تعرفوا الى الحضــارة الغربية وأدركوا كل الادراك مزاياها .

وأول نهضة بدأت فى هذا السبيل فى عهد القاجاريين كما أشرنا فيما سبق حدثت أوائل حكم فتح على شاه . ففى تلك الأيام نتيجة لقدوم هيئة عسكرية فرنسية الى ايران ولما أقدمت عليه من اصلاح لأحــوال الجيش وبناء المدافع ووضع الخرائط وجمع المعلومات الجغرافية المفيدة المتعلقة بايران توجهت أذهان القائمين على أمر ايران الى حد كبير الى ضرورة الاقتباس من الحضارة الأوربية . ثم قام عباس ميرزا ببعــث الطلبــة وأرباب الحرف الى انجلترا وروسيا ، وأنشــأ مصــانع كذلك بمعاونة الخبراء للمدفعية والبارود والأقمشة والمطابــع وغــير ذلك فى آذربايجان .

والسبب الأساسى لمعرفة ايران الحضارة الجديدة فى عهــد ناصر الدين شاه يرجع الى بذل العناية الخاصة من قبل ثلاثة من الــوزراء المستبصرين المحبين للتجديد كانوا له وأولهم الأمير الكبير الذى ذكرنا نبذة من انجازاته فى هذا المضمار فيما سبق ، وثانيهم حاجى ميرزا حسين خان مشير الدولة السبهسالار الأعظم الذى كشف فى رحلتى الســفر اللتين صاحب فيهما هذا الشاه محاسن الحضارة الغربية ومزياتها اليــه عيانا ، فأقبل نتيجة لهذا الشاه على جلب بعض من مظاهر هذه الحضارة ولوازمها . وثالثهم ميرزا على خان أمين الملك الذى لقب بعــد بأمــين الدولة . وقد أيد هذه النهضة كذلك بعض من التجار من مثل حاجــى

محمد حسن الأصفهانى « أمين ضرب العملة » ورجـال آخرين مثـل يحيى خان مشير الدولة أخى السبهسالار واعتضاد السـلطنة على تقى ميرزا ، وهاك خلاصة تاريخية لاقتباس بعض مستلزمات الحضـارة الجديدة : ـ

١ ـ ظل البريد يدار فى ايران حتى عام (١٢٩٢هـ) عن طريق منازل البريد تحت امرة من كانوا يسمون رؤساء البريد (تشابار باشى) ولم يكن له صورة منظمة مستحسنة ، وفى هذا العام استخدمت ايران أحد المستشارين النمساويين لتنظيم بريدهـا وفقا للنظـام الأوربى الجديد ، فلقى بريد ايران بعونه التأسيس المنظم ، وبعد هذا بعامـين قبلت ايران عضوا فى اتحاد البريد العالمى ، وعين بعده « أشـتال » (Stahl) الروسى مديرا عاما لبريد ايران ، ومع أن فترة ادارته لم تدم أكثر من عام الا انه ، وكان رجلا كثير العلم والدقة ، قام مـدة اقامته بايران بدراسات علمية قيمة عن المعادن والأوضاع الجغرافيـة لشمال ايران وجنوبها الشرقى ونشر مقالات وخرائط كثيرة الأهمية تتعلق بهذه الاماكن .

وبعد رحيل اشتال صار بريد البلاد مرة أخرى حتى فترة رهـن الفوضى الى أن ترك الشاه ادارته الى وزير الرسائل الخاصة وهو ميرزا على خان أمين الدولة ، فأداره لسـنوات ادارة حسـنة .

٢ ـ أول خط للبرق (التلغراف) عمل فى ايران كان عام (١٢٧٤هـ) بين قصر السلطنة الشاهى وقصر (باغ لا لهزار) . وبعد هذا بعامين مد خط بين طهران والسلطانية بعون على قلى ميرزا اعتضاد السلطنة ، ثم امتد الى تبريز بعد هذا بعام .

وحدث فى نفس الوقت أن دخل الانجليز فى مفاوضات مع ايـران لربط لندن مع بمباى بالبرق عن طريق اليابسة ، فبدأوا فى عام (١٢٨٠هـ) بأخذ امتياز انشاء خط بين خانقين وطهران وبوشهر ، ثم مدوا بعد ذلك

خط آخر من جلفا الى طهران عام (١٢٨٦هـ) ، وعام (١٣١٩هـ) دار خط آخر عن طريقهم من كاشان الى يزد وكرمان وبلوجستان • وقـد تركت سائر هذه الخطوط بعد انتهاء مدة الامتياز الى ايران وهى اليوم تحت ادارة الدولة المباشرة •

٣ ــ كان لكل من مدن ايران الكبرى حتى عام (١٢٩٤هـ) دار ضرب العملة خاصة ، وكانت المسكوكات تضرب فى كل مكان تحت أشراف أحد المعايرين الذين تحددهم الدولة ، الا انها اختلفت بعضـها عـن الآخر فى الشكل والعيار • وفى هذه السنة استجلبت الدولة وسـائل تأسيس دار لضرب العملة الجديدة من أوربا الى طهران وعهدت للعمل فيها الى اشراف أحد المستشارين الألمان ومجموعة من الخبراء الفرنسيين وكانت رئاستهم أولا لميرزا على خان أمين الدولة لكن بعد أن تأسست فى عام (١٢٩٦هـ) دار ضرب جديدة ترأس آغا محمد ابراهيم خان أمين السلطان المسئول عن شراب الشاه هذا المنصب ، وقد خرجت أول عملة جديدة راجت فى سائر ايران فى هذا التاريخ من تلك الدار الجديدة •

٤ ــ ومع أن المبشرين النصارى قد قدموا الى ايران فى العصر الصفوى بأول مطبعة رصاصية الا ان الطبع انتهى بها بعد قليـل مـن الرواج الى أن أسس عام (١٢٤٠هـ) فى طهران أول كتـب مطبوعـة بالمطابع الرصاصية والمشهورة بالمطابع المعتمدية بعون منوتشهر خـان معتمد الدولة •

ولما سافر ناصر الدين شاه سفره الأول الى أوربا أتى بمستلزمات مطبعة كاملة الى ايران بالشراء ، وزاد انتشار الصحف فى عهده من عدد المطابع ، وعمت المطابع من بعد تبريز وطهران سائر مدن ايران أيضا •

وأول صحيفة أنشئت احتذاء بأوربا كانت فى أواخر سلطنة فتـح على شاه ، لكنها توقفت على الصدور بعد أن ظلت تصدر حتى عهد محمد شاه ، الى أن قرر الأمير الكبير فى السنة الرابعة لحكم ناصر الدين شاه نشر صحيفة درج بها موجز أحداث العالم ليطلع عليها شعب ايران •

وقد صدر أول أعداد هذه الصحيفة التى سميت (وقائع اتفاقية) ونظمت باشراف أحد الانجليز يوم الجمعة الخامس من ربيع الثانى عام (١٢٦٧هـ) فى طهران وسميت هذه الصحيفة عام (١٢٧٧هـ) باسم صحيفة دولة ايران العلية وزينت بالصور ، وفى عهد ناصر الدين أيضا صدرت بضع صحف فى طهران وتبريز باللغات الأجنبية ، كان من ضمنها الصحيفة التى أصدرها حسين خان السبهسالار بالفرنسية فى طهران وتوقفت بعد عدد واحد ثم الصحيفة العلية الايرانية التى اديرت تحت اشراف اعتضاد السلطنة والتى كان يكتب فى كل عدد لها بضع صفحات بالعربية والفرنسية أيضا .

٥ — بعد الغاء امتياز البارون دى رويتر واشتداد التنافس بين الروس والانجليز فى ايران صار كل مشروع لمد خطوط السكك الحديدية بها عقيما ، ولم يمد غير خط قصير فى عام (١٣٠١هـ) بين العاصمة وضريح (حضرة عبد العظيم) ثم تأسس خط آخر فى (١٣٠٧هـ) بين آمل ومحمود آباد بمازندران بسعى محمد حسن أمين دار ضرب العملة ، وسرعان ما توقف الخط الثانى ، ولم يفد الخط الأول شيئا بسبب قصره .

وأول خط هام نوعا مد قبل النهضة الأخيرة بايران هو خط جلفا وتبريز وفرعه من صوفيان حتى شرفخانه الذى نال امتيازه الروس وأنهوه عام (١٣٣٤هـ) وقد ترك هذا الخط لايران بعد معاهدة (١٣٣٩هـ) بين ايران والدولة البلشفية فى روسيا .

أما طرق عربات الخيول والبريد فقد شق كثرة منها فى ايران فى ذلك الوقت ومن قبيلها طريق طهران مازندران وطهران الى الغرب والتى تولى انشاءها مهندس نمساوى .

٦ — بعد انشاء مدرسة دار الفنون وبعث الطلبة الى أوربا أكثر من مرة ، فتح رجال ايران وتجارها فى أوربا والهند باب العلوم الجديدة

الأوربية نوعا ما على ايران وأصبح متداولا ترجمة الكتب وتأليفها فى العلوم الجديدة مثل الفلك والجغرافيا والعلوم الطبيعية والطبية والفنون العسكرية ، واهتم الناس بتعلم اللغات الأجنبية ، وصار اعتضاد السلطنة ومعتمد الدولة فرهاد ميرزا وادارة مدرسة دار الفنون ووزارة الطباعة والنشر ودار الترجمة وجماعة من الأرامنة الواقفين على الفارسية واللغات الأجنبية المرشدين للشعب فى هذا السبيل .

٧ — وعلاوة على المؤسسات والمصانع التى كانت تهيمن عليها الدولة كدار ضرب العملة وصناعة البارود والبنادق وغير ذلك قدمت جماعة من الرجالات والتجار الى ايران بعدة مصانع لخدمة المرافق العامة من مثل مصنع مصابيح الكيروسين الذى أسسه ميرزا حسن خان السبهسالار فى (١٢٩٧هـ) ومصنع السكر بكهريزك الذى بدأ فى العمل بهمة ميرزا على خان أمين الدولة فى (١٣١٧هـ) ومصانع البلور والصينيات والحرير التى أسسها جميعا أمين ضرب العملة ، وقد وقف عن العمل بعد فترة قليلة عدد كبير — نوعاما — من المصانع الأخرى مثل مصانع الكبريت والنسج بسبب المنافسة الخارجية وعدم وجود رأس المال الكافى والخبراء .

٨ — شاع فى عهد ناصر الدين شاه كثير من الآداب والعادات الأجنبية فى ايران أيضا ومع أن انتشارها قد بدأ من عهد فتح على ومحمد شاه الا أن نطاقه قد زاد عن ذى قبل فى ذلك العهد ، ومن آثار هذا العهد طرح القلانس وتغيير الملابس وتداول الأطعمة الأوربية وشرب الشاى وارتقاء زراعة شجر الأفيون والدخان والبطاطس وبعض النبات والأزهار غير الوطنية .

قتل ناصر الدين شاه فى ذى القعدة (١٣١٤هـ) :—

كما سبق الشرح بعد أن أزال ناصر الدين شاه ميرزا حسين خان السبهسالار عن الصدارة عام (١٢٩٠هـ) فوضها لميرزا يوسف مستوفى

الممالك وظل مستوفى الممالك الذى كان يقال له الآغا فى هذا المنصب حتى عام وفاته (١٣٠٣هـ) •

وفى عهد صدارة مستوفى الممالك كانت الحادثة الهامة هى ثورة الشيخ عبيد الله من رؤساء الأكراد على الحدود الغربية لآذربايجان والكردستان عام (١٢٩٧هـ) • وكان هذا الشيخ معدودا من الأئمة الدينيين والصوفية فكان له بين بنى جلدته نفوذ وقد نجح أثناء حرب العثمانيين والروس فى جمع قدر من السلاح ، وبدأ العصيان والمهاجمة بهدف توحيد عامة القبائل الكردية على حدود ايران من الناحيتين تحت امرته ، فجاءه حمزة ميرزا حشمة الدولة لازالته ، ووافى حمزة أجله المحتوم موته طبيعية أثناء دفعه اتباع الشيخ عبيد الله فاختير حسين خان السبهسالار لاتمام مهمته • وأحدق السبهسالار وحسين على خان الكروسى أمير العسكر ووزير المرافق العامة بأتباع الشيخ أولهما من ناحية أروجى ومراغه والثانى من جهة كروس ولاذ الشيخ فارا الى الدولة العثمانية بعد بضع هزائم فحمته هذه الدولة لكنها تعهدت بالامتناع عن اعادته لايران •

وبعد موت مستوفى الممالك فوض الشاه بالصدارة الى ميرزا على أصغر خان أمين السلطان ابن الآغا محمد ابراهيم مسئول مشارب الشاه وكان اذذاك لا يزيد عن الثلاثين ثم لقبه بعد ذلك بالوزير الأعظم • وظل أمين السلطان بالصدارة حتى آخر حكم ناصر الدين شاه ، ولما كان ذكيا ورجل الدسائس فقد استولى على عقل الشاه وأمسك فضلا عن الصدارة بوزارات البلاط والداخلية والجمرك والخزانة وادارة دور ضرب العملة وحكومة الموانىء ، ومع هذه القوة فلم يكن مهتما باصلاح البلاد وترقيها ولم يكن فى مثل فكر الأمير الكبير والسبهسالار وأمين الدولة بل كان يسعى أبلغ من أى شىء الى المحافظة على مناصبه وكسب رضاء الشاه ورجاله •

وصاحب أمين السلطان الشاه فى شــهر شعبان (١٣٠٦هـ) الى أوربا ، ومنح الشاه أثناء هذا السفر الثالث لأوربا الذى استغرق من شعبان (١٣٠٦هـ) حتى صفر (١٣٠٧) بعض الامتيازات البالغة الضرر الى الانجليز بتشجيع أمين السلطان وسمسرة أو دلالة ملكم خان ناظم الدولة سفير ايران فى لندن والذى كان أصلا من أرامنة جلفا أصفهان ورجلا طموحا لا خلق له مخادعا محبا للمال ، ومن أخذ هذه الامتيازات انمـا أخذوها باعطاء الرشى الضخمة لملكم وأمين السلطان والهدايـا القيمة لناصر الدين شاه وكان من جملة هذه الامتيازات حق افتتاح دور الميسر واليانصيب والقمار فى ايران والتى حاز ملكم أولا على السماح بها من الشاه ثم باع قرار السماح بها الى مجموعة مـن المسـاهمين الانجليز • ثم منح امتياز احتكار شراء وبيع الطبــاق والدخـــان والمشمومات فى ايران للداخل والخارج لشركة انجليزية لمدة خمســين سنة فقط بشرط أن تدفع الشركة سنويا الى ايران خمس عشرة ألــف ليرة انجليزية وربع أرباحها • وقد أصدر قرار هذا الامتياز أثناء سفر الشاه الأخير الى انجلترا لكن امتيازه وقع عليه فى الثامن والعشرين من رجب (١٣٠٨هـ) •

وألغى الشاه امتياز الميسر واليانصيب والقمار فورا بعد عودتــه الى طهران ووقوفه على أعمال سرقة ملكم وغضب على ملكم وعزلــه ، لكن الدولة فشلت فى أن تستعيد الأموال التى استلبها ملكم من شركائه باسم الدولة بسبب هذا الامتياز وعادت خسارتها الى ايران •

أما امتياز احتكار الدخان فقد دخل فى عام (١٣٠٨هـ) مرحلتــه العملية وأنشئت شركة باسم (هيئة دخانيات شاهنشاهية ايــران) فى لندن وأرسلت ممثليها لايران وشكلت ادارة لها عرفت بالرجى (Régie) وبدأت مقدمات احتكار شراء دخانيات ايران وبيعها وتصديرها فى يـد عمال تلك الشركة •

وبدأ شعب ايران فى الثورة على اثر معلوماته القليلة عن أحـوال البلاد الأجنبية واطلاعه على الصحف الفارسية الصادرة فى اسـتانبول ومن ثم عرف بشروط هذا الاحتكار وقارنه بامتيـاز منحتـه الدولـة العثمانية لاحتكار دخانها لشركة أجنبية بشروط أفضـل وفشـل أمـين السلطان برغم محاولاته تهديد العلماء الشـيعة وترغيبهـم وقد قاموا يساعدون الشعب وأفتوا بحكم تحريم استخدام الدخانيات أن يرجعهم عن سلوك الثورة ، وأخذ عداء الرجى يأخذ شيئا فشيئا شـكل ثـورة الشعب على البلاط وأصول الاستبداد ، وكان امـام القـوم فى هـذا السبيل فى طهران الحاج ميرزا حسن الآشـتيانى (١٢٤٣ — ١٣١٩هـ) من أجلة علماء الأصول وفى مشهد الحاج ميرزا حسن الشيرازى (متوفى عام ١٣١٢هـ) رئيس الشيعة وقد جاهد كلاهما قـدر وسـعه للقضـاء على امتياز الاحتكار حتى ألغى الشاه وأمين السلطان أخيرا هذا الامتياز فى السادس عشر من جمـادى الأولى (١٣٠٩هـ) خشـية ثـورة الناس واعلان العلماء للجهاد وطوت شركة دخانيات الشاهنشاهية بسـاطها من ايــران .

وقد أفهمت حادثة الرجى والنجاح الذى أصابه الشعب والعلمـاء بالغاء امتيازها الناس وعلماءها أنه يمكن بالضغط والثورة منع الأعمـال المستبدة للحكم الاستبدادى للشاه وصدره الأعظم ، وكان هذا مقدمـة لمثل هذه الثورات فى أيام صدارة أمين السلطان وعين الدولة عهد حـكم مظفر الدين شاه . لكن ازاء الغاء امتياز الرجى فقد نشأ عن هذا شـقاء عظيم لايران وهو أن الشاه وأمين السلطان لكى يدفعا الخسـائر التى تسببت للشركة الانجليزيـة أثناء شروعها فى العمل أجـبرا عـلى أن يستدينا من البنك الملكى خمسين ألف ليرة انجليزية ليدفعـاها اليهـا ، وكان هذا أول قرض تستقرضه ايران من أجانب ، وقد زاد هذا القرض والقروض الأخرى التى اقترضتهـا الدولة فى عهـد ناصر الدين شـاه وخلفائه من انجلترا وروسيا شقاء ايران يوما بعد يوم وفتحت أيـدى

نفوذ واستيلاء جارتيها الجنوبية والشمالية فى هذه البلاد أكثر عن ذى قبـــل •

وقد تزايد فساد بلاط ناصر الدين شاه وظلم الحكـام وجورهـم خاصة الارتشاء فى أواخر الحكم ، ولم يك بين الرجال القائمين بالأمور من يفكر فى العلاج ، لأنه لم يجرؤ أحد أن ينبس ببنت شفة عن طلـب الاصلاح أمام نفوذ أمين السلطان الذى فاق الحدود واسـتيلائه على عقل الشاه • وكانت ادارة الأمور فى ظاهرها لمجلس شـورى مؤلف من أمين السلطان وكامران ميرزا نائب السلطنة وولد الشـاه ووزير الحربية وحاكم طهران وميرزا على خان أمين الدولة وزير البريـد (الرسـائل الخاصة) والأوقاف وتوظيف العاملين ووزيرى الخارجية والتلغراف ، ولم يكن بينهم رجل عليم بالأمور خاطب للاصلاح غير أمين الدولة لكنه كان عاجزا وكانت الخصومة والتنافس قائمين دائما بينـه وبين أمـين السلطان الى أن أرسله أمين السلطان فى أواسط عام (١٣١٣هـ) قبل قتل ناصر الدين شاه ببضعة شهور الى تبريز ليتولى حكم آذربايجان وأبعده فى الحقيقـة عن طهـران •

وقد أدت هذه الأحوال خاصة أفعال أمين السلطان غير المرضيـة ومعه كامران ميرزا بالشعب الذى انتصر فى قضية الرجى وعرف حقوقه عن طريق عدد من العلماء والتجار والمطلعين على أحوال أوربـا الى أن يفكر فى اصلاح الفساد ونقد أسلوب الحكم الاستبدادى وأعمال أمـين السلطان وكامران ميرزا الاستبدادية النفعية ، وكان جمع كبير من الداخل والخارج يسعون الى ايقاظ الشعب مثل أمين الدولة والحـاج الشـيخ الهادى النجم آبادى (١٢٥٠ — ١٣٢٠هـ) والسيد جمال الأسدآبادى الهمدانى (الأفغانى) (١٢٥٤ — ١٣١٤هـ) • وقام ملكم بسبب عدائـه لأمـين السلطان وطلبه لمنصبه وقصر يده عن الأمور الى حد ما بتأسيس صحيفة القانون فى لندن وأنشأ يذكر مظالم الحكم الاسـتبدادى باسم سيادة القانون وتغيير وضع حكومة ايران ، ولم تخل كتاباته من التأثير

فى الشعب بسبب كثرة العامية بها ووصولها من الخارج .

وفى السابع عشر من ذى القعدة (١٣١٣هـ) حين انصرم من سلطنة ناصر الدين شاه تسعة وأربعون عاما وخرج الشاه يومها لزيارة ضريح (حضرة عبد العظيم) أطلق عليه النار ميرزا رضا الكرمانى ممن رباهم الحاج الشيخ الهادى النجم آبادى والسيد جمال الدين الأفغانى وظلمهم كامران ميرزا ، ومات ناصر الدين شاه — وكان يهيىء احتفال مرور خمسين عاما على سلطنته — متأثرا بهذه الضربة .

سلطنة مظفر الدين شاه

(١٣١٣ — ١٣٢٤هـ)

مظفر الدين شاه الذى ولد عام (١٢٦٩هـ) هو رابع أبناء ناصر الدين شاه ومات أخواه الأكبر منه معين الدين ميرزا وأمير قاسم خان فى صغرهما بعد أن نال كلاهما ولاية العهد أحدهما بعد الآخر ، ولم يبلغها الابن الثالث لناصر الدين شاه مسعود ميرزا ظل السلطان والذى يكبر مظفر الدين بثلاث سنوات بسبب أن أمه لم تكن من الأسرة الحاكمة ، وظل مظفر الدين من عام (١٢٧٤هـ) حين ولى العهد وهو ابن الخامسة حتى أن قتل والده نحو أربعين سنة فى ولاية العهد ، وقل أن خرج خلال هذه الفترة من آذربايجان مع أن والده سافر الى أوربا ثلاث مرات وساح فى أغلب بلاد ايران ، وكان ضعيف النفس جبانا مصابا بالعلل من أواسط عمره فبعد ذاك لذلك كان يعيش فى جهل تام بأوضاع العالم ومصالح الملك ولم يسع أبوه ناصر الدين كما يتوجب فى أمر تربيته وولايته فى خدمته بالمستبصرين الأكفاء من الناس ، ورقى مظفر الدين العرش والذى كان دأبه الدائب معايشة الندماء وأهل النفاق الجهلاء وهو فى حال من السذاجة واللهو وانعدام البصيرة ، وبسبب أن آذربايجان كانت يومئذ تحت نفوذ الروس الكامل السياسى فقد كانت غالبية من

حول ولى العهــد مائلة الى السياسة الروسية •

بعد مقتل ناصر الدين شاه وقدوم ولى العهد الى طهران بقى أمين السلطان صاحب القوة الفائقة الحدود فى الصدارة على حاله ، ومع أن طلاب الحرية والساعين الى انهاء أساس الحكم الاســتبدادى وزوال دولته كانوا يأملون فى تحسن الأوضاع الا أن الشاه لم يأبه بمطلبهــم فأيسوا من تخلية أمين السلطان من الصــدارة ، بيــد أن وزارة أمــين السلطان لم تدم أكثر من سبعة شهور وعزله عنهــا الشــاه فى أواخــر (١٣١٤هـ) واستدعى أمين الدولة من آذربايجان الى طهران وجعله رئيسا للوزراء فى الحادى عشر من ذى القعدة من ذلك العام ، ثم نصبه فى رجب (١٣١٥هـ) فى الصدارة ، وأعطى بذلك طلاب الاصلاح آمالا وقــد كانوا يثقون بأمانة أمين الدولة وعلمه ووطنيته •

وعمل أمين الدولة أيام صدارته على اصلاح الأمور ووضع نصب عينيه تنفيذ المشاريع التى أعدها الأمير الكبير وحاجى ميرزا حسن خان السبهسالار فى هذا المجال ، فأطلق حرية الصحف وأكثر عددهــا وقــام بانشاء المدارس وأسس جمعية لتطوير العلوم ولما كانت أوضاع البلــد المالية متردية للغاية ولم يكن بالخزانة مال يفى بنفقات الشاه الداخلية ، وكان كل شىء يدخل جيوب المتطفلين وحاشية الشاه وخدمه المتعــددين عمل أمين الدولة على ادارة المالية والجمرك والخزانة ادارة منظمة ولأجل هذا قام باستقدام المستشارين من الخارج فضلا عن قضائه على تزوير المستوفيين ونهبهم والموظفين الماليين ، وكان من ضمن هؤلاء المستشارين ثلاثة من البلجيكيين استدعاهم لايران ، وأشهرهم (نوز) ، لتنظــيم الجمرك ودور ضرب العملة والبريد • ومع أن نوز قد خرج كما ســوف نرى عن حدود المسموح به له فى ايران وسلك طريق منفعته الشخصية وخدمة الأجانب الا أن أساس الجمرك والبريد الحالى بايران يسند اليه ومستشارى بلجيكا الباقيين اللذين استقدمهما أمين الدولة الى ايران •

وقد تسببت انجازات أمين الدولة فى تحديد ميزان الدخل القومى ومنصرفه وتنظيم الميزانية ومنع الرشوة والتطفل وتأسيس العدالة خاصة تحديد رواتب رجال الشاه ومجرياتهم فى تحريك عداوتهم له ، وأخـذ أعوان أمين السلطان الدائبين فى ارجاعه يوسعون من شقة العداوة الى أن عزل الشاه فى (١٣١٦هـ) أمين الدولة واستدعى أمين السلطان من قم الى طهران وأسندت اليـه الصـدارة .

ودامت صدارة أمين السلطان الثانية فى عهد مظفر الدين شـاه من عام (١٣١٦هـ) الى (١٣٢١) وزاد فى هذه الفترة التى لقب فيها بلقب الأتابك الأعظم أيضا شقاء ايران ونكبتها أضعافا مضاعفة عما سـبق ، لأن أمين السلطان بدل أن يجد علاجا للعجز المـالى وتضعضع أحـوال البلاد عن طريق الاصلاحات الداخلية وقطع أيدى السارقين والمرتشين انطلق يستقرض الأجانب ، كما حدث فى عامى (١٣١٨هـ) و (١٣٢٠) حين اقترض قرضين نحسين من ورسيا وترك العائدات الجمركية لشمال ايران لدفع هذه القروض تحت اختيار الروس فى الحقيقة ، وأتاح للمستشارين البلجيك ما جعله للروس فى ادارة الجمرك والتجارة ، وبـلغ نـوز من النفوذ حد أنه اعترف به فى (١٣٢١هـ) وزيرا لجمرك ايران .

أما الأموال التى عادت عن هذه القروض فقد أنفقت كلهـا لدفـع رواتب الطفيليين ونفقات سفرين لا فائدة منهما للشاه الى أوربـا (فى ١٣١٨ و ١٣٢٠هـ) ولم ينفق منها دينار واحد لخير البلاد وصلاحها .

وخلاف هذين القرضين من روسيا اقترض ثالث عام (١٣١٨هـ) من انجلترا وضاع رهنا له عائدات مصايد بحر الخزر والبريـد والـبرق وجمارك فارس والخليج ، وعلى هذا النحو استقر أفضل طرق الدخل القومى التى ينبغى أن يعيش الشعب عليها فى أيـدى الأجانب فـزاد تسـلط الأجانب أكثر مما مضى .

وأصبح خراب الوضع المالى وأسفار الشاه العابثة وأفعاله اللاهية

وأعمال أمين السلطان الأنانية الحمقاء باعثا أخيرا على اعتراضات الشعب الشديدة ، ولما كان يعد كل هذه الأوضاع مســببة عن الأتابك أخــذ فى الضغط ومعه رجال الدين فى طهران لعزله ، وطلب جادا عزله من الشاه فى جمادى الآخرة (١٣٢١هـ) فعزله الشاه وعين مكانه سلطان مجيد ميرزا عــين الدولة .

الفصل التاسع عشر

دستور ايران

لجأ عين الدولة فى بلوغه الصدارة أولا الى موادعة وملاطفة طلاب الحرية والعلماء ومن سعى فى عزل أمين السلطان ، لكنه سلك طريق الاستبداد بعد قليل بسبب حبه لمنافعه وجهله وغفلته عن مصالح البلاد ، وكان مظفر الدين قد فوض حكومة الولايات جميعا ما عدا أصفهان التى كانت فى يد أخيه الأكبر ظل السلطان الى أولاده فلم يقصروا فى ظلمهم للشعب ، فما جعل كره الشعب لعين الدولة وأتباع الشاه وأقاربه وأسلوب معاملتهم يزيد يوما بعد يوم ، ووسط هذا أخذ مؤيدو أمين السلطان يؤلبون الناس والعلماء على معاداة عين الدولة خاصة وأنه ترك أزمة الأمور الشرعية والعرفية تحت تصرف الشيخ فضل الله النورى نوعا ما وكان من علماء طهران ذوى النفوذ القوى وكانت جماعة أخرى من العلماء غير راضية عن هذا الأمر .

وألف عدد من محبى الاصلاح والناقمين على الأوضاع فى أواخر عام (١٣٢٢هـ) جمعية فى الخفاء لدستورية حكم ايران ، وأبدى الآغا سيد محمد الطباطبائى وكان ذا سعى دائم لايقاظ الشعب ومن علماء طهران كمال موافقته لأفكارهم . ولما أنه وقع فى أوائل عام (١٣٢٣هـ) نسخ من صورة للمسيو نوز رئيس الجمرك فى أيدى الوعاظ والعلماء ظهر فيها نوز معتما بعمامة ومرتديا العباءة ، تذرعوا بهذه الصورة أنها توهين للاسلام وهاجموا الحكومة على رؤوس المنابر ، وكان امام المعترضين فى هذا الآغا سيد عبد الله البهبهانى الناقم على عين الدولة غير أن عين

الدولة لم يهتم بهذه الثورة بل زاد نوز قوة على قوة مع توالى الأيام ٠ وحتى لا تصل أيدى الثائرين الى الشاه سيره الى أوربا بحجة العلاج ، وهدأت ثائرة الثائرين حتى عاد الشاه من أوربا الى حد ما ٠

أما عين الدولة الذى كان حانقا لتحركات العلماء وعداء التجار بسبب غلاء السكر له ولمسيو نوز فقد قرر أن يغلظ لهم حتى بعد عودة الشاه من أوربا فى رجب (١٣٢٣هـ) وأجمع على أن يظهر لهم قوته ، الا أنه فى نفس هذا الوقت بلغت الأنباء من الولايات تنهى اساءة بعض الولاة معاملة رجال الدين ، وقام علاء الدولة حاكم طهران بضرب بعض التجار بالعصا ، لذا اتجه مخالفو عين الدولة وعلماء طهران الذين تحالفوا معا عليه فى رمضان (١٣٢٣هـ) الى ضريح (حضرة عبد العظيم) فى السادس عشر من شوال من نفس العام ، وصار عداؤهم لعين الدولة علنيا وبدأت الثورة ٠

اصدار فرمان الدستور فى الرابع عشر من جمادى الآخرة (١٣٢٤هـ) :

وبعد مدة من المحادثات بين الثوار والبلاط عاد العلماء فى السادس عشر من ذى القعدة (١٣٢٣هـ) باحترام تام الى طهران بأمر من الشاه أن يجيب عين الدولة مطلبهم بتأسيس دار للعدالة ، وقد جرأت هذه الحادثة التى كانت هزيمة لعين الدولة فى الحق الناس عليه وصار مطلب دار العدالة والدستور أمرا علنيا ، وكان أول نصر لهم هو عزل علاء الدولة عن حكومة طهران ٠

ولما عاد العلماء لم يغير عين الدولة مسلكه بل طفق يوقف بعض الصحف ويشرد بعض طلاب الحرية وكان من بينهم السيد جمال الدين الأصفهانى أشهر خطباء ووعاظ المطالبين بالدستور الذى أبعده الى قسم وبعض آخر الى كلات وقام بتعطيل تنفيذ أمر الشاه بتأسيس دار العدالة بكل ما وسعه من استبداد وحظر على الناس المسير بطهران ليلا ٠ وكان الصدر الأعظم يفعل كل ما يحلو له مستغلا مرض الشاه يومذاك

وجهله التـام بأوضاع الدولـة .

ونتيجة لضغوط عين الدولة واستبداده هاج الشعب مـرة أخـرى وعقدوا اجتماعا هذه المرة فى المسجد الجامع بطهران وطالبوا علنا بعزل عين الدولة وتنفيذ فرمان الشاه بتأسيس دار العدالة ، فأرسـل عـين الدولة جنودا عسكريين الى المسجد لتفريق المجتمعين وقتل فى النزاع بين الطرفين اثنان من طلاب الحرية ، فذهب العلماء الى قم واحتمى جمـع من أهل العاصمة بالسفارة الانجليزية . وفى النهاية عزل الشـاه عـين الدولة ، وأحل محله بالصدارة ميرزا نصر الله خان النائينى مشير الدولة وكان وزير الخارجية ، وأصـدر فى الرابع عشر من جمـادى الثانيـة (١٣٢٤هـ) فرمان الدستور وتألف فى الثامن عشر من شعبان من نفـس العام أول مجلس شورى وطنى ايرانى ودونت القوانـين الأسـاسية ووقعها الشاه فى الرابع عشر من ذى القعدة ، ومات بعدها بخمسة أيام .

سـلطنة محمـد عـلى شـاه
(١٣٢٤ ـ ١٣٢٧هـ)

ولى محمد على ميرزا الذى ولد فى تبريز فى عام (١٢٨٩هـ) وكانت أمه ابنة ميرزا تقى خان الأمير الكبير العهد فى عـام (١٣١٣هـ) وحـكم آذربايجان ، وبعد موت مظفر الدين شـاه جلس على العرش بعـد أن استدعى الى طهران فى مرض موت أبيه باسم محمد على شاه ، وأقـر القانون الأساسى للدستور الذى وقع عليه أبوه من قبل ووعد بأن يسير وفق الدستور ووفق كل بنوده ، لكنه بسبب استبداده الطبعى وأنانيته وظلمه ووقوعه تحت نفوذ شر ذمة أعداء الدستور مثل الأمير (بهـادر جنـك) وزير البلاط ولياخوف القائد الروسى لقوات القازاق ، لم يتوان عن أى خطوة عدائية بعد قليل من جلوسه على العرش للدستور وأئمته .

ومع أن نواب الدورة الأولى للمجلس الذين كانوا يجهدون بحماسة

تامة لاصلاح أوضاع ايران قد تمكنوا من الفوز بطرد المسيو نوز رئيس الجمرك العام ووزير الخزانة من الخدمة أمام السياسة الروسية التى تحفظه بحمايته شديد الحفظ ، الا أن الروس أخذوا يقوون من أزر الشاه الجديد فى عدائه للمجلس والدستور يوما بعد يوم الى أن ألقى محمد على شاه بمشير الدولة عن الصدارة واستدعى أمين السلطان من أوربا وفوض اليه أمورها فى ربيع الأول (١٣٢٥هـ) .

وهم أمين السلطان فى خطوته الأولى أن يقترض من روسيا قرضا جديدا يعاونه النواب المعتدلون بالمجلس لكن النواب المتطرفين خاصة ممثلى آذربايجان لم يكفهم ممانعة تنفيذ المشروع بل ثاروا بالخلاف والعداء الجدى له ولم يطل الأمر حتى قتل أمين السلطان فى رجب (١٣٢٥هـ) على يد أحد الفدائيين المحبين للدستور حينما كان يغادر المجلس ، واختار الشاه بعد هذه الحادثة بفترة وزير المالية السابق أبا القاسم خان ناصر الملك الهمدانى من خريجى جامعة اكسفورد وكان مصدر خدمات أيضا أيام صدارة أمين الدولة لكى يترأس الوزراء .

وفشل ناصر الملك مع دراساته المتقدمة وتجاربه الطويلة واعتدال مسلكه أن يصلح مالية المملكة ، ومع أن فى ذلك الوقت وقع محمد على شاه الملحق المتتم للقانون الأساسى بناء على ضغط النواب ودخل المجلس بنفسه وأقسم بالقرآن الكريم على الحفاظ على الدستور الا انه لم يكف عن اساءة معاملة طلاب الدستور وتشجيع أعدائهم ، ووصل به العناد فى هذا الى أنه حبس ناصر الملك والوزراء الآخرين وهم بنسف أساس الدستور لكنه انصرف عن همته لشدة ضعف نفسه وخوفه من ثورة طلاب الحرية مؤقتا .

وطفق طلاب الحرية وكانوا على علم كامل بنية الشاه السيئة يجمعون الجنود المتطوعين الوطنيين فى العاصمة والولايات للدفاع عن الدستور وأرواحهم وأعلن الصراع بين الدستور والاستبداد وبلغ حد أن

النواب بالمجلس طلبوا الى الشاه أن يبعد عنه ستة من حاشيته كان هم المحرضين الأول على ازالة الدستور ومع أن الشاه وعد بهذا الا انه قام بالقبض على ثمانية من النواب المفوهين وذوى النفوذ وتشريدهم ، وبما أنه لم يكن مطمئنا فى اقامته بالعاصمة تحرك فى التاسع من جمادى الأولى (١٣٢٦هـ) الى قصر باغ شاه خارج البوابة الغربية لطهران ؛ وصارت العاصمة فى فوضى تامة بسبب تجمع جماعة من هواة الاستبداد فى ميدان الطوبخانة (المدفعية) واعتداءات المنتهزين للفرص والأشرار .

وفى النهاية فى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من جمادى الأولى قصف لياخوف الروسى وجماعة من الجنود القازاق والسيلاخورية المجلس بالمدفعية ومع دفاع المدافعين عن المجلس لمدة سبع ساعات الا أنهم غلبوا على أمرهم وقتل بعض النواب وأسر بعض آخر وفر أكثرهم وتواروا .

وبدأ الشاه بالسيد محمد الطباطبائى والسيد عبد الله البهبهانى فنفاهما وقتل جماعة من الصحفيين وخطباء الدستور وألقى بجمع آخر فى السجن ، وبهذا زال الدستور الأول لايران الذى دام من الرابع عشر من جمادى الآخرة (١٣٢٤هـ) حتى الثالث والعشرين من جمادى الأولى (١٣٢٦هـ) وبدأ عهد (الاستبداد الصغير) وظل النزاع قائما بين أتباع الدستور وأشياع الاستبداد فى أيام الاستبداد الصغير الذى طال ما يزيد عن العام .

ومع أن الشاه تغلب على مخالفيه بضرب مقر مجلس الشورى وبالقضاء على الجمعيات الوطنية فى العاصمة الا أن أغلب الولايات لم تتصع للاستبداد ، بل دفعت أعماله التى ارتكبها من نقض عهده ونكث قسمه ومعاداته لأساس تحصل عليه الشعب بشق النفس بطلاب الحرية فى الولايات الى الثورة العلنية وقتال القوات الملكية ونواب الشاه ولا سيما أحرار تبريز الذين استولوا عليها ، ولما أمر عين الدولة والذى

يعده طلاب الدستور أعدى أعدائه باعادة سيطرة الحكم عليها اشتعل حماس والتهاب الوطنيين للمقاومة وفشلت قوات الدولة فى أن تجتـاح المدينة مع حصارها لها بضعة شـهور •

وأثرت مقاومة أهل تبريز البطولية برئاسة ستارخان القائد الوطنى وباقر خان فى الولايات الأخرى شيئا فشيئا وحثت الأحـرار ومحـبى الحرية على الثورة ومن بينهم محمد ولى خان التنكابنى الذى بـدأ بأن أرسله الشاه لضرب الوطنيين فى تبريز فعرج على تنكابن وأعلن انحيازه للدستور ، وتحالفت جماعة من المهاجرين الايرانيين من القفقاز والأرامنة أيضا يترأسهم بيرم خان وغيره فى رشت مع محمد ولى خان الذى لقب بعد ذلك بالقائد الأعظم • وفى أصفهان أيضا أعلن الرؤساء البختياريون عن انحيازهم للدستور ، وتقدم عـلى قلى خـان السردار الأسـعد من رؤساء هذه القبيلة المتصف باستنارة الفكر وكان فى أوربا الى أصـفهان وأخرج بعون نجف قلى خان صمصام السلطنة أصفهان عن قوات الدولة، وتقاطر الوطنيون من أكثر من ناحية لفتح طهران والقضاء على الشـاه ناحية العاصمة ، وفى حرب قصيرة جرت فى قرية بادامـك بالقـرب من الكرج هزموا حماة الشاه وهم القوات القزاق والسيلاخور ، ودخـلوا طهران فى صباح السابع والعشرين من جمادى الآخرة (١٣٢٧هـ) ، فلاذ محمد على شاه أولا بقصر (باغ سلطنت آباد) ثم بالسفارة الروسـية واستقال من السـلطنة •

سـلطنة أحمـد شـاه

(١٣٢٧ ـ ١٣٤٣هـ)

بعد أن احتمى محمد على شـاه بالسـفارة الروسـية واعتزاله السلطنة أجلس الثوار الأحرار فى الثامن والعشرين من جمادى الآخرة (١٣٢٧هـ) ابنه ذا الاثنا عشر عاما أحمد ميرزا مكان والده وكانوا قـد

نصبوا التنكابنى وزيرا للحربية والأسعد البختيارى وزيرا للداخليـة ، وتقرر أن ينوب واحد عن السلطنة الى أن يبلغ الشاه الجديد الرشـد فترك هذا المنصب مؤقتا الى حين افتتاح المجلس النيابى الثانى لأحـد من الرؤساء الكبار السن لأسرة قاجار وهو عضد الملك • وبعـد خـلع محمد على شاه عن السلطنة آل تصريف الأمور الى يد هيئـة اداريـة أمسكت بأزمة الأمور حتى تأليف المجلس الجديد ، وطفقت فى تنظـيم مقدمات الانتخابات ونفى محمد على ميرزا وأعوانه عن ايران والقبض على أعداء الدستور وعقابهم • وبعد مفاوضات مسهبة بين طلاب الحرية المنتصرين وممثلى سفارتى روسيا وانجلترا الذين تعهدوا بحماية محمد على ميرزا والدفاع عن منافعه الشخصية وقع بلاط طرد الشاه المخلوع فى النهاية فى السادس عشر من رجب (١٣٢٧م) قرارا يشمل ست مواد صار بموجبه أن يترك محمد على ميرزا كلفة الجواهر الملكية التى يحتفظ بها معه مع الوثائق المتعلقة بها للدولة ويخرج من ايران فى ظرف خمسة عشر يوما وتدفع له الدولة سنويا خمسة وسبعين ألف تومان راتبا له • ورحل الشاه المخلوع بعد توقيع هذا القرار بقليل الى روسيا ، وكانت الدولة مستعدة أن ترفع راتبه الى مائة ألف تومان له لكنه بعد فترة لمـا عاد الى ايران للاستيلاء ثانية على سلطنتها وقام بمحاولات فى استراباد وبين التركمان ضد الدستور وغلب وهرب ، قطعت الدولة راتبه • وفى الحكومة الجديدة التى ألفها الأحـرار مؤقتا احتفـظ بمنصـب وزارة الخارجية لأبى القاسم خان ناصر الملك الهمدانى الذى كان بأوربا ، لكنه تعطل بعطل فى عودته الى ايران وكان محمد على شاه قد استدعاه لرئاسة الوزارة قبل انتصار الوطنيين بقـليل •

وقبل افتتاح المجلس الثانى استحوذ المنتصرون بطهـران عـلى جماعة من رؤساء الاستبداد وبعد محاكمتهم قامت بشنقهم • وأشـهر هذه الجماعة الشيخ فضل الله النورى الذى تسبب فى صـدارة عـين الدولة والمجلس الأول والاستبداد الصغير فى ايذاء طـلاب الدسـتور

وكان منحازا بكليته الى الاستبداد وتاريخ مقتله هو الثالث عشر مــن رجب (١٣٢٧هـ) ٠

وفى الدورة الثانية للمجلس ثارت خلافات شديدة بين النواب بسبب الاصلاحات الأساسية والأمور السياسية وانقسم النواب الى أحزاب عدة قام من بينها الحزب الديمقراطى المتطرف والحزب المعتدل ينافس أحدهما الآخر ويعاديه ، وتبدل الصفاء السابق بين التنكا بنى والسردار الأسعد الى عداء وبلغ الثانى رئاسة الوزراء بعون الديمقراطيين ٠

وفى عام (١٣٢٨هـ) توفى عضد الملك نائب السلطنة وظل النواب فى صراع حول انتخاب من يخلفه مدة من الوقت ، وكانت جماعة تريد ناصر الملك لهذا المنصب وأخرى تشايع المرحــوم ميرزا حســن خــان مستوفى الممالك الاشتيانى ٠ وفى النهاية نجح المنحازون الى ناصر الملــك واختير ناصر الملك لنيابة السلطنة ومستوفى الممالك لرئاسة الوزراء ٠

ولما كان مسلك الديمقراطيين والأحرار متطــرفا ازاء السياســة الروسية فى ايران ، فكانت روسيا بدورها دائمة توليد المصاعب لتحطيم الدستور كما حدث فى عام (١٣٢٩هـ) حين أتوا بمحمد على ميرزا الى استراباد وأخذ هو وأخوه سالار الدولة الذى كان يجمع الجند فى غرب ايران ويسبب المشقات للــدولة يهاجمان ايران بدعــوى اســترجاع السلطنة ، لكن الدولة نجحت أخيرا فى ان تطرد هذين الأخوين عن ايران وتحفظ الدستور من شرهما ٠

وفى نفس عام (١٣٢٩هـ) قرر مجلس الشورى الوطنى الايرانى استخدام هيئة من الخبراء والمستشارين الأمريكان وكان يعانى الأمرين بسبب فوضى المالية وقلة الدخل ، فقدمت هــذه الهيئة وعلى رأســها (مورجان شوستر) (Morgan Shuster) فأعطى شوستر وكان رجلا نشطا جادا صادقا فى مدة قليلة مالية ايران بعون معاونيه الامريكيين وضعها وشكلها اللائق وثار أثيرا عند كافة محبى الاصلاح الايرانيين ٠

وفى نفس الوقت الذى كان يتباحث فيه النواب استخدام موظفين ماليين رأوا أن يستجلبوا هيئة أخرى من السويد لتأليف قوات الأمن ، فأتى المستشارون السويديون يترأسهم المقدم يالمارسن (Hyalmarson) الى طهران فى شعبان (١٣٢٩هـ) وفى السنة التالية قدمت هيئة أخرى من السويد لادارة الشرطة .

وشرع السويديون من فورهم فى تأليف قوات الأمن ، وقد أسدت هذه القوات خدمات جليلة فى وصول الضرائب وحفظ الطرق لشوستر ومعلونيه . وقد بلغ عدد قوات الأمن حتى عام (١٣٣٣هـ) حين حلت عشرة آلاف ، وكانت هذه القوات ومعها قوات القازاق المحدودة تعد حتى ذاك الوقت وحدها جيش ايران المنظم .

وقد اعتمد شوستر فى مواصلة أعماله على الديمقراطيين المشهورين بعدائهم للسياسة الروسية ونهض مثلهم فى معاداة السفارة الروسية ، من بين ذلك أنه هم أن يشرف على ادارة الجمرك التى كان يتولاها المستشارون البلجيكيون وهم أتباع للروس ، وقد أحنق هذا الروس . وطالما أصدر مجلس الشورى حكما بايقاف أموال ملك منصور ميرزا شعاع السلطنة أخى محمد على ميزا وسائر أملاكه بعد أن ثار ضد الدستور وأرسل شوستر بعض قوات الأمن لضبطها ، وضع الروس بحجة أن شعاع السلطنة مدين للبنك الروسى قبل وصول جنود شوستر حديقة شعاع السلطنة ومنزله تحت اشرافهم وتصرفهم فأمر شوستر بحصار منزل شعاع السلطنة ، فأرسل الروس فى السابع من ذى الحجة (١٣٢٩هـ) الى ايران مذكرة اعتراضية شديدة طلبوا فيها عزل شوستر والمستشارين الأمريكان . فلم لم تجد ايران مناصا من ذلك وأدرك ناصر الملك بأسلوبه الحذر فى معالجة الأمور أن تطرف النواب الديمقراطيين يمكنه أن يولد متاعب كبرى لذلك قبل مطلب روسيا ، وغادر شوستر والمستشارون الأمريكيون ايران ، وانحل المجلس الثانى

فى الثالث من المحرم (١٣٣٠هـ) وصار رئيس الجمرك البلجيكى الذى كان تابعا للروس قائما على أمور الخزانة وصاحب التصرف فى ماليات ايران بدلا من شوستر .

وعلى أثر النجاح الذى حالف الروس فى طرد شوستر وحل المجلس وابعاد الرؤساء الديمقراطيين طفقوا فى ارتكاب كثير من الأعمال المزرية من بينها ضرب قبة المشهد المقدس (للرضا) بالمدافع وقتل جماعة من الأحرار فى رشت وتبريز ، ونتيجة لهذه الأحداث زادت أوضاع ايران تدريجيا فوضى ، وانتهت فترة نيابة ناصر الملك للسلطنة التى ختمت فى الثامن والعشرين من شعبان (١٣٣٢هـ) بتتويج أحمد شاه بمثل هذا الوضع المزرى .

وبعد تتويج الشاه صادف المجلس الثالث بعد قليل من افتتاحه بداية الحرب العالمية الأولى ولما كانت الحرب مشتعلة بين قوات جيران ايران انجلترا وروسيا من ناحية والدولة العثمانية تحالفها ألمانيا والنمسا من ناحية أخرى على حدود شمال غرب ايران وجنوبها الغربى ومع أن رئيس وزراء ايران مستوفى الممالك أعلن رسميا فى (١٣٣٣هـ) حياد بلاده ، الا أن هجمات المحاربين أصابت ايران بسبب ضعف جيشها وصارت مناطق شمال غرب ايران وغربها وجنوبها الغربى ميادين حرب ، ومن ناحية أخرى أفاد عاملو الحلف الأوربى المركزى من المصائب التى حلت بالايرانيين فى طى القرون السابقة بسبب سياسة روسيا وانجلترا العدائية ودعوا العامة الى الاتحاد الاسلامى ومساعدة العثمانيين وألبوا معهم فى هذه الدعوة حتى بعض من نواب المجلس المتطرفين ، ولحسن الحظ بذل مستوفى الممالك جهدا خارقا للاحتفاظ بحياد ايران ولم يدع الدولة تدخل رسميا الحرب متحازة الى أحد الطرفين ، وبسبب حسن السياسة هذا أن بقيت بلادنا لم يمسها أذى بعد انتهاء الحرب العالمية واحترم المنتصرون استقلال أراضيها وحدودها .

ولما أيس المنحازون الى الاتحاد الاسلامي والنواب المتطرفون الذين كانوا يودون أن يجتذبوا ايران لمساعدة ألمانيا والعثمانيين في الحرب من انصياع الدولة لهم رحلوا عن العاصمة الى قم ودعوا الناس في الولايات بتأليفهم لجنة الدفاع الوطني الى حرب الروس والانجليز وجهادهم وانحاز اليهم جمع من قواد جيش الأمن ، لكنهم لم يحققوا شيئا غير توليد الثورات في المدن المركزية والجنوبية والغربية ولاذوا بالفرار أمام الجنود الروس الذين تقدموا حتى أصفهان والحدود الغربية صوب بغداد واستانبول وبرلين .

قرارات (١٩٠٧ و ١٩١٥ و ١٩١٩م) : —

عقدت روسيا وانجلترا معاهدة بينهما بعد مدة من الصراعات الشديدة السياسية في آسيا ، خاصة في التبت وأفغانستان وايران ، أي في البلاد التي كانت واقعة بين مستعمراتهم في نهاية الأمر لما رأت أخطار التطور السريع الألماني والتهديد الذي ينتظرهم من هذه الدولة وكان تاريخ هذه المعاهدة العشرين من رجب (١٣٢٥هـ) (٣٠ أغسطس ١٩٠٨م) وفضوا بموجبها كافة خلافاتهما السياسية في آسيا . وكان من بين هذه المعاهدة المعروفة بقرار (١٩٠٧م) والذي عقد في فترة صراع محمد علي ميرزا والمجلس النيابي الأول جزء هام يتعلق بايران بمعنى أن روسيا وانجلترا قسمتا ايران الى ثلاث مناطق وقررتا أن تعترف انجلترا بالمنطقة الواقعة في شمال الخط الواصل من قصر شيرين الى أصفهان ويزد ومقدمة جبال ذي الفقار منطقة نفوذ روسي ولا تنال لها أو لأحد من رعاياها فيها أي امتياز لمد السكك الحديدية أو انشاء بنك أو برق أو وسائل مواصلات أو تأمين أو حتى لدولة أخرى وفي حالة حصول انجلترا على امتياز من هذه الامتيازات تخالف بهذا روسيا ، وتعهدت روسيا بنفس هذا التعهد فيما يتصل بالمنطقة الثانية المحدودة بأفغانستان وبلوجستان وبحر عمان والخط الذي يبدأ من

مقدمة جبال ذى الفقار من طريق بير جند ويزد وينتهى الى بندر عباس والقسم الخارج عن هاتين المنطقتين عد محايدا . فضلا عن أن الدولتين عدتا كافة الامتيازات التى سبق لهما حصولهما عليها من ايران رسمية وقائمة . وجعلوا الاشراف على العائدات فى المناطق التى تحت نفوذهم من صلاحيتهم أيضا . وبالرغم من اعتراض ايران على عقد هذا القرار الا أن أحدا من الدولتين لم تصغ الى هذا الاعتراض ، وأصبح الروس فى الشمال أصحاب السيطرة الكاملة والانجليز فى الجنوب ومياه الخليج الفارسي وجزره وموانيه وبحر عمان .

وفى عام (١٣٣٣هـ) (١٩١٥م) أى بعد ان تقدم الـروس الى أصفهان وهزم الانجليز فى الجنوب أيضا قوات الأمن والمتحازين الى نواب ايران المهاجرين والحلفـاء الاوربيين المركزيين حل الانجليـز والروس قرار (١٩٠٧م) وعقدوا مكانه قرارا آخر عرف بقرار (١٩١٥م) فأسقطوا هذه المرة تماما المنطقة المحايدة وتسموا ايران الى منطقتى نفوذ بينهما وقرروا أن يضع الروس فى الشمال قوات القازاق حتى أحد عشر ألف جندى ويضع الانجليز فى الجنوب قوات فى نفس العدد باسم بوليس وأن تأخذ الدولتان الهيئة المختلطة المالية ايران تحت ادارتهمـا .

وفى أوائل عام (١٣٣٦هـ) أى فى أواخـر (١٩١٧م) انقلبـت أوضاع روسيا تماما رأسا على عقب وسيطرت الحكومة البلشفية مكان الحكم القيصرى ، فأعلن الحكم الجديد الغاء قرار (١٩١٥) رسـما فى الرابع عشر من يناير (١٩١٨) (أول ربيع الثانى ١٣٣٦هـ) ولمـا أنه بذلك زال قـدم أحد الطرفين صار أساس القرار واهنـا وألغـى عمليا . ولما رأى الانجليز أن شمال ايران قد تحـرر ويمكن للالمـان مهاجمته عن طريق القفقاز والبحر الأسود ويفتحوا الطريق الى الهند ، أرسلوا قواتهم الى خراسان عن طريق بلوجستان من ناحية ووصلوا من ناحية العرب الى همدان وقزوين ورشت من ناحية أخرى وتقدموا حتى

(باكـو) أيضا وبهذا صارت ايران تقريبا وقت أن كانت الحـرب العالمية فى طريقها إلى الانتهاء تحت النفوذ الانجليزى ، ولكى تكـون ايران بتمامها منطقة نفوذ للانجليز دأب هؤلاء على اثارة المشـاكل أمام قبول ممثلين لايران فى جمعية الصلح الدولى ، حتى أجبروا ايران أخيرا فى شوال (١٣٣٧هـ) (اغسطس ١٩١٩م) على عقد قرار منحوس آخر وكان هذا القرار المعروف بقرار (١٩١٩) يضع اختيار تمام أمور ايران العسكرية والمالية والجمركية حكرا على المستشارين الانجليز ويجعلها تحت حماية بريطانيا ، ولحسن الحظ فان هيئة عصبة الأمـم التى تألفت من فترة قريبة لم تعترف بهذا القرار رسما لأنه عقد خلافا لأسسها • وفى ايران ثارت جماعة من الأحرار ضده واعترضت أمريكا بشأن عقده •

وطفق رئيس الوزراء الايرانى الذى وقع هذا القرار ينفذ مواده بحبس المخالفين وتشريدهم وارسال أحمد شاه الى أوربا وايقاف بعض الصحف لكن بسبب ما ذكرناه آنفا وظهور أحداث سوف نذكرهـا فى الفصل التالى زال هذا القرار المشؤوم بدوره ، وانتهى عهد شـقاء ايران •

أسماء الملوك القاجاريين وسنوات حكم كل منهم

١ ـ آغـا محمد خـان (١٢١٢ ـ ١٢٥٠ هـ)

٢ ـ فتح على شاه بن حسين قلى خان اخى آغا محمـد خـان • (١٢١٢ ـ ١٢٥٠ هـ)

٣ ـ محمد شاه بن عباس ميرزا بن فتح على شاه (١٢٥٠ ـ ١٢٦٤هـ)

٤ ـ ناصر الدين شاه بن محمد شاه (١٢٦٤ ـ ١٣١٣هـ)

٥ ـ مظفر الدين شاه بن ناصر الدين شاه (١٣١٣ هـ ـ ١٣٢٤ هـ)

٦ ـ محمد على شاه بن مظفر الدين شاه (١٣٢٤ ـ ١٣٢٧ هـ)

٧ ـ احمد شاه بن محمد على شاه (١٣٢٧ ـ ١٣٤٣هـ)

(تـم بحمـد الله)